

اللُّسَانُ الْعَرَبِيُّ

مَجَلَّةٌ دَوْرِيَّةٌ لِلأَبْحَاثِ اللُّغَوِيَّةِ وَنَشَاطِ التَّرْجَمَةِ وَالتَّعْرِيبِ

شماره ثبت ۱۲۰۴۴۴

تاریخ

سجل الأعمال

• مجامع اللغة العربية

• المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون

• الجامعات والمعاهد العلمية

• الهيئات والمراكز والسبع الوطنية للتعريب

• رجال الفكر والقاملين لإعداد اللغة العربية

ومعلميها في مستوى اللغات العالمية الحديثة

المجلد السابع

الجزء الأول

يصدرها

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

جامعة الدول العربية :

الرباط (المملكة المغربية)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المكتب الدائم لتنسيق التعريب

- ١- يجمع حصيلة ما تنتهي اليه بحوث العلماء حول اللغة العربية وقابليتها للتطور والتعريب ومساوقة التقدم العصري في العلوم وللعرفة.
- ٢- وحصيلة ما تنتهي اليه مجامع اللغة العربية والجامعات والأساتيد وكبار المترجمين ومشروعات المعاجم التي تقترحها الدول العربية وتنسقتها جميعاً وتكملها بما لاق ونجعلها مثلثة اللغات على الأقل ونعرضها على العلماء العرب والمستشرقين بصفة مشروعات.
- ٣- ومجلة: اللسان العربي، لسان حال المكتب ومراسليه، للوضوعات فيها تعبر عن آراء كاتبها، والمعاجم مشروعات تعرض على العلماء قبل عرضها في مؤتمر التعريب بمدة كافية لا تقل عن سنة.
- ٤- والمكتب يتقبل كل نقد وكل ملاحظة وينشرها بنصها خدمة لحرية الرأي العلمي وتقدم اللغة.

موسسه تخصصی زبان و ترجمه

تخصص: زبان انگلیسی
موضوع: ...

تاریخ: ...



موسسه تخصصی زبان و ترجمه

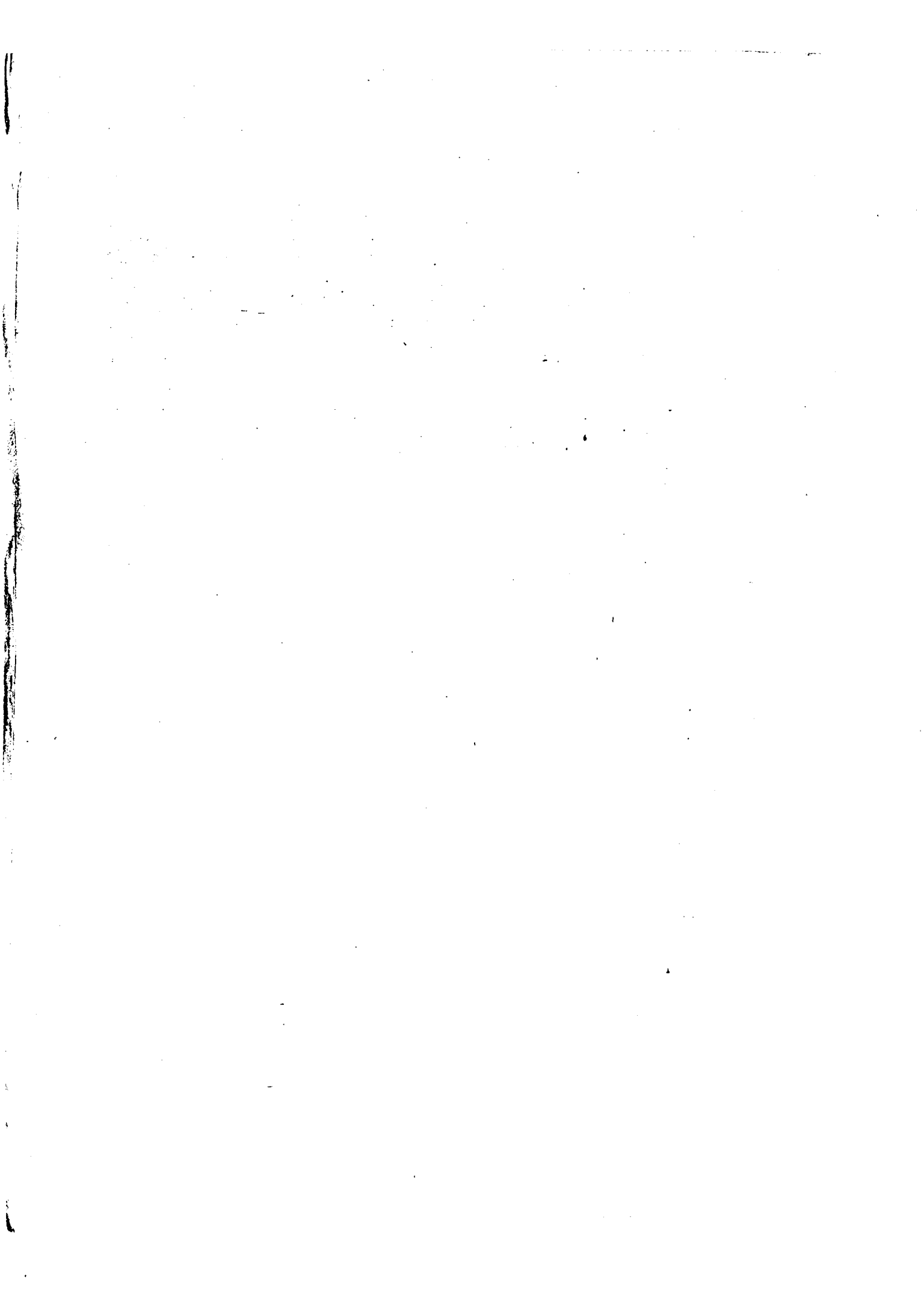
مدرس: ...

تاریخ: ...

موضوع: ...

دراسات لغوية

- ثورية التمريب
- معركة العربية فى الجزائر
للدكتور محمود عبد المولى
- العوامل الطارئة على اللغة
للدكتور محمد عيىد
- اللغة الانسانية (نشأتها فلسفتها مفهومها تطورها)
للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
- الأعداد فى اللغة
للاستاذ حسين محمد
- دخيل ام ائيل
للاستاذ عبد الحق فاضل
- الكاف التمثيلية
للاستاذ عبد الله كنون
- معاجم الأبنية فى اللغة العربية
للدكتور أحمد مختار عمر
- النجىت قديما وحديشا
للاستاذ كيفورك ميناجيان
- تاريخ المعجم العسكري
للاستاذ محمود شيتا خطاب



توحيد التعريب (1)

وخلق منهم قوة يخشى بأسها ودفعتهم في سلم الحضارة صعدا ، فنحن حينما ندعو الى لغة القرآن المجيد ونسعى الى تفصيح العامية ، انما ندعو الى تحاب وتفاهم بين العرب . والتقاؤنا على الفصحى في جميع أعمالنا العلمية والإدبية والفلسفية هو اول الطريق نحو وحدتنا المنشودة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وحدة الفكر والتفاهم اولا ، فهي التي تحدد شخصيتنا وتثبت أقدامنا في التطور الحضاري ضمن المجتمع الدولي المتقدم .

كل شعوبنا تنزوا الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ظماء وقلوب متلهفة . وكل شعرائنا وكتابنا وأرباب الفنون منا يتحدون عنها ، وكل زعمائنا يتخذونها نكاة سياسية . . . وكلما حزينا أمر أودعتنا مصيبة او اعتدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضي الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة او الاتحاد او ما شئتم له من تسمية . اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة تكاد ندعي بأنها لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب وحسب ، بل ان نطقنا فيما اتفقنا عليه مختلف احيانا اختلافا يظن معه انه لغة اخرى .

من الثابت الذي لا شك فيه ان وحدة اللغة من اهم العوامل في تمكين وحدة الشعب وتقوية اواصره وشد عزمه على التأخي والتعاون ودفعه للسير قدما في مضمار التطور ومعارج التقدم . وكثيرا ما وقع بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعاني تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب وثورات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

ولقد كان لنا في الجاهلية لهجات متباينة تفالي بعض الهلماة نيساها لغات كاهي عمرو بن العلاء القائل : « ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا » ولولا أسواق العرب الدورية لما تقاربت هذه اللهجات فزالت الفوارق وتروقت الالفاظ وتهذبت المعاني وتوضحت المصطلحات وسهل التفاهم وقامت اشباه اتحادات سياسية قبلية كانت ارهاصا للوحدة العربية التامة الشاملة التي انبثقت مع الاسلام ودعمها كتاب الله الكريم وانضجت لنا هذه الحضارة التي ما زلنا نفاخر بها حتى اليوم . فمئذ ذلك الوقت والعرب كلما مزقتهم الاحداث او فرقتم المصائب وجدوا في الاسلام الذي وحدهم داعيا الى الصلح وفي القرآن الكريم الذي انضبطت لغتهم عليه اساسا للاتحاد والتفاهم . لقد جمعهم القرآن الكريم فالف بين قلوبهم ووجد صفوفهم

(1) استدعي الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله للحضور في « الملتقى الخامس للتعريف على الفكر الاسلامي » الذي انعقد بوهران (الجزائر) بين 20 و 30 يوليوز 1971 فشارك بهذه المحاضرة .

ولو رجعنا الى أصل هذه الممارك ودرسنا اسبابها الحقيقية لوجدناها سالكة سبلا متفرقة لكنها كلها ترمي الى هدف واحد . فالحركة الاحادية تبعدنا عن عماد هذه اللغة وقطب رحاها ، تبعدنا عن كتاب الله الذي كان سبب وحدتنا وتقدمنا . فمتى تحلنا منه ونبدناه ضعفت لغتنا وضعفنا معها وتمزقتنا وسهل على المستعمر ازدرادنا لقمة سائفة .

والحركة الداعية الى لاتينية الحرف ، تهدف الى قطع صلتنا بماضينا الحضاري والفكري ، وتفرغ مجتمعنا من الداخل تفريفا يجعله قابلا لأن يملأ بما يريدونه لنا ، فنعود الى وهذه التبعية التي لم نتخلص منها الا بشق الانفس وتقديم ملايين الضحايا .

والحركة الداعية الى العامية تهدف الى تمزيقنا تمزيقا يباعد بين اقاليمنا فنغدوا شعوبا صغيرة متخاذلة لا تفاهم بينها ويتركنا صفارا ضعفاء متهالكين امام اي صيحة وتنهافت تحت كل ضربة .

إن معركتنا ايها السادة معركة شرسة طحون غير أن سلاحنا فيها ماض قوي لو عرفنا كيف نستخدمه ، ان ايماننا بسمو لغتنا وقدرتها على التطور ومساوقة اي لغة عالمية في اي علم من العلوم هذا الايمان لا يكفي وحده ، لا يكفي ان نتفنى بهذا الجمال وبهذه القدرة ، ونقف عند كتابة المقالات الضافية في تمجيدها ونظم القصائد الطوال في الثناء عليها وتقديرها .

ان اللغة الآن في محنة من اشد المحن ، تقاتل على جبهات متعددة بعضها خارجي وبعضها داخلي ، وتجتاز مآزق حاسمة في اعنف لحظاتها التاريخية ، فان لم تقف في وجه هذا التحدي بتحد اشد واصلب ، سقطت في هاوية لا مخرج لها منها . ان خصومها يخططون لتخريبها تخطيطا علميا بارعا ويدرسون ثم يصممون ويعملون ضمن برنامج معروف المبدأ معروف الاسلوب معروف النهائية ، ولا مناص لنا من خوض هذه المعركة بمثل سلاحهم ، اما التفاخر بالماضي والادعاء العاطفي والارتجال فأمور لا تجدي في معركتنا هذه فتيلًا . يجب ان نشور ثورة عاقلة وان تكون اول ثوراتنا على انفسنا فنغير مناهجنا وسلوكنا وتكتيكنا ثم نحدد خطتنا ونعين هدفنا وننطق بايمان لا لتلوي بعده مهما تعاورنا من محن او تأكدنا من عقبات . ان اهم معاركنا تدور في حومات ثلاث هي :

1 - معركة الحرف العربي واصول الكتابة الطباعية

ومع هذا نجد بيننا من يدعو الى تعميق هذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربية الفصحى ويسميتها لفات . فهناك من يدعو الى العامية اللبانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم في بيروت بعشرات الالوان وتوزع بالمجان تقريبا او بثمان رمزي . وتكتب بحروف لاتينية ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها نحو اربع مئة دولار وهي جائزة مستمرة تدفع في مطلع كل شهر للفائز الاول في تخريب الفصحى ، فيتهافت كثير من الشبان عليها طامعين بها وفي يد كل منهم معوله يضرب به في اساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركنا حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبانية العشرات ، وهم يسمونها اللغة الفينيقية احيانا ويدعون بانهم ورثة فينيقيا التي كانت قائمة في لبنان قبل نحو ثلاثة آلاف عام . والناس العقلاء الطيبون يتساءلون : من اين ياتي هذا الداعية الفقير بالمال لينفقه في هذه السبيل ؟

ونجد بيننا من يدعو الى كتابة الاغاني والحوار القصصي والمسرحي والسيناريو السينمائي باللهجات العامية ، ويقام للدعوة الى ذلك مناظرات صحفية وندوات وتؤلف الكتب وتنشأ المقالات وتفتح المجلات المصورة لها صدورها وترحب بها .

ونجد بيننا من يدعي بان اللغة العربية ضعيفة قاصرة لا تستطيع مجاراة التطور الحضاري والعلمي المعاصر ، ويرون الخير في تركها واهمالها وتدريس العلوم بأي لغة اجنبية سواها .

وليت الامر اقتصر على الضجيج في الصحف والندى وحدها ، ليته وقف عند هذا الحد اذن لهان الامر وقلنا : حسبنا الله في بعض شواذ الناس ومنتظعهم ، اما ان يحمل هذه الدعوى عضو مجمعي فيدعو فيه الى نبذ الحروف العربية نبذا قاطعا واستخدام الحروف اللاتينية مكانها توطئة لتقريبنا من الحضارة الاوربية على حد زعمه فأمر يدعو الى كثير من التعجب .

ونجد بيننا من يدعو الى تحطيم قواعد الفصحى وتكسير اساليبها وتدمير بلاغتها وتمزيق شعرها ونثرها وهجر أوزانها الموسيقية العذبة ، ويتغالون في استخدام المجازات والاستعارات والكنائيات البعيدة ويسمونهم رمزية ويستخدمون الالفاظ في غير ما وضعت له ويسمونهم سرالية حتى عمي على قارئ العربية فهم ما يقصدون فكانهم يكتبون لغة اخرى لا صلة بيننا وبينها الا صور الحروف وحسب .

ب - معركة العامية

ج - معركة التعريب .

وما عدا ذلك فتبع لها او مشتق منها او متعاون معها . وسنعرضها بشيء من ايجاز لتركيز البحث عليها اذا شئتم وما امرها بخاف عنكم .

1 - الحرف العربي :

يقسون الحرف العربي في الطباعة على الحرف الافرنجي فيقولون :

ان رصف صفحة بالخط الفرنجي يعادل في الزمن رصف صفحة بالخط العربي ، ومعنى ذلك انه بينما يصف عامل المطبعة الافرنجي حروف صفحتين لا يستطيع زميله العربي ان يصف اكثر من صفحة واحدة ، وعيون الحروف الفرنجية في لوحة الرصف لا تزيد على التسعين لان كل حرف منها وحدة قائمة بذاتها يمكن رصه في اول الكلمة او وسطها او آخرها ونقله من مكان الى آخر بمنتهى السهولة ، اما الحرف العربي فتختلف صورته باختلاف موقعه من الكلمة ، فالعين مثلا في كلمة « عدل » الواقعة في اول الكلمة لا تشبه العين الواقعة في وسطها مثل « يعود » او في آخرها موصولة مثل « سميع » او في آخرها مفصولة مثل « سماع » وهناك حروف تتصل بسابقتها وبلاحقها وحروف تتصل بسابقتها ولا تتصل بلاحقها مثل « الواو » وهناك الهمزة في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها فقد تعتلقي متن الالف او تركب ظهر الواو او تجلس على كرسي او تنفرد وحدها . . . وهناك المدد والشدة والتنوين . . . وهناك الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وهكذا تتزايد العيون اللازمة للحرف العربي حتى تبلغ سبع مائة عين او اكثر . فاذا احتاج العامل الفرنجي الى شهرين ليتقن صناعة صف الحرف ، فلن يقل الزمن اللازم لزميله العامل العربي عن ستة اشهر ولهذا اختصروا فدعوا الى اتخاذ الحرف اللاتيني وراوا فيما ابتدعه مصطفى كمال اتاتورك للغة التركية مثالا يحتذي . ونسوان :

1 - اللغة التركية لفة حديثة غير ذات امجاد حضارية وما فيها من نفائس الكتب مترجم اكثره عن العربية وان اللغة التركية وليدة جديدة ما زالت في دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلثها من اللغة العربية والثلث الثاني من الفارسية والطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوربية الحديثة .

2 - وانا لو بدلنا حرفنا هذا واتخذنا الحرف اللاتيني مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وامجادنا والتبديل يحوجنا الى زمن طويل جدا وجهد

جبار وبذل مليارات من الدنانير الذهبية ، وهو امر تعجز عنه ميزانيات البلاد العربية مجتمعة .

3 - وعجزنا عن اعادة طبعها كلها يدعونا الى اهمال كثير منها والى الانتقاع انقطاعا تاما عن مخطوطاتنا الغميسة وهي لا تقل عن مليونين وفيها من النفائس ما لا تقابله مخطوطات اي لفة اخرى في العالم اليس في مغامرتنا هذه ضياع كنوز فكرية لا تقدر بمال الدنيا؟! .

4 - وقد ثبت الان ان الحرف العربي حرف مثالي في جمال تكوينه وشكله وتنوعه والثوائس واستوائه وتعريجاته واختصاره ، وان الصفحة الواحدة من الكتاب العربي لو كتبت بالحرف اللاتيني لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه باقل من مائتي صفحة بالحرف اللاتيني وما جدوى كل هذا التبذير؟! .

5 - ان تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاها سريعا نحو اللونيتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هو العدول بالتدرج عن اسلوب الرصف الحرفي واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربي لا يخرج عن شكله ولا يبعده عن اصله ولا يزيد قوالبه على المائة ، (2) واهتمت جامعة الدول العربية بهذه المشكلة وتبنت بحثها ومناقشتها ودعت الى ندوة خاصة بذلك تعقد وشيكا واستدرجت لها كل المعنيين بها وقدم المغرب مشروعا ممتازا لا يزيد فيه قوالب الحروف عن التسعين مع جميع ملحقاتها من همزات وشدات ومدات وحروف اجنبية لا ينطقها العرب . والامل قريب بتوفيق الجامعة الى حل مشكلة الحرف حلا سريعا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة « الالة الكاتبة » وفي المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية ويفقد خصومنا معركة .

ب - معركة العامية :

يحتج الداعون الى العامية بعجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس وتصوير اللامحات العاطفية والامثال الدارجة في كل قطر . وبأن الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلم اي لفة اجنبية سواها ، فخير له ان يدرس لفة اجنبية يتابع فيها دروسه العالية من بعد في مواطن العلم ، ويقتصد بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد والمصروف !!

1 - ونسي هؤلاء الداعون او تناسوا ان في تقوية اللغة العامية اضعافا للغة الفصحى وتوهينا

(2) راجع نماذج من هذا الخط الجديد في غير هذا المكان .

لزمها وخلقا لعدد من الشعوب تبدأ عربية اقليمية ثم لا تزال تتباعد مع الزمن وتوالي الاجيال حتى تنتهي الى شعوب نبطية ضعيفة متهاكمة لصفرها امام القوى الكبرى فتهدون على الاعداء وما اكثرهم ويلحق العرب بالشعوب البائدة التي اهلعت نفسها واحتقرت لغتها ولم تخدمها واستعارت لغة سواها لثقافتها وتعاملها فذابت فيها ولم يبق لها ذكر يذكر . ابن البابلينيون والاشوريون والسومريون والفنيقيون والقحطانيون والسيان ؟ ! .. اتظنون انهم قد بادوا بأشخاصهم ، وان اصولهم قد اجثتت من الحياة اجثثا ؟ كلا .. ان بقاياهم ما زالت تعيش بيننا ولكن من يعرفها ومن يحترمها ومن يقيم لها وزنا وما قيمتها في الحضارة ؟ !

2 - والغريب ان يتجه العالم كله نحو التكتل ليصون نفسه بقوة اعظم وهؤلاء يدعون الى التمزق والتصاغر والضعف والتهالك فأي جنابة اعظم منها ؟

3 - ونحن لا نرى ضيرا في بقاء العامية لغة للتعامل اليومي على شرطين هما :

1 - ان يباعد بينها وبين الادب شعره ونثره فتجلى عن الصحف والمجلات المصورة والقصص والمسرحيات وما شاكلها .

ب - ان يسمى الحثيث لتفصيحتها (3) وتقريبها من اللغة القومية بحيث تصبح الشقة بينهما اقرب ما يمكن حتى يسهل التفاهم بين العالم ورجال الشارع بغير كبير عناء ، وعلى اى حال فان امر ذلك كله بين ايدي قادة الفكر العربي والمعلمين والمدرسين في جميع مراحل التعليم .

ج - التمرريب :

قالوا بان اللغة العربية لغة قديمة اصبحت عاجزة عن مجاراة التطور المصري قاصرة عن مباراة اللغات الحية في العلوم . وقالوا : ان في حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية في المسميات العلمية امثال En V.U.G. ... وما شاكلها . وقالوا : ان الفكر العلمي المعاصر يخلق في كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 - ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها اسوة بأقندر اللغات الحية المعاصرة ، فهل في لغة من لغات العالم الحي حرف (ح) او (ع) مثلا . وهل في الفرنسية حرف (ق) ، ماذا فعل

الغرييون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطلحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما تلفظها نحن في العربية . وكتب المستشرقين والمستعربين وشراح مخطوطاتنا و مترجميها مليئة بامثال ذلك . فهل نكون اقل منهم دراية ؟ ! ومتى تمت الموافقة على الحرف العربي الجديد والمصطلحات الجديدة في ندوة جامعة الدول العربية العتيدة ، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر .

2 - ان التجربة العلمية الناجحة التي قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سائرة على نهجها الى اليوم تنفي دعواهم نفيًا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم في جميع مراحلها من دور الحضانة حتى نهاية الجامعة وخريجوا جميع الفروع من علمية ورياضية وظيفية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون عن زملائهم في اي دولة راقية .

والخطوة الجبارة الشجاعة التي خطتها الجمهورية الجزائرية هذا العام نحو التعريب ، لم تقدم عليها الا بمد بحث وتمحيص واستقصاء ، وستؤتي اكلها وتصبح نموذجا آخر حيا في العالم العربي يرد به على دعاة التخريب على ان هذا لا يتعارض ووجوب التضلع من اللغات الاجنبية تدعيما للتعلم العلمي والفكري على الصعيد العالمي .

3 - ان الكرامة القومية تقتضي بان ندرس في جامعاتنا بلفتنا القومية ، نفعل كما تفعل جميع الامم التي تحترم نفسها وتقدر قيمة لوجودها وتثبت عزمها على فرض شخصيتها والمساهمة في حقل الحضارة والانسانية ، فالامم حتى الصغيرة منها كالباينا وبلغاريا تأبى ان تدرس في جامعاتها بغير لغتها القومية بل هذه اسرائيل سارقة فلسطين من العرب تدرس في جامعتها جميع العلوم والفنون باللغة العبرية مع ان لغتها لم تتجدد الا في مطلع هذا القرن . افنعجز نحن عن وضع لغتنا في مكانها المرموق ؟ هذه اللغة التي حملت امانة الحضارة طوال القرون الوسطى ومنحتها جميع المصطلحات الانسانية والعلمية والتقنية كالطب والهندسة والموسيقى والفلك والرياضيات والفلسفة .. لم تعجز عنها في عصور كانت وسائل التواصل الفكري بين البلاد شبه بدائية . افنعجز عنها اليوم ونرميها بالعمق ونحن في عصر النور والكهرباء والذرة واللاسلكي والفضاء ؟ ! ان اجدادنا لم يجبنوا امام تيار الحضارة بل اخذوا واعطوا وترجموا ونحتوا

(3) راجع في غير هذا المكان بحثا حول تفصيح العامية .

الثقافة الاسلامية كخريجي الازهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين . وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الاجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك ان مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمدرجات الواردة في جميع الكتب المدرسية وجردها فاكشف 'مرا عجيبا وهو ان مجموع مدرجاتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع في ذهن التلميذ الاجنبي الف وخمس مائة مصطلح (4) . ومعنى ذلك ان مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الاجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذنا في ملاحقة المدرجات العلمية في المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية في مستوى منخفض .

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر في الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضي شامل وسيلحقه قريبا بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية في الاطفال اي دعا الى ثورة عميقة في اول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هي الا صدى للمناهج وكان ذلك اول اعماله ثم التفت الى المصطلح المعرب فوجد ان حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتا بعيدا كذلك . فبينما تغفل الاستعمار في بعض البلاد الى اعماق مجتمعا وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لفته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف في مواطن سواها على السطح فحفظت لفتها وثقافتها نوعا ما . وراى المكتب ان حاجة القسم الاخير الى تفصيل عاميته اشد من محاربة الدخيل فيه، اما القسم الاول فهو في اشد الحاجة الى تفصيل عاميته ومحاربة الدخيل على لفته في وقت معا . ولذلك اصدر سلسلة كتيبات منذ عام 1963 عنوانها « قل ولا تقل » بلغ تعداد الفاظها اكثر من الف وجعل من عام 1971 عام محاربة الدخيل واتصل بجميع الدول العربية لتزويده بما تحتاج الى تفصيله او تصحيحه وهو مستعد لتقديم خدماته بكل سرعة ودقة . وكانت اول الدول العربية اهتماما بهذا المشروع هي الجمهورية الجزائرية . واول الهيئات العلمية التي ايدته هي اليونسكو .

واشتقوا وعربوا وطاوعتهم اللغة مطاوعة عجيبة ، وكان لهم جامعاتهم في بغداد وفاس وقرطبة ومصر ودمشق وتونس . وسيطرت لفتنا على ثقافة تلك القرون حتى لقد تشكى بعض الكرادلة والبابوات من اهمال المسيحيين المثقفين اللغة اللاتينية واتخاذهم اللغة العربية مكانها !!

لكن كيف ندرس نحن في جامعاتنا بلفتنا القومية اذا لم نعلم على قاعدة من العربية الصحيحة في المدارس الابتدائية والثانوية اولا ؟! من هنا نبدا . يجب ان نهيء لتلاميذنا كتبنا في العلوم والفنون بحيث لا ينقصهم من المدرجات العلمية والفنية شيء . يجب ان نعد لهم كتبنا موحدة المصطلحات لينشأ الجيل الصاعد موحد التفكير موحد النظر الى الامور العامة ، موحد الاتجاه في لب الحضارة المعاصرة . وكيف نوحده هذه المصطلحات ؟ ومن يعمل على هذا التوحيد ؟ لقد كانت تجربة سوريا درسا سويا ناجحا لو اقتصر الامر على سوريا وجردها . إما وقد درجت بعض الدول العربية في بعض كلياتها الجامعية على سبيلها كالعراق والاردن ومصر والمجامع اللغوية فيها تعمل بجهد واخلاص ، ولكن كل واحد منها يعرب ويصحح منعزلا عن الآخر ، وفي كل بلد علماءه ولغويوه واساتيده ، ولكل منهم وجهة نظر ووجهة ، فكيف نربط بينهما جميعا ؟

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية في الرباط عام 1961 واقروه ومنحوه ثقتهم . ثم تبنته الجامعة وضمته اليها فاصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

كيف يعمل مكتب التعريب ؟ :

ان ايجاد هذا المكتب عمل ثوري في حد ذاته . انه ثورة هادئة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها انطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ومرت الى هدف واضح معروف . . ولاحظ المكتب هذه الفوضى في التعريب وراى كيف يوضع للمصطلح الواحد اكثر من مرادف معرب احيانا وعرف ان من اهم الاسباب في ذلك اختلاف اثر الثقافات العربية في العلماء العرب فبعضهم تأثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والاردن ومصر وان بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن

(4) سبق للأستاذ احمد الأخضر غزال ان قام باحصاءات موفقة في هذا المجال .

ان النخبة المثقفة في البلاد العربية على العموم وفي المغرب على الخصوص ، متأثرة بقدره المصطلحات الاجنبية العلمية على الدقة في التعبير والتصوير للمدرك العلمي والتقني فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضوي المتنافر ولا المتعدد المتكرر او الناقص في دقته واحكامه ، وهي على حق في هذا لانها ترى الفكر العربي على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوي ، وترى لغتها وقد قبلت في الجامع الدولية لغة خامسة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح . ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فاتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسئوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين اجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا علميا او استاذا لغويا مشهورا له بالتفوق ، او معجبا معروفا ... وينشر ذلك على شكل معجم الفبائي الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة اشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد في ظل الجامعة العربية بالعواصم العربية على التوالي فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذي يريدون فيصبح شبه الزامي . واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب .

ان الحضارة العلمية تقذف في كل يوم بمائة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمي ، فكيف نلاحق هذا التراكم ! . المكتب ايها السادة يتراكم معها ويلحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة والنقد والتصحيح .

وتنبه المكتب الى ان جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة في كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم . وجمعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ ! جرد اكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) ونسقه في جزايات وجعله منطلقا يضيف اليه كل يوم ما يجتمع لديه من جزايات وبراكمها مصنفة تصنيفا ابجديا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون اساسا لمعجم المعاني الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات في بعض الفنون كمعجم الفقه المالكي ومعجم

الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة ومعجم الرياضة والنسب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلي ومعجم الاطعمة وسواها ...

وها نحن نضع امامكم العدد الثامن من مجلتنا (اللسان العربي) في ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها باكثر من سبع مائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالمجان تقدمها ولا نتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا في البحث . وتستصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهومة على الابجديتين العربية والفرنسية . ونحن ساعون الى اصدارها باكثر من هذه اللغات واتخذنا الاجراءات اللازمة لتنفيذها قريبا وهي كما ترون على نوعين :

1 - تقنية : كمعجم ابتترول والميكانيوغرافي

2 - علمية : كالكيمياء والفيزياء والجيولوجيا

وبذلك نساهم مجتمعين في الثورة الثقافية المنشودة . ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصاله والعمل المجدي .

ايها السادة نحن في معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، تنتاشها من كل جانب ، والشعب العربي في حال توفر يريد منا ان يعمل شيئا ما لحفظ كيانه ، واللغة عامل مهم جدا في تثبيت هذا الكيان وابرار شخصيته وفي دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام . ولا بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة في تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر اولا وقبل كل شيء بمناهج التعليم وبالكتب والمؤلفات التي توضع بين ايدي التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية او الى الحروف اللاتينية .

ان اللغة كائن حي تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدي الدائب . ونحن في مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبرائنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم في اي دولة عربية . نخدم لغتنا متحدنين متآزرين لخدمنا في ثورتنا الثقافية وتحرننا العقلي وتثبيت كياننا الفكري . نعطياها فتعطينا ، وما خاب من اتكل على الله وسعى .

معركة العربية الجزائرية

الدكتور محمود عبدالمولى (تونس)

اصطبات ؟ ... كانت هذه معابد تهدم ويتم الخلاص منها الا ان الجامع كان أيضا الجامعة ، كما هي الزيتونة في تونس والقرويين في فاس ، وكما هو الأزهر في القاهرة ، فهدم جامع كان يعنى هدم مدرسة ومكتبة وقاعة للمحاضرات وبيت للشعب وجمعية استشارة او شورى ... ومتحف « (4) » .

« وكان العدو الاستعماري بارع الذكاء في محاربتة المستعمرة المميتة للغة العربية ، اللغة الاجنبية : حين كان يعلق كل مدرسة عربية موجودة على بعد ثلاث كيلومترات من اية مدرسة فرنسية ، غايته تعليم بعض المفردات الكافية لادارة العمال الزراعيين كما تعلم البقال بعض كلمات تجعل قيادتها اقل ازعاجا ، وكان العدو الاستعماري يدرك مدى الخطورة في ازدهار اللغة العربية الصحيحة ... فان تعلم الجزائريين لغتهم الام ، يعني تخلصهم من عار انهم « اطفال الساحة العامة » ايتام ، ولقطاء ، ومشردون ؟ يعني ايقاظ وعيهم بجدارتهم وكرامتهم (...)

لقد حارب المستعمر ، حتى انموت ، اللغة العربية ، لانها اللغة الموحدة والمحركة لاقطار المغرب العربي ، وهي ايضا البؤرة الضخمة للعمل الفكري كله في ميدان الصراع بين مقومات الفكر العربي من جهة وبين عمليات التخريب الضخمة والمتعددة التي قام بها الاستعمار في ربوع مغربنا من أجل القضاء على خصوصياته القومية والثقافية ، وقد جرت هذه العمليات الاستعمارية على مراحل وبواسطة أجهزة متعددة وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والمستشرقين ، همهم هو القيام بمؤامرة للقضاء على اللغة العربية ، (1) ففي الجزائر ، غلق الاستعمار جميع الفرض ، امام الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم (2) ، وفرنس الادارة والاقتصاد والتعليم ثم حارب العقيدة الاسلامية وذلك بتحويل بعض المساجد الى كنائس (3) ، ويقول كاتب جزائري قبائلي في هذا الصدد في كتاب له بالفرنسية : « كان العدو الاستعماري ذكيا حين كان يهدم الجوامع ويحولها الى تكنات او

- (1) انور الجندي ، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها ... ص 228 .
- (2) عثمان سمدي ، قضية التعريب في الجزائر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1967 - ط 1 ، ص 37 .
- (3) علال الفاسي : المغرب العربي - القاهرة - ص ص 71 .
- (4) عمار ازيفان : الجهاد الافضل - ص 29 .

الفرنسي والصحافة الموالية لهما حركة جمعيتها العلماء (7) بأنها منظمة رجعية متعصبة تعمل لفائدة الملوك العرب ...

وفيما يخص معركة اللغة العربية « ارتفع عدد المدارس العربية بين 1943 و 1954 من بضع عشرات الى مائة وخمسين مدرسة (...) ولقد شاركت الحركة الاصلاحية مشاركة فعالة في اضعاف الاتجاه الذي يدعو الى الادمج الذي يقول به المثقفون المتفرنسون برئاسة الدكتور بن جلول ، ويقول مستشرق الماني نزيه ، كان بين ظهورنا منذ ايام وهو الدكتور هورنباخ ، في هذا الصدد : « لقد تمتعت ، في العهد الفرنسي ، طبقة من الكتاب والمثقفين برعاية الفرنسيين وتربيتهم في الوقت الذي كانت الجماهير الاخرى تستغل اشنع استغلال » .

ولربما كان نجاح فرنسا اكبر مما كان لو انها علمت بان هذه الفئة من المتفرنسين هي مستعدة لضم الجزائر الى فرنسا على شرط المساواة ؟ فقد فقدت هذه الفئة الايمان بوجود وطن عربي ، ويشت من استقلاله ، وتنازلت عن تاريخه وماضيه المجيد وبدات تساوم عليه ، ليعه ، سياسيا (8) ، لكن العلماء تحت راية ابن باديس وقفوا لهم بالمرصاد حيث اعلن هذا المصلح منذرا ومحذرا « بان الجزائر ليست فرنسية ، ولا يمكن ان تكون ولا تريد ان تكون ، وان اللغة هي جزء لا يتجزأ من كيان الوطن وروحه » .

وفي سنة 1962 تم توقيع اتفاق « ايفيان » « Evian » لتطبيق النظام الفرنسي في المدارس العالية ، ان هذا التاريخ هو اوضح دلالة على نوايا الفرنسيين في ابقاء الجزائر تحت نفوذهم الثقافي واللغوي : لقد انتهج الجنرال ديفول منذ تسلمه مقاليد الحكم في فرنسا سنة 1958 سياسة تعليمية في الجزائر على درجة كبيرة من الخطورة ، فبحكم تجاربه وحصافته السياسية ، راي بشاقب رايه ان استقلال

يعني ان تعاد للشباب الأعزب روحه الوثائقية القوية الصافية ليدرك منشأ الفعل الانعكاسي الاستعماري ؟ مثلا عار الأروبية العرقية ، القاهرة التي ترفض أن ترقص مع عربي حتى لو كان ساحرا كأدونيس « غربي فينيسيا » الذي عشقته فينوس .

ان تعلم اللغة العربية من جديد ، هو احياء التربية الطبيعية والعقلية والتاريخية التي تتيح لنا ان نكشف السبب في ان جبل الجرجورة الجبل الحديدي « الروماني الذي لم تصله قد سمي على قمم الأطلس في منطقة التل باسم « لا لا خديجة » الزوجة الاولى للنبي العربي وام المؤمنين . وهو ايجاد تفسير لهذا اللغز : لماذا تفلت اللغة العربية على اللاتينية في افريقيا التي طبعت بطابع روماني « (5) .

ان هذه الشهادة المكتوبة اصلا بالفرنسية لترينا مدى اضرار سياسة الادمج الاستعماري بشعب الجزائر العربي ، ان هذه السياسة الفرنسية الفاشمة قد جرحت كبرياء هذا الشعب الأبوي جراحات دامية ، وهذا ما جعل ردود فعله قوية كأشد ما تكون القوة ، وحادة كأشد ما تكون الحدة ، ان هذه السياسة الجهنمية التي خدشت وجرحت الضمير الاجتماعي لشعب الجزائر المسلم ، كان من نتائجها ان النضال الجزائري كان مليئا بالعنف وبردود الفعل الايجابية والسلبية في الوقت نفسه : بدا هذا النضال في اول الامر بطيئا متمثلا في حركات الاصلاح الديني والاجتماعي والتربوي ، كانت هذه الحركات تحث الشعب على تأسيس المدارس والجوامع والجمعيات الثقافية للابقاء على لغته وعلى عقيدته حية ، ونمت هذه الحركات الاصلاحية نموا مطردا بعد تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » منذ اكثر من ثلاثين عاما ، (6) كان منهاجها يتلخص في الصيغة الآتية : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » ، وقد اهتمت الادارة الفرنسية وكذلك الحزب الشيوعي

(5) المصدر السابق : ص 30 - 31 .

(6) من العلماء الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ العقبي والشيخ الابراهيمى ، ومن الملاحظ ان الشيخ العقبي كان نائب رئيس جمعية العلماء التي ترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد ترك الجمعية عام 1939 ليتابع محاضراته في نادي التقدم في الجزائر .

(7) المصدر السابق - ص : 26 و 27 .

(8) لقي الدكتور هورنباخ محاضرة حول الشاعر محمد العيد بتاريخ 5 مارس 1970 بالسفارة الالمانية وتناول بالتحليل نضال محمد العيد بشعره ، من اجل عروبة الجزائر .

ديفول فبنيت آلاف المدارس وبرز «مشروع قسنطينة» الاقتصادي الى الوجود» (10) .

كانت سياسة ديفول في ظاهرها الرحمة وفي مضمونها العذاب : كان يريد أن يثبت للجزائريين وللراي العام العالمي بأن سياسته ليست كسياسة المعمرين التي عملت طوال قرن وربع قرن على اخذ كل شيء من الجزائريين واعطائهم النزر القليل في ميدان التمدن ، وانما كانت سياسته ، او سياسة فرنسا المجسدة في حكمة ، ترمي الى العمل من اجل خير الجزائريين باثرائهم ثقافيا وانعاشهم اقتصاديا ، لكن سياسة ديفول في الواقع كانت تهدف الى حقيقة اخرى يمكن ان توجز في العبارة التالية : « توسيع الخرق في الميدانين الثقافي والاقتصادي » امام الجزائر المستقلة ، فهذه السياسة البارعة مكنست ديفول خلال اربع سنوات : (1958 - 1962) من ان يجعل مشكلة التخلص من التبعية الفرنسية امرا صعبا جدا بالنسبة للجزائر المستقلة ، لقد عمل كل شيء من اجل ابقاء الجزائر فرنسية الثقافة واللغة ، والديفوليون انفسهم لا ينكرون هذا الزعم ، يقول الوزير الفرنسي للشؤون الجزائرية خلال الحملة الانتخابية الرئاسية آنذاك ما معناه : ان ديفول عمل من اجل تأخير تحقيق التعريف في الجزائر الى امد بعيد» (11) .

ففي خلال حكم ديفول حتى استقلال الجزائر ، اي خلال اربع سنوات ، تضاعف مرتين عدد التلامذة الجزائريين في التعليم الثانوي والاعدادي ، كما تضاعف عدد الطلبة الجزائريين في جامعة الجزائر ، في نفس هذه المدة ، اربع مرات تقريبا ، وهذا دليل ساطع على مدى نجاح خطة ديفول البارعة في ميدان التعليم بالجزائر .

ان سياسة الادمج على قوتها لم تستطع ان تقضي على حرية الجزائر وعلى عروبتها . . . بل ولدت توترا وعنفا في الكفاح من اجل تقرير المصير وكان ما كان من انتصار شعب الجزائر الذي خرج من حرب سبع سنوات الضروس ، يوم 20 مارس 1962 ظافرا ، لان الجزائر بفضل جهاد ابنائها وعروبتها واسلامها ابتالا ان تكون دولة عربية اسلامية مستقلة ذات سيادة ،

الجزائر كمستعمرة فرنسية قد تجاوزها الزمن واصبحت مهزلة مضحكة ، وانه من الواقعية والحكمة السمي لتطبيق سياسة من شأنها ان تبقي على الجزائر ضمن مناطق نفوذها الثقافية الى جانب التبعية الاقتصادية التي ليس من السهل على الجزائر التخلص منها ، وربما راي هذا السياسي العجوز المحنك ، ان التبعية الثقافية هي اهم وابقى من التبعية الاقتصادية في هذه الظروف ولربما تؤول في آخر المطاف الى تبعية ثقافية واقتصادية في الآن نفسه ، فعمل الجزائر ضمن مناطق نفوذ الثقافة الفرنسية ، معناه ، ابقاء مقاليد الامور وازمة الحكم بين ايدي الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية والجاهلين بلغتهم وثقافتهم القومية ، ومعناه ايضا ، دوام تبعية المدارس والمعاهد الجزائرية للمدارس والكليات الفرنسية مع ما يتبع ذلك من دفع الجزائر الى انتداب اساتذة واطارات فرنسية للعمل في مؤسسات الجزائر المختلفة . . . وهذا مما يضمن بقاء التبعية الثقافية والتبعية الاقتصادية في نفس الوقت .

ويؤكد الاستاذ عثمان سعدي في هذا المعنى بان المتفرنسين الذين يسيرون الادارات الجزائرية يؤلفون طبقة ممتازة بالجزائر ، سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم او لطريقة معيشتهم . . . وهذه الطبقة هي التي ستعارض « الحتمية التاريخية المسماة « التعريف » اي العودة الى شخصية الجزائر الاصلية التي تعتبر اهم مطلب شعبي ، وانتصار سياسة التعريب سيحول في نظر هذه الطبقة الى خطر يهدد وجودها وهذا مما يجعلها تحاربه بضراوة ، وتكافح من اجل الابقاء على تبعية الجزائر لفرنسا في جميع مظاهر الحياة» (9) .

فبمجرد مجيء ديفول الى الحكم ، كان اول ما فعله ، هو تطبيق تلك السياسة التي المعنا اليها سابقا وهي تتمثل عمليا في انجاز تخطيط ثقافي واقتصادي يهدف الى نشر التعليم بين الجزائريين وتنفيذ مخططات اقتصادية واسعة « تعود فوائدها لا على المستوطنين الفرنسيين فحسب ، كما كان متبعا من قبل ، بل على الجزائريين ايضا ، ونجحت خطة

(9) قضية التعريب في الجزائر . . . ص . : 46 - 47 .

(10) نفس المصدر السابق . . . ص . : 48 .

(11) المصدر السابق - ص : 48 .

وقبل كل شيء دولة عربية مغربية ، لا جزءا لا يتجزأ من القومية الفرنسية كما توهم الاستعمار الفرنسي العجوز .

ولكن ... انتهت المعركة السياسية بنجاح وبقيت معركة اللغة والاصالة على قدم وساق .

ففى الجزائر اليوم تيارات ثقافية ولغوية مختلفة: فهناك من يجهد الإبقاء على اللغة الفرنسية ، وهناك من ينادي بالتمريب ، وهكذا تتضارب الآراء ويحتد النقاش ...

وهناك رجال مخلصون فى الجزائر يعلمون أن الشعب الواحد لا يمكن أن تكون له اللغة واحدة هي لغة أجداده وأمجاده ، ويعلمون أيضا كل العلم أن الجزائر كادت أن تصبح فرنسية وتنقسم صلة الرحم بينها وبين شقيقتيها تونس والمغرب وكذلك الأمة العربية والاسلامية بأجمعها .

لقد أدركوا اليوم ، بدون مشقة ، بأن المحافظة على استقلال الجزائر يعني المحافظة على العريسة ، والتفريط فيها ، يعني التفريط فى استقلال الوطن وسيادته ، وبدأوا فى الحين بمقاومة نزعة الفرنسية وذلك بالتمريب التدريجي واطاحة جميع الفرص أمام الموظفين الجزائريين فى الادارة لتعلم العربية مقابل مكافآت سخية فى الترقية ... وكذلك باشتراط مستوى معين بالنسبة لكل من يتقدم الى العمل فى ادارة الجزائر (12) ، بهذه الاجراءات بدأت الجزائر فى

تخليص نفسها من هيمنة اللغة الفرنسية وهي تقدر الصعوبات التي ستلاقيها فى عملية التمريب : فعملية التمريب تقابل فى اوساط مختلفة فى الجزائر بشيء كثير من التحفظ لأنها قد تجر - فى رأيهم - الى انحطاط المستوى العلمي وعرقلة التطور بالاضافة الى الصعوبات النفسية الأخرى ، وما مطالبات الطلاب الجزائريين سنة 1963 والحاحهم على انتداب اساتذة فرنسيين لا عرب ... والمحافظة على المناهج التعليمية فى الجامعة ... الا دليل على معارضة هؤلاء لعملية التمريب ، وهناك صوت آخر قوي يدعو الجميع الى التمسك بروح الثورة واطاحة المجال امام الجزائر لتطوير وتمريب شخصيتها كلف ذلك ما كلف من التضحيات والخسائر المادية .

ومن المعلوم بأن هناك فئة من الكتاب الجزائريين تشعر وتفكر بالعربية وتصوغ افكارها ، وخاصة فى المجالات العالية ، باللغة الفرنسية ، وقد اندهش العالم من وجود هذا اللون من الأدب الغريب الذي يتزعمه جان عمروش (Jean Amrouche)

وكاتب ياسين وميلود فرعون ، فلم يدر عمروش مثلا ماذا يكون امله فى الحقيقة : اهو غلظة من غلطات التاريخ ؟ ام هول من احوال الثقافة ؟ فهو يبحث عن وطن اجداده ولقنتهم ، اما ميلود فرعون فقد كان معتدلا اذ انه يعتبر نفسه جزائريا قبائلي الاصل ، فرنسي اللسان والثقافة ، واما كاتب ياسين فهو اروعهم لانه يعترف بأن الطريق الصحيح للأدب فى الجزائر هو أن يكون باللغة العربية وليس بالفرنسية على الرغم من عجزه عن الكتابة بالعربية .

(12) بمقتضى قرار مجلس الثورة ورئيسه هواري بومدين .

العوامل الطارئة على اللغة

دراسة لقضايا اللحن والتصحيح والتوليد والتعريب...

في ضوء علم اللغة الحديث

دكتور محمد سعيد ، كلية دارالعلوم
جامعة القاهرة

- 2 -

بها مع اطراد نموها ، أما في الجانب الآخر فقد أعلنوا بأسهم من وسائل الضبط في الكتابة وبحوثا عن وسيلة أخرى لتوقي خطأ القراءة ، فلم يجدوا غير الزام الناس « بوجوب المشافهة في رواية اللغة » وهو حل شاق ، وغير عملي ، علاوة على أنه حاد عن موضوعه ، إذ كان من المتوقع أن يواصل العلماء جهودهم في « اصلاح الرسم العربي وضبطه » لكنهم - فيما يبدو - حين يسوا من ذلك ، تركوا قضيتهم معلقة ، والتمسوا وسيلة أخرى هي « وجوب المشافهة » وهي وسيلة فضفاضة غير عملية وغير مقنعة .

ولم تقتصر جهود علماء اللغة في مقاومة التصحيح والتحريف على محاولة ضبط الكتابة والتواصي بالمشافهة في الرواية ، بل راحوا - منذ القرن الرابع الهجري وما تلاه - يبذلون جهدا آخر يتعمق مع المرحلة العلمية كلها في تلك الفترة ، وذلك بالالتفات الى الوراثة لجمع أمثلة التصحيح والتحريف في مؤلفات تضمها ، تماما كما راجعوا جهود السابقين في النحو للتأليف في « أصول النحو » وكما راجعوا مادة اللغة في النحو للتأليف في « الشواهد » ثم في « الاستشهاد » .

فجهود علماء اللغة في مقاومة « التصحيح » والتحريف « قد تدرجت في الآتي :

- 1- ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .
- 2- ضرورة المشافهة في رواية اللغة .
- 3- تنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات .

شغل « التصحيح » والتحريف « أذهان علماء اللغة ، ذلك أن الخطأ الذي ترتب عليه - وإن كان يعود أصلا للرسم الكتابي - قد انعكس على النطق اللغوي بقراءة الكتابة ورواية القراءة .

وقد اهتم العلماء به لذلك ، إذ رأوا فيه خطرا يهدد اللغة ، وعييا يؤاخذ عليه فاعله بل عارا يلحق من يصدر منه . [مؤامرة إنقاذ تصحيح ما خرب عنه] إذ لغيره من يكمل البحث والدراسة ومن الطريف أن نعلم أن ظاهرة التصحيح والتحريف لم يقتصر أمرها على العوام من القراء أو النساخ والوراقين ، بل تفتت بكثرة بين العلماء انفسهم ، كما يقول حمزة الأصبهاني ، قد فضع التصحيح في دولة الاسلام خلقا من القضاة والعلماء والكتاب والامراء وذوي الهيئات من القراء .

ولقد وجدت ظاهرة التصحيح والتحريف في وقت مبكر ، وحملت اللغة مظاهر الخطأ التي ترتبت عليها في الفترة نفسها التي هددها فيه مظاهر الخطأ « باللحن » - حوالي منتصف القرن الاول الهجري - وكما وجه العلماء جهودهم لمقاومة اللحن بدراسة اللغة ووضع قواعد النحو فقد بذلوا جهودا أخرى لمقاومة التصحيح والتحريف بوضع قواعد من نوع آخر لضبط الكتابة وتوفي الالتباس فيها .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين من القواعد لم يقدم الحل الحاسم الناجع لخطأ القول وقراءة الكتابة ، فإن قواعد النحو ظلت لديهم عالية سامية ، واطرد اهتمامهم

وهذه الامور الثلاثة فى حاجة الى فضل ايضاح وتأييد للوقوف على جهودهم فيها ، ثم استخلاص اساس التصويب والتخطئة الذي وجه نظرهم ومقاومتهم لهذا النوع من الانحراف فى اللغة .

هناك رواية مشهورة عن مقاومة ظاهرة التصحيف والتحريف فى الكتابة تتناولها مصادر التصحيف والقراءات ، ومؤدى هذه الرواية ان العلماء تنبهوا لخطورة التصحيف والتحريف حين حدث فى قراءة القرآن ، فكان من ذلك الدافع الاصلي الذي دفعهم للبحث عن وسائل ضبط الكتابة ، فهذا الدافع الديني هو الذي اثارهم العلماء لتوقي التصحيف والتحريف فى القرآن واتخاذ الوسائل الواثية من حدوث ذلك فيه .

غير ان هذه الشهرة ينبغي ان تقتصر على موضوعها وزمانها - وموضوعها هو مصاحف عثمان المكتوبة والخطا فى قراءتها ، وزمانها هو منتصف القرن الاول تقريبا - فلا يفهم من ذلك ان التصحيف والتحريف لم يحدث فى غيره من النصوص المكتوبة من قبل هذا العصر ومن بعده ، اذ من الثابت ان الكتابة كانت معروفة فى عصر الرسول وقبل عصره والمعتقد انه قد دونت بالكتابة غير المضبوطة امور كثيرة كان منها نصوص اللغة من شعر ونثر ، والمعتقد كذلك ان ظاهرة التصحيف والتحريف حدثت فى قراءة هذه المدونات قبل حدوثها فى قراءة المصاحف وان كان غموض التاريخ العربي قبل الاسلام وفى غير القرآن لا يسعنا بادلة مؤكدة لاثبات هذا الاعتقاد .

وهذا هو نص الرواية المشهورة عن المصاحف كما اورده حمزة الاصبھاني :

* كتب عثمان المصاحف الخمسة ، وفرضها على الامصار . فسار الناس يقرؤون فيها نيفا واربعين سنة وذلك من زمان عثمان الى ايام عبد الملك ، فكثرت التصحيف على السنة الناس ففزع الحجاج ، وسأل كتابه تدارك الامر ، فوضعوا النقط افرادا وازواجا ، وخالفوا بين اماكنها ، بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف ومع ذلك كان يقع التصحيف ، فاحدثوا الاعجام ، فاذا اغفلوا الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف الحقوق كلها من النقط والاعجام ، اعترها التصحيف ، فالتسوا حيلة ثالثة ، فلم يقدروا عليها .

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 - 38 .

فقد بان لمن عقل ، وانصف من نفسه ان اعتراض التصحيف فى هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة فى البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الاساس (1) .

وينبغي ملاحظة ان « النقط » المذكور هنا قصد به « شكل الحروف » من فتح وكسر وضم وسكون وتنوين ، اذ كان - كما تقول الرواية - يوضع نقطنا افرادا وازواجا بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحبب الحروف ، وهو ما غير فيما يمد - على يد الخليل - الى الشكل المرسوم على هيئة ابعاض الحروف (- ، و ، ه) كما يلاحظ ان المقصود « بالاعجام » هنا هو النقط التي تفرق بين الحروف المتشابهة كالباء والناء والياء او الجيم والحاء والخاء ، ولان كلاما من النوعين كان يرسم نقطا ، فان التمييز بينهما اعتمد على لون المداد المستعمل فى الكتابة .

ذلك جهد كبير بذله العلماء فى ضبط الكتابة ، لكنه - كما تشير الرواية - كان جهدا شاقا لم يستطع التزامه فى كل ما كتب ، ولم يمنع تماما حدوث التصحيف واستمراره « فاذا اغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف حقوقها ، اعترها التصحيف » وانى يكون هذا الاستقصاء دوما اذا كان الكاتب ملزما فى الكلمة الواحدة مثلا ان يكتب حروفها اولا ، ثم ياتى بمداد مخالف ليوفى شكلها بالنقط ثانيا ، ثم يمدود للمداد الاول ليعجمها ثالثا ، ان هذا - فى الحق - عمل مجهد للغاية ، وقد احس العلماء انفسهم بمشقة - كما تقول الرواية - فالتسوا حيلة ثالثة فلم يقدروا عليها ، وبقي التصحيف مع هذا الجهد ظاهرة خطيرة فى قراءة الكتابة ، وهذا - كما عبر الاصفھاني - ليس الا من ضعف الاساس .

اجل .. ضعف الاساس فى الكتابة !! هذه هي المشكلة ، ولو واجه العلماء هذا الاساس الضعيف بوضع اساس بديل له ، او تقوية ضعفه بطريقة محكمة ، لحلت مشكلة الخط بصورة نهائية ، ولما بقي التصحيف والتحريف خطرا يهدد نطق اللغة ، ويؤرق علماءها .

كان من الضروري اذن وقد ترك علماء اللغة هذا الاساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، ان يقاوموا خطأ النطق بطريقة اخرى ذكرها ابو احمد العسكري نسا - بعد ان ساق الرواية السابقة تماما مع اختلاف

طفيف في عرضها - قال : « فالتمسوا حيلة فلم يقدروا
الاخذ من افواه الرجال » (2) .

والاخذ من افواه الرجال لم ينقطع ابدا في عصر
الاحتجاج باللغة وروايتها ، ولا يتصور انقطاعه في اي
عصر من العصور ، لكن الذاكرة لا تقوى على حفظ
النصوص اذا طالت ، وهي من ناحية اخرى لا تستطيع
المحافظة على ما حفظته زمنا طويلا ، لذلك كان الناس
في حاجة الى وسيلة اخرى لحفظ النصوص والمحافظة
عليها ، وكان غريبا ان يترك العلماء قضية « الرسم
العربي » دون حل حاسم ، لابدال ذلك بالزمام الناس
الاخذ من افواه الرجال مع التأكد من ان هذه طريقة
غير عملية .

وقد ترتب على ذلك شيوع مجموعة من الافكار
تدور حول الرواية والكتابة لا يصعب تفسيرها في
ضوء ما تقدم .

من هذه الافكار مثلا الحرص الشديد على
التظاهر بالرواية الشفهية وكثرة الحفظ ، وما يروى عن
ذلك من غرائب الحفاظ في ضخامة ما وعته ذاكرتهم من
اخبار وأشعار ونوادير ، فالاصمعي - كما قيل - حفظ
اثني عشر الف أرجوزة ، منها ابليت والبيتان ومنها
المائة والمائتان - يلاحظ ان ذلك في الرجز وحده -
واسماعيل بن سيار املى معجما كاملا من ذاكرته
وهو معجم « العين » الذي حفظه ، ثم ضاع منه ،
فامله من حفظه ، وغلالم ثعلب كان يحفظ اكثر من
ثلاثين الف شاهد على النحو ، الى غير ذلك من
الاعاجيب .

ومن هذه المظاهر الحرص على اختيار من
ياخذون عنه اللغة ، للتأكد من انه لا يعرف الكتابة
والاخذ من الصحف ، فاذا اثبت الاختبار اقترااف
الاعرابي لهذا الامر المنكر ، بهرجوه وزيفوه ورفضوا
الاخذ عنه .

ومن ذلك العبارة اللغوية الدائمة الصيت حتى
اليوم (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من
صحفي) والمصحفي : هو الذي ياخذ قراءته عن
المصحف ، والصحفي : هو الذي يقرأ الصحف ،
فتحدث في روايته الاخطاء باشتباه الحروف وتغيير
الحركات .

وقد ترتب على ذلك حملة شديدة الوطأة على
المصحفين والصحفيين جميعا وغدت نسبة ذلك الى
احد العلماء شيئا يثير الحفيظة ويستوجب الانكار
والاستبراء لما يلحقه بسببه من نقص وعار .

* قال ابو احمد المسكري : قد فضح بالتصحيح
خلق من اهل الادب ومن الاشراف والقضاة والرؤساء
وهجوا به ، وبقي ذمهم مخلدا في بطون الكتب ، وقد
مدح بالاحتراز من التصحيح والتحفيز منه جماعة ،
منهم خلف الاحمر ، فان الحسن بن هانئ رثاه وهو
حي ، فكان من افضل ما عدد من مناقبه ان قال :

لا يهم الحاء في القراءة بالخاء ولا ياخذ اسناده عن
الصحف (3) واغلب الظن ان « ابا نواس » قصد بذلك
المداعبة لا الجد ، ولا يفهم غير ذلك من شعر يقوله
ابو نواس في « رثاء انسان وهو حي » وجو المداعبة
هذا دفعه الى ارضائه بقوله له : انه لا يصحف ولا
ياخذ عن الصحف ، ولعل ابا نواس اعلم من غيره بانه
غير صادق في هذه القضية خصوصا مع خلف الاحمر
مع ما هو مشهور عنه ومتهم به .

وعلى كل حال فقد قاوم العلماء التصحيح
والتحريف باشاعة الحث على المشاهدة في الرواية
والتنكير من الاعتماد على الصحف ، وذم المصحفين ،
وقد افادت رواية اللغة من ذلك دون شك وان كان ذلك
كله - في واقع الامر - تظاهرا لا يتفق مع الواقع حتى
من القائلين به انفسهم . فمعظم العلماء كانوا يكتبون
ويقرؤون في الصحف ، والا فماذا كان يصنع ابو عمرو
ابن الملاء بكتبه التي ملأت - فيما يقال - حجرة الى
السقف واشعل فيها النار في سورة غضب ، ومن الذي
تولى انفاذ خمس عشرة قنينة جبر اريق مدادها على
الصحف والكسائي في البادية يكتب عن الاعراب !!

ان قصارى ما يفهم من الدعوة الى المشاهدة وذم
الاخذ عن الصحف هو دلالتها لا حقيقة ما تنطق به ،
وهي تدل على شدة الحرص على ضبط اللغة والاخذ من
العلماء وقد اعتبر هذا في الوقت نفسه بديلا لم يجدوا
عندهم غيره لضبط النطق بعد ان شق عليهم ضبط
الكتابة او تغيير اساسها الضعيف .

وينبغي بعد ذلك الامر الثالث والاخير في معركة

- (2) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص 13 .
- (3) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص 18 .

العلماء مع « التصحيف والتحريف » وهو « تنقية الاخطاء بجمعها في مؤلفات » يوضحها الجدول الاتسي مما دخل في امكاني الحصول عليه منها ومعرفتها . وهي مرتبة بحسب وفاة مؤلفيها .

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ الوفاة	لاشارة الى ما هو موجود منها
1 - ما صحف فيه الكوفيون	محمد بن يحيى الصولي (ت 335)	مخطوط
2 - التنبيه على حدوث التصحيف	حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت 360)	مخطوط
3 - التنبيهات على اغاليط الرواة	علي بن حمزة البصري (ت 375)	مطبوع
4 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382)	مخطوط
5 - تصحيف المحدثين	أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري	مخطوط
6 - تصحيف المحدثين	أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت 385)	مخطوط
7 - التصحيف والتحريف	أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي (ت 600)	مخطوط
8 - تصحيح التصحيف وتحريسه	خليل بن أيبك الصفدي (ت 764)	مخطوط
9 - التعريب في فن التصحيف	محمد بن علي الصالحى (ت 953)	مصور

من مظاهر الانحراف في اللغة - كالحلن مثلا - ولذلك - فيما أفهم - دلالة اذ الفت لرصد الخطأ الذي يعود أساسا الى قراءة اللغة المكتوبة ، وهو جانب لا يصل في أهميته الى حد الخطأ الذي يحدث في نطق اللغة ملحونة .

اخيرا :

فان ظاهرة التصحيف والتحريف خطأ ظهر في رواية اللغة نطقا نتيجة اللبس في قراءة الخط وقد بذل علماء اللغة جهودا طيبة لاصلاح هذا الخطأ في منشئه ومظهره ، والمستوى الصوابي الذي نستخلصه من نظرتهم الى هذا الخطأ وجهودهم في مقاومته يلخصه عبارة واحدة هي : (اصلاح ما سماه الأصبهاني ضعف الأساس في الكتابة ثم التحول عن ذلك الى وجوب المشافهة في الرواية) .

ذلك هو الأساس باختصار ، فهل كان حلا حاسما لمشكلة التصحيف والتحريف ؟ !

بيان ذلك موعده القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

والذي لاحظته على هذا الجانب من مقاومة « التصحيف والتحريف » ما يلي :

اولا : ان هذا جانب دراسي بدأ - فيما أعلم - في القرن الرابع الهجري كما هو مبين في الجدول وقد اعتمد على مراجعة جهود السابقين المتفرقة ورواياتهم المتناثرة لجمعها في مؤلفات عن ظاهرة « التصحيف والتحريف » وهي - بهذه الصفة - تعتبر تسجيلا مهما لجانب من العوامل الطارئة على اللغة ، وبناء على ذلك فان فائدتها في مقاومة التصحيف والتحريف تفيد دارس اللغة والادب تاريخيا لتحقيق النصوص ، والوقوف على مظاهر الصواب والخطأ فيها .

ثانيا : يضاف الى ذلك ان هذه المؤلفات لم تقتصر على الاحاطة الفنية بنماذج التصحيف والتحريف وإيراد الامثلة الكثيرة ، وتعداد من وقع منهم ذلك من الشعراء وعلماء اللغة والمحدثين والقراء ، بل احتوت أيضا على تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها ، ونظرة العلماء لها ، مما أفدت منه في أفكار هذا الموضوع .

ثالثا : يلاحظ ان مؤلفات التصحيف والتحريف قليلة نسبيا بالنظرة الى الجهود التي بذلت في غيرها

« التوليد »

معنى التوليد فى الالفاظ ومصادره اللغوية

ذلك أن الاجانب وجدوا بين العرب فى الجاهلية ثم ازداد اختلاط العرب والاجانب فى الاسلام بفعل الدين الجديد والحروب والتجارة ، وفى القرن الاول شكل الاحساس بالخطر من هؤلاء الاجانب على العنصر العربي ولفته مشكلة اشترك فى مقاومتها رجال الدولة الاموية وعلماء اللغة ، أما فى القرن الثاني فقد تطورت العلاقة بين العرب والاجانب وكون الاخرون عنصرا غالبا سيطر على الدولة ، واصحوا اشد تأثيرا فى اللغة مما ترتب عليه منع الاستشهاد بلغة الحضرة بصورة نهائية . لكثرة المولدين بين العرب وشيوع الكلام المولد من حديث الناس عامة وخاصة .

ومن الصعب على الدارس ان يحدد بدقة متى بدأ استعمال لفظة « المولد » وكيف تطور هذا الاستعمال كما اشار اليه الزمخشري ، لقصور دراستنا فى الحقل اللغوي التاريخي عن أداء هذه المهمة حتى اليوم ، وغاية ما يستطيعه الدارس لذلك أن يلتقط بعض النصوص المتناثرة التي تفيد فى تقريب ذلك .

وأول نص علمي قديم - فيما أعلم - عن المولدين من الكلام ما رواه ابن رشيقي منسوباً الى أبى عمرو بن الملاء وهو :

* قال أبو عمرو : لقد احسن هذا المولد ، حتى هممت ان أمر صبياننا بروايته - يعني بذلك شعر جرير والفرزدق - فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهليين والمخضرمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن ، فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح ، فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح ، وقطعة نطع (4) .

فهذا اللفظ - ان لم يجانبني التوفيق - قد استعمل فى نهاية القرن الاول أو بداية القرن الثاني مراداً به من اختلطت أنسابهم أو ما قيل من الكلام العربي فى المجتمع العربي الذي كثر فيه هؤلاء المهجنون ، ثم اطرده استعمال هذه اللفظة فى القرن الثاني مع وجود لفظة أخرى الى جوارها هي لفظة « محدث » مراداً بها ايضاً الناس أو الكلام ، وهو معنى اللفظة الاولى .

أما قبل ذلك فلم يكن استعمال اللفظ « مولد » شائعاً بين الناس ولا العلماء والذي يصادفنا فى

التوليد فى الالفاظ أحد المباحث المهمة فى علم المعنى ، فهناك مكانه الاصلي فى دراسة اللغة بمستويات متعددة منها مستوى الدلالة ، والتوليد يتعلق بالمعاني وتطورها واحتياجها الى الفاظ جديدة ، لكن النظر هنا الى قضية « التوليد » تأتي أهميته من زاوية أخرى تتعلق بالالفاظ لا المعنى ، فان هذه الالفاظ المولدة ذات مظاهر فيما يتعلق ببنية الكلمات من حيث الاشتقاق أو التعريب ، واستخدام صيغ صرفية خاصة ، ومن هذه الزاوية رأى علماء اللغة فى التوليد ظاهرة طارئة على اللغة ، وخضعت - بهذه الصفة - لموقف معين منهم يدخل هذا البحث عن الصواب والخطأ .

وينبغي فى هذه الفقرة بيان الامور الثلاثة الآتية :

1 - عرض تاريخي مختصر للمولد ، من حيث استعمال اللفظ ، ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - التحديد النظري لمعنى التوليد كما رآه الاقدمون

3 - مصادر التوليد فى الالفاظ ، وتقديم نماذج لها .

أولاً : لفظة « مولد » ودراسة العلماء لنماذجه .

جاء فى أساس البلاغة : غلام مولد وجارية مولدة ، ولدت عند العرب ، ونشأت مع اولادهم ، وتأدبت بأدابهم ، ومن المجاز : ولدوا حديثاً وكلاماً ، استحدثوه ، وكلام مولد ، ليس من أصل لغتهم .

ويدل النص السابق على أن المولد قد يطلق على الاشخاص وعلى الكلام ، ونسبته الى الاشخاص تعتمد على النسب والعنصر ، فمن كان نسبه عربياً خالصاً فهو عربي خالص ومن داخل نسبه عنصر اجنبي عن العرب فهو المولد ، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق مجازاً - كما قال الزمخشري - على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغتهم .

ومن الواضح ان اللفظ اطلق أولاً على الاشخاص الذين وجدوا بين العرب الخالص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغة العرب ، وانما هو كلام جديد شاع فى المجتمع العربي مع ازدياد مخالطة الاجانب ، فكثر العنصر المولد ، وقل العنصر العربي الخالص النسب .

(4) انظر : العمدة ج 1 ص 56 .

فهذا النوع من الالفاظ التي يحكم عليها بانها « مولدة » مع الحكم عثيها احيانا بما يخرجها عن كلام العرب ، وعن الصواب كلية هي موضع النظر هنا .

هذا ومن المفيد أن يعلم هنا ان المولد من الالفاظ لم ينفرد في الغالب الأعم بكتب دراسية خاصة به - عدا ما ذكر عن « كراع النمل المصري » انه الف كتابا في المولد وهو مفقود - بل ذكرت أمثله متناثرة بقلة في معاجم اللغة ، وبكثرة نسبية في كتب لحن العوام وكتب المغرب والدخيل . ولعل ذلك يرجع الى أن استقصاء الفاظ التوليد مع تعدد مصادرها المتسمة - كما سيأتي - لا تحد ولا يحيط بها العد ، ولذلك اقتصر على ذكر المهم منها عرضا في الكتب التي تناولت بعض الظواهر اللغوية الخاصة الطارئة على اللغة كظاهرة اللحن والتعريب .

ثانياً : التحديد النظري لمعنى التوليد في آراء الأقدمين .

* قال السيوطي : هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بكلامهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، وهذا بخلافه - وفي مختصر العين للزيدي : المولد من الكلام المحدث - وفي ديوان للفارابي : يقال هذه عربية وهذه مولدة - قال في الجهمرة : الحسين الذي ترمي به هذه السهام الصغار مولد ، وقال : كان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وهي كلمة مولدة ، وقال : الخم ، القوصرة يجعل فيها التبن ، لتبيض فيها الدجاجة ، وهي مولدة (7) .

* أورد المحبى عن ثعلب انه سئل عن التفيير فقال : هو كل شيء مولد (8) ، ثم قال : وهذا يقتضي ان كل لفظ كان عربي الاصل ، ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك ونحو ذلك مولد (9) .

* وفي الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل : كل لفظ عربي غيرته العامة (10) .

الروايات العلمية عن القرن الاول الهجري الفاظ أخرى قريبة الصلة بلفظة « المولد » مثل الأعجمي والمولسي والاجنبي ، وهذه مناسبة للفترة التي شاعت فيها ، اذ لم يكن الاجانب قد تم اندماجهم بالعرب بالصورة التي حدثت في نهاية القرن الاول وبداية الثاني ، مما أنتج المولدين من الاشخاص والكلام .

وتتردد الكلمة بعد ذلك بكثرة بين علماء القرن الثاني والثالث ومن بعدهم ، ولنتأمل النص التالي عن الأصمعي :

* روى أبو حاتم : قال الأصمعي : وعمر بن أبي ربيعة مولد وهو حجة ، سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج في النحو بشعره ، ويقول : هو حجة - وفضلة بن شريك الأسدي وابن الرقيات هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة - ورايته طمن في الأقيشر ، ولم يلتفت الى شعره ، وقال : لا يقال الا (رجل شرطي) قلت : قال الأقيشر :

انما يشرب من أموالنا
فأسألوا الشرطي ما هذا الغضب

قال : ذلك مولد (5) .

فالأصمعي يردد هذا اللفظ ثلاث مرات في هذا النص القصير عن هؤلاء الشعراء الذين عاش أكثرهم في العصر الأموي ، فوصفهم بأنهم مولدون ، وكلامهم مولد .

هذا ... والحديث عن الاستشهاد بكلام المولدين يدخل ضمن الحديث عن الاستشهاد بكلام الموالي عامة - وليس هذا موضعه - اما الذي نحن بصدده فانه يتعلق بظاهرة خاصة من كلام المولدين وهي الالفاظ التي ترد في معاجم اللغة وكتب اللحن والتعريب ، ثم يحكم عليها بانها « مولد » ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يتردد معه احيانا القول بأنه ليس من كلام العرب وانه خطأ - كما في النموذجين التاليين :

* الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة

* التحرير : ضد البليد ، وكان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وانما هي كلمة مولدة (6)

(5) فحولة الشعراء ، ص : 32 .

(6) انظر : المغرب من الكلام الأعجمي ، ص : 281 - 331 .

(7) المزهرج 1 ، ص : 304 .

(8) مجالس ثعلب ، ص : 802 .

(9) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ص : 17 .

(10) الطراز المذهب فيما في اللغة من المغرب ص 8 .

* وفى الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون ، وجروا عليه فى مثورهم ومنظومهم (11) .

ويلاحظ على هذه التعريفات النظرية السابقة ما يلى :

1) أن بداية الحديث عن ذلك نظريا كان مسن علماء القرنين الثالث والرابع ، إذ حدثت المراجعة لكل ما تقدم من آراء متناثرة فى دراسة اللغة ، كما هو واضح فىمن ورد ذكره فى النصوص ثعلب والزبيدي والفارابي اللغوي .

2) أن علماءنا الاقدمين - فيما يبدو - لم يتفقوا على اتجاه واحد فى تحديد معنى المولد فهو عند بعضهم : المحدث ، وعند الآخر : التغيير ، وعند ثالث شىء عام : إذ يقال هذه عربية ، وهذه مولدة ، وعند رابع : كل لفظ عربي غيرته العامة .

3) أن الالفاظ التي استعملت فى تعريف المولد الفاظ فضفاضة عامة الالة وهي بذلك معرضة للأخذ والرد فيما يتمنى بالتحديد الحاسم للمولد من الالفاظ وغير المولد منها .

4) والذي يفهم من هذه الآراء كلها أنها تدور حول امرين : أولهما : أن المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الالفاظ المحدثه مما لم يستعمله العرب - فى رأيهم - أصلا أو الالفاظ والتراكيب التي استعملها العرب ، ثم غيرت باستعمال المولدين والعموم وهذا واضح فى رأى ثعلب (ت 291) الذي سئل عن التغيير فقال : هو كل شىء مولد ، وثانيهما : أن المولد هو المحدث من الالفاظ الذي لم يستعمله العرب فالالفاظ المولدة الفاظ جديدة احدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر ، وهذا واضح فى رأى الزبيدي (ت 380) الذي تابعه فيه السيوطي ، ووضع فكرته له .

وقبل هذين الرأيين يلاحظ أن جيل الأصمعي من العلماء لم يكن يعنيه التقعيد النظري للمولد ، بل يحكم على الأمثلة من خلال علمه بكلام العرب . إذ يقول الأصمعي - فيما نقله السيوطي - التحرير ليس من كلام العرب . وهي كلمة مولدة ، ثم يتوقف .

وبعد هذين الرأيين نلاحظ أن اللغويين المقلدين فى العصر الحديث لا يخرجون عنهما ،

(11) الاشتقاق والتعريب ص : 62 .

اذ يورد صاحب الطراز المذهب - القرن الثاني عشر - كلا الرأيين دون تعليق ، كما يورد المغربي فى « الاشتقاق والتعريب » الرأى الاخير فقط ، فالولد فى نظره : ما لم يعرفه أهل اللغة ، ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون وجروا عليه فى مثورهم ومنظومهم .

5) والذي فهمته من تلك الآراء النظرية ومن الأمثلة التي صادفتها عن الالفاظ المولدة والتعليق عليها ، أن الامر قد تدرج كالآتي :

فى القرن الثاني وجه العلماء - كالأصمعي - مهمم للتعليق على الأمثلة المتناثرة لبيان أنها مولدة ، وليست من كلام العرب ، كما وجه الاهتمام نفسه لأمثلة أخرى توصف باللحن أو التعريب .

وفى القرن الثالث ، فهم كل تغيير على أنه مولد ، نسبة للمولدين الذين لم يكونوا خالصي النسب وفى تلك الفترة وجه اهتمام لهذا التغيير بصورة عامة ، وخصوصا باهتمامهم اللحن فى بنية الكلمات أو تأليف الكلام ، فشمّل ذلك أيضا التغيير الآخر الذي يأتي من احدث الفاظ جديدة ، وكثرت كتب اللحن فى القرن الثالث - راجع جدول ذلك - بما تتجه اليه أساسا من الخطأ فى الكلام العربي ، وبما شمله أيضا من الالفاظ المستحدثة على قلة ويشار إليها بلفظة « مولد » ومثل هذا الرأى نظريا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

وفى القرن الرابع خصص العلماء نظريا المولد بأنه الالفاظ المحدثه ، وأن كان عمليا لم يخرج قبل ذلك عن هذا المفهوم لا فى القرن الثاني ولا فى القرن الثالث ، وأن دخل مع غيره تحت مفهوم « التغيير العام » فى القرن الثالث .

ومع كل ذلك ، فإن « المولد » من الالفاظ لم يلق عناية خاصة من العلماء توجه للتأليف فيه ، فبقيت أمثله متناثرة بين كتب تناولت ظواهر لغوية متخصصة كاللحن أولا ثم التعريب ثانيا .

ثالثا : مصادر التوليد والتمثيل له

تتلخص مصادر التوليد عن طريق ملاحظة كلماته فى الأمور الآتية :

1 - الارتجال بالاشتقاق .

2 - التعريب بعد عصر الاحتجاج .

3 - التحويل من المعنى اللغوي الى معنى آخر مولد . Semantic Shift

اما التعريب بعد عصر الاحتجاج فيقصد به ان ينقل المولدون كلمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية ، وتختص باسم « مولدة » للتفرقة بينها وبين الكلمات التي عربها العرب انفسهم .

من ذلك مثلا - كما يقول الجواليقي - كلمة (قطربل) فهي كلمة اعجمية ، وليس لها مثال في كلام العرب البتة ، ولا توجد في الشعر القديم ، وانما ذكرها المحدثون .

ومن ذلك - كما يقول الخفاجي - كلمة (شاش) معروف ، يلف على الرأس وبعد اللف يسمى عمامة ، وهو مولد منقول من اللغة الهندية .

اما التحويل من المعنى اللغوي فيقصد به ان يكون للكلمة معنى معين ، استعملت به عند العرب ثم حولها المولدون عن هذا المعنى الى معنى آخر ، واستعملوها فيه .

ومن ذلك مثلا كلمة (منخطف اللون) لمن تغير لونه بسرعة ، فكانه خطفه خاطف والعرب لم تقله ، وانما ولده المولدون .

واذا لوحظ ان هذا المصدر الاخير يتعلق بتطور معاني الكلمات ، وان هذا التطور في حركة دائبة لا تتوقف ، لا تضح ان هذا المصدر من مصادر التوليد ، يصعب احصاء الكلمات الناتجة عنه ، ومع ذلك فقد اورد العلماء بعض نماذجه فيما ذكروه من نماذج التوليد المتناثرة .

وساقدم هنا عشر كلمات من المولد فقط ، ومن كتاب واحد هو (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) مرتبة حسبما وردت في ذلك الكتاب مع ذكر تعليق الخفاجي عليها ، لربطها بعد ذلك بمصادر التوليد السابقة ، وهي :

1 - بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، مولدة ، وجاء في فقه اللغة : انها معربة عن الرومية .

2 - الجريدة : دفتر ارزاق الجيش في الديوان ، وهو اسم مولد .

3 - شراقي : التشريق عند اهل مصر الا تسقى الارض بماء النيل ، والارض يقال لها شراقي وهي مولدة ، مأخوذة من التشريق ، بمعنى التقديد ، لانها متقدمة .

4 - طليق : قال : اطال الله بقاءك ، وهي مولدة

ومن الحق اولا ان يقال : ان الناس العاديين الذين استعملوا المولد ، لم يعرفوا اشتقاقا ولا غيره ، ولم يكونوا يقيسون الامور بمقاييس الصرف وتقنين الكلام ، بل انهم يمارسون الكلام دون بحث عما وراء ذلك ، وبملاحظة ظاهرة التوليد في الالفاظ التي حدثت دون قصد يمكن تصنيفها في الامور الثلاثة السابقة .

فاما الارتجال بالاشتقاق فمعناه ان يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها اهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهي اذن كلمة جديدة على الكلام العربي المتوارث .

واذا صح ان تذكر سمات معينة لذلك الذي تم عن طريق الاشتقاق ، فانه يلاحظ فيه الآتي :

1 - استخدام النواة الدلالية او حروف الاصول ، فمثلا كلمة (فسقية) مولدة ومادة (ف . س . ق .) موجودة في اللغة من قبل بمعنى الخروج .

ب - مجيء كلمات على الصيغ الصرفية ذات المعاني ، مثل كلمة (حرار) لبائع الحرير ، فهي كلمة - كما يقول الخفاجي - مولدة ، وقد جاءت على صيغة (فعال) التي تدل على النسبة لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

ج - استخدام حروف الزيادة ذات المعاني ، فالالف والنون مثلا تدل على المطاوعة ، ومن ذلك الكلمات المولدة (انكسار الضوء وانعكاسه) .

د - وسائل تعديل الصيغ في اللغة العربية ، كالمهزة والتضعيف والتصغير ، ومن ذلك الكلمات المولدة (الابراء والفرغرة والجديري) .

وقد لعب التوليد بالاشتقاق دورا مهما بوسائله السابقة في أسماء الفرق الدينية وآرائها ، كما يلاحظ من الكلمات الآتية :

الثنوية - القدرية - الشعبية - الخوارج - المعطلة - الغلاة - المشبهة - المرجئة - التصوف - التشيع - الرافضة - الزندقة - وكذلك لعب دورا مماثلا في أسماء العلوم ومصطلحاتها .

5 - فوارة الماء : معروفة ، وهي مولدة ، قال الشريف العقيلي :

من حول فوارة مركبة
قد انحنى ظهر مائها تعباً

6 - فذلكة : لفظة مولدة ، سمعتها ، وعرفت معناها .

7 - قصف : بمعنى اللهو ، استعمله المولدون في أشعارهم ، وأصل معناه كرهض صغير .

8 - كيمياء : لفظة مولدة من اليونانية ، وأصل معناها الحيلة والحذق .

9 - ماهية : بمعنى الحقيقة ، نسبة إلى (ماهو ؟ !) مولدة ، لم تسمع .

10 - مقامة : مولدة محدثة ، لم تقع في كلام أحد من المتقدمين ، لكن لها وجه من المجاز ، حيث سموها يقام في المجلس من حديث (مقامة) (12) .

وبملاحظة الكلمات العشر السابقة والتعليق عليها يتبين أنه يتمثل فيها مصادر التوليد الثلاثة السابقة كلها وقد يجتمع في كلمة واحدة أكثر من مصدر واحد ، كما في كلمة (شراقي) فيها الاشتقاق والتحويل .

فلاشتقاق واضح في الكلمات المولدة (شراقي - طلبق - فوارة - فذلكة - ماهية)

والتعريب واضح في الكلمات المولدة (بطاقة - جريدة - كيمياء) .

والتحويل عن المعنى بين في الكلمتين (قصف - مقامة) .

وليس ثمة داع ماس لتفصيل الكلام في كل كلمة على حدة .

وبعد :

فقد تكفلت هذه الفقرة ببيان ما يتعلق بالتوليد من حيث معناه ومصادره الدراسية واللغوية .

أما ما يتعلق بنظرة علمائنا الأقدمين له من حيث التصويب والتخطئة فهو موضوع الفقرة التالية ان شاء الله .

— ◆ —

نظرة النحاة للتوليد في ظل الإصرار على نقاء اللغة :

قبل الحديث المباشر عن نظرة النحاة للمولد ينبغي التنبيه إلى الأمور الآتية :

أولاً : التفريق بين المولدين والاستشهاد بشعرهم في دراسة اللغة بمستوياتها المختلفة وبين ما نحن بصدده من الحكم على ظاهرة خاصة هي اللفاظ التي يعقب عليها بكلمة « مولد » أو « مولدة » .

والامر الأول موضعه الاستشهاد باللغة ، ويحتاج إلى تفصيل واسع خلاصته أن علماءنا الأقدمين قد نظروا إلى المولدين عموماً بشك وريبة ، وترتب على ذلك المبالغة في التصون من كلامهم ، واعتمدوا في هذا التصون على التحديد الزمني الذي اختلف مداه بين التشدد التام والتسامح النسبي ، فأبو عمرو بن العلاء كان لا يحتج ببيت إسلامي قط ، واشتهر عنه قوله « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق » فالشعر الجاهلي وحده هو الجدير بالعناية والدراسة لديه ، وما عداه مرفوض . أما الأصمعي وغالبية العلماء فقد تسامحوا نوعاً في نظرتهم لتحديد الزمني ، وعلى ما هو المشهور عنهم قبالوا ما جاء من مادة اللغة حتى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً ، وشملت هذه الفترة بالطبع كثيراً من المولدين الذين روى العلماء شعرهم ، واعتبروه حجة ، كما يوضح ذلك النص الآتي :

* عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : عمر بن أبي ربيعة مولد ، وهو حجة ، سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول : هو حجة .

وفضلة بن شريك الأسدي وابن الرقيت ، هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة (13) .

ثانياً : إن النظرة التي نرصدها هنا تتعلق بالألفاظ المولدة من حيث صيغها الشكلية لا من حيث معانيها ، فقد قبلت الألفاظ المولدة من حيث المعنى ، لكنها رفضت من حيث النظرة اللغوية ، وترتب على ذلك أن تعتبر الكلمة فصيحة ، لكنها مرفوضة لغوياً ، لأنها مولدة ، وأن تدرس في الأدب ، لتعبيرها عن المعنى ، لكنها تعارض في دراسة اللغة ، لأنها ليست من كلام العرب .

(12) انظر : « شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل » النصفحات الآتية على التوالي : 36 - 62 -

115 - 129 - 152 - 153 - 154 - 167 - 186 - 189 .

(13) فحولة الشعراء ، ص : 39 .

* كان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هي مولدة ، وقد جاء في الشعر الفصيح ، قال الأسود بن يعفر :

يوم لا ينفع الرواغ ولا يقدم الا المشع التحرير (14)

* وقال ابن جنى : المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون (15) .

ثالثا : ان نظرة علمائنا الاقدمين للمولد من حيث التصويب والتخطئة لم ترد عنهم - فيما أعلم - بصراحة وحسم ، وبعبارة أخرى : لم يدرس التوليد في الالفاظ - حتى عند المتأخرين - باعتباره موضوعا متكاملًا يتبين منه موقفهم المباشر منه والذي جاء عنهم في ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الامثلة المتناثرة التي تذكر في المعاجم أو كتب اللحن والتريب .

لذلك ، فان رصد موقفهم من الالفاظ المولدة يعتمد على هذه التعليقات وتجميعها وقد تبين منها أنهم حكموا عليها بالاتي :

1 - الالفاظ المولدة ليست من كلام العرب .

2 - بعض الالفاظ المولدة خطأ .

وينبغي تقديم نماذج تثبت هاتين الفكرتين أولاً ، لمعرفة المستوى الصوابي لنظرتهم أخيراً .

وقبل عرض هذه النماذج ينبغي ايضاً التنبيه الى ان معظم امثلة المولد مسكوت عن التعليق عليه فيما يخص الفكرتين السابقتين ، وهذا المسكوت عنه لا يثبت حكماً ولا ينفيه . اذ يقتصر مع وروده على أنه مولد فقط ، وعرض امثلة منه أمر سهل ، ولكنها لا تفيد كثيراً في معرفة نظرة العلماء اليه ، ولذا كان من الافضل الاقتصار على ايراد نماذج من الامثلة التي ذكر معها آراء العلماء حول الفكرتين السابقتين لاثباتهما .

المجموعة الاولى :

1 - قول العامة : هم فعلت مكان ايضاً ، وبس مكان

حسب ، وله بخت مكان حظ ، كله مولد ، ليس من كلام العرب (16) .

2 - اطراف : جمع (طرف) بالسكون مولد ، وإنما هو جمع طرف بالفتح .

قال الخليل : الطرف لا يثنى ولا يجمع ، لانه مصدر (طرف) اذا حرك طرفه وفي الفائق : انه لم يرد به سماع (17) .

3 - التشويش : شوش بمعنى خلط ، واجمع اهل اللغة على ان التشويش لا اصل له في العربية ، وانه من كلام المولدين (18) .

4 - الانانية : هي اختراع محض لا اصل لها (19) .

فالعبارات التي وردت مع هذه الامثلة بعد الحكم عليها بأنها « مولد » هي « ليس من كلام العرب » و « لم يرد به سماع » و « لا اصل له في العربية » و « اختراع محض لا اصل لها » يفهم منها ان كلام العرب صاحب الاصل الذي ورد به السماع قد اعتمد على تحديده بعرف علمي اعتمد على زمن محدد في الحضر ، وان هذا الزمن الذي امتد الى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري على ما هو المشهور قد وقف حاجزاً علمياً يجعل ما وراءه من كلام العرب ، وما يأتي بعد ذلك ليس من كلامهم وهو اختراع محض لا اصل له .

المجموعة الثانية :

1 - الطرش : ليس بعربي محض ، بل هو من كلام المولدين ، وهو بمنزلة الصمم عندهم (20) .

قال ابو حاتم : لم يرضوا باللكنة حتى صرفوا له فعلاً ، فقالوا : طرش يطرش طرشاً .

2 - الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة (21) .

3 - وتقول : (هذا جواب كثير) .

قال المسكري : والعامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة ، وهو خطأ لان الجواب مثل الذهب .

- (14) العرب من الكلام الاعجمي ، ص : 331 .
 (15) الخصائص ط ص 24 .
 (16) ذيل الفصيح ، ص : 116 .
 (17) ، (18) شفاء العليل ، ص : 14 - 15 .
 (19) التنبيه على غلط الجاهل والنيب ، ص : 12 .
 (20) ، (21) العرب من الكلام الاعجمي ص : 224 - 281 .

المقصود من الخطأ في عرف علماء اللغة بأنه الخطأ الذي يخرج المولد به عن كلام العرب الذي يصح الاحتجاج به ، وان كان المولد بذلك الاعتبار لا يخرج عن صحة الاستعمال في التعبير عن المعاني عند المتأخرين .

وليس لدى من الأدلة الحاسمة ما أرجح به احد الاحتمالين ، وان كنت أميل الى الاحتمال الثاني اعتمادا على ان علماءنا قد أخرجوا المولد من الكلام العربي في تعريفهم النظري له ، وفي نصهم على ذلك في بعض أمثله ، ولما هو معروف عنهم من اعتمادهم على التحديد الزمني الذي بمقتضاه رفض ما جاء بعد ذلك من الظواهر اللغوية الجديدة ومنها المولد .

اخيرا :

تساءل عن المستوى الصوابي الذي وجه نظرته المولد من الالفاظ ، فأخرجوه به عن كلام العرب ، وحكموا على بعضه بخطأ الاستخدام في دراسة اللغة ، انه باختصار (التحديد الزمني المعتمد على عرف العلماء لا الاستعمال اللغوي المعتمد على عرف المتكلمين) هذا هو الاساس !!

اما مدى توفيقهم فيه ، فله موضع آخر في القسم الاخير ان شاء الله .

وقال سيبويه : الجواب لا يجمع ، وقولهم : جوابات كثير وأجوبة كثير مولد ، وانما يقال : جواب كثير (22) .

4 - وتقول : شوشت الشيء اذا خلطته ، فاما التشويش فأجمع أهل اللغة انه لا اصل له في العربية ، وانه مولد ، وخطئوا الليث فيه (23) .

5 - انحفظ وانقرا وانكتب : مستحدث ، استحدثه المولدون مما لا يعتمد بوجوده ولا يعبا بكونه (24) .

فقد وصفت الكلمات المولدة السابقة بالكثرة او عدم الصحة او الخطأ ، او انها مما لا يعتمد وجوده ولا يعبا بكونه ، وكلها تدور حول معنى الرفض والتخطئة ، والدارس في ذلك امام احتمالين :

اولهما : ان الحكم بالتخطئة على بعض الالفاظ المولدة خاص بتلك الالفاظ وحدها ، ويترتب على ذلك امر آخر هو : ان من الالفاظ المولدة ما هو خطأ ، كالنماذج السابقة ، وما هو صحيح ، وهو ما لم يصرح بشيء عنه .

وثانيهما : ان الحكم على بعض نماذج المولد بالخطأ ينسب ايضا على المسكوت عنه ، مع تخصيص

المعرب

وجهة نظر الاقدمين ، ليكون فهمه لارائهم عن ضوابط المعرب متسا بال موضوعية والانصاف لهم ولنفسه .

وقبل كل ذلك ينبغي تتبع الشامل الدقيق للظروف التي هيأت للكلام الاعجمي طريقه للسان العرب ، وهي ظروف متنوعة ومتشابهة اجتماعيا ولغويا ، خصوصا مع المدى الزمني الطويل الذي حدث فيه اللقاء بين العرب وغيرهم من الامم .

هذا ما ينبغي ان يتهيا لدراسة موضوع التعريب ، وهو - بحق - جهد ثقيل ليس في طوقنا الآن الوفاء به ، كما انه ليس من هدف هذا البحث الوفاء به ، اذ هو

ينبغي منذ البداية الاعتراف بان الخوض في موضوع التعريب والحديث عن المعرب من الكلمات امر لا سهولة فيه ولا يسر .

ذلك انه ينبغي لمن يتصدى لهذا الموضوع ان يكون على دراية كافية بعدد من اللغات التي يقال ان العرب قد نقلوا قديما من الفاظها ، وذلك كي يتمكن من التمييز بين ما هو معرب حقا وله اصل اجنبي ، وما ادعى فيه التعريب من الكلمات دون سند علمي يعتمد به ، كما نص على ذلك علماءنا الاقدمون انفسهم .

يضاف لذلك ما يجب من المام الدارس لهذا الموضوع بقدر كاف من دراسة الاصوات والصرف من

(22) تقويم اللسان ورقة 11 .

(23) ذيل الفصح ص 108 .

(24) سهم اللاحاظ في وهم الالفاظ ورقة 5 .

مخصص للنظر الى قضية معينة هي « الصواب والخطأ » وهو بذلك لا يتسع للاستقصاء والتتبع .

والكلمات المعربة باعتبارها ظاهرة طارئة على اللغة العربية الاصلية ، فقد نظر اليها العلماء بحذر ، وقاموا بوضع شرائط الصياغة وسمات التعريب .

لذلك فان ما يدخل في امكاني وامكان هذا البحث هو رسم صورة واضحة للملامح - وان كانت مختصرة - للأمور الثلاثة الآتية :

1 - حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة .

2 - جهود الاقدمين لاختراع المغرب لمسلك الصيغ العربية .

3 - المستوى الصوابي في نظرة الاقدمين للمعرب بين شرائط الصياغة والاستعمال .

حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة :

في كتابة هذه الفقرة ينبغي بيان الامور الآتية :

1 - الصورة العلمية لحركة التعريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد في الحضر .

2 - الصورة العلمية لدراسة المعرب في الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

من الحق ان الدارس لا يملك النصوص الكثيرة لاثبات وجود الكلمات المعربة في اللغة العربية في الجاهلية ، ولكن هناك من الظروف والادلة ما يقطع بحدوث ذلك فيها ، فالعرب في الجاهلية لم تكن امة منظوية على نفسها ، بل فرضت عليهم ظروف حياتهم الاتصال بمن جاورهم من الامم ، سواء اكان ذلك عن طريق التجارة او الغزو او الوفادة ، وهذه كلها وسائل للمخالطة واللقاء ، ويستتبعها نقل الالفاظ من اللغات الاخرى ، وتداولها بين العرب ولقد استعمل بعض الشعراء الجاهليين الالفاظ غريبة في شعره مما دعا العلماء فيما بعد الى عدم الاحتجاج به ، فامية بن ابي الصلت مثلا كان - فيما يقال - يستعمل الالفاظ غريبة

(25) راجع : المعرب في القرآن الكريم ص 199 .

في شعره فيسمى الاله « السلطيط » والسماء « صاقورة وحاقورة » وأغلب الظن ان هذه الالفاظ كلها لم تكن من ابتداعه ، بل كانت مما اطلع عليه في الكتب الدينية التي يقال انه كان يداوم قراءتها ، و « عدى بن زيد العبدي » كان من نصرانيين الحيرة ، وقد عاش فترة في البلاط الفارسي ، والمعتقد ان هذه الفترة قد انعكس تأثيرها عليه حضاريا ، فلان شعره ، كما انعكس تأثيرها عليه في نقل الالفاظ من الفارسية واستخدامها بين العرب .

ولم تكن الوفود العربية تنقطع عن الرحلات الى بلاد الفرس والروم والحيرة وغان والحبشة والهند ، والنتيجة بالضرورة تبادل الالفاظ بين العرب والاجانب .

والدليل العلمي الحاسم على وجود المعرب من الالفاظ في الجاهلية هو القرآن الكريم ، فقد احتوى على الالفاظ كثيرة وصفها بعض الصحابة والتابعين - فيما روي عنهم - انها من غير لغة العرب ، كما الف العلماء في ذلك كتبا خاصة ، وصنف السيوطي وحده كتابين في هذا الموضوع هما : « المتوكلي فيما في القرآن من المعرب » و « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » وقد جمع فيهما - كما هي عادته - مجهودات السابقين عليه في الافكار والالفاظ .

وجود المعرب في القرآن قضية علمية اختلف حولها العلماء اختلافا كبيرا على راين : أحدهما : وجود المعرب في القرآن ، والى ذلك ذهب بعض الصحابة والتابعين والعلماء منهم ابن عباس ووهب بن منبه وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك ، والسدي وأبو عمران الجويني وعمرو بن شرحبيل وأبو موسى الأشعري والزمخشري وابن الحاجب والسيوطي وغيرهم .

وثانيهما : ان القرآن لا يحتوي على غير العربي من الالفاظ ، وهو مذهب كثير من العلماء ومنهم الامام الشافعي وأبو عبيدة وابن فارس وابن جرير الطبري ، والباقلاني والرازي وغيرهم (25) .

وليس مما يفيد كثيرا هنا عرض التفاصيل لكلا الراين وأدلتها والرد عليها ، وانما المفيد في ذلك فهم الامور الآتية :

أولا : أن الدارسين المتأخرين قد ارتضوا الرواية التالية عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وكانما وجدوا فيها حلا لهذه القضية ، وخروجا من هذا الخلاف ، وقد أوردوا الجواليقي بعد أن أورد قول أبي عبيدة : من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد اعظم على الله القول ، واحتج بقوله تعالى « إننا جعلناه قرآنا عربيا » - والرواية هي :

* قال أبو عبيد : وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنه من غير لسان العرب ، مثل (سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق) وغير ذلك فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره ، وكلاهما مصيب إن شاء الله تعالى .

وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته ، فصار عربيا إياه ، فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا (26) .

وقد نقل هذه الرواية نفسها من جاء بعد الجواليقي ودرس موضوع التمريب في القرآن كالسيوطي وغيره .

ثانيا : أنه سواء أكانت الألفاظ الواردة في القرآن من لغات أخرى أعجمية باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال : أو أعجمية باعتبار الأصل والحال ، فإن ورودها في القرآن يدل على أن العرب قد فهموها وتقبلوها ، وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل أن يأتيهم بها ، وهذا يثبت ما نحن بصدده من وجود الألفاظ المنقولة من لغات أخرى في الجاهلية ، ومن استمرار ذلك حين جاء الإسلام .

ثالثا : يبدو أن الذين رفضوا وجود المعرب في القرآن سيطر عليهم الوازع الديني أكثر من تقرير الوازع اللغوي ، ولذلك فإن السيوطي حين أورد هذه

الألفاظ في كتابه ساق بين يديها أسانيد نسبتها إلى الصحابة والتابعين ، كأنما يتحرز هو أيضا من القول بذلك بنفسه ، وقد عدد اللغات المنقول عنها تلك الألفاظ ، فأوصلها إلى عشر ، وهي الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعمانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية ،

وذكر تحت كل لغة الألفاظ المعربة منها في القرآن ، وعددها جميعا 124 كلمة ، ومن نماذج ذلك :

* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى (تتخذون منه سكرا) قال : السكر بلسان الحبشة : الخسل .

* أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاک قال : الاستبرق : الدباج الغليظ بالفارسية .

* أخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه في قوله تعالى (فصرهن) قال : قطعهن بالرومية .

* أخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى (يا أرض ابلعي ماءك) اشربي بلغة الهند .

* أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاک في قوله تعالى : (يحمل أسفارا) قال : كتبا ، والكتاب بالنبطية يسمى سفرا (27) .

ولا يستطيع المرء الجزم القاطع بصحة نسبة هذه الألفاظ في القرآن إلى اللغات التي قيل إنها جاءت منها ولا بصحة نسبة هذه الروايات المسندة إلى الصحابة والتابعين ، لأن ذلك يحتاج لمعرفة تلك اللغات في العصور القديمة مما لا يتوافر لي ، ولعل ذلك لم يتوافر لمن نسب إليهم ذلك من الصحابة والتابعين والدارسين من العلماء .

والذي اعتمه أن كلمة (بلع) عربية أصيلة قال عنها صاحب القاموس (بلعه كسمعه ابتلعه) .

(26) المعرب من الكلام الأعجمي ص 4 - 5 .

(27) انظر في هذه النماذج : المتوكلي فيما وقع في القرآن من المعرب ، الأوراق 3 - 4 - 5 - 6 على التوالي .

وان كلمة اسقر ، كلمة موجودة في اللغة العبرية (٦٢٧) فهل كانت موجودة في النبطية ايضا قبلهما كليهما او معهما ؟ ربما !! وهذا يدفع الى كثير من الحذر في اخذ هذه الاقوال وتلقيها ، وغايه ما يستطاع قوله : ان هذه الاقوال تدل بمجرد ورودها على وقوع الفاظ معربة في الكلام العربي في عصور مبكرة ، وقد استخدم القرآن بعض هذه الالفاظ حين نزل لمخاطبة العرب .

ومع مجيء الاسلام ازداد اختلاط العرب بالاجانب بالفتح والهجرات والرق والخدمة ، وبترتب على ذلك استخدام الالفاظ الاجنبية في العربية ، ووجود الفاظ عربية في اللغات التي احتكت بالعربية ، وهذه الالفاظ المعربة قد ضم الكثير منها فيما بعد المعاجم العربية والمصنفات الخاصة بالتعريب دون اشارة الى تاريخ استخدامها في اللغة العربية . ومع ذلك فمن المؤكد ان حركة النقل اللغوي في القرن الاول قد استمرت وزادت عما كان عليه الامر في الجاهلية .

على ان اهم موقف واجه العرب فيما يتعلق بالتعريب جاء في بداية القرن الثاني الهجري حين اتسع نشاط الثقافة العربية تأليفا وترجمة فازدادت الحاجة لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة ، بقول السيوطي : « قال محمد بن علي الخراساني : المنصور اول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية كتاب كيلة ودمنة واقليدس » (28) والذي اعتقده ان حركة الترجمة نشطت قبل المنصور بزمان بعيد ، واستمرت بعده في ازدياد وقوة . والمهم ان العرب واجهوا موقفا لغويا جديدا لسد حاجتهم لمتطلبات التأليف والترجمة ، وتغلبوا على ذلك بأمرين :

الاول : التصرف في مدلول الكلمات العربية الاصل مثل الفاعل والمفعول والموضوع والمحمول وذلك بتحويل المعنى اللغوي الى معنى اصطلاحي .

الثاني : نقل الالفاظ الاعجمية نفسها الى اللغة العربية ؛ واكثر ما كان ذلك في اسماء النبات والحيوان والآلات والأمراض والمآكل و سلع التجارة .

وفي حوالي منتصف القرن الثاني الهجري توقف الاستشهاد باللغة في الحضر ، وشمل ذلك أيضا ظاهرة التعريب في الالفاظ ؛ اما ما نقل بعد تلك الفترة

(28) تاريخ الخلفاء ص : 105 .

من الالفاظ الاجنبية ، فقد اطلق عليها اسم « المولد » وقد تقدمت دراسته .

ذلك عرض مختصر لحركة التعريب في فترة الاستشهاد ، فكيف تمت دراسته بعد ذلك ؟؟

كان من الطبيعي أن يهتم علماءنا - رحمهم الله - بظاهرة التعريب كما اهتموا بغيرها من الظواهر الطارئة على الكلام العربي ، وذلك بهدف دراستها وجمع روايات السابقين المتناثرة عنها والتمييز بين الكلمات المعربة وغيرها .

وفي رصد جهود العلماء في هذه الظاهرة يتبين انه قد تناولها اولا النحاة واصحاب المعاجم والفقهاء والمفسرون تناولوا سريعا في اطار الاتجاه العام لمؤلفاتهم .

فالنحاة تناولوا هذه الظاهرة مهتمين ببنية الكلمات المعربة ، وخضوعها لشرائط الصياغة العربية ، كما تناولوها أيضا في باب علل المنسوع من الصرف وبدء ذلك بكتاب سيويه الذي جاء فيه عنوان نسه : « هذا باب ما اعرب من الاعجمية (ج 2 ص 342) ، واورد تحت هذا العنوان ما يتعلق بإبدال الحروف وطرق الصياغة واللاحاق للكلمات المعربة ، وتابعه على ذلك النحاة بعده .

واما اصحاب المعاجم فيوردون بعض الكلمات المعربة لذكر معانيها ، ويقفون على ذلك بأنها معربة مع النص على اللغة التي عربت منها .

اما الفقهاء والمفسرون فقد اهتمهم من ذلك كله وقوع المعرب في القرآن الكريم ومناقشة هذه الناحية بالرفض او القبول ، فالامام الشافعي (ض) تناول هذا الموضوع في كتابه (الرسالة ص 41 - 45) فأثبت انه لا يوجد في القرآن غير العربي ، ورفض آراء المخالفين له في تلك الفكرة .

اما تخصيص ظاهرة التعريب وكلماته بمؤلفات مستقلة ، فقد تأخر - فيما أعلم - الى القرن السادس الهجري ، وبدء ذلك بكتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الاعجمي) وتوالت بعده الجهود الخاصة بتلك الظاهرة بقلة اولا ، ثم بكثره في العصر الحديث كما يتضح ذلك من الجدول الآتي لهذه المؤلفات مرتبة بحسب وفاة مؤلفيها مما دخل في امكاني معرفته :

الإشارة الى وجوده	المؤلف وتاريخ الوفاة او طبع الكتاب	اسم الكتاب
مطبوع	لابي منصور الجواليقي (ت 539)	1 - المغرب من الكلام الأعجمي
مخطوط	عبد الله بن محمد البشيشي (ت 820)	2 - التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل
مخطوط	جلال الدين السيوطي (ت 911)	3 - المتوكلي فيما في القرآن من المغرب
مخطوط	جلال الدين السيوطي (ت 911)	4 - المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب
مخطوط	ابن كمال باشا (ت 940)	5 - التمريب (رسالة)
مخطوط	شهاب الدين الخفاجي (ت 1096)	6 - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل
مطبوع	مصطفى المدني (قرن \ 11)	7 - المغرب والدخيل
مخطوط	محمد الامين المجبي (ت 1111)	8 - قصد السبيل فيما في اللفظة من الدخيل
مطبوع	محمد نهائي (ت 1185)	9 - الطراز المذهب في الدخيل والمغرب
مخطوط	احمد القوصي (ت قرن \ 13)	10 - المغرب في القرآن الكريم
مطبوع	رشيد عطية البناني (ت 1898 م)	11 - الدليل الى مرادف العامي والدخيل
مطبوع	طاهر بن صالح الدمشقي (طبع 1337)	12 - التقريب لاصول التعريب
مطبوع	احمد عيسى (طبع 1342)	13 - التهذيب في اصول التعريب
مطبوع	مصطفى المغربي (طبع 1366)	14 - الاشتقاق والتعريب

وبلاحظ على هذه الجهود ما يلي :

ثالثا : كلمة (الدخيل) جعلت عنوانا لبعض هذه الكتب مستقلة أو مع غيرها من المغرب أو العامي ، ويبدو أن هذه الكلمة أعم من كلمة المغرب ، إذ تشمل ما نقل الى لغة العرب سواء جرت عليه أحكام التعريب أو لم تجر عليه ، وسواء أكان في عصر الاستشهاد أو بعده ، وهو ما اطلق عليه اسم « المولد » .

رابعا : الكتب الأربعة الأخيرة مؤلفة حديثا ، ولذلك فإن مادتها العلمية لا تقتصر على تناول المغرب قديما فحسب ، بل تزيد عليه ما حدث في العصر الحديث من ذلك .

وأخيرا : فقد كانت هذه الفقرة خاصة بتوضيح الحركة العلمية للتعريب استعمالا ودراسة وبهمنا منها الجانب اللغوي الذي تتكفل ببيانه الفقرة التالية ان شاء الله .

اولا : ان التأليف في هذه الظاهرة قد تأخر نسبيا عن غيرها من الظواهر اللغوية التي تناولتها فترة المراجعة في القرن الرابع وما تلاه ، ولعل ذلك يعود الى صعوبة الحديث عن هذه الظاهرة ، لما تستلزمه من معرفة لغات متعددة للحديث فيها ، وهذا لا يتيسر للكثير من الناس ، ولعل هذا يفسر اعتماد هذه المؤلفات كثيرا على اقوال السابقين - مسندة أحيانا - في القول بالمغرب .

ثانيا : وضحت ظاهرة أخرى في كتب التعريب ، وهي التمهيد لذكر الكلمات المغربية بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة ، كتحديد معناه وفائدته وضوابط النحاة له ، ووقوعه في القرآن ، وغير ذلك مما يفيد منه الدارس فائدة حقيقية ، ومما لم يحدث لظواهر أخرى مماثلة كاللحن والتوليد مثلا .

نظرة الاقدمين للمعرب وجهودهم في اخضاعه لمسلك الصيغ العربية

دارت دراسة علماء اللغة الاقدمين للمعرب حول تحديد معناه ، والمقصود منه ، ووضع الضوابط لصيغه ، ومعرفة هذه الامور الثلاثة تؤدي الى استخلاص المستوى الصوابي لموقفهم منه .

وعلى هذا فان منهج كتابة هذه الفقرة يتحدد بالاتي :

- 1 — التحديد النظري لمعنى المعرب .
- 2 — المقصود بالمعرب فيما نقل من اللغات الاعجمية الى العربية .
- 3 — جهود النحاة في اخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية .
- 4 — المستوى الصوابي لموقف الاقدمين من المعرب .

التعريب باختصار هو : نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وحول هذا المعنى جاءت تعريفات الاقدمين النظرية له :

* قال سيبويه : اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوا ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه (29) .

* وجاء في شفاء العليل : التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية ، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره اعرابا ، فيقال حينئذ معرب ومعرب (30) .

* وجاء في الطراز المذهب : التعريب من باب التفعيل ، ومن معانيه التكلف ، لان العرب تكلفوا ادخال اللفظ العجمي في لفتهم ، وتصرفوا فيه بالتغيير عن مناجه ، والتغيير فيه اكثر من عدمه ، واجروه على وجه الاعراب ، وتفوهوا به على منجهم (31) .

ويتضح من هذه التعريفات الثلاث السابقة انها تتجه جميعا الى وصف الناحية العملية واللفظية في

عملية التعريب ، اذ ينقل العرب هذه الالفاظ او يغيرونها - حين يأخذونها - كما عبر سيبويه ، او يتكفون ادخالها في لفتهم كما فهم غيره من معنى التعريب ، ويترتب على ذلك احكام لفظية من الحاق او تغيير او اعراب .

اما ناحية معنى الكلمة المعربة فقد انصرفوا عن التعرض لها في هذه التعريفات ، ويبدو ان سبب الانصراف عن ذلك هو شيوع العرف بين العلماء من ان الكلمة المنقولة من لغة اخرى تنقل ومعها معناها في اللغة المنقول عنها قبل ان تعرب ، كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون نص على هذه الناحية ، اذ قال : « المعرب عند اهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع » (32) وهذا هو الغالب في استخدام الكلمات المعربة ، وقل ان يحدث تغيير في معاني الكلمات المنقولة .

وهنا نقطة جانبية تتعلق بلفظة (المعرب) فان سيبويه قد استعمل لفظ (معرب) باسكان العين وفتح الراء ، وكذلك استعمل الفعل (اعرب) ولم يستعمل لفظ (معرب) بفتح العين وتشديد الراء المفتوحة على ما هو المشهور ، وهذا الخلاف في التعبير لم يترتب عليه خلاف جوهري في فهم المعنى المقصود ، فسواء عبر بهذا او بذلك فان المقصود من ذلك هو نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وجريانها مجرى الكلمات العربية من حيث الصيغة والاعراب احيانا .

هذا وقد نص العلماء على ما يجب ان يتسم به اللفظ المنقول من لغة اجنبية كي يطلق عليه انه « معرب » ففرقوا بين ما جاء في نصوص موثقة كالقرآن والحديث او ما نقله العرب المعتد بكلامهم وبين ما نقله المولدون الذين لا يعتد بما جاء عنهم ، او بعبارة اخرى بين ما نقل عن عصر الاستشهاد في الحضر وما استعمل بعد ذلك العصر ، فقبلوا النوع الاول وحكموا بصحته ، وعزلوا النوع الثاني ، واطلقوا عليه اسم « المولد » .

* قال الجواليقي عن كتابه المعرب من الكلام الاعجمي : هذا كتاب تذكر فيه ما تكلمت به

(29) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

(30) شفاء العليل ص 3 .

(31) الطراز المذهب ص 2 .

(32) كشاف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 944 .

العرب من الكلام الاعجمي ، وتطق به القرآن المجيد ، وورد في اخبار الرسول (ص) والصحابة والتابعين ، وذكرته العرب في اخبارها وأشعارها ، ليعرف الدخيل من الصريح (33) .

* ونقل الخفاجي النص السابق ، ثم زاد عليه قوله: فما عربه المتأخرون يعد مولدا ، وكثيرا ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب (34) .

وينبغي التنبيه الى انه يفهم من عبارات الاقدمين مثل (ما ذكرته العرب) او (ما تكلمت به العرب) او (ما نطقت به العرب) عرف خاص لدى علماء اللغة يقصد به المادة اللغوية الموثقة في عصر الاحتجاج ، وبذلك يفهم من كلام الجواليقي أن المعرب لا يطلق الا على الكلمات التي استخدمها الناطقون من العرب في هذا العصر ، او التي وردت في نصوص موثقة كالقرآن والحديث ، اما الذي نقله المولدون بعد ذلك فقد نص الخفاجي انه يطلق عليه اسم (المولد) .

ويأتي هنا تساؤل عن موقف التعريب من حيث القياس والسماع ، فهل يعتبر تعريب الكلمات سماعيا ، لانه مما استأثر به العرب المحتج بهم وحدهم ، وينبغي الاقتصاد على ما استعملوه ونقل عنهم أو يعتبر قياسيا ، فيصبح لمن جاء بعد هذا العصر السعيد الحظ أن يعرب كما عربوا ، ويستورد حاجته من الكلمات الاجنبية مثلهم !؟

واضح أن علماءنا - رحمهم الله - على الاتجاه الاول ، فالمعرب من الالفاظ لا يعتد به الا اذا ورد عن عصر الاستشهاد ، اما ما يحدث بعد ذلك فلا يعتد به في المعرب الصحيح ولا يصح دخوله في هذا النطاق ، ولذلك اطلق عليه انه « مولد » .

اما عن جهود النحاة العرب في اخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية فانه ينبغي أن يعلم منذ البداية أن هذه الجهود جاءت لتقنن لما قد حدث فعلا ، إذ أن نقل الكلمات الاعجمية الى العربية لم ينتظر قواعد النحاة التي وضعوها للتعريب ليتوافق معها توافقا كليا والناطقون العرب الذين اتصلوا بالاعاجم ، ونقلوا الكلمات من لغاتهم لم يدر في حسابهم الاتيان بها على صيغ معينة أو التزام مطرد لحروف عربية خاصة مكان

حروف أخرى في اللغات الاجنبية ، وانما يعرفون الكلمات من غيرهم ، فينطقونها على حسب ما سمعوها ، أو على حسب مقدرتهم على نطقها ، خصوصا مع لغات لم يكونوا يجيدونها كالفارسية والرومية والهندية وغيرها ، والمتصور أن يأتي هذا النطق موافقا تماما لنطقها في لغتها أحيانا أو يحدث فيه التغيير في أحيان كثيرة ، وهذا التغيير الذي يحدث لا يلتزم دائما طريقة موحدة - كما أراد النحاة له من بعد أن يكون ذلك أن النحاة قد نظروا للمعرب من الكلمات الاجنبية من زاوية النظر الى مسلك الكلمات العربية فحاولوا - بجهد مشكور - أن يضعوا لها قوانين تحكمها مستهدين في ذلك بدراسة اللغة العربية باعتبار أن الكلمات الاجنبية قد استعملها العرب ، ولكن فرض منطق لفة على لفة أخرى ان صح في بعض الامثلة فان امثلة أخرى كثيرة تبقى غير خاضعة له .

وترتب على ذلك أن المطلع على القوانين الدراسية التي وضعوها للمعرب يلاحظ عليها القصور عن تغطية استقرائية صحيحة لامثلة التعريب ، كما يلاحظ أيضا أنها غير مطردة على اتجاه واحد ، فالقاعدة الواحدة تحتل وجوها أخرى غيرها تذكر معها ، بحيث لا يؤدي كل ذلك الى نتائج مقنعة ، ولم يكن المنتظر غير ذلك .

وعلى كل فلنتبين أهم ما تعرض له النحاة من قضايا التعريب .

1 - الالحاق بابنية العرب

* قال سيبويه : اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه بابنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه .

فاما الذي الحقوه ببناء كلامهم ، فدرهم الحقوه ببناء هجرع ، وبهرج الحقوه بسلهب ، ودينار الحقوه بديماس وديباج الحقوه كذلك - وقالوا : اسحاق فالحقوه باعصار ، ويعقوب فالحقوه بيبروع ، وجورب فالحقوه (بفوعل) - وقالوا : آجور فالحقوه بعاقول - وقالوا : شبارق فالحقوه بعذافر ، ورستاق فالحقوه بقرطاس ، لما أرادوا أن يعربوه ، الحقوه ببناء كلامهم .

(33) المعرب من الكلام الاعجمي ص 3 .

(34) شفاء الغليل ص 3 .

ثم عاد سيبويه يقول : وربما تركوا الاسم على حاله ، اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم او لم يكن نحو خراسان وخرم والكرم (35) .

* ويقول ابو حيان : الاسماء الاعجمية على ثلاثة اقسام .

قسم غيرته العرب والحقته بكلامها ، فحكم ابنيته باعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء العربية الوضع ، نحو درهم وبهرج .

وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيها ما يعتبر في القسم الذي قبله ، نحو (آجر) .

وقسم شركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم ، لم يعد منها ، وما لحقه ، عدمتها ، مثال الاول خراسان ، لا يثبت به (فعالان) ومثال الثاني خرم الحق بسلم (36) .

والذي يفهم من هذين النصين ان الامر المعتد به لدى النحاة هو اللاحق لا التفيير ، فاذا الحق الاسم بأبنية العرب - سواء غير ام لم يغير - اخذ احكامها ، او بتعبير سيبويه « لما ارادوا ان يعربوه الحقوه ببناء كلامهم » واذا لم يلحق بأبنيتهم - غير او لم يغير ايضا - لم يأخذ هذه الاحكام ، ويتضح من ذلك ما تقدم قوله من ان النظرة الى المعرب اصطفت بالصبغة العربية الخالصة تماما وادى ذلك الى التفريق بين صنف واحد من الكلام نقله الناطقون العرب عن الاجانب .

ومن الملاحظات التي ترتبت على هذه النظرة ما يلي :

أ (تعريب الصيغة بحيث تقرب من الموازين الصرفية العربية . وذلك مثل :

فلسفة وهرطقة - فسطة على وزن فعلله
سندس - بندق - فندق على وزن فعلل
بطريق - زنديق على وزن فعليل

ب) تغيير الصيغة الاجنبية لتناسب الصياغة العربية ، مثل :

(35) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

(36) ارتشاف الضرب ورقة - 13 .

(37) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

المجوس - حلب - حمص - دمشق - ايلة -
الجيل - طبرية - صيداء .

ج) الحاق الكلمات الاجنبية الطويلة بالمركب المزجي وذلك مثل :

بزرجمهر - شانتمارية

د) ما جاء في النص السابق لابي حيان من اعتبار الاصلي والزائد والوزن .

ه) الصرف والمنع من الصرف ، فاذا تمكن المعرب من الكلام العربي ، فدخلته الالف واللام وصار نكرة ، صرف ، وذلك مثل : لجام وسندس واستبرق ، واذا لم يتمكن في كلام العرب وبقي معرفة لديهم ، فانه يمنع من الصرف ، مثل اسماعيل واسحاق ويعقوب .

2 - تغيير الحروف والحركات :

* يقول سيبويه : وربما غيروا حاله عن حاله في الاعجمية مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فابدلوا مكان الحرف الذي هو للمعرب عربيا غيره ، وغيروا الحركة ، وابدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم ، لانه اعجمي الاصل ، فلا تبلغ قوته عندهم الى ان يبلغ بناءهم وانما دعاهم الى ذلك ان الاعجمية يغيرها دخولها العربية بابدال حروفها ، فحملهم هذا التغير على ان ابدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون في الاضافة ، اذ قالوا : حتى نحو زياني وثقفسي وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة ، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم ، وذلك نحو آجر وابرسيم واسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان . وقد فعلوا ذبا بما الحق بينائهم وما لم يلحق من التغير والابدال والزيادة والحذف لما يلزمه من التغير .

وربما تركوا الاسم على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم او لم يكن ، نحو خراسان وخرم والكرم (37) .

لا تطرد ظواهره في كل الامثلة، ولنتأمل الامثلة الخمس الآتية مما اورده الخفاجي في شفاء العليل ، حيث يذكر الكلمة وأصلها الاجنبي - والمعده عليه في ذكر هذا الاصل - :

(1) خندريس : اسم الخمر ، تكلمت به العرب قديما ، قيل : هو معرب (كندره ريش) أي شاربها ينتف لحيته ، لذهاب عقله .

(2) دهقان : بفتح الدال وكسرهما ، معرب عن الفارسية (دهخان) أي رئيس القرية ، ومقدم الزراعة .

(3) زنديق : قال أبو حاتم : هو فارسي معرب (زنده كرد) أي عمل الحياة ، لانه يقول ببقاء الدهر ودوامه .

(4) سردار : من الفاظ التراكمة ، وهي بالفارسية (اسفهار) ومعناه رئيس الجيش .

(5) سدير : علم قصر معروف ، وقد قيل : انه معرب من الرومية ، وأصله (سادل) أي فيه ثلاث قباب متداخلة (39) .

ففي المثال الاول : غيرت الكاف خاء مع الشين سينا - وهو مما لم ينص عليه الجواليقي في التفسير .

وفي المثال الثاني : غيرت الخاء قافا ، ولم ينص أيضا على ذلك .

وفي المثال الثالث : يلاحظ النقص في الصيغة مع ابدال الكاف قافا ، ولم ينص عليه أيضا .

وفي المثال الرابع : تكاد الصلة تنقطع بين الكلمتين ، وان احتوى كل منهما على السين والراء وحرف المد الطويل .

وفي المثال الخامس : يلاحظ ابدال الراء من اللام ومد حركة الدال .

والذي يدل عليه ذلك أن مسلك التفسير في التعريب لا يضبط بقوانين محددة ، وأن ما ذكره العلماء منها يصدق عليه انه ملاحظات غير مطردة ، أو على أقل تقدير ما عبر به بعض المتأخرين الذين درسوا المعرب ، إذ قال : « وهذا كله أغلبي » .

فلأن الاعجمية يغيرها دخولها العربية - كما يقول سيبويه - حدث التغيير في الحروف والحركات بإبدال حرف مكان آخر ، أو تغيير الحركة ، أو حذف بعض الحروف في الصيغة أو الزيادة فيها أو ترك البنية على حالها إذا كانت حروفها من حروفهم .

لكن سمات التغيير - على هذه الصفة - عامة وغير منضبطة ، بل ولا يستطاع ضبطها بدقة لانها خضعت لتصرف الناطقين لا لصناعة الدارسين ، ولذلك جاء أسلوب سيبويه عن هذا التغيير - في نصه السابق - حذرا ، استخدم فيه كلمة (ربما) ثلاث مرات .

وقد نص الاقدمون على بعض المظاهر التي يظن اطراد التغيير فيها ، ومن ذلك مما ذكره الجواليقي :

* ما كان بين الجيم والكاف من الحروف (8) ربما جعلوه جيما ، وربما جعلوه كافا ، وربما جعلوه قافا ، قالوا (كويج) و (كربق) و (كربك) .

* الحرف الذي بين الباء والفاء (P-V) ربما ابدلوه باء وربما ابدلوه فاء . قالوا : فرند ويرند - وقالوا : البهلوية والبالوذة وفارس وفيروز .

* ابدلوا السين من الشين ، قالوا (سراويل واسماعيل) وأصلها (شروال واشماويل) .

* وابدلوا اللام من الزاي في (قفشليل) وأصلها (كفلجاز) وجعلوا الكاف منها قافا والجيم شينا ، والفتحة كسرة ، والألف ياء .

* ومما ابدلوا حركته (زور - آشوب) .

* ومما زادوا فيه وتقصوا (إبريسم واسرافيل وفيروز وقهرمان) وأصل الاخير (قرمان) .

* ولما تركوه على حاله ، فلم يغيروه : خراسان وخرم وكرم (38) .

ولو تابع الدارس التأمل في الكلمات التي حوتها كتب المعرب ، وأمكنته قدرة الرجوع الى اللغات الاعجمية التي نقل منها ذلك ، فسيخرج بمظاهر أخرى غير ما نصوا عليه منها ، بل أن الذي نصوا عليه منها

(38) راجع : المعرب من الكلام الاعجمي ص 6 وما بعدها .

(39) راجع : شفاء الغليل : الصفحات 76 - 86 - 97 - 112 - 114 على التوالي .

3 - علامات المعرب :

والحق أن هذا الجهد الذي بذل في استقصاء علامات المعرب وتصنيفها يقصر عن الإحاطة بكل ما عرب من الكلمات الأعجمية ، لوضعها في قواعد تنظمها ، ويؤكد هذه الدعوى تصفح كتاب واحد يضم كلمات نسب لها التعريب ، فإن الانطباع الذي يخرج به المرء من ذلك هو :

أن ما ذكره من علامات التعريب ملاحظات تصدق على بعض الأمثلة ، ويبقى الكثير من الكلمات مما لا يخضع لهذه الملاحظات ، لأن ظروف مورده للعرب من لغات متعددة ، وظروف نطقه من العرب الذين لا يجيدون هذه اللغات لا تسمح له بالنظام والتقنين .

أخيراً :

ماذا يستنتج من موقف علمائنا الأقدمين إزاء النقل من اللغات الأجنبية ؟؟ أو بعبارة أكثر صلة بموضوع البحث : ما هو المستوى الصوابي لموقفهم من المعرب الذي اعتبروه ظاهرة طارئة على اللغة ؟؟

يتلخص ذلك في أمرين :

الأول : قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا في فترة زمنية خاصة .

الثاني : فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

وواضح أن الأساس الأول وراء تخصيص المعرب بفترة الاستشهاد في الحضر ، وهي لا تتجاوز النصف الأول من المائة الثانية .

وأن الأساس الثاني وضع في جهودهم العلمية حول المعرب من حيث بنيته وعلاماته .

فهل يتفق الأساس الأول مع الحاجات العلمية والاجتماعية المتجددة باستمرار ، وما تدعو إليه من نقل كلمات أجنبية من اللغات الأخرى ؟ ! .

وهل يتفق الأساس الثاني مع طبيعة الاستعمال للكلمات الأجنبية ممن لا يجيدون اللغات التي وردت منها ، وهل يمكن فرض نظام لغة على لغة أخرى ؟ !

بيان ذلك كله في القسم التالي إن شاء الله .

جانب آخر من جوانب الجهد الذي بذله علمائنا للتمييز بين العربي والمعرب ، وقد اتجه ذلك بصفة خاصة إلى بيان صفات الصيغ المعربة من حيث اجتماع الحروف التي لا تجتمع في العربي أو ذكر أوزان الكلمات التي لا تأتي على مثلها الكلمات العربية .

وقد جمعت كتب التعريب المتأخرة مثل (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من إدخال) و (المعرب في القرآن الكريم) - راجع الجدول السابق - معظم ما ذكر من قبل عن هذين الأمرين ، وهو كثير ، يؤدي استقصاؤه هنا إلى التطويل فيما يمكن الرجوع إليه في المصدرين السابقين .

فإن الأوزان التي اختص بها المعرب فيما أورده المصدر الأخير وحده بلغت 72 وزناً وقد عدتها وذكر أمثلتها .

ويكفي هنا ذكر نماذج ثلاثة لكل من هذين الأمرين من علامات التعريب على سبيل التمثيل لا الحصر :

أولاً :

(1) لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، فمتى جاءتا في كلمة ، فاعلم أنها معربة ، ومن ذلك (جلويق) و (جرنديق) .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية ، ومن ذلك (الجص) و (الصيعة) .

(3) ليس في أبنية المعرب اسم فيه نون بعدها راء ، وما جاء من ذلك معرب مثل (نرجس) و (نرسيان) (40) .

ثانياً :

(1) ليس في كلامهم وزن (فعالن) كخراسان .

(2) ليس في كلامهم وزن (فاعيل) كقبايل وهابيل ، وذلك معرب .

(3) ليس في كلامهم وزن (فعاويل) كسراويل وذلك معرب (41) .

(40) راجع : المعرب من الكلام الأعجمي ص 11 .

(41) راجع : المعرب في القرآن الكريم ص 140 وما بعدها .

رأي علم اللغة الحديث

مناقشة آراء النحاة عن اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب تفصيلاً

تختص هذه الفقرة بعرض الأمور التالية :

- 1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال
- 2 - التصحيف والتعريف من مظاهر ضعف الرسم العربي
- 3 - الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة
- 4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وعرض كل واحد من هذه الأمور يتبع نهجاً ملتزماً فيها جميعاً ، من بيان وجهة النظر الحديثة فيها - وتقويم المستوى الصوابي للاقدمين في ضوءها - ثم الدلالة على الموقف العلمي الآن منها .

- 1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال .

في رصد نظرة النحاة لما أطلق عليه « اللحن » في الكلام العربي ، تبين أنهم بذلوا جهوداً مفيدة في جمع مظاهره ومادته اللغوية التي تسربت للفصحى على مدى العصور ، لكن المتأمل في هذه الجهود يفهم منها أنهم نظروا إليه في ضوء القواعد التي اعتبروها مقياس الحكم عليه بالخطأ ، فاعتبروه أمراً خطيئياً يهدد الفصحى في المعاني والصيغ وتأليف الكلام وأعرابه ، لذلك حاربوه بشدة ووقفوا منه موقف الشك والإنكار ، وتقويم هذا الموقف كله يكون بالآتي :

- أ - النظرة الحديثة للحن في ضوء تطور اللغة.
- ب - الرأي في جهود النحاة حوله ونظرتهم إليه

ان نظرة اللغويين المحدثين للتغير في اللغة تتسم بالتسامح ، إذ ترقب هذا التغير في ضوء استعمال الناطقين له فقط ، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخر لعصر مضى أو عصر لاحق كي ترتب على ذلك حكماً عليه بالتقدم أو التقهقر ، كما لا تنظر إليه في ضوء معايير جاهزة ، فما وافقها كان صواباً ، وما خالفها ، كان خطأً ولحناً ، لأن مرجع ذلك كله هو الجماعة اللغوية التي تستعمل اللغة وما ترتضيه أو ترفضه من معاني الألفاظ وصيغها وطريقة تأليفها .

يقول جبرسن : من رأي علماء اللغة أن المقصود بالتطور Development في اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور في الأمور الأخرى بأنه اتجاه تقدمي نحو الكمال ، في مقابل من يصرون على اعتبار التغير تقهقراً إلى الوراء أكثر منه اتجاهها إلى التقدم ، إذ يقصد بالتطور ببساطة : أنه تغير مستمر في اللغة بدون حكم على قيمة هذا التغير ، والذي يجب أخذه في الاعتبار هو اهتمام الجماعة نفسها باللغة ، فهي سلسلة من الأعمال الإنسانية بقصد الاتصال الفكري والشعوري . وتلك وحدها هي الطريقة التي تقاس بها القيم اللغوية . (42)

اذ ينفي « جبرسن » في نصه السابق أن يوصف التغير في اللغة بالتقدم أو التقهقر ، وبالرقي أو الانحطاط ، فهو تغير مستمر فقط ، وهذا من طبيعة اللغات ، وينبغي النظر إليه في ضوء الاستعمال ومن حق الناطقين وحدهم الموافقة عليه أو رفضه ، وهذا يقودنا إلى بيان قبول الجماعة اللغوية ورفضها بطريقة أكثر تحديداً .

يقرر « أولمان » أن اللغة - أية لغة - ليست ساكنة بحال من الأحوال ، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها ، وان اختلفت سرعة التغير من فترة زمنية إلى أخرى ، فانها موجودة على كل حال ، فلو قمنا بدراسة فترتين متباعدتين للغة ما ، فسيؤدي ذلك إلى وضوح اختلافات عميقة كثيرة بينهما ، ومع ذلك فان التغير لا يتم بطريقة عشوائية ، بل يسير وفقاً لاتجاه منظم ، اذ يبدأ أولاً بالابتداع والتجديد Innovation بحدوث ذلك من فرد أو أفراد ، فاذا صادف التغير قبولا بين من يستعملون اللغة ، انتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة انتشار التغير Dissimination وحينئذ ينفذ إلى نظام اللغة ، ويصبح عنصراً من عناصرها بقوة الاستعمال (43) .

فادخال التغير في عنصر من عناصر اللغة لا يعني بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين ، فقد لا يبقى أصلاً ، اذ ينسى وينتهي أمره ، وقد يبقى مقصوراً على صاحبه أو على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها ، لكن اذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله فان ذلك يعني حدوث تغير في

(42) انظر : Language, its Nature, Development and Origin, p. 320-324

(43) راجع : دور الكلمة في اللغة ص 156 .

اللغة ، وليس من حق أحد رفضه أو رده ، وسواء أجهاد هذا التغيير دون قصد من الناطقين أنفسهم - كما هو الغالب فيه - أم حدث بطريقة مقصودة من فرد أو أفراد ، كان يقترح أحد العلماء أو الأدباء لفظاً أو تعبيراً يراه جديراً بالاستخدام أو تقترح هيئة مختصة - كالمجمع اللغوي مثلاً - استعمال مصطلح أو صيغة أو تركيب ما ، فإن كل ذلك - كما سبق - يبقى مجرد اقتراح يتوقف الأمر فيه على الرضى به واستخدامه من الناطقين أنفسهم .

تلك هي النظرة الحديثة للتغيير في اللغة ، فما هو الرأي في موقف النحاة العرب من اللحن في ضوء ذلك ؟؟

ونبادر أولاً بنفي التردد والشك حول روايات اللحن ومادته التي جمعها النحاة ، إذ افترض استاذنا الدكتور انيس أنها تحتمل الصحة والوضع من النحاة ، ليخرج من ذلك بما يؤيد رأيه المشهور في حركات الإعراب ، فرتب على احتمال صحتها أن الإعراب لم يكن سليقة بين العرب ، وعلى احتمال وضع النحاة لها أن الإعراب نفسه من عمل النحاة ، وقد اخترعوا روايات اللحن ، ليؤكدوا قيمة معرفتهم وحدهم بالإعراب ، وينالوا - كما يقول - المثالة لدى الخلفاء والامراء (44) .

والحق أن هذا الشك لا موضع له ، وأن الأقرب إلى الصواب أن ما رواه النحاة مما أطلقوا عليه « اللحن » قد حدث فعلاً ، وقد يكون فيه دلالة على نفس السليقة كما فهمها الأقدمون ، لكنه لا غرابة فيه من وجهة النظر الحديثة التي تفسر السليقة على أنها اكتساب اللغة بالتمرين والدربة وأن اللغة - بهذا الفهم - يحدث فيها التغيير والتطور مما سماه الأقدمون « اللحن » ثم إن افتراض أن النحاة أنفسهم قد وضعوا روايات اللحن لا يكاد يصدق ، لأن المطلع على جهود الأقدمين الضخمة عن اللحن - مما نقلته كتب الطبقات أو مؤلفات اللحن الخاصة على مدى العصور وقد قاربت الخمسين مؤلفاً (45) - يبعد عن ظنه أنهم توفروا على وضع ذلك كله . وأن هذه المادة كلها مزيفة مدعاة . كما يضاف إلى ذلك أن مظاهر اللحن التي أحصاها النحاة لم تقتصر على حركات الإعراب فقط ، بل شملت - كما سبق عرضه في القسم الأول -

(44) انظر : من أسرار اللغة ص 189 .

(45) سبق ذكر الكثير منها في جدول مرتب زمنياً في القسم الأول .

الصيغ وتأليف الكلام ومعاني اللفاظ وحركات الإعراب ، فتعميم الشك والتردد في جهود النحاة عن اللحن بهذه الصورة لا يؤيده واقعها نفسه .

فاللحن قد حدث فعلاً ، وجهود النحاة حوله صحيحة ، وعلمنا هنا تقويم جهودهم في جمع مادته ، ونظرتهم له .

إن جهود النحاة في جمع مادة ما أسموه « اللحن » التي نقلتها كتب طبقات النحاة وضممتها كتب « لحن العوام » في القرن الثاني الهجري وما بعده جهود موفقة جديرة بالاحترام والتقدير ، والمادة العلمية التي حوتها عن مظاهر اللحن المختلفة تدل على دقة تتبع للجزئيات ، وطول الاستقراء والنظر في اللغة الفصحى ، لكن هذا الجهد الصابر - للأسف - لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيراً في اللغة وتطوراً في عناصرها على مدى العصور ، لأن النحاة نظروا إليه في ضوء مسلمة علمية منها اعتبار اللغة العربية الفصحى في الحضر قد بلغت غاية كمالها حوالي منتصف القرن الهجري الثاني وأن ما طرأ عليها من تغير يعد ذلك فساد وانحراف من الواجب مقاومته ، ومن ذلك اللحن بطبيعة الحال .

ومن ذلك تجاوز النحاة موقف الباحث في وصف الاستعمال المتطور إلى موقف آخر قاموا فيه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز ، فناصروا تطور اللغة العداً ، واستخدموا في ذلك القواعد التي توصلوا إليها من قبل ، لوضع عناصر التغيير في اللغة تحت سيطرتها ، ثم الحكم عليها بالخطأ . وبذلك لم يؤد جهودهم في تقصي جزئيات ما أسموه « اللحن » إلى نتائج المرجوة في معرفة تطور الفصحى وتاريخها ، لعدم اعترافهم بالتطور أصلاً ، ومراعاة جانب القواعد لا الاستعمال .

ومن المفيد لنا الآن - بعد أن فات ما فات - القيام بالأميرين التاليين نظراً وعملاً .

أولاً : تنحية الفكرة القديمة عن المادة المجموعة في كتب « لحن العوام » باعتبارها فساداً وانحرافاً ليحل في النظر إليها نظرة أخرى من اعتبارها تطوراً في اللغة يهدينا السبيل في دراسة مراحلها المختلفة .

ثانياً : النظر في هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ، ليعلم من

ذلك مدى انتشارها في الاستعمال ، فيقبل منها ما تحقق له ذلك ، ويتوقف فيما عداه دون وسمه بالخطأ أو الفساد أو اللحن ، وفي ظني أنه سيقبل من هذه المادة اللغوية كثير من الصيغ واستخدام الأدوات النحوية والتراكيب ، دون ما يخل بالأعراب أو يشوه الصيغ .

وتنفيذ ذلك ليس بالأمر المستبعد ، إذا أخذ في الاعتبار أن معظم كتب « لحن العوام » ما زالت مخطوطة أو مصورة ، وتعال نصوصها بالتحقيق ينبغي أن يصحبه دراسة لهذه النصوص في ضوء المنهج السابق ، فتتضافر بذلك جهود مفيدة ، لمعرفة تطور الفصحى في عصورها المختلفة .

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر ضعف الرسم العربي .

لقد قاوم النحاة العرب مشكلة التصحيف والتحريف التي انعكس تأثيرها على النطق بتغيير معاني الكلمات وصيغها وأحيانا قليلة اعرابها ، وسلكوا في اجتهادهم حول هذه المشكلة طريقا طويلا ، بدأ أولا بمحاولة ضبط الرسم العربي بالنقط والشكل ، ومع ذلك بقي التصحيف مظهرا في النطق يورق بال العلماء كما قرر ذلك حمزة الاصفهاني بقوله : « فقد بان لمن عقل وأنصف من نفسه ان اعتراض التصحيف في هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة في البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الاساس » .

وقد ترك العلماء هذا الاساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، وتحولوا عن ذلك الى ما ذكره ابو احمد العسكري نسا بقوله : « فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا الا على الاخذ من أفواه الرجال » فما الرأي في هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟؟ - يكون ذلك ببيان الآتي :

1 - صعوبة اصلاح الرسم - لاية لفظة - لارتباطه بقوة العرف والعادة .

ب - الرأي في موقف النحاة من الرسم العربي وما ترتب عليه من تصحيف وتحريف .

ينبغي منذ البداية معرفة أن رسم الكتابة لا يتطابق دائما مع النطق ، أو بعبارة أخرى ، أن صورة اللغة المنطوقة لا تمثل تماما في الرسم ، ويعود ذلك كما يقول دي سوسير - الى أن اللغة تتغير دائما

وباطراد، بينما تميل الكتابة الى الثبات والمحافظة (46) « فالكتابة اصطلاح عرفي عام لتسجيل النطق بطريقة جامدة لا تخضع للتغير والتطور ، اذ تبقى الصورة العرفية التي بدأت بها أولا واقفة عند نقطة البدء ، بينما يخضع النطق باللغة للتنوع والتغيير في الاصوات والصيغ والتراكيب والاسلوب بما لا يد لاحد على إيقافه ودفعه ، وذلك تبعا لصلته القوية بحيوية الناطقين وعاداتهم النطقية التي تتغير من فرد لآخر ، ومن عصر لآخر بما لا تستطيع الكتابة ان تلاحقه ، فالكتابة ترتبط بالعادة ، بينما يخضع النطق لعرف الاستعمال ، والعادة في الكتابة محافظة ، والاستعمال في اللغة متطور ، والكتابة أداة لتسجيل اللغة ، بينما النطق نشاط حي لمن يستعملون اللغة .

وعلى ذلك ، فان قضية اصلاح الرسم للغة من اللغات ينبغي فهمها في اطار ظروفها ، دون أن نفرض عليها ظروف اللغة المنطوقة فعلا ، بمحاولة الربط بينهما أو الزام مطابقة النطق ، فان مثل هذه المحاولات غير عملية ولن تؤدي في النهاية الى نتائج ذات بال .

وقد تناول « فندريس » هذه القضية في حديث طويل في كتابه « اللغة » (47) فقرر أننا لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، اذ نشعر بمجرد وضع أيدينا على القلم بالتزام بقواعد واصطلاحات خاصة لها مجالها وأهميتها المنفردة .

وتعرض في حديثه للشكوى من الرسم ، فقرر أنها شكوى عامة ، فلا يوجد شعب من الشعوب لا يشكو منه ان قليلا وان كثيرا « وما تعاناه الفرنسية والانجليزية من جرائمه قد يفوق ما في غيرهما ، حتى ان بعضهم يعد مصيبة الرسم عندنا كارثة وطنية » وبين ان السبب في ذلك يعود الى أن الرسم لا يساير دائما حركة اللغة ، اذ تحميه قوة التقاليد التي تسندها المدرسة والآداب واجماع المثقفين ، وان الكتابة بطبيعتها محافظة « فالثبات ضرورة للغة المكتوبة ، لانها تعتبر لفة مثالية حددت معالمها نهائيا ، ولا يمكن المساس بها الا بعد فوات الاوان ، فمهما عنينا يجعل هذا الكساء مرنا مطابقا لحنايا الجسم ، فلن نستطيع مطلقا أن نخضعه لنزوات الطبيعة وأن نجعله ينمو بنمو الجسم ، لانه ميت يغطي كائنا حيا » ثم امتدح الجهود التي تبذل لاصلاح عيوب الرسم في الفرنسية ، وأورد الاسانيد التي يعتمدون عليها للقيام

Course in General Linguistics, p. 27 (46)

(47) انظر : اللغة من ص 405 الى 416 .

بهذا الإصلاح ، من أنه لا مساس له باللغة ، وأن فيه فائدة للمتعلمين من الصغار والاجانب .

لكن « فندريس » مع ذلك يشك في قيمة هذه الجهود ، ويرى أن هناك عقبات ضخمة لا تسمح لهذا الإصلاح أن يؤدي مهمته ، وهي عقبات متنوعة ، ثقافية ونفسية واجتماعية وتعليمية ، تقف في وجه هذا الإصلاح ، ثم ينتهي من ذلك الى الراى التالي :

* نعم .. أغلب الظن أن اللغة المكتوبة قد ولدت من اتفاق قام بين بضعة أفراد ، ولكن هذا الاتفاق قد امتد حتى شمل المجتمع بأسره ، وفرض نفسه عليه بقوة صارمة ، وليس العقل هو الذي ينظم حياتنا الاجتماعية ، بل العادة ، وحجج الفلسفة كلها عبت في عيب أمام قدرة العادة ... فنحن عبيد العادات الاجتماعية الى حد كبير ، والرسم هو احدى هذه العادات بالنسبة لكل شخص متحضر ، فلا يمكن اصلاحه الا بأشد الحذر ، وباستيحاء العادة نفسها (48)

أجل .. لا يمكن اصلاح الرسم الا بأشد الحذر وباستيحاء العادة نفسها ، وفي فهمي أن العادة في الرسم لا تسمح بهذا الإصلاح ابدا ، سواء أتم بحذر أم بغير حذر ، خصوصا اذا قطعت عادة الرسم شوطا طويلا في تسجيل ثقافة لفة ما - كالعربية مثلا - حيث لا يمكن ارجاع ذلك ولا تغييره ولا قطع الصلة به ، بالإضافة الى ما يحدثه التغيير من هزات نفسية واجتماعية قاسية من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، واعتقد - ان لم يجانبني التوفيق - أن كل محاولة لتغيير رسم الكتابة في مثل هذه الظروف جهد ضائع مصيره الفشل . - فما الراى اذن في موقف النحاة العرب من هذا الموضوع ؟ !

من الانصاف لعلماننا الاقدمين أن تقرر أنهم لم يبحثوا في تغيير الرسم العربي بطريقة مباشرة ، فان الذي وجهوا اليه اهتمامهم كان أمرا آخر هو التصحيف والتحريف في النطق ، وقد دفعهم الى بحث ذلك المظهر سبب ديني هو تلافيه في نصوص القرآن التي دونت بالرسم العربي في مصاحف عثمان ثم عمموا بحثهم عن هذا الموضوع في كل نصوص اللغة شعرا ونثرا ، فاصلاح الرسم العربي لديهم لم يكن موقعا مقصودا لذاته ، وهذا المعنى يفسر مسلكهم تجاه اصلاحه ، كما يفسر في الوقت نفسه مسلكهم تجاه المظهر الاساسي الذي ترتب عليه وهو التصحيف

(48) انظر : اللغة ص 416 .

والتحريف ، ذلك أنهم حصروا جهودهم في ضبط الرسم العربي بالاعجام والشكل فقط ، ولم يتناولوا الموضوع من أساسه باعتبار الرسم العربي كما قال الاصفهاني من بعد « ضعيف الاساس » ، واذا جاز أن تغيير الرسم العربي في وقتنا الحاضر فكرة غير عملية حيث قطع شوطا طويلا في تسجيل الثقافة العربية ونقلها ، ففي ظني أن هذا التغيير كان ممكنا في هذا الوقت المبكر من القرن الاول والثاني من الهجرة لكن الاقدمين لم يواجهوا ذلك بطريقة صريحة جريئة ، فبقي ضعف الاساس على هذه الصفة حتى اليوم ، ومن يدري !! فربما كان ذلك موانع دينية وثقافية قامت أيضا في وجوههم ، فحجزتهم عن هذا التغيير والتفكير فيه ، ومن ذلك أن القرآن كان قد دون بهذا الرسم العربي ، وأن هذا الرسم - ان صح التقدير - كان قد قطع شوطا كبيرا في تسجيل ثقافة العرب وعاداتهم في الجاهلية وصدر الاسلام فمنعهم ذلك كله من تغييره ، وكان موقفهم مماثلا لموقفنا اليوم ، ودارت جهودهم حول ضبطه فقط ، وكان هذا غاية ما في وسعهم .

كما أن جهودهم لتلافي التصحيف والتحريف - بالقياس الى ظروفهم - في مجملها جهود مفيدة ، فحاولوا ضبط الاساس ، ثم تواصلوا بالرواية الشفهية ، وعابوا المصحفين والمحرفين حين لم يسعفهم اصلاح الخط العربي ، واخيرا جمعوا ذلك كله في مؤلفات خاصة ، لتنقية ما وقع من اخطاء التصحيف والتحريف من العوام والخاصة ، وكان ذلك أيضا غاية وسعهم .

وموقفنا العلمي اليوم من هذا الموضوع أن التفكير في تغيير الرسم العربي أمر غير عملي ، وأن الرسم العربي - شأن غيره في اللغات الاخرى - قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضى بها تلافيا لما يترتب على التغيير من مشاكل لا قبل لنا بها ، عملا بالعبارة المتوارثة عن الاقدمين « باحتمال أخف الضررين » .

3 - الالفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة :

اختلف موقف الاقدمين من الالفاظ المولدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها ، او الاعتراف بمعانيها واستخدامها في الادب والانصراف عن بنيتها ودراستها في اللغة ، مما قرره ابن جنس نضا بقوله : « يستشهد بشعر المولدين في المعاني ، كما يستشهد بشعر العرب في الالفاظ » ، وقد اتخذ

تقييد عصر الاستشهاد وعدم الاعتراف بتطور اللغة الأساس الذي ركن اليه الاقدمون في اخراج هذه الثروة الجديدة من الالفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول الى الدراسة ، وبقيت حتى اليوم مشتتة تائهة في مصادر اللحن والتعريب والمعاجم موسومة بتلك السمة العنصرية « مولدة » ، فما الراي في هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟ ! يتضح ذلك ببيان الآتي :

1 - الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

ب - الراي في موقف النحاة من هذه الالفاظ الجديدة .

ان تأمل المصادر اللغوية لتوليد الالفاظ من الارتجال بالاشتقاق والتعريب يعد عصر الاستشهاد وتطور دلالة الالفاظ - سبق عرضها في الباب الاول - يتضح منه ما نحن بصده من حاجة الناطقين بالعربية الى الالفاظ الجديدة واللجوء في ذلك الى وجوه مشروعة - وان كانت غير متعمدة - لسد حاجتهم منها ، وتغير الظروف الاجتماعية الدائم ينمكس تأثيره على اللغة واستعمالها فتتزوي الفاظ لم يعد ثمة حاجة اليها ، وتجد أخرى في الاستعمال لدواعي الظروف الجديدة اليها ، ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية مستمرة ، تماما كما يتم التغيير في كل المظاهر الاجتماعية الأخرى .

والباحث في اللغة - من وجهة النظر الحديثة - يعترف بالتطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها . وينظر اليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك الى معرفة ما جد من عناصر التطور في مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى ، وليس من عمل الباحث ان يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتفي بلفتها ، ويرفض غيرها ، معتقدا ان ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبفي وسمها بهذه الصفة ، فهي مخالفات حقا اذا وضعت في ضوء مسلك اللغة في مرحلة سابقة ، ولكنها بالقياس الى عصرها ذات قيمة متميزة لا تقل في تمثيل المستوى الصوابي له عن غيرها من العصور كما سبق بيانه والاستدلال عليه في مناقشة تقييد عصر الاستشهاد .

وعلى ذلك ، فان موقف النحاة من الالفاظ المولدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلموا بها ، ثم استسلموا

لها ، وهي اعتبارات تعود اليهم ، من تنصيب انفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء ، كما تعود الى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص مع ان واقع الامر أنها ترتبط بالاستعمال وحاجات المجتمع في كل عصر على انفراد ، وينبغي النظر اليها بهذه الصفة بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض ، وهي أخيرا ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الاعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين في هذا العصر نفسه . فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لفويا ، وقد وجهت نظرتهم في رفض الالفاظ المولدة .

* يقول برجشتراسر : الذي منع علماء الشرق - مع بذل الجهد المعجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات - عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان مرتبطان احدهما بالآخر :

اولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وان كان واجبا نافعا ، فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فان نسي هذه النصيحة واجتهد ان يقهر حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع اذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية . والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق ان اكمل ما كانت عليه اللغة العربية واتقنه واحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي (49) .

اجل . . هذا حكم غير علمي ، يتجاوز موقف العلم الى موقف التعليم ، ويحاول قهر حياة اللغة والتفاعل عن تطورها ، فتجوزه وتفقل عن تعاليمه ، ولا تعترف في سيرها المستمر بما اعتنقه النحاة عن عصر آخر من الكمال والاتقان والحسن ، وهذا الحكم غير العلمي هو الذي طبقه النحاة على المولد من الالفاظ لفويا ، وهو الذي يفسر تلك المفارقة التي وردت عنهم في الاعتراف بفصاحة المولد دون حججته في الاستشهاد ، والاعتراف بمعانيه دون صيفه ، واستخدامه في الادب دون دراسة اللغة . . اليس هذا غريبا !!

التأثير والتأثر بين اللغات من نواح متعددة ، من ذلك بيان مدى تأثر اللغة المستعيرة أو المقترضة من لغة أخرى عن اختلاط عناصرها أو بقائها لغة واحدة مع ما طرأ عليها من عناصر اللغات الأخرى ، وقد أورد « فندريس » عن ذلك نظرتين متعارضتين تقول احدهما : « ان كل اللغات تعتبر لغات مختلطة الى حد ما » ومن رأي الأخرى « أن الانسان لا يتكلم مطلقا في الوقت الواحد الا لغة واحدة » كما أورد نقاش كلتا هاتين النظريتين ليخلص أخيرا الى القول بأن الذي يحسم الامر في ذلك هو مدى تدخل العناصر المستوردة في افساد نظام اللغة المقترضة أو عدم تدخله ، وبذلك يمكن الحكم بالاختلاط في اللغة أو بقائها دون تأثر مخل (50) .

كما درس انمحدثون أيضا مدى التأثير بين اللغات من فصائل مختلفة أو من فصيلة واحدة ، أو ما أسماه « مايه » اللغات المتميزة وغير المتميزة ، حيث يقتصر التأثير في النوع الاول غالبا على المفردات بينما يمكن أن يمتد التأثير في النوع الاخير الى عناصر أخرى في اللغة نحو وصيفا ومفردات واذا كثر هذا النوع الاخير في لغة ما ، كان أمرا خطيرا حيث يؤدي ذلك - كما يقول - الى استبدال اللغة بغيرها استبدالاً تاماً (51) .

ويتوسع « أولمان » في بيان المصادر اللغوية التي يلجأ اليها المتكلم للاقتراض حين يواجه بالنقص في قصور الثروة اللفظية لديه عن أداء حاجاته ، اذ يلجأ في ذلك الى اللغات الأجنبية أو اللهجات المحلية أو الاصطلاحات الفنية والمهنية الخاصة ، فينقل الكلمات كما هي أو يلجأ فيها الى الترجمة (52) .

وحول هذه الافكار العامة عن « الاقتراض » تفصيلات واسعة ليس من المفيد هنا التعرض لها لان ما نحن بصدده يتعلق بموضوع خاص هو : نقل الكلمات من اللغات الأجنبية مع عرفها في لغتها الأصلية بما لا يؤثر في اللغة المقترضة مما أطلق عليه النحاة العرب « التعريب » وبيان مدى الحاجة اليه اجتماعيا وعلميا ، وقد اعتبر اللغويون المحدثون هذا النوع من الاقتراض أمرا عاديا لا خوف منه ولا خطر فيه ، وذلك

ان واجبنا الآن ان نرد لما أطلق عليه النحاة « المولد » قيمته اللغوية باعتباره جانبا مهما من مظاهر تطور الفصحى ، وسبيلنا لذلك جمع شتات من مصادره مرتبة بحسب عصور الفصحى ، ثم استقراء بنيسة الكلمات فيه لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه ، مع اباحة التوليد الفنية في استخدام كلمات جديدة في وقتنا الحاضر ، كما اعترف الاقدمون انفسهم بذلك في المعاني ودراسة الادب ، فسارت دراستهم في طريق طبيعي مفيد لم يتح مثله لدراسة اللغة حتى اليوم .

4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال :

في فهم نظرة النحاة للمعرب - في الباب الاول - تبين أنهم قصروه على عصر الاستشهاد في الحضر ، أو بتعبير الجواليقي على « ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي » و « ما ذكرته العرب في اخبارها وأشعارها » وقد نص الخفاجي على أن « ما عربسه المتأخرون يعد مولدا » ، وبالغوا في الاحتياط لموقفهم فقصروا المعرب على السماع في عصر الاستشهاد ، ورفضوا القياس عليه بعد ذلك ، ثم زادوا هذا الاحتياط شدة بأن حاولوا جاهدين اخضاعه لمسلك الصيغ العربية في اللاحق والتغيير والعلامات ، لكن هذا الجهد العظيم مع ذلك قصر عن الاحاطة التامة باستعمال الكلمات الأجنبية المتعددة المصادر والاستعمال فجاءت نتائجه عامة غير منضبطة وغير مقنعة .

فما الرأي في ذلك من وجهة النظر الحديثة ؟ -
يتبين ذلك بالاتي :

أ - التعريب ضرورة علمية واجتماعية متجددة

ب - مدى صحة اخضاع نظام لغة لاخرى في الدراسة .

ج - الرأي في موقف النحاة من المعرب نظرا ودراسة .

لقد تناول اللغويون المحدثون ما أسماه العرب « التعريب » ضمن دراسة عامة لما أطلقوا عليه اسم الاقتراض أو الاستعارة Barroming ، فدرسوا

(50) انظر : اللغة ص 358 وما بعدها .

(51) راجع : منهج البحث في اللغة والادب ص 101

(52) انظر : دور الكلمة في اللغة ص 145 .

بالقياس الى انواع الاقتراض الاخرى التي تؤثر في نظام لغة ما ، وقد تؤدي الى الاخلال به وفساده .

* يقول فندريس : لنضع جانبا استعارة المفردات التي تبادلها اللغات فيما بينها ، فمن خصائص هذه المستعارة انها لا تحتم كون المتكلم يتكلم باللغة التي استعيرت منها ، او حتى معرفته بها ... فاستعارة المفردات مهما اشد تأثيرها يمكن ان تظل مسألة خارجة عن اللغة (53) .

فنقل الكلمات من لغة الى اخرى امر عادي كثير الحدوث يترتب على الاتصال الاجتماعي بمظاهره المختلفة من التجارة او الثقافة او الحروب او انتقال العادات والتقاليد ، وذلك بالتعرف على انواع من النبات والحيوان والماكول والمشروب والملابس والمعادن وآلات الحرب والطرب والكلمات العلمية والفنية . ويتم ذلك كله في غالب الاحيان من الناطقين باللغة انفسهم بطريقة تلقائية تدعو اليها ضرورة الاستعمال ، ويتوقف انتشارها على العرف اللغوي في البيئة التي نقل اليها ، ومن الطبيعي ان هذه الكلمات الاجنبية المنقولة تتوقف صحة نطقها - كما هي في لغتها الاصلية - على ظروف اخرى تتعلق بالناطقين انفسهم ، سواء من نطقها او لا من استعمالها بعد ذلك ، تبعا لاجادة اللغة التي نقلت منها الكلمة ، او دقة السماع لها ، ويبقى الاختلاف في نطقها موجودا حتى بعد انتشار استعمالها في البيئة الجديدة .

ان الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تحديد مسلك الصيغة هي حالة التعريب المتعمد ، حين تدعو الحاجة العلمية او الفنية لاستخدام مصطلحات جديدة تدعو اليها الضرورة ، ففي هذه الحالة يتصور خضوع نقل الكلمات من اللغات الاجنبية لطريقة موحدة سواء انقلنت دون تصرف فيها على الاطلاق ام نقلت مع التصرف في صيغتها او حروفها او حركاتها ، هنا فقط يمكن ان يتدخل علماء اللغة بالتحديد والتقنين ، او بعبارة اخرى : يمكن فرض مسلك اللغة المنقول اليها على الكلمات المنقولة ، كما يمكن التدخل في ضبط كمية الالفاظ المنقولة حسبما تدعو الضرورة ، اما منعه مطلقا فامر بعيد وغير عملي ، لانه يتنافى مع الحاجات العلمية والفنية المتجددة في كل العصور . اما استعمال الكلمات الاجنبية بين الناطقين انفسهم ، فان التدخل في تحديد كتبه او اخضاعه

لنظام اللغة التي نقل اليها لن يؤدي الى نتائج مفيدة مطردة ، اذ تقصر هذه النتائج عن الاحاطة بها ، او اخضاع الناطقين لها ، لان الناطقين - مع تعددهم وقدراتهم - يتعذر اخضاع نطقهم لقوانين محددة حين النقل او الاستعمال ، واللغات التي ينقلون عنها ذات نظم خاصة بها في الصيغ والحروف يتعذر معها فرض نظام آخر عليها ، فاذا اضيف لذلك ان النقل يكون من لغات متعددة - كما حدث في العربية قديما ويحدث الان - بدا الامر حينئذ اشد عسرا ، ومع ذلك فانه لا يدعو للجزع ، لان الامر كما قال : « فندريس » ان استعارة المفردات مهما اشد تأثيرها يمكن اذن ان تظل مسألة خارجة عن اللغة .

وفي ضوء ما سبق يمكن تقويم موقف النحاة العرب من المعرب نظرا ودراسة بما يلي :

اولا : ان قصر النحاة التعريب على عصر الاستشهاد باللغة في الحضر ، وتخصيصه بالسماع زيادة في الاحتياط قد خضع لوجهة نظرهم في تقييد عصر الاستشهاد باللغة عموما ، واختص بشدة الاحتياط منهم تجاهه ، حيث وثقوا نقل الكلمات الاجنبية الواردة عن هذا العصر ودرسوها ، مع الانصراف عما نقل في غيره قياسا عليه ، وهذا مسلك لا يتفق مع الحاجة الاجتماعية المتجددة على مدى العصور ، وما يحدث فعلا بين اللغات من تأثير وتأثر لا ينقطع ، يتبعه بالضرورة انتقال الكلمات من لغة لاخرى ، واستعمال الناس لها ، كما لا يتفق مع الحاجات العلمية المتجددة - خصوصا في عصرنا الحاضر - لاستخدام مصطلحات تحتم ظروف العلوم احيانا ان تكون عالمية ، وقد لا يتيسر الوفاء بها عن طريق الترجمة او الاشتقاق او تطوير دلالة الكلمات .

ثانيا : ان اخضاع كل ما ينقل من لغات اجنبية في عصر الاستشهاد لمسلك الصيغ العربية امر لم يتوافق تماما مع الواقع ، ومستندنا في ذلك القواعد التي توصل لها النحاة انفسهم عن المعرب حيث يبدو فيها العموم وسوق الاحتمالات والتحرز في الراي ، سواء في ذلك ما ذكره عن الحاقها بالصيغ العربية او التغيير فيها او علاماتها المميزة لها ، كما يدل على ذلك ايضا الاطلاع على احد كتب المتأخرين عن التعريب - راجع جدولها في الباب الاول - وما ضمه من كلمات معربة ، اذ يتبين - حتى بالنظرة السريعة -

الفردية ، ثم القبول العام من الجماعة ، وحينئذ لا يكون من حق أحد رده ، بل يجب استقراؤه ودراسته ، فما أسماه النحاة « باللحن » هو في واقع الأمر تغيير وتطور ، ومن ثم يجب دراسته بهذا الاعتبار ، ليؤدي دوره في بيان تاريخ العربية وتطورها .

ثانياً : لا تتطابق الكتابة تماماً - لاية لفة - مع نطق هذه اللغة ، فنحن - كما يقول فندريس - لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، فالرسم من العادات العرفية التي يترتب على تغييرها مشاكل في غاية الخطورة - ثقافية واجتماعية ونفسية - من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، ويصدق على الرسم العربي ما يصدق على غيره في اللغات الأخرى ، أما ما يترتب عليه من تصحيف وتحريف فمن المفيد الأخذ بمسلك علمائنا الأقدمين تجاهه من ضبط النطق وجمع الأخطاء وتنقيتها ، ما دامت تلك الأخطاء تترتب على الرسم ، وهو مما يتعدى تغييره .

ثالثاً : ان تغير الظروف الاجتماعية ينعكس تأثيره على الألفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدث الآخر واستعماله ، تماماً كما يتم التغيير في المظاهر الاجتماعية الأخرى ، وينبغي ان تتفق النظرة الى الألفاظ الجديدة مع هذا الفهم السابق دون فرض ظروف خارجية عن ذلك تعود الى سلطة الدارسين أو العصر أو العنصر ، والتوليد في الألفاظ العربية مظهر للتجديد في الألفاظ بطرق مشروعة ، وقد لجأ إليها الناطقون لسد حاجتهم في الاستعمال - ومن حقنا الآن الافادة منها - وهو بذلك جدير بالدراسة لمعرفة ما جد من تطور على الصيغ العربية بسببه .

رابعا : من رأي المحدثين ان نقل الألفاظ من اللغات الأجنبية يخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين أنفسهم ، كما يخضع في أحد مظاهره للحاجات العلمية والفنية ، وأن انتقال الألفاظ بين اللغات امر عادي لا خطر فيه ولا خوف منه ، ولا يتصور في هذا النقل ان يقتصر على عصر دون آخر ومحاولة اخضاعه لمسلك الصيغ في اللغة التي نقل إليها يتعدى ضبطه بدقة ، لاختلاف قدرات من ينقلون الألفاظ مضافا إليه اختلاف اللغات التي حدث منها النقل وتعددتها ، والحالة الوحيدة التي يمكن التدخل فيها لتحديد بنية الكلمات هي النقل المتعمد الذي تدعو إليه الضرورة في المصطلحات العلمية والأدبية والفنية ، وفي هذه الحالة الأخيرة يمكن حقا الافادة من جهود النحاة العرب في دراسة التعريب .

انها لا تتوافق تماماً مع قواعد النحاة عن التعريب ، وهذا طبيعي ، لان التعريب يخضع لظروف الناطقين وقدراتهم وهي غير موحدة ، كما يخضع لظروف اللغات الاصلية التي حدث النقل منها ، وهي لا تخضع تماماً لفرض نظام لغة أخرى عليها .

والرأي - في فهمي - ان يدرس هذا الموضوع بطريقة مستقلة ، باستقراء الكلمات المعربة الى العربية مما نصت عليه مؤلفات التعريب الخاصة ومما ورد في نصوص موثقة ، وذلك لحصرها ، ومعرفة العوامل الاجتماعية التي أدت الى نقلها ، ومدى تأثير الفصحى بها على مدى العصور ، وذلك أكثر فائدة لنا ولها من محاولة مصادرتها أو اخضاعها لقواعد محددة لا تتوافق معها تماماً .

ثالثاً : انه يمكن الافادة من قواعد النحاة للتعريب في حاجة العلوم والآداب في الوقت الحاضر للمصطلحات والكلمات التي لا تفي بها وسيلة أخرى ، ففي هذا النوع من التعريب المتعمد يمكن استخدام الكلمات الأجنبية بنصها أو التصرف فيها في ضوء جهود النحاة عن هذا الموضوع ، مع كتابة المقابل الأجنبي بجوارها ، وهذا ما يفهم من قرار المجمع اللغوي الذي نص على انه « يجوز ان تستعمل بعض الألفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » حيث قيد استعمال الكلمات الأجنبية بالضرورة ، وهي لا تتحقق الا في هذا النوع المتعمد ، أما الاستعمال العام ، فلا ينتظر قراراً أو اجازة ، ولا يبحث عن ضرورة أو رخصة .

استخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة

من العرض السابق لوجهة النظر الحديثة في أسس الصواب والخطأ عن العوامل الطارئة على اللغة - بمناقشتها وبيان الرأي فيها - تتلخص نظرة المحدثين فيما يلي :

أولاً : اعتبار التطور في اللغة من أسس النظرية الحديثة للمستوى الصوابي ، ومفهوم هذا التطور - كما يرى جيسرسن - هو التغيير المستمر في عناصر اللغة ، والمرجع فيه استعمال الناطقين أنفسهم دون حكم عليه بأنه تقدم أو تقهقر ودون تحكيم معايير مسبقة فيه ، فما وافقها كان صواباً ، وما خالفها كان لحناً وخطأً ، وهذا التغير يتم وفقاً لاتجاه منظم في الاستعمال ، اذ يمر أولاً بمرحلة الابداع والتجديد

مصادر البحث

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة دار الكتب - القاهرة سنة 1950 - 1955

أولا : المصادر العربية المطبوعة

- 1 — ادب الكاتب
لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة - القاهرة - الطبعة الرابعة
سنة 1962 م
- 2 — الاشتقاق والتعريب
عبد القادر المغربي
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
الطبعة الثانية سنة 1947 م
- 3 — اصلاح المنطق
لابي يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت
تحقيق : أحمد شاعر وعبد السلام هارون
دار المعارف - القاهرة سنة 1952 م
- 4 — الاغانى
لابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
تصحيح : الشيخ أحمد الشنقيطي
مطبعة التقدم - القاهرة (دون تاريخ)
- 5 — امالي الزجاجي
لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيق : عبد السلام هارون
طبع المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة
سنة 1382 هـ .
- 6 — امالي المرتضى
للشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي
الملوي
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
طبع دار احياء الكتب العربية - القاهرة
سنة 1954 م
- 7 — ابناء الرواه على ابناء النحاة
تأليف : علي بن يوسف القفطي
- 8 — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة الحلبي - القاهرة سنة 1965 م
- 9 — بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب
محمود شكري الالوسي
المطبعة الرحمانية - القاهرة - الطبعة الثانية
سنة 1925 م
- 10 — البيان والتبيين
لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق : عبد السلام هارون
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
سنة 1948 - 1950
- 11 — تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين
جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي
المطبعة الميمنية - القاهرة - سنة 1305 هـ
- 12 — التطور النحوي
تأليف : برجستراسر
طبع القاهرة سنة 1929 م
- 13 — التنبيه على غلط الجاهل والنبه
تأليف : ابن كمال باشا
تحقيق : عبد القادر المغربي
طبع دمشق سنة 1344 هـ
- 14 — الحيوان
لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق : عبد السلام هارون
مطبعة الحلبي - القاهرة - سنة 1938-1945 م
- 15 — درة الفواص في اوهام الخواص
لابي محمد القاسم بن علي الحريري
طبع بغداد (عن ليزج) سنة 1871 م

- 16 — دليل لفة العرب
تأليف : محمد امر الله
مطبعة السعادة - القاهرة - سنة 1345 م
- 17 — دور الكلمة في اللفة
تأليف : ستيفن اولمان
ترجمة : دكتور كمال بشر
طبع القاهرة سنة 1962 م
- 18 — ذيل الفصح
لابى محمد عبد اللطيف البغدادي
مطبعة السعادة - القاهرة - سنة 1325 هـ
- 19 — شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف
لابى أحمد الحسن بن عبد الله العسكري
تحقيق : عبد العزيز أحمد
طبع الحلبي - القاهرة - سنة 1963 م
- 20 — شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل
شهاب الدين أحمد الخفاجي
مطبعة السعادة - القاهرة - سنة 1325 هـ
- 21 — صبح الأعشي في صناعة الانشا
لابى العباس أحمد القلقشندي
المطبعة الاميرية - القاهرة - سنة 1331 هـ
- 22 — طبقات فحول الشعراء
محمد بن سلام الجمحي
تحقيق : محمود محمد شاكر
دار المعارف - القاهرة - سنة 1955 م
- 23 — الطراز المذهب في الدخيل والمغرب
تأليف : محمد نهاني
- 24 — العمدة في صناعة الشعر ونقده
لابى علي الحسن بن رشيقي القيرواني
مطبعة ابن هندبة - القاهرة - سنة 1925 م
- 25 — الفاخر فيما تلحن فيه العامة
لابى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم
تحقيق : عبد العليم الطحاوي
طبع دار الكتب العربية - القاهرة - سنة 1960 م
- 26 — فحوالة الشعراء
لابى محمد عبد الملك بن قريب الاصمعي
تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي
المطبعة المنيرية - القاهرة - سنة 1953 م
- 27 — كتاب سيويه
لابى بشر عمرو بن قنبر الملقب « سيويه »
المطبعة الاميرية - القاهرة 1316 هـ
- 28 — لحن العوام
لابى بكر محمد بن الحسن الزبيدي
تحقيق : دكتور رمضان عبد التواب
المطبعة الكمالية - القاهرة - سنة 1964 م
- 29 — اللفة
تأليف : ج. قنديس
ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص
طبع لجنة البيان العربي - القاهرة سنة - 1950
- 30 — ما تلحن فيه العوام
علي بن حمزة الكسائي
تحقيق : عبد العزيز اليميني
المطبعة السلفية - القاهرة - سنة 1344 هـ
- 31 — مجالس نعلب
لابى العباس أحمد بن يحيى نعلب
تحقيق : عبد السلام هارون
طبع دار المعارف - القاهرة سنة 1948 - 1960
- 32 — مجالس العلماء
لابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيق : عبد السلام هارون
طبع الكويت سنة 1962 م

- 33 — محاضرات الأدباء
لابي القاسم حسين بن محمد الاصبھاني
مطبعة المولحي - القاهرة - سنة 1387 هـ
- 34 — مراتب النحويين
لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
مطبعة نهضة مصر - القاهرة - سنة 1955 م
- 35 — المزهرة في علوم اللغة
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين
دار احياء الكتب العربية - القاهرة (بدون تاريخ)
- 36 — مصادر الشعر الجاهلي
دكتور ناصر الدين الأسد
طبع دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثانية
سنة 1962 م
- 37 — معجم الأدباء
تأليف : ياقوت الحموي
طبع دار المأمون - القاهرة - سنة 1938 م
- 38 — المغرب من الكلام الأعجمي
لابي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي
تحقيق : أحمد محمد شاكر
طبع دار الكتب - القاهرة - سنة 1361 هـ
- 39 — معنى اللبيب عن كتب الأعراب
لابي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة المدني - القاهرة - (بدون تاريخ)
- 40 — الملاحن
لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي
تحقيق : ابراهيم اطفين الجزائري
المطبعة السلفية - القاهرة سنة 1347 هـ
- 41 — من أسرار اللغة
دكتور ابراهيم أنيس
المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - الطبعة الثانية
سنة 1966
- 42 — منهج البحث في الادب واللغة
تأليف : لانسون وماييه
ترجمة : دكتور محمد مندور
طبع بيروت سنة 1946 م
- 43 — الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء
لابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني
المطبعة السلفية - القاهرة - سنة 1343 هـ
- ◆ —
- ثانيا : المصادر العربية المخطوطة والمصورة
- 44 — ارتشاف الضرب من كلام العرب
لابي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان
مخطوط - دار الكتب - 1106 نحو
- 45 — تصحيح التصحيف وتحريز التحريف
لابي الصفا صلاح الدين خليل الصفوي
مصور - دار الكتب - 37 - 38 الزكية
- 46 — تصحيف المحدثين
لابي أحمد الحسن بن عبد الله المسكري
مخطوط - دار الكتب - 2 من حديث
- 47 — تقويم اللسان
لابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
مصور - دار الكتب - 427 لفة طلعت
- 48 — التنبيه على حدوث التصحيف
حمزة بن الحسن الاصبھاني
مصور - دار الكتب - 896 أدب تيمور
- 49 — رسالة في اغلاط العوام
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
مخطوط - دار الكتب - 348 لفة طلعت

54 — منح المفيث في جواز اللحن في الحديث

لابي عبد الله الافراني المراكشي
مخطوط — دار الكتب — 176 مجاميع تيمور

— ♦ —

ثالثا : المصادر الاجنبية

— 55

Course in General Linguistics, F. De Saussure,
London, 1959.

— 56

Language, its Nature, Development and Origin,
O. Jespersen, London, 1947

50 — سهم الالحاظ في وهم الالفاظ

محمد بن ابراهيم بن الحنبلي الربيعي
مخطوط — دار الكتب — 254 لفة

51 — قصد السبيل فيما في اللفة من الدخيل

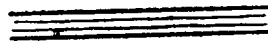
محمد الامين المحببي
مخطوط — دار الكتب — 295 لفة تيمور

52 — المتوكلى فيما في القرآن من المعرب

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوط
مخطوط — دار الكتب 5706 هـ

53 — المعرب في القرآن الكريم

تأليف : احمد القوصي
مخطوط — دار الكتب — 465 لفة تيمور



اللغة الإنسانية

نشأتها. فلسفتها. مفهوما. تطورها

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السبيح - جامع الأزهر

واللغة : فى اللغة : فعلة ، من « لغوت » أى تكلمت وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها وأوات ، لقولهم : كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولان ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب .

وقالوا فيها : لغات ولغون ككرات وكرون وقيل منها : لغى يلغى ، اذا هذى قال :

ورب اسراب حجيج كظم
عن اللقا ورفث التكلّم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل . وفى الحديث من قال فى الجمعة صه فقد لغا : أى تكلم (2) .

واللغة : فى اصطلاح أهل اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . وهذا التعريف يشمل معناها الخاص .

أما معناها العام فهو : مجموعة الوسائل المعبر بها عن المعاني والدالة على نفس المعاني لدى الآخرين سواء كانت تلك الوسائل فطرية أم اصطلاحية (3) .

وقد يصعب على الباحث معرفة متى واين وكيف بدأت اللغة ؟

الا اننا لا نعدو الصواب ، اذا قلنا : انها بدأت عند ما تكونت أول جماعة انسانية فى هذا الوجود ، ولا نعدو الصواب ايضا ، اذا قلنا ان الجماعة الانسانية الاولى ايا كان طابعها - عندما تكونت أصبحت معها

اللغة ظاهرة اجتماعية اقتضتها حياة بنى الانسان ، لان الله خلق هذا النوع اضعف قوة من كثير من انواع الحيوانات الاخرى ، التي تعيش معه على الارض ولكن الله عوض الانسان عن قوة الجسم والسلاح ، قوة العقل ومنحه الاستعداد للتفاهم والكلام .

فدعا بعض افراد الانسان بعضا للتفاهم والتعاون على اتقاء عادية الحيوان وعلى جلب المنافع وتحصيل المرافق ، واضطره ذلك الى سكنى المدن وانشاء المجتمعات ، ولذلك قال فلاسفة الاجتماع « الانسان مدني بطبعه » أى انه مضطر الى سكنى المدن ، وانشاء المجتمعات - ليتم فيها التعاون والتبادل والقدرة على استغلال ما اعد له فى هذه الدنيا من مقومات حياته .

وكانت اللغة هي : الاداة التي تكشف لبعض الافراد عما فى نفوس الآخرين وقد كان التفاهم الانساني فى أول الامر بلاشارات التي لا يزال بعضها فى لغة الجماعات البدائية والتي تظهر فى الطفل قبل ان يتعلم الكلام ثم حصل التفاهم بالأصوات التي تالفت منها الكلمات فى اللغات المختلفة (1) .

فاللغات : اصلا : أصوات وليست كلمات وأن الكلمة صوت يرمز الى معنى وكتابة الكلمة رسم يرمز الى هذا الصوت ، والصوت : هو الاصل والصوت يصنعه الهواء يخرج من رئة الانسان وتقوم الحنجرة ويقوم اللسان ويقوم الفم وحتى الانف باعطائه شكلا خاصا . هو الكلمة المسموعة .

مشاكلها الخاصة الناتجة عن علاقات الافراد بعضهم ببعض والناتجة عن علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وفي سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة في نوعها : تولد النشاط الانساني في استخدام الصوت ، لتكوين الفاظ لغوية بدائية الطابع ، والانصات لتلك الاصوات بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي ، عن طريق الاذن .

تجدد هذا النشاط الانساني المتميز عن كائنات الطبيعة الاخرى في صيحات موسيقية توحى بمعان سحرية ، تختلف في دلالتها باختلاف موسيقاها ، بذلك تكون العنصر الاساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالانسان وحده ، فاللغة بظهورها - كمرحلة عليا في مجريات التطور - خارجة خروجا تلقائيا من صور سبقتها للنشاط الحيواني كان رد فعلها الحتمي : هو تحويل تلك الصور والضروب التي كان السلوك الجماعي يجيء على غرارها يضيف بعدا جديدا ، الى ابعاد الخبرة الانسانية ما نطلق عليه : انسانية الوجود ، فالتعبير الرمزي عن الاشياء ، يحولها من اشياء قائمة بذاتها منفصلة عن الوجود الانساني الى جزء من هذا الوجود .

فمثلا : تسمية الساق الخشبية المنبثقة من الارض والمنتهية بأفرع ووريقات خضراء ، بلفظ شجرة هو بمثابة اذابتها في الوجود الانساني ، تقع تحت سيطرته وتفقد معنى وجودها بدونه ، وعلى هذا تسميه الشيء اي اطلاق لفظ لغوي عليه هو الخطوة الاولى للسيطرة على وجوده ومزجه بالوجود الانساني بعد المعرفة السابقة له ، كشيء منفصل عن هذا الوجود . والقوة في التعبير الرمزي عن الشيء بلفظ لغوي عليه تكمن في انبثاق مواضيع من هذا الرمز لا تمت للشيء المرموز به اصلا ، بصلة مباشرة وان كان هذا لا يتم الا بعد عدة مراحل من التطور اللغوي ، ومن هنا يتبين الفرق الاساسي بين التعبير الرمزي عن الاشياء والافعال برسماها ، والتعبير الحركي - الرقص - الذي من الصعب ان يتولد عنه شيء آخر بخلاف اللفظ اللغوي الذي يملك تلك الامكانية ، وليست على هذا الاساس البيئة التي يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ، « مادية » فقط بل ثقافية كذلك فافعال الانسان وكيفية آدائه لها ، لا تتوقف على التكويسن العضوي لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتاثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبثق في التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات

التي تحملها الالفاظ اللغوية في طيها وتوحى بها ، والمشكلات التي تبعث على التقصي والبحث انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ولا تقتصر الاعضاء التي تختص بهذه العلاقات على العين والاذن ، واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعاني المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافي .

تحتل اللفة اذن : في مركب العناصر التي يتألف منها المحيط الثقافي للانسان مكانا ذا دلالة خاصة وهي تؤدي وظيفة ذات دلالة خاصة ايضا فهي في حد ذاتها نظام ثقافي وان شئت بعبارة ادق فقل هي :

ا - الاداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة .

ب - والالفاظ التي تتغفلل خلال الصور ومضموناتها في آن واحد معا اعني الانظمة الثقافية الاخرى ومضموناتها .

ج - وتتميز بتركيب خاص بهالة قابلية التجريد باعتبار اللفة « صورة » من الصور ولهذا التركيب اذا ما تجرد في صورة تأثير حاسم من الوجهة التاريخية .

واللفة التي جاءت بهذا الوضع هي اللفة بأوسع ما اريد لها من معنى ، فاللفة في هذا المعنى المتوسع هي الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى ، وعن طريقها تنتقل وهي ذلك التدوين الذي يديم بقاء الحوادث ويجعلها في متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى فان الافكار او المعاني لا وجود لها الا في رموز يستحيل فهمها ، دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل الرموز نوعا من البقاء الضروري لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم النفساني والعالم الخارجي تنسجم في التعابير المختلفة ، توجد بوجودها وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات ، اي المفعول والفاعل يلتقيان في الشعور الفردي ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسانية ، ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللفة : فن تقني « لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها » ولكن حقيقتها تندمج في حقيقة تاريخية : التاريخ الفكري والنفساني والصناعي والجغرافي

والحيوان ، يقلع « الشمبانزي » غصنا من الشجرة ليستعمله كما يستعمل الانسان : العصا ، لكن الفرق هنا هو ان القرد يستعمل آتته فى الحالة الحاضرة فى حين ان الانسان يخلق بينه وبين الآلة صلات يملكها فيقول : هي لي . هي لك . هي لنا . فيدخرها ثم ينقحها ويطورها ومن هنا يكسبها معاني جديدة وكرد فعل لذلك تكسبه هي بدورها كلمات جديدة أفعالا وأسماء « فهناك « دياليتيك » للتطور الانساني فى علاقاته بالادوات ، يؤثر بها ثم فيها ، وهي بدورها تؤثر فيه ، فالانسان يتطور بقدر ما يطور أدوات العمل .

فالانسان يمتاز عن الحيوان فى علاقاته بالآلات فى كونه يستعملها ، وقد استعملها أمس ويستعملها الآن ، ويحتفظ بها لما بعد وبمجرد ما أصبحت الآلة مصاحبة للانسان متصلة بالتاريخ تكونت حولها ، عادات جماعية نعني أعرافا تقنية تتوارثها الأجيال « صنع الآلة وكيفية استعمالها واصلاحها » والاستعمال مجموعة عمليات تنشأ عنها نتائج يرجوها العامل لفائدة مباشرة او للمبادلة اى الآلة اول واسطة بين الانسان والعالم ، بين الانسان والمجتمع ، فاللغة لا تنتعش الا فى البيئات الفنية بالآلات ، بالاشياء المصنوعة والمكتشفة ، لان كل لغة انما هي أدوات حضارية وان الجد الاول للانسان ، قد استعمل العصا فى الصيد ، وقلد صوت الحيوان ثم تلفظ بمسميات للعصا وللصيد وللصوت وللطير ، فالحياة تدور حول اشباع الحاجيات ، هذا الاشباع يدفع الى العمل والعمل يدفع الى اكتشاف الآلات او الى صنعها ثم ترقيتها .

هكذا تكثر الاتصالات المجتمعة حول اعمال مشتركة فتتجلى مختلف التعبيرات من علامات واشارات ولغات ورموز .

من هذا التحليل نصل الى اصل المعرفة واصل الاحداث التاريخية واصل المجتمع الانساني ، وبالتالي هنا : يبدأ التفكير الفلسفي : ان الفلسفة بطبيعتها وظيفتها تشتغل بمعرفة الانسان والعالم وعلاقاتهما ، فهى تبحث فيهما ، والبحث حديث ، والحديث نقاش كلامي ، والانسان هو الحيوان الذي يتكلم اى يصنع العالم بالالفاظ فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه واما تحديدا لسلوك فردي او جماعي ، فالكلمات كالأوراق النقدية والأسلحة أو الخاتم السحري « يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ورد فعل فى شعور الآخرين ومن هذا التجاوب

للأمة او للامم المتكلمة بهذه اللغة . وتقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعا ، ولكنه ماضى يترسل فى الحاضر مع التأكيد بأن الحاضر لا ينحصر فى الحال بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اى الحال والمستقبل لان ما يقوم به الانسان فى الحاضر انما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس مرادفا للبعيد ، كما ان الحاضر ليس منحصر فى ما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة بل اسم فاعل اى انه الزمن الذي يقع فيه فعل فعليا .

فالحاضر يختلف عن الماضي لان الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ولم يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كي يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم لا غاية فى ذاته ، ان المتكلم يرمي من وراء الكلام ان يفهم المستمع انه يريد تواسلا .

لكن خلافا لما يمكن ان نظنه ان الانسان الاول لم يتكلم ليعبر عن مفاهيم وافكار ولم يتكلم لانه كان له شىء يجب ان يقال بل على العكس لقد فهم وفكر وأفهم لانه تحدث حيث ان ما راج فى خاطره قبل ان يتكلم لم يكن فى شكل اولي يرمي الى قصد وانى له ان يقصد الافهام قبل ان يحصل عنده فهم هو نفسه ؟

ان التفكير واللغة : وجهان لواقع واحد ، ان الجد الاول للانسان لم يعبر عما فكر فيه لانه كان يفكر بل فكر لانه تكلم وهو لم يتحدث الا بعد ان انتهى من الحركة ، فللافعال اى ما يقابل الاسماء الاسبقية والمكان الاول والافعال آخر ما يضيع من الذاكرة ، ان اللعب وهو عمل جماعي من اول الحركات التي يقوم بها الطفل فكل لعب فى الحقيقة ملاعبة ، واداة اللعب بالنسبة للصبي غالبا ما تكون : هو من يلعب معه من أقرانه او من الكبار ، فالاتصال الاول بين الصبي وعالم الاحياء هو الثدي وعند الفطام تلهيه بثدي لا لبن له او بأشياء جامدة . فاللعب عالم مصطنع بين الواقع واللاواقع اى حركات رامزة يتعدى الرمز عند الطفل دور الوساطة ويصبح غاية فى ذاته ، نعني ان الرمز فى الشعور كانه الواقع ويصير الواقع شيئا أجنبيا (5) .

وان اول اداة للتعبير اخترعها الانسان هي الآلة مثل : الحجر والعصا وهذه الأدوات ان هي الا أفعال مجسمة : فالمفعول شىء مشترك بين الانسان

الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية نقل الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل ذات الانسان حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمحصلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث وهو الهدف الاجتماعي والترابط الانساني والتفاهم البشري (7) .

وقد لخص العالم العلامة « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

- 1 - انها تجعل للمعارف والافكار البشرية قيمة اجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .
- 2 - وانها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .
- 3 - وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه ، وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 - وانها تزود الفرد بأدوات التفكير وما كان المجتمع البشري البصير الى ما هو عليه الآن بدون التعاون الفكري لتنظيم حياته . ولا يتأتى هذا التعاون الفكري الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي : لغة الكلام ، وبدونها ينحط التفاهم الى مستوى التعبير عن المدركات المحسوسة والانفعالات الأولية (8)

فاللغة اهم مظهر لوجود الجماعة - والمحافظة على كيانها واذا تدرجنا الى مستويات المجتمعات الحضارية نجد ان اللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات هذا المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للأشياء والافعال وعناصر الوجود المختلفة تتجسد في صورة لفظ واحد مشترك يدل على هذا الشيء او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

فاللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع انما تقع في كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجي الخصيص بأدق المعاني ناشئا تلقائيا من المناشئ العضوية الاولى ، وفي كونها في الوقت نفسه من جهة أخرى تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ، ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور وأن يجري عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم

الشعوري ينتج صدى ، يحرك الطبيعة الخارجية . فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا واحيانا اصلاحا ، واذا لم يتسبب عنها شيء محسوس عند المتكلم ، ربما حصل ذلك عند المستمعين او عند متكلم آخر مرة أخرى فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ بقيمته التداولية ، سواء انتقل الى بائع والى مشتر او لم ينتقل ، « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » فالبحث في الكلمات من حيث تركيبها المادي ، ومدلولاتها المحسوسة وآثارها النفسانية : يلتقي في ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الانسان وحول المعرفة ومن هنا كان التأمل في اللغة فلسفة وعلماء وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز ، اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير هكذا نرى اللغة في نفس الوقت مادة للبحث واداة له اذ انها تأمل ينعكس على ذاته .

واللغة ليست شيئا خاصا بفرد بل ملكا مشتركا انها « بين » بين المرء وشعوره وبين الشعور كحالات واحساسات وبين ابرازها كاحداث ، بين المعنويات والماديات ، بين الأنا والآخرين ، بين الانسان والعالم .

اللغة هي الوسطة العظمى والصفري ، في الغياب والحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون .

اللغة تعبير « الأنا » ونداء للآخرين اي دعوة ودعاء فالمرء يعطي كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام أمام نفسه وأمام المجتمع ، ويقيده سلوكه ، ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل لا كلمة له رجل ينقصه الضمير نعني ان أنسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجية » وربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (6) .

بعد هذه الفذلقة الفلسفية في الكلمة والمفهوم والتعبير ، نعود الى جوانب هامة من اللغة لها ثقلها في الموضوع فاذا اردنا ان نعرف اهداف اللغة المكتوبة والمتكلم بها قال عنها ابن جنس في الخصائص والجرجاني في التعريفات : انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وجدنا انها :

- 1 - اداة التفكير الانساني فالقاموس اللغوي الذاتي يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهه .
- 2 - نقل الافكار والمشاعر من انسان الى آخر .

وهذان الهدفان ينبعثان من ذات الانسان كوجود مستقل ، ويتجهان اثر ذلك اتجاهاين متضادين احدهما:

التخصيص تبدو في وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن أن يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا في وقت واحد .

ومن هناك كان على الفرد ان يعتمد في اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم ، لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم ولا بد للتفاهم من لغة . ولو راقب المرء نفسه يوما واحدا في حقل الاستعمال اللغوي ، لرأى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثاني من وظيفة اللغة : وهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية .

فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك اذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة او فكر بدونها او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها ، ان الشركة في كل اولئك هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (11).

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر القائمة التي تمتاز بما لها من أهمية وخطورة بالفتين . وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة التي تتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضح معالمها ونعت مظاهرها هي اللغة ، فمهمة اللغة هي تمثيل العالم على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تنطوي على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للمعاني ، ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

فاللغة مجلّى للفكر وترجمان له (12). وهي سبيلنا الى استكشاف جوانب الامة التي تتكلمها واستكناه خصائص روحها التي تكمن وراء برانيتها (13) .

ومما يذكر ان انظار العلماء والباحثين اختلفت في تعريف جامع مانع للغة طبقا للمناهج التي يدرسونها . ولذلك نرى فريقا يعرفها على أساس عقلي او نفسي ويمثل هذه المدارس ذلك التعريف الذي يقول ان اللغة استعمال رموز صوتية ، للتعبير

باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة وان شئت فهي مشروع مشترك - لا شك - قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجه ، والهدف لنشوء اللغة ، ولكن الذي لا شك فيه ايضا انها تهتم اول ما تهتم شخصا آخر هو المستمع او اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم الحديث فوسيلة التفاهم بين المتكلم والمستمع تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (9) .

واذا اردنا ان نعرف اللغة تعريفا جامعا مانعا - كما يقول علماء المنطق والاصول - على ضوء تحديد ماهيتها فاننا نجد ذلك في منتهى الصعوبة ولو تحقق الوصول الى تعريف جامع مانع فسنجد اننا انتهينا الى نص لا يمكن ان يكون تعريفا ابدا لان تعدد مظاهر اللغة، من صوتية الى كتابية الى اشارية حركية الى اشارية ضوئية ، الى لغة باللمس على طريقة المكفوفين ، الى غير ذلك ، لا بد ان يفرض على نص التعريف الذي نحاوله ان يطول حتى لا يعود تعريفا اذ يصبح وصفا مسهبا لعدة امور كل منها « لغة » ويبقى بعد ذلك ان يلجأ العلماء في تعريف اللغة الى بيان وظيفتها (10) .

وقد قال في محاولة التعريف بعض العلماء : ان اللغة وسيلة لايضاح الافكار وقد رد العالم « تاليران » على ذلك ، بان اللغة وسيلة لاختفاء الافكار لا لايضاحها

وقد قال علماء آخرون : ان اللغة وسيلة للتعبير . وقد اعترض على هذا التعريف بان المرء قد يتكلم الى نفسه احيانا ، حتى لا يكون بحاجة الى التعبير عن افكاره اذ يكون قد عرفها فعلا وأدركها ادراكا أعمق مما تستطيع كلماته ان تعبر عنه .

وقال بعض العلماء : ان اللغة افراز حركي ضروري للفرد ، وصالح لان يكيّف بالكييفيات الاجتماعية ، وبهذا يمكننا ان نفسر كلام المرء الى نفسه وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : اللغة هي دالة الفكر .

والحقيقة ان اللغة في عمومها ذات وظيفة هامة جدا ، يمكن ان تلخص في امرين :

- 1) امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع .
- 2) امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة

احتياجاتهم في كل أوقاتهم ، ام كان احتياجا ضروريا
كاحتياج الباحث للتعبير عن افكار القائمة بنفسه
لتوصيلها الى اذهان الدارسين .

وان اللغة ذات اثر قوي في حياة المجتمع الانساني
لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس والطريق
لارتباط افراد المجتمع بعضهم ببعض ، والموصل
للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقى الامم في شتى
نواحيها (15) .

وقال العالم « جون لوتز » : الوجود البشري
ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب
سلوك الناس في كل لحظة وترافق المجتمعات في
اطوارها التاريخية المتلاحقة فيصحبها ناموس التغير
الحتمي الذي يجعلها اداة صادقة للتعبير ، باللفظ
والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية
ومعيارا دقيقا لرقيا وانحطاطها في ميدان الثقافة
والعلم والحضارة .

واللغة لذلك لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على
العمل قدرة كاملة وهي لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى تتغير
حروفها واصواتها او صيغتها وبنائها او من ناحية
معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر او تضيف
الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التي
تنطق بها واللغة والتطور عنصران مترابطان وهما سمة
المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل الى تفضيل
لغة على اخرى وانما يكون التفاضل بين الوسائل
المتبعة لتنمية اللغات واغناء تراثها التعميري .

الامة ابدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة
ومفتقرة الى عديد من الالفاظ التي تؤدي المعاني
الحسية والمجردة ؟ فهي تقتصر على التعبير عن تفكير
هذه الامة ووسائلها الثقافية المحدودة وكلما ازداد
تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافة ونمو تطورت لغته
وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظا
مناسبا ، ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته
البيولوجية خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم
المعرفة امرا ممكنا ، وقد اتاح العلم الحديث للغة
ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام
العقلية في صورها النظرية والتطبيقية كما اتاح
للالفاظ المعنوية المجردة انطلاقات جديدة مالت بها
نحو وضوح اكثر وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات
بفضل تقدم الادب والفنون ، غنية بالايحاءات التي

عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ومن مؤسدي
هذه المدرسة العالم الامريكي : ساير .

وينظر علماء المنطق والفلسفة الى اللغة باعتبارها
الوسيلة للتعبير عن الافكار فيقول الاستاذ « جفونز »
في كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان اللغة ثلاث
وظائف :

1 - كونها وسيلة للتوصيل .

ب - كونها مساعدا آليا للتفكير .

ج - كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع الى اللغة باعتبار وظيفتها في
المجتمع فيعرفها العالم اللغوي الامريكسي « ادجار
ستيرتفنت » بأنها : نظام من رموز ملفوظة عرفية
بوساطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية
المعينة .

ومن التأمل في هذه المجموعة من آراء العلماء
يتبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى
ناحية واحدة لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع
الانساني لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ،
وتوصيلها الى الاذهان كما يقول علماء المنطق ، لان
ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس وهم اهل
الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكار ،
وانما هي وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع ،
فاننا نبتين كثيرا من الناس يتكلمون في موضوعات
وليس عندهم نقل افكارهم الى غيرهم وانما يكون
القص من حديثهم الترفيه والتسلية او النظر في
امور تخصهم في ادارة شؤونهم وبذلك يبدو ان رأي
علماء المجتمع بتعريفها تعريفا يناسب مع وظيفتها في
المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة ، واذا كان ذلك
صحيحا ، فينبغي ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة
وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (14) .

وهذا التعريف ذكره الجرجاني في التعريفات ،
وابن جنى في الخصائص وابن منظور في اللسان ،
ومن الملاحظ ان هذا التعريف ، قد تمشى مع وجهة
علماء المجتمع تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هي الا
الرموز الصوتية التي تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير
عما يحتاج اليه انسان في حياته سواء كان احتياجا
عاديا كشؤون الناس ، في حياتهم المتمشية مع

تعمقت اغوار النفس البشرية حتى صار عدد من الفاظ اللغة : عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعاني المجردة واعتمها (16) .

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت في وضوح ان اللغة على الاطلاق هي 'قوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوي « ادوارد ساير » الى ان اللغة هي على الأرجح ، اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الرأي امران : الاول ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري ، لا يتيسر حصوله بدون اللغة . والامر الثاني : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا فريدا للتضامن بين افراد المتكلمين بها (17) .

وقال الفيلسوف « فشته » : ان اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى اخص رغباته وخطراته انها تجعل من الامة الناطقة بها كلاما متراسا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الاجسام وعالم الازهان (18) .

ولنتعمق في مفهوم اللغة فاذا هي اهم واعز ما ملكته النفس البشرية من حيث جريانها في عروق الانسان مجرى الدم ، حتى ان كل تمدد حيالها يعتبر تعديا حيال الشخصية الانسانية ، وهناك من الفلاسفة علماء اجلاء حاولوا تفسير اللغة باصطلاحات فلسفية دقيقة فمن قائل : انها ليست الا مجموعة اختلقها الفكر البشري وامكن تعديلها حسب المبادئ الموضوعية من قبل وقد بذلت جهود جبارة في سبيل ابداع لغات مصطنعة الا انها باءت بالفشل كما شهد بذلك تاريخ الانسانية وكثير من علماء اللغة ، يرون ان نشأة اللغة وازدهارها راجع الى العواطف الانسانية وهذا هو الاقرب الى الصواب ، لان اول مدرسة يرى فيها الطفل هي : مدرسة الامومة وفيها يرضع الطفل من امه اللغة كما يمتص خصائصها الذاتية تماما بتمام .

ويمتاز لسان الانسان بقدرته على التعبير عن الاحاسيس والمشاعر تعبيرا ذا قوة ودلالة ، والفكر الانساني له الاهمية العظيمة في سبيل تقدم اللغة ونموها وازدهارها . فاللغة هي الصق الاشياء بالانسان واعسرها انفكاكا عنه ، وهي الرابطة التي تربط بين انسان ومعاني الحياة والكون والمجتمع .

جاء في « الابنيسد (19) (**) » ان لم يكن النطق موجودا لم نهتد سبيلا الى معرفة الحق ولا الباطل ولا الصدق ولا الكذب ، ولا الفرح ولا السرور ، والفضل لفهمنا لمعنى هذه المظاهر وادراك مفهوم هذه المشاعر يرجع الى النطق ولذلك حق لنا ان نتبصر في النطق ونتعمق فيه (20) .

وقال العالم الهندي « همايون كبير » لعمرى ان ذلك - النطق - من الآلاء التي خصص الله بها الانسان دون سائر خلقه من انه يقدر على تحليل الموقف وتفكيكه ، فاقبسه منه النتائج الممتعة ثم تطبيقها في ظروف اخرى ملائمة حيث دعت الحاجة الى ذلك . ولا شك ان معظم الفضل في ذلك عائد الى لسان الانسان ، وان التقدم في اللغة يدل على مدى التقدم الذي احرزته المجتمع او افراده ونخرج من كل هذا الى ان اساس اللغة ينبعث عن التأثيرات العاطفية وتقدمها ورفيها ، ويرد الى التفسح في الفكر وتغلب البشر العلمي على العالم ، الا انها قد تتسامى فتجاوز حدود العواطف والفكر كليهما ، حيث انها تنشئ رباطا يربطها فترتد وسيطا ومحيطا معا وهي ولا شك اوسع نطاقا وانسج مجالا فان الكل في مجموعته اوسع واكبر من اجزائه (21) فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع اى مجتمع وهي مشروع مشترك قد يكون عنصر من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجة والهدف لنشوء اللغة واللغة تم اول ما تم شخصيا آخر هو المستمع ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من اشتراك يربط بين المتكلم والمخاطب تصبح اللغة عامة وموضوعية .

واللغات في تصنيف بعض علماءها تنقسم على حسب الاجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسيم يعتبره الاختلاط لاشتراك الامم في لغة واحدة او عائلة لغوية واحدة مع انتمائها الى اصول متباعدة وخير منه ان تقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها ، وعوامل التصريف في مفرداتها وتراكيبها ، وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار في تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين : الى لغات التحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق ، فلغات النحت هي التي تتكون فيها الاسماء والافعال والصفات

(**) الابنيسد : مجموعة كتب هندية في الفقه الهندوسي .

واكمل اللغات على سنة التطور والتقدم تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologic وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التركيب والعبارات .

ثم يضاف الى الظواهر الصوتية فى قياس تطور اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص فى الصفات اجمالا وفى المفردات على التعميم كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة وبين الصفات العارضة والصفات اللازمة وهي جميعا من المزاي التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها اليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها السبق على لغات الارتجال الجراف ، فى وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية ، او بالتكرار على غير قياس وشيوع القاعدة فى فعل كل مادة وفى الاسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير فى التعبير ، وتعميمه على الاحداث والمعاني غير موقوف على اصوات الانفعال والمحاكاة ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وامكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي فى كلام المتكلم لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات (22) .

وعلماء اللغات : صنفوا اللغات ويوبوها وحللوها فوجدوا بينها اشباها ، استطاعوا بناء عليها ان يصفوها ثلاثة اصناف على قدر الامكان وهي صنوف ليست متميزة بعضها عن بعض كل التميز ، ولا متفصلة كل التفاصيل .

1 - الصنف الاول : اللغات العازلة : وهي لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة لا تشتق منها كلماتها : انها اسم وفعل وصفة وظرف ، فى آن واحد واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها نغمة عالية او تنطقها نغمة منخفضة او تنطقها متطاولة او تنطقها متقاصرة ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف ، فاللغة الصينية الكنتونية بها ست نغمات وكذا السيامية ، اما لغة برما فلها نغمتان . ومن اللغات العازلة Isolating اللغات الصينية التبتية ، ومن اللغات العازلة كثير من لغات افريقيا ، وهي تبلغ ما بين خمسمائة الى سبعمائة لغة .

بادخال المقاطع الصغيرة او الحاقها بها ، وتسمى لغات النحت احيانا باسم اللغات الفروية فى اصطلاح الاوربيين Agglutinating لان مفرداتها تلصق لهما لتنوع معانيها ، كما تلصق ادوات البناء بالفراء .

ولغات التجميع هي : اللغات التي تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الفروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على « التنعيم » لتنوع المدلول ، والتمييز بين الصفات والظروف وبين الاوقات والاجناس ، وغيرها من معاني الجمع والتثنية والافراد وقد تسمى لغات التجميع احيانا باللغات المنفصلة Isolating لان الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها وانما يتغير المعنى بضم صيغة منها ، الى صيغة اخرى بترتيب متبع او بغير ترتيب يلتزم فى جميع الاحوال ومن فروع هذه اللغات ما تتكون اسماءه وافعاله من جملة تتالف من عدة مقاطع و اجزاء وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysynthetic اما لغات الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي فى كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الاوزان بحسب معانيها ويكثر فيها اختلاف الحركة ، فى اواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع فى اللغات المفولية ولغات القبائل الامريكية الاصلية ، اما الاشتقاق : فهو من خصائص اللغات السامية وتكاد اللغة العربية من بينها ان تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة ، عملت فى تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص لغة دون سائرهما ومن هذه القواعد العامة ان الكلمات الانفعالية التقليدية ، اسبق من الكلمات الارادية الفكرية ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الانسان عفوا من الاصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح او الفزع او الدهشة وما تكون الكلمة منه احيانا من قبيل المحاكاة الصوتية Onomatopoeia كاسم الليل والكوكو والفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الارادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة واطلاق القاعدة الواحدة على التشابهات لفظا او التشابهات لفظا ومعنى .

معين بمجال من القول لا يصح معه استعمال غير هذا الأسلوب أو هذا الترتيب وعليه فمثل هذه اللغات لا تخضع لنظام لازم في ترتيب الكلمات ، نأليف الكلام ، وإنما يفاضل بين نظام ونظام من حيث البلاغة ، ويخصص نظام بمجال يختلف عما يخصص للمجال الآخر من دون أن تكون هناك قواعد لازمة .

2 - اللغات المستقرة : وهي اللغات التي تتبع في ترتيب الكلمات لتأليف الكلام نظاما مستقرا كالانجليزية والفرنسية استقرارا يكاد يقرب من الجمود فليس للمتكلم باحدى هاتين اللغتين أن ينتقل بالكلمة من مكانها المعين في الجملة . واللغات غير المعربة غالبا تتصف أكثر من اللغات المعربة بصفة الاستقرار في نظام ترتيب الكلمات ليتمكن تبين العلاقة والصلة بين الكلمة والتي تليها فللفعل موضع وللفعول آخر وللمفعول ثالث وهكذا .

3 - اللغات الوسط : وهي اللغات التي لا يكون نظام ترتيب الكلمات فيها حرا ، كما في اللغة الإغريقية واللاتينية ولا مقيدا ثابتا ، كما في اللغة الإنجليزية والفرنسية ومن هذه اللغات الوسط اللغة العربية إذ أن نظام ترتيب الكلمات فيها على ثلاثة أضرب ، أحدها : ما عينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفة مخطئا ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الأسلوب العربي كتأخير التمييز عن المميز ، والمضاف إليه عن المضاف ، ثانيهما : ما عينه الواضع أيضا ولكنه قضى به على وجه الإصالة واعتبار ما هو الأولي ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من مصدر الفعل على اسم الذات الواقع عليها والبحث عن اسرار ما كان من قبيل هذين الضربين مثبتا في مدارج علم النحو ، ثالثها : ما لا يقتضيه الوضع على التعيين وجعل أمره دائرا على رعاية ما يناسب المقام وتعيينه بحسب التراكيب المخصصة موكل إلى المعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفاعل لاندادة اختصاصه به وعدم تعلقه بغيره والبحث في هذا القسم ووجوهه المناسبة متدرج في موضوع علم البيان (24) .

ومن اللغات الهندية الأوروبية - وهي غير عازلة - لغات مالت إلى هذا المزاج العازل بعض الشيء لا سيما الإنجليزية ، مثال ذلك لفظ Light انه اسم وفعل وصفة : النور أو ينير أو منير ويفرق بين المعانسي الثلاث موضع اللفظ من الجملة أي السياق .

2 - الصنف الثاني اللغات اللاصقة وهي التي تؤلف الكلمات فيها بالالصق فيتغير معناها ويتبدل والالصق يكون بإضافة مقطعين بعضا إلى بعض فتكون كلمة لها معنى جديد ، أو قد تصنع الكلمة من أكثر من مقطعين . وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو أكثر الصنوف الثلاثة في اللغات عددا ، وهو يتضمن اللغة السومرية القديمة ولغة أورال والقوقاز واللغات الدرفيدية واليابانية والكورية ولغات المحيط الهادي واللغات الأفريقية واللغات الوطنية لمواطني أمريكا الأصليين .

3 - الصنف الثالث : اللغات المتصرفة وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة بتغير بناؤها فتدل على جديد ، كتب ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، اكتب . وما إلى ذلك ، ويدخل في هذا الصنف اللغات الهندية الأوروبية وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية وكذا الحامية ويلاحظ أن بعضا من هذه اللغات المتصرفة Inflected ما يضيف إلى الكلمة مقطعا تصدر به الكلمة فيتغير معناها Prefix أي سابقة ، أو مقطعا تذييل به الكلمة فيتغير معناها Suffix أي لاحقة أو كاسحة وهذا من صفة اللغات اللاصقة ، لا « المتصرفة » ومعنى هذا أن اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة أو متصرفة خالصة ومثال اللغات المتصرفة التي مالت إلى اللصق اللغة الإنجليزية فنقول : Hope ومعناها « الرجا » ونقول Hopeful ومعناها « ملء بالرجاء » ونقول Hopeless ومعناها « لا رجاء فيه » ونقول Sense ومعناها « معنى » ونقول Nonsense ومعناها « لا معنى له » وهلم جرا .

واللغات من حيث مزونة نظام ترتيب الكلمات وعدمه تنقسم إلى ثلاثة أصناف :

1 - اللغات الحرة : وهي اللغات التي لا يخضع نظام ترتيب الكلمات فيها إلى قواعد لازمة كالإغريقية واللاتينية بل تحدها قوانين الأسلوب والمفاضلة بين أسلوب وآخر وتخصيص أسلوب

ينطق الاحفاد بعض الاصوات بطريقة مخالفة لما فعل
اجدادهم واليوم نستطيع ضبط نطق الاصوات بواسطة
آلات مدققة مثل الحاكي Gramophone وماغنتوفون .

وعلاوة على العوامل الطبيعية ، وجد عامل تاريخي
مؤثر في النطق كاختلاط العناصر والشعوب بعضها
ببعض واذا حللنا اسباب اختلاف اللغات وصلنا : الى
نتائج طريفة فاللغات الهندية الآرية ذات الفروع
المتشعبة يختلف بعضها عن بعض الى حد يجعلها تبدو
لاول وهلة غريبة بعضها عن بعض .

فاللغة اليونانية القديمة على كراهيتها للحروف
السكنة المركبة واللغات الصقلية (الصلاوية) ذات
الحروف الساكنة المزدوجة والمثلثة منحدره من
نفس الاصوات الآرية .

واللغة الطاليانية ذات النغمات الموسيقية واللغة
الابانية المحشوة ابتنا عمومة ومن اليسير علينا
كشف هذه العلاقة في كلمتي Inpret الابانية
و Imperafor اللاتينية .

وما هو السبب الذي جعل تلك اللغات تسير في
هذه الطرق المتباينة ؟ اذا عرفنا الظروف المادية التي
كانت تعيش فيها الشعوب القديمة استطعنا تفسير
هذه الظاهرة .

فالاكتشافات الفنية الآلية ساعدت الانسانية
فانقذتها من المضار الناشئة من الطبيعة . لقد كانت
الجماعات البدائية اكثر تعرضا لقوى الطبيعة من نحن
عليه حيث نتمتع بالتدفئة المكيفة والمذياع والطيارة
النفائة الى آخره .

واللغات التي انفصلت عن اصلها المشترك في
العصور القديمة ما لبثت ان منيت بتغييرات اساسية
نشأت عنها لهجات متباينة ، لقد اصدر «دانيال ويست»
في معجمه العظيم منذ اكثر من قرن حكمه على اللغة
الانجليزية فتنبا ان اللغة الانجليزية في امريكا ستنفصل
عن امها - اي اللغة الانجليزية القح - الى حد ان
الانجليز والامريكيين سيكتبون ويتكلمون لغتين
مختلفتين فلا يستطيعون التفاهم .

بيد ان هذا التنبؤ كان مخطئا ؟ ففي خلال ذلك
اخترع البخار والكهرباء والاذاعة وتقدمت الصحافة
فربطت بميثاق من حديد ، ضفتي المحيط الاطلسي
وما زال الشعبان متفاهمين كسابق عهدهما .

وقديما كان مسلك اللسانيات ، تشبيه الكلمات
مع الاخرى يلاحظ بلا نظر الى السلسلة التاريخية
واسباب التطور التي وقعت في مضي الزمن وغيرت
مظاهر اللغات . لكن العلم الجديد يعتبر تطور الاصوات
واسبابه بين اللغات المختلفة لاجل تقربها وتصنيفها.
التشابه الظاهري وحده لا يدل على قرابة اللغات فقط،
انا اضرب مثلا واحدا واعتقد انه يقنع في هذا الصدد
والكلمة الفرنسية Larmes الدموع ، والكلمة الالمانية
Zahre لا تتشابهان مع انهما من اصل واحد وتطورت
الاغريقية واللاتينية Dakinuma عبر القوطية
والالمانية القديمة الى جديدها ، وعلى هذا المسلك
ضبط اللغويون اسر اللغات الى الآرية واورال تارة
والى السامية تارة اخرى .

واللغات الآرية منحدره اصلا من اللغة الهندية
السانسكريتية ولذلك تسمى احيانا الهندية الآرية
ولهذه العائلة ميزة خاصة جديرة بالملاحظة الا وهي
فقرها بالافعال .

وقد يبدو هذا الرأي لاول وهلة غير منطقي
فيتساءل البعض كيف تستطيع تلك اللغات الآرية ان
تعبر عن جميع اساليب الافعال ، والجواب بانها
تستطيع ذلك ولكن باستعمال حروف مستقلة لكل منها
صوت وتكوين مختلف تربط بعضها وساطة مقاطع
شتى تكتب امام اصل الفعل وقد امتازت اللغتان
اليونانية واللاتينية القديمتان بمعين لا ينضب من
الكلمات ، اشتقت منها جميع المصطلحات العلمية في
الحياة الحديثة مع فقرهما في الافعال وكيف حدث
ذلك ؟ لنورد الآن مثلا :

فكلمة نفخ باللاتينية Spirare قد اضيف
امامها مقطع Con ، ومعناها يساوي الحرف « مع »
فاصبحت Conspirare نفخ معه يعني : مؤامرة
واذا اضيف امامها مقطع In ومعناها يساوي
الحرف « في » اصبحت Inspirare ومعناها
« الهم » . واذا اضيف امامها مقطع Ad يعني « الى »
اصبحت Adspirare يعني طمع . هكذا يمكن
استنباط كلمات كثيرة من اصل واحد واللغات المنحدرة
من اللاتينية : الطاليانية والفرنسية والاسبانية واخرى
ورثت هذا النظام اللغوي (25) .

نسال الان : لم كانت اسباب اختلاف اللغات
المنحدرة من اصل واحد ، وجوابنا انه يرجع الى تغيير
البيئة مع عوامل طبيعية « فيزولوجية » وكثيرا ما

ط - اليونانية . هذه هي شجرة اللغات
الاوربية الهندية .

(6) اليابان : كوريا .

(7) الاورال وما اليها .

(8) منغوليا .

(9) الصين وتبت «الهند الصينية» وهي : الصينية ،
تيلاندية ، برماوية ، وما اليها (27) .

هذه اصول لغات العالم وهي تعطي فكرة عامة
عن عائلات لغات الارض المختلفة وما تفرع منها ،
والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ولا شك ان جذورا نشأت منها اللغات ، لكن
التاريخ طواها وهي اليوم تترقد في اعماقه يعجز
الانسان عن استشفافها وليس للانسان الا الحاضر من
هذه اللغات وهذه اللغات الحاضرة انما هي انسال تلك
اللغات البعيدة الفابرة والولد كثيرا ما يحمل من
اجداده سمات تدل عليهم مهما طال الزمن ، بل كل
الكائنات الحية تحمل الخصائص الذاتية لابائها تبعا
لقانون الوراثة مع موافقة قانون التطور العام كذلك
اللغات تطورت مع الزمن تبعا للقانون العام ، الا ان
الخصائص الوراثة تدل على الاصل او ترشد اليه .

واللغة تراث اجتماعي يرثه الجيل اللاحق من
الجيل السابق فهي تراث اجتماعي تقليدي مورث يرثه
ويتطبع عليه ويحاول أن يسير على وفقه كل متكلم لاية
لغة او لهجة .

ولما كانت اللغات هي : مجموعة من الرموز
الاصطلاحية من حيث المفردات ومجموعة من القواعد
النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات
ومجموعة من النظم الاتفاقية التقليدية ايضا - من
حيث تأليف وتركيب تلك المفردات ، فهي لهذا لا تخضع
لمنطق عقلي عام . لانها اصطلاحية ، اتفاقية ، تقليدية ،
موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية
والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين
الناس جميعا الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر ، اما اذا فقد
عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية
التقليدية غير المتفق عليها بين الناس لهذا اختلفت
اللغات ، فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقواعدها
ونظمها ، واللغة لشدة التأثير بها والتطبع عليها تبدو

نعم ان بينهما بعض الفروق في النطق والاسلوب
لكنهما نتيجة التطور التاريخي . ويمكن ان نفرض انه
لولا المخترعات الآلية لانفصلت امريكا عن انجلترا
قبل التاريخ المعروف (26) .

واذا اردنا ان نعرف اصول اللغات وهل هي من
اصل واحد ام من اصول متعددة وجدنا ذلك في منتهى
الصعوبة ، فالعلم لم يكشف الآن اصول اللغات الاولي ولم
يعرف اي الاصول من اللغات التي توصل اليها اصل
الا انه مما لا يسوغ انكاره ان العلم لم يعرف الكلمة
الاخيرة في هذا الموضوع ولعله ياتي بجديد يوصل
الى قديم ، ممتدة جذوره في الماضي السحيق ، ولغات
العالم التي هي من اصول غير معروفة نذكرها فيما يلي :

(1) السامية وفروعها وهي : العربية والحيشية
والحامية والعبرانية والبابلية .

(2) الملاي والبولينيز

(3) الدرافيدية

(4) البنتو

(5) الاوربية الهندية وهذه تفرع الى :

ا - الايرانية الهندية وهي : الافغانية الاردو ،
الهندستانية ، البنغالية ، الكردية -
السيلاية ، الفارسية ، السنسكريت .

ب - السلتية وهي : البولزية ، الارلندية ،
البريتونية .

ج - الالبانية .

د - الجرمانية التيتونية وهي : الدنمركية
الانجليزية ، والالمانية ، السويدية ،
الايسلندية ، النرويجية .

هـ - البلطيك : وهي : اللثوانية والليتية .

و - السلافية وهي : البولندية ، الروسية ،
البلاغارية ، التشيكية ، السلوفاك ،
السلوفين .

ز - الارمنية .

ح - ا - اللاتينية : ب - الايطالية الرومانية
وهي : الرومانية البرتغالية ، الاسبانية ،
الفرنسية ، الطليانية .

لتكلمها وكأنها من الأمور الطبيعية . ويبدو ما يخالفها شاذاً غريباً لا يقبلونه الا في حدود معينة (28) .

النمو والتطور :

حياة الانسان لا تستقر على حال : علومه تتطور وأفكاره تتسع ، وحضارته تتقدم ، وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الاخرى تتطور وتتقدم ، وهذا يعني انه في حياة الانسان الجديد من المعاني التي تتطلب وضع الفاظ لها ، لهذا يلجأ الانسان الى لفته ، بمفرداتها وقواعدها ، يستعين بها يضع لهذه المعاني الفاظاً او ينقل الفاظاً من معانيها التي وضعت لها الى هذه المعاني الجديدة لتدل عليها فان لم يجد الانسان في لفته ما يسعفه لجأ الى الاقتراض من لغات اخرى ، وقد يصقل ما يقترض بمصقل لفته لينتظم فيها وكأنه منها ، ولا يقتصر الامر على الالفاظ بل يتعداها الى الاساليب فهي الاخرى تنمو وتتطور . فاذا بأساليب لا تعرفها اللغة في زمانها السابق تدخل في زمان لاحق كل ذلك لان حياة الانسان تنمو وتتطور ، واللغة أداة ووسيلة فلا بد لها من ان تسير تطور الانسان والامات لان حياتها بوفائها .

والذي يرجع منا الى صورته وهو طفل وصورته وهو شيخ طاعن في السن وصورته وهو شاب أو صبي أو كهل يرى التغير والتبدل الذي اصاب كيانه واضحا فيما تنطق به الصور ولكن الانسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو في يومه ويعلق في ذهنه عن اسمه بعضه لا كله واللغات شأنها شأن الانسان ، فهي تتطور وتغير وتتبدل وكل هذا يحدث في البنية اللغوية في الامس القابر واليسوم المائل .

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الانسان ، اذ منها ما بين مولدها وعصرنا المئات من السنين فنصفها بانها حديثة وما هي بالحديثة . واخرى ما بين مولدها وعصرنا الالوف من السنين ونصفها بانها قديمة وما هي بالقديمة ، لاننا اذا رجعنا الى اصولها او الى اصل الاصول كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بل الملايين منها ، فهل يمكن ان يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل في هذا الامتداد الزمني ؟ الحقيقة لا ، اما لماذا ؟ فالاسباب :

ان اللغة الام لم تخلف لنا الآثار ما يدل عليها وبتطور الانسان تطورت لفته الى لغات وكان التطور

تدرجياً . ففسي الانسان امس لفته وعاش حاضرها فانقرض ما انقرض وعفى الزمان على ما انقرض فنسيته الاجيال ، اما بالنسبة لاصول لغات عالمنا الحديث فالتى ولدتها ام وكانت ولادتها حديثة . عرف اصنفا اي امها كاللغات المولودة من اللاتينية . اما ما كانت ولادتها قديمة : فقد نسيتم امها . ومن اللغات ما دوت مفرداتها وقواعدها ونظمها اللغوية في الاسفار . ومنها ما خلف امها آثارا فأمكن ان نتيين بعض - لا كل - صور تطورها وتغيرها وتبدلها . ومنها ما لم يدون في الاسفار ولم يخلف امها الآثار . فلا تعرف عنها الا صورتها الحاضرة ان لم تكن قد انقرضت . ونعود الى لغات العالم التي تحتفظ بصور تغيرها وتبدلها وتطورها ونسأل هل تعطي هذه الصور واقعا يطابق واقع اللغة وهي تتطور وتتبدل في الامتداد الزمني لهذا التطور والتبدل ، الحقيقة لا : لان هذه الصور نسبية تماما كصورة الشيء لا تعني انها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته فكم من الالفاظ بادت . وكم من الاساليب عفى عليها الزمن . وكم من القواعد والنظم لم تصل اليها اجهزة المصور اللغوي فانساها الزمن .

وسؤال آخر يقفز الى الذهن ويتطلب الجواب !

ما هي اسباب النمو والتطور والتبدل والتغير والانقراض في اللغات ؟ والجواب على ذلك اننا نجد اهم تلك الاسباب فيما ياتي :

- (1) النمو والتطور والتغير والتبدل في حياة الانسان نفسه وهذا يدفعه الى ان يضع لما يجد من جديد الفاظا واساليب ونظما لغوية .
- (2) نقل الالفاظ الموضوعية للمعاني : فتناول الزمان يدعو الى وضع الفاظ جديدة .
- (3) من المعاني ما يرتبط بعصر من العصور فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكري والحضاري للجيل اللاحق فتهمل ثم تنسى باهمال الفاظها .
- (4) عدم وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكري والعلمي والادبي وازاء ذلك يضطر الانسان الى ان يغير ويبدل أو يهجر لفته .
- (5) التحريف والتغيير والتبدل في اللغة قد يستقر في دلالاته فيخرج الاصيل حتى ينسى .

- (3) افتراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة ولا يكون ذلك عن عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .
- (4) استعارة اساليب او تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك فى اللغة العربية ذر الرماد فى العيون ، وعاش ستة عشر ربيعا ، وضع المسألة على بساط البحث ، ولا جديد تحست الشمس وساد الامن فى البلاد .
- ومن امثلة ذلك ايضا الاصطلاحات الفنية والادارية : كهياة المحكمة وتشكيل المحاكم وانعقدت المحاكم ، وتعريفه الرسوم ، واللاسلكي والانهائى .
- (5) تبدلات فرعية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس او سماع .
- (6) ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة . لهذا قد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات او اللهجات المولدة ، وتهجر اللغة الام .
- (7) تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .
- (8) تجاوز الامم واختلاط الشعوب سبب من اسباب تطور الالفة ونموها فتتعرض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقتضى مما ليس موجودا فيها .
- (9) تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، او تتاثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .
- (10) انقراض الامم والشعوب يؤدي الى انقراض لغاتها لان اللغات ترتبط بمتكلمها فاذا انقرضوا انقرضت .

مقياس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بأنها : حية ، ومنها ما توصف بأنها : ميتة ، والميتة هي اللغة التي تشتت الشعب الذي يتكلمها فخالط امما وشعوبا مختلفة اللغات ، وكان ان مسخت لغة الشعب الميتة . وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها وذاتيتها ويتكلمها الملايين وهذا الذي هو يدعونا الى التساؤل . ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

مما يجاب على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون فى المقاييس التي تعتبر اللغة : لغة حية وللأختلاف أسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، اللغة التي يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها واساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية ، لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين ، هي وسيلة للتعبير والتفاهم . وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التي يرتضيها . ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر فى اللغة بالاضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهو ان تكون اللغة سهلة فى قواعدها مرنة فى اساليبها ونظمها ، وعلى اساس هذا المقياس للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل فى اللغة ما شاء الا فى حدود ضيقة كان يجري تأليف وترتيب

- (11) تشتت الامة والشعب يؤدي الى تاثر لغتها او لغته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتقة .
- (12) بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها ومرونة اساليبها وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر لغاتها اذا كانت قواعدها واساليبها شديدة التعقيد .
- نواحي التطور والتغير اللغوي :

- (1) التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك بأن يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ فى لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه فى مصر وفيهما فى العراق وكذلك فى مصر نفسها حرف الجيم يلفظ فى الصعيد بصوت يختلف عنه فى القاهرة كذا حرف القاف والضاد ، او ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .
- (2) توسيع القاعدة اللغوية وذلك بأن يخضع اهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم او توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام للمؤلف منها
معناه العام .

ان الحياة تتطور وفي تطور مستمر واللغة ينبغي
لها ان تسير هذا وهي وسيلة للمجتمع ان يختار تلك
الوسيلة . ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع
وتقف حجر عثرة امام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس ، بل
يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم
وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية ،
والمقائدية هو المقياس .

فاللغة التي تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء
العلماء لاممهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا في لغتهم
كيفما شاءوا . بل لا بد ان يكون التطور والتغيير في
اللغة يجري على اساس من قواعدها واساليبها اللازمة
الاتباع . وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم
العلمي والفكري والادبي والحضاري ، ويربطون بينها
وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم واهدافهم
في الحياة (29) .

نشأة اللغة الانسانية :

قد كثر القائلون والباحثون في نشأة اللغة
الانسانية واصلها منذ اقدم العصور - ولا زال علماء
اللغات يدرسون ويبحثون - ولقد عالجهما فلاسفة
اليونان وعلماء اللغة العربية والاسلام ، واهتم بها
الباحثون من الاوربيين ومشى على آثارهم كثير ممن
أخذ عنهم وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم
وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات
كثيرة منها .

المذهب الاول :

ان اللغة الهام وتعليم من الله : بمعنى ان الواضع
للغات هو الله سبحانه وتعالى ، وقد بلغها الانسان
بطريق الوحي والالهام او بابداع ذلك في طباعه .

(1) وذهب الى هذا الرأي جماعة من المفسرين
وقد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين في تفسير
الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم
آدم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية
والمفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك

من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بهائم ان
ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت
عليه واضمحلت عما سواها لبعدهم عنها واذا كان
الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده
والانطواء على القول به (30) .

وعن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء
كلها ، وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة
وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من
الامم وغيرها . وعن مجاهد انه قال : علمه اسم كل
شيء . وقال غيرهما : انما علمه اسماء الملائكة . وقال
آخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين .

(2) وممن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال
الأمدي حاكيا آراء العلماء في ذلك : اختلف الاصوليون
فذهب الاشعري وأهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى
ان الواضع هو الله ووضع لنا متلقى من جهة التوقيف
اما بالوحي او بان يخلق الله الاصوات والحروف
ويسمها لواحد او لجماعة ويخلق له اولهم : العلم
الضروري بأنها قصدت للدلالة على المعاني محتجين
على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما
علمتنا » وهذا يدل على ان آدم ، والملائكة لا يعلمون
الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرأ باسم
ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك
الاکرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »
واللغات داخلة في هذه المعلومات ومنها قوله تعالى :
« ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآبؤؤكم ، ما انزل الله
بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير
توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السننكم » . المراد به اللغات لا
نفس اختلاف هيئات الجوارح من الالسنة لان اختلاف
اللغات ابلغ في مقصود الآية (31) .

(3) وذهبت طائفة من علماء اللغة الى مثل ما ذهب اليه
المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى في الخصائص
عن استاذه ابي علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال:
ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله
واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » (32) .

وايد ابن جنى هذا الرأي فقد جاء عنه في
الخصائص : واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت
دائم التنقيح والبحث عن هذا الوضع فأجد الدواعي
والخوارج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التناول على

فكري وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقّة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه اصحابنا ومنه ما حدوته على أمثلتهم فعرفت بتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به وانضاف الى ذلك ، وارد الاخبار الماثورة بانها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (33) .

(4) وقال ابو الحسين احمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف واستدل بالآية : « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن ابو الحسين بعد ان اطلق كلامه هذا الاطلاق ، رجح فخصص ما عمم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد ، وليس الامر كذلك بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ، ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم - فاتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (34) .

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متعمل ، وجد من تقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولقد بلغنا عن ابي الاسود ان امرا كلمه ببعض ما انكره ابو الاسود ، فسأله ابي الاسود عنه فقال هذه لغة لم تبلغك . فقال ابو الاسود يا ابن اخي لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (35) .

وقد كان في الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تقدمهم .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي ان اكثر ما استدل به اصحاب هذا المذهب أدلة دينية مع ان البحث نظري عقلي لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها . على ان الآية الاولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا

في الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل اكثر من وجه ، فقد يمكن تأويلها : بان الله اقدر آدم على ان واضع عليها . قال ابن جنى في الخصائص بعد ان اورد الآية : وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان ابو علي رحمه الله ايضا قال به في بعض كلامه وليس يعنينا ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جنى وخلصته انه رأى في احكام اللغوية ودقة تنظيمها ما جعله يعتقد ان ذلك الاحكام لا يتأتى من غير الله . وهذا الدليل ان لم يكن صريحا في التدين ، فهو مقنع بقناع الدين ، فان كثيرا من اعمال القدماء كالاكراه وغيرها آية في دقة الصنع فهل نقول ان صانعها هو الله من اجل اتقانها ، على ان ابن جنى نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سقناه لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله : كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه عنا ، من هم الطف منا اذهاننا وأسرع خواطر واجرا جنانا فاقف بين الخلتين حسيزا واكثرهما فانكفسي مكشورا ، وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها ، قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام ابي الحسين احمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة ، وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدغوى ، واما انكاره على العرب انهم اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء ، مصطلحين عليه فيكفي في رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان روبة المعجاج وجريرا وابن احمر الباهلي ، انعد كل منهم بالفاظ لم يقلها غيره من العرب وانهم كانوا يرتجلون اللغة احيانا . فهذا دليل على استمرار نهر اللغة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان تسيل سيول المعجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر في العصر العباسي وليست المواضع والاصطلاح والتواطؤ الذي يريده القائلون به الا ان يخترع اللفظ مخترع فيقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بان اصل اللغة توقيف ووحى يعوزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين ايديهم من فروض واحتمالات .

واستأذنه أبو علي الفارسي منهم كما ذكر السيوطي في كتاب المزهر .

1 - حكى أبو الحسن علي بن محمد الأمدي في كتاب الاحكام أن البهشية وجماعة من المتكلمين ذهبوا الى أن ذلك من وضع أهل اللغات واصطلاحهم وأن واحدا أو جماعة انبعث داعيته أو داعيتهم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها ، ثم حصل تعريف الباقيين بالاشارة والتكرار كما يفعل الوالد بالولد الرضيع وكما يعرف الاخرس ما في ضميره بالاشارة والتكرار مرة بعد اخرى محتجين على ذلك بقوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (40) .

2 - وزاد ابن جنى على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا الى ان اصل اللغة لا يد فيه من المواضع وذلك كان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا الى الابانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا ، فاذا ذكر عرف به ما سماه ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين فيكون ذلك اقرب واخف واسهل من تكلف احضاره لبلوغ الغرض في ابانة حالة بل قد يحتاج في كثير من الاحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ، ولا ادناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جاز في الاستحالة والبعد مجرأ . فكانهم جاءوا الى واحد من بنى آدم فاومئوا اليه وقالوا : « انسان انسان انسان » فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق وأن أرادوا سمة عينه او يده اشاروا الى ذلك فقالوا : يد عين رأس قدم او نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف ثم لك بعد ذلك ان تنقل هذه المواضع الى غيرها فتقول الذي انسان فليجعل مكانه مرد والذي اسمه : رأس فليجعل مكانه سر . وعلى هذا بقية الكلام . وكذلك لو بدت اللغة الفارسية فوقعت المواضع عليها لجاز أن تنقل وينولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما . وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الاسماء كالنجارة والصانع والحائك والبناء وكذلك الملاح ، قالوا : ولكن لا بد لاولها من أن يكون متواضعا بالمشاهدة والاياء (41) .

وعلى ذلك اختلفت اقلام ذوي اللغات ، كما اختلفت انفس الاصوات المرتبة على مذاهبهم في

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الادبيين المحدثين طائفة على رأسهم الاب « لامي » في كتابه « فن الكلام » ويستند الى نص الفقرتين 19 ، 20 من الاصحاح الثاني من سفر التكوين وهما : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الانسان فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»

وهذا الدليل فوق انه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على اصل الدعوى وقد بان من هذا ومما تقدم أن هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الأدلة الثقيلة التي ليست نصا في الموضوع (37) .

ولكن بعض العلماء توصل الى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الأدلة الثقيلة وهذا الدليل ان الانسان الاول لما كان نبيا - فهو لا يد له ، لكي يتفهم ما يوحى اليه ولا يبلغ رسالته من لغة يستطيع بها تفهم وابلاغ رسالته، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق أبا البشر وأصل الخليقة آدم عليه السلام وأسكنه وزوجته الجنة ، وأوحى اليه هو وزوجه ان ياكلا من الجنة حيث شاءا - وأن لا يقربا شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به ، فلا بد من غير شك انه علمهم معاني ما خاطبهما به ، وما أوحى به اليهما بل الظاهر انه سبحانه علمهما ما يتخاطبا به فيما بينهما أو مع الملائكة وذلك لاتمام النعمة عليهما في الجنة .

نعم من الجائز أن الله أودع في آدم وذريته الاولين قوة توسيع اللغة الاصلية ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية في اقطار المعمورة فكان لكل كتلة منهم لغتها ولهجتها ونفمتها الخاصة (38)

المذهب الثاني :

ان اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب ان الواضع للغة هو الانسان وان وضعه لها كان على مراحل . ولقد ذهب الى هذا المذهب اكثر اهل النظر كما قال ابن جنى في الخصائص : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير ان اكثر اهل النظر على أن اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف (39)

ولعل المراد بأهل النظر في كلام ابن جنى المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكان ابن جنى

المواضع . وتوسط قوم بين المذهبين فذهب أبو اسحاق الاسفرايني . الى ان القدر الذي يدعوه به الانسان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلو كان بالاصطلاح ، فالاصطلاح عليه متوقف على ما يدعوه به الانسان غيره الى الاصطلاح على ذلك الامر . فان كان باصطلاح لزم التسلسل وهو ممتنع ، فلم يبق غير التوقيف . وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقتين (42) .

وخلاصة الرد على اصحاب هذا المذهب : في ان قولهم : باجتماع حكيمين او ثلاثة فصاعدا ليضعوا لكل شيء سمة ولفظا ليس الا مجرد خيال وحس وظن لا يفني من الحق شيئا ، ذلك الى ان القول بأن الانسان وضع من اول الامر كلمات ذات مقاطع مركبة يجافي طبائع الاشياء اذ ان التدرج والترقي من البسيط الى المركب هو القانون الملحوظ في نشأة الظواهر الاجتماعية التي من أهمها ظاهرة اللغة كما يلاحظ ذلك في نشأة لغة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل لانه يجوز ان يكون التوقيف الذي قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللغة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية في مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين فذهب القاضي : أبو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق ، الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه ، لم يلزم عنه محال لذاته واما وقوع البعض دون البعض فليس عليه دليل قاطع والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التعمين - ولذلك ايضا قال الأمدي : والحق ان يقال ان كان المطلوب في هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب ، فالحق ما قاله أبو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها (43) .

المذهب الثالث :

ان اللغة نشأت من الاصوات ويرى هذا العلماء الأوربيون المحدثون ، وسبق اليه علماء اللغة العربية قال ابن جنى في الخصائص : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات . كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي - صوت

تيس الظباء عند السفاد - ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد (44) . ويقول ابن جنى : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل (45) .

ويرى الأب انتناس ماري الكرملني نفس هذا الرأي ويقول : الكلم وضعت في اول امرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة الاصوات الطبيعية (46) .

وهذا المذهب قال به جماعة من المتأخرين مثل : « آدم سمي » و « دوكر ستيورت » ونقل عنهم ان الانسان كان يعبر عما في ضميره بالاشارات والحركات حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التي يسمعا فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال : غاق ، ولما وجد حكاية الاصوات هذه تفي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها اصوات اللغة ، ثم طرا عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتألفت سائر الفاظ اللغة عن كل خاطر يخطر في النفس (47) .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا اراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه « عو عو » وهكذا . واذا اراد الدلالة على معنى قطع الفصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قضى » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة . وقد قال الخليل : كأنهم توهوا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : « صر » وتوهوا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : « صر صر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم في هذا الطور الاول بكلمات مقطعة لا بجمل وان هذه الكلمات كانت حكاية لاصوات الاشياء او حكاية افعال اما الحرف التي تربط بين الكلمات في الجمل ، فلم تكن نشأت بعد (48) .

فان ترى ان اللغة نشأت بمحاكاة الانسان للاصوات الطبيعية وكانت المحاكاة في اول امرها عضوية . اي لم يقصد بالاصوات الحكاية التعبير عن المعاني المحكي عنها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز في اول الامر . ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة ونافعة وسهلة في دلالتها على المعاني ، لهذا اصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لاصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللانصال بالغير ، فمعنى هذا ان استعمال الانسان للاصوات الحكاية اصبح استعمالا لا شعوريا اراديا هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة ثم طرا على الاصوات الحكاية الدالة : التركيب والنحت والحذف

ووسوسة النقود والحلى وصرير الابواب وصلصلة
الاجراس وما اشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التي
اخترعها الانسان لدعاء الحيوان او لجزره ، وتنقسم
الاصوات من حيث صفاتها الى اصوات ساذجة وهي
التي تمتد في استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة
الانذار عند انتهاء الغارات وكصفير الحيوان او الانسان
من غير ترجيع ولا تكرير . وهذا النوع ليس موضوع
بحث اللغويين ، والى اصوات مقطعة كالحروف التي
يلفظها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج
وكالاصوات الطبيعية التي سبقت الإشارة إليها فانها
وان صدرت عن اشياء لا مقاطع لها كمقاطع الانسان فقد
تمكن حكايتها بالالفاظ الانسانية المؤلفة من الحروف ،
فلما اشبهت الاصوات اللغوية الانسانية ذات المقاطع
والحروف جرت عليها احكامها (50) .

وهناك من العلماء من يقرر ان اصل اللغة الانفعالية
للانسان ، التي كان يطلقها الانسان في ظروف حياته
البدائية وهي تختلف باختلاف حالاته النفسية
والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به . وكانت
تلك الاصوات في بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال
بالغير ، بل هي مجرد اصوات تصدر عنه كتعبير عن
حالة من حالاته الانفعالية ولما ارتبطت هذه الاصوات
بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكررهما ، عند تعرضه
لها انتبه الى اهمية هذه الاصوات وفائدتها ، فأخذ
يستعملها للاتصال بالغير وبهذا أصبح الصوت يخدم
غرضاً اجتماعياً وكان ان وسع مجال الصوت في
الدلالة على الاشياء تدريجياً وهكذا نشأت اللغة (51) .

المنهج الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدين ان اصل اللغة
يرجع الى جذور نفسية وفي هذا عدة نظريات :

(1) اصل اللغة رغبة الانسان في ان يرى الواقع
مرموزاً اليه . وفي ذلك نجد الاستاذ سابر
يرى ان الحاجة الى التفاهم انشأت اللغة ، بل
Sapir وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا
يرى ان منشأها رغبة الانسان في ان يرى الواقع
مرموزاً اليه او معبراً عنه بالرموز ، ثم اكتشف
مصادفة ان ذلك خير وسيلة للتفاهم (52) .

(2) اصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

والزيادة والقلب والابدال ، ليدل الانسان على معاني
جديدة بأصوات متميزة . بعد ان التفت الى اهمية
وفائدة الرموز الصوتية في الدلالة على المعاني
الصوتية وغير الصوتية المادية وغير المادية ، وكان
هذا على مراحل . ثم ان التصرف في الاصوات
الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد
والقبائل والبيئات الاجتماعية ثم اقرت هذه الاصوات
المتصرف بها مع الزمن فبعد كثير منها عن أصله وهو
الصوت الذي حاكى به الانسان الاصوات الطبيعية
وهكذا نشأت اللغة (49) .

ويستدل اصحاب هذا المذهب على صحته :

(1) بأنه اقرب المذاهب الى البساطة التي تقتضيها
حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور
الذي تقتضي به طبائع الاشياء والذي يلحظ في
نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

(2) وبأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما
تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر في لغات
الامم الاولية .

(3) وبأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التي تتدرج من
الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات
المقطعة ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع
المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد على
المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب
الى العقل وان لم يوصل الى اليقين في نشأة اللغات
وقد ارتضاه ابن جنى في كتابه الخصائص حين قال :
وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذي
ينتقل بالهواء الى حاسة السمع . وتنقسم هذه
الاصوات بحسب المصدر الذي تنبعث عنه . الى
قسمين : الاول : الاصوات الطبيعية كصوت الريح او
الرعد او النار ، او جري المياه وانصبابها من علو الى
اسفل ، وكاصوات الحيوان والطيور والاصوات التي
تسمع من الانسان في احوال الانفعال كالانين والصراخ
والعويل وكأصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الاصوات غير الطبيعية كأصوات
الحركات والافعال التي يفعلها الانسان وأصوات
الآلات والادوات التي يستعملها كآييز الطائرات
وجمجة الطواحين وصوت المنشار في الخشب

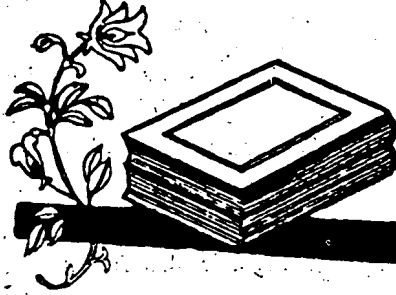
يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك وكان ان
وسع من نطاقها وظواهرها لتخدم اغراضه التي يمكن
ان تؤديها .

المذهب الخامس :

الاصل الاجتماعي وخلصته : ان اللغة نشأت
بظهور البذرة الاولى لتكون المجتمع وان الانسان كان
مضطرا لان يتفاهم مع الاخرين لاسباب ودوافع كثيرة
لهذا كان يطلق اصواتا في حالات مختلفة ثم اكتسبت
هذه الاصوات صفة التباين النسبي حتى اصبحت
لها دلالتها على معان معينة (54) . فأخذ يستعملها
للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما فنشأة
المجتمع هي سبب نشأة اللغة .

(3) اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفي هذا
يقول « ماكسي » وهو من اشهر من قال بهذه النظرية
في القرن الماضي 1863 م « في الانسان قوة من
شأنها التعبير عما في ضميره بكلمات ملفوظة فكان
الفكر اول ما يجول في دماغه ، كانه يقرع تلك القوة
فتصوت بالفاظ يفهم الفكر منها . وهذه الالفاظ هي
اصول اللغة ثم تقلبت عليها اطوار التعبير والتركيب
فتألفت مفردات اللغة ولما تم الاستنباط درج عليها
الاستعمال ولم يبق لهذه القوة من حاجة فأهملت
وتضعفت ولم تعد تحس كما يضعف السمع والبصر
لقلة الاستعمال (53) .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب عوامل
ودوافع نفسية بنة ثم وجد الانسان الاول ان اللغة



المصادر

- 1 — مجلة المعرفة - السنة الأولى ج 3 ، ص 11، مايو 1970 السعودية
- 2 — الخصائص لابن جني - ج 1 ، ص 31 ، طبعة الهلال بمصر 1331 هـ
- 3 — مجلة النجف - السنة الثانية ج 6 ، ص 47 ، تموز 1968 العراق
- 4 — مجلة اللسان العربي - العدد 3 ، ص 54 ، المغرب 1385 هـ
- 5 — مجلة دعوة الحق - السنة 6 ، العدد 5 ، ص 38 المغرب 1382 هـ
- 6 — نفس المصدر - ص 39 - 40 .
- 7 — مجلة اللسان العربي - العدد 3 ، ص 55 .
- 8 — كتاب اللغة العربية لعبد العزيز عبد المجيد ج 1 ص 19-20 القاهرة
- 9 — مجلة اللسان العربي - العدد 3 ، ص 55 ، الرباط .
- 10 — مجلة المجلة - العدد 114 يونيه 1966 ، القاهرة .
- 11 — مجلة المجلة - العدد 114 ، مقال الدكتور تمام حسان .
- 12 — مجلة المنار للسيد رشيد رضا - المجلد 3 ، ص 303 ، القاهرة .
- 13 — مجلة منبر الاسلام - 1961 ، القاهرة .
- 14 — الخصائص لابن جني - ج 1 ، ص 31 ، القاهرة .
- 15 — اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا - مطبعة السعادة بمصر .
- 16 — مجلة اللسان العربي - العدد الاول ، ص 28 ، المغرب .
- 17 — فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ، القاهرة .
- 18 — تراث الانسانية - العدد 3 ، المجلد الثاني ، القاهرة .
- 19 — الإنيشد - مجموعة كتب هندية في الفقه الهندي ، ثقافة الهند .
- 20 — مجلة ثقافة الهند - المجلد 11 ، الهند .
- 21 — المصدر السابق .
- 22 — اشنتات مجتمعات في اللغة والادب - عباس العقاد ، مصر .
- 23 — مجلة العربي - العدد 98 ، الكويت .
- 24 — مجلة النجف - العدد السادس ، ص 8 ، السنة الثانية ، العراق .
- 25 — مؤتمر مجمع اللغة الدورة 26 ، ص 18 ، القاهرة .
- 26 — نفس المصدر - ص 19 .
- 27 — العربي - العدد 98 ، الكويت .
- 28 — مجلة النجف - العدد 6 ، السنة الثانية ، ص 72 ، العراق .
- 29 — المصدر السابق ، ص 85 - 86 .
- 30 — الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص 39 - 40 ، القاهرة .
- 31 — الاحكام في اصول الاحكام للأمدي ، ص 105 ، القاهرة .
- 32 — الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص 39 .
- 33 — المصدر السابق ، ص 45 .
- 34 — الصاحب في فقه اللغة ، ص 5 ، بيروت .
- 35 — المصدر السابق .
- 36 — نفس المصدر ، ص 7 .
- 37 — المعرفة السعودية - السنة الأولى - العدد 3 ، السعودية .
- 38 — مجلة النجف - العدد 6 ، ص 38 - 40 ، السنة الثانية ، العراق .
- 39 — الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص 39 .
- 40 — مجلة المعرفة - العدد 3 ، السنة الأولى ، السعودية .

- 41 — الخصائص لابن جنى ، ج 1 ، ص 41 - 42 .
- 42 — الاحكام للامدي ، ج 1 ، ص 106 .
- 43 — المعرفة السعودية - السنة الاولى ، ج 3 .
- 44 — الخصائص لابن جنى ، ج 1 ، ص 44 - 45 .
- 45 — المصدر السابق ، ص 45 .
- 46 — دراسات فى فقه اللغة ، ص 155 ، العراق .
- 47 — معجم متن اللغة ، ج 1 ، ص 18 .
- 48 — المعرفة السعودية - السنة الاولى - العدد 3 .
- 49 — النجف العراقية - العدد السادس ، ص 50 - 51 .
- 50 — المعرفة السعودية - السعودية .
- 51 — النجف - العدد السادس ، ص 51 ، العراق .
- 52 — اصول تدريس اللغة العربية - ص 10 ، العراق .
- 53 — معجم متن اللغة - ج 1 ، ص 19 ، العراق .
- 54 — النجف - العدد السادس ، ص 53 ، العراق .
- 55 — المزهر للسيوطي - ج 1 ، ص 36 ، القاهرة .

نشأة اللغة العربية ومصادرها

والقراية بين اللغات السامية واضحة بينة وهي اوضح وامتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندوأوربية » او الهند جرمانية على حد تعبير بعض العلماء .

وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية ولقد ادرك مستشرقوا القرن السابع عشر من امثال هوتنكر Hottinger (1620 - 1667) وبخسارت Bochart والبرت سولتنس Albert Schultens (1686 - 1750 م) ولودلف Ludolf وكاسل Edmcastell (1606 - 1685) بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات واشاروا اليها ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها ، بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج والى التنويه بها فقد تحدث عالم يهودي اسمه ياهودا بن قريش lehuda ben Koraish وهو ممن عاشوا في اوائل القرن العاشر تحدث عن القراية التي تجمع بين اللغات السامية وعن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك الالسن . كما ابدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة عن الاسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات (2) .

ولقدماء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية في قدم لغات ابناء سام فتعصبوا للفتهم وحملهم تعصبهم هذا وتقديسهم للفتهم على تفضيلهم لفتهم هذه على سائر لغات ابناء آدم بل لم يقبل بعضهم ذلك ايضا فوجدوه قليلا لا يليق بجلال لغته فجمعل لفته لغة آدم في الجنة ولغة البشر بعد الموت ، ولغة السماء ، وهكذا صارت العبرانية سيدة اللغات وارقاها ولغة الوحي ولغة آدم في كتب الاجبار ، وهكذا صارت

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب هي فروع من مجموعة لغات ، عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد اولع بعض المستشرقين بدراسة هذه اللغات ، فالفوا فيها كتبا وابحاثا وانشأوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسمون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات Semitistik وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية تتناولها بفض النظر عن وجود اللغة او عدم وجودها في هذا العصر . فالبحت علم والعلوم تبحث عن المعرفة دون تقييد بزمان او بمكان وينفق علماء الساميات مجهودا كبيرا في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة وما بينها وما بين اللغات الاخرى من فروق او تطابق او تشابه .

وترجع تسمية السامية الى عالم الماني اسمه شلوتسر Schlotzer فهو اول من استعمل السامية في بحوثه في تاريخ الروم القديم ، ويمود فضل ايجاده الى شجرة انساب الامم الواردة في التوراة والتي ترجع انساب البشر الى ابناء نوح الثلاثة: سام وحام ويافت « سفر التكوين . الاصحاح العاشر »

فاطلق العالم شلوتسر لفظ السامية على جملة شعوب رجعت التوراة نسبها الى سام بن نوح وشاعت التسمية منذ ذلك الحين وخاصة باستعمال المستشرق الالماني ايسن هورن Eichhorn وادخاله اياها في مؤلفاته وبحوثه واستعملها غيره من العلماء الالمان والانجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ذا مدلول معين مفهوم ثم وجد هذا المصطلح سبيله الى الامم المنتشرة في آسيا وافريقيا (1) .

لغة بني آرم عند علماء بني آرم والمتعصبين لها : لفظة آدم ، وأقدم اللغات على الإطلاق ، وسرت هذه النظرية الى غيرهم من الناس ، ونظرة مثل هذا لا تقبل بالطبع وبأي حال من الأحوال (3) .

وللمستشرقين آراء في اقرب اللغات السامية الى الاصل . فذهب بعضهم الى ان العبرانية هي اكثر تلك اللغات شبيها بالسامية الاولى - وهي لذلك اقرب بنات سام اليها .

وذهب آخرون الى تقديم لغة الآراميين على غيرها، جاعليها البنت الاولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الاصيلة اكثر من اجتماعها في اي لغة اخرى ، ولهذا استحقت في رأيهم هذا التكريم والتقديم ، وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الاخرى لمحافظة اكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الاولى وعدم تنصلها منها وتركها لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت بقواعد بقية اللغات .

غير ان هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة يقابلها من جهة اخرى مميزات في العربية لا نجدها في اللهجات السامية الباقية ، مما يبعث على الظن انها طرات عليها فيما بعد وان اللغة العربية قد مرت بأطوار .

والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الاصل ثم اننا نجد في العبرانية وفي لغة بني آرم قطعاً من الكلام اقدم عهداً من اللغة العربية ، غير اننا لا نستطيع مع ذلك ان ننكر ان معرفتنا واحاطتنا باللغة العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا واحاطتنا بلقبة اللغات السامية . ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلاً مهما لاجراء التجارب والاختبارات في ميدان مقارنات اللغة السامية ودراساتها . وقد ذهب المستشرق « نولدكه » الى ان من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية وذلك بان نأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتا وقواعدها وكيفية النطق بها وما الى ذلك (4) .

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى قسمين : لغات سامية شمالية ولغات سامية جنوبية . ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين : مجموعة شرقية ومجموعة غربية ويقصدون بالمجموعة الشرقية : اللغات السامية المتركرة في العراق

ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركرة في بلاد الشام (5) .

واللغات السامية الشرقية او الشمالية الشرقية وتسمى ايضا باللغة الاكدية نسبة الى بلاد اكد في وسط العراق من حدود 2500 ق. م الى القرون الاخيرة ق. م .

1 - اللغة البابلية : القديمة والوسيطه والحديثة 2000 ق. م الى القرون الاخيرة ق. م .

ب - اللغة الاشورية : القديمة والوسيطه والحديثة 2000 ق. م الى 600 ق. م .

واللغات السامية الغربية او الشمالية الغربية منذ منتصف الالف الثاني ق. م . وهي : السريانية والارامية والبابلية والمندائية - لغة الصابئة - والكنعانية والاخلامية والفينيقية والبونية والنبطية والمواوية والامورية والاوغاريتية ، ومن لهجات اخرى محلية .

اما المجموعة الجنوبية : فتتألف من اللهجات العربية بأنواعها ومن بعض اللغات الافريقية التي يطلق عليها العلماء اسم اللغة الحبشية او المجموعة الحبشية . ويراد باللهجات العربية العربية القرآن والصفوية والنمودية والحيانية وهي لهجات عربية شمالية وردت بها نصوص جاهلية .

ثم اللهجات العربية الجنوبية التي عثر على نصوص مدونة بها يرجع تاريخ عدد كبير منها الى ما قبل الميلاد وهي : المعينية والسبئية والتقبانية والاسانية والحضرية والحمرية (6) .

ولقد توصل الباحثون وعلماء مقارنة اللغات الى خصائص اللغات السامية التي تميزت بها وهي :

1 - اعتماد مجموعة اللغات السامية على الحروف الصامتة - Konsonant - اكثر من اعتمادها على الاصوات Vokale فنرى ان اغلب كلماتها تتألف من اجتماع ثلاثة احرف صامتة . اما الاصوات فلا نجد لها حروفا تمثلها في اللغات السامية وهي بذلك على عكس اللغات الآرية التي اهتمت بالاصوات فدونتها مع الحروف الصامتة وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك الى الاستزادة من الحروف فزادت في عدادها عن العدد المألوف في اللغات الآرية وأوجدت لها حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق وإبراز الاسنان والضغط على الحلق .

2 - ويتولد في اللغات السامية من تغيير حركات الاحرف الثلاثة الصامتة وتبديلها معان جديدة ولهذا كان من اهم واجبات الاصوات السامية ، تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة فالاحرف الثلاثة الصامتة اذن هي : التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ولكن مفاهيم هذه الاصول الثلاثة لا تبقى على حالها ، متى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 - ومن الممكن احداث معان جديدة في اللغات السامية وذلك باضافة زوائد تتألف من حرف او اكثر الى الاصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الاصل .

4 - وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات اي وصل كلمة بأخرى لتتكون من كلمتين كلمة واحدة يكون لها معنى مركب ، من معنى الكلمتين المستقلتين كما في اللغات الآرية ، واما ما نراه من عد كلمتين مضافتين كلمة واحدة تؤدي معنى واحدا فان هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد في اللغات السامية لم يكن معروفا عند اجدادهم القدماء .

5 - وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية . ويذهب العلماء الى ان الاعراب كان موجودا في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من اكثر تلك اللغات . ونرى له اثرا يدل عليه في العبرانية في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية وفي السريانية البابلية في ضمير التبعية فان هاتين الحالتين تدلان على وجود الاعراب في اصولها القديمة .

6 - ويرى العلماء ان الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة وان ما نعرفه من تقسيم الافعال الى ماض ومضارع وامر لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين (7) .

اذن مما سبق بيانه وضح لنا ان اللغة العربية من اللغات السامية - الآرية والكنمانية والكلدانية والسريانية والاشورية والعبرانية وغيرها - التي نشأت فيما يسمى الآن منطقة الشرق الاوسط .

وقد ظلت الآراء مضطربة ومختلفة في الاصل المشترك للغات السامية والعلم على اي حال لم يعرف الكلمة الاخيرة . ودائما يزيدنا العلم معرفة وقربا .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الام « السامية » الامر الذي مكنها ان تاخذ ما في السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد

كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال .

وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية وما اعتراهما من تحوير وتجديد فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين بمعنى ان بداية العربية جاءت اقرب الى النضج والاكتمال من شقيقتها فكانت بحق بداية جديدة بان تقود الى نتيجة هي اكر نضجا واستقرارا وسعة .

والمراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية هي : اليمن والحجاز ، اما في اليمن فكانت العربية اكثر اتصلا بالاكديّة والحشية من اي لغة اخرى ، على ان الهجرات الجنوبية الى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر الى حد بعيد في هذه المناطق ، واما في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية وهكذا فان هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالعدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة .

ومما لا يسوغ انكاره ان هجرات اليمانيين الى الشام وعدم وجود حكومة عربية ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على المقومات القبلية لم يكن من شأنه الا ان يوسع دائرة اللغة العربية بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد ، اذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة وبدون ان يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها ، واذا كان من الصعب الآن ان نعرف متى نشأت العربية الا انه من المعلوم انه قد مر اكثر من قرن قبل ظهور الاسلام وقبل ان تصل اللغة العربية الى درجة الاتقان .

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة وحدها كمواطن لسكانهم ومعيشتهم بل هاجر كثير منهم الى البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرون .

ولما كانت هذه البلاد المجاورة نفسها موطننا لاناس بينهم وبين العرب صلة شديدة القوة كالانباط والاشوريين والكلدانيين فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد وكونوا في ظل الحكم الروماني والفراسي بعض الممالك التي اشتهر منها مملكة الحيرة في القرن الخامس قبل الميلاد ومملكة غسان في القرن السادس قبل الميلاد .

فلم يكن العرب منكمشين على انفسهم بل كانت لهم علاقات وطيدة بمدينة الفرس والروم وهذا ينطبق ايضا على سكان الحجاز وعرب الشام والعراق .

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسعة مع الفرس والرومان وبعبارة أدق مع العراق والشام ، وكان يحتكر التجارة في الحجاز قريش لان قريشا كانت تقطن مكة وهي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب .

والتجار يحتاجون الى تعلم لغة البلاد التي لهم بها علاقة تجارية ، ومن ثم كان لا بد ان تدخل الفاظ كثيرة الى اللغة العربية من الفارسية والرومانية وهذه الالفاظ حضارية .

ولغة العرب ظلت ترتبط في الجاهلية الى حد ما بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي ، ويوضح ذلك الشعر العربي العريق وتجد ذلك ايضا في المعلمات العشر ولكن الذي يشير انتباه الباحث هو ان كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة في حدود شبه الجزيرة العربية يمثل ثروة لغوية لا تقدر .

واذا كانت قريش زعيمة قبائل العرب طالما كانت تتولى امور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز فان لهجتها استطاعت في النهاية ان تصهر كل اللهجات العربية في بوتقتها لتخلق منها لغة مشتركة (8) . قال جماعة من الباحثين ان قريشا افصح العرب وبلسانها نزل القرآن الكريم وذلك لانها كانت تختار افضل لغات العرب وهذا الراى منسوب الى قتادة المتوفى 117 هـ .

وللفراء المتوفى سنة 207 هـ راى يشبهه قال : كانت العرب تحضر المواسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش تسمع لغات العرب فخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبشع الالفاظ (9) .

وقال احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ نقلا عن اسماعيل بن ابي عبيدة ، اجمع علماؤنا بكلام الرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وايامهم ومجالسهم ان قريشا افصح العرب السنة واصفاهم لغة وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من بين جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدا فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون الى مكة للحج ، يتحاكمون الى قريش في امورهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة لسانها اذا اتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (10) .

وجاء في مقدمة ابن خلدون : كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني اسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وايد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند اهل الصناعة العربية (11) .

وقد توسع العلماء المتحدثون في اثر ما كان لمعاظ في تثقيف قريش وفي تاثر من كان يحضر فيه من الشعراء والادباء بلغة قريش ومن هؤلاء سليمان البستاني والدكتور طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وعدد كبير من المستشرقين فلهجة قريش على راى هذا الفريق من العلماء هي افصح اللغات (12) .

وهناك روايات تصف لهجات اخرى بالفصاحة ، قال ابو عمر بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (13) .

ووصفت بالفصاحة هذيل وثقيف وجرهم ونصر قعين وجاء في اللسان لابن منظور ان بعض العلماء سئل اى العرب افصح فقال : نصر قعين .

ووصفت بالفصاحة قيس وميم واسد والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف (14) .

وقال ابو عبيدة : واحسب افصح هؤلاء بنسي سعد بن بكر وذلك لقول الرسول « انا افصح العرب بيد ابي من قريش واني نشأت في بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين يقول فيهم عمرو بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (15) .

وقد عدت هوازن وميم واسد من افصح القبائل في الاسلام ولذلك رحل اليها علماء اللغة للاخذ منها مثل الخليل والكسائي والازهري وامثالهم من العلماء .

جاء في كتاب المزهري : ان ابا نصر الفارابي في اول كتابه المسمى « بالالفاظ والحروف » قال : كانت قريش اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا واينها ابانة عما في النفس والذين نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنه اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :

قيس وتميم وأسد فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم (16) .

قال الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي: والقائلون بأن العربية الفصحى هي لسان قريش متأثرون بكون الرسول من قريش وبأن القرآن الكريم نزل بين قريش فهو اذن بلغة قريش وبما أورده علماء اللغة من انتقاء قريش لأدق الالفاظ وأعذبها وكقصص سوق عكاظ ، اما ان الرسول من قريش ، فهذا امر مفروغ منه واما ان القرآن الكريم بلسان قريش فمسألة فيها نظر وقضية تحتاج الى بحث .

فلو كان القرآن بلسان قريش لم سأل رجال منهم في تفسير كلمات من كلام الله ؟ ولم لجأ المفسرون الى الاستشهاد بشعر غير قرشي وبلغات قبائل أخرى لتفسير كلمة من كلام الله ؟ ولم ندر الشعر في قريش ؟ وقد ورد ان قريشا كانت أقل العرب شعرا في الجاهلية فاضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالا للشعر في الاسلام وورد أيضا ان العرب كانت تقر بالتقدم لقريش في كل شيء الا في الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت له الشعراء بالشعر أيضا ولم تنازعها .

ولم استشهد العلماء في اللغة بأبيات من الشعر وبكلام الاعراب بدلا من الاستشهاد بلغة قريش ثم من يثبت مقالة من قال ان قريشا كانت تتخير الكلام فتنتقي منه أعذبه وأصفاه وليس لديهم دليل جاهلي مكتوب ولا اثر عتيق يمكن الاعتماد عليه ؟ ثم ما قولنا في حديث طال بحث العطاء فيه وهو « انزل القرآن على سبعة احرف » وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوزان واثنين منها لقريش وخزاعة . وهو حديث في امره نظر .

على كل حال ينسب الى عبد الله بن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك ان الذي روى عنه - ان خمسة منها من لسان العجز من هوزان - الكلبى عن ابي صالح وان الذي روى عنه - ان اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة - قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه « كما في تفسير الطبري ج 1 ص 23 » والعجز من هوزان: سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف .

وقيل : ان القرآن الكريم جاء بلسان قريش ولسان خزاعة لان الدار واحدة وقد اجمل الطبري في تفسيره ج 1 ص 25 رايه في لغة القرآن بقوله : « ان القرآن كله عربي وانه نزل بالسن بعض العرب دون السن جميعها وان قراءة المسلمين اليوم ومصافحهم التي بين اظهورهم ببعض الالسن التي نزل بها القرآن دون جميعها .

وذهب ابو عبيدة المتوفى سنة 223 هـ الى ان في القرآن لهجات : لهجة قريش ولهجة هذيل ولهجة هوزان ولهجة يمن ولبعضها نصيب كبير فيه « كما في الاتقان للسيوطي » .

وذكر ابو بكر الواسطي : ان في القرآن خمسين لهجة « الاتقان للسيوطي » .

وذهب ابن عبد البر المتوفى سنة 463 هـ الى ان في بعض مواضع من القرآن ما يعارض ما نعرفه من لهجة قريش ومن جعلتها الهزمة « الاتقان » .

وذكر ابن النقيب ان القرآن الكريم تضمن مفردات من جميع لهجات القبائل وكذلك مفردات من الاغريقية والفارسية والحبشية « الاتقان للسيوطي »

وجاء أيضا ان الخليفة عثمان بن عفان كان يفضل ان يكون المملى من هذيل والكاتب من ثقيف وورد انه قال : اجعلوا المملى من هذيل والكاتب من ثقيف .

وجاء ان الخليفة عمر قال : لا يملين في مصاحفنا الاغلمان قريش وثقيف .

وقال الصحابي : قال ابو عبيدة واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا افصح العرب بيد ابي من قريش واني نشأت في بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين قال فيهم ابو عمرو بن العلاء افصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم .

وفي كل هذا دليل على ان الفصاحة والعربية لم تكن خاصة في قريش والقرآن الكريم لم يكن بعريبتها حسب (17) .

قال الدكتور جواد علي : ان لسيادة لهجة ما من بين لهجات عديدة ، شروطا منها : نبوغ شاعر او شعراء او كاتب او كتاب في تلك اللهجة ، غاية في البلاغة والفصاحة والصناعة فننتشر آثارهم بين الناس .

ويحاكيهم غيرهم في ذلك ، ويكون ذلك سببا في انتشار اللهجة وتفوقها كما حدث عند اليونان في الشعر القصصي الذي بلغ كماله في الياذة «هوميروس» المنظومة بلغة اليونانيين في القرن التاسع قبل الميلاد ، وفي الشعر الغنائي المنظوم بلغة الأبوليين احدى اللهجات اليونانية وذلك لسبق الأبوليين غيرهم بهذا الفن ، فلم يقل بعدهم سائر اليونان هذا النوع من القريض الا بهذه اللهجة . وكالذي حدث ايضا في الشعر الخورسي المنظوم باللهجة الدورية عند عموم اليونان . ومن اسباب تفوق لهجة على اخرى سبقها في مضمار التأليف او اتخاذها لغة رسمية في دوائر حكومة قوية لها كيان وسلطان او جعلها لغة دينية او تأليف الكتب الدينية بها كما حدث في الالمانية حيث صارت اللهجة التي ترجم بها «مارتن لوثر» الكتاب المقدس في القرن السادس عشر ، لغة الادب نظرا لمحاكاة الشعراء والادباء اياه في استعمالها للتعبير من آرائهم ، او السيادة السياسية والاقتصادية وأمثال ذلك من عوامل بسطها العلماء المتبحرون في اللغات ولم يرد في كل الروايات ان قريشا كانت تمتلك هذه الاسباب ليجوز لنا القول ان لغتها كانت لغة الادب والشعر في جزيرة العرب قبل الاسلام (18) .

وانني ارى ان لغة قريش لها من المقومات ما جعلها تصهر في بوتقتها اللهجات الاخرى وتتفاعل معها تفاعلا ادى في النهاية الى تفوقها وجمعها شمل لهجات العرب في لغة عربية اصيلة .

والعرب امة ككل الامم الموجودة الآن يرجع نسبها الاعلى الى نبي الله نوح عليه السلام لانه كما يسميه العلماء آدم الصغير ، وجاء ذلك في القرآن صريحا في قوله تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » (19) .

ويقسم النسابون : العرب قديما الى ثلاث طوائف :

الاولى : عرب بائدة وهم عاد الاولى وثمود وطسم وجديس وجرهم الاولى وهؤلاء بادوا ، وانقطعت اخبارهم الا قليلا .

الثانية : عرب عاربة ومنهم سبأ وقحطان وجرهم الثانية .

الثالثة : عرب مستعربة ، وهم اولاد اسماعيل ابن خليل الله ابراهيم عليهما السلام وأمهم من جرهم حيث جاور قومها اسماعيل وهو في مهده وراوا الماء

« زمزم » ينفجر حولها فأقاموا بجوارها وكانوا اول من كونوا بلدا عرف من بعد باسم « مكة » ومن ولد اسماعيل هذا كانت القبائل العدنانية التي منها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، وكانت مساكنهم مكة وما حولها من الحجاز وتهامة . ومن عدنان هذا حفظت العرب العدنانية انسابها ويقال لبطن هذا الشعب العدنانية النزارية .

وتشعبت عدنان هذه الى قبائل أشهرها قريش ويسمى « فورا » . وهو الجد الحادي عشر للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأصل معنى الفهر «الحجر الصلب» .

وانقسمت قريش الى بطون منها بنو هاشم أسرة النبي ، ومنها بنو مخزوم الذين منهم الوليد بن المغيرة ، ومنها تميم ومن تميم أبو بكر الصديق ، ومنها عدي ، ومن عدي عمر بن الخطاب ، ومنها أمية ، ومنهم أبو سفيان بن حرب والد معاوية ، وكان لبطن قريش الشرف في الجاهلية والاسلام عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان، والجؤجؤ لا ينهض الا بجناحين(20)

وكان سبب اعتزاز قريش بنفسها ما هياه الله لها من اسكانها بجوار بيته حتى كانت تسميهم العرب جيران الله وآل الله ، وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلوات الله عليه وسلامه :

نحن آل الله في ذمتـه
لم نزل فيها على عهد القدم

ان للبيت لربا مانما
من يرد فيه باثم يخرم

لم نزل لله فينا حرمة
يدفع الله بها عنا النقم

وكان من تدبير الحكمة الالهية لرفع ذكر هذه الامة : ان الهم احد زعمائها وهو قص بن كلاب من اولاد فهر « قريش » عندما رأى ان كثيرا من بطون قريش تفرقت ورأى المرعى والماء الكثير حتى وصل بعضهم بلاد البحرين رأى عند ذلك بالهام ان يجمعهم حول هذا البيت العتيق الذي كرمه الله وأكرم من يجاوره . وكان من نتيجة ذلك انه سبحانه سخر بيوتا منها لعمارة بيته ولسقاية حجاجه وهم بنو هاشم ، ومنها من جعله الله مرجع العرب في الراى والمشورة ومنهم من امتاز في الحروب وكانت له الراية فيها . ومنهم من كانت له الرفاذة وهي ما كانت تخرجه من

أموالها وتمطي منه من انقطعت به الطريق من الحجاج ، ومنهم من كانت سداثة الكعبة في بيته أي خدمتها وحفظ مفاتيحها ، ومنهم من كان عليه دفع الدييات والمغارم عن المحتاجين كبيت أبي بكر الصديق .

ومنهم من كان مختصا بالسفارة بين قريش وغيرها إذا وقعت حروب أو نزلت نوازل وهم بيت عمر ابن الخطاب .

ولما جاء الإسلام ، أقر كل ذلك لأنه من مكارم الأخلاق ، ومن أعظم أسباب احترام عرب الجزيرة وما حولها لهم أن الله هيا لهم سكنا جوار البيت العتيق ، وضمن لهم أمنهم وقوتهم ، وجعل من دخله كان في حرام الله وأمانه حتى أن الرجل منهم يلقي قاتل أبيه أو أخيه أو ابنه فلا يمس بسوء ما دام في حرم الله ، أقرأ ذلك فيما حكاه الله سبحانه عن أبيهم إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : « واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » إلى أن قال : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » (21)

وكان لقريش رحلتان هامتان لجلب ما يحتاجون وتصريف ما يستغنون عنه من انعامهم ومنتجاتها : رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة ورحلة في الصيف إلى الشام وهم في كلتا الرحلتين آمنون مطمئنون لأنهم جيران الله ، قال الله سبحانه وتعالى : « لا يلاف قريش أبلانهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (22)

وقال تعالى ممثنا عليهم بذلك « أو لم نمكن لهم حرما آمنا تجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » . (23)

وقال تعالى مشيرا إلى أن هذه الميزة خصهم بها دون من حولهم من العرب : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » . (24)

وكانت قريش تنتهز فرصة اجتماع القبائل العربية الكثيرة في مكة وذلك في موسم الحج ويقومون أسواقا يقصدون بها أغراضا شتى منها التجارة ومنها أن تفخر كل قبيلة بمن نبغ فيها من شاعر أو خطيب . حتى كانت القبيلة التي ينبغ فيها شاعر وخطيب تقيم الأفراح الليالي والشهور لأنه رفع ذكرها ، وسجل تاريخها بين العرب . وكان من نتيجة ذلك أن اللغة

العربية القرشية اتسعت أساليبها وغزرت مفرداتها ، وتنوعت مواردها وتوفرت لها أسباب النمو من المجازات المختلفة التي تساند الحقيقة في تأدية المراد .

قال علماء الأدب : رأت قريش أن تحمل العرب على توحيد أساليبهم وأن تكون لغة قريش هي السائدة ولم تزل تهذب فيها وتسيرها في الألفاظ على السنة الشعراء والخطباء حتى عرفها من لم يكن قريشا فوطلت قريش بذلك ذروة النفوذ الأدبي والسيادة على جمهرة القبائل العربية وصارت لغتها ممتازة بصفاء التركيب وعذوبة اللفظ مما جعل العرب يقبلون على محاكاتها حتى انتهى الأمر إلى ذلك الإصلاح القرشي بظهور الأسواق الأدبية التي كان لقريش فيها الفضل الأول فكان العرب يحاكون أساليبها ويتأثرون لعذوبة ألفاظها فيما يقولون شعرا ونثرا .

وكان العرب يأتون لهذه الأماكن من كل فج عميق ليؤدوا مناسك الحج ويتجروا بأسواقهم ، وكان المعروف من هذه الأسواق عندهم : ثلاثة أسواق : سوق عكاظ وهي موضع قريب من الطائف ، وكانت تقوم من أول ذي القعدة إلى عشرين يوما منه ثم ينتقل العرب منها إلى سوق « مجنة » بكسر الميم ، وفتوح الجيم وتشديد النون المفتوحة وهي موضع قرب مكة يمر الظهران ثم منها إلى سوق ذي المجاز وهي سوق على بعد نحو خمسة كيلومترات من عرفة ويمكنون بها إلى أيام الحج .

يقضون في هذه الاجتماعات نحو شهرين يتعارفون فيها ويتناشدون الأشعار والخطب وكانت اللغة السائدة في هذه المجامع هي لغة قريش (25) .

ومن الواضح أنه لم يكن المتكلمون بالعربية طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب ولكنهم كانوا قبائل متفرقة في أنحاء الجزيرة ، وقد اضطرت هذه القبائل إلى الاتصال ببعضها لتبادل المنافع من تجارة وغيرها ، فاجتمعت في الأسواق واتصلت عند شئ الغارات والحروب . وهذه الاتصالات أوجدت سبيلا للتصارع بين اللهجات فباد الضعيف وازداد القوي قوة وما زالت اللهجات تتصارع حتى كتب للقرشية التفوق والتغلب لأسباب ، عديدة :

(1) النفوذ الديني : فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسداثة البيت الحرام الذي يقدون إليه لتقديم قرابينهم ، وتقديس آلهتهم وشهود منافع لهم فكانوا لذلك موضع تقديس العرب جميعا .

(2) النفوذ التجاري : وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير ، فقد كان زمام التجارة بأيديهم فيجلبون البضائع من الشام صيفا ومن اليمن شتاء ويوزعونها على القبائل العربية فأصبحوا قبلة الانظار العربية .

(3) النفوذ السياسي : وقد تهيأ لقريش مكانة سامية بفضل ما أوتوا من نفوذ ديني واقتصادي وما حبوا به من حضارة ومجد فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ، ويرشدنا الى ذلك ما قاله أبو بكر الصديق في رده على الانصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تدن العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم » .

(4) النفوذ اللغوي : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فأضافوا اليها ما هي في ميسر الحاجة اليه وما رواه اخف على اسماعهم وأيسر على السنتهم . فهذه العوامل قد هيأت للقرشية سبيل النجاح ومكنتها من ان تصبح اللغة العربية السائدة ذات الاصاله والعمق . فانت ترى ان قريشا افردت بعلو الكلمة وسعة الزعامة وسعة الجاه ووفرة السلطان وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب لما تواتي لهم من ثقافة وخبرة وحنكة .

والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز عن لغة قريش سواء في التصريف ام في الاعراب ام في الأسلوب . بل ان اكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحددة ، فلفظ « انطى » في لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند قريش والكتع عند الأولين هو الذنب عند الآخرين ، والشاتر عند حمير ، هي الاصابع عند قريش ، وسامدون في لغة حمير هي الفناء في لهجة قريش الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر كالسدة فهي الظلمة عند تميم والضوء في لغة قريش (26) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشيه غير متشعب ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الأخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وقد استفادت القرشيه من صراعها مع اللهجات الأخرى أمورا كثيرة أهمها :

(1) استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولا سيما التي كانت تنقصها فتنوعت فنون القول وتمكنت

من التعبير عن جميع الاغراض ، وقد غنيت بالمترادف والمشارك والمتضاد وغيرها من الأمور التي كانت كبيرة الأثر في نمو اللغة وسعتها

(2) صيرورتها اللغة القومية للعرب جميعا ، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز اتجه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت القرشية لغة الشعراء في اشعارهم والخطباء في خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ورد اليها شعرهم بلغة موحدة الا في القليل النادر وهو الذي كان عليه الاعتماد في تعرف البقية من لهجاتهم (27) .

وانت ترى بعد هذا ، ان احتكاك اللهجات العربية أدى في نهاية الامر الى تزعج القرشية وصرعها جميع اللهجات الا انه قد بقي لكل قبيل بعض الالفاظ التي كانوا يستعملونها في مخاطباتهم وفي النادر من اشعارهم ، والذي يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول : القراءات التي رويت في القرآن الكريم عن ائمة القراء الموثوق بهم والذين نقلت اليها قراءاتهم من طرق لا يتسرب الشك اليها ، وقد روى عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفتني في القراءة ، فلما انفتل من صلواته قلت : من اقراك ؟ قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء رجلا فقام يصلي فقرأ فخالفتني وخالف صاحبي ، فلما انفتل ، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما الى النبي فقلت : استقرىء هذين فاستقرأ احدهما : وقال احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه في الجاهلية . ثم استقرأ الآخر وقال احسنت فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه في الجاهلية .

فضرب رسول الله صدري بيده وقال اعملك بالله يا ابي من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السلام اتاني فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت اللهم خفف عن امتي . فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرفين فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة احرف .

فهذا الحديث صحيح في اجازة النبي القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقة في كتب النحو والادب واللغة والتاريخ من آثار لتلك اللهجات ومما يذكر استطرادا : ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف وتارة اخرى يكون عن تباين الحركات . وثالثة من اختلاف حركات الاعراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة النطق .

وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلافها فيما يلي :

- 1 (ابدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .
- 2 (التصحيح والاعلال .
- 3 (الاختلاف في الاعراب .
- 4 (التردد بين الاعراب والبناء .
- 5 (الزيادة والنقصان .
- 6 (الفك والادغام .
- 7 (هيئة انطق : وهي تشمل : الامالة والترقيق والتفخيم والاختفاء والظهار .
- 8 (تقديم بعض حروف الكلمة على بعض وهو : القلب المكاني .
- 9 (دلالة اللفظ على معنيين فكثر وهو المشترك والمتضاد .
- 10 (دلالة عدة الفاظ على معنى واحد وهو المترادف (28)

واما المستشرقون فأراؤهم في اللغة الفصحى مختلفة كذلك . يرى « نولدكه » ان الفروق بين اللهجات في الاقسام الرئيسية من جزيرة العرب - مثل الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات - لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويرى غويدي : ان اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

اما المستشرق « تليو » فيرى ان اللغة الفصحى وهي لغة اشعر الجاهلي هي لفظة القبائل التي

اشتهرت بالبراعة في نظم القصيد والتي تردد اليها النحاة وعلماء اللغة في الاسلام ليتعلموا من أهلها صحة النطق بالحروف او المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو وهي قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد ، ويرى ان هذه اللهجة تولدت من احدى اللهجات النجدية وتهذيب في مملكة « كندة » وفي أيامها فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب .

ويرى فيشر Fischer ان العربية الفصحى هي لهجة معينة ولكن فيشر لم يعين هذه اللهجة . اما رأي هارتمن Hartmann وفولرس Vollers فخلاصته : ان العربية الفصحى هي لهجة اعراب نجد واليمامة ، غير ان الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، اما الاجزاء الباقية من الجزيرة فكانت تتكلم بلهجات اخرى .

ومن رأي بروكلمان Brockelman وويتزشتاين Wetzstein وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذي نعرفه ولم يشرح « بروكلمان » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

ويرى « لندبرج » Landburg ان قواعد هذه اللهجة انما هي من وضع الشعراء فمن شعرهم استخرجت القواعد ومن قصائدهم استنبطت (29) .

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة في المقارنة والعمق والاصالة الجاهدة . ومع انها آراء تبدو مختلفة الا انها في جملتها ومضمونها العام تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها .

ومما يرجى ذكره : ان العلماء لم يتفقوا على اول ناطق « لاهج » بالعربية ، فافترق الباحثون حسب ما بدا لهم من أدلة أساسها الحدس والتخمين .

فيرى فريق من باحثي اللغات : ان العربية نشأت على يد القبائل البائدة التي لم يشملها الفناء والهلاك كطسم وجديس ويستند اصحاب هذه الفكرة الى التوافق بين النقوش المعثور عليها والاصوات التي امتازت بها السامية كالضاد والغين .

ويتجه آخرون : الى ان يعرب بن قحطان هو اول متكلم بالعربية ويؤيدهم كثيرون من العلماء محتجين

اللهجة المعينية : وهي منسوبة الى المعينيين الذين أسسوا اقدم مملكة فى بلاد اليمن وقد اتخذوا « قرنا » عاصمة لهم وذلك فى القرن الثامن قبل الميلاد غالبا .

اللهجة السبئية : وتنسب الى السبئيين الذين قامت دولتهم القوية على انقراض الدولة المعينة واتخذوا « مارب » عاصمة لهم .

اللهجة الحميرية : وهي منسوبة الى الحميريين الذين نازعوا السبئيين الحكم امدًا طويلًا .

اللهجة القتبانية : وتنسب الى قبائل قتبان التي انشأت مملكتها فى المنطقة الساحلية شمال عدن .

اللهجة الحضرمية : وهي منسوبة الى قبائل حضرموت وقد انشأت مملكة قوية نازعت سبأ السلطان .

فالقحطانيون تلقوا هذه اللغة عن بقايا القبائل العربية البائدة وقد توسعوا فيها حسب مطالب الحياة واخذها العدنانيون عنهم لجوارهم لفرع قحطاني وهو « جرهم » (31) .

فالعربية عريقة فى القدم - ممتدة فى جذور التاريخ العميق . ولها تاريخ ممتد فى الزمن الماضى وان التاريخ الطويل للغة يعطياها فاعلية أكثر وتبلورا وتناسقا مع مقتضيات كل زمان .

وللعربية مصادر اصيلة وركائز اساسية اعتمدت عليها فى تفاعلها مع الزمن وهذه المصادر يمكن ان نستقيها من: القرآن الكريم والشعر والامثال والقصص.

اما القرآن : فضلا عن كونه احدث تغييرا جذريا فى التفكير العربى فى جميع مناحي الحياة ، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي اغناها بمصطلحات كثيرة أو بأسلوب جديد ، وكثير من هذه المصطلحات أو الاساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقائد والعبادات والمعاملات .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقدم هذا الاسلوب المنزل فى صورة وحي كإخبار أو جواب عن اسئلة يثيرها العرب « يسألونك عن الأهلّة - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك ماذا ينفقون-يتساءلون عن النبا العظيم » الخ .

بأن العرب البائدة قد ذهبت ادراج الرياح فليس لها اثر محقق سوى المروي من قصصها فى الكتب السماوية والمنقوش على الآثار المعثور عليها . وهذا الراي منسوب الى اليمانيين الذين يرون انهم اصل العرب .

ويتجه جماعة : الى ان اسماعيل هو اول متكلم بالعربية مستدلين بما ورد فى الاثر من ان اول من فتق لسانه بالعربية اسماعيل .

وجاء فى المزهري : ان اول من تكلم بالعربية ونسي لسان ابيه اسماعيل عليه السلام (30). ويرى بعض العلماء : ان العربية هي لغة العرب العاربة ومنها انتقلت الى القحطانيين فالعدنانيين ، وقال فريق : ان لسان جميع من كار فى سفينة « نوح » هو السريانية الا واحدا منهم هو « جرهم » فكان لسان العرب الاول . فلما خرجوا من السفينة تزوج ارم بن سام بعض بناته فممنهم صار اللسان العربى فى ولده عوض ابي عاد وعييل وجائر ابي ثمود وجديس .

تلك آراء العلماء وقد عززت بالادلة التي وضحت لاصحابها .

ومن النظر البين فيها تتجه النفس الى ان العربية اخذت من بقايا القبائل البائدة فليس هلاكها مؤثرا فى لغتها فهناك قبائل بقيت كطسم وجديس .

ولانه من غير المقبول ان يكون « يعرب » اول لاهج بها . لانه وفد من العراق متكلمًا بلغته التي تفاهم بها فى وطنه الذي ارتحل عنه وهي غير عربية قطعا ، فترك يعرب للغة التي تعودها منذ نعومة اظفاره ليتكلم بلسان جديد هو العربية مناف للمألوف ومخالف للمعروف .

كذلك لا يمكن القول بأن اسماعيل العبري اول لاهج بها . بناء على اثر نبوي فالظمن فى هذا الحديث بناء على حال اسماعيل قوي ولكننا تقبله ونفسره بما يساير الواقع ويتفق مع الحاصل وهو ان اسماعيل اول ناطق بالعربية من العدنانيين بعد ان تعلمها من مخالطة الجراهمة التي هي فرع قحطاني عند نزوله مع امه ببطن مكة سنة الف وسبعماية قبل الميلاد . وعلى ذلك فلا تنافي بين الاثر والواقع .

والقحطانيون وقد تلقوا لغتهم من بقايا العرب البائدة لم يكن لهم لسان موحد فى شتى العصور لان العوامل اللغوية فعلت فعلها فكانت اللهجات المختلفة .

والحديث الشريف لم يخط بمثل هذه الخطوة ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصدا او ضمنا في احاديث النبي حتى قيل انها لم تسمع عن غيره من قبل ومنها: « مات حتف انفه - الحرب خدعة - لا يندغ المؤمن من جحر مرتين » .

واما الشعر: فمصدر بالغ الاهمية للغة حتى قيل: انه لولا الشعر لضاع نصف اللغة ، وانما ظل الشعر مصدرا للغة لسهولة حفظه وروايته ولانه لا يحتمل المكذوب والندسوس مثلما يحتمله النثر ، واذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحال ، فان بعض الادباء عمدوا الى جمع كثير منه كتابة في وقت متأخر نسبيا كأبي تمام في كتاب « الحماسة » وأبو فرج الاصبهاني في كتاب « الأغاني » والذين قصدوا جمع مواد اللغة للتأليف في هذا الباب عمدوا الى الاستشهاد بالشعر كما فعل النحاة أيضا . وهكذا استشهدوا بالشعر التالي على ان « عزب » تطلق على الذكر والانثى

يا من يدل عزبا على عزب

كما استشهدوا في مخاطبة الواحد بلفظ التثنية بقول سويد بن كراع :

فان تزجراني يابن عفان انزجر

وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وقس على هذه الامثلة وقد كان ابن عباس يقول: اذا قرأت شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب (33) .

قال ابو حاتم الرازي المتوفى في سنة 322 هـ ان لغة العربية ديوانا ليس لسائر لغات الامم وهو الشعر الذي قد قيدوا به المعاني الغريبة والالفاظ الشاردة فاذا احوجوا الى معرفة حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم متفق عليه مرضي بحكمه مجمع على صحة معانيه واحكام اصوله محتج به على ما اختلف فيه من معاني الالفاظ واصول اللغة .

والشعر : هو الكلام الموزون على روي واحد ، المقوم على حلو واحد حتى لا يخالف بعضه بعضا في الوزن والروي وسموه شعرا : لانه الفطنة بالغوامض من الاسباب وسموا الشاعر شاعرا لانه كان يظن لما لا يظن له غيره من معاني الكلام واوزانه وتاليف المعاني واحكامه وتثقيفه ، فكان لا يفوته من هذه الاسباب كلها شيء . قال عنتره :

وفي عهد الرسول لم تثر اسئلة كثيرة لتاويل عدد من نصوص القرآن فكان على الصحاب ان يأخذوا على انفسهم ثقل هذه المسؤولية فلم يقدم على ذلك الا قليل منهم كهكرمة وابن عباس الذين تصديبا للجواب على كثير من الاسئلة التي اثارها المستفسرون .

واثار الخلاف في قراءة القرآن مشكلة ظهور عدة روايات تنوقلت عن جماعة معينة من القراء واحتفت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية ، وانما كان الخلاف يتعلق بالحركات لا بجوهر اللفظ نفسه . ومهما يكن من شيء فان القرآن كان مرجعا اساسيا لرواة اللغة الذين اعتمدوه كنقطة استقرار واستنتاج وقد حفظ عدد من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جارية في الاسلوب العربي مثل : « ان هذان لساحران ، قال رب ارجعون » « والارض فرشناها - فقد صفت قلوبكما » وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد بها للتدليل على صحة ما يقابلها من غير القرآن . قال المستشرق بروكلمان Brockelmann بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اى لغة اخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي احل لهم ان يستعملوه في صلاتهم . وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

وقال الدكتور ستينجاس : ولنسائل انفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية ولو لم يكن محمدا ولو لم يكن القرآن لا ونحن لا ننكر ان اللغة العربية انتجت قبل الاسلام الوانا عديدة من الشعر هي غايبة في الحسن والرقة الا انها كانت كلها محفوظة في اذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك ان الشعر العربي ليس هو الادب كله .

وقال الدكتور « جورج سارطون George Sarton » وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على ان تدون الوحي الالهي احسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولفئاته ، وان تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة . وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى في التعبير عن المقاصد . الا ان هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متعددة للتخاطب العادي وخصوصا حينما أصبح ابناء الامم المختلفة يتكلمون العربية ولكن القرآن الكريم جعل من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن اسامي مقتضيات الحياة (32) .

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

بمعنى أن الشعراء لم يدعوا شيئاً إلا وفطنوا له
يقال شعرت بالشيء إذا فطنت له ، قال الكسائي في
قوله تعالى « ولكن لا تشعرون » شعرت بالشيء شعرا
وشعورا وبعضهم يقول مشعورة ، وقال أبو سعيدة :
هو شعره فحذفوا الهاء قال : وهو مثل الدرية والفطنة
وهو على وزن « فعلة » قال : وقيل شاعر لأنه يشعر
بالشيء ويفطن له ، قال : ومنه قولهم ليت شعري أي
ليتني أشعر به .

وسموا الكلمات المنظومة المؤلف بعضها إلى
بعض « قافية وجمعها » « قواف » قال النابغة :

قواف كالسلام إذا استمرت

فليس يرد مذهبها التظني

يعنون بالقوافي الكلام الذي يقفو بعضه بعضا على
مثال واحد ثم سموا اجتماع القوافي قصيدة .
قال جرير :

في ليلتين إذا حدوت قصيدة

بلغت عمان وطىء الاجيال

يعني بالقصيدة : الكلمة التي ملئت بالمعاني
وكثر فيها الالفاظ المستحسنة يقال ناقة قصيدة أي
ممتلئة كثيرة اللحم سمينة فكانهم شبهوا القصيدة
بذلك ، قال الشاعر :

قطعت وصاحبي سرح كناز

ركن الرعن ذعلبة قصيد (34)

فالعرب تكلموا بالشعر الرصين المحكم المعاني
الموزون بالعروض المقوم بالانحاء من غير أن يعرفوا
عروضا أو نحوها وأبرزوه في الفاظ حسنة ومعان متقنة
وقواف موزونة ومصاريع مستوية فرواه أهل اللب
والادب منهم وقبل أهل الشرف والحسب عنهم
وجعلوا رويه في ذكر الاحساب والمآثر ومدح الملوك
والاكابر والنبلاء من الناس ، وفي ذكر المثالب والسباب
وهجاء أهل الضغائن والاحقاد ، وفي ذكر الوقائع
والحروب ونشر كل شاعر محاسن أيام قبيلته
ومفاخرها ومساوىء أهل الشتان والبغضاء واستفتحوا
كلامهم بذكر النسب وبسطوه بصفات الديار والقفار
والنجع والامطار ، ونعت الخيل والابل والوحش وغير
ذلك مما يطول الشرح به ، ويكثر الكلام بذكر علله
فتقيدت به الالفاظ القريبة والمعاني اللطيفة وحفظ

الرواة عنهم كثيرا من ذلك الشعر ودونوه ورواه السلف
للخلف وعرفوا به اختلاف لغات القبائل (35) .

واما الأمثال : فتعد أيضا من المصادر الأصلية
لغة العربية حيث انها ذات أهمية بالغة من حيث
ارتباطها اجتماعيا وادبيا بحياة العرب . وهي من آداب
العرب الهامة ، لانها تجري على سنتهم مجرى الشعر
وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل
الراجح .

قال أبو عبيد : الامثال من حكمة العرب في
الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها
ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح
فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة
المعنى وحسن التشبيه (36) .

والعرب تضمن اشعارها وأقوالها الامثال والحكم
فتزينها كقول ابي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي به دفنت

حديدة حتف ثم أمسى بشيرها (37)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كارجوزة
أبي العتاهية التي سماها ذات الامثال (38) ولا تخلو أمة
من الامثال المتوارثة في الاعقاب . لكن العرب يمتازون
بامثالهم المبنية على الحوادث لان الامثال عندهم
نوعان :

1 - امثال حكيمية كقولهم : الجار قبل الدار ،
والحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل
العقاب ، ونحوها مما يتناقله الناس في الاعقاب
وترويه الامم بعضها عن بعض ، وأقدم مجموع لها
امثال سليمان وأكثر الامم أخذت عنها .

2 - الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة
بهم لان الحوادث جرت لهم كقولهم : « وافق شن
طبقة » و « قطعت جهيزة قول كل خطيب » و
« الصيف ضيبت اللبن » و سبق السيف العذل » وهم
يؤثرون تلك الامثال عن قائلها وقد يروون عشرات من
الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في
حادثة الزبء وقصير وجديمة الأبرش (39) فذكروا في
اثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها
قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله « رايك
في الكن لا في الضح » وما ضل من تجري به العصا »
وقول الزبء « لامر ما جدع قصير أنفه » وبيدي لا بيد
عمرو » ونحو ذلك ، وهذه الامثال واشباهها كثيرة في
اقوال الجاهلية .

وقد عني العرب بجمع الأمثال لأنها من جملة ما احتاجوا إليه في تحقيق الفاظ اللغة ، ذكر ابن النديم أن عبيد بن شربة من أهل اليمن ألف كتابا في الأمثال في خمسين ورقة بأواخر القرن الأول الهجري وهو أول من فعل ذلك وقد ضاع هذا الكتاب .

واشتغل كثيرون من أدباء البصرة والكوفة في إبان التمدن الإسلامي بجمع أمثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصرا لابن شربة ويونس النحوي المتوفى سنة 182 هـ وأبو عبيدة سنة 211 هـ وثلعب سنة 291 هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة 223 هـ والمفضل النضبي وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الأعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحزمة الأصفهاني وغيرهم .

وقد شرح هذه الكتب كثيرون وأضافوا إليها من الأمثال الحادثة في الإسلام ، وأهم هذه الكتب الباقية إلى الآن كتاب « المستقصى » للزمخشري « توفى سنة 538 هـ » ومجمع الأمثال للميداني « توفى سنة 518 هـ » وفي مجمع الأمثال نخبة مما احتوته كتب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا في الأمثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن أضاف إليه أمثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الأمثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مرارا في مصر وغيرها ، أما المستقصى للزمخشري فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالاستانة ودار الكتب المصرية .

أما كتب الأمثال الأصلية التي أخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل : أهمها كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن سنة 1836 هـ وأمثال العرب للضبي طبع في الاستانة سنة 1300 هـ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري طبعت في الهند سنة 1307 هـ وأمثال لقمان طبعت مرارا في أوربا ومصر ومنها طبعة في باريس سنة 1847 مع ترجمة فرنسية ، وتجد كثيرا من أمثال العرب في كتاب الإمالي لأبي علي القالي ، وكتب اللغة وكتب الأدب ونحوها (40) .

صادقة من تفكير العرب وآدابهم وأهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الأسلوب وأحسن مرجع لها هو كتاب « الإمالي لأبي علي القالي وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وكتاب البيان والتبيين للجاحظ » .

وخلاصة القول : ان القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص قد أدت دورا بارزا في حفظ اللغة العربية وتقويمها . إلا ان جميع الدراسات اللغوية اثبتت في قوة ان سبب نشأة اللغة العربية ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها ، هو القرآن الكريم قبل غيره وذلك ان الفاظا كثيرة يرددها القرآن كانت ماثرا اسئلة المسلمين منذ عهد الرسول ، وكان بين هذه الالفاظ ما هو غير عربي ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الاقدام على التاويل الشرعي فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات في قراءة القرآن . فنشأ عن ذلك علم القراءات التي كانت ذات ارتباط وثيق بالنحو . واخيرا فان وضع قواعد النحو كان ضروريا لحفظ آيات القرآن على صورتها الأصلية بقطع النظر عن تعدد القراءات ولحسن الحظ ، فقد كان العرب يفتنون إلى ضرورة تدوين أكثر ما يمكن من الأشياء التي يخشون ضياعها بسرعة كما فعلوا في تدوين المصحف مثلا فقد بدأوا في ذلك منذ عهد أبي بكر الصديق . وهذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة والقراءة . بل يمكن ان يفهم من تعليم أسرى مكة لصبيان المدينة اثر وقعة بدر الكبرى أن الكتابة والقراءة كانتا تنتشران بمكة التي عرفتها قبل المدينة ومن ثم فتدوين العلوم المتصلة بالقرآن قد سبق تدوين غيرها من العلوم .

وبالرغم من ان الكتابة كادت تكون مجهولة في باقي اجزاء شبه الجزيرة العربية فان الالفاظ اللغوية التي حفظتها القصاصد تشكل ثروة هائلة ، ولقد كانت لغة الشعراء كما يقول « بروكلمان » أشبه ما تكون بنهر جداوله هي اللهجات للقبائل التي اشتقت من العيس نفسها .

وإذا كان للقرآن الكريم فضل في انتشار العربية بشكل لم تكده تعرفه لغة أخرى في العالم فان الموارد الأخرى التي استقى منها الرواة ودارسو اللغة الأولون قد أدت بدورها خدمة للعربية لا تنكر .

وأما القصص : فوراء كل مثل قصة حفظت كتب الأمثال السابق ذكرها كثيرا منها وخصوصا مجمع الأمثال للميداني 518 هـ والقصص تمثل بدورها نماذج

والى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال فى تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من فاسدها وغريبها من مستعملها ، وان كان الكوفيون قد ساهموا بدورهم فى هذا الميدان الا ان مؤلفاتهم على العموم لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذبوع والانتشار (41) .

وقد ظلت اللغة العربية على متانتها وقوتها فى عهد الرسول وفى ايام الخلفاء الراشدين وما سجل من الهفوات واللحن على بعض العرب آنذاك لم يكن شيئاً يذكر بالقياس الى ما ابلفته العربية من فوضى شيئاً يذكر بالقياس الى ما بلفته العربية من فوضى



عوامل ذاتية وثاريخية ودينية

اللغتان هما : اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .
فقد كانت اللغة اللاتينية تستعمل من « كمبانيا » في
إيطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية، ومن نهر « الراين »
الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من أقاصي « صقلية » الى
« شاطيء دجلة » ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة .
لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قابلناه بانتشار
العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط
الاستواء وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد
التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع
انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امنت اليونانية واللاتينية في صف اللغات
الميتة منذ هبطت مدينتهما . فما الذي حفظ اللغة
العربية حية بعد زوال مدينة العرب بقرون سبعة .

تشير الكاتبة « مي » الى ان الذي كان باعنا على
قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال
حافظها الى اليوم وهو القرآن . لقد كان الاسلام يرمي
الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة ،
والعربية لغة الاسلام .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا،
فمن الذي لا يعرف للقرآن فضله في بقاء العربية حية
ومن الذي يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقي
الاسلام ؟ (1) .

من ذا الذي لا يعترف بما احدثه هذه اللغة من خدمة
للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات
الماضي وحضارات اليوم . لقد اندثرت جميع اخواتها
السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية
واشورية وعبرانية قديمة وغيرها . في حين بقيت هي

اللغة العربية من اعرق اللغات العالمية منتبا ،
واعزها جانباً ، واقواها جلادة وابلقها عبارة واغزرها
مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما
يجول في النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق
وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب .

نزل القرآن الكريم بها ، فجعلها اكثر رسوخا ،
واشد بنيانا ، واغوى استقرارا ، وبفضل القرآن صارت
العربية ابعد اللغات مدى ، واوسعها افقا ، واقدرها على
النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي
يعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام ان تتسع
لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصعد
أرقى اختلاجات النفس فليس هناك معنى من المعاني
ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من
النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف
والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع بارز القسامات
واضح السمات ، هذه اللغة العريقة فتحت صدرها
لتراث الانسانية الخالد ومعارف البشرية الراقية
الرائقة كما اتسعت لمقومات الامة الاسلامية التي
شرقت بالحضارة وغربت .

برزت في اواسط القرن السادس الميلادي بفتنة
تتمتع بقوة لغة بالغة اشدها فما عرف التاريخ لها
طفولة ، وما بدت الا لتكون لسان الحضارة والمعلوم
فانتقلت من شبه الجزيرة العربية الى الامصار القصية
بمفرداتها ومميزاتها .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان آخرتان
بكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية وعقائدية ومذاهب
سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة ، وهاتان

على رغم ما مر بها من عصور الركود . وما فتئت تفيض قوة وحيوية انها الحصن المنيع الذي يحمي من طغيان العامية ، وانها الرابطة النفسية القوية التي تجمع بين أهل البلاد المتباعدة وهي الصيغة الجميلة النابضة بالاحساس والتي نودعها مكنونات العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسعت مبادئ ومثلا سماوية لم تضق بها ولم تنكز عن احتمال اعبائها بل في ظل حضارة الاسلام مرت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها ، وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعمقت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وطوت في دورانها القوي كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها وكسل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها عن التحليق ، واستطاعت بقوتها الذاتية ان تشع سحب اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جالتها في صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلاقة معطاءة .

هذه اللغة التي زادها القرآن دعما وتأصيلا اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في اقطار الارض ، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط « آسيا » حتى جبال « البرانس » في شمال « اسبانيا » ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القرآن . وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات . ومهما تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها . فهي جميعا تنضوي تحت لوائها وتتلقن لسانها ، وتمب من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث ان تعيش لها وبها ، وتحى فيها حياتها المعنوية الادبية والعقنية وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل ضوءها الى كل مكان حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في مجلاتها واثارها الادبية .

والعربية اجتازت اامادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد امت بها خطوط كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل ولم بها ثم يزابلها . وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة ، بحكم ما التقت به من ثقافات .

وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند واسبانيا اللاتينية فوسعتها جميعا ، وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكأنما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا مندققا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود ، بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت اللغة العربية بين هذه الشعوب والامم ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ومهما شرقت او غربت (2) .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول في البقاع الشاسعة من الجزيرة العربية واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ . لغة كاملة معجبة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس ، تكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ ونبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب وبسمات الحياة ، فالمعاني المحسنة والمعقولة مبنية في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفروق الدقيق بينهما فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم ، واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه وانفه وفمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم انظر الى هذا الاحساس الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه الكلمة . فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم والآخرى لها الفتح والجر ، وما ارى هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه .

واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة . فيها مادة ووزن . فخذ المادة او اخلقها او استعرها من لغة اخرى ثم صبها في قالب من قوالب الاسماء والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان . فمن سمع فاعلا او مفعولا ، ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلزمه في المواد كلها . وبهذا

امتازت اللغة العربية واستبانة خصائصها حتى نفت عن نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها . للأسماء أوزان وللأفعال أوزان فما لا تزنه هذه الأوزان فهو اجنبي ، وبهذا بقيت على الدهر المتناول خالصة نقية صحيحة قوية .

وقد امتحنت هذه اللغة العريقة واختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تضق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقفة من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكروهة، وقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات وآيات . وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب . وما استقام له احساس وادراك .

وتقلب الزمن وتوالت المحن واثارت الفتن وهي ثابتة ناضرة رائجة ثبات قوانين الله وروعة كواكبه محيت لغات وخلقت لغات وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تغير ولم تبدل . ما آية الخلود بعد هذا؟

ولم تبق هذه العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقا طويلة ما بين اقصى المغرب واقصى المشرق . ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم في الامم الاسلامية غير العربية وما تزال لغات هذه الامم مترعة بألفاظها . وما تزال تستمد العربية . وقد حوت على مر العصور ادبا لا تحويه لغة اخرى ادبا موطنه ما بين الصين الى بحر الظلمات وزمانه اربعة عشر قرنا ولا تعرف في آداب العالم قديمها وحديثها ادبا اتسمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الاعصار هذا الامتداد .

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها العربية بقرآنها خالدة باقية على الخطوب والمصور لغة دين وعلم وادب وحضارة وانسانية (3) .

ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت مبلغ اللغة العربية من القوة والايدي ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر اجزائه .

وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة اخرى، انتشرت في المشرق وسيطرت على سياسته وادارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في اي وقت من الاوقات

فالثقافة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرآن الكريم ، وبهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية ان تكون لغة عالمية لأول مرة

في التاريخ الانساني . لغة عالمية . بأوسع معاني هذه الكلمة .

ولاول مرة في التاريخ نجد لغة تنتشر الى هذا الحد . فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات ، غلبتها وتممقت شعوبها ووصلت الى اعماق الشعوب وحولت اللسان عن اللغة القديمة الموروثة الى هذه اللغة نفسها ، لغة العرب ، لغة القرآن ، والرومانيون استطاعوا ان ينشروا لاتينيتهم في الغرب الأوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة في شمال افريقيا فلم يفلحوا الا قليلا ولكن اللغة العربية استطاعت ان تقهر اليونانية في الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد الشرقية وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ثم ان تقهر اللغة اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة دين ، وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري . وفي اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسيغ كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اساغت ثقافة اليونان على سعتها وصعوبتها وعلى عمقها واساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهم العملية ايضا . واساغت ثقافة الفرس وثقافة الهند . واساغت بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بين الامم السامية والثقافات التي نشأت عن التقاء الساميين بالامم المختلفة والتي نشأت عن توارث التوراة والانجيل بين تلك الامم المسيحية في هذه البلاد الشرقية والسفريقية . وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى وهي ان هذه اللغة العربية قد انتشرت بطريقة مدهشة واساغت كل الثقافات بهذه الطريقة المدهشة ايضا (4) .

فهي بلا شك افصح اللغات واكملها واتمها واعذبها نقل الناس اليها الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية الى العربية . ونقلوا اليها ايضا ما قاله حكماء العجم

باللغة الفارسية . وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب باللغات اليونانية او الهندية (5) .

ولهذا كله اسباب منها التاريخي ومنها الذاتي ومنها الديني .

فالاسباب التاريخية ترجع الى كون اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الام السامية الامر الذي مكنها من ان تأخذ ما في السامية من مزاي وتجنب الى حد بعيد كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال عن السامية الام .

ومما هو معروف مما تقدم ان اللغة العربية تنتمي الى طائفة اللغات السامية فهي على حد قول الكاتبة العربية « مي » ان اللغة العربية ثالث اصول جوهرية ثلاثة - الارامية والكنعانية والعربية - فالارامية تشمل الكلدانية والسريانية والاشورية « الميتة منذ زمن بعيد » وهي لغة عامية يقال ان السيد المسيح كان يخاطب بها تلاميذه . انشعبت الكنعانية من العبرية والفينيقية . فالعبرية لغة اليهود المقدسة ومع انها تختلف اليوم كثيرا عن العبرانية الاصلية ، فانها ما زالت مستعملة عندهم في الطقوس الدينية . ولهجة من الفينيقية وهي البونيقية استعملت في قرطاجنة وعلى شواطئ اسبانيا مدة طويلة .

اما العربية فتشمل العربية الفصحى ، ولهجات مختلفة تكلمتها القبائل القاطنة في جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وغيرها ، وهي اللغة التي سعدت بنصيب البقاء على حين ان اخواتها وبنات عمها دخان في عالم النسيان منذ امد بعيد ، وبعض خصائصها اللغوية كجمع التكسير مثلا يميزها عن العبرية والارامية فيجعلها اوسع منهما معنى وانم نظاما (6) .

اما السبب الذاتي : فهو نابع من صميم العربية ، من طبيعتها صوتيا وحرفا او حركة وحرفا اذ ان لهذه الطبيعة مجالا ارحب ، وشمولا اوسع ارتضته او ارتضاه لها الناطقون بها اعنسى به المجاز والمرادف والاشتقاق .

فالحرص العربي حرف مرن مطواع يمكن تركيبه على صور وهيئات تخرج منها الالفاظ والكلمات ، وقد نمت هذه البرونة والطواعية منذ نشأة اللغة .

والشكل وهو حرف صغير يتغير موضعه من اللفظ فيحدث تلفظا جديدا يحمل معاني جديدة .

والفاظ عشرة بل لعل المعاني في حقيقتها تفوق العشرة .

وهذا كله غير تصريف الفعل الذي لم نذكره لانه ليس من الاشتقاق وهو التصريف الذي يتناول اثني عشر صيغة موزعة على الضمائر .

والمرادف : وهو اللفظ الذي يؤدي نفس المعنى ويختلف عن مرادفه في النطق والحرف اختلافا قد يكون كلياً وهو باب واسع من اوسع ابواب اللغة العربية . وليس ادل على ذلك مما صنعه بعض المؤلفين القدامى مثل عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى عام 320 هـ في كتابه « الالفاظ الكتابية » والذي جعله في ثلاثمائة وستين باباً . جمع في كل باب من الالفاظ المختلفة حرفاً المتقاربة معنى ما يعسر حصره ، وعلى سبيل المثال نذكر باب حسن المنظر : منظر حسن . نضير . بهيج . بهي . رائع . زاهر . رائع . قسيم . وسيم . مروثق . ففي هذه الالفاظ المترادفة وصفنا منظراً حسناً .

اما جمال العربية فانه ناجم عن الدقة والجرس وتجانس التركيب والاستعارة والتجنيس والطباق والاعجاز والالتفات والتمام والاستطراد وحسن التضمين وتجاهل العارف والكتابة والتشبيه والمساواة والاشارة والارداف والتتبع واثلاف اللفظ مع المعنى واثلاف اللفظ مع الوزن ، واثلاف المعنى مع الوزن واثلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت والتوشيح والترشيح والتوشيح والايغال والاحتراس والمواربة والترديد والتعطف والتفويف والتسهيم والتورية والاستخدام والتفاير والتسميط والمائلة والتجزئة والتسجيع والترصيع والتصريع والتشطير والتعليل والتطريز والعكس والتبديل والاغراق والقلو والاطراد والتوهيم والتكميل والمناسبة والتفريغ والتكرار والابداع والاستعانة والموازنة والتذيل والمشاكله والتهديب والتأذيب والحل والانسجام والمقد والتعليق والادماج والازدواج والاتساع والمجاز والايجاز والتوليد والتنكيب والاتفاق والالتزام والتديب والتمزيج والاستقصاء والبسط والايضاح والتشكيك والعفوان والحيدة والانتقال والفرائد والنزاهة والافتنان والمراجعة والمقارنة والمناقضة والانفصال والابداع والابهام والسلب والايجاب وغير ذلك كثير مما عني به علماء البلاغة وقد يكون من السهل ايراد الشواهد على هذه العناوين الجمالية في اللغة العربية وقد يكون من الاسهل تحديد هذه الصفات التي ترد تحت الوصف

اما المجاز والاشتقاق والمرادف فانها منابع رئيسية لمرونة اللغة العربية كما انها ثروة رائعة من الجمال الذي تتحلى به ، فالمجاز وهو استخدام اللفظ لغير ما وضع له بسبب علاقة ذات قرينة من ان يفهم اللفظ بمعناه الاصلي ، وجاء ان المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة . بحيث يأتي المتكلم باسم موضوع لمعنى فيختصره اما بان يجعله مفرداً بعد ان كان مركباً او غير ذلك من وجوه الاختصار ، واما ان يذكر ما هو متعلق به او كان من سببه لفائدة .

والمجاز جنس يشتمل على انواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والاشارة والارواق ، والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد (7) .

هذا انما قد فسح للعربية ميداناً خصباً لا يحد بسهولة ، فلو قلت ان محمداً يلقي الدرر ادرك السامع مرادك وهو ان محمداً يتكلم كلاماً فصيحاً بليغاً جميلاً ولو قلت : لقد جادت السماء ولبست الارض حلة قشبية ادرك السامع ان مطراً قد هطل ونباتاً ظهر . ومثل قول جرير .

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه مدان كانوا غضاباً

يريد اذا نزل مطر السماء رعيانا ما ينبتة هذا المطر النازل (8) .

والاشتقاق : هو اخذ كلمة من اخرى تشابه فيها بعض الحروف ، فاذا تشابهت الحروف الاصلية اسفرت عن معاني قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة عن المعنى الاصلي وهذا الاشتقاق قد اضاف الى اللغة العربية ما اضافه المجاز فلفظة « بصر » التي تفيد النظر والرؤية وكذلك الخبرة والدراية لك ان تشتق منها فوق قواعد الاشتقاق افعالا واسماء لكل منها معناها الخاص فانك تشتق منها « بصر » باصرة . مبصر . بصير . متبصر . مستبصر .

وكل هذه اسماء تختلف فيما بينها اختلافا معنوياً واضحاً . اما الافعال فهي لا تقل عن هذه الاسماء كثرة وتنوعاً ، فلك ان تقول : يبصر . يتبصر . يتباصر . يستبصر . ولكل منها معنى يختلف اختلافاً عن معنى الفعل الآخر . فالاول ينظر ويرى ، والثاني يستعلم ويتحقق ، والثالث يدعى الرؤية او الخبرة ، والرابع يحاول النظر او الادراك . فلو احصينا ما اشتقنا من اللفظة « بصر » لوجدناها عشرة الفاظ ، لها معان عشر

صورتها اللغة العربية تصويرا هو من جمال القوة في
الكدوة (9) .

وإذا اردنا المزيد من التدليل على جمال العربية
فالشواهد ميسورة في كل ضرب من ضروب الكلام في
الشعر والنثر والحكمة والخطابة . قال المتنبي يصف
جيش سيف الدولة الحمداني :

خميس يشوق الأرض والغرب زحفه
وفى اذن الجوزاء منه زمام

تجمع فيه كل لين وامنة
فما تفهم الحداث الا التراجم

وقال البحري يصف الربيع :

انك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما

يفتحها قطر الندى فكانما
بيث حديثا كان قبل مكنما

هاتان صورتان من صور التعبير الشعري : في
الاولى تجد الفخامة والقوة والسبك ، وفي الثانية تجد
الركة والعذوية والرخامة .

صورت اللغة في الفاظها ما اراده الشاعران او
صور الشاعران في كل منهما ما اراده تصويرا تمازجت
فيه الالفاظ بالمعنى فكانت روعة التعبير في الصورتين
اللتين رسمتا موضوعين مختلفين ، احدهما الجيش
وضخامته وجلبته ، والثاني : الربيع ونعومته ورقته
وبهائه (10) .

ولا بأس من ايراد شاهدين آخرين وليكونا في
موضوع واحد هو الرثاء اجاد فيه كل من الشعريين
اللذين رسما صورة للحزن على الفقد ومكانته .

قال ابو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي ، وقد
قتل في معركة فر فيها جنده وبقي هو في وجه عدوه
« بابك الخرمي » :

فتى مات بين الطمن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر

لشيء واحد مثل « منظر حسن » ولكن الصعوبة تكمن
في تصوير الصفات للسامع . تصويرا ماديا يمسك
بالانامل . ونمل هذا التصوير المادي ليس من متطلبات
التدليل على جمال اللغة - اية لغة كانت - والقول في
جمال لغة ما عند اهل تلك اللغة يعتمد مقاييس ذوقية
ومادية تنظمها مشاعر وقواعد ، فالمشاعر هي وليدة
الحس الذي يقرع العقل والقواعد هي الادوات المصنوعة
لاجزاء القياس ونحن حين نطبق هذه المقاييس على
جمال لغة العرب نخرج بنتائج مدهشة رائعة .

قال انه تعالى في كتابه العزيز : « والنجم اذا
هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة
فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى » .

جرس ساحر آخاذ في تقطيع لفظي عجيب
يصوران موضوعا جليلا ببراعة معجزة بدأت الآية
الكريمة بالقسم بالنجم الذي كان بعض العرب يحلونه
محل الاله ولكن القسم ليس بالاله المزعوم فحسب بل
به حين يهوي ويهبط من عليائه التي خدعت بمض
الناس فجعلوا منه الها غير الله . فهذا السقوط الذي
يجرح الالهية والذي اورده القرآن الكريم مع
القسم له ابعاد معنوية خارقة . ثم نفت الآية الكريمة
عن الرسول العربي صفة الضلال التي اتهمه بها
الجاحدون اولئك الذين بلغ الضلال بهم ان عبدوا النجم
الذي ليست له مناعة ضد السقوط ، ومضت الآية
الكريمة في تنزيه القرآن الذي نزل على الرسول الامين
عن الهوى والعاطفة ، وقال فيه انه وحي من الله
الخالق القوي الذي امر الرسول بحمل رسالة القرآن
فصدع بالامر ونهض يبشر قومه بهداه وينذرهم في
تنكرهم لرشاده . ولم يكن هذا الوحي في ذلك يدعو
الى التشكك او التشكيك بل كان والرسول الكريم
اقرب ما يكون الى ربه سبحانه وتعالى . انه كان على
بعد ما بين طرفي القوس والمرب يعرفون قصر
المسافة بينهما حق المعرفة لان القوس تميئش بين
ايديهم وتصحبهم طول الوقت .

هكذا استطاعت اللغة العربية ان تقسم بالقدس
جهلا وضلالة وتجرح تقديسه وتنفي عن الرسول
مزاعم المشركين وتسمي الوحي وتصنف قرب
النبي في حالة الوحي وتبين ان الدعوة ليست من هوى
وعاطفة انسان بل ارادة ربانية . كل هذه المعاني

فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر .
كان بني نيهان يوم وفاته
نجوم سماء خر من بينها البسدر

اما جرير فقد رثى زوجته فقال :

لولا الحياء لهاجنى استعمار
ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبي اذ علتني كبرة
وذوو التمام من بنيك صفار
واذا سريت رايت نارك نور
وجها اغر يزينه الاسفار
كان الخليط هم الخليط فأصحوا
متبديلين وبالديار ديار

لا شك انك حين سمعت أبيات ابي تمام في رثاء
الطوسي استشعرت الالباء والجلد والأنفة والشجاعة
وحين سمعت رثاء جرير زوجته أحسست بالأسى
واللوعة والالام ، وكلتا الصورتين الشعريتين لمصور
واحد هو الرثاء ، وان استخدمت الريشة من قبل
رسامين هما الشاعران الرائيان ..

ومن جمال اللغة العربية الذاتي غناها بالالفاظ
والكلمات التي تتشابه في اللفظ وتختلف في المعنى .
ومن ذلك ما جاء في المقامة الحلبية للحريري .

اما السبب الديني فهو في القرآن العظيم واسلوبه
المعجز . واللغة العربية بفضل القرآن الكريم صارت
ابعد اللغات مدى وابلغها عبارة وأغزرها مادة وأقواها
جلادة وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا
عما يجول في النفس تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات
الفكر وتصعد حتى تصل أرقى اختلاجات النفس
والضمير واسعة سعة السماء، عميقة عمق البحر (11) .

قال م . فنتيجوا مؤلف كتاب «المعزة العربية» :
ان سرعة انتشار اللغة العربية ترجع الى الثمار المادية
والروحية التي جننتها من الاسلام أكثر منها الى القرار
الذي اتخذته الامويون بجعل العربية اجبارية في الوثائق
الرسمية . وخلال القرن الثاني الهجري بدا انحلال
مراكز الثقافة اليونانية في الشرق الادنى وتمخض
هذا الانحلال عن اكبر فوضى في اللغات والاديان فقد
بدات شعوب عريقة في الحضارة كالمصريين والهنود
تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها

بالعرب معتقداتهم واعرافهم وعوائدهم . ان العربية
أست في فارس اللغة الرسمية واتخذها الشعراء
انفسهم أداة لصياغة القريض في حين ظلت اللهجة
البهلوية مستعملة في الجبل ، وقد استمر نفوذ
العربية في القرون التالية بل صارت العنصر الجوهري
في الأوردية التي هي لغة الثقافة عند الهندوس والتي
يعتبر نصف مرداتها تقريبا من اصل عربي (12) .

قال جورج رفوار : لقد ظل نفوذ اتباع محمد
لازباء لم يتغير ، ففي نواحي افريقيا وآسيا التي دخلوها
من المغرب الى الهند تغفل ذلك النفوذ في الاعماق الى
الابد ولم يستطع فاتحون جدد استقصاء دين العرب
ولغتهم (13) .

ان اللغة العربية التي بلغت مبلغا كبيرا من المرونة
والثروة في العهد الجاهلي كأداة للتخاطب وكصهر
لصفل التعبير عن ادق الاحساسات وارق العواطف
ادركت في القرن الرابع الهجري في عنفوان العصر
العباسي أوج كمالها .

وقد وصف زكي مبارك روعة النثر الفني العربي
في القرن الرابع الهجري ، ووصف فيكتور بيرار اللغة
العربية في ذلك العصر بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق
وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة ، فهي كنز يزخر
بالمفاتيح ويعيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق
الحاشية مهذب الجوانب ، رائع التصوير ، وأعجب ما
في الامر - وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الاخرى -
ان البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر وجهابذة النثر
العربي جبلة وطبعا ومنهم استمد كل الشعراء
تراثهم اللغوي وعبقريتهم في القريض (14) .

هذا وقد عربت اهم المصنفات اليونانية في عهد
الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب والعلماء على
دراسة الاداب الاجنبية بحماس شديد وقد خضعت
العربية لمقتضيات الاصلاح الجديد ، فانتشرت في
مجموع انحاء آسيا ، واستأصلت نهائيا اللهجات
القديمة وقضت على اللاتينية في شبه الجزيرة
الايبرية (اسبانيا والاندلس) .

ان نفوذ اللغة العربية أصبح بعيد المدى حتى ان
جانبا من اوربا الجنوبية أيقن بنفوذ العربية وأوضح
(جورج ريفوار) ان زجال الكنيسة - في اوربا الجنوبية
اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل
قراءتها في الكنائس الاسبانية ، وان « جان سيفيل »
وجد نفسه مضطرا الى ان يحرر بالعربية معارض الكتب
المقدسة ليفهمها الناس .

اما في فرنسا فقد أكد (جوستاف لوبون) في كتابه « حضارة العرب » ان للعربية آثارا مهمة في فرنسا نفسها . وقد لاحظ المؤرخ الفرنسي « سديو » عن حق ان لهجة ناحيتي : أوفيرني ولیموزان زاخرة بالالفاظ العربية ، وان الاعلام تنسم في كل مكان بالطابع العربي .

وكان من الطبيعي أن يزود العرب كلا من فرنسا وإيطاليا - نى القرن الثامن الميلادي - بمعظم مصطلحاتها البحرية على انها تركت أثرها في مصطلحات الجيش والادارة والصيد والعلوم وغيرها . وقد لوحظ نفس التأثير في صقلية .

ومما يجدر ذكره ان أول اتجاهات أوربا من الاقتباس العربي كان في الميدان العلمي ، ولقد قال المستشرق « ماسينيون » ان المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ، ومن خلال العربية في الحضارة الاوربية ، وان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي ، وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم .

وقد أوضح « جوستاف لوبون » ان العربية أصبحت ائلفة العالمية في جميع الاقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية . وقال المستشرق ماسينيون ان العربية بقيمتها الجدلية وانفسية والصوفية استطاعت ان تضيفي سربال الفتوة على التفكير العربي .

ومما لا يسوغ انكاره ان الكثير من المصطلحات في انواع الفنون المختلفة - في اوربا - تستمد عناصرها

من اللغة العربية مثل الكحول والاكسير والجيز . وقد ذكر ليفي بروفنصال ، ان الاسبان استمدوا معظم اسماء الرياحين والازهار من اللغة العربية ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموعة مصطلحات الراي تقريبا - كما قال الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتابه « معطيات الحضارة » - هي من اصل عربي كما تحمل الحلى في اسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير في الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

وقد لاحظ عالم ايطالي كبير ان معظم التعابير العربية التي تفلتت بكيفية مدهشة في لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعماري ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافي (15) .

وان اللغة العربية هي بلا شك اداة الفكر . وهي تعتمد على المناخ الفكري لاداء المعاني الحضارية اذ ان الحضارة والمدنية والثقافة لا بد لها من الاداة ، وان المقومات الثقافية لاي امة من الامم تتمثل في اللغة التي تستوعب الفاظها ومدلولاتها وكلماتها والعبارات المستعملة فيها القيم العليا وقضايا المعرفة .

وهذه القيم وهذه القضايا هي التي توجه الأفراد وتحدد علاقة بعضهم ببعض كما تحدد علاقتهم بالمجتمع سواء المجتمع القومي او المجتمع الانساني .

ان حضارتنا العربية وليدة اللغة العربية ، واللغة العربية وليدة الحضارة العربية ، والحضارة العربية هدفت الى الخير والمعرفة وافادت الانسانية .

المصادر

- 1 — المقتطف - المجلد الثاني والخمسون ، ص 399 مقال الكتابة «مى»
- 2 — مجلة « العربي » - العدد 58 مقال الدكتور شوقي ضيف ، الكويت
- 3 — كتاب « مهد العرب » للدكتور عبد الوهاب عزام ، سلسلة اقرأ ، رقم : 40 ، القاهرة .
- 4 — مجلة « المغرب » - العدد الخامس ، وزارة الشؤون الخارجية ، محاضرة الدكتور طه حسين ، ص 62 ، المغرب .
- 5 — كتاب « الزينة » للشيخ الرازي - الجزء الاول ، ص 61 طبع دار الكتاب العربي بمصر .
- 6 — مجلة المقتطف - المجلد 52 ، ص 393 .
- 7 — كتاب تحرير التحبير - لابي الاصبح المصري ، ص 457 ، طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة .
- 8 — نفس المصدر السابق .
- 9 — مجلة اللسان العربي - العدد الرابع رقم 24 ، المغرب الرباط ، المكتب الدائم للتعريب ، 1386 هـ ، 1966م
- 10 — نفس المصدر السابق ، ص 25 .
- 11 — انظر مقالنا بمجلد اللسان العربي - العدد الرابع ، ص 40 ، المغرب الرباط ، 1386 هـ ، 1966 م .
- 12 — راجع مقدمة اللسان العربي - العدد الثالث ، ص 3 .
- 13 — المرجع السابق ، ص 3 .
- 14 — المصدر نفسه ، ص 4 .
- 15 — انظر العدد الرابع من مجلة اللسان العربي ، ص 6 المغرب الرباط .

الدلالة المعنوية

وما كان على فعل دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر وازرق ، وكذلك العيوب تكون على فعل نحو احول واعور واقرع واقطع واعرج واخيف ، وتكون الادواء على فعال كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على فعيل كالضجيج والهرير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والضعيف والنميق والنميب والخيرير والصرير . وحكاية الاصوات على فعلة كالصرصرة والقرقرة والفرغرة والقعقة والخشخشة ، واطعمة العرب على فعيلة كالسبخنة والعصيدة واللفتية والحريرة والنقعة والعقيقة ، واكثر الادوية على فعول كالعوق والسعوط والوجود واللدود والذرور والفظور والنطول ، واكثر العادات فى الاستكثار على (مفعال) نحو مطعمان ومطعام ومضراب ومضياف ومكثار ومهذار وامرأة معطار ومذكار ومثناة ومثام (2) ، وصيغة الافعال واوزانها فى اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة فى اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة ، قال الثعالبي فى الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » ، وقوله : « يذبحون ابناءكم » ، وفعل يكون بمعنى افعل نحو خير واخبر وكرم واكرم ونزل وانزل ، ويكون مضادا له نحو افطر اذا جاوز الحد وفطر اذا قصر ، قال الشاعر :

لا خير فى الافراط والتفريط
كلاهما عندي من التخليط

وللغة العربية خصائص ومميزات بزت بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات ، فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المانوسة قطعا تسحر الالباب وتأخذ بالفهام وتتألق بالمقول فى عالم السمو والسحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لذات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيم له الحالة النفسية التي تحفزه الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود فى ثوب مفوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الالفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسية .

قال جورجى زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاسل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو مأخوذ من عقل الناقة أى ربطها ، والفعل ادرك الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان ادرك القطار أى لحقه ، والفعل « بلغ » وضع أصلا للدلالة على الوصول الحسي فى المكان والزمان ، بل ان الاصل فى معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهب رغوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضح ، « والرأى » أصله من « رأى » أى شهد بعينه (1) .

وفى العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على فعلان دل على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان والهبجان . وما كان على فعلان دل على صفات تقع من احوال كالعطشان والفرثان والشبعان والريان والفضبان ،

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط المل ،
والتفريط المخل .

و (أفعل) يكون بمعنى فعل نحو أسقى وسقى
وأمحضه الود ومحضه وقد يتضادان نحو نشط العقدة
إذا شدها وأنشطها إذا حلها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه
وخاصمه وحاربه وقاتله ، ويكون بمعنى فعل كقولـه
عز وجل : « قاتلهم الله » أي قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو
تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى
له ، ويكون بمعنى أظهر نحو : تفاعل وتجاهل وتمارض
وتساكر إذا أظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا ، وليس
بغافل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعّل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه إذا خلصه
كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الغي منعمًا

وكنت زمانا في ضمان أساره

وكما قال : عمرو بن كلثوم :

تهددنا وأوعدنا رويدًا

متى كنا لامك مقتوينًا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ،
ويكون لآخذ الشيء نحو : تأدب وتفقه وتعلم ، ويكون
تفعل بمعنى : أفعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال
القطامي :

تعلم ان بعض الشر خيـر

وان لهذه القمم انقشاعًا

أي : اعلم

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعصم
أي تعظم واستكبر أي تكبر ، ويكون استفعل بمعنى
الاستدعاء والطلب نحو استطعم واستسقى واستوهب
ويكون بمعنى فعل نحو استقر أي قر، ويكون بمعنى صار،
نحو استنوق الجمل واستنسر البفاث .

(وافتمل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى أي
شوى واقتنى أي قنى أي كسب ، ويكون لحدوث
صفة نحو : افتقر وافتتن ، وأما انفعل فهو فعل
المطاوعة نحو : كسرته فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته
فانقلب (3) ، قال ابن جنى : « فإذا رأيت العرب أصلحوا

الفاظها - العربية - وحموا حواشيتها وهذبوها وصقلوا
غروبها وأرهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي
بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف
ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحسينه وتركيبه وتقديسه
وانما المبنى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره
بما يعطر بنشره ولا يمر جوهره كما قد تجد من المعاني
الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء
العبارة عنه (4) .

وذلك ان العرب كما تعني بالفاظها فتصلحها
وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة
وبالخطب اخرى وبالإسجاع التي تلتزمها وتتكلف
استمرارها ، فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها
وافخم قدرًا في نفوسها فأول ذلك عنايتها بالفاظها فانها
لما كانت عنوان معانيها وطريقًا الى اظهار أغراضها
ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها
وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع واذهـب
بها في الدلالة على القصد (5) .

فكان العرب انما تحلي الفاظها وتدبجها وتوشئها
وتزخرفها عناية بالمعنى التي وراءها وتوصلا بها الى
ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا
فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا في
الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصاد واشراكا للقلوب
وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان
الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم لا شك اشرف من
الخادم ، والايخار في التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء
الحوائج أكثر من ان يؤتى عليها او يجشم للحال تعب
بها (6) .

واعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها
ادلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها محصلة عنيت
العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (7) ،
وشيء آخر يجعل اللغة العربية أكثر مرونة في الواقع
من غيرها . وهو انها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق .
والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني
الحضارة ، والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان
في تنوع المعنى الاصلي وتلوينه اذ يكسبه خواص
مختلفة بين طبع وتطيع ومبالفة وتعدية ومطاوعة
ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في
اللغات الأرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة
وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين
الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو

حركة فى الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسى كرادوفسو الى هذه الظاهرة فلم يسهه الا ان ينوه بها فى كتابه عن الغزالي فقال : « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلى » والكبر الخارجى . الداخلى هو استعداد فى النفس ، والخارجى ناتج من افعال الجوارح ، واللفظ الفرنسى الذى يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى ان يكون مرادفه الفرنسى Superbe

ولاحظ كرادوفو ايضا ان هذه الفروق المعنوية الدقيقة التى تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها فى لفظ واحد الى اللغات الاخرى وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفى العميق ، ما دام ان احداث تغيير طفيف فى بنية اللفظ العربى يسمح لتلك اللغة بان تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التى تطابقها (8) . ولا نزاع فى ان منهج اللغة العربية الفريدة فى الاشتقاق قد زودها بدخيرة من المعاني لا يسهل ادائها فى اللغات الاخرى فى نطاق التركيز الجوانى الذى هو شيمة الاسلوب العربى الاصيل ، وقد لاحظ السيوطى هذه الزيادة فى المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بأنه اخذ صيغة من اخرى مع اتفاهما معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة (9) .

وجلى ان : هذه الطريقة فى توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ويتصل بعضها ببعض باواصر قوية واضحة وتغنى عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التى كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذى يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهى الحروف او الاصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء ماديا ظاهرا او مختفيا مستترا خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بان ارتباطها حيوى وان طريققتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة (10) .

قال الدكتور عثمان امين : واذا اردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية . فهو يرى فى كلمة مثل « صهر » اى آذاب الجسم بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور (11) . وفى العربية منهاج آخر مخالف للغات الاخرى ، فان العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة . من غير ان تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك فى وسط الكلمة واولها وآخرها . فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول فى مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول ، نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر فى مثل علم وعلم ، وبين الوصف والمصدر فى مثل فرح وفرح ، وبين المفرد والجمع فى مثل اسد واسد ، وبين الفعل والفعل فى مثل قدم وقدم ، وبين الاسم والاسم فى مثل : سحور وسحور .

المصادر

- 1 — انظر الفلسفة اللغوية جرجي زيدان ، ص 110 الطبعة الثالثة
القاهرة 1923 .
- 2 — فقه اللغة للثعالبي ، ص 553 - 555 ، المكتبة التجارية الكبرى
القاهرة .
- 3 — المرجع السابق ، ص 549 - 553 .
- 4 — الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص 225 ، طبعة الهلال 1913
القاهرة .
- 5 — الخصائص لابن جني ، ص 223 .
- 6 — نفس المصدر السابق ، ص 228 .
- 7 — المصدر السابق ، ص 317 .
- 8 — فلسفة اللغة العربية ، الدكتور عثمان أمين ، المكتبة الثقافية 144 .
- 9 — الزهر للسيوطي ، طبعة دار احياء الكتب العربية .
- 10 — فقه اللغة محمد المبارك ، دمشق ، ص 61 .
- 11 — فلسفة اللغة العربية عثمان أمين ، ص 48 .
- 12 — احياء النحو ابراهيم مصطفى ، 136 ، القاهرة ، ص 45 .

العربية وفلسفة الإعراب

واللغة العربية : من اللغات العريقة المنبست
الواسعة الأفق اتسعت فأحاطت بأبعد انطلاقات الفكر
وارتفعت حتى صعدت أرقى اختلاجات النفس .

ولقد زادت مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة
على النهوض بنبعاتها الحضارية عبر التطور الذي
تميشه الإنسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصاله الجاهدة المولدة
المعطاء والميزات المطوعة المتطورة .

وانك لتحسن هذا في كلماتها التي تمثل خطرات
النفوس ونبضات القلوب ، وكل كلمة لها في الجملة
مكان يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة نفسها .

ولهذا صارت - بفعل عوامل مختلفة - لغة حية
بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وإبانة
واقصاحا عن المعاني : الإعراب .

والعربية لغة تتوخى الايضاح والاصالة والاعراب
باحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غايه الايضاح
والانفصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ،
وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الاعراب يعتمد اهل اللغة
على القرائن وعلى اضافة كلمات الى الجملة لفهم
المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا
يترد - كما يقول صاحب الطراز - فأوجبت العربية
التفريق بين الفاعل والمفعول والواقع واللبس والابهام .

والاعراب : مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت
عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه أي مبين له

ولما كانت معاني المسمين مختلفة كان الاعراب
الدال عليها مختلفا ايضا . وكأنه من قولهم : « عربت
معدته » أي فسدت . كأنها استحالت من حال الى
حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة .

والاعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى
بعض الباحثين والدارسين من علماء مقارنة اللغات أن
الاعراب أرقى ما وصلت اليه اللغات في الوضوح

والإبانة وهذه المرتبة قد بلغت العربية الفصحى ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة إلا الألمانية .

أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات أوروبا الحديثة - فقد خلت من حالات الأعراب ولا يميز فيها بين الرفع والنصب والجر وإنما يقوم مقامها الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها مما لا يخرج عن الوضع ، الخارجي في المكان هذا ، في حين أن اللغة العربية قد استلزمت من أول الأمر - ما دام الأعراب مرعياً - أن يكون الفكر الواعي محددا للوضع الخارجي وأن يكون النظر إلى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير وتأكيد الأسناد وغير ذلك ، ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه . علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالأعراب يعرف الخبر من الإنشاء والمفعول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والتعجب من الاستفهام والنعت من الحال إلى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز أغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الأعراب ، فالأعراب في مثل (ما أحسن زيد يفرق بين الأغراض الثلاثة المثلة فيه ، فإذا قلت : ما أحسن زيد « بفتح نون أحسن وضم دال زيد » كانت « ما » نافية ، وأنت تريد أن زيدا لم يحصل منه إحسان .

وإذا قلت « ما أحسن زيدا » بفتح النون والدال كانت « ما » معجبية ، وأنت تريد أن شيئاً عجباً جعل زيدا حسناً .

وإذا قلت « ما أحسن زيد » بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية ، وأنت تريد معرفة أي شيء حسن في زيد علمه أم أدبه أم أخلاقه . الخ .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز فيالحركة يقولون : مفتح للاله بكسر الميم وفتح التاء و « مفتح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز ببناء التانيث وعدمها . فيقولون امرأة طاهر بدون التاء إذا أرادوا طاهرة من الحيض ، لأن الرجل لا يشاركها فيه ، وإذا أرادوا طهارتها من العيوب الخلقية ، قالوا امرأة طاهرة ، لأن الرجل يشاركها فيها ، فيحتاجون إلى التمييز بينهما ، ومثله امرأة قاعد إذا أنقلها الجبل

وقاعدة من القعود ، أي جالسة لأن الرجل يشاركها فيه فيقال : رجلٌ قاعد ويروي أن رجلاً دخل على أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - فقال له : من غير أعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له أمير المؤمنين : « بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت أبي الأسود اللؤلؤي وقتت مرة تشاهد السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لأبيها : « ما أحسن السماء » ، فقال أبوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا أسأل وإنما أنا أتعجب » فقال لها أذن قليني « ما أحسن السماء » وافتحي فاك . وسمع أبو الأسود قارئاً يقرأ قوله تعالى : « أن الله يرىء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله ، فأكبر أبو الأسود ذلك وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله .

وكان هذا سبباً في وضع علامات الأعراب للمصحف بأمر زياد .

ويروي ابن قتيبة أن رجلاً من الخوارج مدح رئيسهم شيبان بن يزيد الخارجي بقصيدة جاء في بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقنصب
ومنا أمير المؤمنين شيبان

فأخذه عبد الملك بن مروان وسأله وهو يحاكمه عن هذا البيت فقال لم أقل هذا بل قلت : ومنا أمير المؤمنين شيبان « بفتح الراء في أمير أي يا أمير المؤمنين ، فأمر بتخلية سبيله .

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى الأعراب عند العرب فقال : إن كلامهم - أي العرب - واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الأعراب والإبانة ، ألا ترى أن قولهم : زيد جاء في مغاير لقولهم : جاءني زيد . من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم .

فمن قال : زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة ، وكذا تأكيد الأسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم وأن زيدا قائم وان زيدا لقائم ، متغايرة كلها في الأدلة ، وأن استوت من طريق الأعراب فإن الأول العاري عن التأكيد إنما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .

من الاعراب يضع أمام الابصار مشهدا فلسفيا ذا روعة
وأصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لفهام المعاني
الدقيقة والمعاني الثانوية التي تصل الى نهاية الإبداع
وكمال الصنع ما يملك على السامع مشاعره ويستخدم
حواسه ويدفعه حيث يشاء .

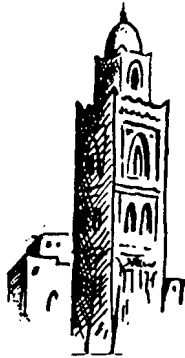
والاعراب في ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء
في مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل
وضوح وإبانة وهدى وانفصاح .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات .
نوهوا بخصيصة الاعراب في العربية ، قال العلامة :
« بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بشروء عظيمة
من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن
علامات الاعراب والنحو ذروة التطور في اللغات
السامية .

وقال البحائة : « لوى مسينيون » في حين ان
اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية
نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء ضخما



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

- 2 -

والهدف الذي كان يطمع في « الاتيان على الاضداد كلها » عند قطرب ، تواضع عند ابي حاتم واقتصر على « ما حضر منها » . ويدلنا هذا على ان المؤلفات في الاضداد كثرت ، واختلفت مادتها ، فجعلت ابا حاتم ينظر اليها نظرة تختلف عن المؤلفين السابقين عليه ، الذين لم تكن بين ايديهم كتب تكشف عن قدر المادة ، فظنوا انهم قاذرون في يسر على حصرها واستقصائها .

وتغير السبب مرة اخرى في الجيل التالي ، فصار الدفاع عن اللغة العربية ، والرد على مطاعن الشعوبيين ، كما نفهم من النص الذي اوردته في فصل سابق من كتاب ابن الانباري ، ووصف من رد عليهم « باهل البدع والزيغ والازراء بالعرب » .

اما الهدف فعاد كما بدأ مرة اخرى : استيعاب الجمع ، غير ان مؤلفي هذا الجيل كانوا يتطلعون الى هذا الجمع في ثقة دونها ثقة الاولين ، اذ وجدوا بين ايديهم ما ييسر عليهم السبل الى هدفهم . وكان مفهوم الجمع عندهم مختلفا عن مفهومه عند قطرب . فقد كان هذا يستهدف جمع الاضداد التي في اللغة العربية اما مؤلفوا هذا الجيل فكانوا يستهدفون جمع الاضداد المدونة فيما الف السابقون عليهم .

واضاف ابن الانباري الى الجمع اهدافا اخرى تتصل بطريقته في عرض مادة كتابه : قال (1) :

كان الاستلطاف سببا في ظهور اول كتاب خاص بالاضداد ، فقد اعلن قطرب في صدر كتابه : « وانما خصصناه بالاخبار عنه لقلته في كلامهم ولظرافته » . وكان لهذا السبب اثره الكبير في الهدف الذي نصبه المؤلفون امام أعينهم . فقد كان الجمع المستقصى ، والشمول التام هدفا لهم ، منذ الكتاب الاول ايضا . قال قطرب : « وسنأتي عليه كله ان شاء الله » .

وسرعان ما تغير هذا السبب ، اذ تحول عند الجيل التالي الى سبب ديني . قال ابو حاتم السجستاني : « حملنا على تأليفه انا وجدنا من الاضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا ، فاوضحنا ما حضرنا منه ، اذ كان يجيء في انقرآن الظن يقينا وشكا ، والرجاء خوفا وطمعا . وهو مشهور في كلام العرب ... فاردنا ان يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب ان الله عز وجل حين قال : (وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون ..) مدح الشاكين في لقاء ربهم وانما المعنى يستيقنون ... واما قوله : (قلت ما ندري ما الساعة ، ان نظن الا ظنا) فهؤلاء شكاك كفار » .

وتضع هذه العبارة ايدينا على اشياء من التغيير عرضت للتأليف في الاضداد غير السبب ايضا . فالاضداد التي اتسمت « بالقلّة والظرافة » عند قطرب ، صارت عند ابي حاتم « شيئا كثيرا » .

(1) 13 .

اسما الاضداد اسمى ما يعين ادير
 سبا رام تانيق او ترنيق ما نظما
 بها يحلى بتجنيس وتوربة
 نظما ونثرا ، ويجلي الهم والغمما

ونستبين من هذا ان الدافع الذي حمل
 اللغويين على تدوين الاضداد لم يثبت على مر
 العصور ، بل تغير من جيل الى آخر . فقد بدأ هواية
 في القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على ازالة ما
 قد يعترى بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ،
 ثم تحول الى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم امام
 الدعاوي الشعوية في اوائل القرن الرابع ، وحب
 المعرفة الجرد في ذلك القرن ايضا ، وانتهى الى
 الرغبة في منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة
 لغوية جديدة في العصور المتأخرة . وتغير الهدف
 الذي سمي اليه كل من هؤلاء المؤلفين . فبينما كان
 اولهم قطرب يسعى الى استقصاء الاضداد من نهر
 اللغة مباشرة ، استكثر هذا ابو حاتم ووجد الاسيل
 اليه واقتصر على التطلع الى جمع ما أمكن . ثم
 سمي ابن الانباري الى «الجمع» ، ولكن من الكتب
 المؤلفة قبله ، وازافة بعض الشواهد والعلل .
 وسمى ابو الطيب الى ذلك ، مع التمهيص والنقد .
 ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

بواكير جمع الاضداد

تجلى لنا ان الحديث عن الاضداد بدأ مبكرا
 في اللغة العربية ، وان كثيرا من اللغويين الاولين
 خاضوا فيه . فكان منهم من التقط اللفظ بعد اللفظ ،
 ونبه الى انه من الاضداد مثل ابي عمرو بن العلاء .
 وكان منهم من عقد للالفاظ واحدا من فصول أحد
 كتبه ، مثل ابن قتيبة . وكان منهم من افرد
 للاضداد كتابا مستقلا ، مثل قطرب .

واقدم من عثرت على اشارات منه الى الاضداد
 الخليل بن احمد الفراهيدي ، المتوفى حوالي سنة
 170 هـ ، وكان يعد الاضداد « من عجائب الكلام
 ووسع العربية (3) » . فأشار الى قدر منها في
 كتابه « العين » ، غير ان ابن سيده الوحيد ممن عالج
 الاضداد ونقل واحدا منها عنه ، قال في

« وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ،
 وصنفوا في احصائها كتباً ، نظرت فيها فوجدت كل
 واحد منهم اتى من الحروف بجزء ، واسقط منها
 جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرأيت
 ان اجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ
 علمي ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة
 المؤلفة في مثل معناه . اذ اشتمل على جميع ما
 فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ،
 واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ونجد كل هذه الاهداف او اغلبها عند ابي
 الطيب ، ثم اضاف اليها تمحيص مادة الكتب السابقة
 ونقدها . قال (2) : « تحرينا في تأليفه - بعدما
 سبق من كتب السلف في معناه - احكام تصنيفه ،
 واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ،
 والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائلين
 به ، ويضعف قول النافين له » .

وجاءت الاجيال التالية ، فوجدت اهل القرن
 الرابع فرغوا من جمع الاضداد المتفرقة في الكتب
 الكثيرة ، ومن تمحيصها ونقدها ، ومن جمع
 الشواهد عليها . وكانت الغايات التعليمية قد غلبت
 عليهم ، فاستهدفوا التيسير على تلاميذهم ، وتمهيد
 السبل امامهم ليحفظوا علومهم . فجمعوا من كثير من
 المواد قوائم عارية . وذلك ما نراه عند ابن الدهان
 في قوله : « فانه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد
 من الالفاظ المتضادة المعاني من العرب ورأيت في بعض
 كتبهم اشياء لا يجب ذكرها ، وفي بعضها اختلالا
 فيما يجب ذكره ، ورأيت بعضها مشحونة
 بالاستشهادات ، بأمثلة وآيات ، احببت ان اجمع ما
 ورد فيها مختصرا ، معرى من الاستشهادات » .

وانقضت قرون لم تصل اليها منها كتب في
 الاضداد ، الى ان كان القرن الثالث عشر آخر
 قرون التأخر الادبي ، والشغف بالمحسنات اللفظية . فكان
 تيسير الوصول الى هذه المحسنات سببا في عودة
 التأليف في الاضداد . قال السيد عبد الهادي نجا
 الابياري صاحب ارجوزة « دورق الانداد في نظم اسماء
 الاضداد » المؤلفة قريبا من عام 1297 هـ ، عما
 دفعه الى هذا النوع من التأليف :

(2) 1 - 2 .

(3) العين : مادة شعب .

المخصص (4) : « صاحب العيين : حصباء الحصى : صفارها وكبارها » . وكان يجدر به ان يعرف الحصباء بالحصى مجردا ، ومهما كان حجمه ، كما فعل صاحب القاموس المحيط ، فتخرج الكلمة عن الاضداد .

وروى قطرب واحدا من الاضداد عن يونس بن حبيب ، المتوفى حوالي 182 هـ ، قال (5) : « قال يونس : الرغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت في معنى مرغوثة ، والولد ايضا رغوث ، والمعنى انه راغث لها ، فصار رغوث للمفعول والفاعل » .

كذلك اورد أبو الطيب ضدا آخر عنه ، قال (6) : « عن يونس قال : سمعت اعرابيا يذكر مصدقا لهم ، فقال في كلامه : فتمقه بعد ما نمقه : اي محاه بعد ما كتبه » .

والنص الاخير صريح ان يونس التفت الى المعنيين المتضادين وفسرهما ، الا ان النص الاول لا يدل بهذه الصراحة على ان الكلام كله عن يونس . فمحتمل ان يكون اورد واحدا من المعنيين واورد قطرب الآخر .

وروى أبو عبيد في الفرييب المصنف ثلاثة اضداد عن الكسائي ، المتوفى حوالي 189 هـ اورد أبو حاتم اثنين منهما في المجموعة التي شك فيها ، وهما افاد وأودع . وقد اورد ابن الانباري وابو ابن الانباري ، وعقب أبو الطيب عليه بشك أبي حاتم الطيب الاول منهما دون تعليق . اما الثاني فتركه فيه . ولم يورد الثالث منها غير أبي عبيد : « الكسائي : غبيت الكلام ، وغبي عني » . وينسب ضد واحد او ضدان الى مجموعة اخرى معاصرة من اللغويين مثل أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، المتوفى 202 هـ ، وابي محمد عبد الله بن سعيد الاموي .

فاذا استثنينا الخليل - بسبب معجمه - لم

نجد لفويا من هذا الجيل تروى عنه اضداد كثيرة ، وانما هي كلمات قلائل ، ترد عليه عارضة في اثناء دروسه ، فيتنبه اليها فينبه عليها ، اولا يتنبه ويكتفي بالتفسير . فتعلق في ذهن احد التلاميذ ويفطن الى ما فيها من تضاد فيدونها في كتابه . ثم تكثر الاضداد عند لفويي الجيل التالي ، على تفاوت بينهم .

فما ينسب الى الفراء المتوفى في 207 هـ يماثل ما نسب الى الجيل السابق ندره ، لا يتعدى الضد او الاثنين . قال محمد بن انجم ، عن لفظ (تحنث) (7) : « فسالت الفراء عنه ففكر ساعة ، ثم قال : يتحنث : يتجنب الحنث ، يقال : قد تحنث الرجل : اذا تجنب الحنث ، واذا اتاه ايضا ، كما يقال : قد تائم اذا اتى المائم ، واذا تجنبه » .

وتكثر الاضداد بعض الشيء عند ابي عمرو الشيباني ، المتوفى في 206 او 210 هـ . فقد نسب اليه ابو الطيب ما اقتصر فيه على الاضداد دون شواهد ، مثل (8) : « ابو عمرو الشيباني : يقال : قد تياجروا على الطريق : اي تبع بعضهم بعضا على الطريق . وتياجروا عن الطريق ، اي عدلوا عنه » . ونسب اليه ما عنى فيه بالشواهد ، مثل (9) : « قال أبو عمرو الشيباني : المائل القائم ، والمائل اللاطيء بالارض . وانشد : « خلقا كثة المالح المائل »

وعثرت على مجموعة من الاضداد صرح جامعوها انهم رووها عن (ابي عمرو) ، دون ان يبينوا ايريدون الشيباني أم ابن العلاء . وقد حاولت أن اميز بينها على أساس من المدرسة اللغوية التي تخرج الرواية فيها ، فاذا كان كوفيا كان يروى عن الشيباني ، واذا كان بصريا كان راويا عن ابن العلاء . ولكن المحاولة اخفقت ، لان اكبر كتابين في الاضداد - كتابي ابن الانباري وابي الطيب - من انتاج كوفيين ، ولكن الرجلين ادخلا في كتابيهما كل ما أورده البصريون من الاضداد ، فاختلط عندهما التراث البصري والكوفي . وحاولت ان اعتمد على

(4) المخصص 13 : 266

(5) 17 . واورده ابن الانباري 243 ، وابو الطيب 308 .

(6) 649 .

(7) 111 .

(8) 687 .

(9) 626 . واورده ابن الانباري 184 ، وابن الدهان 19 .

الكتب القديمة فى الاضداد . فوجدت الظاهرة نفسها متمثلة فيها . فاضداد الاصمعي نفسه تحتوي على ما ينسب الى ابي عمرو الشيباني صراحة ، مثل المائل التى اوردها ، ومثل (10) : « قال ابو عمرو الشيباني : الجتل : الصغير ، والجلل : العظيم . ولا اعرف الجلل فى معنى العظيم » . وحاولت ان اعتمد على ما يشيع بين الناس ان القدماء اذا ارادوا الشيباني ذكروا لقبه لا محالة ، ولم يتحروا ذلك مع ابن العلاء ، فان قالوا : « ابو عمرو » فقط ، كان المراد ابن العلاء ، فاخفقت المحاولة ايضا . فقد جاء فى اضداد الاصمعي (11) وابي الطيب : « حكى ابو عمرو : الخجل : المرح . والخجل : الكسل ، وانشد :

اذا دعا الصارخ غير متصل

مرا امرت كل منشور خجل

مرا : جمع مرة ، اراد مرة بعد مرة . منشورا : اي منتشرا امره » . واورد ابن السكيت كل هذا ونسبه صراحة الى الشيباني .

لهذه الاسباب اميل الى ان المراد بأبي عمرو هنا هو الشيباني . وتكشف هذه الاضداد ان ابا عمرو اورد اضدادا من اللغات العربية ، واضدادا مجازية ، وما يندرج تحت صيغة فعول .

ثم تكثر الاضداد وتنوع عند ابي زيد الانصاري ، المتوفى سنة 215 ، وعاصر التأليف فى الاضداد . فوجد عنده من الاضداد ما لم يستشهد عليه ، مثل قوله (12) : « يقال : جمل سهو بين السهاوة : اذا كان بطيئا ودابة سهوة : خفيفة سهلة السير » . ونجد ما استشهد عليه مثل (13) : « قال ابو زيد : الشفيف من الاضداد . يكون لهب الحر ، ويكون برد الريح . وانشد فى لهب الحر :

جاءت تشكى لهب الشفيف

وانشد فى البرد :

فالجها الى نارى الشفيف »

وروى من الاضداد ما قبله اللغويون بعده فادخلوه فى كتبهم ، وروى ما ضعفوه ايضا مثل (14) : قال ابو زيد : يقال : تصدق الرجل يتصدق تصدقا : اذا اعطى صدقته . قال : وبعض العرب يقولون : تصدق يتصدق : اذا سأل ان يتصدق عليه . قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق اذا اعطى الصدقة » .

واورد منها ما يمكن رد تفسيره الى معنى واحد لا تضاد فيه ، مثل (15) : « قال ابو زيد الفلد : العطاء القليل والعطاء الكثير . قال الشاعر فى القليل :

تكفيه فلذة لحم ان الم بها

من الشواء ويروي شربه الفمر

وقال العجاج فى الكثرة :

فلذ العطاء فى السنين البزل

« وكان جدبرا بأبي زيد ان يعرف الفلد بانه العطاء مجردا من الوصف بالقليل او الكثير ، فيخرج اللفظ من زمرة الاضداد .

واورد اضداد المتعلقة . قيل فى اضداد الاصمعي (16) : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك . وطلعت عليهم : اذا اقبلت عليهم حتى يروك » . وقد خضعت هذه العبارة لبعض التشويه ، يكشف عنه قول ابي حاتم : « يقال : طلعت فى الجبل : اذا اقبلت فيه او ادبرت . وطلعت على صاحبي : اقبلت عليه . وطلعت عنه : ادبرت . والمصدر الطلوع » فالتضاد آت من الحرف لا من الفعل .

- (10) 6 . واورده ابن الانباري 52 ، وابن الدهان 8 ، ونسبه ابو الطيب الى الشيباني ايضا 150 .
 (11) 12 . واورده ابو الطيب 250 . وابن السكيت 287 .
 (12) ابو الطيب 378 .
 (13) ابو الطيب 415 .
 (14) ابو الطيب 437 .
 (15) ابو حاتم 243 . ابن الانباري 348 . ابو الطيب 554 .
 (16) 49 . ابو حاتم 234 . ابن الانباري 203 ، 309 . ابو الطيب 458 .

... قال : ويقال للرجل ، مشمول الخلاق .
اي كريم الاخلاق « . وروى ابن الانباري هذا اللفظ
دون ان ينسبه الى احد .

— ◆ — كتاب الاضداد

لم تصل الينا اخبار يقينية عن اول من الف
في الاضداد ، ولا نستطيع الجزم بذلك ، لان هذا
النوع من التأليف ظهر على يد ثلاثة من اللغويين
المتعاصرين : هم قطرب المتوفى عام 206 هـ ، وابو عبيدة
المتوفى عام 210 هـ ، والاصمعي المتوفى حوالي
عام 213 .

ومن الطبيعي ليس من العدل الاعتماد على
تاريخ وفاتهم ، لان الاخير منهم في الوفاة قد يكون
اولهم في التأليف ، اذ ليس الفرق بين وفياتهم
بأكثر من سبع سنوات . ولكننا نسير في علاج كتبهم ،
وفقا لترتيب وفياتهم ، اضطرارا . ويطمئنا الى
هذا الترتيب قول الصفاني في مقدمة اصداده :
« هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة
في الاضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير الى
زمان ... » . فهذه العبارة تجعل المرء يشعر بأن
قطربا اول من الف في الاضداد .

وقد عثرت في اثناء بحثي عن الاضداد على
اسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها . وهالك هذه
الاسماء مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها :

1 - اصداد قطرب المتوفى عام 206 هـ : طبعه
هانزكوفلر Hans Kofler في مجلة
اسلاميات ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ،
ص 241 ، وترجمه وعلق عليه
Islamic : Das Kitab Al-Addad von Abu Ali
في العدد الرابع ص 385 من نفس المجلد
Muhammed Qutrub ibn Al-mustanir. Vol. 5. Fasc.
3, p. 241, S. fasc. 4, p. 385

2 - اصداد ابي عبيدة المتوفى عام 210 هـ :
مفقود .

واورد من الاضداد المجازية ما مثاله (17) :
« الظعينة : المرأة على البعير ، ويجوز ان تكون في
بيتها . قال ابو زيد : الظعائن : الهوادج ، وانما
سميت النساء ظعائن لانهن يكن فيها » .

وروي له ضد من اصداد التفاؤل ، قيل في
اصداد الاصمعي (18) : « قال ابو زيد : الناهل في
كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذي قد شرب
حتى روي .. وعلق ابو حاتم على هذا القول بقوله :
« فانما قيل للعطشان ناهل على التفاؤل ، كما يقال :
الغاية للمهلكة على التفاؤل ، ويقال للعطشان :
ريان ، وللملدوغ : سليم . اي سيسلم
وسيروى ونحو ذلك .

وروي له من اصداد اللغات عدة الفاظ ، امثل
لها بقوله (19) : « قيس تجعل من لم يدرك من
الصبيان فرطا ولا يقولون للكبار فرطا ، وغيرهم
يجعلونه واحدا » .

ونسب ابو حاتم ضدا لابي زيد ، آت عن
اختلاف الاصلين المشتق منهما معنيهما ، قال (20):
« قال ابو زيد : يقال : اضعف الرجل : اذا كثرت
ابله ونشت ضعته وانتشرت واضعف : اذا كانت
ابنه ضعافا مهازيل » . فالمعنى الاول من الضعف
بكسر الضاد بمعنى المثلين ، والثاني من الضعف
- بفتح الضاد - اي الهزال .

وبقي بعض الناس يوردون اصدادا ، بعد عهد
التأليف فيها ، دون ان يشاركوا هم في تدوينها في
كتب خاصة بها . فانتبس المؤلفون في الاضداد
بعدهم اقوالهم وادخلوها في كتبهم . وعلى هذه
الصورة كثيرا ما ظهر اسم ابن الاعرابي في كتب
الاضداد ، مثل (21) :

« قال : « ابن الاعرابي : يقال : اخلاق
مشمولة ، اي اخلاق سوء ، وأنشد :

ولتعرفن خلانقا مشمولة
ولتندمن ولات ساعة مندم

(17) الاصمعي 68 . ابن السكيت 342 . ابن الانباري 100 .

(18) 45 . ابو حاتم 135 . ابن الانباري 65 . ابو الطيب 637 .

(19) ابو الطيب 547 .

(20) ابو حاتم 166 . ابو الطيب 451 .

(21) الاصمعي 18 . ابن السكيت 290 . ابو الطيب 413 . وانظر ابن الانباري 104 .

- 3 - اذداد الاصمعي المتوفى عام 213 هـ : نشره الدكتور أوغست هفتر Dr August Haffner استاذ العربية فى كلية انسبروك ، بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، فى ييروت عام 1913 مع اذداد السجستاني وابن السكيت والصفاني فى مجلد واحد . (واشك فى كونه للاصمعي) .
- 4 - اذداد التوزي المتوفى عام 233 هـ : مفقود .
- 5 - اذداد يعقوب بن السكيت المتوفى عام 246 هـ : انظر اذداد الاصمعي .
- 6 - اذداد ابي حاتم السجستاني المتوفى عام 255 هـ : انظر اذداد الاصمعي .
- 7 - اذداد عبيد بن ذكوان من معاصري المبرد : مفقود .
- 8 - اذداد ابي بكر محمد بن القاسم الانباري المتوفى عام 328 هـ : نشره هوتسما Th. Houtsma فى ليدن عام 1881 ، ثم الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرافعي مع الشيخ احمد الشنقيطي بالمطبعة الحسينية المصرية عام 1325 هـ ، ثم محمد ابو الفضل ابراهيم فى سلسلة التراث العربي التى تصدرها الكويت 1960 م .
- 9 - اذداد ابن درستويه المتوفى عام 347 هـ : مفقود .
- 10 - اذداد ابي الطيب اللغوي المتوفى عام 351 هـ : نشره الدكتور عزة حسن فى دمشق 1382 / 1963 .
- 11 - اذداد الامدي المتوفى عام 371 هـ : مفقود .
- 12 - اذداد احمد بن فارس المتوفى عام 395 هـ : مفقود .
- 13 - اذداد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى عام 569 هـ : نشره محمد حسن آل ياسين فى نفائس المخطوطات بالنجف 1952 .
- 14 - اذداد ابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري المتوفى عام 577 هـ : مفقود .
- 15 - اذداد الحسن بن محمد الصفاني المتوفى عام 650 هـ : انظر اذداد الاصمعي .
- 16 - مختصر اذداد ابن الانباري لتقسي الدين عبد القادر التميمي المصري المتوفى عام 1009 هـ : مفقود .
- 17 - ترتيب المختصر السابق ، لابن المختصر ملا حسن : مفقود .
- 18 - دورق الانداد فى نظم اسماء الاذداد للسيد عبد الهادي نجا الاياري المتوفى عام 1305 هـ : مصور بدار الكتب المصرية ، تحت رقم 844 لفة .
- 19 - الرونق على الدورق : للمؤلف نفسه ، شرح فيه دورق الانداد : مفقود .
- 20 - الكاس المروق على الدورق ، للسيد احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني . شرح لدورق الانداد الفه عام 1302 هـ تقريبا : مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم 844 لفة .
- 21 - رسالة فى ذكر بعض الالفاظ المستعملة فى الضدين الموجودة فى القاموس لعبد الله ابن محمد وهو مجهول ولكنه محدث : مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 241 مجاميع .
- 22 - منه الرقاد فى ذكر جملة من الاذداد مؤلف مجهول ، ولكنه حديث : مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 329 لفة .
- 23 - الاذداد ، للشيخ محمد المدني ، مخطوط بمكتبة السليمانية بالاستانة تحت رقم 1041

كتاب قطرب

واذن فالمؤلف الاول فى الاذداد هو ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب تلميذ سيبويه . وقد درسنا انواع الاذداد عنده ، وعند غيره ، من المؤلفين فى الاذداد خاصة وما زاده كل منهم على سابقه ، فلا نعيد القول عن ذلك ، ونعني بابرار صور تمثل كتبهم ، وتوضح طرق تناولهم .

صدر قطرب كتابه بمقدمة قصيرة : افتتحها بتقسيم كلام العرب الى الواجه الثلاثة المتقدمة فى اول الكلام عن الاذداد ، واختتمها باشارة الى استقصائه جميع الاذداد كلها ثم انتقل الى الاذداد نفسها .

وقال لبيد :

وارى أربد قد فارقتني

ومن الأرزاء رزء ذو جليل

غير عظيم . وقال : يجوز ان يكون غير هين وغير شديد ... » .

وكان في بعض الاضداد يتفاضى عن هذه العادة، ويبدأ بمعان غير متضادة ، او بأمثلة ، او يدخل ضدين في بعضهما . قال مثلا (23) : « والنهيك : وهو الشجاع . ويقال قد نهكه المرض ونهكه لفتان ، ونهكت الرجل نهائة ونهكة : فهرته . ويقال ايضا : نهك الرجل اذا قوى واشتد » فالقوة والضعف هما المعنيان المتضادان ، اما الشجاعة فأمر آخر .

وقال (24) : « ومنه ايضا : الاستجمار : هو الاستنجاء بالحجر ، وكانت قريش تجمر نساءها ، وذلك ان تجعل لها كالنزعيتين من نتف وحلق وما أشبه ذلك . وقال : لا تجمروا جنودكم : أي لا تحبسوهم . قال ابو محمد : يقال : جمرت المرأة شعرها : اذا جمعتها ويقال : لا تجمروا جنودكم : أي لا تقطعوا نسلهم . وفي المغازي : « تقطعوا نسلكم » . ويقال للذؤابة : جمار ، ، ولها جماران ، وهي كالضفيرة التي تقبل على الوجه » . خلط المعاني ، ولم يبين أي اثنين منها متضادين ، وليس فيها معان متضادة . وانظر ما فعله في عسى ووطن اللتين خلطهما كل الخلط (25) .

وكثيرا ما كان لا يذكر في الضد إلا معنى واحدا . قال مثلا (26) : الفموز : التي لا تدر حتى يفغز ضرعها » وقال (27) : « يقال ناقة ظئور : تمطف على ولد غيرها » . وغير ذلك من صيغة فعول .

وكثيرا ما كان قطرب يلتفت الى المشتقات في الضد الذي يعالجه ، فيشير إليها . وقد مرت بنا

والف قطرب في معالجة اضداده، ان يبدأ بذكر المعنيين المتضادين ، ثم يذكر الشواهد وما إليها، فيقول مثلا (22) : « ومن الأضداد ايضا السامد . والسامد بلفظة طيبء : الحزين ، وبلغة اهل اليمن : اللاهي ، والسامد : اللاعب ، وهذا ضد الحزين . وقالوا ايضا : السامد : المطرق . وقالوا : سمد الرجل يسمد سمودا : اذا لعب . وقال : المسمود : الطائح الطرف . وقالوا : المسمود : المغمى عليه . وقال الله جل ثناؤه : (وانتم سامدون) .

قال ابن عباس : على اللفظة اليمانية ، التي ذكرناها . وقال الكلبي : سامدون مهتمون على لفة طيبء ، سمعنا من ينشد :

قيل قم فانظر اليهم
ثم دع عنك السمودا

وقال رؤبة :

ما زال أساد المطايا سمدا
تستلب السير استلابا مسدا

قال ابو زييد :

وتخال العزيف فيها غناء
لندامى من شارب مسمود

وقال ذو الرمة :

يصبحن بعد الطلق التجريد
وبعد سمد القرب المسمود

... ومن الأضداد ايضا : امر جلال : هين ، وامر جلال : أي شديد ، وقال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم
إلا كل شيء سواه جليل

وقال الآخر :

رسم دار وقفت في ظله
كدت اقضي الغداة من جلله

(22) 3 ، 4 .

(23) 62 .

(24) 74 .

(25) 1 ، 2 .

(26) 19 .

(27) 24 .

امثلة لذلك ، وهذه امثلة اخرى : قال (28) :
« يقال ايضا : اهدم الثوب يهدم همودا بلي . واهمد :
اسرع . واهمد : سكن . والاهماد : السرعة فى السير .
والاهماد : الإقامة .. » .

ولم يسر قطرب فى شواهدة على طريقة
واحدة . فكان فى كثير من الاضداد لا يستشهد
البتة . قال مثلا (29) : « ومنه : البعل ، يا هذا :
لما سقت السماء ، وقالوا : البعل ايضا لما يشرب
يعروقه - والبعل : الزوج » . وقال (30) : « ومنه
البحتر : للقصير ، والبحتر : للعظيم » .

وكان فى احيان اخرى يستشهد على أحد
المعنيين المتضادين ، وبهمل الآخر . نرى مثال ذلك
فى قوله (31) : « ومنه ايضا : السليم . فالسليم :
السليم ، والسليم : الملدوغ .. قال النابغة :

يسهد من نوم العشاء سليمها
لحلي النساء فى يديه قعاقع

وقال الاخر :

الاقى من تذكر آل ليلى

كما يلقي السليم من العداد

الانتظار .

ويفعل ذلك فى غيره من الاضداد ، مثل
الناهل، والاعور، والخل، وارم، وجربة والفواض،
والتفشم ، وهجد .

وفى مواضع اخرى استشهد على المعنيين معا .
قال مثلا (32) : « ومنه التلعة : مسيل الماء من
الجبل الى الوادي ، والتلعة : الارتفاع من الارض .
وقال الراعي :

رآنى ذوو الاحلام خيرا خلافة

من الراعين فى التلاع الدواحل

وقال زهير :

وانى متى اهبط من الارض تلمة
اجد اثرا قبلي جديدا وعافيا »

وانظر افرع ، والرهوة ، والمقتوى ، وبهوى ،
وعسمس ، والمنة وغيرها . وكان احيانا يستشهد
على المعنى الواحد بأكثر من شاهد ..

وتنوعت الشواهد عنده : ما بين شعرية
رايناها فيما سبق ، وقرآنية فى قوله (33) :
« فمن الاضداد : عسى : تكون يقينا مرة ، وشكا
اخرى ، قال الله جل ثناؤه : (عسى ربكم ان
يرحكم) وعسى فى القرآن واجبة » . وقال (34):
« يكون الظن شكاً او يقينا .. وقال الله جل ثناؤه:
(الذين يظنون انهم ملاقو ربهم) وقال فى آية
اخرى : (ظننت اني ملاق حساييه) فهذا يقين ،
ولو كان ذلك شكاً لم يجز فى المعنى وكان كفرا
ولكنه يقين .. » . وانظر سمد ، وعاصم ، وراضية ،
وخفى ، واسر ، ورجا ، وشرى ، وقبل ، وغيرها .
وامثال نراها فى قوله (35) : « وفى مثل : الحق ابلج
والباطل لجلج . والابلج : المضيء المستنير . والجلج :
الذي ليس بمستقيم .

وقال الراجز :

وانعدل النجم عن المجرة

وانبلج الصبح لام برت

باتت على مخافة وظلت »

وكان قطرب فى اضداده ميالا الى التنظيم ،
فوضع جميع المواد التى تنضوي تحت صيغة فعول
للفاعل والمفعول به فى موضع واحد من (13 - 32)
ونبه على هذه الصفة التى توحد بينها فى آخرها ، اذ
قال : « هذا كله الذى ذكرنا اضداد على فاعل
ومفعول » . ولم يفصل بينها الا بصيغة واحدة
« فاطم » التى لا تدخل فى هذه الصيغة .

(28) 7 .

(29) 48 .

(30) 49 .

(31) 8 .

(32) 1 2 .

(33) 1 .

(34) 2 .

(35) 216 .

ونظم صيغة فاعل أيضا ، وجمع موادها في موضع واحد من (33-44) ونبه عليها في أولها في قوله : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا . » . ولم يشد عنه إلا الصيغة السابق ذكرها ، التي أتت في وسط امثلة صيغة « فاعول » اضطرابا .

أما أضداد صيغة فاعيل التي تأتي للفاعل والمفعول فلم ينتبه إليها ولم يفعل فيها ما فعله مع اختيها ، ففرقتها في (70 ، 71 ، 74 ، 75 ، 87)

وهناك ظواهر أخرى قليلة الأهمية في أضداد قطرب ، لأنها لم تبلغ مبلغ الظواهر السابقة في الظهور والبروز . ومن هذه الظواهر رجوعه إلى من قبله من اللغويين ، وأكثرهم ظهورا يونس بن حبيب (15، 17، 32) فأبو عمرو بن العلاء (7 ، 167) فالكلبي (163)

ورجوعه إلى الاعراب مثل أبي طفيلة الحرمازي (16) وأبي عون الحرمازي (119) وأبي خيرة العدوي (162) . وأكثر في تفسير الآيات من الرجوع إلى ابن عباس (162 ، 163 ، 164 وغيرها كثير) .

ومنها التفاته إلى الروايات الشعرية ، كما نرى في (5 ، 146 مثلا) وإلى التفات كما في (45 ، 59 ، 62 ، 92 ، 162 ، 197 ، 200) ، وإلى المعرب (7 ، 13) وبعض القواعد النحوية اللغوية (32) .

ومن الظواهر البارزة في أضداد قطرب ، أنها لم تعرف الأضداد تعريفا دقيقا ، ووسعت مدلولها جدا ، فأدخلت كثيرا من الالفاظ التي تقدمها القديماء أنفسهم ، وخاصة ابن الأنباري وذكرنا من ذلك امثلة كثيرة . بل بلغ من حبه لإيراد الالفاظ أن أدخل بعض الالفاظ العامة ، على علم منه بها . قال ابن الأنباري (235) : « قال قطرب : الحرفة من الأضداد ، يقال : قد أحرف الرجل أحرافا : إذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس : الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب ، إنما تقولها العامة » . وكان السبب في هذا رميه إلى استقصاء الأضداد كلها ، والاكثار منها ، حتى أوقعه ذلك في التزيد .

ومما يؤخذ عليه أيضا - إلى جانب هذا - خلطه بعض الأضداد ببعض ، كما فعل في عسى وظن (1 ، 2) فأورد ثانيتهما في وسط كلام عن الأولى .

ويلام على عدم انتهاجه خطة موحدة في معالجة الأضداد ، فقد كان من الواجب عليه افتتاح الضد

بذكر معنييه المتضادين ، ثم تناول ما يعن له . فكان هذا يوضح له الالفاظ التي لا تشتمل على معنيين متضادين فيطرحها من كتابه ، ويعرفنا الضدين منذ النظرة الأولى . كما قد نلوه على استطراده إلى المعاني الأخرى في الأضداد التي نستطيع الحصول عليها من الرسائل اللغوية الأخرى ، وعلى أفلات التنظيم منه أحيانا . وتكرير بعض الأضداد مثل زعوم (28 ، 171) وأضب (110 ، 215) وبطائن (130 ، 182) وذفر (116 ، 217) وجون (79 ، 94) ، يضاف إلى ذلك تفرقة الأضداد المشتقة من أصل واحد كظهر وظهر وظاهر (149 ، 179، 188) ، وخفى واستخفى (45 ، 135) وبعل (بمعنيين مختلفين 48 ، 189) .

وجميع هذه الظواهر والماخذ - كبيرها وصغيرها - على قدر كبير من الأهمية ، لأنها تسربت من كتاب قطرب إلى جميع كتب الأضداد المؤلفة بعده ، فسارت عليها دون كبير تمحيص . فما تخلص منها غير القليل ، حتى أن ابن الأنباري كره (زعوم) لتكرير قطرب إياه .

ومجمل القول في أضداد قطرب أنه اشتمل على 218 ضدا ، تكرر منها خمسة ، أي مجموع ما فيه منها 213 ، انفرد قطرب بثمانية منها لم يتابعه أحد فيها ، هي (21 - 30 - 31 - 38 - 47 - 100 - 105 - 184) ، والثلاثة الأولى من صيغة فاعول ، والرابعة من صيغة فاعل . ولعل ذلك سبب عدم ذكرها ، أما بقيتها فربما كان الشك فيها هو الذي دفع إلى إهمالها .

واشترك قطرب مع ابن السكيت وأبي حاتم وابن الأنباري في 54 ضدا ، غير أن الكثرة الغامرة رواها الأصمعي أو أبو عبيدة أو أبو زيد بالإضافة إليه . وحذف ابن السكيت وأبو حاتم من أضداد قطرب في كتابيهما 86 ضدا . وانفق ابن السكيت وابن الأنباري على حذف ثلاثة أضداد (77 - 80 - 164) وانفرد ابن السكيت بحذف 59 ضدا . وانفرد أبو حاتم بحذف ثمانية أضداد (86 - 91 - 98 - 103 - 108 - 129 - 177) .

وجلي أن ابن السكيت ترك من أضداد قطرب 156 ضدا ، أي حوالي ثلثها ، وأورد منها الثلث الباقي الذي شارك قطربا في روايته المؤلفون الأولون ، عدا ثمانية أضداد . وتدعم هذه النتيجة القول المذكور في البغية (104) : « قال ابن السكيت :

كتبت عن قطرب قطرا ثم تبينت انه يكذب في اللغة ، فلم اذكر عنه شيئا .

وهذه النسخة التي حققها كوفلر من رواية المكنى « ابا محمد » المذكور كثيرا في تضايف الكلام عن الاضداد . ولم يشتهر بهذه الكنية في عصر تلاميذ قطرب غير اثنين ، هما : ابو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلى المتوفى عام 235 و ابو محمد عبد الله بن محمد التوزي المتوفى عام 238 هـ . اما الموصلى فقد اخذ « عن الاصمعي وابي عبيدة وغيرهما (النزهة 227) ولكن لم يصرح احد بمقابلته لقطرب ، وروايته اُضداده . واما التوزي فقد « اخذ عن ابي عبيدة والاصمعي والجرمي » (النزهة 232) ولم يصرح احد بمقابلته قطريا . ولكن له كتاب في الاضداد اقتطف منه المبرد ضدين ، لم اجد احدهما في نسخة قطرب ، والثانية مختلفة عن مثلتها فيه . واذن فهذا الكتاب ليس للتوزي . ومع ذلك ، لا يمنع هذا ان يكون رواه التوزي .

وكان ابو محمد يروي تعليقاته عن الاصمعي (2 - 4 - 118) وابي عبيدة (2 - 118 - 131) وابي عمرو الشيباني (173) ولم يرو كثيرا منها عن احد ، كما سيبين فيما يلي .

وكان قدر كبير من تعليقات ابي محمد موجها الى شرح الشواهد . وابتدا هذا الشرح منذ المقدمة : فقد استشهد فيها قطرب بالآية : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله) فقال « ابو محمد : الامة : الرجل وحده يؤتم به » . وهاك مثالا آخر . قيل (1) : « قال ابن مقبل :

ظن بهم كعسى وهم بتنوفة
يتنازعون جوائز الامثال

قوله : ظن بهم : اي يقين بهم ، فذلك ضد ايضا : يكون الظن شكاً او يقيناً . قال ابو محمد : وقال الاصمعي : وعسى في بيت ابن مقبل ليست بواجبة ، وقال ابو عبيدة : هي واجبة .. » .

يلها في الكثرة تعليقاته التي تنكر الضد ، مثل ما قيل في (125) : « الشجاع القوي والشجاع الضعيف . قال ابو محمد : ما سمعنا في الضعف شيئا » . ونرى امثال هذا النقد في (161 - 171 - 173 - 192 - 167) .

تم تعليقات في تصحيح بعض المعاني التي ذكرها قطرب ، كما في قوله (136) : « سارب

بالنهار : متوار ، سمعنا ذلك . وقالوا : انسرب الوحش في الجحر : دخل . وقال ابو محمد سارب : منتشر .

ثم تعليقات توضح الضد ومعناه ، مثل قوله (139) : « قالوا : الصريم : الليل ، والصريم : الصبح . وقال بعضهم : الصريم : الليل وآخره ... قال ابو محمد : كل ما انجلي من شيء فهو صريم ، كالليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل . ومن ذلك يقال : صريم الزمان اي منقطع من معظمه . ومنه يقال : الصرمة من البيوت : اي القطعة ، ومنه يقال : صرمة من الابل ، ومنه يقال : صرم ما بيني وبينه : اي قطعه . ومنه يقال : سيف صارم ، ومنه يقال : صرم الناس النخل . ومنه يقال : صريمي : اي بدمي وقطعي الامر » ، وقوله (157) : « قالوا الماتم : الجماعة من النساء في الحزن ، والماتم في الفرح .. وقال ابو محمد : كل جماعة من رجال ونساء فهو ماتم » . ومن الواضح ان نتيحة توضيحه توجب رفض الضد ، ولكنه لم يرفضه صراحة .

ويمثلها في العدد تعليقاته التي تبين مشتقات الضد ، وبعض الالفاظ الواردة في تفسيره كقوله (49) : « ومنه البحتر للقصير ، والبحتر للمعظم . قال ابو محمد : رجل بحتر ، وامرأة بحطرة ، وبهتر وبهتر للقصير » .

ومثلها تعليقاته التي يأتي فيها بالشواهد مثل قوله (2) : « قال ابو محمد : انشدنا ابو عبيدة :

فقلت لهم ظنوا بالفسي مدجج
سراتهم في الفارسي المررد
اي تيقنوا » .

وذكر في بعض تعليقاته رواية لشاهد . مثل (115) : « قال عمرو بن كلثوم :

نصبنا رهوة من ذات عرف
محافظة وكنا المقدينا
وانشدنا ابو محمد :

نصبنا مثل رهوة ذات حد
محافظة وكنا المقدينا
اي كتيبة ذات حد ... » .

وضعف في تعليقه الشاهد . روى قطرب (2) بيت ابي دواد :

رب هم فرجته بعزيم
وغيوب كشتها بظنون

وأرى أريد قد فارقتي
ومن الأرزاء رزه ذو جليل

وخالف أبو عبيدة قطربا أيضا . فعلق على أكثر
شواهده بكلمة توضح موضع الشاهد ، أو تربطه
بالمادة التي أتى به من أجلها ، ولم يفعل ذلك قطرب .
قيل في أضداد الأصمعي (37) « وقال أبو عبيدة :
يقال : عسس الليل : إذا أقبل . وعسس : أدبر .
وانشد :

مدرعات الليل لما عسسا

أي أقبل .

ثم مائل قطربا فيما عدا ذلك من عدم استشهاد
أحيانا ، واستشهاد على معنى واحد أحيانا أخرى ،
واستشهاد على المعنيين كليهما مرة ثالثة ، وشرح
للشواهد مرات معدودة واستشهاد بالقرآن والشعر
والأقوال والأمثال . وهك أمثلة من كل ذلك : « قال
أبو عبيدة (38) : الكأس : الأناء الذي يشرب فيه ،
والكأس ما فيه من الشراب . وقال : « يقال :
قمات الماشية قما : إذا سمعت . ويقال : صفر
فلان وقمؤ قماء ، قال ابن أحرر في الأول :

وجرد طار باطلها نسيلا

وأحدث قمؤها شعرا قصارا »

وقال (39) : « شراة المال : بمنزلة شراة
المال ، أي رذال المال ، والجميع شري ، كقوله :

مفادرات بالشري المحسل

أي المنفى المتروك .

والشراة في لفة بعضهم : خيار مسان من
الأبل وكرائنها ، كقوله :

من الشراة روقة الاموال »

وقال : « المنة : القوة ، والمنة : الضعف .

ومنه جبل منين : أي ضعيف . وقال ذو الرمة :

تري الناشيء الفريد يضحى كأنه

على الرجل مما منه السير عاصد

فقال أبو محمد : قرأت على الأصمعي بيت أبي
دواد ، فقال : هو لخلف الأحمر .

ووثق معنى ضد بأن العلماء روه أيضا ، قيل
(156) : « قالوا : أعبل الشجر : إذا سقط ورقه ،
وأعبل أيضا : أخرج ثمرته . . . وقال أبو محمد :
أعبل إذا سقط ورقه قول الأصمعي والعلماء . والتفت
مرة إلى ما يحدث في الضد من إبدال ، كما رأينا في
بحتر . .



كتاب أبي عبيدة

نستخلص الظواهر التي سادت كتاب أبي عبيدة
من المقتطفات الباقية منه . وتدلنا هذه المقتطفات
على أنه احتوى على عدة أنواع من الأضداد ، مثل
المجازية ، والتفاؤلية ، وأضداد اللغات وفعل وأفعل
وغيرها . وتبين لنا أيضا أنه اختلف بعض الشيء
عن قطرب في الشواهد فهي عنده أكثر مما عند
قطرب . ولذلك كثيرا ما نراه يستشهد بأكثر من
شاهد على المعنى الواحد . مثل قوله (36) : « امر
جلل : أي جليل ، وأمر جليل : أي هين يسير
صغير ، قال جميل في الجليل :

رسم دار وقفت فسى ظنله

كدت أقضي الغداة من جلله

أي من عظمه في عيني أو قلبي . وقال بعضهم ،
من أجله . وقال آخر :

فلئن عفوت لأعفون جلا

ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وقال في الهين الحارث بن خالد المخزومي :

قلت للرنة لما أقبلت

كل شيء ما خلا عمرا جلل

أي هين . وقال لبيد :

(36) أضداد أبي حاتم 112 .

(37) 7 .

(38) الأصمعي 67 . ابن السكيت 341 . ابن الأنباري 98 .

(39) الأصمعي 19 . ابن السكيت 291 . أبو الطيب 414 .

اي مما اضعفه. والعاصد: الذي يلوي عنقه.. «
 « وقال : (فظلتم تفكهنون) اي تندمون . وقالوا :
 القوم يتفكهنون : من الفكاهة ، اي الضحك والمزاحة .
 ويتفكهنون من الفكاهة » وقال : « الزبية : حفرة تحفر
 للاسد ، والزبية ، جمعها زبي : اماكن مرتفعة .
 ويقال في المثل : علا الماء الزبي ، اي بلغ الامر
 اقصاه . قال العجاج :

وقد علا الماء الزبي فلا غير (40) «

وخالف ابو عبيدة قطربا في عنايته بايراد المعاني
 الاخرى للاضداد ، التي لا تندرج تحت المعنيين
 الضدين . قيل في اضداد الاصمعي (41) : «المولى :
 المنعم ، والمولى : المنعم عليه . قال ابو عبيدة :
 وللمولى سبعة مواضع : المولى ذو النعمة من فوق .
 والمولى : المنعم عليه من اسفل . وفي كتاب الله تبارك
 وتعالى : (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين
 ومواليكم) . والمولى في الدين : من الموالاته ، وهو
 الولي ، ومنه قول الله جل ثناؤه : (ذلك بان الله
 مولى الذين آمنوا ، وان الكافرين لا مولى لهم) .
 والمولى : ابن العم ، وفي كتاب الله تبارك وتعالى :
 (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) اي ابن العم عن
 ابن العم .. والمولى : الجار ، قال سريع بن وعوة
 الكلابي ، وجاور بني كليب - كليب ابن يربوع -
 فاحمد جوارهم :

جزى الله ربي والجزاء بكفه

كليب بن يربوع وزادهم حمدا

والمولى : الحليف ... «

وعني بالمشقات المتصلة بالاضداد اكثر من
 عناية قطرب بها ، كما رأينا ، ونرى في قرء ، قيل
 في اضداد الاصمعي (42) : « قال ابو عبيدة : يقال
 اقراوات النجوم بالالف معناه غابت ، ومنه قرء المرأة في
 قول من زعم انه طهرها لانها خرجت من الحيض الى
 الطهر كما خرجت النجوم من الطلوع الى المغرب .
 ويقال : هذه ناقة ما قرأت سلى قط ، بغير الف :

اي ما حملت ملقوحا ولا غيببت في بطنها ولدا » .
 كذلك عنى اكثر منه باللفات فيما يورده
 من الفاظ . قال (43) : « امدان : مثل السبخة
 يقال : ماؤه امدان ، وبعضهم يقول : مدان » وقال (44):
 يقال : سيد شعره وسبت لفة ، في الحلق
 والتطويل . «

وفي آخر الامر اعود الى الاشارة الى ان هذه
 الظواهر افتراضية ، لانها مبنية على مقتطفات
 الكتب الباقية من ابي عبيدة . وربما غيرت هذه
 الكتب في عبارته وفي شواهده ، وفي غير ذلك من
 الامور ، وربما زادت في عبارته ، وربما نقصت
 منها . وقد حدث ذلك . كما نرى في قول ابي
 حاتم (45) : « قال ابو عبيدة : مهرة شوهاء : قبيحة
 وجميلة ، قال ابو حاتم : لا اظنهم قالوا للجميلة
 شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين ، كما قالوا للفراب :
 امور ، لحدة بصره » . على حين قيل في اضداد
 الاصمعي وابن السكيت (46) : « قال ابو عبيدة :
 يقال : فرس شوهاء : اي حسنة . ولا يقال للذكر من
 هذا شيء ، ويقال : لا تشوه علي : اي لا تقل ما
 انصحك (او ما احسبك) فتصيبني بالعين . قال :
 وما سمعتها الا في هذين الحرفين ، واما القبح
 فيقال : قد شوه الله خلقه ، ورجل أشوه وامرأة
 شوهاء ، قال الخطيب :

أرى ثم وجها شوه الله خلقه

ففتح من وجهه وقبح حامله

وقال ابو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالجوايق فوها

مستجاف يضل فيه الشكيم «

ويتضح من هذا ان ابا حاتم حذف الكثير من
 عبارة ابي عبيدة .

وكان كثير من اقوال ابي عبيدة موضع نقد من
 الاصمعي وابي حاتم ، وخاصة ما يتعلق بتفسير
 الفاظ القرآن ، فقد تقدمه الاخير نقدا مرا . وهالك

(40) الاصمعي 86 . ابن السكيت 358 . ابو الطيب 330 .

(41) 33 . ابن السكيت 305 . وابو الطيب 660 .

(42) 1 .

(43) الاصمعي 13 .

(44) ابو حاتم 121 .

(45) 220 .

(46) 38 ، 311 .

امثلة ذلك : قال ابو حاتم (47) « قال ابو عبيدة : ماء بثر : كثير ، وماء بثر : قليل . وانشد فى هذا - زعم - للهدلي :

فافتنهن من السواء وماؤه

بثر وعارضه طريق مهبع

وقال الاصمعي : انما بثر اسم ماء بعينه ، وليس ما قال ابو عبيدة بشيء . وقال ابو حاتم ايضا (48) : « قال ابو عبيدة : «والليل اذا عسعس» : اقبل ، ويقال : ادبر . وانشد لعلقة بن قرط التيمي فجعله اقبالا :

مدرعات الليل لما عسعسا

وادرعت منه بهيما حندسا

البهيم : الاسود : الذى لا يخالطه بياض . والحنديس : الشديد السواد . قال : زعموا ان ابن عباس رحمه الله قال : عسعس : ادبر ، والله اعلم . قال ابو عبيدة : وقال الزبيرقان فى الادبار :

وماء قديم عهد ما يرى به

سوى الطير قد باكرن ورد المغلس

وردت بافراس عتاق وفتية

فوارط فى اعجاز ليل معسعس

قال ابو حاتم : قد تقلد ابو عبيدة امرا عظيما . ولا اظن ههنا معنى اكثر من الاسوداد عسعس : اظلم واسود فى جميع ما ذكر ، وكل شيء من ذا الباب فى القرآن تفسيره يتقى ، وما لم يكن فى القرآن فهو ايسر خطبا . ولكن ابا الطيب لم يقبل تقد ابي حاتم ورد عليه (49) .

كتاب الاصمعي

يحتوي كتاب «اضداد الاصمعي» ، على 105 كلمة من الاضداد . ولكنها ليست جميعا عن الاصمعي . لان الكتاب ليس خالصا له ، بل جامعا لشتات من الاضداد . ولا شك ان المقتطفات السابقة منه تدل على ذلك دلالة واضحة . فهو لا ينسب للاصمعي صراحة غير خمسة اضداد (2 - 10 - 15 - 35 - 63) ، على حين ينسب لابي عبيدة أحد عشر ضدا :

. 229 (47)

. 131 (48)

. 491 (49)

(3 - 8 - 19 - 38 - 53 - 60 - 67 - 71 - 72 - 86 - 95) نستطيع ان نضيف اليها ثلاثة اخرى ، معطوفة على اضداد له ، فيرجح انها له ايضا (9 - 20 - 54) . وينسب لابي عمرو الشيباني (فى الغالب ؟) خمسة اضداد (12 - 14 - 16 - 37 - 64) نضيف اليها اثنين آخرين لنفس الظاهرة التى رايناها فى اضداد ابي عبيدة (13 - 17) . وينسب لابي زيد الانصاري ثلاثة (43 - 45 - 49) ، وواحدة لكل من ابن الاعرابي (18) والاموي (62) ، اما بقية الاضداد فبعضها من مؤلفين مختلطين مثل قرا وجون (44) ، خلطت فيهما اقوال الاصمعي بابي عبيدة (وغيرهما ايضا) ، وباع (36) خلطت فيها اقوال ابي زيد بابي عبيدة ، واكثرها لم يصرح بقائله . ومن الممكن نسبة بعض هذا المجهول الى الاصمعي ، مثل الشيخ (48) التى نسبها اليه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، وبعضها الاخر الى ابي عبيدة ، مثل أسر وبثر (27 - 41) اللتين نسبهما اليه ابو حاتم (168 - 229) ، وغيرهما لابي زيد ، مثل لمق (50) . نسبها اليه ابو حاتم ايضا (137) ، وغير ذلك لابي عمرو ، مثل خل (56) نسبها اليه ابن السكيت (330) . ومن الممكن نسبة كثير من هذه الاضداد المهمة الى ابن الاعرابي بفضل مضاهاته بما يرويه ابن منظور فى لسان العرب لهذا العالم من الاضداد ، مثل ارقام 4 - 5 - 22 وغيرها

وقد وردت أسماء بعض هؤلاء العلماء فى تضاعيف الكلام عن الاضداد احيانا ، فربما كان هذا ايدانا بانها لمن يرد ذكرهم فيها .

وخلاصة القول ان الكتاب ليس خالصا للاصمعي ، بل يشاركه فيه كثير غيره . حتى لو اضعنا اليه جميع الاضداد المهمة التى لم نستطع معرفة قائلها ، يضاف الى ذلك انه لا يحتوي على جميع اضداد الاصمعي ، فقد روى ابو حاتم ضدين له ، لم يردا فيه ، هما نenf وحميم (271 - 267) الا انهما يشك فى صحة نسبتها اليه .

كل ذلك يجعلنا نميل الى الاطمئنان بان هذا الكتاب الذى لدينا ملفق من اضداد مختلفة وليس للاصمعي وحده ، اعني انه يجمع اضداد عدد من

والترتيب ذاته ، ويرفع الى الاصمعي ما يورده عنه
قائلا : « قال ابو سعيد » او « قال الاصمعي » او
« الاصمعي » مكتفيا بذكر اسمه فى بدء ما ينقله عنه .
ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الاضداد لابن السكيت
كرواية ثانية للاصمعي .

اما سياق العبارة فلا يختلف الا قليلا جدا فى
النادر . ويفسر لنا هذا وجود اضداد للاصمعي فى
كتب اخرى ، غير موجودة فى هذه النسخة ، لان
ابن السكيت - فيما يبدو - كان يختار من اضداد
الاصمعي ، ولم يرم الى ذكرها جملة ..

وتبين لنا دراسة الاضداد المنسوبة الى الاصمعي
فى هذه النسخة وعند ابى حاتم وفى النسخة الاخرى
من اضداد ابن السكيت ، ان هذا العالم لم يختلف
كثيرا عن قطرب وابى عبيدة فى خطته فى التأليف
فى الاضداد . فقد وافقوا فى عدم الاستشهاد مرة ،
والاستشهاد على معنى واحد اخرى ، والاستشهاد
على المعنيين مرة ثالثة ، والاستشهاد بأكثر من شاهد
واحد ، وشرح الشواهد . وهاك الامثلة على ذلك :
قال ابو حاتم (53) : « قال لي الاصمعي : النعف .
ما ارتفع عن بطن المسيل . والنعف : ما انخفض عن
الجبل » . وقال ابو حاتم (54) : « الريح الطبية
يقال لها : الذفر : ومسك اذفر ، وروضة ذفراء .
ويقال للريح المنتنة : الذفر ايضا . ويقال : فلان اظفر
اذفر ، اي وافى الاظفار منتن الريح كريح التيس ،
قال امرؤ القيس فى الطيب :

وريح سنا فى جفة حميرية
تشاب بمفروك من المسك اذفرا

وفى نسخة الاضداد المنسوبة الى الاصمعي
شاهد واحد على المعنى الآخر للذفر ، دون ان
يورد الشاهد الذى رواه ابو حاتم ، ودون ان تنسب
المادة الى احد ، ومن الطبيعى ان نميل الى ما اورده
ابو حاتم ، ان ينسب صراحة الى الاصمعي .

وقال الاصمعي (55) : قد صرى الماء تصرية :

اللفويين : اهمهم ابو عبيدة والاصمعي وابن الاعرابي .
وقد حاولت ان اعرف من الذى فعل ذلك بالكتاب ،
فوجدت بعض العبارات التى قد تنير الطريق امامنا .
وجدت فى « ناء » عبارة : « وقال الاشرم : اخبرني
ابو عبيدة قال : يقال : نؤت بالحمل : اذا نهضت
مثقلا ... » . واذن فالراوي عن ابى عبيدة هو
الاشرم . اما كلمة « الاشرم » فمحرفة عن « الاثرم »
وهو علي بن المفيرة الاثرم المتوفى عام 232 هـ ، وكان
تلميذا لابى عبيدة وللاصمعي ايضا . فهل الاثرم هو الذى
جمع اضداد الاصمعي وابى عبيدة معا ؟ ليس الامر
ببعيد . ولكن هل هو ايضا الذى وضع معها اضداد
ابن الاعرابي وابى عمرو الشيباني ؟ ليس من البعيد
ان يروى عن الشيباني المتوفى 206 تقريبا ، ولكن
هل يروى عن ابن الاعرابي المتوفى بين عامي 230 ،
233 ؟ هما متعاصران وفى سن واحدة ، فلا مانع
من رواية احدهما من الآخر ولكن ذلك نادر فى اللغة
خاصة ، ولم ينص عليه احد فى ترجمة الاثرم . وقد
يكون احد تلاميذ الاثرم هو الذى اتى بما رواه هذا
من اضداد الاصمعي وابى عبيدة . واضاف اليه
اضداد ابن الاعرابي وابى عمرو الشيباني وابى زيد ،
وهو الذى يقول : « قال الاثرم » كما فى العبارة
المذكورة فمن هو هذا التلميذ ؟ لا يبعد ان يكون :
يعقوب بن السكيت الذى « اخذ عن البصريين
والكوفيين كالغراء وابى عمرو الشيباني والاشرم وابن
الاعرابي (50) ، اولئك العلماء المذكورون فى الاضداد .
وقد روى ابن السكيت عن الاثرم فى الاضداد المنسوبة
اليه صراحة قال (51) : « اخبرني الاثرم هذا الحرف
عن ابى عبيدة » . واذن فهذه النسخة من الاضداد
التي وصلت الينا هي اضداد ابن السكيت ، فما
الشأن فى الاضداد الاخرى المنسوبة اليه صراحة ؟
انها - بكل يقين - رواية اخرى من اضداد ابن
السكيت ، لاتفاقهما الذى يكاد يكون تاما فى العبارة
والاضداد ، حتى اضطر الناشر الى ان يقول عن
اضداد ابن السكيت (52) : « يتضح من مطالعة كتاب
الاضداد لابن السكيت انه تتبع كتاب الاضداد
للاصمعي الا فيما ندر ، فيورد العبارات ذاتها ،

(50) البغية 418 .

(51) 345 .

(52) ص 163 .

(53) 271 .

(54) 130 .

(55) الاصمعي 10 . ابن السكيت 289 .

إذا جمعه ، وشاة مصراة : وهي التي يترك لبنها في
ضرعها يوما او يومين لا تحلب . وانشد :

رب غلام قد صرى في فقرته

ماء الشباب عنفوان سنبتة

عنفوان : يعني اول شبابه . والسنبه والسنب:
الدهر . ويقال : صرى يصري : اذا قطع . يقال :
صرى ما بينهما : اي قطع . وجاء في الحديث :
« ما يصريني عنك » اي ما يقطع مسألتك عني .
وصرى ايضا : نجى . قال الشاعر :

صرى الفحل مني ان ضئيل سنامه

ولم يصر ذات النسي مني بروعها

يقول : نجى الفحل مني هزاله . ويقال :
صرى الله عنك شر ذلك الامر : اي دفعه وانشد
للراعي وذكر صقرا :

وظل بالاكم ما يصري ارانبها

من حد اظفاره الحجران والقلع

اي لا يدفعه ولا يصرفه . والحجران : جمع
حاجر ، وهو المكان ترتفع نواحيه ويظمن وسطه له
حروف تمنع الماء ان ينبثق . ولكنه اختلف عن
قطرب وابي عبيدة في ابراده شواهد من الحديث ،
ولم نر ذلك فيما بقي من ابي عبيدة . وكان هذا اورد
شاهد من القرآن الكريم . ولم نر ذلك فيما روي عن
الاصمعي . وربما لو وصل الينا اكثر مما وصل
تغيرت هذه الفروق ..

واتفق الاصمعي وقطرب وابو عبيدة في
الالتفات الى اللغات والمعاني الاخرى للاضداد ، قال
الاصمعي : « اقراة الريح : اذا جاءت لوقتها .
ويقال : ذهب عنك القراءة - خفيفة . يريد وقت
المرض ، وذلك اذا صرت الى بلد غير البلد الذي
انت فيه ، فمكثت فيه خمس عشرة ليلة ، فقد
ذهبت عنك قراءة البلد التي تحولت عنها ، واهل
الحجاز يقولون : قرة بغير همز ، يعني انك ان
مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة ، وقوله
العقر واهل الحجاز يقولون : عقر الدار ، واهل نجد:
عقر الدار ، واهل الحجاز يضمون العين والعقر :

(56) 45 .

(57) 267 .

(58) 104 . وانظر 186 ، 240 ، 296 ، 426 ، 490 ، 523 .

(59) 290 .

اصل الدار . وظهر اهتمامه بالمعاني الاخرى في
كلمة (صرى) التي نقلتها آتفا .

ويبدو ان الاصمعي عنى بالمشتقات المتصلة
بالاضداد اكثر من عناية ابي عبيدة بها . ظهر هذا في
« ذفر » و « قراء » و « صرى » ، ويظهر ايضا
في قوله في مادة « ناهل (56) » : « الانثى ناهلة ،
والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ، وابسل
نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش ،
فيقولون : هذه ابل ناهلة ، والنهل : الشرب الاول ،
يقال للذي شرب اول شربة ولم يعد : نهل ينهل ،
وانهل الرجل ابله » .

ويبدو كذلك انه اورد بعض الاخبار في اضداده،
كقصة الرجل العربي مع الملك الحميري الذي قال
له : تب ، فالقي بنفسه من الجبل . وهي معروفة
فلا داعي لذكرها . (اضداد الاصمعي 63) .

وشك ابو حاتم في ضدين للاصمعي ،
فاوردهما في المجموعة المريبة عنده ، هما نعف
والحميم . وقد ذكرنا ما قاله الاصمعي في « النعف »
والحق انه « الارض فيها غلظ وانحدار » فالكنمة لا
تعني الانحدار وحده ، ولا الارتفاع وحده ، فلا تضاد
فيها . وقال ابو حاتم في الثانية (57) : « زعموا ان
الاصمعي قال : الحميم : الماء الحار والماء البارد . ولا
اعرفه » . وابو حاتم نفسه يضعف هذه النسبة ،
وقد وجدت الكلمة منسوبة الى ابن الاعرابي في
لسان العرب (حم) .

كتاب التوزي

وروي ابو الطيب اللغوي عن التوزي عدة اضداد،
كشفت عن ظواهر متعددة غلبت عليها . فقد ابانت ان
التوزي نقل كثيرا من اضداده عن ابي عبيدة ، مثل
قوله (58) : « قال التوزي عن الاصمعي : اذا صغر
المسيل عن التعلقة فهي الشعبة ، فاذا عظم حتى يكون
ثنثي الوادي او نصفه فهو ميثاء ، فاذا زاد على ذلك
فهو ميثاء جلواخ . قال : وقال ابو عبيدة : المرتجل
الذي يطبخ رجلا من جراد ، اي قطعة منه ، والارتجال
الطيبخ ، يقال : ارتجلت شيئا اي طبخته » . ويدعم
ذلك ما جاء في البقية (59) . ورى مرة عن كل من
الاصمعي ، وكيسان معرف ابن درهم وابي زيد وابي

عبدة (60) . وربما كان الاسم الاخير محرفا عن ابي عبدة .

وادي اعتماده على ابي عبدة الى انتقال الظواهر الموجودة في كتابه الى كتاب التوزي . فنجد فيه الاضداد التي يظهر التضاد في معنيها جليا ، مثل (61) : « قال التوزي : يقال : ثوب يدي اذا كان ضيق الكم ، وثوب يدي اذا كان واسع الكم » . والاضداد المأخوذة من أسماء اجناس ، مثل (62) : « قال التوزي : اسد الرجل اذا فزع من الاسد ، واسد ايضا اذا صار اسدا ، من الشجاعة » . واضداد فعول ، مثل (63) : « قال التوزي : الاكولة الفاعل - يريد قولك : رجل اكولة ، والهاء للمبالغة - والاكولة الشاة يربيهما الراعي ، والرجل يربيهما لنفسه لياكلها » . واضداد فعيل ، مثل (64) : « قال التوزي : التبيع التابع ، والتبيع المتبوع » وفعل وافعل ، مثل (65) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل ، اذا اعطيته من الثواب ، واثبتته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » . والاضداد الناتجة عن تصريف مختلف ، مثل الذي رواه المبرد (66) في شرحه لبيت حسان ابن ثابت :

لقد رميت بها شمعاء فاضحة

يظل منها صحيح القوم كالمودي

قال: فالمودي في هذا الموضع الهالك. وللمودي موضع آخر يكون فيه القوي الجاد . حدثني بذلك التوزي في كتاب الاضداد ، وانشدني :

مودون يحمون السبيل السابلا

المودي بالهمز : التام الاداة والسلاح ، وبغير

الهمز : الهالك » .

واورد غير ذلك من الاضداد ، بل اورد الفاظا من المشترك لا تضاد فيها ، مثل (67) : « قال ابو حاتم والتوزي : الزاهق الميت . يقال : زهقت نفسه تزهق زهقا ، وفي التنزيل (وتزهق انفسهم) والزاهق : السمين ... » .

وتعددت الشواهد عنده . فكان منها القرآن ، مثل (68) : « قال التوزي : خفيت الشيء واخفيت لفتان في الاظهار والكتمان جميعا . قال : ومن ذلك قول الله جل وعز : (اكاد اخفيها) يقرأ بالضم والفتح » . وكان منها الامثال ، مثل ما ذكره ابو الطيب في حزور (69) : « وقال آخر في مثل ذلك :

ان احق الناس بالمتيه

حزور ليست له ذرية

قال : ارادها هنا رجلا ضعيفا لا نسل له . وقال التوزي : هذا مثل تمثل به الاحنف ابن قيس ، واراد بالحزور الغلام الحديث السن » . وكان منها الاقوال الفصيحة كالاتباع في « شحيح نحيح » (70) .

وكان بطبيعة الحال الشعر ، الذي اختلفت معالجته له اختلافا كبيرا . فاكتفى بايراد الشاهد حيناً ، وعلق عليه حيناً آخر . مثل (71) : « انشد قطرب وابو حاتم والتوزي في البسل بمعنى الحلال بيت عبد الله بن همام السلولي :

ايثبت ما زدتم وتلفى زيادتي

دمي - ان اسيفت هذه - لكم بسل

قال التوزي : هذا رجل كان له زيادة في ديوان ، فقال : ان الفيت زيادتي فدمي لكم حلال ، اي لا ادعها لكم . الا ترى ان قبل هذا البيت :

(60) 55 ، 103 ، 646 . كامل المبرد 569 .

(61) 686 .

(62) 16 .

(63) 24 .

(64) 101 .

(65) 124 .

(66) الكامل 144 .

(67) 333 .

(68) 237 . وانظر 360 ، 560 ، 569 ، 680 .

(69) 188 .

(70) 650 .

(71) 34 . وانظر 25 ، 53 - 55 ، 65 ، 348 ، 399 ، 474 ، 534 .

زيادتنا نعمان لا تحرمنا

تق الله فينا والكتاب الذي تتلو «

وكثيرا ما نسب هذه الشواهد الى من انشده
اياها مثل (72) : « قال التوزي : وأنشدني ابو مالك
وابو عبيدة :

ولما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان أضمر

أي أظهر . قال : وأنشد غيرهما :

أسر الحروري الذي كان مظهرا «

فذكر رواية أخرى في البيت .

واخطأ في بعض الأبيات ، فأوردها ولا شاهد
فيها على ما يقوله ، كما فعل في حديثه عن (بيضة
البلد) ، إذ قيل في أضداد أبي الطيب (73) :
« وأنشد التوزي في المدح :

كانت قريش بيضة فتفلقت

فالمح خالصه لعبد مناف

قال أبو حاتم : ليس هذا من هذا الباب . قال
أبو الطيب : وهو كما قال :

« واعتاد في حديثه عن الأضداد أن يذكر
كثيرا من مشتقات الضد ، مثل (74) : « من
الأضداد قال التوزي : يقال حرس فلان الشيء
يحرسه حرسا وحراسة وحرسا ومحرسا ، إذا
حفظه وكلاه ، والشيء محروس وحريس » .

— ◆ —

كتاب ابن السكيت

من الطبيعي الآن ، أننا حين ننتقل الى الكلام
عن نسخة الأضداد المنسوبة الى ابن السكيت صراحة ،
نراها تجمع بين ما قلنا عن الأصمعي ، وعن أبي عبيدة ،
بل ربما كان أغلب الظواهر التي نسبناها الى هذين

(72) 353 . وانظر 356 ، 365 .

(73) 55 .

(74) 225 . وانظر 403 ، 412 ، 485 ، 534 ، 539 ، 546 وغيرها .

(75) 281 .

(76) 279 .

العالمين ، هي في حقيقة امرها من عمل ابن
السكيت . ولم يقدم هذا المؤلف بين يدي كتابه
مقدمة يبين فيها اسباب اهتمامه بهذا النوع من
التأليف كالحال في نسخته الأخرى التي نسبت الى
الأصمعي . ويحتوي كتابه هذا على 94 ضدا ،
كلها للعلماء الذين سبق ذكرهم ، وعلى رأسهم : أبو
عبيدة ، فالأصمعي فابن الأعرابي فأبو عمرو
الشيباني . وليس هناك من دليل على أن المؤلف
أتى بشيء من عنده ، اللهم إلا إذا كان فيما أهمل
نسبته ما هو من جمعه .

وما دام الأمر كذلك فنحن في غنى عن الإطالة
في الكلام عنه اكتفاء بما قلناه آنفا . ولكننا نشير
الى بعض المعالم الكبرى فيه .

أخطأ ابن السكيت لنفسه خطة واضحة . هي
أن يورد المادة أولا ، ثم يعقبها بمعنيها ، ثم يورد
الأمثلة . قال (75) : « جمل . . . والجلل : الهين ،
والجلل : العظيم . فقد جلت مصيبتهم أي عظمت :
وأنشد :

كل شيء ما خلا الموت جليل

والفتى يسعى ويلهيه الأمل

وقال الآخر في العظيم :

فلئن عفوت لأعفون جلا

ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وكان أحيانا أخرى لا يراعي هذه الخطة
فيورد المادة ، ثم أحد معنيها أو يستشهد له ، ثم
المعنى الآخر وشواهد . قال (76) : « اقوى
والمقوي : الذي لا زاد معه ولا مال له ، وكذلك
الدار التي قد أقتوت من أهلها ، قال الله تبارك
وتعالى : (ومتاعا للمقوين) . وفي موضع آخر
المقوي : الكثير المال . يقال : أكثر من أتيان فلان
فانه مقو . والمقوي أيضا : الذي ظهره قوي » .

منها كثيرا ، ولذلك اشير الى بعض مواطن الإستشهاد بها : (89 - 300 - 305 - 308 - 311) . وكل هذه الامور : من متهج وظواهر ، رأيناها في اصدقاء قطرب ، واذن فابن السكيت سار على الدرب الذي مهده هذا المؤلف الاول ، وربما شابهه فيه الاصمعي وابو عبيدة . ولكن ابن السكيت لم يخضع لقطرب في مواده ، بل حذف منها قريبا من ثلثيها لشكه فيها .

وكان يلتفت احيانا الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والمعاني الاخرى لها التي لا تدخل في الضدين . وتنوعت الشواهد عنده : بين القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال . وسلك طرقا مختلفة في الاستشهاد : كثرة وقلة ، واستشهادا على معنى واحد او اثنين او عدم استشهاد البتة . وكل ذلك رأيناه في كلامنا السابق ، غير ان الاحاديث لم نر



دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبدالحق فايز

- 3 -

الحرب

هنا صار الحرب والتخريب يعنيان أنواعا من الفساد والافساد منها خرب الدار : سرقها ، والاصل ثقبها . وخرب الرجل : صار خاربيا أي لصا ، والجمع خراب - زنة عشاق .

ونطقوها بالحاء المهملة أيضا فثقل : حرب الرجل : سلبته ماله . والحربية : المال السليب . والحرب (بفتحيتين) : الويل ، ومن ذلك : واحرباه : واويلاه . والخلاصة انه صار للصفة الحائية كل ما للخراب والتخريب من معاني السوء وزيادة ، ومنها (الحرب) - زنة الدرب - التي تشمل معاني الصيغتين الأرميتين الأفتين . أما معنى السيف في الأرمية فتقابله (الحرب) وهي سلاح دون الرمح . وتوجد في اللاتينية بصورة (هرپه harpe) السيف المنحني ، وكانما هو السيف العربي بذاته .

الحرثون (زنة البرذون)

: الضب . ار : (حردونو hardono) .
يخيل لنا ان اثلها العربي هو قولهم حرش الضب واحترشه : اصطاده . وهذه اثلها حاش الصيد : جاء من حواليه ليدفعه الى الحباله . وبهذا المعنى يقال

: في الأرمية : (حربو - harbo) : سيف ، تدمير ، حرب . وهي من : (حرب - hrab)
خرب ، حارب ، قتل .

نقت الدجاجة نقيقا : صوتت . وكذلك الضفدعة والحجلة والرخمة . الخ . ونعتقد ان الاصل هو صوت الدجاجة ثم شمل أصوات غيرها من الحيوانات ، لانها هي التي تقول : نق نق نق . ونشأت من (نق) أفعال منها : نقر ونقد بمعنى ، لان المنقاد هو المنقار . وكذلك : نقب ونقت ونقث ونقح ونقخ . الخ . الى غير ذلك من الالفاظ التي تدل على خصب نقتة الدجاجة هذه ووفرة عطاءاتها في العربية .

ومن (نقب) نشأ فعل (نخب) ، ومن (نقر) نشأ (نخر) ، ومنهما أو من احدهما نشأ (نخرب ينخر) بمعنى : نقب . والنخارب هي الثقوب ، ومنها نخارب النحل .

ومن (نخرب) نشأ فعل (خرب) بمعنى الثقب أيضا . ومن بقايا هذا المعنى في العربية قولهم خرب الرجل : صار مثقوب الاذن . ومن الخرب صاغوا (الخرم) في الاذن وغيرها . ثم صار قولك خربت الشيء : يعني ثقبته او شققته او دمرته . ومن

الحزاز

: نبات . ار : (حزوزيتو hazozito) .

الكلمة من (الحز) اي القطع الذي من معناه صيغت اسماء بعض النباتات مثل : الجزر والخس والقثاء والقث والحشيش . ويلاحظ ان بعض اجزاء الشجرة كالجذع والجذل والجذر والجذمور والجذمار ، قد صيغت من معنى القطع ايضا .

الحزاي والحزاء (زنة الجزار)

: الناظر الى الوجه او الاعضاء ليتكهن . الخبير بالامور . ار : (حزويو - hazoyo) الناظر . الحكيم .

في العربية حذذ القلب : ذكاؤه وسرعة ادراكه . والقلب الاحذ : الذكي . واصل معنى الحذ هو الفطع ، ومثله الحز . والرجل الحزيز والحزازي : السريع العمل . وكما صاغوا حذق يحذق من الحذ ، صاغوا حزر يحزر من الحز . ومنه الحزم ايضا . وليس ثمة ما يرجع ائالة الارمية في هذه الكلمة .

الحازر

: دقيق الشعير . ار : (حزرو - hczro) الدقيق .

في القاموس انه دقيق الشعير وله ربح ليست بطيبة . وهذه الزيادة في المعنى ترشدنا الى اصل التسمية . لان فعل حزر يدل على الحموضة والمرارة ، فالحزرة شجرة حامضة ، وهي كذلك النبقة المرة . والحازر بالاضافة الى معناه السابق يدل على الحامض من اللبن والتبيد . ومن هنا اطلق العرب الكلمة على دقيق الشعير الذي خبثت ريحه ومن ثم تغير طعمه ايضا ، فكان خامضا او مرا . وعندما اقتبست الارمية الكلمة اطلقتها على عموم الدقيق من باب تعميم الخاص .

حزيران

: الشهر السادس بالتقويم الميلادي . ار : (حزيرون - hczeron) .

بالدرجة المراقية حاده وحاوده ، واحسبها فصيحة مضاعة اهملها جامعو اللغة مد حسبوها عامية او مولدة لانهم لم يجدوها في مظانهم التي اقتصروا عليها . ومنها في الفصحى حاوته : راوغه وخادعه كالحوت في الماء ، وانما سمي (الحوت) لحواته ، اي لحيدانه من ناحية الى ناحية .

ويقرب من مادة الحردون (الحريت) - زنة الكرم : نوع من السمك . وربما سمي الحريت والحردون من الحرش والاحتراش ، او من فعلي الحرت والحرد المتقرضين .

الحريف (زنة السكير)

: لاذع الطعم . ار : (حريفو hrifo) حاد ، لاذع الطعم .

اثل الكلمة في العربية هو فعل حر : ضد برد . ومن اسرة الكلمة : حرق ، حرج ، حرش (بمعنى خدش) ، حرص ، حرك . وحرافة الطعم حرارته بطبيعة الحال ، وفي العراق يقولون (حار) بمعنى (حريف) .

الحراق (زنة الدكان)

: الماء الشديد الملوحة . ار : (حركو herko) .

واضح ان الكلمة من الحرق ، لان الماء الاجاج يزيد حرقة العطش . ومن ذلك ايضا كانت الحررة (بفتح الحاء او كسرهما) تعني العطش ، والحران : الشديد العطش . ومن هذا الحر صيغ (البحر) لان ماء الملح يجعل الشارب حران ، لذلك قالوا بحر المرء (من باب علم يعلم) بمعنى اشتد عطشه فلم يرو من الماء . وفي الموصل يقولون (انحمر) بهذا المعنى ، وهي مشتقة من الحر ايضا .

الحرم (زنة البئر)

: طرد الكنيسة شخصا من شركة المؤمنين . ار : (حرمو - hermo) .

هنا ايضا واضح ان الكلمة من فعل الجرم والتحرير والحрман . ولما كان المعنى دينيا كنسيا يمكن القول بكثير من الاطمئنان انه من وضع الارمية . ومادة الكلمة عربية .

نظن الاثل العربي للحشرة هو مل خشبر
خشرا . فالخشار والخشارة (كلاهما بدم الخاء) :
الرديء من كل شيء ، وسفلة الناس . ويلاحظ ان
الحاء ابدلت حاء في (حشارة الناس) ايضا ، أي
(خشارتهم) : رعاعهم . ويبدو ان التسمية اصاب
الحشرات لسفول قدرها وهوانها بين الحيوانات .

ومثل الخشارة والخشار : (الخشاش)
- بكسر الخاء - التي تعني حشرات الارض وما لا
دماغ له مما يدب على الارض او يطير في الهواء ،
كما تعني العصافير ونحوها من ضعاف الطيور .

والحلقة المفقودة بين الخشارة والحشرة هي
(الخرشة) - زنة الحشرة - التي ما زالت تعني
الدبابة في المعجم ، والظاهر ان الحشرة تكونت منها
بقلب وابدال . وقلب آخر ظهرت في الارمية صيغة
(رخشو) بمعنى الواحدة من الهوام الزاحفة ، ومن
هذه نشأ معنى الزحف لفعل (رخش) . أي ان معنى
الزحف نشأ من الهوام الزاحفة ، لا العكس .

حصد

ار : (حصد - hсад) ، أي كما ينطقها
المقاربة بتسكين أولها . وتعبير آخر أن هذا النطق
الارمي الذي نلاحظه في الافعال المماثلة أثيل في العربية
بقيت اشارة منه في المفريية والارمية .

ان فعل حصد واحد من افعال القطع الكثيرة ،
التي لا تكاد تحصى . وقد تطرقنا اليها ونوهنا
بخصبها وتنوع مجالات نشاطها في كلمة لنا بعنوان
(قط وبناتها) - (اللسان العربي - العدد 8 - ج 3) .
واثل الحصد هو الحص اي القطع ، ومن ذلك قالوا
حص الشعر : حلقه . وقالوا تشبيها بذلك حصد
الزرع ، وكأنما قصدوا حلقه . ومن اخواتها خصد
الشجر : قطع شوكه ، وخصد الشيء (بالتشديد) :
قطعه (بالتشديد أيضا) .

وهذه كلمة اخرى جنى عليها كونها زراعية فظنوا
العربية قد اقتبستها من الارمية ، بدلا من ان يظنوا
العكس ، او بدلا من ان يظنوا انها كانت في الارمية
قبل انسلاخها من العربية .

الحصن (زنة الفكر)

: المكان المحمي المنيع . ار : (حصنو -
hesno) ، من (حصن - hsen) : كان قويا .

يقال في هذا ما سبق قوله في اسماء الاشهر
البابلية الاخرى التي انتقلت الى العربية رأسا ، او عن
طريق الارمية .

الحسبان (زنة الفران)

: العد . ار : (حوشبونو - houchbono) .

ان مصدر فعل حسب يحسب بالعربية هو :
الحسب (كالكسب) ، والحساب ، والحسبة
(كالفكرة) ، والحسابية (كالحاسبة) ، والحسبان
(كالفران) ، بالاضافة الى الحسبان (كالفران) .

والظاهر انهم اعتبروا هذا الاخير (الحسبان)
وحده الدخيل في العربية لوجود ما يقاربه في الارمية
أي (حوشبونو) ، واهملوا المصادر الخمسة الاخرى
لعدم وجود ما يقابلها او يقاربها في الارمية . أي ان
المصادر الخمسة ائيلة في العربية على ما يستنتج من
قولهم ، والحسبان (بالضم) وحده هو الدخيل .

ان اثل الحساب والحسبان فيما نظن هو
الحصبة (كالتصبة) أي الحصاة وجمعها الحصباء ،
وانهلما ايضا هو الحصاة والحصى . ذلك انهم كانوا
يعدون الاشياء المتكررة ولاسيما الايام ، أي
يحسبونها ، بالحصى فيضعون حصاة في وعاء كلما
تكرر الامر دفعة واحدة . ومن ذلك قالوا احصى
يحصي بمعنى حسب يحسب وعد يعد . ومن
الطريف ان calculate بالانكليزية و caluler

بالفرنسية اللتين تعنيان العد والاحصاء ايضا ترجعان
الى نفس الارومة العريقة أي الحصى ، فان اثلها هو
calculus اللاتينية التي تعني الحصاة والاحصاء !
ذلك ان اللاتين ايضا كانوا يعدون بالحصى وقد
اشتقوا منه الاحصاء كالعرب : ولعل هذا من جملة
الادلة التي تنم عن عروبة اصلهم . ولعل calculus
ايضا عربية اثلا من القلقل (بكسرتين) او القلقلان
(بضميتين) او القلقل (بضممة وكسرة) . وثلاثتها
اسم لشجر يحمل حبا اسود املس . ولا يستبعد ان
يكون بعض العرب اطلقوا احد اسماء هذا الشجر على
دقاق الحصى تشبيها بحبويه ، وبقي اثر ذلك في
اللاتينية .

الحشرة

يقول انها : على الأرجح من (رخشو -
rahcho) حيوان من الهوام أي الحيوانات الزاحفة ،
من : (رخش - rhach) : زحف .

وهو من فعل حصن يحصن (ككرم يكرم)
بمعنى كان منيعا . ومن ذلك حصنت المرأة : كانت
عفيفة أي منيعة على من يرومها ، فهي محصنة (بفتح
الصاد) وحصان (كصلاح).

ونخال اثل الكلمة هو الحصر . ومن ذلك كان
(الحصير) يعني السجن اولا و (حصنا) باليمن
ثانيا . وقد جاء المعنى من حصر السجين في مكان
من جهة ، والحصار الحربي للمدن والقلاع من جهة .

ومما يؤيد تأييل الحصن من الحصر ان الحصور:
من لا يأتي النساء ، أي كالمحصن والحصان . وكثيرا
ما تبادل النون والراء مكانيهما في العربية في مثل :
ارفض وانقض ، زبر وزين (منع) ، الزور والزون (ما
يعبد من دون الله) ...

فهذا يدل على ان فعل (حصن) أي كان قويا ،
بالارمية ، هو الذي نشأ من (حصنو) أي الحصن ،
خلافا لما يذهبون اليه - لان أصل المعنى نشأ في
العربية من الحصر والمنع ثم صار يعني القوة .

المحيط (زنة المجن)

: خشبة او حديدة لنقش الجلد وصلقه . ار :
(محطو mhato) : ابرة ، من : (حاط - hat) :
خاط ، حفر .

الذي نعتده ان المحيط (بالحاء المهملة) من
معنى الخط والتخطيط لا من الخياطة . وأثله
الصريح هو المحيط (بالحاء المنقوطة) وهو عود يخط
الحائك به الثوب .

اما في الارمية فان محطو (ابرة) وحاط (خاط)
قد نشأ أصل معناه من الخيط والخياطة ، ولا
علاقة لهما بالمحط . انظر (الخياط) في موضعها .

الحكيم

: العالم . ار : (حكيمو - hakimo)
من : (حكم - hkam) : علم (من باب فرح) .

الحكيم والحكمة والتحكم والمحاكمة .. كلها من
الحكمة (زنة سمكة) وهي ما احاط بحنكي الفرس
من لجامه . واثلهما (الحنك) الذي منه قالوا

احتنكت الفرس : جعلت في فمه (أي حنكه) الرسن .
ومن الحنك والتحنك صيغت (الحنكة) - زنة
الزبدة - أي الخبرة والتجربة . وكثيرا ما استعملوا
المادتين مترادفتين في مثل قولهم حنك الشيء :
فهمه ، وحنكته السن : أحكمته التجارب ، والحنك :
من جعلته التجارب خبيرا حكيما . وانما نشأ معنى
الحنكة والحكمة من رباط الحنك لان الدابة
المحنكة - المربوطة من حنكها - أقوم سيرا واطوع
لسيطرة الراكب . وقد شرحنا ذلك بتفصيل في
كتابنا « مفامرات لغوية » (ص 74 - 77) (وفي
عدد سابق من اللسان العربي) . وواضح بعد كل
هذا ان الارمية اقتبست المعنى المذكور جاهزا بعد ان
جرت عليه في العربية تطورات مختلفة متشابهة .

الحنطة (زنة الجبة)

: ثوب يستر كل الجسم . ار : (حيلو -
helo) : ثوب نسائي طويل .

يخيل لنا ان اثل الكلمة هو (الظلة) - بالضم -
أي المظلة وكل ما تستظل به من حر أو برد أو مطر .
ومن اسرة الكلمة الجبل (بفتح الجيم او ضمه) وهو
من الدابة بمثابة الثوب من الانسان ، والكلية وهي
الستر الرقيق الذي يجلل السرير للوقاية من
البعوض . اما اثل الظلة فهو انظلل .. الخ . وقد
سبق التنويه بها عند الكلام عن الاكليل والجبل (في
العدد السابق من اللسان العربي) .

الحلفاء (زنة الحسناء)

: نبات . ار : (حلفو - halfo) .

للكلمة صيغة أخرى في العربية هي الحلفة
(زنة السمكة) وجمعها الحلف (كالسمك) ولعلها
الائل . ويخيل لنا ان اثل الحلف هو العلف وهو طعام
الدواب ، لان اوراق هذا النبات كالحشيش الذي
تعلفه الدواب . ومن اسرة الكنمة : العلت والعليشة :
البر المخلوط بالشمير ، والعلس (زنة العكس) والعلاس
(كالفؤاد) والعلوس (كالحنون) : الطمام ، والعلاق
(كالسما) : ما تتبلغ به الماشية من الشجر ، والعليق
(كالعميق) : علف الدابة ، والعلك (كالشرق) :
المضغ ، والعلك (كالصدق) : كل صمغ يعلك .. الخ .

فلا يظهر ان ثمة ما يدعو الى الظن ان الكلمة
ليست بالعربية أثلا .

حمم الماء

: سخنه . ار : (حمم - hamem) .

: نبات . ار : (حموعتو - hmou'to) .

الكلمة في العربية تطلق على عشبة كالهندبساء ورقها حامض ، ومنها نوع مر . وواضح ان التسمية جاءت من الحموضة وهي كلمة عربية لا شك فيها .
أثلا : حمز الشراب : حمض ، وهذا من مز : صار مزاً ، اي كان طعمه بين الحموضة والحلاوة . اما فعل (مز) فمنشؤه من محاكاة صوت التمزيم الذي يحدثه الانسان عندما يطعم شيئاً حامضاً .

الحنان

: الرحمة . ار : (حنوو - hnono) .

ان فعل (حن) له مشتقات كثيرة في العربية منها الحنين والحنون والتحنن والتحنان .. وليس ثمة ما يدل على ان صيغة الحنان وحدها المقتبسة من الآرامية . ونظن ان الحنين ورسه هو الانين ، فقد قالوا (حن) الرجل بمعنى صات ولا سيما من طرب فرحاً أو حزناً . وحنين النيب (النوق) الى اولادها مضرب المثل ، اي صوتها الشبيه بالانين . ومن ذلك صار الحنين يعني الشوق ثم الشفقة .. ومنه نشأ (الحنوو) .

فوجود (حنوو) في الآرامية ادل على انها المقتبسة .

الحنوط (زنة الففور)

: ما تحنط به جثة الميت . ار (حونطو - hountto) .

ان الحنوط في العربية من مادة الحنطة .. ونظن ان سبب اجتماع هذين المعنيين المختلفين في هذه المادة اللغوية الواحدة هو ان ائلهما مشترك وهو الطحين ، فالحنيط بلغة الموصل يعني الحنطة او الكثير منها ، وائلهما الطحين . والظاهر ان الحنوط ايضا سمي بذلك لانه كان يتخذ من مواد مطحونة . ولصيغة (الطحون) معان منها الحرب التي تطحن الناس ، وكان صيغة (الحنوط) مقلوبة منها .

تحوب (زنة تصور)

: تجنب الذنب . ار : (اتحيب - ethayab)
: اذنب .

لا نعرف وجهاً لاعتبار الكلمة من الآرامية فان فعل حم له في العربية اشتقاقات كثيرة ، ذكروا منها ثلاثة باعتبارها من الآرامية هي : حمم الماء ، وحم الظهيرة ، والحمى .. ولا نعلم ما قولهم في الصيغ الأخرى مثل الحمة (زنة العمّة) : العين الحار ماؤها ، والحمة (زنة القبة) : السواد - وتنطق الحوة ايضا ، والحمم : الفحم ، والحمام (بالتشديد) ، والحميم : الماء الحار ، واليحموم : الاسود أو الدخان .. الخ . فهل هذه الصيغ ايضا من الآرامية وهي من نفس المادة ، أم لا ؟ ولماذا تكون الصيغ الثلاث الآتية من الآرامية بينما بقية الاشتقاقات عربية ؟

مهما يكن فان من اسرة حم : حمي (زنة خشى) ، حمش (ومنها الحبش) ، حمس ، حمص ، حمق ، احمر ...

حم الظهيرة

: وسط النهار . شدة حرها . ار : (حومو - houmo) : حر الشمس وغيرها .
نوهنا بها توأ في (حمم الماء) .

الحمى

: ارتفاع حرارة الجسم . ار : (حمتو - hamto) : حرارة .

انظر (حمم الماء) آتفا .

الحمص

: الحب المعروف . ار : (حمصو - hemso) .

نعتقد انه سمي بذلك من التحميص لانه كما يؤكل مطبوخاً يؤكل محمصاً . وتأثيل الكلمة قد ورد في (حمم الماء) .

ومثلها الحي (زنة الزي) . ثم أطلقت صيغة الحيوان
بالإضافة الى ذلك على كل ذي حياة .

ويظهر ان (حيوتونو) الأرمية محسورة من
(الحيوه) أو من احدى الصيغ العربية الأخرى الباقية
أو المنقرضة .

الخنان

: هو الحانوت ، أو محل نزول المسافرين . وهو
أصل الخان . أر : (حونو - honou) .

نلاحظ انه يسمى كذلك النزول - بضمين ، وأن
البيت يسمى (المنزل) ، وكلاهما من النزول أي نزول
المسافرين عن ظهور المطايا . كما أن (البيت) سمي
بذلك من المبيت ، والأغلب انه مبيت المسافرين أيضا .
ومثل ذلك المحل والمحلة ، من معنى الحل - بفتح الحاء
أي حل الرحال عن الأبل ، وهو خاص بالمسافرين
والمطايا أيضا .

ثم نلاحظ ان المناخ يعني محل الإقامة ، وهو من
معنى « مبرك الأبل أي الموضع الذي تناخ فيه » . ومنه
صاغوا فعل تنخ بالمكان : أقام . والتنوخ - زنة
الوقوف - هو الإقامة .

هذه الوشائج بين المنازل من جهة والسفر
والأبل من جهة توحى لنا أن (الخان) صيغة مشتقة من
الاناخة أو المناخ . . وهي قرائن لا ترقى الى مرتبة
الدليل القاطع لكنها تدعو الى التأمل .
ومن الخان نشأت صيغة الخان والحانوت .

الخبل (زنة الممل)

خبله الحزن : أفسد عقله . أر : (حبل - hbal)
: أفسد .

ان ائبل الخبل هو الهبل . فان قولهم أهبل الرجل
يعني فقد العقل والتمييز ، فهو أهبل ، وحالته الهبالة .
وأما ائبل (الهبل) فهو (البله) وكان الهبالة هي البلاهة ،
وهذه من البلاده ، وهذه من فعل بلد ، وهذه من لبد
. الخ .

الخايبة

أر : (حوبيتو - hobito) .

ان فعل خبا يعني فى العربية أخفى . والخباء :
بيت الشعر أو نحوه لانه مخبأ أصحابه . والخايبة ،

الذي يقابل الكلمة الأرمية فى المعنى هو فصل
حاب يحوب فى العربية ، أي أذنب . لكنهم تصدوا
لصيغة فعل (تحوب) الذي يعنى عكس المعنى أي
تجنب الذنب لقرب الفعل الأرمي منه لفظا .

وائل الكلمة فى العربية كما نظن هو (تهبب) ،
مما يؤيد ان أصل المعنى هو كما فى العربية أي
الامتناع عن الذنب ، ثم نشأت صيغ أخرى صارت
تعنى أتيان الذنب .

وواضح ان صيغة (اتحيب) الأرمية اقرب من
(تحوب) العربية الى الأئبل (تهبب) . لهذا يظهر ان
العرب قالوا اول الامر (تحيب) ثم صاروا ينطقونها :
تحوب . وانما نقول ان العربية هي الأئبل بالرغم من
كون (الصيغة) الأرمية آئل لان معناها هو الاحداث ،
أي ان الأرمية اقتبست الكلمة منذ كان العرب
ينطقونها (تحيب) .

الحيوان (زنة الطيران)

أر : (حيوتونو - hayotono) .

أصل معنى الحياة هو الحرارة لذلك كانت الحوة
(زنة القوة) تعنى السواد مثل الحرة (زنة الجرة)
التي تعنى الأرض ذات الحجارة السوداء كأنها أحرقت
بالنار . ونعتقد انهم أطلقوا على النار أولا لفظة (حو)
- زنة جو - وهي ما تزال فى لغة الطفل بالدارجة
العراقية تعنى النار أو التحذير من الاكتواء بها أو باي
شيء حار . و (الحو) يعنى السم كذلك بالدارجة
العراقية فى قولهم من باب الدعاء بالشر : يا كل حو !
وستأتي وشيكا أهمية معنى السم فى هذه الكلمة .

وبنتيجة تفاعلات الواو والياء التي لا نريد
التبسط فيها ، أطلقت كلمة (حية) على النار التي ما
تزال كامنة تحت الرماد ، أي ضد النار الخامدة . وهي
فيما يظهر مؤنث (الحو) ، لان (الحية) أصل اشتقاقها
(الحوية) - زنة الموجة . لذلك كانت الحية من أسماء
الأنمي لان لدغتها كالنار . ومن هنا جاء معنى السم
فى (الحو) بالدارجة العراقية . ومن (الحية) قالوا
تحوى الحبل مثلا أي تلوى كالحية . والحاوي والحواء :
من يجمع الحيات أو يرقى منها .

ومن النار الحية أيضا ، أي ضد الخامدة أو
الميتة ، صيغت الحياة وجمعها الحيوانات (زنة الطلوات) .
ومن صيغ الحياة (الحيوه) - زنة القبول - والحيوان ،

وتنطق بالهمزة (الخائبة) ايضا ، هي الجرة الضخمة
يخبأ ما يخبأ فيها . فاشتقاق صيغتها من معناها واضح
كل وضوح .

الخاتم (زنة القالب)

ار : (حوتمو – hotmo) .

نعتقد ان ائل الختم هو عملية كسر الطين الذي
يسدون به قم الجرة ، ثم انتقل المعنى الى الطين
نفسه الذي سمي الختام . ومنه الآية « ختامها مسك » .
ومن اخوات الختم بمعنى الكسر ونحوه : خت ، ختا ،
خترب . . قت ، حت ، جت ، . الخ . ثم لما صاروا
يسدون الرسائل بطين يطبعون عليه اسماءهم بميسم
خاص صار الختم يطلق على وسم الطين بذلك الميسم ،
ثم صار الميسم نفسه يسمى خاتما . ولما كانت
الرسائل انما تختم بعد انتهائها صار الختام يعني
النهاية از الانتهاء . ومن هنا قالوا « مسك الختام » لان
العلية كانوا يخلطون طين الختم بالمسك . وليلاحظ
القارئ الفرق بين « ختامها مسك » الذي يعني المسك
بدل طين السداد ، و « مسك الختام » الخاص
بالرسائل ، فان العادة التجارية الا يفرق الاكثرون ان لم
نقل الاجمعون بينهما :

فهذه التطورات تنبئ ان الخاتم هو منشأ
(حوتمو) بالآرامية .

الختن (زنة الوطن)

زوج البنت . ار : (حتنو – hatno) : زوج .

ان فعل (ختن) معناه القطع ، وائله الخت الذي
كان ولا بد يعني القطع ايضا ثم صار يعني الطعن .
ومنه ختن الصبي : قطع قلفته . ومن هذا المعنى
نشأ معنى المصاهرة فصار قولك ختنه وخاتنه يعني
صاهره . وربما كان اصل معنى المخاتنة هو تبادل
الرجلين اخواتهما اي يتزوج كل منهما اخت الآخر .
او ربما جاء من ختن البنت كما لا يزالون يفعلون في
بعض الاقطار ، فكانما قالوا ختن البنت لفلان او ختن
الصبي لفلانة ، كنوع من الخطبة التي كانوا يعقدونها
لاولادهم منذ الطفولة .

وبعد ان صار الختن يعني في العربية زوج البنت
صار في الآرامية يعني الزوج تعميما .

خاتنه

: صاهره . ار : (حتن – haten) : تزوج .

راجع (الختن) .

الخروب (زنة التنور)

ومثله الخرنوب . ار : (حروبو – haroubo) .

والخرنوب هو الاثل منهما ، وهو شجر كبير له
ثمر يؤكل او يسف دقيقه او يشرب مائه . وفي
العراق يطلقون الخرنوب على نبات بري صغير الحجم
موسمي ، اي يظهر في الربيع ويموت في الصيف ، وله
ثمر يؤكل اخضر بعد كشط جلده العفص الطعم . وفي
الموصل يسمونه الخيضر . واذا جف كان لبذوره
صوت عند تبريك ثمرته ومن هنا سموه في الموصل
(البنجل) من صوته ، ويبدو ان الاثل (ابو جلجل) .
وصفوة القول ان الخرنوب الجاف منخرّب، اي فيه
نخاريب (تجاويف) للبذور ، ومن هذه النخاريب جاء
اسمه (الخرنوب) – وربما كان اسمه الاول
(النخروب) – ثم اصلق على الشجر المذكور لمشابهة
ثمره بثمره .

اي ان تسميته (الخرنوب) بالنون سقت صيغة
(الخروب) بتشديد الراء وهذه ظهرت في الآرامية
بشكل (حروبو) .

خربق النبات

: اتصل بعضه ببعض . ار : (حربق – harbeq)
: شبك . عقل .

اصل معنى الكلمة هو التقطيع ، ومن ذلك ظهر
معنى الافساد حيث قالوا خربق العمل : افسده .
ومثل ذلك خربش الكتاب او خرفشه : افسده .
ومثله ايضا : شربق الثوب وشبرقه وشرقه وخرقه
وشرزه وشرطه (والاربعة الاخيرة كلها بتشديد الراء) .
ويظهر فعل (شربق) في الدارجة العراقية بشكل
(شريك الشيء) اي جعله يشبك ويتداخل بعضه في
بعض ، وهي من الالفاظ الاثيلة المضاعة ، فيما نعتقد ،
فمنها نشأ فعل تشبك وتشبص ، في الفصحى .

ومن كل هذا ، ولا سيما فعلي شربق وخرق
– بتشديد الراء – نشأ فعل خربق بمعنى التشابك ،

وهي حلقة يشد فيها الزمام . واصل معنى خزمت
البعير هو ثقتب أنفه .

وربما تكونت كلمة (الخرطوم) منذ كانت المعربة
غابة تعيش فيها الغيلة ، قبل خروج الأرميين منها
بالوف السنين .

الخزف (زنة الهدف)

: الفخار . ار : (حصفو - hesfo) : اناه من
خزف .

اصل المعنى القطع أيضا . خزف الثوب : شقه .
وقد اطلق على الفخار فيما يظهر لسهولة تكسيره ، كما
سميت كسراته الشقف والمفرد الشقفة ، بينما الشقفة
تعني بالسورية : الكسرة او القطعة الصغيرة من أي
شيء ، وهو فيما نعتقد اصل المعنى .

الخصص (زنة اللب)

: البيت من قصب او شجر . ار : (حوصو -
houso) : خوص .

الكوخ هو البيت القروي في الاستعمال اللغوي
الرائج وان كان يعني في المعاجم : البيت بلا كوة .
والاستعمال الشائع هو الاصل لان اسم الكوخ نفسه
متطور من الكوة ! ومن الكوخ نشأت صيغة الكاخ بنفس
المعنى ، ومنها في اللاتينية casa . وكما نشأت من
الكاخ صيغة (كاسا) التي اندثرت في العربية وظهرت
في اللاتينية ، نشأت من الكوخ صيغة (خوص) و
(خصص) - بضم الخاء .

ولما كان بعض الاكواخ البدائية يبنى من سعف
النخل فقد تخصصت صيغة (الخوص) بالسعف و
(الخصص) بالبيت المبني منه او من القصب او الشجر .

ويلاحظ ان (حوصو) الأرمية تعني الخوص
بمعناه العربي أي السعف ، لا (الخصص) المبني منه .
(انظر كلامنا عن الكوخ وتطوراته في الأريبات في كتابنا
« مفامرات لغوية ») .

خطر (من باب كرم)

: صار رفيع المقام . ار : (حطر - hatar)
: تكبر

فقالوا (خريق النبات) بمعنى اتصل بعضه ببعض ،
أي تشابك ، ومن ثم ظهر في الأرمية فعل (خريق) .

الخرز (زنة النظر)

: ما ينظم في سلك من لؤلؤ ونحوه . ار :
(حرز - hraz) : رتب . ادخل .

الخرز في العربية هو الحب المثقوب من زجاج
او جرز او خشب او اية مادة صلبة من الجواهر
الغالية او الحجارة الرخيصة . وسبب التسمية هو
كونه مثقوبا ، لان خرزت الجلد تعني ثقبته ، والخرزة
اداة الثقب . ومن اسرة الكلمة : خرم ، خرق ، خرت ،
خرب .

ولما كان الخرز ينظم في سلك صار فعل خرز
يخرز خرزا (من باب فرح) يعني احكم امره ، كما
اشتقوا النظام والتنظيم من معنى نظم الخرز ايضا .
ومن ثم ظهرت في الأرمية صيغة (حرز) بمعنى رتب
وادخل ، أي بمعنى نظم بالتشديد ونظم بالتخفيف .

الخردل

: النبات ذو الحب الدقيق الحريف المعروف .
ار : (حردلو - hardlo) .

اثله من فعل (خرد) الذي يعني القطع . ولا
شان لنا بمعانيه المعجمية الآن ، لكن مما يدل على ذلك
ان فعل خردل نفسه ما زال يعني القطع في المعجم ،
والخرادل : القطع من اللحم . ولعل قولهم خردل
اللحم بمعنى قطعه وفرقه هو الذي ادى الى اختصاص
الكلمة بالقطع الصغيرة من كل شيء ، ثم تخصص بهذا
الخردل .

الخرطوم

: انف الغيل . ار : (حرطومو - hartoumo)
: انف ، خرطوم .

نعتقد ان اثل الخرطوم هو الخطم وهو من الدابة
مقدم أنفها وفمها ، ثم اطلق على الانسان مجازا بمعنى
الانف . وصياغة الخرطوم من الخطم له امثال في
العربية تكتفي منها بالعروق من العقب والفرطيسية من
القطس . واثل الخطم على كل حال هو الخزم ، فقولك
خزمت البعير يعني وضعت في أنفه الخزام او الخزامة

وقالوا خلف الطعام : تغير طعمه ورائحته ، لان هذا شأن الطعام المتخلف . ومن تغير الطعم ظهر معنى التغير عامة . وثمة الخلف (كالشكر) والاختلاف (كالاحسن) والاختلاف والمخالفة ، فكأنها تعني التغير او التغيير . ونقول بالمناسبة انهم يسمون المعارضة السياسية بالفارسية (مخالفت) والمعارضين (مخالفين) .

فاذا قال العرب : خلف الرجل عن خلق ابيه بمعنى تغير اي اختلف ، فلا يدل ذلك الا على ان فعل (حلف) بالارمية هو المقتبس .

الخمر

ار : (حمرو - hamro) .

قالوا في العربية : خم اللبن : فسد ، ومنه خم اللحم : اتن ، ومثل ذلك خمج . ومن باب التضاد قالوا : خمط اللبن او الخمر : تغيرت ريحه او طابت . ومن معنى تغير الطعم قالوا : خمرت العجين : وضعت فيه خميرا ، واختمر العجين : صار خميرا ، واختمر العصير : صار خمرا ، او خمرة .

الخمير

ار : (حميرو - hmiro) .

انظر (الخمر) آنفا .

الخميطة

: دثار مخمل . ار : (حميلتو - hmilto)
: غطاء .

أصل معنى الخمول هو الخفاء ، والخامل الذكر هو المغموه ، وأثل خمل هو غمل الشيء : ستره . ومن أسرة الكلمة : غمر وغمن وغمي وغم . ومن معنى الخفاء اطلقوا (الخميطة) على الشجر الكثيف الملتف والموضع الكثير الشجر - كما اطلقوا الجنة والغابة لنفس السبب . ومن معنى الشجر اطلق الخمل على هدب القطيفة ونحوها من الانسجة المخملة ، ثم على القطيفة نفسها . والمخمل (زنة المكتب) بلغة الموصل : منشقة الحمام .

ثم صارت الخميطة تعني الدثار المخمل ، ثم عم معناها في الارمية فصارت (حميلتو) تعني الغطاء .

اثل الفعل : خطأ يخطو ، ومن ذلك قيل تخطرته وتخطيرته : تخطيته . ثم صار فعل خطر (كجلس) يعني المشي مع تحريك اليدين . ومن هذا نشأ فعل (تمخطر) بالدارجة المصرية الذي ادى الى نشوء (تبختر) في الفصحى . نعني ان التمخطر صيغة عربية قديمة لكن جامعي اللفظ لم يأخذوا بها لمخالفتها الصيغة (الفصيحة) الراجحة التي كان يجب ان تكون (التخططر) . و (التمخطر) بالميم - كان لفة بعض العرب ضعف شأنها عند نشوء الفصحى في الجاهلية ، وقد احيها بعض المتأخرين في مثل (التمعني) ، وفي جيلنا (التمهذب) .

ولما كان التبختر من شأن ذوي الاقدار صار (الخطر) يعني الشرف وارتفاع القدر ، وصار فعل خطر (ككرم) يعني : ارتفع قدره . ومن ثم ظهر في الارمية بصيغة (حطر) : تكبر .

الخطر (زنة الفكر)

: الفصن . ار : (حوطرو - hawtro) : قضيب ، عصا .

ان تمايل المتبخر في سيره جعلهم يقولون مجازا : خطر الريح : اهتز ، ومن هنا سموه الخطار (بالتشديد) . وقالوا : خطر بسيفه او رمحه : هزه ، وخطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه . فمن هذه الحركة وذلك الاهتزاز سمي الفصن (خطرا) .

الاختطاف

: كون النفس مخطوفة في رؤيا او نحوها . ار : (حطيفوتو - htifouto) .

ربما كان تخريج هذا المعنى ارميا ، لكن الكلمة بمختلف صيغها عربية .

خلف - خلفا وخلونا

عن خلق ابيه : تغير . ار : (حلف - hlaf)
: تغير .

صيغ الكلمة كثيرة جدا في العربية ، وانما اختاروا فعل خلف بمعنى تغير لانه الصيغة التي وجدوا لها مثيلا في الارمية . وأصل معنى الفعل هو التخلف ، فقولك فلان خلف فلانا يعني : تلاه ، اي جاء خلفه .

الخنزير

أر : (حزيرو - hziro) .

كنزت الشيء: ادخرته وحفظته. ومنه نشأ فعل (خنز) الذي كان له نفس المعنى أولا بدليل أن مقلوبه (خنز) له نفس المعنى. إلا أن فعل (خنز اللحم) صار يعني أنتن، لأن ذلك مصير اللحم المخزون (لم تكن لديهم تلاجت)، والمغاربة يستعملون الكلمة في لغتهم الدارجة بمعناها هذا الفصح بينما هي مجهولة عند المشاركة حتى في الفصحى. و (الخنز) - بكسرتين - هو المنتن في المغربية. ومن هنا جاءت تسمية (الخنزير)، فيما نعتقد.

أما في الأرمية فإن حذف النون من الاسم، وهو تطور لفظي متأخر مع بقاء المعنى على حاله، يدل على أن صيغة (حزيرو) الأرمية هي المستحدثة المقتبسة.

الخنزير

: غدد صلبة في العنق على سطحها درن شبيهة بالمعد. أر : حزيروت - hazirot .

هذه التسمية من الخنزير على كل حال، ولا نرى ما يرجح انتماءها إلى أية من اللغتين، لكن المادة عربية. أما حذف النون من الكلمة فقد تكون له نفس الدلالة هنا أيضا، وقد لا تكون.

الخنوص (زنة السنور)

: ولد الخنزير. أر : (حونوصو - honouso) .

يبدو أن الاسم من نفس مادة الخنزير، أي الخنز. ولعلمهم سموه أول الأمر (الخنوز) ثم صار (الخنوص)، وعلى هذا قد يكون هو أئلل (الخنزير)، ثم تخصصت صيغة (الخنوص) بولد الخنزير: التنن الصغير.

الخنفساء

أر : (حرفوشتو - harfouchto) : خنفساء سوداء.

من أوصاف الخنفساء في المعجم العربي أنها كريمة الرائحة، وهذا يرشدنا إلى أن التسمية جاءت في

الأصل من الخنز، وربما من الخنوص خاصة، فلا يخفى أن بعض اللغات تنطق الواو فاءا مخففة (V) ونعتقد أنها إحدى اللهجات العربية القديمة تسربت إلى اللغات المتولدة منها. ومن أسماء الخنفساء أيضا: الخنفس (بضمين) والخنفس (بضممة وفتحة) والخنفس (بكسرتين) والخنفسا (بضمين) .. الخ. ما أكثر أسماءها على هوان قدرها بين مخلوقات الله. وكلها قريب النطق من (الخنوص) إذا ابدلنا واوه فاءا. وتسمى في بعض الدارجات (الخنفوس) ويظهر أنها صيغة أثيلة في العربية فمنها صاغت الأرمية (حرفوشتو) بإبدال الخاء حاءا كما رأينا في الألفاظ العربية السابقة المبدؤة بالحاء ومنها (الخنوص) نفسه. وأما ابدال النون راءا فعادة أرمية أخرى تظهر في الكثير من الألفاظ مثل ترتين (= ثنتين) وبرتا (= بنت). وهي فيما يبدو عادة عربية كانت عند بعض القبائل بقي أثرها في الأرمية وربما في بعض اللهجات الحية الأخرى أيضا.

فمن ابدال واو الخنوص فاء نشأت (الخنفس) بأحدى صيغها الموجودة أو المنقرضة، ومن ابدال حاء (الخنفوس) حاءا ونونها راءا نشأت (حرفوشتو)

الخنفاق (زنة البكاء)

: مرض يتعسر معه التنفس. أر (حونوقو - honouqo) .

الكلمة توحي بانها عربية معنى ومبنى. فالمعنى من الاختناق والمبنى من صيغة الفعال السدال على الأمراض كالسعال والفواق والزكام والجذام والكزاز. ولا ندري ما الذي جعل اللغويين يظنونها مقتبسة من (حونوقو) إلا توهمهم بأن تسمية الأمراض من الشؤون الحضارية، فيما يظهر.

الخنوخ

: شجر. أر : (حوحو - houho) .

الخنوخة هي الثمرة المعروفة، وقد سميت بذلك لاستدارتها فيما يبدو، لأن للخنوخة معنى آخر هو: الكوة التي تؤدي الضوء إلى البيت، أي أن أئللها هو (الكوة) نفسها، التي هي أئلل (الكوخ) أيضا. ومن هنا كان (الخنوخ) يشبه الكوة شكلا والكوخ لفظا. فعلى هذا تكون العربية هي الأئلل.

وفى العربية أيضا صارت (الدور) تعني مجموعة البيوت ، اى جمع الدار .

ومن (الدور) بمعنى الدوران نشأ (السور) ، ومن هذا نشأ (السوار) الذي يحيط بالمعصم . ومن السور قالوا (تسور الجدار) اى ارتقاه . وربما من هذا المعنى قيل فى الفارسية (سوار) بمعنى فارس لانه يرتقى الفرس ، كمن يتسور الجدار .

الدبس (زنة الفكر)

: غسل النحل ، غسل التمر او نحوه . ار : (دبشو - debcho) .

يبدو ان اصل معنى الدبس هو السواد ، ذلك ان الدبس (زنة الدرس) هو الاسود من كل شيء . وادبست الارض : اخرجت نباتها عندما يظهر اول سواده . ومن هذا المعنى اطلقوا (دبس) بتشديد الباء - فعلا لازما ومتعديا بمعنى اختفى او اخفى . لهذا يظهر ان ائله دمس الليل او الظلام : ائشد سواده ، فهو داس .

وبعض انواع الدبس كدبس العنب : اسود . فلعلم اطلقوه اولاً على الدبس الاسود تمييزاً له من الانواع الاخرى ، ثم اطلق على كل انواعه من باب التعميم ، ثم عمموه ككرة اخرى فشمل غسل النحل ايضا . لكنهم فى العراق لا يطلقون الدبس على غسل النحل بل على العسل الصناعي من عصير الثمار .

دبق بكذا

: التصق . ار : (دبق - dbeq) .

يبدو لنا ان (دبق) ائله (الدبس) صيغ منه بسبب لزوجته .

الدابوق والدبق (زنة الفكر)

ار : (دوقو - doubqo) .

فراء اخضر يطلون به قصبانا توضع فى الاشجار فيلتصق بها ما يقف عليها من الطير فيصيدونه . ويجوز ان يكون هذا المعنى من صنع اية من اللغتين ، لكن هاتين الصيغتين عربيتان من حيث اشتقاقهما

ونظن ان منها كذلك (الكوكب) وهو النجم السيار ، اى الدوار .

الخصوص (زنة البوق)

: ورق النخيل . ار : (حوصو - houso) .
نوهنا بمنشأ الكلمة فى العربية عند الكلام على (الخصص) .

الخياط

ار : (حيوطو - hayoto) .

صيغة الفعال هي المألوفة فى العربية للدلالة على صاحب الحرفة ، وهي هنا صيغة المبالغة من الخائط اى فاعل الخياطة . والائل هو الخط ، ومنه الخوط (كالخصوص) : القضيبي والغصن الناعم . وكانوا يستعملون العيدان لتشريح طرفي نسيج او شقي غرارة او نحو ذلك ، ومن هنا نشأت من الخوط صيغة (خاط الثوب) : ضم بعض اجزائه الى بعض . ثم نشأ الخيط والمخيطة والخياطة . كلمة حضارية اخرى يدل التأثيل على ان الارمية هي المقتبسة لها من العربية .

الدار

: البيت . ار : (ديرو - dayro) : مسكن . من : (دور - dor) : سكن .

ان الدار فى العربية من الدور اى دوران الجدار حول المسكن ، ومثل ذلك (الحائط) اى البستان من معنى الجدار المحيط به . وفى الفارسية يسمون باحة الدار (خياط) . فاصل المعنى ليس من السكن اذن بل من الدوران ، وانما نشأ معنى السكن بعد ذلك حين استقر معنى (الدار) للمسكن .

ومما يؤيد ان الدوران اصل معنى الدار هو ان (دور - dour) تعني فى بعض الساميات السور الذي يحيط بالمدينة ، ثم صارت تعني المدينة ومن ذلك (دور شروكين - Dour Charroukin) اى مدينة شروكين (1) الواقعة انقاضها شرقي الموصل .

(1) هو الاثل الصحيح للاسم الشائع : سرجون .

دحل

: خاف . ار : (دحل - dhel) .

أصل معنى الدحل هو الستر ، أي قريب من معنى الدجل : التغطية . وائل الدحل هو الدح : الدس . من ذلك قولهم دح الشيء في الأرض : دسه وإخفاه . ومن هنا قيل : دحل الرجل : استتر وتباعد ، أي هرب ، وهذا معناه الخوف بطبيعة الامر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الخوف ، وعندئذ ظهرت في الآرامية .

دخسه في الرماد

: دسه . ار : (دكش - dkach) .

هذه الكلمة من أسرة : دح ، دحس ، دحل ، دخل .. وأثلها جميعا : دس . ومنها : دسر ، دسح ، دسا يدسو . ومن أسرتها أيضا دكست الشيء : حشوته ، ويظهر أن هذه هي الأثل المباشر أو القريب لصيغة (دكش) الآرامية . - يتبع -

فالدبق من صيغة (الملك) مثلا والدابوق من صيغة اليافوخ . يضاف الى ذلك أن في العربية صيغة نائلة للكلمة هي الدبوقاء . ولم تخل المعربة من شجر وطير وصيد وغراء ، حتى اليوم ، بدليل وجود هذه اللفاظ الأثيلة في لغتها .

دجل

: كذب . ار : (دكل - dguel) .

أصل معنى الدجل هو الظلمة والتغطية ، ومن أسرة الكلمة: الدجى والدجن والدجم والديجور . ومن معنى التغطية قولهم دجلت الشيء (بالتشديد) : غطيته ، ودجلت البعير : طليته بالقطران ، ودجلت الإناء بالدجال (بالتشديد) : طليته بالذهب أي موهته . ومن هنا سمي « الدجال » لأنه يلبس الحق بالباطل ويظهر خيرا مما يضمّر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الكذب . فتطور معاني الكلمة في العربية على هذا النحو ينبيء أن (دكل) التي تعني الكذب في الآرامية هي المقتبسة منها .



الكلام في القاموس

الأستاذ عبد الله تكون

فلما جاء الاسلام وغمر العرب بمقيدته وتشريعه ونظريته الشاملة للمجتمع والحياة ، اتسعت دائرة اللغة العربية لفظا وتعبيرا ، وتعزز البيان العربي بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، واصبحت لغة العرب لغة دين ودولة ومجتمع متحول من حياة البداوة الى حياة المدنية التي جاءت بدعا في المدنيات لا تشبه غيرها بما لها من سمات خاصة ومثل متميزة ، فلا غرو ان يفني الاسلام هذه اللغة ويجعل دلالاتها ذات ابعاد تقصر عنها اللغات التي احتضنت الحضارة الانسانية قبلها ، فلا تملك الا ان تنقل عنها وتقتبس منها بعد ان اعتنق اهلها الدين الجديد . وكان ذلك مما حمل الاسلام لالفاظها من معان جديدة وما اتى به من تعابير لم تكن تعرفها من قبل .

وفي هذا الصدد يذكر علماءنا عبارات وجملا مما اتى في القرآن ولم تنطق به العرب قبله كجملة سقط في ايديهم او في السنة كعبارة حمي الوطيس .

ثم كان عهد الترجمة والنقل لعلوم الامم المتقدمة ومعارفها ، وما كان لذلك من تأثير في اللغة العربية سواء من حيث اقتباس المصطلحات العلمية او وضعها ، ام من حيث مجازاة عبارات المؤلفين او ترجمتها ، كله معلوم للجميع فلا نطيل به .

ولا ريب ان ما جرى ويجري في عصرنا هذا هو من هذا القبيل ، فالأخذ والعطاء من سنن الحياة ، ولا غضاضة على العربية ان تتبنى الفاظا وعبارات بله الصور الكلامية التي يستحسنها الكتاب والمترجمون من لغات اخرى ، اذا كانت تنسجم مع الأسلوب

اقتبست اللغة العربية في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، وما تزال تقتبس بطريق الترجمة عن اللغات الاخرى ، عبارات وصورا كلامية كثيرة اثرت محصولها من البيان وان كان ثوبا من قبل ، ولكنها زادت ، ونوعت طرق الاداء فيها وقد كانت متنوعة بدونها ، الا انها توسعت نتيجة لذلك بكيفية ملحوظة . وهذا لان اللغة كائن حي يزيد وينمو بالغذاء والتطعيم ويضوى ويضمربترك التعهد والعناية .

ففي العهد الجاهلي كانت العربية لغة مستكملة التكوين ، تفى بالتعبير عن مقاصد اهلها ومشاعرهم ، وهي الى كونها لغة مجتمع محدود الاغراض والمصالح ، قد اضطرت الى الاقتباس من لغات اخرى مشتركة معها في الاصل او مختلفة ، فاخذت منها عديدا من الكلمات تسمى بالدخيل ، ولم يزر بها ذلك في شيء ، لا سيما وهي في حيويتها وفعاليتها قد صاغت صياغة خاصة واضفت عليها من طابعها الاصيل ما جعلها تبدو كأنها من صميم الضاد .

وهذا في الالفاظ شيء معلوم لا جدال فيه ، واما في التركيب والتعبير فغير بعيد ان يكون العرب قد تأثروا بغيرهم في بعض الصور الكلامية مما كانوا يسمعون في هذه اللغة او تلك ، بناء على عموم قاعدة الاخذ والعطاء ، ونحن نعلم ما لاحظته قدماء النقاد على عدي بن زيد العبادي واعشى قيس ومن ماثلهما في الاتصال بالمعجم ، من ذكرهما لاشياء لا تعرفها العرب حتى ان بعضهم توقف في الاستشهاد بهما ، فهذا من ذلك . وهو تحفظ شبيه بتحفظ بعض لغويينا ازاء كل جديد في عصرنا هذا وقبله .

العربي ولو كان هناك ما يماثلها ، فقد وضعنا الهاتف ولكننا ما نزال نقول التلفون ، ووصف الدكتور لا نجد من يتنازل عنه ولو كان من اكثر الناس تحفظا في هذا الصدد ، مع ان وصف الطبيب موجود في العربية من قديم . وهكذا نرى ان ثروة اللغة وغناها من ذاتها وبالاقْتباس ، شيء واقع ومرغوب فيه ، حتى ولو ادى الى خرق بعض القواعد المقررة كما نعمل هنا في هذا المجمع أحيانا .

وما اعرضه على انظاركم اليوم هو تعبير من مئآت التعابير التي دخلت العربية في العصر الحديث وجرت على الاقلام والالسن ، فلم ينكرها احد ولا اعترض عليها معترض ، بل اعتبر ذلك من التجديد للغة والتوسع في طرق البيان ، وحقا هو كذلك ، فقد اصبحت العربية بمقتضاه تسايير ركب الحضارة الجديدة ولا تتخلف عنه في شيء ، ولا سيما في حقل الادب والفن والعلوم الانسانية والسياسة والاجتماع . ولكن هذا التعبير ما يزال توجه اليه النظرات الشذراء من رجال اللغة ، وينبذه المتحفظون وان كان مما شاع وذاع وملا الاسماع كما نقول فيما حفظناه من الاسجاع .

انه التعبير الذي تدخل فيه هذه الكاف التي حيب الي ان اسمها الكاف التمثيلية ، فرقا بينها وبين كاف التشبيه ولانها تقع موقع مثل ، وهي المقابلة لـ comme الفرنسية و como الاسبانية في مثل قولنا فلان كسفير يمثل بلاده احسن تمثيل ، والوالي كأحد رجال الشرطة يجب ان يحتفظ بهيبته .

ولمزيد الايضاح ابين كيف تقع هذه الكاف في عنوان بحث كنت اقيته في هذا المجمع منذ سنتين وهو ابن رشد الفقيه .

فقد كتبت هذا البحث عن الحفيد ابن رشد ، واسمه محمد وكنيته ابو الوليد مثل اسم جده وكنيته تماما ، واشتهر هو بالفلسفة كما اشتهر جده بالفقه . وازدت ان يكون عنوان البحث دالا من اول وهلة على المراد ، فقلت اجعله الحفيد ابن رشد الفقيه او فقيها ، فلم اجده يؤدي ما في نفسي بوضوح مع طوله ، وقلت اجعله الفيلسوف ابن رشد الفقيه او فقيها ، فوجدته يقارب ولكنه ربما اوهم اني اتناوله بوصفيه الفقيه والفيلسوف في حين اني لم اتكلم الا على الناحية

الفقهية من ترجمته . وعرض لي استعمال هذه الكاف بان اقول ابن رشد الفيلسوف او الحفيد كفقيه ، فوجدتها ادل على المراد من كل ما سبق ، ولكن استعمالها مرغوب عنه ، لا سيما وانا اعرض بحثي في مجمع اللغة العربية .

فعدت الى العنوان الذي خطر لي اول مرة ، هو ابن رشد الفقيه ، اتكالا على ان الشهرة المطبقة لهذا الاسم ، بين العرب وغيرهم ، انما هي للفيلسوف لا للفقيه . وقد ترجم ذلك البحث الى الاسبانية ونشر بمجلة الفكر التي يصدرها المعهد الاسباني للفلسفة في العصر الوسيط بعنوان Averroes Elyurista وكان واضحا اشد الوضوح ان المراد به الحفيد لا الجد . على اني في طالعة البحث بينت اني انما اعني صاحبنا الفيلسوف لا جده الفقيه .

لذا ولما قدمت من ان اقتباس التعابير اللغوية كاقْتباس الالفاظ ، لا ضير فيه ، حتى لو كان هناك ما يماثلها ، فانه يعد كالمترادف ، والمترادف قلما يخلو من فرق دقيق بين معانيه ، وكذا الجمل والتراكيب ، اقول لما ذكر فكرت في ان احاول تخريج هذه الكاف ووجه استعمالها على نحو مقبول في العربية . فرجعت الى المعاني التي يذكرها علماؤنا للكاف ، فاذا هي اربعة عند ابن مالك ، كما قال في الالفة :

شبه بكاف وبها التعليل قد

يعنى وزائدا لتوكيد ورد

واستعمل اسما .

وعند ابن هشام في المعنى ستة بزيادة الاستعلاء والمبادرة .

وقد استبعدت منها هذين المعنيين الاخيرين لانهما لا ينطبقان على هذه الكاف التي نتكلم عليها . وكذلك معنى التشبيه لانه الذي يتطرق منه النقاد الى ضعف استعمال هذه الكاف فيه ، اذ كان المشبه فيها هو عين المشبه به (1) ، فان قول الشخص مثلا اننا ككاتب لا اخرج من استعمال هذا التعبير ، انما يعني نفسه . فاختل حينئذ احد اركان التشبيه ، وان كنت انا شخصا لا ارى ذلك ضربة لازب ، فيجوز ان يعني غيره ، ويحسن ذلك قصد التواضع في حالة التكلم كما في مثالنا هذا .

(1) ولهذا سميتها الكاف التمثيلية فان التمثيل للقاعدة يكون بفرد من افرادها فهو منها ، كقولنا الفاعل مرفوع مثاله قام زيد .

قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه .
 وفي حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب
 نالا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته
 وطيبه . فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين
 قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء ، الا
 ما تعطيه الكناية من فائدتها . وكانها عبارتان معتقتان
 على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته . ونحوه
 قوله تعالى (بل يدها مبسوطتان) فان معناه بل هو
 جواد من غير تصوير يد ، ولا بسط لها ، لانها وقعت
 عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر ، حتى انهم
 استعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فمن
 له مثل ومن لا مثل له . ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه
 كررت للتأكيد كما كررها من قال :

وصاليات ككما يؤثفين .

ومن قال : فأصبحت مثل كعصف مأكول .
 وفى التلخيص للقزويني : ومما يرى تقديمه
 كاللازم لفظ مثل وغير فى نحو مثلك لا يبخل وغيرك
 لا وجود الخ قال السعد فى شرحه : اذا استعملنا معنى
 مثل وغير على سبيل الكناية بان يراد بالمثل وغير
 انسان آخر مماثل للمخاطب او غير مماثل ، بل المراد
 نفي البخل عنه على طريق الكناية ، لانه اذا نفي عمن
 كان على صفته من غير قصد الى مماثل لزم نفيه عنه
 واثبات الجود له بنفيه عن غيره .

فتلخص من هذا ان الكاف ، وهي للتشبيه ، قد
 يعنى بها ما يعنى بمثل اي ذات الشخص والشخص
 نفسه ، فاذا قلنا فلان كسفير يمثل بلاده احسن تمثيل
 فالمراد فلان نفسه ، وانما عدلنا الى هذا التفسير قصد
 الكناية التي هي ابلغ من التصريح .

وقد تأكد بهذه النقول ما قدمته من ان كاف
 التشبيه قد تدخل هنا ، لان المشبه به اعم من ان يراد
 به المشبه نفسه .

وخامس معاني الكاف ان تكون اسمية بمعنى
 مثل ، فتعرب حينئذ بما يقتضيه المقام نحو زيد
 كالاسد . قال فى المبنى : الكاف فى موضع رفع
 والاسد مخفوض بالاضافة . وكثيرا ما يقع هذا فى
 كتب المعربين . وعليه فاذا قلنا زيد كاديب له شهرة
 عالمية ، كان معناه زيد مثل اديب بنصب المثل على
 الحال ، ولعله ان يكون على ما تقدم ابلغ من قولنا زيد
 اديبا ، وقلت لعله ، لاني لا اجزم بهذا الحكم او لا آخذ
 بهذا النظر الذي شرحته حتى يحصل على موافقتكم :

وما انا الا من غزية ان غوت
 غويت وان ترشد غزية ارشد

بقي معنى التعليل ، وقد مثلوا له بقوله تعالى :
 (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم)
 اى لهدايته لكم . وقيده قوم يكون الكاف مكفوفة بما ،
 ولكن ابن هشام رد ذلك واستدل بقوله تعالى :
 (وي كأنه لا يفلح الكافرون) اى أعجب لعدم فلاحهم .
 ولا اظن ان هذا المعنى يمتنع فى المثال الثانى من
 المثالين السابقين ، وهو قولنا الوالى كأحد رجال
 السلطة يجب ان يحتفظ بهيبته ، والتقدير لانه من
 رجال السلطة ، فما وافقه كان مثله كقولنا فلان كوزير
 لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة .

ثم معنى الزيادة ، ومثل له النحاة بقوله تعالى :
 (ليس كمثل شيء) التقدير ليس شيء مثله ، اذ لو لم
 تكن زائدة للزم اثبات المثل له تعالى . وانما زيدت
 لتوكيد النفي ، وهذا هو قول ابن مالك (وزائدا لتوكيد
 ورد) .

والمتكلمون لا يقولون بزيادة الكاف فى هذه
 الآية ، بل يعتبرونها اصلية ويجعلون الآية من باب
 الكناية ، ويقولون انها ان دلت على نفي مثل المثل
 فذلك نفي للمثل ضرورة انتقاء الملزوم لانتقاء اللازم .

وكذلك المفسرون . قال ابو حيان فى البحر :
 تقول العرب : مثلك لا يفعل كذا ، يريدون به المخاطب ،
 كأنهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفي عن
 الشخص . وهو من باب المبالغة . ومثل الآية قول
 اوس بن حجر :

ليس كمثل الفتى زهير

خلق يوازيه فى الفضائل

وقول الآخر :

وقتل كمثل جدوع النخيل

تفشاهم مسبل منهم

وقال آخر :

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم

ما ان كمثلهم فى الناس من احد

فجرت الآية على نهج كلام العرب من اطلاق المثل
 على نفس الشيء .

وقال الزمخشري فى الكشاف : قالو مثلك لا يبخل ،
 فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ،
 قصدوا المبالغة فى ذلك فسلخوا به طريق الكتابة ،
 لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على اخص
 اوصافه فقد نفوه عنه . ونظيره قولك للعربي : العرب
 لا تخفر الدميم ، كان ابلغ من قولك انت لا تخفر . ومنه قولهم

مَعَاجِمِ الأُرْبُيَّةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

المعاجم الكاملة

أحمد مختار عمر
دكتوراه فقه اللغة
(جامعة كبرديج)

- 2 -

تمهيد :

ومن المعاجم الكاملة التي وصلتنا :

- 1 - ديوان الادب للفارابي المتوفى عام 350 او 370 هـ .
- 2 - ديوان لغات الترك للكاشفري المتوفى عام 466 هـ .
- 3 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد من علماء القرن السادس الهجري .
- 4 - مقدمة الادب للزمخشري المتوفى عام 538 هـ .

وستتناولها الآن بالترتيب السابق ، ولكن لاهمية « ديوان الادب » للفارابي واثره فيما جاء بعده من معاجم سنبسط القول فيه وفي مؤلفه :

لم يبدأ هذا النوع من المعاجم الا منذ القرن الرابع الهجري . والرائد فيه هو عالم لغوي مغمور لم يلق من الباحثين العناية الكافية وهو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (وهو غير الفارابي الفيلسوف) . وتلا معجمه معاجم اخرى سادت على نظام الابنية ، بعضها تأثر به ، وبعضها بعد عنه قليلا او كثيرا ، وبعضها اختلفت منه اختلافا كبيرا . ولم يقف اثر الفارابي عند المعاجم العربية الخالصة بل تجاوزها واثر في المعاجم المزدوجة ذات اللغتين كما يتضح في معجم « ديوان لغات الترك » للكاشفري . كذلك لم يقتصر اثره على المعاجم الكاملة بل تجاوزها الى معاجم الافعال كما سبق ان اشرنا ، وكما سنوجز الحديث فيما بعد .

1 - ديوان الادب للفارابي (1)

واهم ما حوته المقدمة :

1 - الاشارة بقيمة اللغة العربية وذكر فضلها على سائر اللغات .

2 - الاشارة الى مؤلفات اللغويين السابقين ونقدها نقدا اجماليا وذلك في قوله : « وقد الف السلف رحمهم الله في جمع هذا اللسان كتبا كثيرة ، تفاضلوا فيها وقيدوا منه فيها ما قيدوا ، من موجز وغير موجز ، ومعتدل بين المذهبين من غير ان يأتوا عليه ، ومحسن ما الفوا فعم بنفعه ، ومشير فيما صنفت فخص به الطبقة العليا ، ومقصر فيما جمع فلم يعد بذلك ان عادهم في مذهبهم » .

3 - الادلال بقيمة الكتاب والفخر بتصنيفه وذلك في قوله « وقد انشأت ... كتابا عملت فيه عمل من طب لمن حب ، مشتملا على تأليف لم اسبق اليه ، وسابقا بتصنيف لم ازاحم عليه »

وصفه :

قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة شملت من احدى المخطوطات (2) ست عشرة صفحة ، تناول فيها مسائل عدة . ثم اتبعها المادة اللغوية موزعة على ابوابها بحسب ابينتها على النحو الذي شرحة في مقدمته . وذيل معظم ابواب الافعال باحكام تصريفية . وستتناول الآن كل ناحية من هذه النواحي بالشرح والتفصيل :

المبحث الاول

المقدمة (3)

عالجت مقدمة «ديوان الادب» كثيرا من القضايا اللغوية والتصريفية كما تحدثت عن منهج المؤلف في تنظيم المادة اللغوية وترتيبها .

(1) هو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ، نسبة الى فاراب وهي مدينة وراء نهر سيحون . ولا نعرف بالتحديد سنة مولده ، ولكن اذا علمنا انه كان من اقران الازهري وعلمنا ان الازهري ولد عام 282 هـ امكننا ان نحسب بانه ولد في اواخر القرن الثالث الهجري او اوائل القرن الرابع على اكثر تقدير . ويبدو ان الفارابي قام برحلات علمية كثيرة بعضها الى بخارى عاصمة السامانيين وبعضها الى بغداد . ويبدو ايضا ان المطاف قد انتهى به مرة ثانية الى مسقط رأسه « فاراب » وانه جلس لتدريس معجمه « ديوان الادب » واقرانه لتلاميذه هناك . وقد اتفق المؤرخون على ان الفارابي خال الجوهرى صاحب الصحاح وان الجوهرى تتلمذ عليه . وذكر ياقوت ان الجوهرى قرأ « ديوان الادب » على خاله بفاراب وذكر ايضا ان الجوهرى كتب نسخة منه بيده .

وقد اختلف في سنة وفاته فذكر القفطي انه مات سنة 398 هـ وذكر بعضهم انه مات سنة 370 هـ وبعض آخر انه مات سنة 350 هـ . ونحن نستبعد رواية القفطي لان الجوهرى مات سنة 398 هـ فلو كان الجوهرى وخاله ماتا في عام واحد لكان شيئا يستحق الذكر والاشارة اليه . ولكننا لا نملك وسائل الترجيح بين الروايتين الاخرين .

وقد ذكر المترجمون للفارابي ثلاثة كتب له هي « ديوان الادب » و « بيان الاعراب » و « شرح ادب الكاتب » وهناك كتاب نسب اليه والى الفارابي الفيلسوف وهو « الالفاظ والحروف » . وقد ضاعت كل مؤلفات الفارابي فيما ضاع من تراثنا القديم ولم يبق لنا منها سوى « ديوان الادب » . ولقد كان الفارابي مجدودا في كتابه هذا اذ وصلتنا منه عشرات النسخ موزعة على مكتبات كثيرة في اماكن متفرقة من العالم منها اياصوفيا وليدن وباريس ولندن واسطنبول وطهران . ويوجد بمصر وحدها ما يزيد عن عشر نسخ منه موزعة بين دار الكتب ومعهد المخطوطات العربية . (انظر : « الفارابي اللغوي » مقال للمؤلف بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 7 الجزء 2 جمادى الاولى سنة 1381)

(2) رقم 383 لفة المحفوظة بدار الكتب بمصر . وهي التي رجعت اليها ما لم انص على غيرها .

(3) انظر تحقيقا لها بقلم المؤلف بمجلة معهد المخطوطات السابق ذكرها .

4 - وتناولت المقدمة بعد ذلك الضابط العام الذي ينتظم كل ما حواه المعجم من مادة لغوية وانه مشروط بشروط هي :

1 - ان يكون مستعملا .

ب - ان يذكره النحارير من علماء أهل الادب في كتبهم .

ح - ان يكون واردا في قرآن او حديث او شاهد من كلام العرب .

5 - ثم تحدثت المقدمة عن منهج المعجم وما سيذكر وما سترك على نحو ما سنتحدث عنه فيما بعد .

6 - وتخلل ذلك بعض البحوث التصريفية المرتبطة بنظام الكتاب مثل :

1 - تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف وذكر علامات كل .

ب - الحديث عن اقل الابنية واقصاها وعن حروف الزيادة ومواضعها .

ج - الحديث عن ابنية الاسماء مجردا ومزيدها واستعمالات كل بناء من حيث الاسمية او الوصفية والافراد او الجمع . كقوله عن بناء « فعل » انه يكون واحد فعول (قلب وقلوب) او فعال (كنب وكلاب) او افعال (ثوب وأثواب) ويكون وصفا من الافعال الدالة على الطبايع (ضخم) ومصدرا لفعل المتعدي (ضرب) وجمعا لفعل (تمرة) .

واهم ما يسترعي الانتباه في هذه المقدمة حديثها التفصيلي الدقيق عن منهج الكتاب واسهابها في شرح نظامه وخطته . ويرجع ذلك الى تعدد جوانب هذا المنهج وتشعب نواحيه ، فضلا عما فيه من جدة وابتكار .

كما انها تكشف لنا عن اعجاب المؤلف باللغة العربية وتقديسه لها وإيمانه بفضلها على سائر

اللغات واختصاصها بميزات لا توجد في غيرها . وتبين عن رايه في توقيفية اللغة ونسبة وضعها الى الله ، وهو رأي نادى به من قديم كثير من اللغويين .

وهي بعد ذلك تدلنا على مقدرة الفارابي الفائقة في فن الصرف والاشتقاق ، ودرايته التامة بمسائله وتبحره في فهم أبحاثه .

المبحث الثاني

المادة اللغوية

منهجه في ترتيبها :

شرح الفارابي في مقدمة معجمه - كما سبق ان ذكرنا - منهجه في الترتيب شرحا مفصلا ، ولم ينس ان يدل بنفسه ويفخر بمصنفه حيث اعتبر نفسه رائدا في هذا الميدان وسابقا بلا مزاحمة . وله الحق كل الحق في ذلك ، فلستنا نعرف احدا من علماء اللغة السابقين له سلك مسلكه في الترتيب او الف معجما في اللغة على هذا النحو من التصنيف . كما فخر المؤلف بدقة نظام معجمه ووجود كل كلمة في مظنتها اذ يقول « ورتبت كل كلمة فجعلتها اولى بموضعها مما يقدمهاا ويعقبها ، ليجدها المرتاد لها في بقعتها بعينها ، رابضة من غير نص مطية او آداب نفس (4) »

اما هذا المنهج الذي اخترعه الفارابي وفخر به فتتلخص اسسه فيما يأتي :

اولا : قسم الفارابي كتابه ستة اقسام سماها كتبا ، وهي على الترتيب الآتي :

1 - كتاب السالم وعرفه بقوله « ما سلم من حروف المد واللين والتضعيف » (5)

ب - كتاب المضاعف ، وعرفه بقوله « ما كانت العين منه واللام من جنس واحد » .

ج - كتاب المثال ، وعرفه بقوله « ما كانت في اوله واو او ياء » .

(4) نص ناقته : استخرج اقصى ما عندها من السير . والاداب : الاتعاب .

(5) كان حقه ان يقول : « والهمز » .

د - كتاب ذوات الثلاثة وعرفه بقوله « ما كانت العين منه حرفا من حروف المد واللين (= الاجوف)

ه - كتاب ذوات الاربعة ، وعرفه بقوله « ما كانت اللام منه حرفا من حروف المد واللين » (= الناقص)

و - كتاب المهموز

وذكر السر في افراد المهموز بكتاب فقال : « والهزمة كالحرف السالم في احتمال الحركات وانما جعلت في حروف الاعتلال لانها تلين فتلحق بها » .

ثانيا : جعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : اسماء وافعالا ، وقدم الاسماء على الافعال .

ثالثا : قسم كل شطر منهما الى ابواب بحسب التجرد والزيادة . ففي الاسماء سار على النحو الآتي :

الثلاثي المجرد (غيب) ثم ما لحقته الزيادة في اوله (اصبع ومذهب) ثم المثلث الحشو (حمص) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (طابع) ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام (سحاب) ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام (خذب) ثم الرباعي وما الحق به (ثعلب) ثم الخماسي وما الحق به (جردحل) . وفي الافعال سار كما يلي : الثلاثي المجرد (ثقب) ثم ما لحقته الزيادة في اوله من غير الف وصل (اترب) ثم المثلث الحشو (رتب) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (جاذب) ثم الابواب الثلاثة التي في اولها الف وصل مما له في الثلاثي اصل (اجتذب - انسحب - استصعب) ثم ما لحقته الزيادة في اوله - وهي التاء - مع تثقيب الحشو (تكلم) ثم ما لحقته الزيادة في اوله - وهي التاء - مع زيادة بين الفاء منه والعين (تجاذب) ثم بابا الالوان وما اشبه ذلك (احمر واحمار) ثم ابواب الرباعي وما الحق به او زيد فيه (زعفر) .

رابعاً : ولما كان كل باب من هذه الابواب قد يشترك في عدة ابنية كالثلاثي المجرد من الاسماء الذي له تسعة ابنية وضع قاعدة لتقديم بعض هذه الابنية على بعض ، فابتدأ بالفتوح الاول ثم اتبعه المضموم ثم المكسور . وقدم ساكن الحشو على المتحرك الحشو . وقدم ياء التانيث على همزة التانيث وقدم همزة التانيث على النون .

خامساً : كان البناء الواحد يخضع لتقسيمات اخرى مثل بناء « فعل » الذي قسمه الى اصل هو « فعل » وفرعين هما « فعلة » (بزيادة التاء) وفعلي (بزيادة النسب) .

وراعى في كتب المعتل الثلاثة (المثال والاجوف والناقص) ان يقسم كل باب بالنظر الى حروف الكلمة الزائدة على الحرف المسمى باسمه الكتاب . ففي كتاب المثال بفض النظر عن الحرف الاول ثم ينظر الى الحرفين الآخرين ولذا رتبته هكذا : النوع الذي سلم فيه حرفاه الاخران (يقابل السالم) ثم النوع الذي ضعف فيه حرفاه الاخران (يقابل المضاعف) ثم النوع الذي اعتل اول حرفيه الآخرين (يقابل ذا الثلاثة) ثم النوع الذي اعتل ثاني حرفيه الآخرين (يقابل ذا الاربعة) (6)

اما كتاب الهمز فقد قسم ابوابه الى ثلاثة اقسام هي : المهموز الفاء ثم المهموز العين ثم المهموز اللام . ورتب كل قسم من هذه الاقسام ناظرا الى الحرفين الآخرين غير الحرف المهموز ولذا رتب المهموز الفاء كما يلي : النوع الذي ستم فيه حرفاه الاخران (يقابل السالم) ثم النوع الذي ضعف فيه حرفاه الاخران (يقابل المضاعف) ثم النوع الذي اعتل فيه اول حرفيه (يقابل ذا الثلاثة) ثم النوع الذي اعتل فيه ثاني حرفيه (يقابل ذا الاربعة) . اما النوع الذي همزت فيه عينه او لامه (مع همز الفاء) او همزت فيه عينه ولامه فقد اهمله . وقد بحثت عن سر ذلك ففتشت في «الصحاح» للجوهري فلم اجد فيه كلمة همزت فاؤها وعينها او عينها ولامها ووجدت كلمتين اثنتين همزت فيهما فاؤهما ولامهما وهما « اجأ » و « آء » فلعل هذا هو السر في ترك الغارابي لهذا النوع .

(6) هذه هي القسمة العقلية ولكنها قد تتخلف فلا ترد بعض هذه الاقسام . وقد خلا المثال بجميع ابوابه من النوع الثالث وهو المعتل الفاء والعين .

ب - يكتفى بذكر أسماء البلدان والادوية
والجبال والمفاوز ما لم يوجد شيء يتعلق
بها فيصرح به .

ج - اذا جاء في معجمه فعل بلا مصدر فذلك
يحتمل احد شيئين ، اما ان مصدره
قياسي فهو داخل فيما صرح - في
مقدمته - باهماله ، واما انه لم ينقل له
مصدر عن الثقة .

د - كشف عن مواضع اللعل بتقديم اخرى
اللعل بالقبول واولاها بالذكر مع ترك
سائر الاقاول فيها .

لماذا اختار الفارابي هذا النظام ؟

عاش الفارابي في المائة الرابعة للهجرة وخرج
معجمه في قرن عرف بقرن المعاجم ، فيه الف اكبر
عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة وفيه اخذ المعجم
الصورة المألوفة لنا ، وفيه اتجه العلماء الى ترتيب
الالفاظ ترتيبا هجائيا وبدأوا ينصرفون عن الترتيب
الجاري على حسب المعاني .

ولذلك كان على من يفكر في وضع معجم في
ذلك العصر ان يقلب المسألة في رأسه اولا ،
ويتردد طويلا قبل ان يقدم ، ويحاول ان يشق
بنفسه طريقا جديدا ويرسم منهجا فيه افادة وفيه
ابتكار وجدة . وحينما قلب الفارابي المسألة في رأسه
ونظر في معاجم السابقين واهتدى الى موطن الداء
فيها اراد ان يؤلف معجما يفوق معجم السابقين
ويتلافى اوجه النقص فيها فالف معجمه على هذا
النظام الذي شرحناه معتقدا انه بلغ الهدف واصاب
الغرض ، واهتدى الى تأليف لم يسبق اليه وسبق
بتصنيف لم يزاحم عليه ، ومفتخرا باحكام ترتيبه
ووضعه كل كلمة في موضعها المناسب حتى يجدها
الشادي بدون مشقة .

سادسا : ولما كانت هناك كلمات كثيرة
تشارك في الوزن الواحد، رأى ترتيب الازان بحسب
حرفها الاخير مع اولها ووسطها . فيبدأ بالكلمات
التي اواخرها الباء ثم التاء ثم الناء ... الى آخر
حروف الهجاء فاذا وجدت كلمات اتحدت اواخرهن
كان التقديم لما اوله اسبق في الترتيب الهجائي
فاذ وجدت كلمات اتحدت اواخرهن واوائلهن كان
التقديم لما وسطه اسبق في الترتيب الهجائي .

وقد عدل في ترتيب الفاظ المعتل اللام او
المهموزها عن اعتبار الحرف الاخير لانه واحد في
جميعها واعتبر الحرف الذي قبله مع الحرف الاول(7)

سابعا : التزم في المزيد تجريده من الزوائد
وترتيبه بحسب اصوله .

ثامنا : كان في كثير من الابواب ولاسيما في
شطر الاعمال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن
بعض الاحكام العامة المتعلقة بالباب كما سنفصل فيما
بعد .

تاسعا : في ابواب المعتل كان يفصل الواوي
من اليائي ويقدم الاول منهما .

عاشرا : وضع مباديء اخرى طبقها في
معجمه واهمها :

1 - تحقيق الابداز باستبعاد الكلمات القياسية
مثل « فعل » اذا كان جمعا لفعول (غفور)
او فعمل (قضيب) او فعال (كتاب) ،
ومثل « فعلة » من اسماء الالوان والعيوب
كالحمرة والحذبة ، ومثل اسماء الزمان
والمكان ومثل « افعل » للتفضيل
و « الافعال » تدكير « الفعلى »
و « الفعلى » تانيث « الافعال » ومثل
« فعل » حين تكون جمعا لافعل او
فعلاء .

(7) هذا وجه خلاف بينه وبين الجوهرى الذى لم يعدل من اعتبار الحرف الاخير حتى في المهموز
والناقص . فكلية « البدء » تذكر في الصحاح قبل « الخبء » لانها عنده من باب الهمز فصل الباء
والثانية من باب الهمز فصل الخاء . ولكنها تذكر بعد « الخبء » في ديوان الادب لانها من باب الدال
فصل الباء وكلية « الخبء » من باب الباء فصل الخاء .

وفى رأيي ان هذا المنهج المركب الذي اختاره الفارابي كان نتيجة لعوامل عدة اشتركت فى خلقه وتكوينه . وهذه العوامل هي :

1 - اختار ترتيب الكلمات على الترتيب الهجائي المعروف ، ولم يذهب فى ذلك مذهب الخليل بن احمد ولم يرتب ترتيبه « ميلا الى الاشهر ، لقرب مثاوله ، وسهولة ماخذه على الخاصة والعامة » .

ولكن اذا كان الفارابي قد طرح نظام الخليل لصعوبته وبعد تناوله ، واختار الترتيب الهجائي المعروف ، فلماذا رتب الفاظه على حسب الحرف الاخير ولم يرتبها بحسب حرفها الاول ؟ اغاب عن ذهنه النظام الاخير ؟ ام تعمد اغفاله وفضل عليه النظام الذى سلكه ؟ لا اعتقد انه لم يفتن الى الترتيب بحسب الاوائل فهو شيء يسرع الى الذهن وبخاصة ان من علماء اللغة السابقين له من عمل به ، مثل ابي عمرو الشيباني فى كتابه « الجيم » ، وان اكتفى بهذا فلم ينظر الى الحرف الثانى او الثالث للكلمة فكان يجمع الكلمات - ايا كانت - تحت حرفها الاول دون ضابط او نظام ، ومثل ابن دريد فى «الجمهرة» الذى التزم فى ترتيبه اوائل الحروف . واذن فلم يبق الا الاجتمال الثانى . وهو انه قارن بين النظامين فى ذهنه ثم استبعد أحدهما واختار الآخر . فما سر اختياره ؟ سبب ذلك فى رأيي هو الميل الى الابتكار وحب السبق وارادة التفرد بمنهج جديد والرغبة فى التأليف على نظام غير مالوف وهو مع ذلك لا يقدم فائدة ولا يخلو من نفع :

1 - فاذا ضادف الباحث كلمة صعب عليه ان يعرف حرفها الاخير مثل أخ وأخت ودم وسنة ... كان اسهل عليه الرجوع الى معجم مرتب بحسب اوائل الكلمات مثل الجمهرة . واذا صادفنه كلمة عجز عن معرفة اولها او سبق اولها بحروف مزيدة كان اسهل عليه الرجوع الى معجم بحسب اواخر الكلمات مثل : يعد - ميزان - او اصل ...

ب - فضلا عن ان هذا النظام ييسر على الشعراء والكتاب النظم والنثر فى عصر

كان قد شاع فيه السجع وفشت المحسنات البديعية والتزمت القوافي ، مع قلة الحصول اللغوي .

ج - ان لام الكلمة ثابتة لا تتغير « مهما اختلفت صورة الكلمة الا فى حالات قليلة - ومتى لحقها التفتير او زيد بعدها حرف او حرفان فان الكلمة تنتقل الى اوزان اخرى ولا تعتبر من الثلاثي ، بل تصير رباعية او خماسية » فى حين ان الفاء والعين لا تثبتان فى موضع ، فالترتيب على اوائل الحروف متيها للباحث الذى لا يعرف التصريف والمجرد والمزيد (8).

2 - ويكشف لنا القاضي نشوان بن سعيد الحميري فى مقدمة كتابه « شمس العلوم » - وهو ممن تأثروا بالفارابي فى تنظيمه - عن عامل آخر املى هذا النظام وذلك فى قوله : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك كثيرا من الكتب ... فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات ، بأمثلة قدرها واوزان ذكرها ، ولم يأت احد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رايت ذلك ورايت تصحيف الكتاب والقراء .. حملني ذلك على تصنيف يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ، ويردها الى اصلها - جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا . فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والامثلة حارسة للحركات والشكل ... فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (9) وهذا يصدق ايضا على كتاب الفارابي .

3 - وقد كان فى ذهن الفارابي فكرة حققها فى معجمه ، وهي فكرة الجمع بين نوعين من المادة اللغوية فى مكان واحد ، النوع المسموع والنوع المقيس . اما النوع الاول فكان جل معجمه ، واما النوع الآخر فقد تحدث عنه فى مقدمته وفى الفصول

(8) مقدمة الصحاح ص 122

(9) ص 2

التي ذيل بها كثيرا من أبواب كتابه ، ولاسيما في شطر الأفعال . وبذلك وضع بين أيدينا المادة اللغوية كلها ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته .

4 - أما فصله الأسماء عن الأفعال فشيء ضروري ما دام قد رتب كتابه على أساس الإبنية ونظمه أبوابا بحسب التجرد والزيادة ، فان حروف الزيادة ومواضعها تختلف في الأسماء عنها في الأفعال ، ولكل من الأسماء والأفعال إبنية وأوزانه الخاصة به .

5 - وأما تقسيمه للكلمات من حيث الصحة والاعتلال والتضعيف والهمز فقد أراد منه إبراز خصائص كل نوع منها . فهناك أوزان جاءت على نوع من الكلمات دون نوع ، وهناك أبواب من الأفعال اختصت ببعض الأنواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر في طريقة الاشتقاق منه ، وهو ما حرص الفارابي على الحديث عنه والإفاضة فيه .

6 - والكتاب بعد هذا يوافق روح عصره ويعكس طابعه في البحث وطريقته في الدرس :

1 - ففي ذلك العصر كان العلماء قد فرغوا من جمع اللغة وحصرها ، وتوجه همهم إلى الإحصاء والتتبع ووضع ضوابط التقصي لتسهيل الإحاطة ويمكن التحدي في المسألة وحين المناظرة . وان مسألة الفارسي للمتنبّي عن عدد الجموع التي جاءت على وزن فعلى وإجابة المتنبّي على الفور : حجلي وظربي ... لخير دليل على ذلك (10) .

ب - كما ان انتهاء عصر الاستشهاد جعل العلماء يبحثون عن ميدان جديد يزاوون فيه نشاطهم غير ميدان الاستقراء والتقييد . ولذلك نجد البحث اللغوي

ينصرف إلى الانتفاع بالمادة اللغوية المسجلة ، ويحاول أن يخرج منها ببحوث طريفة أو بتنظيمها تنظيمًا جديدًا . ولذا نشأ في هذا العصر فن المداخل أو المداخل أو المسلسل ، وذلك بأن تذكر اللفظة ثم تفسر بلفظة ثانية وتفسر الثانية بثالثة والثالثة برابعة ... وهكذا ، وهو فن لم يعرف قبل القرن الرابع ، وإمامه أبو عمر المرز البغدادي المتوفى سنة 345 هـ . ومن أمثلته : « القلس ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب .. والشراب الخمر والخمر الخير .. والخير الخيل والخيل الظن والظن القسم .. » (11) ونجد عالما آخر يقسم كتابه إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد الحروف المناسبة لمنازل القمر ، ويورد في كل كتاب اثني عشر بابا بعدد شهور السنة وعدد البروج الاثني عشر (12) .

ج - كما كان لشيوع السجع والمحسنات البدعية في ذلك العصر وحاجة الأدباء والمتكلمين إلى الكلمات المتحددة الحرف الأخير أو التي على وزن خاص أو من نوع معين - كان لذلك أثره في ترتيب الكلمات هذا الترتيب . ففي القرن الرابع التزم الكتاب السجع في جميع الرسائل ولم يتحرروا منه إلا إلى الازدواج ، كما ظهر التكلف والتصنع في الشعر وانطلق الشعراء ينظمون قصائد كل حروفها معجمة أو مهملة أو مهموزة أو مما لا تنطبق معها الشفتان مما أحال الشعر إلى عمل لغوي صرف ، وإذا الشاعر يصنع صنيع عمال المطابع إذ يرصون الحروف بعضها إلى بعض فتتكون صنابير من الحروف والكلمات (13) . هذا كله إلى شدة

(10) علي النجدي مقال بعنوان « في النقد اللغوي » رسالة الإسلام .

(11) مقدمة « شجر الدر » ص 18 .

(12) مقدمة « دستور اللغة » .

(13) زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ص 106 ، 113 وضيف : الفن ومذاهبه في الشعر

العربي ص 158 .

المنافسة بين الكتاب والشعراء وحاجتهم الى البحث عن الالفاظ التي تتفق مع قوانينهم وملاحظتهم للفويين لمساعدتهم في ذلك (14) .

المبحث الثالث

التذييلات

اتبع الفارابي كثيرا من ابواب الافعال بفصول تذييلية تناول فيها بالتفصيل أنواع المشتقات ، وتعرض لكثير من الاحكام التصريفية العامة . وكان غرضه من ذلك الجمع بين المادة اللغوية المسموعة والاخرى المقيسة وبذلك يضم معجمه اكبر قدر ممكن من الفاظ اللفة ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته وكيفية اشتقاقه .

وكان تركيزه في هذه التذييلات على امور :

1 - بيان المصادر من كل باب كقوله في باب فعل يفعل : « والمصدر السالم (يعني القياس) في هذا ما كان على الفعل او الفعول ، الفعل للمتعمدي في القياس والبناء والفعول للازم ويتبادلان . وربما اجتمعا مثل قولك سكتت سكتا وسكوتا .. وربما جاء المصدر من هذا الباب على فعل وهو قليل ، وعلى فعل وهو ايضا في القلة مثل الاول وهما من ابنية الاسماء .. ويجيء على فعل وليس من قياس مصادر هذا الباب .. وربما جاء على الفعالم وهو من ابنية الاصوات والادواء وما قاربهما .. ويجيء على فعالة اذا كان كالولاية لشيء كما تقول كتب كتابة .. وفعلة قليلة وهي جنس من الفعل والحال التي يفعل عليها يعني اسم الهيئة) واختلطت بالمصادر في بعض الكلام كقولك رقب رقية وفطن فطنة .. وكذلك الفعلة قليلة ، وهي من بناء المرة الواحدة ، وربما جاءت في موضع المصدر كقولك الرجفة والرحمة .. ويجيء على فعلمان اذا كان معناه الحركة والذهاب والمجيء كقولك خفق القلب خفقانا .. ويجيء على فعلمان وهو قليل في هذا نحو كتم كتماننا .. وفعلان جد قليل نحو بطل بطلانا . وقد جاء على فعيل وهو نزر جدا .. وفعالية قليلة كقولهم هلن

(14) المعجم العربي ص 176 ، 177 .

(15) ديوان الادب ورقة 133 ، 134 .

(16) ديوان الادب ورقة 165 ، 166 .

الشيء علانية ... وقد جاء على فعالة وليس من بنائه وهو من بناء الطبايع (يعني فعل يفعل) .. ويجيء على فعال وذلك قولك كسد كسادا .. وعلى فعال نحو كتب كتابا .. ويجيء على فعل وهو قليل عزيز وهو قولك خنق خنقا » (15) .

2 - بيان النعوت من كل باب وذلك كقوله في باب « فعل يفعل » : « وما كان واقعا (اي متعمدا) من هذا الباب فان نعته على فاعل مثل قدمت البلد فاننا قادم ، وركبت الدابة فاننا راكب . وربما جاء على فاعل وفعل مثل قولك حذر الامر فهو حاذر وحذر قال الشاعر :

حذر امورا لا تخاف وآمن
ما ليس منجيه من الاقدار

وما كان غير واقع فان نعته في اكثر الكلام على فعل وربما جاء على فعل وفاعل مثل قولك لبث فهو لابت ولبث ، قال الله تعالى : « لا تبين فيها احقابا » . وقرأ بعضهم : لبثين فيها .. وقد يأتي النعت من هذا الباب على فعيل وهو مثل قولك سلم فهو سليم .. وما كان من النعوت على معنى الجوع والعطش وما قاربهما او ضادهما فهو على فعلمان مثل جوعان وشبعان وعطشان وريان ... وربما جاء النعت في هذا الباب على فعل مثل قولك شكس فهو شكس وششن كفه فهو ششن الكف .. قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
اساريع ظبي او مساويك اسحل

وقد جاء بعض النعوت على فعل وفعل جميعا ، قالوا عجل وعجل وحذر وحذر .. » (16) .

3 - كيفية اخذ اسم الزمان والمكان والمصدر الميمي كقوله في باب « فعل يفعل » : « والمفعل اذا اريد الموضع مكسور . وهذا مذهب يفرده به هذا الباب من بين اخواته . وذلك ان المواضع والمصادر في غير هذا الباب يرد كلها الى فتح الميمين .. ولم يكسر شيء فيما سوى المكسور الا في حروف معدودة

.. وهي المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمنبت
والفرق . وقد جاء في بعضها الفتح ايضا « (17) .

4 - كيفية اخذ فعل الامر وضبط الفه في كل
باب كقوله في باب « فعل » : « الامر من هذا الباب
كله بغير الف لتحرك الحرف الثاني في يفعل .
وتحركه لجاورته حرفا ساكنا وهو الحرف المدغم في
مثله « (18) . وقوله في باب « فعل يفعل » :
« والف الامر تضم من المضموم العين في المستقبل
لانها الف وصل . وانما جلبت لسكون الغاء في يفعل ،
وكانت هذه الالف لا حكم لها فاتبعت العين . وكسرت
في باب يفعل فرقا بين الامر والخبر .. « (19) .
وقوله في باب « فعل يفعل » مما اعتلت فاؤه ولامه :
« الامر بهذا الباب قه بهاء تدخلها ، لان العرب لا تنطق
بحرف واحد ، وذلك ان اقل ما يحتاج اليه للبناء
حرفان : حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، لان
الحرف الواحد لا يحتمل ابتداء ووقفا ، لان هذا
حركة وهذا سکون وهما متضادان فلا يجتمعان .
فاذا وصلته بشيء ذهب الهاء استغناء عنها « (20).

5 - معاني صيغ الزوائد ، كقوله في باب
« افعل » : و « هذا الباب يأتي لوجوه كثيرة . من
ذلك ان يأتي « افعل » بمعنى فعل سواء مثل قولك
سعد الله واسعده ونبت البقل وانبت وانشد
الفسراء :

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

اي نبت . ومن ذلك قراءة من قرأ : تنبت
بالدهن . ويجوز ان تكون الباء زائدة .. ومنه ان
يكون « افعل » مجاوزا فعل اذا كان لازما مثل قولك
اقمده فقمده واجلسه فجلس . ومنه ان يكون « افعل » :
جاء بذلك كقولك الام اي اتى بما يلام عليه واخس
اي اتى بخسيس . ومنه ان يكون « افعل » بمعنى حان

منه ذلك كقولهم البين الرجل اي كثر عنده اللبس
واتمر اي كثر عنده التمر . ومنه ان يكون « افعل »
اي صار ذلك في ابله وغنمه واصحابه واشباه ذلك ،
كقولك : انظف الرجل صارت دابته قظوفا واخبث
الرجل صار اصحابه خبثاء . ومنه ان يكون
« افعلت » الشيء بمعنى وجدته كذلك ، كقولك
احمدت الرجل وحدته محمودا . ومنه ان يكون
« افعل » لازم فعل كقولك فطرته فافطر وبشرته
فأبشر . ومنه ان يكون « افعل » الرجل صار الى
ذلك كقولك اقهر الرجل اي صار الى حال يقهر
عليها . ومنه ان يكون « افعل » مخالفا لفعل نحو
افرى الاديم قطعه على جهة الانسداد وفراه قطعه على
جهة الاصلاح . ومنه ان يكون « افعل » بمعنى
فعل سواء نحو اخبر وخبر . ومنه ان يكون « افعل »
على معنى لا يراد به شيء من هذه المعاني ، انما هو
بناء على حياله نحو اشفق عليه والسح في
المسألة .. « (21) .

6 - احكام تخص بعض الابواب دون بعض ومن
ذلك :

1 - ذكره سر المخالفة بين حركات الماضي
الثلاثي ومضارعه كقوله في باب « فعل
يفعل » : « وذلك ان الماضي مخالف
للمستقبل في المعنى فوجبت المخالفة
بينهما في بناء امثلتهما . فلما فتحت
العين في الصدر (أي الماضي) لزم ضمها
او كسرهما في التلو (اي المضارع) ولم
يجز فتحها الا ان يعتل الحرف (يعني ان
توجد في الحرف علة معينة وذلك ان يكون
احد حروف الحلق) . ولما كسرت في
الصدر وجب فتحها او ضمها في التلو ،
ولم يجز كسرهما . فاستعمل من هذين
المذهبيين احدهما واهمل الآخر لثقل

- (17) المرجع ورقة 148 .
(18) المرجع ورقة 200 .
(19) المرجع ورقة 133 .
(20) المرجع ورقة 299 .
(21) ديوان الادب ورقة 189 .

الضمة الا في الشاذ مثل نعم ينعم
وقضل يفضل .. « (22)

ب - ذكره السر في اشمال باب « فعل
يفعل » على احد حروف الحلق وذلك
قوله :

« وهذا الباب ليس من دعائم الابواب لانه
لا يصح الا ان يكون موضع العين منه او
اللام احد حروف الحلق ، وهي العين
والعين والهاء والحاء والحاء والهمزة ،
وذلك ان هذه الحروف متسفلة الخارج
فشابوا ذلك بشيء من التصعد ليعتدل
الكلام . وهذا في الاصل انما هو «يفعل»
او « يفعل » ، فلما ألحقت هذه العلة رد
الى الفتح « (23) .

ح - ذكره كثيرا من احكام الاعلال في ابواب
المثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة ،
كقوله في باب « فعل يفعل » من المثال :
« الامر من هذا الباب ايجل واصله بالواو
فصارت ياء لكسر ما قبلها . ولم تحذف
الواو في هذا الباب لانها لم تقع بين ياء
وكسرة ولا بين فتح وكسرة . « (24) .

وقوله في باب « فعل يفعل » من
ذوات الثلاثة : « قال كان في الاصل
قول وبعضهم يقول قول ، ولكل مذهب
تطرد عليه العلل ، فلما تحركت القاف
سكنت الواو ، ثم جرتها فتحة القاف
اليها فصارت القا . فاذا قلت : يقول،
كان في الاصل يقول على زنة يكتب الا ان
الواو بنيت على السكون ، فلما سكنت
نقلت حركتها الى القاف قبلها فحركت
بحركتها لللا يجتمع ساكنان . فاذا امرت
قلت : قل وكان في الاصل : اقول
على زنة اكتب ، الا ان القاف لما حركت
لتلك العلة سقطت الالف لان علة اجتلاب
الالف سكون الحرف المبتدا . وسقطت
الواو لاجتماع الساكنين ، لان اللام
سكنت مع سكون الواو . فاذا نثيت قلت:
قولا ، فاعدت الواو الى موضعها لتحرك
اللام ، وانما تحركت لمجاورتها الف
التثنية . وكذلك امر الجميع والمؤنث
ومثناه . حتى اذا صرت الى جمع المؤنث
حذفت الواو لسكون اللام .. « (25) .

(22) المرجع ورقة 132 ، 133 . ولم يرض ابن جني باعتبار هذه الامثلة ونحوها من الشاذ وانما
عدها من تداخل اللغات وتركيبها (الخصائص 1 / 375) وشرح ذلك بقوله : « فنعم في الاصل
ماضي ينعم وينعم في الاصل مضارع نعم ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نعم لفة من
يقول ينعم فحدثت هناك لفة ثالثة » (الخصائص 1 / 378)
(23) ديوان الادب ورقة 156 .

وتعليل الفارابي هنا مخالفة لما قاله سيبويه في الكتاب (2 / 252) . يقول سيبويه : « وانما
فتحوا هذه الحروف لانها سفلت في الحلق فكروها ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع
من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الالف .. وكذلك حركوهن اذا كن
مينات . ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء (يعني الضمة والكسرة) لانها من الحروف
التي ارتفعت . والحروف المرتفعة حيز على حدة . فانما نتناول للمرتفع حركة من مرتفع وكسره
ان يتناول للذي قد سفل حركة من هذا الحيز » . والعبارتان تتفقان في ان حروف الحلق
متسفلة الخارج وان هناك ملاءمة بين الفتحة وهذه الحروف ولكنهما تختلفان في تحديد هذه الملاءمة .
فالفارابي يرى انها نتيجة خلط المتسفل بالمتصعد ، وسيبويه يرى انها نتيجة اتباع المتسفل بمثله .
والدراسات الصوتية الحديثة توافقهما على وجود هذه الملاءمة ولكنها تعللها بان وضع اللسان مع
الفتحة يتلخص في انه يبلغ اقصى ما يمكن ان يصل اليه في قاع الفم مما يوسع الفراغ بين
اللسان والحنك . وهذا انوضع يناسب احرف الحلق لانها ليس لها نقطة التقاء في الفم فيناسبها
المجرى المتسع . (انظر الدكتور ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص 33 والاصوات اللغوية ص 37)

(24) ديوان الادب ورقة 300 .

(25) ديوان الادب و 334 .

(تعقيب)

أهم ما نخرج به من هذه التذييلات :

1 - دلالتها على عقلية الفارابي الجدلة ومهارته في الاستدلال ولباقته في التخريج وحسن تمليله للحكام وفقهه للغة العرب ووقوفه على أسرار تصرفاتها ، كقوله في باب فعل يفعل من المثال : « الامر من هذا الباب : عد بحذف الواو لان الامر أبدا يبنى على المستقبل وكان المستقبل منه حذف واوه . واختلفوا في علة حذفها فقال بعضهم حذف لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانسان والواو مضادتهما . فان قال قائل فهذه قد حذفت اذا وقعت بين ياء وكسرة فما بالها تحذف اذا وقعت بين تاء وكسرة او الف وكسرة او نون وكسرة - قيل له : هذه الثلاث مبدلة من الياء ، والياء هي الاصل . والدليل على هذا الحكم ان فعلت وفعلنا مبنيات على فعل .

« وقال غير هؤلاء انما حذفت الواو ليكون ذلك فارقا بين ما يقع وبين ما لا يقع . فما وقع كان بحذف الواو ، وما لم يقع كان باثباتها .. فان قال قائل : كيف خص الواقع منهما بحذف الواو قيل لان المفعول من تمام الكلام متصل بالحديث فصارت هذه الكلمة اولى بالحذف لطولها .

« وقال غيرهم حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ، فيدخل على القائل بهذا انه يقال موقع وموضع وموعده وما أشبه ذلك .. فله ان يخرج بان يقول ان هذا في الاسماء ، وحكم الاسماء خلاف حكم الافعال لخفة الاسماء وثقل الافعال ، وكانت الاسماء لخفتها تحتمل ما لا تحتمله الافعال لثقلها . » (26)

2 - تكشف هذه التذييلات - بالاضافة الى المقدمة - عن مكانة الفارابي اللغوية وتبين عن غزارة محفوظاته ووفرة محصوله وسعة اطلاعه على لغة العرب وتمكنه من ناصيتها . وانت تلمس ذلك بوضوح في استقصائه لآوجه ما يعرض له من

القضايا ، وفي تلك الاحكام الحاسمة الجازمة التي يقرر بها ان العرب تستعمل هذا اللفظ ولا تستعمله ، او ان مشهوري الثقة حكوا ذلك البناء او لم يحكوه ، او ان هذا البناء مستعار من بناء آخر ، او انه خاص بالاسماء .. او نحو ذلك . انظر مثلا الى قوله في باب فعل يفعل : وبناء مصدر هذا الباب مقصور على ثلاث صور : فعالة وفعولة وفعل نحو : خطب خطابة وجمد جمودة وعظم عظما . فاما غيرهن فبناء غيره اختلط به ودخل فيه واستعير له وذلك نحو كرم كرما ، استعير له الفعل من فعل يفعل . ودخل في هذا الباب بعض امثلة الاسماء كما دخل في غيره وذلك مثل قولك جمل جمالا وسخو سخاء .. » (27)

وقوله في باب فعل يفعل من المثال : « يقال وجد يجد ، وهذه نتيجة لا اخت لها ، وهي مع ذلك لغة عامر وحدها » . (28) .

وقوله : « لا يكون في الكلام مفعول الا حرفين في قول الكسائي : مكرم ومعون » (29) .

وقوله : « واصل ضيزى بالضم ، لانها نعت والنمت لا يكون على فعلى وانما فعلى من اينية الاسماء مثل الشعري » (30) .

وقوله : « ليس في كلام العرب فعلاء يجمع على فعال غير نساء وعشراء » (31) .

3 - اشتغالها - هي والمقدمة - على كثير من النظريات اللغوية ومنها ما لا يزال معترفا به حتى الآن ، كنظرية « التوهم » او ما يعترف الآن باسم القياس الخاطيء False analogy

ومن ذلك قوله في باب الافتعال من المثال كالانزان « وقد بنيت على هذا الادغام اسماء من المثال توها ان التاء اصلية ، لان هذا الادغام لا يجوز

(26) ديوان الادب ورقة 298 ، 299

(27) المرجع ورقة 171 ، 172

(28) ديوان الادب ورقة 296 .

(29) المرجع ورقة 322 .

(30) المرجع ورقة 329 .

(31) المرجع ورقة 98 .

تحذف ، والاصلي احق بالحذف لاجتماع الساكنين .. » (34)

ج - ومن ذلك تركه عد همزة الوصل من حروف الزيادة - بخلاف السابقين - فاستفعل عنده مزيدة بالسين والتاء وافتعل مزيدة بالتاء وافتعل مزيدة بالنون .

وهذا سليم جدا لان الالف هاهنا ليست من حروف المعاني ، وانما جيء بها للتوصل الى النطق بالساكن ، دون ان يكون لها اثر في معنى الصيغة . ومما يدل على تفضله لذلك وقصده اليه قصدا انه عد الف المفاعلة من حروف الزيادة . وهذا عين الصواب ، لانها زيادة تؤثر في معنى الصيغة ، فلا بد من عدها وادخالها في الاعتبار (35) .

5 - وبخصوص حديثه عن معاني صيغ الزوائد نلاحظ انه توصل الى اشياء تحسب له وتمد من محاسنه منها :

1 - انه اهتم الى معان لم اجدها عند السابقين ، وقد ساعده على ذلك ترتيب معجمه . ومن ذلك ان صيغة «استفعل» تأتي لمعان عدة ذكرها سيبويه في «الكتاب» وابن قتيبة في «ادب الكاتب» والمبرد في «المقتضب» وقد اضاف اليها الفارابي ورودها بمعنى ان منه ذلك مثل استرقع الثوب واستحفر النهر واستحصد الزرع (36) . كما انه ذكر لصيغة «انفعل» اربعة استعمالات وهي:

1 - استعمالها مطاوعة لفعل وهو الاصل

2 - استعمالها موافقة لفعل نحو همل

الدمع وانهمل .

اظهاره في حال . فمن تلك الاسماء التخمة والتجاه والتراث والتقوى والتكلة والتكلان والتهمة ..» (32)

ومن ذلك ايضا حديثه عن نظرية المخالفة بين حركتي الماضي والمضارع في الثلاثي الجرد كما سبق الحديث عنها .

4 - ظهور شخصيته فيها واهتداؤه الى حقائق غابت عن ذهن السابقين وتعبيره عن رايه الخاص في كثير من الاحيان :

1 - كقوله بعد ان ذكر اسماء للمكان جاءت على مفعول مع ان مضارعها مفتوح او مضموم : « ونرى انه انما جاءت هذه الحروف بالكسر لانها كانت في الاصل على لفتين فبنيت هذه الاسماء على احدي اللفتين ، ثم اميتت تلك اللفة وبقي ما بني منها كهيئته . والعرب قد تميت الشيء حتى يكون مهملا لا يجوز ان ينطق به .. والعرب تقول احزنني هذا الشيء فاذا صاروا الى المستقبل قالوا : يحزنني ، قال الله تعالى : « ولا يحزنك قولهم » ... وعجل هذا على انه كان في الاصل احزن يحزن وحزن يحزن بمعنى واحد كما قالوا سلكته واسلكته وسحته الله واسحته بمعنى ، فاخذوا من هذا الصدر ومن هذا العجز واماتوا الآخرين » (33)

ب - وقوله : « واختلفوا في ياء مخيط ، فقال بعضهم انها الياء الاصلية والذي حذف واو مفعول ليعرف الواوي من اليائي . وقال آخرون انها واو مفعول قلبت ياء والذي حذف الياء الاصلية وهذا هو القول ، لان الواو مزيدة للبناء ولا ينبغي لها ان

(32) المرجع ورقة 306 . ومن امثلة التوهم الاخرى في اللغة العربية منع « اشياء » من الصرف واشتقاق « تمسكن » من المسكين على توهم اصالة الميم . وتوجد له كذلك امثلة كثيرة في اللغات الاخرى . انظر « محاضرات في علم اللغة » للمؤلف ص 130 .

(33) ديوان الادب ورقة 148 .

(34) ديوان الادب ورقة 337 .

(35) استفتت في كتابة هذه الفكرة من رسالة الدكتوراه للدكتور محمد سالم الجرح المحفوظة بمكتبة جامعة لندن بعنوان The "Ta" Infix and prefix in Arabic Verbal forms الفصل الاول .

(36) ديوان الادب ورقة 215 .

3 - استعمالها مطاوعة لافعل نحو
أزعجه فانزعج .

4 - استعمالها دون ان يكون لها فعل
متعد نحو انسرب الثعلب فسى
ججره (37) .

ولم يتحدث ابن قتيبة عن هذه الصيغة ، وذكر
لها سيبويه استعمالا واحدا (38) .

ولكننا نأخذ عليه هنا انه لم يتحرر كلية من
تبعية السابقين فكان في معظم ما ذكره من معاني هذه
الصيغ ناقلا او متبعا ، وقد كان في امكانه بعد ان
رتب المادة اللغوية ترتيبا جديدا ان يستقل بالاجتهاد
ويحاول ان يدرس الصيغ صيغة صيغة ويرتب معانيها
بحسب كثرة ورودها ترتيبا تنازليا ولكنه لم
يفعل .

قيمة ديوان الادب في نظر القدماء :

عرف القدماء قيمة ديوان الادب وكانت له بينهم
منزلة سامية . وقد استفاد منه الكثيرون ، واتخذوه
مصدرا من مصادرهم ، من هؤلاء «الثعالبي» في «فقه
اللغة» و«الساغاني» في «العباب» وفي «التكملة»
و«السيوطي» في كتابيه «المزهر» و«القول المجمل في
الرد على المهمل» و«ابن مالك» في «اكمال الاعلام
بتثليث الكلام» و«ابن الطيب الفاسي» في «اضاءة
الراموس» و«القيومي» في «المصباح المنير»
وغيرهم .

كما اثنى عليه العلماء ووصفوه بارفع الصفات .
فسموه «الجامع لديوان الادب» ووصفوه بأنه «ميزان
اللغة ومعيار العربية» وقال عنه ياقوت « المشهور
اسمه الذائع ذكره » (39) ، وكان ابو الملاء يحفظه
عن ظهر قلب وهو الذي اكمله لاحد الادباء اليمنيين
حينما عثر على جزء منه وأعجبه جمعه وترتيبه (40) .
وحينما دخل الكتاب اليمن لاقى من اهله عناية كبيرة ،
وانكبوا عليه يقرأونه وينسخونه ويتكلمون على
فوائده (41) .

وقد تداوله الباحثون منذ صدره واحتفلوا به
واخذوا يقرأونه على العلماء ويتناولونه بالدرس
والشرح . فقرأه الجوهري على مؤلفه بفاراب (42)
ثم اعاد قراءته على ابي السرى محمد بن ابراهيم
الاصبهاني بأصبهان (43) ثم عرضه على استاذه ابي
سعيد السيرافي ببغداد فقبله ولم ينكره فصار عنده
من صحاح اللغة (44) . وقرأ الحاكم بعضه على ابي
يعقوب يوسف ابن محمد بن ابراهيم الفرغاني الذي
قرأه كله على ابي علي الحسن بن علي بن سعد
الزاميني الذي قرأه على الفارابي (45) . وقرأه ابو
سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز من
اوله الى آخره على الجوهري وصححه له (46) .
وقراءه على ابي سعد وصححه عرضا بنسخته ابو
يوسف يعقوب بن احمد وفرغ منه فسى ذي القعدة
سنة 429 (47) وقرأه على يعقوب ولداه علي
والحسن . واعاد الحسن قراءته على والده قراءة
بحث واستقصاء من اوله الى آخره بما على حواشيه
من الفوائد ، وشرح الايات في شهر سنة 463 (48) .

(37) المرجع ورقة 213 .

(38) الكتاب 2 / 238 .

(39) معجم الادباء 6 / 62 .

(40) القفطي في انباء الرواة 1 / 52 .

(41) المرجع 1 / 53 .

(42) معجم الادباء 6 / 63 .

(43) المرجع والصفحة .

(44) المرجع والصفحة .

(45) المرجع 6 / 63 - 64 .

(46) المرجع 6 / 64 .

(47) المرجع السابق .

(48) نفس المرجع .

ورواه شيخ الاسلام الشوكاني (محمد بن علي 1172 - 1250 هـ) عن شيوخه وذكر اسناده في كتابه « اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر » حتى وصل به الى الجوهري صاحب الصحاح الذي رواه بدوره عن المؤلف (49) .

- كما مدحه كثير من الشعراء فقال احدهم :

كتاب ديوان الادب

احلى جنى من الضرب

حاضر من يحفظه

خمول ذكر او نسب

يرفعه كتابنا

اعلى الاعالي والحسب

الفه الشيخ الذي

اضحى اماما في الادب

واعترف الناس له

بالفضل الا من كذب (50)

وقال القاضي نشوان بن سعيد الحميري :

نعم الكتاب كتاب ديوان الادب

نعم الذخيرة فهمه والمكتسب

في كل باب منه كنز دونه

كنز اللجين ودونه كنز الذهب

ناهيك من علم شريف قدره

يسمو بصاحبه الى اعلى الرتب

كل العنوم بها اليه خصاصة

في القصد وانتوجيه منها والخطب

يا دفترنا جمع الحاسن كلها

وغدا له فضل على كل الكتب

فهو المولى في السهام اذا اعتزى

وهو المجلي في الجياد اذا انتسب

(49) ورقة 37 .

(50) ديوان الادب نسخة رقم 344 لفة - دار الكتب المصرية - آخر الجزء الثاني .

(51) المرجع السابق - صدر الجزء الاول .

(52) ديوان الادب ورقة 7 .

واذا جرت كتب الانام الى مدى
فالسبق خالصه لديوان الادب

روض من الآداب اصبح ضائعا
في معشر عجم بعد من العرب

لا عيب فيه غير ان لبايه
اضحى غريبا في زمان مؤتشب (51)

ديوان الادب في الميزان :

كان ديوان الادب فتحا جديدا في تاريخ المعاجم العربية ، ودفعة موفقة الى الامام في ميدان البحث اللغوي . وترجع قيمته الى ما يأتي :

1 - ترتيب كلماته على الترتيب الهجائي المعروف وسيره على نظام الباب والفصل . وهو اول معجم سنك هذا النظام واخذه عنه اصحاب المعاجم من بعده وعلى رأسهم تلميذه وابن اخته « الجوهري » صاحب الصحاح . ومع ذلك نجد هذه الطريقة تنسب للجوهري ونجد الباحثين يضعونه على رأس مدرسة الباب والفصل . ولو انصف الناس واعترفوا بالفضل لذويه لردوه للفارابي وجملوه هو صاحب هذه المدرسة . وقد كان المعجميون قبل ذلك يتبعون نظام الخليل في العين ، فجاء الفارابي واختار الترتيب الهجائي العادي « ميلا الى الاشهر لقرب متناوله وسهولة ماخذه على الخاصة والعامة » (52) .

2 - انه اول معجم عربي جامع اتبع نظام الابنية في ترتيب الالفاظ . ولم يأخذ التأليف في الابنية قبل الفارابي صورة المعجم الكامل الذي يتجه الى حصر المادة اللغوية وتوزيعها على الابنية في نظام معين ، وانما اتجه بعض اللغويين الى حصر الابنية والتمثيل لها ، واتجه بعض آخر الى العناية ببعض الابنية ومحاولة حصر الفاظ كلي . أي ان عملهم جميعا كان فاقدا لاهم عنصرين من عناصر المعجم الكامل وهما الشمول والترتيب .

وميزة الترتيب على الابنية قد كشفنا عنها فيما قبل .

3 - طرحه نظام التقلاب الذي بداه الخليل واقتفى اثره اللغويون من بعده . وبذلك فتح الباب امام المعاجم العربية لتتخلص من طغيان شخصية الخليل وتكف عن الدوران في فلك نظامه وتبحث لها من نظام آخر اكثر بساطة واكل تعقيدا .

4 - منهج الكتاب منهج مبتكر ناضج قليل التأثير بالسابقين . وقد افتخر المؤلف في مقدمة معجمه كما سبق ان ذكرنا . كما انه حقق الدقة والنظام الى درجة كبيرة مما حدا بالمؤلف الى الادلال بنفسه في المقدمة .

5 - تركه للمقيس من الفاظ اللغة اكتفاء بذكر قاعدته في المقدمة وفي الفصول التذييلية . وبهذا طرح كثيرا من الالفاظ القياسية التي تزحم المعجم دون فائدة تذكر ، وامكن ان يجمع فيه - مع صغر حجمه - كثيرا من المادة اللغوية .

6 - تخايصه الواوي من اليائي وافراده بالذكر كل واحد منهما . وقد افتخر الفيروزابادي في مقدمة « القاموس المحيط » بصنيع مثل هذا فقال « ومن احسن ما اخص به هذا الكتاب تخليص الواو من الياء وذلك قسم يصم المصنفين بالعمي والعمياء » .

7 - ترتيب المعجم على نظام الابنية وجمع الكلمات التي على شاكثة واحدة في صعيد واحد يفيد الصرفيين كثيرا ويطلعنا على خصائص الاوزان، وما يفيد كل بناء من الابنية ، كوزن «فعال» الذي يفيد الزيادة والكثرة ، فشيء عجاب اي عجب جدا والظراف (بالضم) اظرف من الظريف، والجمال اجل من الجميل والكرام اكرم من الكريم والحسان احسن من الحسن (53) . وكصيفة « فعيل » التي تدل على الملازمة والمبالغة في الشيء، فالشريب المولع بالشرب والزميت اشد من الزميت والسكيت الدائم السكوت والصميت الدائم الصمات والمريح الشديد المرح والجبير الشديد التجبر والخمير الدائم الشرب للخمر والسكير الدائم السكر والفخير الكثير الفخر والنطيس الطيب العالم بالطب والصريع

الكثير الصرع لاقرانه اذا صارع والفسيق الدائم الفسق والظنيم الكثير الظلم . . (54) . كما يقفنا على معاني صيغ الزوائد كأفعل وفاعل وفعل واستفعل . الخ .

8 - فصله بين السالم والمضاعف وانواع المعتل والمهموز يفيد الباحث اللغوي ويهديه الى خصائص كل نوع . فهناك اوزان جاءت في نوع من الكلمات دون نوع وهناك ابواب من الافعال اختلفت ببعض الانواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر في طريقة الاشتقاق منه .

9 - كذلك فان فصله بين قسمي الاسماء والافعال وافراد ابنية كل نوع بالحديث يهدينا الى خصائص كل قسم . فحروف الزيادة ومواضعها تختلف في الاسماء عنها في الافعال ، ولكل منهما ابنيته واوزانه الخاصة به .

10 من عيوب المعاجم انها كثيرا ما تهمل النص على باب الفعل الثلاثي مما يوقع الباحث في حيرة . وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الافعال على ابوابها . فليس في معجمه فعل واحد لم يرد الى بابيه . ومن امثلة ذلك قول الجوهري : « وقلبت القوم كما تقول صرفت الصبيان . . وقلبت اي اصبت قلبه . . وقلبت النخلة اي نزعنت قلبها وقلبت البسرة اذا احمرت » ولم يذكر الباب . وقد ذكرها الفارابي في باب فعل يفعل (55) .

ومع ذلك لم يخل الكتاب من عيوب ، بعضها يختص بالمنهج ، وبعضها بتطبيقه ، وبعضها بالمادة اللغوية . وسنتناول في ايجاز شديد هذه المآخذ على هذا النحو من الترتيب .

1 - اما عيوب المنهج فاهمها :

1 - منهج الكتاب معقد بشكل يرهق الباحث ويسبب له المشقة والعنت حتى يصل الى الكلمة التي يريد بها . فهو منهج لا

(53) المرجع ورقة 69 .

(54) ديوان الادب ورقة 70 .

(55) المرجع ورقة 135 .

يسعف الباحث المتعجل الذي يريد ان يكشف عن معنى كلمة فحسب لا ان يوازن بين الابنية ويكتنه خصائص كل منها.

ب - ارغمت هذه الخطة المؤلف على تعزيق الصيغ التي ترجع الى مادة واحدة ، وتوزيعها على ابواب مختلفة بحسب اوزانها ، وبذلك حرم الباحث من اخذ صورة كاملة للمادة التي يبحثها والدلالات التي تدل عليها ، الا اذا قام برحلة طويلة بحثا وراء هذه الصيغ في ابواب المعجم وكتبه . فهو يخدم الصرفيين ويمدهم بذخيرة وافرة من الالفاظ المتجانسة يستطيعون منها ان يستمدوا ما يريدون من الجانب الصرفي ولكنه لا يخدم الباحث اللغوي الذي يبحث عن الدلالة وينظر الى المادة اللغوية كلها نظرة عامة شاملة ويمقد الصلات بين صيغ المادة الواحدة ويردها كلها الى اصل واحد .

ج - اساس الاستفادة من هذا المعجم معرفة ضبط الكلمة اولا . ولهذا فهو يصلح لمن يريد ان يقف على معنى كلمة يعرف ضبطها ولكنه لا يصلح لمن اراد ان يقف على ضبط كلمة يعرف مدلولها .

3 - واما عيوب تطبيق المنهج فاهمها :

1 - اضطرابه في ترتيب الكلمات التي اجتمعت فيها صفتان كان تكون مضاعفا ومثالا مما مثل « وج » او مضاعفا ومهموزا مثل « اب » او مثالا ومهموزا مثل « وال » او مهموزا ومن ذوات الاربعة مثل « اتو » او مهموزا ومن ذوات الثلاثة مثل « اوب » .

ب - ذكره اشياء قياسية ذكر في مقدمة معجمه انه لن يذكرها مثل « طلحة واحدة الطلح » و « الثمر جمع ثمرة » و « جوع جمع جائع » و « الملحة واحدة الملح » ... وغير ذلك .

ج - عدم افراده بابا للمبني للمجهول وتوزيع ما ورد منه على الابواب فمن ذلك وضعه

« سقط في يده » في باب فعل يفعل و« جندت الارض » في باب فعل يفعل .

د - عدم افراده بابا للحروف ووضعه لها في ابواب الاسماء مثل قوله في باب « فعل الناقص » : « خلا حرف يخفض ما بعده » ، وفي باب « فعل » : « رب حرف خافض لا يقع الا على نكرة » ، و « ثم حرف من حروف النسق مثل الفاء الا ان الفاء تصل وشم تراخي » .

هـ - وقوعه في التكرار ووضعه الكلمة في اكثر من موضع . مثال ذلك انه عقد بابا لما جاء على وزن « مفعول » مثل مفعول ومفعود ومنخور ، ثم عاد فعقد بابا آخر تحت اسم « وما جاء على مفعول بضم الميم شبه بفعول » وضع تحته الكلمات السابقة .

و - وضعه الكلمة في غير موضعها مثل وضعه في السالم كلمة « تخمة » وحقها ان توضع في المثال لانها مبدلة من « وخمة » ، ووضع « التثرات » في فعال السالم مع نضه على ان اصله وراث .

3 - واما ماخذ المادة اللغوية فاهمها :

1 - خطؤه في النقل كقوله : وهي الكنيسة للنصارى . والصحيح كما في « التكملة » للصاغاني و « تهذيب اللغة » للازهري ان الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى .

ب - خطؤه في الضبط كقوله : القليس بناء كان ابرهة بناه باليمن . والذي في كتب اللغة القليس بالتحديد (انظر الصحاح واللسان والجمهرة) .

ج - تصحيفه بعض الكلمات كقوله : القترود الرجل الكثير الغنم . والصواب بالشاء المثلية كما صرح به ابو عمرو وابن الاعرابي وغيرهما (انظر القاموس المحيط)

د - شرحه بعض الكلمات شرحا مريبا كقوله : « الخلع ما يجعل في القرف » والمبارة غامضة وعبارة الصحاح اوضح وهي

ديوان الادب وزاد فى ابوابه وأخرجه فى عشرة مجلدات ضخمة (57) .

2 - الاستفادة به فى جمع المادة اللغوية ، وقد شمل ذلك معظم ما جاء بعده من مؤلفات لغوية وقد سبق ان ذكرنا بعض هذه الكتب التى صرح اصحابها بنقلهم عن الفارابي . ولكن التاثر واضح فى معجم منها هو « الصحاح » للجوهري . وهو تاثر لم يقف عند حد المادة اللغوية بل تعداه الى النظام كذلك (58) .

3 - التاثر بمنهجه . وهذا النوع كثير كذلك . ومن اشهر من تأثروا به « الزوزنى » فى كتابه « المصادر » كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه وكما هو واضح من مقارنة الكتاب بقسم الافعال من « ديوان الادب » . وكذلك ممن تأثروا به « بوجعفر » فى كتابه « تاج المصادر » وقد صرح بتأثره هذا وبنقله عن الفارابي فى اكثر من موضع من كتابه (59) . كذلك تأثر به اثنان من اصحاب المعاجم الكاملة لابنية وهما القاضي نشوان بن سعيد الحميري والكاشفري كما سنتحدث فيما بعد .

« الخلع لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القرف » (القرف نوع من الاوعية) .
وقوله « الاكلف لون بين السواد والحمرة »
والتعبير غير دقيق وصحته « الكلفة » .
وقوله : « حسب الرجل صار حسيبا »
وفى التمرين دور . ومثله قوله :
« الوارس فى الطعام مثل الواغل فى الشراب »
« الشراب » ، ثم قوله « الواغل فى الشراب مثل الوارس فى الطعام » .

التاثر بديوان الادب :

اثر ديوان الادب فيما جاء بعده من كتب اللغة . وقد اخذ هذا التأثير اتجاهات ثلاثة هي :

1 - اختصاره او تأليف الشروح عليه . ولم يصلنا من هذا النوع شيء ، وانما حفظت لنا كتب التراجم اسمي عالين قاما بها احدهما الحسن بن المظفر الذى الف « تهذيب ديوان الادب » (56) . والاخر محمد بن جعفر بن محمد الفوري الذى اخذ

(56) قال عنه ياقوت : اديب شاعر مصنف .. مؤدب أهل خوارزم فى عصره وشاعرهم ومقدمهم والمشار اليه منهم . مات فى 14 رمضان سنة 442 هـ (معجم الادباء 9 / 191 ، 192)

(57) قال عنه ياقوت : احد ائمة اللغة المشهورين والاعلام فى اللسان المذكورين . صنف كتاب ديوان الادب فى عشرة اجلد ضخمة . اخذ كتاب ابي ابراهيم اسحق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد فى ابوابه وأبرزه فى ابهى ابوابه فصار اولى به منه لانه هذب وانتقاه وزاد فيه ما زينه وحلاه . ولا نعرف سنة وفاته (18 / 104 ، 105)

(58) كان كرتكو اول من تنبه الى ذلك حيث قال : « ان الجوهري لم يكتف بان عب من ديوان الادب بل وجدت - قدر ما استطعت الاستقراء والمقابلة - ان الصحاح لا يحتوى على أي شيء لا يوجد فى ديوان الادب » (انظر The Beginnings of Arabic Lexicography مقال بمالحق مجلة J.R.A.S. سنة 1924 .) ولكن الاستاذ العطار (مقدمة الصحاح ص 81 ، 82) لا يوافق على هذا ويقول : « ولقد اسرف الاستاذ كرتكو فى دعواه ولا سند له . فديوان الادب وصحاح الجوهري موجودان والفارق بين المعجمين كبير » . وقد قمنا بدراسة تفصيلية مقارنة بين المعجمين ربما تمكنا من نشرها قريبا . وخلصنا من ذلك الى ما ياتى :

1 - ان الجوهري اخذ نظام الباب والفصل عن خاله الفارابي .
ب - اشتراك ديوان الادب والصحاح فى كثير من الاشياء مثل الشواهد والرواية وحتى الاخطاء اللغوية بل اتنا نجد احيانا ان اللفظ هو اللفظ والشرح هو الشرح .
ج - ان الصحاح اوسع مادة من ديوان الادب وفيه زيادات كثيرة . ولو ان كرتكو عكس القضية وقال : « ليس فى ديوان الادب شيء الا نجده فى الصحاح » لكان اقرب الى الصواب .

(59) نقل عنه فى باب « فعل يفعل » وباب « فعل يفعل » وباب « أفعل » .

2 - ديوان لفات الترك للكاشفري (60)

الكتاب معجم يشرح الالفاظ التركية بمباراة عربية . ووجه الشبه واضح تمام الوضوح بينه وبين ديوان الادب في الترتيب وان لم يشر المؤلف الى ذلك، ولم يذكر اسم الفارابي . وليس بينهما من الاختلاف الا اختلاف تقتضيه طبيعة كل من اللغتين . ويمكن ان تلمس التائر واضحا مند النظرة الاولى حين تقرا في مقدمة الكتاب (وهي باللغة العربية) بضعة اسطر . فالمقدمة تكاد تكون هي المقدمة ، وهناك الفاظ بعينها وردت في المقدمتين . والمنهج في الترتيب هو المنهج لا يختلفان الا في اشياء يسيرة فرضها الاختلاف بين اللغتين وحتمتها طبيعة كل منهما . واليكم الان موازنة بين الكتابين ليتضح مدى تطابقهما :

1 - المقدمة :

ديوان الادب

- 1 - بداها كذلك وان اختلفت الفاظه عن الفاظ الفارابي
- 2 - الف كتابه برسم الحضرة المقدسة .. سيدنا ومولانا ابي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله
- 3 - قال الكاشفري : انخت كل كلمة في محلها وانقضت من عدائها ليصادفها في ميركها طالبها ويرصدها في مسلكتها راغبها .
- 4 - قال الكاشفري : حصرت هذه اللفة بأسرها في ثمانية كتب ..
- 5 - قال الكاشفري : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شريحين اسماء وافعالا ، وقدمت الاسماء على الافعال ثم ففوتها بالافعال مبنوية على مراتبها الاولى فالاولى
- 6 - وضعته مرتبا على ولاء حروف المعجم
- 7 - ولقد تخالجت في صدري ان ابني الكتاب كما بنى الخليل كتاب العين واذكر المستعمل والمهمل فكانت تلك الطريقة اوعب .. الا ان هذا البناء اصوب لما ان مأخذه اقرب . فملت الى هذا الترتيب طلبا للتخفيف وتقصيرا للتأليف
- 8 - نص الكاشفري على انه وشح كتابه بحكمة او سجع او مثل او شعر او رجز او نثر .
- 9 - قال الكاشفري « برزت بتصنيف لم اسبق اليه وتاليف لم يوقف عليه »
- 10 - ادرجت الاصول بعلم اوضحتها واقيسة فيها اقترحتها .

- 1 - بداها بحمد الله والصلاة على رسوله وآله اجمعين
- 2 - الف كتابه للشيخ ابي الحسن احمد بن منصور ولولاده ولجماعة المسلمين .
- 3 - قال الفارابي : رتبت كل كلمة فجعلتها اولى بموضعها مما يقدمها او يعقبها ليحدها المرتاد لها في بقعة بعينها رابضة من غير نص مطية او اذآب نفس .
- 4 - قال الفارابي : جعلته ستة كتب ..
- 5 - قال الفارابي : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدمت الاسماء في امثلتها وابوابها على الافعال ثم تلوتها بالافعال مبنوية على مراتبها ومدارجها مقدما الاحق فالاحق منها
- 6 - نبتديء بالاسماء التي في اواخرها الباء لم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجم
- 7 - لم نذهب في ذلك مذهب الخليل بن احمد ولم نرتب ترتيبه ميلا الى الاشهر لقرب تناوله وسهولة مأخذه على الخاصة والعامة .
- 8 - نص الفارابي على انه ذكر في كتابه ما ورد في قرآن او سنة او حديث او شعر او رجز او حكمة او سجع او مثل او نادرة .
- 9 - قال الفارابي « مشتتلا على تأليف لم اسبق اليه ، وسابقا بتصنيف لم ازاحم عليه » .
- 10 - ابنت عن مواضع العلل بعلم شرحتها واوضحتها .

(60) هو محمود بن الحسين بن محمد الكاشفري من اهل كاشغر على حدود الصين ، توفي سنة 466هـ (الاعلام للزركلي)

ديوان الادب

- 11 - استشهدت بالاشعار الصحيحة المأثورة عن العلماء .
- 12 - قال الفارابي : « والمثل ما تراضاه الخاصة والعامه . . واستدروا به المنتفع من الدر وتفرجوا به عن الكرب المكروهة وهي من ابلغ الحكمة » .
- 13 - تحدث الفارابي عن منتهى الابنية في اللغة العربية .
- 14 - تحدث الفارابي عن احرف الزيادة في الاسماء والافعال في اللغة العربية .
- 15 - قال الفارابي : نبتديء بالفتوح الاول لان الفتحة اخف الحركات ثم نتبعه المضموم ثم المكسور وتقدم ساكن الحشو على المتحرك لان السكون اخف من الحركة .
- 16 - قال الفارابي : « القول في تقديم بعض الامثلة على بعض » اولها الثلاثي المجرد ثم ما لحقته الزيادة في اوله وهي الهمزة والميم ثم المنقل الحشو وهو عين الفعل ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه واليمين ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام ثم الرباعي ثم الخماسي .
- 17 - قال الفارابي : « القول في تقديم الحروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التي في اواخرها الباء ثم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجمة كلها سوى حروف الاعتلال
- 18 - اذا فرغنا من الحرف ابتدانا ما بعده بغير حرف نسق ليكون ذلك دليلا على مستانف ما بعده .
- 19 - ذكر الفارابي الصفات التي لا تدخل في الذكر وعد انواعها وكذلك فعل بالنسبة للمصادر .
- 20 - قال الفارابي : « قول آخر فيما ذكر في الكتاب وفيما لم يذكر وغير ذلك مما لا غنى بنا عن الابانة عنه » ، وذكر تحت هذا العنوان : كل ما كان من اسماء البلدان والاولدية والجبالي والمفاوز وما اشبه ذلك فذكرناه فسرنا عنه بانه اسم موضع لانه اسم عام ياتي على مالا ياتي عليه الخاص من الاسماء . الا ان يجيء امر مشهور فنضطر الى التصريح به .

ديوان لغات الترك

- 11 - نشرت فيها شواهد من اشعارهم التي تفوهوا بها في ابدانهم بالامور واشعارهم .
- 12 - قال الكاشفري : « وكذلك الامثال التي ضربوها على مدارج الحكمة في الكربة والنعمة »
- 13 - تحدث الكاشفري عن منتهى الابنية في اللغة التركية .
- 14 - تحدث الكاشفري عن احرف الزيادة في الاسماء والافعال في اللغة التركية .
- 15 - قال الكاشفري : تقدم ساكن الحشو على المتحرك ثم المحرك الحشو في اوجه حركاتها .
- 16 - قال الكاشفري : نبتديء بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي ثم السداسي ثم ما لحقته الزيادة في اوله وهي الهمزة وما يوافقها ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء واليمين في اوجه حركاتها ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام .
- 17 - قال الكاشفري : « القول في تقديم الحروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التي في اعجازها الباء ثم نمر الى ما بعدها حتى نستوفي حروف المعجم كلها اقتداء بالثمة الادب وتشبيها في البناء بلغة العرب .
- 18 - ولم نورد في اثناء اللغات واو النسق لانه لا مدخل له في هذه اللغة فافهم .
- 19 - وكذلك فعل الكاشفري بالنسبة للغة التركية
- 20 - وقال الكاشفري : « قول آخر فيما ذكر في الكتاب او لم يذكر » وذكر تحت : ما كان من اسماء الجبال والمهامه والاولدية والمياه والقدران ذكرت التي في بلاد الاسلام . . وما كان دخيلا في هذه اللغة لم يذكر . . وما كان من اسماء الرجال والنساء كذلك .

ب - النظام:

وكما تأثر الكاشفري بالفارابي في مقدمته ، وتابعه في عناصرها وفي الموضوعات التي تناولها ، تأثر به واحتذاه في نظام الكتاب احتذاء يكاد يكون كاملا . وما بينهما من خلاف في الترتيب خلاف تافه لا يعد ابتكارا او تجديدا ، ومنه ما املته طبيعة الاختلاف بين اللغتين ، وحثه التفاير بينهما . واليكم موازنة بين النظامين لترى مقدار ما بينهما من تشابه :

ديوان الادب

1 - قسم الفارابي كتابه الى ستة اقسام هي السالم والمضاعف والمثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة والمهموز .

ديوان لغات الترك

1 - قسم الكاشفري كتابه الى ثمانية اقسام هي الستة السابقة + كتاب الفنة + كتاب الجمع بين الساكنين .

ومن هذا يظهر ان الكاشفري لم يكتف باخذ التقسيم عن الفارابي ، بل اخذ عنه كذلك مصطلحات الاقسام فاستعمل ايضا اصطلاحات : السالم والمضاعف والمثال وذوات الاربعة والمهموز . وقد اعترف الكاشفري بذلك فقال : « واستعرت القاب هذه الكتب والابواب من العربية اصطلاحا لمعرفة الناس بها » (61) .

وكل ما بينهما من خلاف :

ا - ان الكاشفري بدأ بكتاب المهموز وقدمه على سائر الابواب تيمنا بكتاب الله تعالى

ب - انه زاد كتابين هما : كتاب الفنة وكتاب الجمع بين الساكنين .

وليس هذا في الحقيقة خلافا في المنهج ، وانما هو خلاف في التطبيق فرض الثاني منهما طبيعة اللغة التركية .

ديوان الادب

- 2 - جعل الفارابي كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدم الاسماء
- 3 - قسم الفارابي كل شطر من الاسماء والانفعال الى اقسام بحسب التجرد والزيادة (وقد سبق تفصيل ذلك)
- 4 - وضع الفارابي قاعدة لتقديم بعض الابنية على بعض بحسب نوع حركتها .
- 5 - ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الوزن الواحد ، رأى الفارابي ان يرتب الاوزان بحسب حرفها الاخير مع اولها ووسطها .
- 6 - كان الفارابي في كثير من الابواب ولاسيما في شطر الافعال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن احكام عامة تتعلق بالباب .

ديوان لغات الترك

- 2 - وكذلك فعل الكاشفري
- 3 - وكذلك فعل الكاشفري
- 4 - وكذلك فعل الكاشفري (انظر المقدمة)
- 5 - وكذلك فعل الكاشفري
- 6 - وكذلك فعل الكاشفري . فقد اتبع باب الشانئي من كتاب الافعال - قسم السالم تبديل عن « العال والتصاريف وبيان الصفات ومجاري الاقيسة » تحدث فيه عن التصاريف المختلفة للافعال والمصادر والصفات وسائر المشتقات كاسماء الزمان والمكان والآلة . . وكذلك اتبع ابواب الثلاثي والرابعي والخماسي والسداسي بفصول مماثلة .

(61) ص 5. وقد كان بروكلمان اول من تنبه الى هذا التشابه الكبير بين الكتابين فقال: « كان ديوان الادب مثالا للكتاب الذي افه الكاشفري واسماه ديوان لغات الترك » S. 1,195

وكذلك تأثر الكاشفري بالفارابي في القواعد والاسس التي ذكرها في مقدمته وطبقها في كتابه . وقد سبق تفصيل ذلك في مقارنتنا بين مقدمتي الكتابين .

3 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد

واسم المعجم بالكامل « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكونوم » واسم مؤلفه نشوان بن سعيد بن نشوان اليميني الحميري النحوي اللغوي الفقيه (62). وتوجد من المعجم نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب بمصر تحت رقم 30 لفة وهي في أربعة اجزاء ولكن في ثلاثة مجلدات وخطها دقيق واسطرها متزاحمة وقراءتها عسيرة . ويوجد ايضا الجزء الثالث والرابع من نسخة اخرى تجزئة اربعة اجزاء برقم 385 لفة . كما يوجد الجزء الخامس من نسخة اخرى منه برقم 598 لفة .

وقد طبع ك . و . سترستين جزءا من هذا المعجم اخرجه في مجلدين وصل فيهما الى آخر حرف الجيم . كما اخذت مطبعة الحلبي في طبعه واصدرت منه بعض اجزاء : ونتمنى الا تكمل اخراجه لانه مليء بالتحريف والتشويه .

وقد اختصره ابنه في كتاب اسماء « ضياء العلوم » ويوجد منه بمعهد المخطوطات الجزء الاول على ميكرو فيلم .

وصفه :

يبدأ الكتاب بمقدمة ، يليها فصل في التصريف . اما المقدمة فقد بدأها بحمد الله وشهادة ان لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله . ثم تحدث عن فضل اللغة العربية على سائر اللغات ، وذكر الحاجة الى تعلمها ، لانها وسيلة لفهم القرآن الكريم والحديث . ثم شرح منهجه شرحا اجماليا ، وفخر بنظام كتابه لانه يسر على الطالب ادراك ملتسمه سريعا . ثم عدد الاشياء التي اودعها كتابه .

واما فصل التصريف فقد بين فيه اهمية علم التصريف وافتقار علم اللغة اليه . ثم شرح معنى

التصريف وقسمه الى ثلاثة اشياء : زيادة وبدل وحذف . ثم تحدث عن احرف الزيادة ومواضع زيادتها ، وتحدث عن ابدال الحروف بعضها من بعض وعن الحذف السماعي والحذف القياسي ، وعن مخارج الحروف ، وعن الادغام بين الحرفين المتجانسين والمتقاربين، وعن حروف الاطباق وحروف الاستعلاء والاشتغال والحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة ... بما يخرج عن التداول المعروف . ثم فصل الحديث في ابنية كلام العرب ، فقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وتحدث عن كل قسم بما لا يخرج عما نجده في كتب النحو والصرف .

ثم تحدث عن اقل الابنية واقصاها ، سواء في الاسماء او الافعال ، ثم ذكر عدد الابنية في كل منهما . واخيرا تحدث عن مصادر الافعال وعن الافعال التي تشتق منها . ويشغل ذلك كله من ص 1 الى ص 29 من مطبوعة ليدن .

نظامه :

تحدث المؤلف في مقدمة معجمه حديثا موجزا عن نظامه فقال : « وقد صنفا العلماء رحمهم الله في ذلك كثيرا من الكتب ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات بامثلة قدرها واوزان ذكرها . ولم يات احد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيف الكتاب والقراء حملني ذلك على تصنيف يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ويجعلها مع جنسها ويشكلها ويردها الى اصلها :

- 1 - جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا .
- 2 - ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا .
- 3 - ثم جعلت لكل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا .

(62) من علماء القرن السادس الهجري . وهو من اهل بلدة « حوث » من بلاد حاشد شمالي صنعاء . وقد وصفه السيوطي بانه اوجد اهل عصره واعلم اهل دهره فقها ونبلا وانه كان عارفا بالنحو واللغة والاصول والفروع والانساب . وذكر ياقوت انه استقل ببعض الاماكن واستولى على قلاع وحصون وقدمه اهل جبل « صبر » حتى صار ملكا . (انظر تفصيل ذلك في بنية الوعاة والاعلام ومعجم الادباء)

4 - ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا .
 فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط .
 والامثلة حارسة للحركات والشكل .
 فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا « (63) » .

هذا فقط هو ما ذكره القاضي نشوان بن سعيد في شرح نظامه ، وهو لا يعطي صورة واضحة لنظام الكتاب . فهناك مباديء كثيرة غيرها التزمها ولكنه اهمل ذكرها لانها تتفق كل الاتفاق مع أسس الفارابي . أي أن القاضي نشوان كان حريصا على ان يبرز المباديء التي استحدثها ويشرح من نظامه ما انفرد به ، وخالف فيه نظام ديوان الادب . اما ما اشترك فيه معه فقد مر على بعضه مرورا عابرا واهمل باقيه فلم يشر اليه ولم يتحدث عنه .

وسنقوم نحن بايضاح ما ابهمه ونتكفل بتفصيل ما اجمله :

1 - قسم المؤلف معجمه الى كتب على عدد حروف الهجاء مرتبة حسب الترتيب الهجائي المعروف فبدأ بكتاب الهمزة وتلاه بكتاب الباء ثم التاء ثم الناء ... الخ .

2 - قسم كل كتاب من هذه الكتب الى جزئين ، جزء للمضاعف وجزء لغيره . وكان يبدأ كل كتاب بباب المضاعف فيجمع فيه الكلمات المضاعفة التي تبدأ بالحرف المقود باسمه الكتاب . فاذا فرغ من المضاعف شرع في غيره مع عقد باب لكل حرف مع ما يليه يحمل اسم الحرف الاول من الكلمة (وهو الحرف المقود باسمه الكتاب) مع الحرف الثاني منها ، مراعى تقديم ما ثانيه اسبق في الترتيب الهجائي (مع تأخير ما ثانيه همزة الى بعد ما ثانيه ياء) . فالتقسيم المنطقي يفترض ان يكون لكل كتاب تسعة وعشرون بابا ، الباب الاول للمضاعف ، والابواب الاخرى لغير المضاعف ، لكل حرف ثان من حروف الكلمة باب ، فيكون عددها ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء . ولكن كثيرا ما تتخلف القسمة المنطقية ، فتزد في بعض الكتب بعض الابواب دون بعضها الاخر .

(63) شمس العلوم ص 6

(64) انظر الاصل الخامس من نظام ديوان الادب .

وكانت طريقته في ذكر عنوان الباب كالآتي :

1 - في باب المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول (وهو اسم الكتاب) ثم يقول : « وما بعده » .

فكتاب الهمزة يبدو هكذا :

باب الهمزة وما بعدها من الحروف في المضاعف .

وكتاب الباء يبدو هكذا :

باب الباء وما بعدها من الحروف في المضاعف .

وهكذا .

ب - في غير المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول المقود باسمه الكتاب ويضم اليه الحرف الثاني فيقول مثلا :

باب الهمزة والباء وما بعدهما .

باب الهمزة والتاء وما بعدهما .

الخ .. الخ ..

3 - قسم كل جزء من هذين الجزئين الى شطرين ، شطر للاسماء وشرط للافعال وكان يبدأ بشرط الاسماء .

4 - قسم كل شطر الى اقسام بحسب التجرد والزيادة ، فكان يبدأ بالثلاثي المجرد ثم المزيد فيه ثم الرباعي ثم الخماسي .

5 - ولما كان كل قسم من هذه الاقسام يشترك في عدة ابنية راعى في المجرد الحركة في ترتيب الاوزان ، فكان يقدم ساكن الحشو على المتحرك ، وكان يتتديء بالفتوح الاول ثم يتبعه المضموم ثم المكسور . كما راعى في ترتيب ابنية المزيد مكان الزيادة ، فقدم من الابنية ما كانت زيادته اسبق مع مراعاة نوع الحركة ايضا .

6 - واحيانا يلمع بين كلمات البناء الواحد اختلافا في الصفة فنجده يقسم كل بناء الى انواع بالنظر الى صفاته (64) .

7 - ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الحرفين الاول والثاني (المعنون باسمهما الباب) وتشترك في الوزن ، رأي ان يرتب كلمات الوزن الواحد بحسب حروفها الاخير (65) فكان يقدم ما آخره اسبق في الترتيب الهجائي ، ما عدا ما كان آخره همزة فكان يؤخره الى بعد ما آخره ياء (66). ولذلك جاءت كلمة مثل « الربيع » بعد « الربيب » و « الريخ » و « الربيز » و « الربيس » ... (67). وكان زيادة في الضبط حريصا على ان يذكر قبل الكلمة باقي حروفها التي لم تدخل في اسم الباب ، سواء كان حرفا واحدا او اكثر . اي انه كان ينص على جميع حروف الكلمة ، فحرفها الاولان يذكرهما في اسم الباب ، وما بعدهما بضمه قبل الكلمة هكذا :

تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما	{	(فصيل)
		د الاصيد ل الاصيل
تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما	{	(فطل)
		طبل اصطل
تحت باب الباء والحاء وما بعدهما	{	(الفعلية)
		ثر بحثر ظل بحظل
تحت باب الباء والحاء وما بعدهما	{	(التفعّل)
		صل التبحصل

لضبط الكلمة والنص على حركاتها وترتيب الكلمات بحسب الحروف الهجائية ليكون ذلك حارسا للنقط وان اختلف تطبيق ذلك :

8 - التزم في الكلمات الزيادة ان يحذف الزيادة في ذهنه ثم يضع الكلمة في موضعها بالنظر الى اصولها .

1 - فنجد الفارابي يقسم الكلمات الى ستة اقسام بحسب نوع حروفها في حين ان القاضي نشوان راعى فصل المضاعف فقط عن غيره . ولست افهم سر افراد المضاعف فقط عن غيره .

بين شمس العلوم وديوان الادب

اذا اردنا ان نقارن بين نظام هذا الكتاب ونظام ديوان الادب ، وجدنا اوجها للتشابه واخرى للتخالف ، سواء في المنهج او في تناول المواد ومعالجة الالفاظ :

ب - ونجد الفارابي يقدم مرحلة التقسيم بحسب الابنية على مرحلة التقسيم

1 - اما في المنهج فوجه الشبه اوضح اذ اسس على فكرة واحدة وهي اتباع طريقة الابنية

- (65) سواء كان الحرف الاخير ثالثا او رابعا . ولذلك رتب كلمات البناء « فعل » في قسم الاسماء هكذا : جلعب - جلسد - جلعد - جلمد - جلم - ... فوجه نظره الى حرفها الرابع (لا الثالث) ولذا قدم جلعب على جلسد . ولو كان ينظر الى الحرف الثالث لعكس الترتيب .
- (66) لعل سر ذلك ان الهمزة في الوسط او الاخر يكثر تسهيلها فتقلب الى حرف علة ، ولذلك كانت جديرة ان توضع بجانب الواو والياء .
- (67) شمس العلوم 2 / 203 طبعة الحلبي .

4 - مقدمة الأدب للزمخشري

من الكتب التي سارت على نظام الإبنية « مقدمة
الأدب » للزمخشري المتوفى سنة 538 هـ . وقد
قسمه الى خمسة أقسام :

- القسم الاول : فى الاسماء .
- القسم الثانى : فى الافعال .
- القسم الثالث : فى الحروف .
- القسم الرابع : فى تصرف الاسماء .
- القسم الخامس : فى تصرف الافعال .

ولا يوجد منه بدار الكتب نسخة واحدة كاملة،
وانما توجد عدة نسخ يكمل بعضها بعضا وهي :

1 - نسخة رقم 100 لفة تشتمل على قسم
الاسماء وقسم الافعال .

2 - نسخة رقم 636 لفة وتشتمل كذلك على
قسمى الاسماء والافعال .

3 - نسخة رقم 272 لفة تنقص قسم الاسماء
فقط ، وتشتمل على الاقسام الاربعة الاخرى وكتب
عليها خطأ « كتاب الافعال » .

وصفه :

(المقدمة)

يبدأ الكتاب بمقدمة صغيرة شغلت من المخطوطة
نحو صفحتين ، وليس فيها ما يستدعى الوقوف
عنده ، فهي خطبة افتتح بها كتابه ، ولم يتعرض فيها
لمنهج الكتاب او ترتيبه . وكل ما قاله فى ذلك « وهو
على خمسة اقسام : القسم الاول فى الاسماء والثانى
فى الافعال والثالث فى الحروف والرابع فى تصرف
الاسماء والخامس فى تصرف الافعال » .

بحسب الحروف فى حين نجد القاضى
نشوان قد شطر مرحلة التقسيم بحسب
الحروف الى شطرين ، قدم اولهما (وهو
اعتبار الحرف الاول والثانى) على مرحلة
الإبنية واخر ثانيهما (وهو اعتبار الحرف
الاخير) عن مرحلة الإبنية .

ج - كذلك نجد الفارابى فى اعتباره للحروف
يرتب بحسب الحرف الاخير والاو (وهو
ما يعرف بنظام الباب والفصل) فى حين
ان القاضى نشوان يرتب بحسب الحرف
الاول ثم الثانى ثم الاخير .

وفىما سوى ذلك نجد الاسس مشتركة
فىما عدا بعض فروق طفيفة هنا او هناك .

2 - فاذا وازنا بين المعجمين فى تناولهما
للمواد ومعالجتهما للالفاظ وجدنا الفرق شاسعا
بينهما فديوان الادب معجم مختصر وقف عند حدود
المعجم فأهمل المسائل الفقهية والكلامية ونحى الاشياء
الغريبة عن علم اللغة وحد من الابحاث النحوية
والبلاغية فى حين ان شمس العلوم لم يقف عند حدود
ولم يتقيد بقيود فكان يحشد كل ما يمكن حشده من
ألوان العلوم والمعارف . وهذا واضح من الاسم الذى
اختاره له وهو « شمس العلوم » . ولذا جاء حجم
شمس العلوم ضخما اذا قيس بديوان الادب مع نص
القاضى نشوان فى مقدمته على انه بلغ فى هذا
التصنيف من الايجاز والاختصار جهده . ولكن ماذا
يعنى الاختصار والكتاب مليء بأخبار الملوك ومعرفة
منافع الاشجار وطبائع الاحجار وبالحدِيث فى علوم
القرآن والقراءات والتفسير والانساب والاحبار
والحساب والفقه والنجوم وتأويل الرؤى (68) . . .
الخ . ولكن اذا نحينا هذا النوع من البحوث وجدنا
المادة اللغوية الخالصة تتحد او تكاد (69) . وقد
وصفه احد الباحثين بأنه « دائرة معارف على ترتيب
المعاجم » (70)

(68) انظر مقدمة المعجم ص 3 ، 6 . وقد تكلم المؤلف فى اكثر من صفحتين منها عن علم النجوم
واهميته ومنزلته .

(69) لم يستطع القاضى نشوان باغفاله الاشارة الى «ديوان الادب» ان يقطع هذه الصلة بينهما او
يمحو معالمها . وقد فطن اليها من قديم القفطى فى انباه الرواة (1 / 53) وان لم يوفق حينما
اعتبر شمس العلوم شرحا لديوان الادب .

(70) الاعلام للزركلى . وقال فيه د. حسين نصار « ليست قيمته فيما يحويه من لفة وانما فيما
يحويه من المعارف الاخرى » (المعجم العربى 1 / 183) .

(نظامه)

3 - قسم كل باب من هذه الابواب الى اقسام من حيث الصحة والاعتلال . وهذه الاقسام هي :

- 1 - الصحيح (ويشمل المهموز)
- ب - المضاعف .
- ج - المعتل الفاء .
- د - المعتل العين .
- هـ - المعتل اللام .
- و - المعتل الفاء واللام .
- ز - المعتل العين واللام .

واحيانا يضيف اقسام اخرى ، كان يفرد للمضاعف المعتل الفاء قسما ، او يفصل بين المعتل بالواو والمعتل بالياء .

4 - رتب الكلمات تحت كل قسم من هذه الاقسام ترتيبا هجائيا كترتيب الصحاح وديوان الادب .

اما في تناوله للمواد ومعالجته لالفاظها ، فقد كان يميل الى الاختصار الشديد ، وكان كل همه يتوجه الى اثبات اللفظ وذكر تصاريفه ، ولذلك خلت موادها من الشواهد تماما ، ومن التفسيرات الا نادرا ، وذلك كقوله « ضرب مثلا ، وضرب في الارض ، وضرب في الماء ، وضرب على اذنه ، وضربه بكدا ضربا ، وهي مضربة السيف والمضارب ، وضرب الفحل الناقة ضرابا ، وضرب الجرح ضربانا »

ولهذا نرى من الاجحاف بديوان الادب او اي معجم آخر من معاجم الابنية ان تقارنه بهذا الكتاب من حيث المادة النغوية .

فاذا اردنا ان نقارن بين « ديوان الادب » و « مقدمة الادب » في النظام وجدنا بينهما تفاوتا كبيرا وفروقا جوهرية تتلخص فيما يأتي :

1 - الخطوة الثالثة عند الزمخشري تقابل الخطوة الاولى عند الفارابي مع وجود خلاف في التطبيق فقد ضم الزمخشري المهموز للسالم ، وافرد له الفارابي قسما خاصا .

2 - الخطوة الثانية في كتاب الفارابي هي الخطوة الاساسية في كتاب الزمخشري .

3 - الخطوة الثالثة في كتاب الفارابي تقابل الخطوتين الاولى والثانية في كتاب الزمخشري .

اما في قسم الاسماء فلم يتبع نظام الابنية ولا اي نظام آخر ، وانما سلك سبيل المعاجم المرتبة بحسب الموضوعات فقسمه الى ابواب ، جمع تحت كل باب منها الكلمات التي تدور حول موضوع واحد ، وبداه بباب جمع فيه الالفاظ الدالة على الازمنة ثم بباب يتعلق بالسموات وصفاتها وما فيها ، ثم باب في الارض وصفاتها وما فيها من معادن واحجار .. ثم .. ثم ...

ولم يكن له منهج معين في ذكر الكلمات ، بل كان يوردها اعتباطا دون ضابط او نظام . ولهذا جاءت الكلمات في الباب الاول على هذا النحو :

وقت - حين - اجل - اوان - ايان - دهر - حقب

ولهذا فنحن نستبعد هذا القسم من دائرة بحثنا .

اما قسم الافعال فقد اتبع فيه نظام الابنية ، ويتلخص منهجه فيما يأتي :

1 - قسم الافعال الى ثلاثة اقسام هي :

ا - الثلاثي المجرد

ب - الثلاثي المزيد

ج - الرباعي

والحق به قسما رابعا جمع فيه (من غير نظام) الافعال غير المتصرفة .

2 - قسم كل قسم من الاقسام الثلاثة الاولى الى ابواب :

1 - فقسم الثلاثي المجرد بحسب ماضيه مع مضارعه الى ستة ابواب والحق بها بابا سابعا للمبني للمجهول وهو باب فعل يفعل .

ب - اما الثلاثي المزيد فقد قسمه احد عشر بابا .

ج - واما الرباعي فقد قسمه الى خمسة ابواب .

- 4 - الخطوة السادسة في كتاب الفارابي تقابل الخطوة الرابعة في كتاب الزمخشري .
 5 - الاصل الثامن في ديوان الادب غير موجود عند الزمخشري .
 6 - كان الفارابي يفرد اقساماً خاصة لما جاءت منه الصفة على افعال فعلاء ولم يفعل الزمخشري ذلك .
 7 - هناك خلاف في ترتيب الابواب كما يتبين من هذه المقارنة :

مقدمة الادب

- 1 - فَعَلَ يَفْعِلُ
- 2 - فَعَّلَ يَفْعُلُ
- 3 - فَعِلَ يَفْعِلُ
- 4 - فَعَّلَ يَفْعُلُ
- 5 - فَعِلَ يَفْعُلُ
- 6 - فَعَّلَ يَفْعُلُ

- 1 - اَفْعَلُ
- 2 - فَعَّلَ
- 3 - فَاعَلَ
- 4 - اَفْتَعَلَ
- 5 - اَنْفَعَلَ
- 6 - اَفْعَلَّ
- 7 - اَفْعَالٌ
- 8 - تَفَعَّلَ
- 9 - تَفَاعَلَ
- 10 - اسْتَفْعَلَ
- 11 - اَفْعُوَعَلَ

- 1 - فَعَلَ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 2 - تَفَعَّلَ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 3 - تَمَفَعَّلَ .
- 4 - اَفْعَلَّ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 5 - اَفْعَلَّ .

ديوان الادب

الثلاثي :

- 1 - فَعَلَ يَفْعُلُ
- 2 - فَعَّلَ يَفْعِلُ
- 3 - فَعَّلَ يَفْعُلُ
- 4 - فَعِلَ يَفْعُلُ
- 5 - فَعَّلَ يَفْعُلُ
- 6 - فَعِلَ يَفْعُلُ

مزيد الثلاثي :

- 1 - اَفْعَلُ
- 2 - فَعَّلَ
- 3 - فَاعَلَ
- 4 - اَفْتَعَلَ
- 5 - اَنْفَعَلَ
- 6 - اسْتَفْعَلَ
- 7 - تَفَعَّلَ
- 8 - تَفَاعَلَ
- 9 - اَفْعَلَّ
- 10 - اَفْعَالٌ
- 11 - (وَضَعَهُ فِي الرَّبَاعِيِّ)

الرباعي والمَلْحَقُ بِهِ :

- 1 - فَعَلَ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 2 - تَفَعَّلَ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 3 - اَفْعَلَّ وَالْمَلْحَقُ بِهِ .
- 4 - اَفْعُوَعَلَ .
- 5 - اَفْعُوَعَلَ
- 6 - اَفْعَلَّ

أما القسم الخاص بالحروف فلا نجد له نظيراً في ديوان الأدب ، وهو مما يؤخذ على الفارابي . ومع هذا فليس لقسم الحروف في « مقدمة الأدب » أهمية كبيرة ، فهو قسم قصير جداً لم يعالج فيه الزمخشري الحروف معالجة اللغوي ، وإنما عالجها معالجة النحوي الذي يبحث عن الأثر الإعرابي ولذلك كانت أقسامه :

فصل في الحروف التي تجر الأسماء
فصل في الحروف التي تنصب الأسماء
فصل في الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر

وغير ذلك .

فهو عمل ناقص وجهد قليل .

وأما القسم الرابع الخاص بتصريف الأسماء ، والقسم الخامس الخاص بتصريف الأفعال فيتناولان موضوعات تمس النحو والصرف كالأعراب والبناء ، والتعريف والتكثير ، والأفراد والتثنية والجمع ، والتصغير ، والنسب ...

ولهذا لن نتعرض لهما لأنهما بعيدان عن موضوعنا .

— * —

وبعد :

فهذه دراسة مركزة لما علمت وصوله إلينا من معاجم الإبنية ، أرجو أن أكون قد أرضيت بها المنهج العلمي ، ووقفت أن القي الضوء فيها على هذا الجانب من المعاجم الذي لم يلق من الباحثين قديماً وحديثهم العناية الكافية .

1 - مصادر البحث

- 1 - الأفعال الثلاثية والرابعة لابن القوطية - ط ليدن سنة 1894 م .
- 2 - تاج المصادر لبوجمفرك (عربي) - مخطوطة دار الكتب المصرية .

يضاف إلى هذا وجود قسم للأفعال « غير المتصرفة » في « مقدمة الأدب » دون « ديوان الأدب » .

ومن هذا الجول نستخلص ما يأتي :

1 - أن الزمخشري لم يكن يخضع ترتيب الأبواب لنظام في ذهنه ، وإنما كان يضعها هكذا اعتباطاً حيثما اتفق ، بخلاف الفارابي فكان يقدم بعض الأبواب على بعض طبقاً للنظام الدقيق الذي شرحه في مقدمة معجمه سواء في ذلك أبواب المجرى أو المزيد .

2 - زاد الزمخشري قسماً للأفعال الجامدة .

3 - زاد الزمخشري قسماً للأفعال المبنية للمجهول .

4 - اعتبر الزمخشري بناء « افعل » من مزيد الثلاثي واعتبره الفارابي رباعياً .

5 - ذكر الزمخشري بناء « تمفعّل » ولم يذكره الفارابي .

6 - أهمل الزمخشري بناء « افعلول »

7 - اعتبر الزمخشري كلمات مثل « قوقا » و « جورب » و « قونس » من الرباعي المعتل العين بالواو فوزنها على هذا « فعلل » ، واعتبرها الفارابي من الملحق بالرباعي فوزنها « فوعل » .

ومن هنا نستبعد أن يكون الزمخشري قد تأثر بـ « ديوان الأدب » أو نظر إليه وهو يؤلف كتابه ، خاصة إذا نظرنا - بجانب ذلك - إلى الفوضى التي اتسم بها قسم الأسماء ، والأعمال على أن يتخلص من هذه الفوضى ويضيف إلى نظام الفارابي ما يتقدم بمعاجم الإبنية إلى الامام ، لا ما يرتد بها إلى الوراء . ولهذا فنحن لا نوافق الدكتور حسين نصار في قوله : « أن الزمخشري تأثر في كتابه خطى الفارابي في ديوانه ووضع كتابه على مثاله » (71) . وقوله : « أن الزمخشري في قسم الأفعال سار على نهج الفارابي مع بعض خلاف ضئيل » (72) . فالخلاف جوهرى والشقة واسعة والبون بين المعجمين شاسع .

(71) المعجم العربي 1 / 181 .

(72) المرجع 1 / 182 .

- 3 - تاج المصادر لبوجمفرك (عربي - فرنسي) - ط حجر بالهند سنة 1330 هـ .
- 4 - ديوان الادب للفارابي - مخطوطات دار الكتب المصرية .
- 5 - ديوان لغات الترك للكاشفري - ط دار الخلافة العلية سنة 1333 .
- 6 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري - مخطوطات دار الكتب المصرية بالاضافة الى طبعتي ليدن سنة 1370 والحلبي بمصر .
- 7 - فعلت وافعلت لابي حاتم - مخطوطة دار الكتب المصرية .
- 8 - فعلت وافعلت للزجاج - ط السعادة - ط اولى سنة 1325 (ضمن مجموعة)
- 9 - كتاب الافعال لابن القطاع - ط حيدر آباد سنة 1360 - ط اولى
- 10 - كتاب الافعال للسرقسطي - مخطوطة دار الكتب المصرية
- 11 - المصادر للوزني - مخطوطة دار الكتب المصرية .
- 12 - مقدمة الادب للزمخشري - مخطوطات دار الكتب المصرية .
- 2 - مراجع ثانوية
- 1 - ابنية الاسماء لابن القطاع - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية
- 2 - الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس - الطبعة الثالثة سنة 1961
- 3 - الاعلام للزركلي
- 4 - ابناء الرواة على ابناء النحاة للقفطي - ط دار الكتب المصرية
- 5 - بغية الوعاة للسيوطي - ط السعادة - ط اولى سنة 1326
- 6 - الخصائص لابن جني
- 7 - دستور اللغة لابي عبد الله الحسين بن ابراهيم النطشري - مخطوطة دار الكتب المصرية
- 8 - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة لابي الطيب اللغوي تحقيق محمد عبد الجواد .
- 9 - الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب - مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية نوفمبر سنة 1961 مجلد 7 جزء 2 للدكتور احمد مختار عمر
- 10 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف - ط اولى سنة 1943 .
- 11 - الفهرست لابن النديم - ط الرحمانية بمصر سنة 1348 .
- 12 - في النقد اللغوي - مقال بمجلة رسالة الاسلام السنة العاشرة العدد 2 للاستاذ علي التجدي ناصف .
- 13 - كتاب سيبويه - ط بولاق سنة 1316
- 14 - كتاب العين للخليل بن احمد - تحقيق الدكتور عبد الله درويش - الجزء الاول
- 15 - كشف الظنون لحاجي خليفة .
- 16 - محاضرات في علم اللغة للدكتور احمد مختار عمر - مطبعة كلية التجارة بالقاهرة 1967
- 17 - معجم الادباء لياقوت الحموي - ط الحلبي - تحقيق فريد رفاعي .
- 18 - المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش .
- 19 - المعجم العربي للدكتور حسين نصار - ط دار الكتاب العربي بمصر سنة 1956
- 20 - مقدمة الصحاح لاحمد عبد الغفور العطار - ط دار الكتاب العربي بمصر - ط اولى
- 21 - من اسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس - ط ثانية .
- 22 - النثر الفني في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك - ط دار الكتب - ط اولى - الجزء الاول .
- 23 - مقال للمستشرق كرتكو في ملحق مجلة J.R.A.S. عام 1924 بعنوان :
The Beginnings of Arabic Lexicography

- 24 - تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان
Brockelmann طبع Leiden (بالألمانية).
- 25 - رسالة الدكتوراة للدكتور محمد سالم الجرح
المحفوظة بـمدرسة لندن للدراسات الشرقية
والأفريقية بعنوان :
The "Ta", Infix and Prefix in Arabic
- 26 - كتاب بالإنجليزية لـ Haywood بعنوان :
Arabic Lexicography
- 27 - المعجمات العربية المختلفة مثل :
1 - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)
للجوهري .
ب - تهذيب اللغة للأزهري .
ج - لسان العرب لابن منظور .
د - القاموس المحيط للفيروزآبادي .
هـ - الجمهرة لابن دريد .
و - التكملة للصاغاني .



النحت قديماً وحديثاً

الأستاذ كيفورك ميناجيان
مراسل المكتب الدائم في موسكو

وهكذا نرى ان النحت كان معروفاً للعلماء
الاقدمين ، واهتموا به ، لكنهم لم يعطوه المجال
لينتشر ، او يصبح معترفاً به ، لان الآراء اختلفت
بخصوصه ولم يتحدثوا في استنتاج واحد . فقال
البعض من علماء اللغة : ان النحت يولد الفاظاً غريبة
على السمع معقدة ؛ وقال البعض الآخر : ان النحت
ضرب من ضروب الاشتقاق ؛ وقال فريق ثالث : ان
النحت قياس ؛ وقال رابع : انه مع كثرته عند العرب
غير قياسي . وكان بعض علماء اللغة الاقدمين لا
يبيحون النحت ، ويعتبرونه سماعياً . لكن الخليل بن
أحمد قال : « ان العرب تلجأ للنحت اذا كثر استعمالهم
للكلمتين ضموا بعض حروف احدهما الى بعض حروف
الآخرى » (4) . ولكن مهما جرى من نقاش واحاديث
بخصوص هذا النوع من وسائل تكوين مفردات اللغة
العربية ، لا يسعنا ان لا نتفق مع رأي الدكتور رمسيس
جورجس اذ يقول : « يدعى البعض ان النحت يأتي
بألفاظ غريبة على السمع ، معقدة تركيباً مستعظماً ،

النحت في اللغة العربية ظاهرة قديمة ، وهو
تكوين كلمة مركبة من كلمتين او اكثر او حتى من جملة ،
للدلالة على معنى مركب من معاني الالفاظ المتكونة
منها (1) . والنحت نوع من الاختصار ، لجأ اليه
الاقدمون ، وكان الداعي اليه عدم جواز اشتقاق كلمة
من كلمتين في اقيسة التصريف (2) . والنحت في
اللغة العربية يختلف عن مفهوم النحت في اللغات
الهند اوروبية . ويبدو ان الفرق بسبب البنيان
المورفولوجي المختلف للفصيلتين . وسنرى ذلك
فيما بعد .

لقد كتب في النحت كثير من علماء العرب (3)
امثال : ابن فارس في « فقه اللغة » و « المجمل » وذكر
وجوهه في كتاب « مقاييس اللغة » ؛ وأبو علي الظهير
في كتاب « تنبيه البارعين على المنحوت من كلام
العرب » ؛ وابن السكيت في « اصلاح المنطق » ،
والتبريزي في « تهذيبه » ، وابن مالك في « التسهيل »
... الخ .

(1) انظر للتفصيل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي « المزهري في علوم اللغة وأنواعها » ، الطبعة الثانية ،
القاهرة - 1908 .

(2) انظر ابن دحية « التنوير » نقلاً عن المزهري ، ص 483 .

(3) انظر رمسيس جورجس « النحت في اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث
عشر ، ص 63 .

(4) ابن منظور « لسان العرب » ، الجزء 14 ، ص 230 .

ونسوا اننا رغم تمسكنا بالدقة العلمية لا نطالب بتوضيحية
حلاوة الجرس ، ولا باستعمال النحت في الادب
والموسيقى والفنون ، بل نشدد في حصره في العلوم :
كالطب والكيمياء والطبيعات والرياضيات . . . الخ .
فلن يخشى الادباء فساد الشعر والغناء « (5) » .

ولا شك ان احد اساليب تطوير اللغات
الهند اوروبية هو النحت على اساس قوانينها الداخلية ،
فالهم ليس الشكل بل المحتوى ، فقد انتشر النحت
على طريقها التي لا مجال لبحثها هنا ، وتمكنت من
نحت مصطلحات تتكون من عشرات الاحرف وهي
مقبولة لديهم وسائرة ، ونذكر على سبيل المثال :

- | | |
|----------------------------|-----------------|
| (6) Glasfaserverstarkung | في الالمانية — |
| (7) Glubokozadneyazitchnly | في الروسية — |
| (8) Antiautomorphisme | في الفرنسية — |
| (9) Interriscaldamento | في الإيطالية — |
| (10) Octeochondrdystrophy | في الانجليزية — |
| (11) Otorinolarigoloyia | في اليونانية — |

ونحن نرى مما ذكرناه ان الالفاظ المنحوتة في
هذه اللغات الاوروبية طويلة، وربما كانت ثقيلة في النطق،
ومع ذلك لا يجزؤ احد على نقدها مهما كانت مكانته
العلمية ، لان الحاجة قد ادت الى ذلك ، ولم تجد هذه
اللغات او بالاحرى علماءها مخرجا آخر غير النحت في
هذه الحال . وقد ادت الحاجة باللغة العربية ايضا
لتلجأ الى النحت كما قلنا سابقا ، ولكن العلماء لجأوا
اليه بتحيز ولم يعطوه انطلاقا للتكاثر في القديم ، لذلك
نجد ان عدد الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية في
القديم حوالي مائة لفظ وربما اكثر بقليل .

وهذا النوع من توليد الالفاظ ينظر اليه في فقه
اللغة العربية التقليدي نظرة شاملة، حيث يبرز النحت،
كعملية شرعية لوضع الالفاظ في اللغة الفصحى .
ومع ذلك ، فموضوع النحت في اللغة الفصحى المعاصرة
ينال تفسيراً خاصاً .

لقد كتب م . ب . باناخي الاختصاصي في اللغة
العربية ، في بحث له عن هذا الموضوع يقول انه من
المسائل المتنازع عليها في فقه اللغة العربية المعاصرة .
فيرى تعقد المسألة في انه لم تعين حدود
مسألة الالفاظ المنحوتة (12) .

ويعتبر كاتب البحث « ان المحققين هم اولئك
النحاة العرب الذين يقسمون الالفاظ المنحوتة الى
« مزجي » ، « اضافي » ، « اسنادي » . . » (13) .
وهو يقترح اعتبارها من الالفاظ المنحوتة .

ومثل هذا التفسير لنظرة قواعد اللغة العربية ،
يبعث معارضة جدية . لان النحاة العرب ، كانوا
يعتبرون الشكل « المزجي » ، « الاضافي » ،
« الاسنادي » وغيره من الاشكال ، كأنواع مختلفة من
الالفاظ المركبة ، وليست انواعا مختلفة للنحت .
وكانت تعتبر الالفاظ المنحوتة ، مركبات من النوع
« المزجي » ، حيث لا تكون المركبات بنية نحوية
نراها في المركب « الاضافي » بل وحدة لفظية جديدة .
ومهما كان من امر فهو عبارة عن تركيب كلمتين او
اكثر . ولهذا السبب بالذات يعتبرها النحاة العرب
« مركبات » من نوع خاص . وتنحصر ميزتها في انها
تؤدي في اللغة وظيفة (مورفولوجية ونحوية) كالالفاظ
منفردة ، على خلاف الانواع الاخرى من المركبات التي
هي عبارة عن بنية نحوية .

- (5) رمسيس جرجس « النحت في اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية في ج . ع . م . ، الجزء
الثالث عشر ، القاهرة ، 1961 ، ص 62 .
- (6) W. Dawydoff und H. Howorka "Hochpolymere", Technik-Worterbuch. Berlin, 1969, p. 326
- (7) ا . س . اخمانوفا ، معجم المصطلحات اللغوية ، بأربع لغات ، موسكو ، 1966 ، ص 109 .
- (8) م . ف . دراجنيف ، م . ا . جاروف ، ن . خ . روزوف ، معجم المصطلحات الرياضية ، فرنسي -
روسي ، موسكو ، 1970 ، ص 27 .
- (9) ي . ب . كيرجينفيتش ، معجم السيارات ، ايطالي - روسي ، موسكو ، 1969 ، ص 149 .
- (10) م . ب . مولتانوفسكي ، ا . ي . ايفانوف ، المعجم الطبي ، انكليزي - روسي ، ط 2 ، موسكو ،
1969 ، ص 481 .
- (11) خاري باتس . معجم المعاني والكتابة الصحيحة للغة المعاصرة ، اثينا ، 1965 ، ص 808 .
- (12) م . ب . باناخي « عن مقاييس الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية » السامية ، موسكو ، 1965 ، ص ص
145 - 151 .
- (13) نفس المرجع ، ص 146 .

ويجب الذكر هنا ان هناك في فقه اللغة العربية المعاصر حلا بخصوص تحديد الالفاظ المنحوتة . ويعتبر ب. م. جراندي الالفاظ المنحوتة كنوع خاص لظاهرة وضع الالفاظ . ولكنه لا يعتبر النحت من ميزات اللغات السامية ، ويؤكد ان « الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية الفصحى نادرة جدا .. » (14) . ويبدو ان هذا المبدأ النظري مبني على اساس مواد محدودة جدا ، أي على اساس المواد القديمة دون دراسة اللغة العربية المعاصرة . ولا يجوز اعتباره مدعما ، لان التحديث يدور حول طبيعة اللغة العربية الفصحى ككل .

ويدعو للشك ايضا اعتقاد ب. م. جراندي بأن الالفاظ المنحوتة « تتكون احيانا من كلمات مركبة تحت تأثير اللهجات العامية » (15) .

ان توليد كلمات جديدة عن طريق النحت له جذور بعيدة في تاريخ تطور البنيان المورفولوجي للغة العربية الفصحى .

ونحن نقسم النحت الى نوعين : تركيب نحتي ، و تركيب مزجي ، كتصنيف بعض العلماء العرب ، وهي في رأينا ، وجهة النظر الصحيحة من حيث التصنيف المورفولوجي . والنوعان يلتقيان في معنى واحد أي استخلاص كلمة واحدة من اكثر من اصل واحد ، والفرق بينهما في طريقة هذا الاستخلاص ، فالتركيب النحتي هو استخلاص كلمة من كلمتين او اكثر باقتطاف بعض الاجزاء (قد يكون حرفا او اكثر او ربما مقطعا) . والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعمل متجاورتين كلمة واحدة ، يكون المعنى مستخلصا من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الاصلان الملازمان كل منهما على حدة (16) .

يقول بعض العلماء انه ليست هناك قواعد واضحة للنحت ، أي ان الحروف تنتزع من كل كلمة لتوليد الكلمة المنحوتة . ولكن في رأينا ان هذا غير صحيح ،

فمن يدرس الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية قديما وحديثا سيجد قواعد . وقد قام بترتيب وابطاح هذه القواعد واستخلاصها في القديم الدكتور رمسيس جرجس عضو مجمع اللغة العربية في الجمهورية العربية المتحدة .

وذكرها في بحثه « النحت في اللغة العربية » (17) وهو بحث قيم جدا في الالفاظ المنحوتة قديما في رأينا ، عرضه على مجمع اللغة العربية ، وقد احيل بحثه الى لجنة الاصول لدراسته . يقول الدكتور رمسيس جرجس في بحثه . « ولم توضع للنحت قواعد حتى الآن ، لذلك استقرت مناهج العرب في النحت وخرجت منها بهذه القواعد » (18) . وقد استخرج فعلا كل القواعد اللازمة للنحت في اللغة العربية قديما ، ومن يقرأ هذا البحث سيجد كل الاسس للتعلم ودراسة موضوع النحت ، لانه يدرسه ويعرضه بكل تفصيل ويذكر الامثلة اللازمة والمراجع ومتون اللغة . ولكن في رأينا انه غير كاف لسد حاجات عصرنا ، بل ايامنا هذه لانه لم يتطرق الى النحت حديثا في المصطلحات له مفهوم اوسع من النحت في اللغة (المقصود هنا مفردات اللغة) .

ونحن في بحثنا هذا سنحاول ان نذكر القواعد العامة والانواع الهامة للنحت في اللغة العربية من وجهة نظر علم المصطلحات ، وسنحاول ان نكشف الامكانيات الكامنة والاتجاهات المعاصرة لعلنا نصل الى نتيجة حميدة لتطور النحت في المستقبل . وهذه اول تجربة من نوعها في دراسة النحت حديثا ، قد تلفت نظر المختصين والمهتمين ولعله يفيد او يكون بداية لنهاية ناجحة .

النحت في اللغة العربية على انواع ومستويات تاريخية ، لذلك سنحاول تقسيمها وتصنيفها :

من حيث الزمن التاريخي :

- 1 — قديما
- 2 — حديثا

- (14) ب. م. جراندي « الالفاظ المنحوتة في اللغات السامية » . كتاب اللغات السامية ، موسكو ، 1965 ، ص 144 .
- (15) نفس المرجع ، ص ص 144 - 145 .
- (16) انظر مهدي المخزومي « مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1958 ، ص 208 .
- (17) انظر رمسيس جرجس « النحت في العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية في ج. ع. م. ، الجزء الثالث عشر ، 1961 ، ص ص 61 - 76 .
- (18) نفس المرجع السابق ، ص 63 .

من حيث النوع :

1 - تركيب نحوي

2 تركيب مزجي

وكل من هذه الانواع له تصنيفاته وتفرعاته ، ولنحاول دراسة وعرض ذلك .

نقصد بالنحت قديما ، ما نحت العرب حتى بداية عصر السواد ، وتقصد بالنحت حديثا ما نحت العلماء في عصر النهضة الحديثة وبصورة خاصة النصف الثاني من القرن العشرين .

وما نسميه بالتركيب النحوي هو توليد كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا يبقى الشكل الاولي سليما من اي من الكلمات المنحوتة . وهذا على انواع .

اما ما نسميه بالتركيب المزجي فهو تركيب كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا تفقد اية كلمة حرفا من اصلها بل تلحق الي بعضها البعض وتكتب ككلمة واحدة . وهذا ايضا على انواع .

النحت قديما

اذا درسنا الالفاظ المنحوتة قديما في اللغة العربية ، نرى انها اما رباعي او خماسي او سداسي او سباعي لا غير ، وهذه ميزة يبدو انها تكون طبيعية لصعوبة قبول اللغة قديما اكثر من السباعي ، فالعرب كانوا يعتبرون ذلك ثقلا على السمع وصعبا على اللسان . فنذكر فيما يلي امثلة من هذه الانواع :

1 - الرباعي وهو اكثرها شيوعا :

(ا) تكون على وزن « فعلل »

مثل :

القصب - القوى الصلب (19) .

(ب) وعلى وزن « فعلل »

مثل :

الصلدم - الصلد والصدم ، بمعنى الشديد الحافر (20) .

2 - الخماسي ، مثل :

الصهصلق - سهل وصلق وكلاهما بمعنى الشديد من الاصوات (21) .

3 - والسداسي ، مثل :

البلهجوم - من بني الهجيم (22) .

4 - والسباعي ، مثل :

البلخيثة - من بني الخيثة (23) .

هذا من حيث البنية . اما من حيث النوع فهي على انواع اهمها الانواع الثلاثة التالية (24) :

1 - نحت من جملة للدلالة على التحدث بهذه الجملة . هناك في اللغة العربية جذور ، تكونت في اللغة العربية عن طريق اختصار جملة بكاملها (25) .

مثال :

يسمل - باسم الله الرحمن الرحيم

حملل - الحمد لله

حوقل - لا حول ولا قوة الا بالله ... الخ .

ومنها البسمة والحمدلة والحوقلة . وهذا النوع مستحدث في الاسلام .

2 - نحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف

اليه للنسب الي هذا العلم او للدلالة على الاتصال به

بسبب ما ، نحو :

عشى - من عبد الشمس

(19) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 - 1956 ، الجزء الثاني ، ص 171 .

(20) أبو منصور الثعالبي « فقه اللغة » ، ط 15 ، بيروت ، 1938 ، ص 578 .

(21) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 - 1956 ، الجزء الثاني عشر ، ص 76 .

(22) المرجع السابق ، الجزء الثاني ص 442 .

(23) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص 114 .

(24) علي عبد الواحد وافي « فقه اللغة » ، القاهرة ، 1968 ، ص ص 180 - 183 .

(25) ب. م. جراندي ، « دراسة القواعد العربية على ضوء المقارنة التاريخية » ، موسكو ، 1963 ، ص ص 61 ، 62 .

عبقسى — من عبد القيس

مرقسى — من امرىء القيس . الخ .

وهذا النوع قليل فى اللغة حصرنا منها ثمانية الفاظ (26) .

طبق (بتقديم الباء على اللام) من اطال الله بقاءك ، وقياسها « طبق » ، او حوّل (بتقديم القاف على اللام) من لا حول ولا قوة الا بالله ، وقياسها حولق .

ثالثا — لا يشترط التزام الحركات والسكنات الاصلية ، مثل :

بعثر : من بعث وثار .

رابعا — يصاغ من وزن فعلل ، بتكرير المقطع الاول ، مثل :

بابأ — بأبى انت وامى .

نرى مما عرض اعلاه ان النحت كان موجودا فى اللغة ، واهتموا به ان لم يكن بكثرة وعمق . ونعتقد ان السبب يعود اولاً الى العدد الضخم من المفردات التى كانت فى حوزة العلماء فى الماضى ووسائل الاشتقاق والصيغ . الخ ، والثانى هو ان العلوم لم تكن منتشرة ومتطورة كما هي اليوم ، وبالتالي كانت متطلبات المصطلحات محدودة .

ان العالم يواجه اليوم تطورا عاصفا للعلوم والصناعات ، لذلك تقوم امامه مشكلة من اكبر مشاكل عصرنا فى وضع المصطلحات العلمية والتكنولوجية . لان العلوم والتكنولوجيا تتطور بسرعة لا يتصورها العقل وتشق الى فروع اضيّق ، الى جانب العدد الفير من العلوم الحديثة المولّد ، وكل ذلك يحتاج الى مصطلحات لا تعد ولا تحصى للتعبير عن المسميات والمفاهيم والاساليب الجديدة . وعلم المصطلحات ما زال عاجزا عن اللحاق بهذا التسارع الخطير . ونحن نعلم النتيجة التى قد نصل اليها اذا لم نسرع الى وضع ما هو ضروري من مصطلحات ، ولا شك ان العدد الكبير للمصطلحات يحتاج الى اساليب اوسع ، ويبحث العلماء طرائق ووسائل من هذا المازق فيلجأون الى شتى الوسائل القديمة منها والجديدة .

طبعاً كل ما قلناه سابقا ينتشر على اللغة العربية ايضا كلفة حية وفى تطور مستمر ، بل مشكلة اللغة العربية اكبر ، لان التخلف العلمى والتكنولوجى بالنسبة

3 - نحت كلمة من اصلين مستقلين ، او من اصول مستقلة للدلالة على معنى مركب فى صورة ما من معاني الاصول . وهذا النوع نجده بكثرة فى اللغات الهنداورية ، وخاصة اللغات الحديثة منها ، ولكنه نادر فى فصيلة اللغات السامية بصورة عامة . ولا تختلف اللغة العربية فى هذا عن اخواتها السامية . اذ ان المفردات العربية المنتزعة من اصلين مستقلين او اصول تزيد عن اثنين ، لا تتجاوز بضع عشرات ، ومعظمها على اساس ظني . نذكر فيما يلى بعض الامثلة :

قال الخليل ان « لن » منتزعة من « لا » و « ان » وانها تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لاصليها .

وقال الفراء ان « هلم » من اصل « هل » (هل لك فى كذا ؟) و « ام » (بمعنى اقصد وتعال) . وقال البعض انها مركبة من « هاء التنبيه » و « لم » بمعنى ضم .

وقال بعض العلماء ان « لكن » منحوتة من « لا » و « كان الخطاب » ، و « ان » فحذفت همزة ان وجعلت كلمة واحدة للدلالة على معنى الاستدراك (27) .

وقال بعض العلماء ان كثيرا من الكلمات الرباعية والخماسية التى لا نشك فيها قد تألفت على اساس النحت (28) . فمثلا « دحرج » من اصل « دحر فجرى » ، و « هرول » من اصل « هرب وولى » . الخ .

وقد استخراج رمسيس جرجس قواعد للنحت فى العربية قديما بعد دراسة المفردات المنحوتة فى متون اللغة ، نذكرها فيما يلى بايجاز ، وحسب التصنيف التالى :

اولا — اجازوا الاخذ من كل الكلمات او بعضها .
ثانيا — يلاحظ اعتبار ترتيب الحروف الاصلية ، وما عدا ذلك فهو شاذ ، مثل :

- (26) وهي : عبشمى ، عبدرى ، مرقسى ، عبقسى ، قيلمى ، رسمنى ، حصكفى ، دربخى .
(27) انظر ابن فارس ، « الصحاح » ، ص 141 - 146 . نقلا عن على عبد الواحد وافى ، « فقه اللغة » .
(28) منهم ابن فارس . راجع الصحاح ، ص 227 ، وحسن حسين فهمي « المرجع فى تعريب المصطلحات » ، القاهرة ، 1958 ، ص 297 .

انماء وتطوير المصطلحات فى اللغة العربية ، على شرط ان يستخدم بصورة صحيحة مقبولة ولا تتنافى مع قواعد اللغة العربية وذوقها . وهنا نذكر ان الحديث يجري عن تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وليس اللغة الادبية .

لا شك ان الحياة تجبر وتستجبر الاختصاصيين على استخدام وتوسيع النحت مع ان هناك معارضة لا مبرر لها . فمثلا لجأ الى النحت الامير مصطفى الشهابى الرئيس السابق للمجمع العلمى العربى فى دمشق وعضو مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وهو يعتبر من رواد تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية ومن علماء المعجمات فى العالم العربى ، لكنه كان حذرا فى ذلك لدرجة انه اضطر الى معارضة نفسه او التردد فى ابداء الراى بهذا الخصوص . فيقول الامير الشهابى فى كتابه « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « لم الجأ الى النحت الا نادرا » (31)

مثل :

لبأرز — من لبنان وأرز (32)

تحتربة — من تحت والتربة (33)

ومع ان الامير مصطفى الشهابى يقول انه لم يلجأ للنحت الا نادرا نراه يقول فى نفس الصفحة من كتابه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « ونحن فى حاجة الى النحت فى ترجمة بعض الاسماء العلمية . ولكن النحت يحتاج الى ذوق سليم خاص » (34) .

وللنحت معارضون ومؤيدون ، فالبعض رآى فى قرار مجمع اللغة العربية اباحة للنحت ، فراحوا يكترون من النحت على حسب مشيئتهم دون تعمق . والبعض يتزمت له ولا يسمح به الا نادرا فى الحديث . وهناك فريق ثالث يضع النحت بلا قيود وشروط

يقول مصطفى الشهابى رئيس المجمع العلمى العربى فى الجمهورية العربية السورية وعضو مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فى بحث

للبلدان المتطورة يزيد صعوبة المشاكل القائمة امام المصطلحات العربية . فهناك مصطلحات فى اللغات الاجنبية — الاوربية خاصة — لا مقابل لها فى العربية ، وهذا الى جانب ما يتولد يوميا بل كل ساعة من مصطلحات جديدة فى اللغات المذكورة فأصبحت احتياطات اللغة العربية من المفردات لا تكفى ولذلك يلجأ العلماء العرب والمجامع العربية الى وسائل عديدة لتوليد ووضع المصطلحات ومنها طبعا النحت . فالضرورة العلمية هي التي اجبرت العلماء وواضعي المعاجم على اللجوء الى النحت ، وخاصة وان النحت منتشر فى اللغات الاجنبية التي ينقلون منها الى العربية . بل نقول ان النحت فى اللغات الهنداورية هو الشائع .

ان امام واضعي المصطلحات حلين : اما اللجوء الى النحت مع مراعاة ذوق اللغة ووضع قواعد لها الى جانب القواعد الموجودة ، وتطوير هذا الاسلوب ، او ان تقدم بدل المصطلحات العلمية الصحيحة ، مصطلحات وصفية او تعريفية للمصطلح يتكون من عدة كلمات بل ربما من جمل وتفسيرات مطولة تنفر منها اللغة العلمية ولا ترضى العلماء والاختصاصيين ، بل ولا تلبى الحاجة ، ثم لا يجوز ان نسميها مصطلحات ، لان المصطلح يجب ان يكون كلمة واحدة .

وقد احدثت الضرورة العلمية فى عصرنا على اللجوء الى النحت ووضع واستنباط انواع جديدة له من اجل تلبية الحاجات المتزايدة للعلم والتكنولوجيا ، ولا سيما اللحاق بتطور اللغات الاجنبية فى مجال المصطلحات وخاصة المصطلحات المنحوتة التي تضم اكثر من اصل واحد . ولذلك اتخذ مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة قرارا (29) بهذا الخصوص جاء فيه : « يجوز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية » (30) . ومع ان القرار يحمل طابعا فيه شيء من التحيز ، الا ان علماء عصرنا تصرفوا فيه وطوره مع انه ما زال ضعيفا ، ونحن نأمل انها البداية وفيما بعد سيجد النحت طريقا يشقه من بين وسائل

(29) صدر القرار فى الجلسة الحادية عشرة ، الثانية عشر للدورة الرابعة عشرة من مؤتمر مجمع اللغة العربية فى ج . ع . ٢٠٠٤ .

(30) مجمع اللغة العربية ، مجموعة القرارات العلمية ، القاهرة ، عام 1963 ، ص 9 .

(31) مصطفى الشهابى « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، دمشق ، 1965 ، ص 18 .

(32) مصطفى الشهابى « معجم الالفاظ الزراعية » ، القاهرة ، 1957 ، ص 390 .

(33) المرجع السابق ، ص ص 607 ، 611 .

(34) مصطفى الشهابى « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، ص 18 .

ولكن المستعمل = قصبر سنفدمى (38) .

ولا شك ان اللجوء الى النحت يسهل النسب الى المصطلح او اشتقاق نظام كامل للمصطلح . ونعتقد ان الدافع الى اللجوء الى النحت هو تهرب العلماء من وضع المصطلحات المطلوبة التي تتكون من عدة الفاظ ، متأثرين في ذلك بينيان المصطلحات في اللغات الهنداورية .

ونذكر هنا ان طول المصطلح يعتبر من العيوب الجدية في كل اللغات . فلقد جاء في كتاب « كيف نعالج المصطلحات العلمية والتكنولوجية » في فصل عيوب المصطلحات : « اولا ، يختل الاقتصاد النظقي وبالتالي الاقتصاد الفكري . ثانيا : تظهر امكانية السقوط : فعندما يكون المصطلح طويلا جدا يحدث سقوط الالفاظ البينية او الاخيرة للعناصر الاصطلاحية » (39) .

لذلك فالنحت اليوم ضرورة ملحة ، تدفعنا اليه الحاجة العلمية والتطور العاصف للعلم والتكنولوجيا والترجمة العاصفة للمؤلفات العلمية والتكنولوجية الى العربية . والدليل القاطع على هذه الضرورة الملحة ، هو ان الكثير من العلماء العرب والمستشرقين قد لجأوا الى النحت على اختلاف اشكاله ، ووضعوا مصطلحات منحوتة في المعاجم الحديثة ، وقلما نجد معجما حديثا يكون خاليا من المصطلحات المنحوتة ، نذكر منها مثلا :

— مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها مجمع اللغة العربية .

— مصطلحات علمية ، لمحمد صلاح الدين الكواكبي ، دمشق ، 1956 .

— معجم الجيولوجيا ، لمجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1965 .

له بعنوان « مدى النحت في اللغة العربية » : ان البعض ممن لم يختصوا بعلم ولم يطلعوا كما يجب على خصائص اللغة العربية ينحتون الفاظا عجيبة لا تقبلها النفس ولا السمع ، وخاصة وان لها نظائر في اللغة معمولا بها ، منها مثلا :

غشجنيات hyménoteres والمستعمل
غمديات الاجنحة

او قبتاريخ préhistoire والمستعمل
قبل التاريخ (35)

طبعاً ، لا يصح ان نستنتج مما قلناه ان مصطفى الشهابي يمنع النحت منعا قاطعا ، بل ينتقد بعض المؤلفين الذين يلجأون اليه بلا ضرورة ، « فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف اننا بحاجة الى النحت ... » (36)

وهنا نذكر ان الاختصاصيين العرب يلجأون عادة الى اللغات الاجنبية ليضعوا المصطلحات العربية (وخاصة اللغات الاوربية ، مثل : الانجليزية والفرنسية .. الخ) . ونحن نعلم ان البنيان المورفولوجي للغات المذكورة التي يستعير منها العرب يسمح بان يضم المصطلح المتكون من لفظ واحد عدة عناصر اصطلاحية . وتقل هذه العناصر الداخلة في لفظ واحد الى العربية معناه ان يترجم كل عنصر الى لفظ عربي . فتكون النتيجة ان مصطلحا يتكون من عنصرين اصطلاحيين في لفظ واحد ، سينقل الى العربية بلفظين ، واذا كان المصطلح من ثلاثة عناصر اصطلاحية في لفظ واحد فسينقل الى العربية بثلاثة الفاظ ، وهلم جرا . مثال على ما ذكرناه :

كان سينقل - بترولي كيميائي

ولكن المستعمل - بتروكيميائي (37) .

كان سينقل = قصبى رسفى قدمى -

(35) مصطفى الشهابي « مدى النحت في اللغة العربية » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1959 ، المجلد 34 ، الجزء الرابع ، ص ص 545 - 554 .

(36) المرجع السابق ، ص 48 .

(37) القطاع الحكومي للبتروكيميا « البترول في الجمهورية العربية المتحدة » ، القاهرة ، 1960 ، ص 425 .

(38) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان « معجم المصطلحات العلمية » ، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .

(39) لجنة المصطلحات العلمية والفنية لدى اكااديمية العلوم السوفيتية . « العمل في مجال المصطلحات » ، موسكو ، 1968 ، ص 12 .

التركيب النحسي :

فى الحديث هو توليد مصطلح مركب من كلمتين أو أكثر تشترك فيه كل الالفاظ المنحوتة منها ، ويقتصر على المصطلحات التعريفية المركبة ولا تشترك فيه جمل من أربع أو خمس أو ست كلمات ، وتشترك فى اللفظة المنحوتة جميع الكلمات ، على خلاف النحت قديما .

ونرى بعد دراسة الالفاظ المركبة نحتا فى الحديث انها على انواع مختلفة ، لذلك سنحاول تصنيفها من حيث الاصل والبنيان كالتالى :

1 — تركيبها من حيث الاصل

2 — تركيبها من حيث البنيان

تركيبها من حيث الاصل : — هو تصنيفها حسب اصل الكلمات المنحوتة منها وهي على ثلاثة انواع :

(1) التركيب النحسي الخاص —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها من اصل عربي ، مثل : لبارز (من لبنان + راز) .

(2) التركيب النحسي الخليط —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها من اصل عربي ودخيل ، مثل : كهرفنطيسي (من كهرياء + فنطيسي) .

(3) التركيب النحسي الدخيل —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها دخيلة مثل : ايدروجيولوجيا (من ايدروليكي + جيولوجيا) تركيبها من حيث البنيان : هو تصنيفها ووضع صيغ لها ينطبق ببنائها مع الصيغ على اختلاف اشكالها . وهذا النوع على شكلين :

الاول — غير متناسق ، اى ان الحروف المأخوذة من الالفاظ المنحوتة منها على غير انتظام معين من حيث تركيبها فى الكلمة ، لذلك حاولنا ان نطبق صيفا خاصة بها للاهتمام . ومن هذا النوع ، ذو عنصرين ، ذو ثلاثة عناصر .

— معجم المصطلحات العلمية ، لعبد العزيز محمد ومحمود عبد الرحمن البرعي ، وحسن محمد ربحان ، القاهرة ، 1965 .

— معجم المصطلحات الفنية ، القوات المسلحة ، ج . ع . م . ، القاهرة ، 1967 .

— المورد ، لمنير البعلبكي ، بيروت ، 1969 .

— معجم الالفاظ العلمية ، شركة شل ، بيروت ، 1960 .

— معجم الالفاظ الزراعية ، مصطفى الشهابي ، القاهرة ، 1957 .

وغيرها الكثير من المعاجم التي لا مجال لذكرها الآن .

وفى رأينا انها ناجحة وتلبي متطلبات العلوم ولا تسيء الى اللغة العربية الا فى عدد ضئيل منها ، نعتقد ان نحتها لا مبرر له مثال :

عشم (40) : بدل « عباد الشمس » ، ذلك النبات المشهور بهذا الاسم .

قوزح (41) : « قوس قزح » المشهور قديما وحديثا .

ومما يجعل النحت فى زيادة مستمرة هو ان الكثير من المصطلحات الاجنبية التي ينقلون او يترجمون منها منحوتة فى الاصل . ولكيلا تحدث اخطاء او فوضى فى اسلوب وضع المصطلحات المنحوتة ، يجب على المختصين ان يضعوا قواعد ثابتة ليلجا اليها كل من يهتم بالنحت .

وسنقوم الآن بدراسة تحليلية للمصطلحات المنحوتة حديثا ، لتصنيفها وترتيبها وايجاد اصول وقواعد للاساليب والاتجاهات التي يتبعها المحدثون فى ايماننا ، لان المختصين قد درسوا النحت قديما ولكنهم لم يدرسوه حديثا .

النحت حديثا

النحت حديثا على نوعين :

1 — التركيب النحسي

2 — التركيب المزجي

(40) محمد صلاح الدين الكواكبي ، مصطلحات علمية ، دمشق ، 1956 ، ص 145 .

(41) المرجع السابق ، ص 89 .

1 - الرباعي :

- (أ) على وزن « فعمل »
 فعل + فعل = فف... + ... فعل ، مثال :
 خلخل (42) = خل + عمل (خلل + ع ل)
 oxymel
- (ب) على وزن « فعمل » ولكن من :
 فعل + فاعل = فف... + ... فعل ، مثال :
 جوتل (43) = جوز + مائل (جوز + ما ل)
 datura
- (ج) على وزن « فعمل »
 فعالة + فعل = فف... + ... فعل ، مثال :
 حنمر (44) = حنالة + حمر (حنالة + حمر)
 vinasse
- (د) على وزن « فلفع »
 فعل + فعل = ف... ل + ... فع ، مثال :
 عنشم (45) = عين + شمس (عين + شم س)
 opale
- (هـ) على وزن « ففعل »
 فعل + فاعل = فف... + ... فعل ، مثل :
 سمرقط (52) = سمك + أرقط (سمك + أرقط)
 truite
- (و) على وزن « ففعل »
 فعل + فعل = فف... + ... فعل ، مثل :
 حلمر (53) = حلو + مر (حلو + مرر)
 douce-amère
- (ز) على وزن « ففعل »
 فعل + فعل = فف... + ... فعل ، مثل :
 تشاكب (47) = تشابه + تركيب (تشابه + تركيب)
 homologie

2 - الخماسي :

- (أ) على وزن « تفاعل »
 تفاعل + تفاعل = تفاف... + ... عل ، مثال :

- (42) محمد صلاح الدين الكواكبي « مصطلحات علمية » ، الطبعة السابعة ، دمشق ، 1956 ، ص 111
- (43) المرجع السابق ، ص 49 .
- (44) المرجع السابق ، ص 150 .
- (45) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .
- (46) المرجع السابق ، ص 82 .
- (47) المرجع السابق ، ص 81 .
- (48) المرجع السابق ، ص 63 .
- (49) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .
- (50) المرجع السابق ، ص 79 .
- (51) المرجع السابق ، ص 17 .
- (52) المرجع السابق ، ص 147 .
- (53) المرجع السابق ، ص 58 .

(ج) على وزن « فمفعل »

فعل + فعل = فع - فع ... + فعل ، مثل :
رجوز (54) = رجل + وز (رجل + وز ز)
chénopode

(د) على وزن « فلعليل »

فعل + فعليل = ف ... ل + ... ليل ، مثل :
شمزير (60) = شحم + خنزير (شحم
+ خنزير)
axonge

3 — السداسي :

(أ) على وزن « متفاعل »

متفاعل + مفاعل = متفا ... + ... عل ، مثل :
متماصف (55) = متماثل + منتصف (متماثل
+ منة ص ف)
mésomère

وكذلك على وزن « متفاعل »

متفاعل + متفاعل = متفا ... + ... عل ، مثل :

متماثر (56) = متماثل + متكاثر (متماثل
+ متكاثر)
polymère

(ب) على وزن « مفعلة »

مفعلة + مفعلة = مفع ... + ... علة ، مثل :
محوجة (57) = محولة + مرجعة (محوولة
+ مرجعة)
transformateur-réducteur

(ج) على وزن « فعلليل »

فعل + فعليل = فعل ... + ... عيل ، مثل :
غولثير (58) = غول + اثير (غول + اثير)
alcool-éther

وكذلك على وزن « فعلليل »

فعل + فاعيل = فعل ... + ... عيل ، مثل :
حمضثيل (59) = حمض + مائيل (حمض
+ مائيل)
acide-alcool

(هـ) على وزن « فعللون »

فعل + فعلون = فعل ... + ... لون ، مثل :
حمضلون (61) = حمض + خلون (حمض
+ خلون)
acide-cétone

(و) على وزن « فععلان »

فعليل + فععلان = فع ... + ... علان ، مثل :
دميوان (62) = دمي + حيوان (دمي
+ حيوان)
hématozoaire

4 — السباعي :

(أ) على وزن « فلعلليل »

فعل + فعلليل = فعل ... + ... ليل ، مثل :
فحمائيل (63) = فحم + مائيل (فحم
+ مائيل)
carboxyle

5 — الثماني :

(أ) على وزن « فاعلية »

فاعلة + فعلية = فاء ... + ... لية ، مثل :
شارسية (64) = شاردة + سلبية (شاردة
+ سلبية)
anion

(ب) على وزن « فعمليات »

فعليل + فعوليات = ... + ... ليات ، مثل :

(54) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 440 .

(55) المرجع السابق ، ص 99 .

(56) المرجع السابق ، ص 116 .

(57) المرجع السابق ، ص 146 .

(58) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 16 .

(59) المرجع السابق ، ص 9 .

(60) المرجع السابق ، ص 27 .

(61) المرجع السابق ، ص 10 .

(62) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 78 .

(63) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، 1955 ، ص 120 .

(64) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 22 .

(ب) من عنصرين - تؤخذ ثلاثة أحرف من الكلمة الأولى ، وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كهرضوئي (70) = كهربائي + ضوئي

جيوفيزيائي (71) = جيولوجي + فيزيائي

(ج) من عنصرين - تؤخذ أربعة أحرف من الكلمة الأولى وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كيميفيزياء (72) = كيمياء + فيزياء

بتروكيميائي (73) = بترولي + كيميائي

(د) وهناك الفاظ منحوتة لا قاعدة واضحة لها ولا نظام بل تنحت على السمع (سمعا) وفق ذوق الواضع ، مثل :

صيرفي (74) = صيفي + خريفي
estivo-automnal

بلمهة (75) = بلا + ماه
anhydridiser

بلغز (76) = بلا + غاز
dégazer

حلماة (77) = حلل + بالماء
acetolyse

مافوسجية (78) = ما + فوق + بنفسجية
ultra-violet

وغير ذلك .

شبلريات (65) = شبيه + بلوريات (شبيهة + بلوريات)
cristalloïdes

ذو ثلاثة عناصر :

1 - الثماني :

(أ) على وزن « لا متفاع »
لا + متفاعل + فعل = متفاع .. + فع .. ، مثل :

لا متشابه (66) = لا + متشابه + جهة (لا + متشابه + جهة)
anisotrope

الثاني - متناسق ، لم نضع له صيفا لانه منتظم ، فيؤخذ بعض احرف الكلمة الاولى بشكسل مرتب (متوالي) ثم يلحق بالكلمة الثانية التي تبقى سليمة ، وتصبح الاحرف الماخوذة من الكلمة الاولى بمثابة صدر . ويمكننا ان نسميه بالتركيب المزجي الناقص . ويكون على انواع ، حصرنا منها :

من عنصرين - يؤخذ حرفان من الكلمة الاولى ، وتكونان عادة ظرف مكان ، وتبقى الثانية سليمة مثل :

تحتربة (67) = تحت + تربة
sous-sol

فوجزيئي (68) = فوق + جزئي
supermoléculaire

دومجھري (69) = دون + مجھري
submicroscopique

(65) المرجع السابق ، ص 48 .

(66) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق 1956 ، ص 22 .

(67) مصطفى الشهابي ، « معجم الالفاظ الزراعية » ، ط 2 ، القاهرة ، 1957 ، ص 607 ، 611 .

(68) منير البعلبكي « المورد » ، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 932 .

(69) المرجع السابق ، ص 923 .

(70) طاهر تريدار ، « امتصاص الضوء » ، اسبوع العلم الاول ، نيسان 1960 ، الكتاب الثاني ، القاهرة ، 1961 ، ص 140 .

(71) كيفورك ميناجيان ، « المعجم الفني » ، روسي - عربي ، موسكو ، 1967 ، ص 42 .

(72) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1956 ، ص 41 .

(73) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 678 .

(74) صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1965 ، ص 66 .

(75) المرجع السابق ، ص 21 .

(76) المرجع السابق ، ص 52 .

(77) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 441 .

(78) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، دمشق ، 1954 ، ص 97 .

التركيب المزجي

هو توليد مصطلح من مصطلحين أو أكثر دون حذف أى حرف من الأحرف الأصلية ، بل عن طريق ضمها الى بعضها البعض لتصبح بمثابة كلمة واحدة من حيث النطق والكتابة (الاملاء) وذلك لسهولة النسب اليها واختصار وقت النطق والتفكير . وهذا على أصناف :

- 1 . تركيب مزجي خاص - عندما تكون كل العناصر عربية .
- 2 . تركيب مزجي مختلط - عندما يكون بعض العناصر عربية والبعض الآخر أجنبيا .
- 3 . تركيب مزجي دخيل (79) (مستعار) - عندما يكون كل العناصر دخيلة ، أى أعجمية .

1 . التركيب المزجي الخاص

يتكون من مختلف أنواع العناصر :

- أ - من اسمى عين : انفلموم (80) = انف + بلعوم
- ب - من اسم عين واسم النسبة : ذقناعدي (81) = ذقن + قاعدي .
- ج - من ظرف مكان واسم عين : حولغضروف (82) = حول + غضروف
- د - من ظرف مكان واسم النسبة : خلفمحوري (83) = خلف + محوري

هـ - من اسمى النسبة :

هذا النوع له رسمان :

الاول - العنصران ملحقان مع بعض ككلمة واحدة ، مثل :

خلفيقلبي (84) = خلفي + قلبي postcardiac

الثاني - غير ملحقين مع بعض ، ويبدو السبب ان المصطلح المنقول منه يتكون من عنصرين تفصلهما شرطة ، مثل :

ظهري جداري (85) = ظهري + جداري
dorso-pariétal

و - تركيب مزجي اضافي : هذا النوع يتكون من مضاف ومضاف اليه وله رسمان :

الاول - العنصران ملحقان مع بعضهما البعض ككلمة واحدة ، مثل :

نصفكرة (86) = نصف + كرة

الثاني - غير ملحقين ببعضهما البعض ، ويبدو السبب ان المصطلح المنقول منه من عنصرين تفصلهما شرطة فى اللغة الاجنبية ، مثل :

نصفسطيح (87) = نصف + سطيح

ز - من اسمى عين واسم النسبة :

قصبرسفقدمي (88) = قصب + رسغ + قدمي
ulnometacarpalis

(79) يكون هذا النوع عادة معربا .

(80) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 263 .

(81) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 157 .

(82) نفس المرجع ، ص 281 .

(83) نفس المرجع ، ص 288 .

(84) منير البعلبكي ، «المورد» ، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 711 .

(85) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .

(86) المرجع السابق ، ص 228 .

(87) المرجع السابق ، ص 196 .

(88) المرجع السابق ، ص 321 .

1 — عربي + اعجمي
lanoline صوفين (93) = صوف + ين
sulphate كبريتات (94) = كبريت + ات
cupperous نحاسوز (95) = نحاس + وز
sulphuric كبريتيك (96) = كبريت + يك
antologie كائنتولوجيا (97) = كائن + لوجيا
2) من ثلاثة عناصر :

من عنصرين عربيين + عنصر اجنبي عبارة عن
كاسعة ، مثل :

سمدين (98) = سم + دم + ين hémotoxine

الشـاذ :

يختلف عن الانواع المذكورة سابقا بأنه من
عنصرين ، عربي واعجمي وشذوذه فى ان حرفا قد
يسقط او يضاف تسهلا للنطق او لاسباب مورفولوجية
اخرى ، وهو على ثلاثة اصناف :

1 — تركيب مزجي ناقص :

اسطورولوجيا = اسطورة + لوجيا mythologie

2 — تركيب مزجي شبه مدغم :

جمالوجيا = جمال + لوجيا esthétique

حـ — من لا واسم النسبة :

لا تزامني (89) = لا + تزامني asynchronous

ط — من لا ومصدر صناعي :

ا) لادورية (90) = لا + دورية aperiodicity

ب) لا اخدوديات (91) = لا + اخدوديات
aglyphodontes

وهذا النوع للدلالة على اسم الجنس او التصانيف

ى — من اسم عين ومصدر صناعي فى شكل جمع
مؤنث سالم وهو للدلالة على اسم الجنس او
التصانيف .

راسحليليات (92) = رأس + حليات
cephalochordata

2 . التركيب المزجي المختلط

هذا النوع من التركيب المزجي يكون مختلطا بين
عناصر عربية وعناصر اعجمية للدلالة على مسميات
وانواع خاصة من المادة او الجنس او الدلالة على العلم .
وهو على صنفين :

1 — طبيعي

2 — شاذ

الطبيعي :

يكون سليما لا نواقص او زوائد فى بنية المصطلح
وهو بدوره على نوعين :

1) من عنصرين :

(89) كيفورك ميناجيان ، معجم الهندسة الميكانيكية ، موسكو ، 1968 ، ص 16 .

(90) القوات المسلحة فى ج. ع. م. ، « المعجم الفني » ، القاهرة ، 1967 ، ص 34 .

(91) مصطفى الشهابي ، « معجم الالفاظ الزراعية » ، القاهرة ، 1957 ، الطبعة الثانية ، ص 18 .

(92) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1969 ، ص 163 .

(93) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1956 ، الطبعة السابعة ، ص 93 .

(94) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، « الكيمياء للمرحلة التوجيهية » ، القاهرة ، 1946 ، الجزء الثاني .

(95) المرجع السابق ، ص 98 .

(96) المرجع السابق ، ص 82 .

(97) محمد عزيز الحبابي ، « من الكائن الى الشخص » ، ص 57 ، نقلا عن مصطفى الشهابي ، « سوانح فى

اللغة والمصطلحات » ، البحوث والمحاضرات ، الدورة 31 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1964 -

1965 ، ص 29 .

(98) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 80 .

3 — تركيب مزجي زائد :

ميكروليكو بلاست (104) = ميكرو + ليكو + بلاست
microleukoblast

وهناك الفاظ منحوتة من عناصر أجنبية عديدة ، نتيجة تعريب المصطلح المركب ، وتكون عادة مسميات لمركبات كيميائية معقدة ، نتحدث عنها في باب التعريب .

وبدا النحت ينتشر أكثر فأكثر فمثلا نجد له ليس فقط في المعاجم ، بل كذلك في المؤلفات ومنها الدراسة ، مثال على ذلك أننا نجد في كتاب «الكيمياء الطبية» (105) وهو كتاب دراسي لكلية الطب في جامعة دمشق عددا ضخما من المصطلحات المنحوتة تأخذ بالانتشار أكثر فأكثر ، منها : اللامتحالات ، تحوصب ، الكهريات ، الشارجابي ، الشارسبي ، الفحمائيل ، مائيل ، الفولاز ، المافوسجية ... الخ .

أما بخصوص المعاجم ، فنرى في « المورد » (انجليزي - عربي) لمنير البعلبكي (106) ، وهو معجم معاصر يستحق الثناء والتقدير لأنه وضع على أسس علمية تستجيب لمتطلبات العصر (107) ، وقد لجأ إلى النحت لدى الحاجة . وطبعا كثر النحت في المصطلحات الطبية والنباتية والاحيائية حيث المصطلح الاجنبي يتألف من عدة عناصر اصطلاحية .

كما سنجد النحت ولو بقلّة في مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي اقراها مجمع اللغة العربية في ج. ع. م. ، وكذلك في مجلة «اللسان العربي» التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي لدى جامعة الدول العربية في الرباط .

وكل هذا يعطي الاسس لنقول ان النحت ضرورة تلح عليها الحاجة العلمية لا مفر منها ، وانه يفتح طريقه

فكرو لوجيا = فكر + و + لوجيا (99)
idéologie

ونرى في الاصناف المذكورة ان الاول قد حذف منه حرف تاء التانيث ليكون نطق وكتابة المصطلح أكثر ملاءمة كما يبدو ، والثاني ، حذف منه الحرف المزدوج (ل) وطبعا لتسهيل نطقه وكتابته ، والثالث اضيف اليه حرف (و) وهو من تأثير المصطلح الاعجمي حيث حرف الوصل (و) ولسهولة نطقه لكيلا يتقابل حرفان مسكونان كما يبدو . وفي رأينا ان هذا النوع لا مبرر له وعدم الدوق .

3 . التركيب المزجي الدخيل :

هذا النوع نشأ نتيجة تعريبه ، فكان في اصله تركيبا مزجيا اعجميا ، وبعد استعارته اصبح تركيبا مزجيا في العربية والاصح انه يعود الى انواع التعريب ، ولكننا ندرسه الآن من حيث البنيان المورفولوجي . وهذا النوع على صنفين وقد يكون أكثر .

1 — مكون من عنصرين ، مثال :

امبرمتر (100) = امبر + متر amperemeter

فولتметр (101) = فولت + متر voltmeter

فوسفوريك (102) = فوسفور + يك
phosphoric

2 — مكون من ثلاثة عناصر ، مثال :

ميكروباروغراف (103) = ميكرو + بارو + غراف
microbarograph

(99) الشهابي ، « سوانح في اللغة والمصطلحات » ، ص 29 .

(100) الياس مرعي دفوني ، « الدليل الميكانيكي والكهربائي » ، بيروت ، 1948 ، ص 105 .

(101) روبرت روزنبرج - ترجمة محمد أحمد قمر ، « اصلاح المحركات الكهربائية » ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1962 ، ص 43 .

(102) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، « الكيمياء للمرحلة التوجيهية » ، القاهرة ، 1946 ، ص 26 .

(103) القوات المسلحة في ج. ع. م. ، « معجم المصطلحات الفنية » ، انجليزي - عربي ، القاهرة ، 1962 ، ص 463 .

(104) ميلاد بشاي ، « المعجم الطبي الحديث » ، انجليزي - عربي القاهرة ، 1967 ، ص 314 .

(105) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، ص ص 29 - 172 .

(106) انظر « المورد » لمنير البعلبكي ، قاموس انجليزي - عربي ، ط 2 ، بيروت ، 1969 .

(107) مدح لي هذا المعجم ونصحنى ان احصل عليه واستفيد منه في وضع المعاجم الدكتور ابراهيم بيومي مذكور الامين العام لمجمع اللغة العربية في ج. ع. م. في اثناء حديثي معه في المجمع .

أكثر فأكثر مهما كانت العقبات أمامه ، ويحتل مكانا هاما في وضع المصطلحات العربية بعد النقل والاشتقاق والتعريب .

ومن دراستنا وتحليلنا للنحت في اللغة العربية نستنتج أن هناك نوعين من النحت :

1 — التركيب النحتي

2 — التركيب المزجي

وبعد دراسة النحت في اللغة العربية المعاصرة من حيث البنيان المورفولوجي نستخلص الأنواع التالية مع وضع صيغ مشتركة لها ، لنصل الى قواعد معينة :

التركيب النحتي

الانواع الاساسية للتركيب النحتي

1 تركيب نحتي خاص

2 تركيب نحتي خليط

3 تركيب نحتي دخيل

1 — ذو عنصرين 2 — ذو ثلاثة عناصر

1 . ذو عنصرين

الاول : غير متناسق ويكون :

رباعيا ، خماسيا ، سداسيا ، سباعيا ، ثمانيا .

الرباعي :

(ا) فعمل (فعل + فعل) فـ ... + ... عمل

(ب) فعمل (فعل + فاعل) فـ ... + ... عمل

(ج) فعمل (فعالة + فعل) فـ ... + ... عمل

(د) فلفع (فعل + فعل) فـ ... + ... فع

(هـ) فففع (فعل + فعال) فـ ... + ... فع

الخماسي :

(ا) تفاعل (تفاعل + تفاعل) تفا ... + ... عمل

(ب) فمفعمل (مفعل + مفعل) مفعل ... + ... عمل

(ج) ففعله (فعل + فعلة) فـ ... + ... لة

(د) تففعع (تفعل + فع) تفـ ... + ... فع

(هـ) ففعل (فعل + فاعيل) فـ ... + ... يل

(و) ففعمل (فعل + افعل) فـ ... + ... عمل

(ز) ففعمل (فعل + فعل) فـ ... + ... عمل

(ح) ففعمل (فعل + فعل) فـ ... + ... عمل

السداسي :

(ا) متفاعل (متفاعل + مفتعل) متفا ... + ... عل

(ب) مفعملة (مفعملة + مفعملة) مفعم ... + ... ملة

(ج) ففعليل (فعل + فعيل) فـ ... + ... ميل

وكذلك ففعليل (فعل + فاعيل) ... + ... ميل

(د) فلعليل (فعل + فعيل) فـ ... + ... ميل

(هـ) ففعلون (فعل + فعلون) فـ ... + ... لون

(و) ففعلان (فعيل + فعلان) فـ ... + ... علان

السباعي :

(ا) ففمعليل (فعل + فمليل) فـ ... + ... ميل

الثماني :

(ا) فاعفلية (فاعلة + فعلية) فـ ... + ... لية

(ب) ففمليات (فعيل + فعوليات) فـ ... + ... ليات

2 . ذو ثلاثة عناصر

الثماني :

(1) لا متفاع (لا + متفاعل + فعل) لا + متفا ... + ... فع

الثاني : متناسق ويكون منتظما ، وغير منتظم

1 — منتظم

(ا) من عنصرين ، يؤخذ حرفين :

تحـ ... (تحت) =

فو ... (فوق) =

دو ... (دون) =

(ب) من عنصرين ، تؤخذ ثلاثة احرف :

كهر ... (كهربائي)

جيو ... (جيولوجي)

(ج) من عنصرين ، تؤخذ اربعة احرف :

كيم ... (كيميائي)

بترو ... (بترولي)

2 — غير منتظم

مثل : صيرفي (صيفي + خريفى) ، بلهمة

(بلا + ماه) ، بلغز (بلا + غاز) ... الخ .

2 — التركيب المزجى :

اصناف التركيب المزجى :

(1) تركيب مزجى خاص

(2) تركيب مزجى مختلط

(3) تركيب مزجى دخيل

1 . التركيب المزجى الخاص

(ا) اسمى عين

(ب) من اسم عين واسم النسبة

(ج) من ظرف مكان واسم عين

(د) من ظرف مكان واسم النسبة

(هـ) من اسمى النسبة

1 — ملحقان

ب — غير ملحقين

(و) تركيب مزجى اضافى

1 — ملحقان

ب — غير ملحقين

(ز) من اسمى عين واسم النسبة

(ح) من (لا) واسم النسبة

(ط) من (لا) ومصدر صناعى

1 — لا + ... ية

ب — لا + ... يات

(ى) من اسم عين ومصدر صناعى

2 . التركيب المزجى المختلط :

1 — طبيعى

(ا) من عنصرين

1 . عربى + اعجمى

2 . اعجمى + اعجمى

(ب) من ثلاثة عناصر

1 . عربيان + اعجمى

2 — الشاذ

(ا) تركيب مزجى ناقص

(ب) تركيب مزجى شبه مدغم

(ج) تركيب مزجى زائد

3 . التركيب المزجى الدخيل :

1 — من عنصرين

2 — من ثلاثة عناصر

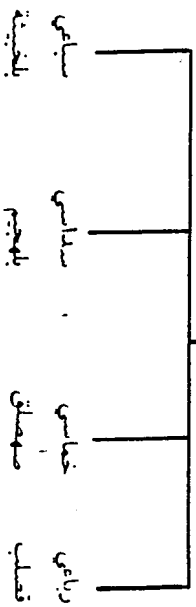
جدول تخطيط البحث قديما

البحث قديما

نحت من أصلين مستقلين أو أصول مستقلة :
لن ، علم ، لمن ، بعثر

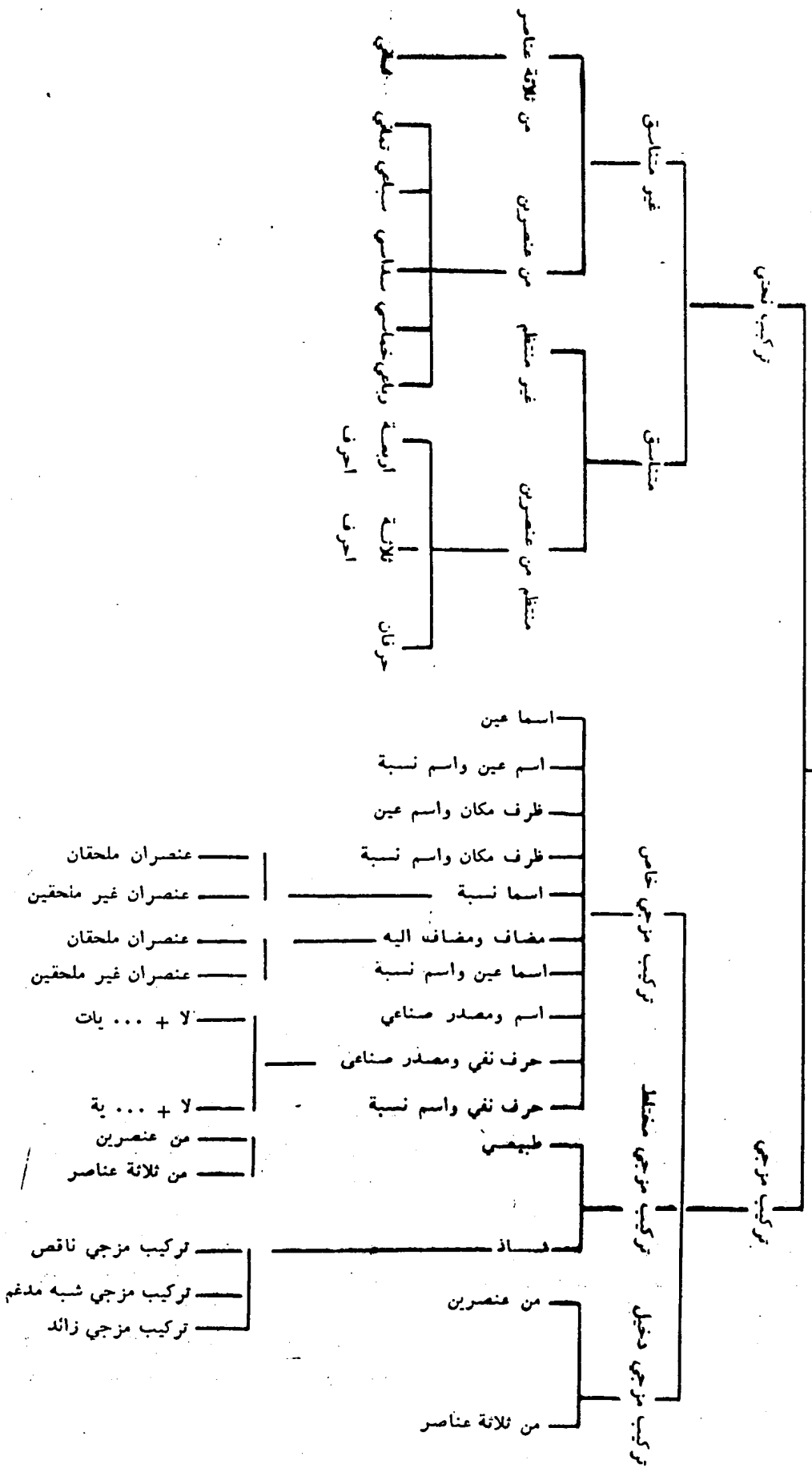
نحت من علم مضاف ومضاف إليه
عشيمسي

نحت من جملة



جدول تصنيفي لاصناف حديثنا

الاصناف الحديثة



تاريخ المعجم العسكري

الأستاذ محمود ثقيت خطاب

تمهيد

- 1 -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول القائد النبي العربي وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب ان الجزائر جزء من فرنسا سنة 1870 .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب سنة 1912 ، ولبنان سنة 1918 وسورية سنة 1920 .

ولكن امتيازات فرنسا السياسية والاقتصادية والثقافية في لبنان ، سبقت الاحتلال العسكري وعلان الانتداب رسميا سنة 1918 باكثر من قرنين، ولقد اعترفت الدولة العثمانية بتلك الامتيازات .

واستقلت سورية ولبنان سنة 1943 ، واستقلت تونس والمغرب سنة 1956، واستقلت الجزائر سنة 1962 ، بعد ان بقي الاستعمار الفرنسي جائما على الجزائر اثنين وثلاثين ومائة عام ، وعلى تونس ثلاثة وسبعين عاما ، وعلى المغرب اربعة واربعين عاما ، وعلى لبنان خمسة وعشرين عاما وسورية ثلاثة وعشرين عاما .

وقد تغلقت الثقافة الفرنسية فكرا ولفة في هذه الاقطار العربية ، واصبحت لها جذور عميقة

في المثقفين بخاصة وغير المثقفين بعامة ، حتى نسي قسم من السكان لغتهم الاصلية او كادوا . وكانت تلك الجذور تتناسب في تغلغلها عمقا تناسبا طرديا مع المدة الزمنية التي بقي الاستعمار الفرنسي جائما فيها على تلك الاقطار العربية ، فكانت في الجزائر اعماق جذورا من الاقطار الاخرى ، وكانت في تونس اقل عمقا مما كانت عليه في الجزائر ، فالمغرب فلبنان فسورية .

لم يكن لدى الجزائر وتونس ولبنان جيوش نظامية تخضع للسلطات الوطنية، ولكن كان لديها شرطة محلية وعسكريون من السكان المحليين يعملون في الدرك او مرتزقة في جيش فرنسا بقيادة الجيش الفرنسي المباشرة وبامرته .

وكان لدى المغرب جيش نظامي، ولكنه كان يوالي السلطة ويعمل باشرافها .

وقد استغلت فرنسا الطاقات البشرية لكل من الجزائر وتونس والمغرب بالدرجة الاولى ولبنان وسورية بالدرجة الثانية في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) وفي الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) وفي الحروب المحلية التي شنتها لاجماد الثورات الداخلية في مستعمراتها الاريقية والاسيوية غير العربية ، كما استغلت الطاقات البشرية لتلك المستعمرات لاجماد الثورات الداخلية في مستعمراتها العربية ، فوجدت اعدادا ضخمة من الرجال لدعم الجهود الحربية الفرنسي .

وقد احتل الاسبان سنة 1912 المنطقة الشمالية من المغرب ، ولكن اثرهم الثقافي كان اقل بكثير من اثر الثقافة الفرنسية . الا ان الاسبان جندوا قسما من رجال المغرب فى جيشهم ، فقاتلوا فى صفوف اللواء فرانكو فى الحرب الاهلية الاسبانية (1936 - 1939) ، وكان لشجاعتهم النادرة اثر حاسم فى انتصار فرانكو على خصومه كما هو معروف .

وقد احتفظ اللواء فرانكو رئيس الدولة الاسبانية بقوات نظامية مغربية ، يعتمد عليها ويعتد بها ، حتى لقد اختار حرسه الخاص ضباطا ومراتب واختار اكثر مرافقيه العسكريين من المغاربة ! وبقي المغاربة يعملون فى اسبانيا مدة طويلة ، ولكنهم سرحوا قبل بضع سنين .

تلك امثلة ملموسة تدل بوضوح على تحلي رجال المغرب العربي بالسجية العسكرية شجاعة واقداما وضبطا ونظاما ، مما يدعو الى الفخر والاعتزاز .

وما يقال عن رجل المغرب العربي ، يقال عن رجال المشرق العربي ايضا .

المعجمات العسكرية الاولى

- 1 -

المصطلحات العسكرية العربية يملأ الفراغ الذى يتركه التحلي عن اللغة الفرنسية .

ولكن متطلبات رفع المعنويات من جهة، وضرورة القرار اللغة القومية من جهة اخرى ، كانت حوافز تستحث الخطى لاتخاذ اللغة العربية بدلا من اللغة انفرنسية فى جيوش اقطار المغرب العربي وسورية ولبنان التى نالت استقلالها حديثا من فرنسا .

ان المعنويات فى الجيش ، هي احد عنصرين رئيسيين فى تكوينه : المعنويات اولا والماديات ثانيا . وهذان العنصران يتم احدهما الاخر ولا يكون الجيش جيشا رصينا باحدهما دون الاخر .

واهمية المعنويات لاي جيش كاهمية الماديات له سواء بسواء ، وقد اصبحت المعنويات كالماديات بعد تطور الاسلحة التقليدية وانتقال الجيوش الحديثة من عصر القنابل ذات الماديات المحدودة والاجهزة اللا سلكية والسلكية الى عصر الصواريخ

وقد دربت العرب المجندين تدريبا عسكريا فرنسيا فى المدارس والمعاهد والكليات والوحدات الفرنسية ، فقاتلوا مع جيش فرنسا بامرة قيادتها العسكرية المباشرة فى الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الاولى ، وفى شمال افريقية وسورية ولبنان وإيطاليا والجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الثانية، فأبلاوا فى الحربين العالميتين وفى الحروب المحلية اعظم البلاء .

والذين قرأوا كتب تاريخ الحرب ومذكرات قادة الحلفاء خاصة مذكرات اللواء آيزنهاور (1) القائد الاعلى لجيوش الحلفاء فى اوريا اثناء الحرب العالمية الثانية ، يجد ثناء عاطفا على شجاعة رجال المغرب العربي - ومما ذكره آيزنهاور بالتقدير والاعجاب فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية فى ايطاليا ، ان القوات المغربية انتصرت على القوات الالمانية فى معركة : (دير كاسينو) واحتلت مواضعهم الحصينة فى قمم الجبال الايطالية بعد عجز القوات البريطانية والامريكية والكندية والنيوزيلندية والاسترالية عن احتلال تلك المواقع الجبلية الحصينة .

رحل الاستعمار الفرنسي عن لبنان وسورية وتونس والمغرب والجزائر عسكريا وسياسيا ، ولكن الاستعمار الفكري ظل مستحوذا على المثقفين العرب فى تلك الاقطار - وبخاصة اقطار المغرب العربي .

فقد كان العسكريون وهم جزء من المثقفين - عربا فى جنسيتهم واصلهم ، فرنسيين فى ثقافتهم ولفتهم ، كل تدریبهم وتنظيمهم وتسليحهم فرنسي .

هؤلاء العسكريون العرب اصبخوا بعد الاستقلال (قواعد) للجيوش العربية الوطنية فى الاقطار العربية التى تخلصت من الاستعمار الفرنسي ، وعلى تلك القواعد (العربية بالاسم الفرنسية بالفعل) ارتفع بناء تلك الجيوش .

كان من الطبيعي ان يعتمد اولئك العسكريون العرب على اللغة الفرنسية لغة عسكرية ، لانهم لم يكونوا يحسنون غيرها لغة للتخاطب فى القضايا العسكرية ، كما لم يكن لديهم رصيد جاهز من

(1) اصبح رئيس الولايات المتحدة فيما بعد .

عابرة القارات والاجهزة الالكترونية والاسلحة الذرية والهيدروجينية ، وكانت اهمية المعنويات قبل ذلك 75 ٪ واهمية الماديات 25 ٪ فقط ، كما قال نابليون بونابارت .

وبقاء لغة المستعمر في جيش وطني ، يؤثر اسوا الاثر في معنوياته ، فليس من المعقول ان (تاخذ) تلك البلاد العربية استقلالها من فرنسا بالحديد والنار والتضحيات والشهداء ، ثم تستيقظ لغة المستعمر مهيمنة على جيوشها ، وليس من المنطق ان تبقى تلك الجيوش الى الابد عربية الوجه والنسب فرنسية الفكر واللسان .

كان لابد من عمل ايجابي لوضع الامور في نصابها ، صونا لمعنويات الجيوش الوطنية من الانهيار ، وحرصا على مكانة اللغة العربية ان تصبح لغة ثانوية في عقر دارها .

كانت سورية هي الرائدة في مضمار وضع المصطلحات العسكرية ، وكانت السباقة في ميدان ترجمة قسم من المصطلحات العسكرية الاجنبية الى العربية . فقد الفت جيشا وطنيا في مدة استقلالها القصير بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكنها فقدت استقلالها وفقدت معه جيشها الوطني حين داهمها الاستعمار الفرنسي سنة 1920 .

لقد بدل المسؤولون عن الجيش السوري في تلك المدة القصيرة جهودا مثمرة حقا في وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الاجنبية للجيش السوري الوليد ، فكانت تلك المصطلحات الموضوعية والمترجمة اول مصطلحات عسكرية في الجيوش العربية كلها .

واطبق الصمت الرهيب على سورية بعد احتلالها عام 1920 ، واصبحت مرتعا للمستعمر الفرنسي الذي واد جيشها الوطني ، ولكنها استعادت سيرتها الاولى عام 1943 وهو عام الاستقلال ، وبدأت ببناء جيشها الوطني من جديد ، كما بدأت ثانية بوضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الاجنبية .

وكان لديها رصيد لا بأس به من المصطلحات العسكرية القديمة التي هي من ثمرات جهود ابنائها ومن المصطلحات العسكرية العربية العراقية التي طبعت في معجم المصطلحات العسكرية الحديثة عام 1932 والمعجم العسكري عام 1943 (1) .

وحرص لبنان حرص سورية على وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الفرنسية ، ولكن لم تصدر معجمات عسكرية عربية (فرنسي - عربي) مطبوعة الا في 10 ايلول (سبتمبر) سنة 1959 ، حيث صدر المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي) ، فكان اول معجم عسكري مطبوع من نوعه .

- 3 -

(ا) صدرت ثلاث معجمات عسكرية عربية (فرنسي - عربي) ، وهي على حسب تاريخ صدورها ، المعجم العسكري اللبناني ، والمعجم العسكري السوري ، والمعجم العسكري البحري اللبناني .
(ب) فقد شكلت لجنة اعداد المعجم العسكري اللبناني من اربعة اعضاء : ثلاثة من اللغويين المدنيين (2) وضابط من الجيش اللبناني لاعداد المعجم العسكري اللبناني .
بدأت هذه اللجنة عملها سنة 1945 ، وانجزته سنة 1959 ، ويضم نحو عشرة آلاف مصطلح عسكري .^c

مصادر هذا المعجم هي : المعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية الفرنسية (3)
(ج) كما شكلت لجنة لوضع المعجم العسكري السوري مؤلفة من خمسة اعضاء : اثنان من علماء اللغة (4) وضابطان من الجيش السوري وضابط من الجيش المصري .

بدأت هذه اللجنة عملها في 5 ماي (مايو) سنة 1959 ، وانجزته في نهاية سنة 1961 ، ويضم نحو اربعين الف مصطلح عسكري .

مصادر هذا المعجم : المعجم العسكري الكندي والمعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية

- (1) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (8 - 12) .
- (2) هم الشيخ عبد الله العلابي والاستاذ بطرس البستاني والشيخ فؤاد جيش .
- (3) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (15 - 16) .
- (4) هما الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق والاستاذ عز الدين التنوخي .

في تأليف لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية التي أعدت المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) وأخرجته للناس ، وهذا دليل على حرصها الشديد على ان تستبدل بالمصطلحات العسكرية الفرنسية الدخيلة المصطلحات العسكرية العربية الاصلية .

لجنة اعداد المعجم العسكري الموحد

تألفت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية من ممثل مجمع اللغة العربية في القاهرة وممثل من كل جيش عربي وممثل من القيادة العربية .

وهذه اللجنة هي نفس اللجنة التي أعدت المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ، والتي بدأت عملها في رحاب جامعة الدول العربية بالقاهرة يوم 30 (مايو) سنة 1968 .

وقد اختارت هذه اللجنة من بين اعضائها ثلاثة ضباط لاعداد المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) ، وحرصت على اختيارهم من ممثلي الجيوش العربية ذات الثقافة العسكرية الفرنسية ، للاستفادة من اتقانهم اللغة الفرنسية ، وللإطلاع على ما لديهم من مصطلحات عسكرية عربية ، ولمعرفة ما تحتاج اليه جيوشهم من مصطلحات عسكرية جديدة ، وللأخذ بأرائهم التي هي ثمرة تجاربهم في الوحدات والمقرات .

وهؤلاء الاعضاء الثلاثة هم :

العقيد الركن جان نخول من لبنان

العقيد الركن يوسف اليازجي من سورية

العقيد محمد الخطابي من المغرب

وقد عملت هذه اللجنة الفرعية بإشراف رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية وبتعاون وثيق مع اعضاء هذه اللجنة كافة .

وأشهد ان اللجنة الفرعية بذلت جهودا جبارة، وواصلت عملها ليلا ونهارا دون كلل او ملل وبالتعاون شديد وحرص نادر ، فاستحقت شكر العربية ، لانها **أضافت ممجما عسكريا جديدا سيكون له اثر بالغ في توحيد الجيوش العربية واشاعة الانسجام الفكري بين رجالها باذن الله .**

الفرنسية والمعجم العسكري العراقي (1) ، والمعجم العسكري اللبناني .

(د) وقد شكلت لجنة اعداد المعجم البحري اللبناني من نفس اعضاء اللجنة التي أعدت المعجم العسكري اللبناني .

وبدأت هذه اللجنة عملها في سنة 1958 ، وانجزته سنة 1963 ، ويضم نحو (2 000) مصطلح عسكري (2) .

مصدر هذا المعجم هو المعجم العسكري البحري الفرنسي .

(هـ) ولقد كان وضع هذه المعجمات العسكرية الثلاثة وإخراجها للناس عملا عسكريا مهما وانجازا لغويا كبيرا ، لان وضع المصطلحات العسكرية او ترجمتها امر شاق لا يقوى عليه الا الخبراء بدقائق العلوم العسكرية ، المجيدون لاحدى اللغات الاجنبية اجادة تامة ، المتضلعون في الوقت نفسه من اللغة العربية .

ان صدور هذه المعجمات العسكرية ملا فراغا في المكتبة العسكرية وسد حاجة للجيش العربية في سورية ولبنان، ولكن فائدتها اقتصرت على النطاق القطري لهذين القطرين العربيين الشقيقين ، دون ان تجتاز حدودهما الى اقطار المغرب العربي .

ولست اليوم اقطار المغرب العربي : تونس والمغرب والجزائر ، لانها لم تصدر معجمات عسكرية خاصة بجيوشها الوطنية، في وقت هي بأمس الحاجة اليها ، لان لبنان اصدر معجمه العسكري بعد ست عشرة سنة من استقلاله ، ولان سورية اصدرت معجمها العسكري بعد ثماني عشرة سنة من استقلالها، ولم تفض هذه السنون على استقلال اقطار المغرب العربي ، منذ رحل الاستعمار الفرنسي عن بلادها حتى تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية في حزيران (يونيو) سنة 1968 .

كما ان اثر الاستعمار الفكري الفرنسي في اقطار المغرب العربي ، كان اعمق جثورا مما هو عليه في لبنان وسورية .

وقد شاركت اقطار المغرب العربي بالإصالة كما فعلت المغرب وبالنيابة كما فعلت تونس والجزائر

(1) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (12 - 15)

(2) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (17) .

مراحل الأعداد

- 1 -

المرحلة الابتدائية

حين كانت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية تعد المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) وبعد اكمال توحيد المصطلحات العسكرية المتناقضة في الجيوش العربية ذات الاهمية الخاصة ، وهي المصطلحات العسكرية الشائعة الحيوية التي تكون العمود الفقري للمصطلحات العسكرية العربية ، والتي تضم مصطلحات الاعزازات والمصطلحات التعبوية والسوقية والتدريبية ، ومصطلحات اسماء الاساحة والذخيرة والرتب والمناصب واسماء الوحدات والتشكيلات والمقرات والمدارس والمعاهد والكيات العسكرية .

وبعد ان بقي على اللجنة توحيد المصطلحات العسكرية الثانوية التي قد لا يختلف على توحيدها اعضاء اللجنة ، آثرت الا اضيع الوقت سدى بدون مسوغ ، فقررت تكليف ممثل لبنان في اللجنة بمراجعة المصطلحات العسكرية العربية المعمول بها في قسم من الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية، وتعديل تلك المصطلحات طبقا لما اقترته اللجنة ، ودراسة المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة المتيسرة في لبنان وسورية ، والاعتماد على المعجم العسكري الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ، ووضع هيكل للمعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) .

واتفقت مع ممثل لبنان ان يعتكف في داره للنهوض بهذا الواجب ، حتى يقتصد من الوقت الذي يقضيه في الذهاب الى جامعة الدول العربية والاياب منها ، كما اتفقت معه على زيارة مقر اللجنة يوم الاثنين من كل اسبوع ، للاطلاع على سير العمل ومناقشته فيه وادخال التعديلات التي تراها اللجنة عليه ، ودراسة ما اقترته اللجنة من مصطلحات عسكرية جديدة للاخذ بها ، ولبحث ما انجزه في اسبوع واحد من واجبه المكلف به .

واتفقت معه على جدول زمني ينجز خلاله واجبه ، بإمكانه ان يسبقه ولكن ليس بإمكانه ان يتاخر عنه .

وكان حرصه يتصاعد كلما اقترب الموعد

المضروب ، حتى اكمل ما عهد اليه به من عمل في الوقت المحدد له تماما .

لقد بدأ عمله في 1 تموز (يوليو) سنة 1968 وانجزه في اول كانون الثاني (يناير) سنة 1969 .

- 2 -

المرحلة النهائية

كان امام اللجنة الفرعية المؤلفة من ممثلي لبنان وسورية والمغرب مسودات مصطلحات عسكرية عربية مرتبة بموجب الحروف الابجدية الفرنسية. كل مصطلح عسكري عربي ازاء مصطلح عسكري فرنسي .

وكانت تلك المصطلحات مقتبسة بالدرجة الاولى من المعجم العسكري اللبناني والمعجم البحري اللبناني والمعجم العسكري السوري .

وبدأت تلك اللجنة عملها بمراجعة تلك المصطلحات ، وازافة مصطلحات جديدة مقتبسة من المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ومعجم لاروس الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ومصطلحات الاكاديمية العسكرية الفرنسية ومصطلحات المعجم العسكري اللبناني المخطوط والمعجم العسكري السوري المخطوط ايضا .

وقد ظهر ان ممثل لبنان اثبت المصطلحات العسكرية اللبنانية . وهذا امر طبيعي . لان كل عضو من اعضاء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية يحرص على اقرار مصطلحات جيشه التي اعتادها ، ولكن اللجنة الفرعية لا تقر غير ما اقترته لجنة التوحيد الموسعة ، التي ليس لها من صلاحيتها مخالفة تلك اللجنة ، والا وقع تناقض بين المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) والمعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) ، وهذا لا يتفق مع مبدأ توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية . الذي اجتمعت اللجنة الموسعة من اجله وكان هدفها الاول من اجتماعاتها .

وكانت معالم الطريق امام اللجنة الفرعية واضحة ، وكان متهجها في سلوكه سهلا : ان تستبدل بالمصطلحات الانكليزية المصطلحات الفرنسية، وان تحذف ما لا مرادف له في الفرنسية ، وتضيف المصطلحات الفرنسية التي لا وجود لها في المصطلحات الانكليزية، وتمحو ما لا حاجة اليه في الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية .

1969 ، وانتهت في نهاية حزيران (يونيو) سنة
1969 .

- 3 -

مرحلة التكامل

وهي المرحلة التي انجز فيها طبع
مسودات المعجم على الآلة الكاتبة والمراجعة
والتشكيل .

كانت مسودات المعجم تقدم الى الطابع على
الآلة الكاتبة ، فور الانتهاء من ترتيب المصطلحات
العسكرية الفرنسية على حسب الحروف الابجدية
الفرنسية ، فاذا اكملت اللجنة الفرعية ترتيب
الحرف A بموجب الترتيب المعجمي المعروف
في اللغات الاجنبية ، بدأت بمراجعة المسودات ، ثم
وازت بين المصطلحات العسكرية العربية وما ورد في
المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) وقومت
ما فيها من خطأ او انحراف ، وتأكدت من تطابقها في
المعجمين الموحدين (انكليزي - عربي ، و (فرنسي -
عربي) . فاذا اكملت كل ذلك ، اعادت المراجعة
النهائية وقدمت المسودات الى الطابع على الآلة
الكاتبة .

وكان على الطابع ان يستنسخ بمعدل عشرين
صفحة كل يوم ، فاذا قصر حوسب ، واذا احسن
او استنسخ اكثر من عشرين صفحة كوفيء .

وقبيل انتهاء الدوام اليومي ، يقدم الطابع ما
طبعه الى اللجنة الفرعية ، فيقرأ الاعضاء الصفحات
المطبوعة بالتعاقب ، ويصححون الاخطاء المطبعية .

وهكذا يكون العمل متداخلا : اعدادا وطبعاً
ومراجعة في وقت واحد .

اما واجب لجنة المصطلحات العسكرية
للجيوش العربية في هذه المدة ، فهو مراجعة ما
اقترته اللجنة الفرعية وادخال التعديلات طبقاً
للمصطلحات العسكرية العربية التي اتفقت عليها
واقترتها .

وقد استغرق ذلك ستة اشهر ، بدأت في 1
كانون الثاني (يناير سنة 1969) وانتهت في نهاية
حزيران (يونيو) سنة 1969 ، وهي نفس مدة
اعداد المعجم التي ذكرناها في : مرحلة الاعداد
النهائية .

لقد كان على لجنة توحيد المصطلحات العسكرية
للجيوش العربية حشر المصطلحات البريطانية
والامريكية والكندية ومصطلحات حلف الاطلسي في
المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ، وذلك
لتغطية حاجة الطلاب العسكريين العرب الذين
يدرسون في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية
البريطانية والامريكية او يعتمدون على مصطلحات
حلف الاطلسي ، وحاجة الضباط العرب الذين
يترجمون الكتب والنشرات العسكرية الصادرة في
انكلترا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وعن حلف
الاطلسي .

لذلك جاء المعجم العسكري الموحد (انكليزي -
عربي) ضخماً بألف صفحة من القطع الكبير تضم
(80.000) مصطلح عسكري .

اما المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) ،
فالامر مختلف بالنسبة اليه ، فهو يعني بتغطية حاجة
الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية ، لذلك
اقتصرت مصادره على المعجمات العسكرية الفرنسية
والقوانين العسكرية الفرنسية ، فجاء بست وستين
وخمسمائة صفحة من القطع الكبير ، تضم اربعين
الف مصطلح عسكري .

وكان اعداد المعجم العسكري الموحد (فرنسي
- عربي) اسهل بكثير من اعداد المعجم العسكري
الموحد (انكليزي - عربي) ، لان لجنة توحيد
المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وحدت
المصطلحات العسكرية المتناقضة في الجيوش
العربية ، فاصبحت تلك المصطلحات جاهزة ولم
يبق امام اللجنة الفرعية الا ان تستبدل بالمصطلح
الانجائيزي المصطلح الفرنسي وتضع المصطلح العسكري
العربي المتفق عليه ازاءه .

وقد كانت اللجنة الفرعية متفرغة لواجبها لا
يشغلها عنه شاغل ، لان المعجم العسكري الموحد
(انكليزي - عربي) قد انجز في 30 تشرين الاول
(نوفمبر) سنة 1968 ، وكان في مرحلة المراجعة
من لجنة مجمعية بدأت عملها في اوائل تشرين الثاني
(اكتوبر) سنة 1968 ، وانتهت من مراجعته في
نهاية نيسان (ابريل) سنة 1969 .

وبذلك استطاعت اللجنة الفرعية انجاز المعجم
العسكري الموحد (فرنسي - عربي) خلال مدة زمنية
قصيرة ، بدأت في 1 كانون الثاني (يناير) سنة

كل كلمة وكل لفظ في المعجم تشكيلا كاملا ، لان من جملة اهداف اللجنة تعليم العسكريين اللغة العربية الفصحى وتدريبهم على النطق العربي السليم .

ثم ان المعجم العسكري الموحد بالرغم من صفته العسكرية العلمية ، معجم لفوي قبل كل شيء .

ولتاريخ اللغة اذكر ان المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) و (فرنسي - عربي) هما اول معجمين عسكريين صدرا من المعجمات العسكرية وتشكيلهما متكامل غاية التكامل ، اما المعجمات العسكرية الاخرى فغير مشكلة او ناقصة التشكيل ، وافضل معجم عسكري من ناحية التشكيل بعد المعجم العسكري الموحد هو المعجم العسكري السوري (انكليزي - عربي) و (فرنسي - عربي) .

- 4 -

مرحلة الطبع

كانت مشاكل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية في مراحل اعداد المعجم مشاكل علمية (1) ، فاصبحت مشاكل اللجنة في هذه المرحلة مشاكل ادارية .

ملخص المشاكل ثلاث : المال والموظفون والطبعة ، وهي مشاكل ادارية بعيدة كل البعد عن صميم واجب اللجنة الرئيس ، وهو واجب علمي بحث ، لا يتعدى اعداد المعجم والاشراف على طبعه واخراجه للناس خاليا من الاخطاء العلمية واللغوية والطبعية قريبا جهد الامكان من الكمال .

لقد واجهت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية مصائب بالغة التعقيد ومعضلات لا تعد ولا تحصى ، ولكن اللجنة استطاعت التغلب عليها ، فبدأ طبع المعجم يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1969 ، وصدرت النسخ الاصلية ومقدارها الف نسخة يوم 1 آب (اغسطس) سنة 1970 بعد تأخر صدورها سبعة اشهر !! (2) .

وكان على الطبعة تصوير نسخة من نسخ المعجم الاصلية لطبع نسخ المعجم الاخرى بطريقة التصوير .

ولكن بقي على اللجنة الفرعية عمل واحد لاستكمال واجبها ، هو تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، وقد استغرق ذلك ثلاثة اشهر : من 1 تموز (يوليو) سنة 1969 الى نهاية ايلول (سبتمبر) سنة 1969 .

وربما يتبادر الى اذهان الذين يظلمون على تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، ان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بالفت في تشكيل الكلمات العربية والجمل بالحركات الاعرابية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون والتنوين) .

ان من الاهداف المهمة لاصدار المعجمات العسكرية اشاعة النطق الصحيح بالعربية نحوها وصرفا بين العسكريين . والمعجمات العسكرية العربية المطبوعة في الاقطار العربية التي صدرت قبل المعجم العسكري الموحد ، لم تشكل مفرداتها بالحركات او كان تشكيلها ناقصا او مجانفا الصواب من الناحية اللغوية . وكان من نتائج اغفال التشكيل او اجرائه ناقصا او بصورة مفلوطة ، انحراف نطق الكلمات والالفاظ العسكرية عن اللغة العربية السليمة ، ولا يزال قسم من العسكريين يخطئون حتى في الالفاظ العربية الشائعة التي يكثر استعمالها في الجيوش العربية .

يقولون : لغم (بتسكين الفين) ، وصوابها : لغم (بالتحريك) : ويقولون رتل (بالتسكين) ، وصوابها : رتل (بالتحريك) . ويقولون : مدفع (بفتح الميم) ، وصوابها : (بكسرها) . ويقولون : مدفعي ، وصوابها : مدفعي . ويقولون : ثكنة (بالتحريك) ، وصوابها : ثكنة (بضم الثاء وتسكين الكاف) ... الخ ..

تلك امثلة قليلة على انتشار الاخطاء اللغوية بين العسكريين حتى ضمن نطاق الالفاظ السهلة الشائعة . اما اخطاؤهم اللغوية في الالفاظ الصعبة الحوشية غير الشائعة فادهى وامر . ولكن هل العسكريون وخدمهم يخطئون في اللغة ؟ ذلك امر معروف وتكراره حديث معاد .

لقد اعتبرت اللجنة نفسها بحق مسؤولة عن تقويم نطق العسكريين ومحاولة تصحيح اخطائهم اللغوية بقدر المستطاع ، لذلك حرصت على تشكيل

- (1) انظر : تاريخ المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ص (14 - 15) .
- (2) السبب مزدوج : اهمال قسم من موظفي الجامعة العربية اولا ، واهمال المسؤولين في الطبعة ثانيا ، وقد كان العقد بين جامعة الدول العربية والطبعة ينص على انجاز الطبع خلال ثلاثة اشهر .

8 - تحاشينا اطلاق اسماء الاعلام على اللخيرة والاسلحة والاجهزة تجنبنا للبليلة التي يمكن ان تحدثه في الاستعمال ، فلم نقل : رشاشة فيكرسي ورشاشة هوجكس .. الخ .. بل ثبتنا المصطلح العسكري الدال على وظيفة السلاح واللخيرة وخواصهما للدلالة عليهما .

9 - وضعنا الإيعازات والوامر العسكرية بين حاصرتين على هذا الشكل « ... »

مصادر المعجم ومراجعته

اعتمد هذا المعجم على المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) بالدرجة الاولى ، لان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية اتفقت على مصطلحاته العربية ، فاصبحت تلك المصطلحات الاساس في هذا المعجم .

كما اعتمد على المعجم العسكري السوري (فرنسي - عربي) والمعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي) والمعجم العسكري البحري اللبناني (فرنسي - عربي) والمعجم العسكري اللبناني المخطوط (فرنسي - عربي) والمعجم العسكري الفرنسي والقوانين العسكرية الفرنسية والمعجم العسكري الكندي (فرنسي - انكليزي) ومعجم لاروس الفرنسي .

كما اعتمد على مصطلحات كلية الاركسان الفرنسية .

تلك هي مصادر هذا المعجم ، اما مراجعته فهي كثيرة مسجلة في الثبت المرفق .

لقد اعتمد على المعجم العسكري العراقي والمعجم العسكري السوري (انكليزي - عربي) ومعجم المصطلحات الفنية المصري .

كما اعتمد على المصطلحات العسكرية المترجمة في الكليات العسكرية العربية وكليات الاركان العربية ومعاهد الدراسات العسكرية العليا في البلاد العربية .

كما اعتمد على معجمات اللغة العربية ومنها : لسان العرب والقاموس والمخصص لابن سيده والمعجم الوسيط .

وكان المفروض صدور نسخ المعجم المصورة في اوائل شهر حزيران (يوليو) سنة 1970 .

ولكنها لم تصدر الا في 17 شباط (فبراير) سنة 1971 ، بعد تاخر ثمانية اشهر دون مسوغ (1) تلك لمحات مما لاقته اللجنة من مشاكل ومعضلات ، والحمد لله الذي اعان اللجنة على التغلب عليها ، فصدر المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) بعد جهد جهيد وترقب طويل .

مبادئ اعداد المعجم

سار العمل في اعداد المعجم على حسب خطة مرسومة ، لم تحد عنها اللجنة ابدا . وهذه المبادئ يمكن تلخيصها :

1 - الالتزام باللغة العربية الفصحى ونبذ المصطلحات الاجنبية .

2 - تفضيل الكلمة العربية السهلة على الكلمة العربية الصعبة .

3 - الاخذ بالمصطلح العسكري الشائع في اكثر الجيوش العربية ما دام عربيا فصيحاً ، وتفضيله على المصطلح العسكري الاقل شيوعاً .

4 - ابقاء المصطلح العسكري الفرنسي حقه فيما يطلبه من المعنى العربي ، واثبات المصطلح العسكري العربي ما امكن اول المعاني في تسلسلها ازاء المصطلح العسكري الفرنسي .

5 - تحاشي التعريب قدر الامكان عدا بعض مصطلحات العلوم الفيزيائية والكيميائية وبعض مصطلحات الات القياس .

ولم نتردد بهذا المجال في وضع المصطلح العربي المقترح والمصطلح العرب الشائع ، حتى نفتح المجال للزمن ليعمل عمله في اقرار المصطلح العربي المقترح اذا كان صالحا للحياة .

6 - فضلنا استعمال « ذو » و « ذات » للدلالة على المصاحبة ، واستبدلنا « باء » المصاحبة ، فقلنا : رشاشة ذات مسند ، ولم نقل : رشاشة بمسند .

7 - جرى اشتقاق اسماء الآلات على وزن « مفعلة » في الاغلب .

(1) سبب التأخير يقع على عاتق الطبعة .

معجمات علمية تستوعب العلوم الاخرى ، حتى يثبتوا عمليا ان العربية لغة علم كما هي لغة ادب .
وعسى ان يكون المعجم العسكري الموحد اول الفيت .

لقد التزمت جيوش الدول العربية كافة بالمعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ، ولم يقتصر نفعه على العسكريين بل عم غيرهم ايضا .

وما كنت اتوقع بهذا المعجم غير العسكريين ، ولكن الله سبحانه وتعالى نفع به في مجالات لم تحلم بها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية .

فقد تسلمت اللجنة رسالة من احد اعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق يقول فيها : « ويسرني ان اخبركم بكل اعتزاز ان اللجنة التي كونها المجلس الاعلى للعلوم بدمشق وسماني مقررا لها لمراجعة مصطلحات البترول ، والتي اشترك فيها ممثل من الجامعة العربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية في دمشق والمجمع العلمي العراقي ، قد اعتمدت في اقرار النصوص النهائية للمصطلحات على رأي المعجم العسكري الموحد » .

ويسرني ان اخبركم بأن اللجنة انجزت المعجم العسكري الموحد (عربي - انكليزي) وهو في مرحلة الطبع ، وسيصدر قريبا باذن الله .

كما ان اللجنة تبذل جهودها في اعداد المعجم العسكري الموحد (عربي - فرنسي) ، وسيقدم للطباعة قريبا .

وحينذاك تكون اللجنة قد اكملت واجبها ، فاصدرت اربعة معجمات عسكرية ، وهي التي قطعت على نفسها عهدا باصدارها .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله واصحابه اجمعين .

كما اعتمد على المعجمات العسكرية الاجنبية .
وفي نهاية البحث ثبت مفصل بمصادر المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) ومراجعته .

الخاتمة

هذا معجم عسكري صدر لجيوش الجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسورية وبخاصة وللجيوش العربية والمثقفين العرب بعامة .

ان تعداد سكان الجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسورية (43.794.862) (1) اي ما يقرب من نصف تعداد سكان الامة العربية .

ولعل صدور هذا المعجم اكثر اهمية من صدور المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) ، لان جيوش دول المغرب العربي اكثر حاجة الى المصطلحات العسكرية العربية من جيوش المشرق العربي .
وليس سرا ان قسما من تلك الجيوش لا تزال تستعمل المصطلحات العسكرية الفرنسية حتى اليوم ، لانها لا تجد المصطلحات العسكرية العربية التي تملأ الفراغ الذي يتركه نبد المصطلحات العسكرية الفرنسية .

وكما استقر في اذهان فريق من العلماء بان اللغة العربية لا تقوى على استيعاب المصطلحات العلمية ، استقر في اذهان قسم من العسكريين في المغرب العربي ، بان اللغة العربية ليست صالحة للعلوم والفنون العسكرية .

وهذا المعجم يقيم الدليل القاطع على ان لغة القرآن الكريم قادرة على استيعاب العلوم والفنون العسكرية بجدارة وسهولة وسر .

واملي وطيد في اصحاب الهمم من العلماء الحريصين على العربية ان يكفوا على اصدار

(1) سكان المغرب (16.500.000) والجزائر (12.643.000) وتونس (4.45.862) ولبنان (2.400.000) وسورية (2.294.000) بموجب آخر احصاء للنفوس في هذه الاقطار .

المصادر والمراجع

أ - المعجمات العسكرية العربية المطبوعة :

- (1) المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) .
- (2) المعجم العسكري السوري (انكليزي - عربي)
- (3) المعجم العسكري السوري (فرنسي - عربي)
- (4) معجم المصطلحات العسكرية الحديثة في العراق (انكليزي - عربي)
- (5) معجم المصطلحات العسكرية العراقية (انكليزي - عربي)
- (6) المعجم العسكري الموحد العراقي (انكليزي - عربي)
- (7) المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي)
- (8) المعجم العسكري البحري اللبناني (فرنسي - عربي)
- (9) القاموس العسكري المصري (انكليزي - عربي)
- (10) المعجم الفني المصري (انكليزي - عربي)

ب - المعجمات العسكرية العربية المخطوطة :

- (11) المعجم العسكري العراقي (انكليزي - عربي)
- (12) المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي)
- (13) المعجم العسكري المصري (روسي - عربي)
- (14) المعجم العسكري المصري (روسي - انكليزي)
- (15) المعجم العسكري السعودي (انكليزي - عربي)
- (16) المعجم العسكري السوداني (انكليزي - عربي)

ج - نشرات المصطلحات العسكرية العربية المطبوعة :

- (17) نشرة المصطلحات العسكرية للقيادة العربية الموحدة (انكليزي - عربي)
- (18) نشرات كلية الاركاب العراقية (انكليزي - عربي)

د - نشرات المصطلحات العسكرية العربية المخطوطة :

- (19) نشرة اكاديمية ناصر للعلوم العسكرية (انكليزي - عربي)
- (20) نشرة المصطلحات الذرية اللبنانية (فرنسي - عربي)

هـ - معجمات اللفّة العربية وكتب اللفّة :

- (21) لسان العرب لابن منظور
- (22) القاموس المحيط - للفيروزآبادي
- (23) ترتيب القاموس المحيط - للطاهر احمد الزاوي
- (24) مختصر القاموس - للطاهر احمد الزاوي
- (25) المعجم الوسيط - مجمع اللفّة العربية في القاهرة
- (26) اقرب الموارد - سعيد الشرتوني
- (27) ذيل اقرب الموارد - سعيد الشرتوني
- (28) البستان للشيخ عبد الله البستاني
- (29) المخصص لابن سيده

- (30) المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم - اللواء الركن محمود شيث خطاب
 (31) تاريخ المعجمات العسكرية العربية - اللواء الركن محمود شيث خطاب
 (32) تاريخ المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) اللواء الركن محمود شيث خطاب

و - المعجمات الفنية العربية :

- (33) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية (1957 - 1968) مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
 (34) معجم الحيوان - الفريق امين المملوف
 (35) المعجم الفلكي - الفريق امين المملوف
 (36) معجم الالفاظ الزراعية - الامير مصطفى الشهابي
 (37) معجم المصطلحات الطبية للدكتور كلير فيل
 نقله الى العربية الاساتذة : مرشد خاطر واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي
 (38) قاموس التربية وعلم النفس - الدكتور فريد جبرائيل نجار
 (39) معجم شرف الطبي - الدكتور شرف شرف
 (40) المعجم الطبي - يوسف حتى
 (41) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي

ز - المعجمات العسكرية الاجنبية :

- (42) المعجم العسكري البريطاني
 (43) المعجم العسكري الكندي (فرنسي - انكليزي) ، (انكليزي - فرنسي)
 (44) المعجم العسكري الاميركي
 (45) المعجم العسكري الفرنسي
 (46) شرح مصطلحات البحرية الفرنسي
 (47) المعجم العسكري لحلف الاطلسي
 (48) المعجم العسكري الروسي

ح - الكتب العسكرية العربية :

- (49) كتب التدريب العسكري العراقية
 (50) واجبات الاركان (عراقي)
 (51) نشرات الاركان (سوري)
 (52) كتب التدريب العسكري السورية

ط - الكتب العسكرية الاجنبية :

- (53) كتب التدريب العسكري البريطاني
 (54) كتب التدريب العسكري الاميركية
 (55) كتب التدريب العسكري الفرنسية
 (56) كتب التدريب العسكري الروسية

ي - المعجمات العربية الاجنبية :

- (57) المورد (انكليزي - عربي) - منير البعلبكي
(58) القاموس المصري (انكليزي - عربي) الياس انطون
(59) قاموس النهضة (انكليزي - عربي) اسماعيل مظهر .
(60) المعجم الفرنسي (فرنسي - عربي) بيلو J. B, Belot
(61) المعجم الروسي (روسي - عربي)

ك - المعجمات الاجنبية :

- 62) Grand Larousse Encyclopédique.
63) Encyclopedia Britannica.
64) Cassell's New English Dictionary.
65) The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.
66) Webster's Third International Dictionary of the English Language.
67) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary.
68) The American College Dictionary.
69) New College Standard Dictionary.
70) Cassell's New English Dictionary.
71) Collins New English Dictionary.
72) Thorndike English Dictionary.
73) The Advanced Learner's Dictionary of Current English.





أبحاث مختلفة

- ♦ الإصالة والتجديد فى اللغة العربية
للدكتور ناصر الدين الأسد
- ♦ تاريخهم من لغتهم
للاستاذ عبد الحق فاضل
- ♦ أعداء الإسلام يحاربون لغته
للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار
- ♦ أسماء الأعلام العربية
للدكتورة فييك فالتر
- ♦ اللغة العربية والبحوث الاقتصادية
للدكتور إبراهيم دسوقي أباطة
- ♦ رسم نموذجى بخط الرقعة
للاستاذ أحمد الأخضر غزال
- ♦ حروف عربية جديدة :
1 - للاستاذ مصطفى النعمان
2 - للاستاذ يحيى بلعباس



الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتور ناصر الدين الأسد
القاهرة

وعلى هذا يمكن أن نقول أن ندوتنا هذه تهدف إلى الكشف عن تلك العناصر الباقية في الثقافة العربية التي يحس العربي من خلالها أنه ينتمي إلى أمة متميزة في روحها وطابعها العام ، وأن هناك من الوشائج الوجدانية والفكرية ما يربطه بتاريخ هذه الثقافة وبعرض وجوه تراثها التي ما زال يجد فيها صدى لشعوره وتفكيره و « روح » حياته بوجه عام . ثم تهدف الندوة بعد هذا إلى دراسة التقاء هذه الأصول بحضارة العصر الحديث وبيان ما تم من تفاعل بينهما وما خلقه هذا التقاء من قضايا ومشكلات أثرت على الأدب العربي والثقافة العربية في أشكالها ومضامينها وطريقة ادراكها للحياة واسلوبها في التعبير عنها . ومن خلال تلك الدراسة يمكن أن نتبين مواطن السلامة في هذا التقاء ومواطن الزلل الناتج أحيانا عن فهم « الأصالة » بمعنى الجمود على القديم ، وأحيانا عن فهم التجديد بمعنى نبذ أصول الثقافة العربية نبذا تاما واحتضان كل جديد مهما تكن طبيعته ، بكثير من الاسراف والاندفاع .

والحق أن الأصالة - كما بين منظمو الندوة - لا تعني المحافظة ولا التمسك المطلق بكل التراث . فمن التراث ما أصبح مجرد تاريخ للامة لا يمثل إلا حلقة ثابتة في مكانها من ذلك التاريخ ، ومنه ما يمثل تيارا ناميا متسدا يعكس روح الامة ويمكن الانتفاع به في كل العصور . كما أن التجديد لا يعني التسليم المطلق بكل ما يظهر من اتجاهات جديدة في الأدب والثقافة . بل لا بد أن نطرح في معرض تقويم كل جديد سؤاليين ضروريين :

أقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال شهر أكتوبر 1971 بالقاهرة ندوة علمية للدراسة مفهوم الأصالة والتجديد ، وقد أبرز المشرفون عليها وفي طبيعتهم صديقنا العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد مغزى هذا اللقاء فلاحظوا أن المراد بالأصالة - عادة - إذا وصف بها عمل ثقافي أو أدبي ما - التميز والتفرد وإضافة جديد قيم في مجال ذلك العمل وأن للأصالة معنى آخر يرد من أصل الكلمة اللغوي ، ويدل على أن العمل الثقافي أو الأدبي يستمد بعض مقوماته من الأصول اللغوية والفنية والفكرية - أو الحضارية بوجه عام - للغة والامة التي ينتمي إليها هذا العمل ، فلكل أمة « روحها » الخاصة وطابعها المميز اللذان يشيعان في نتاجها الثقافي مهما تختلف الأشكال أو المضامين على مر العصور . ومن تراث كل أمة حية يبقى دائما بعض العناصر الإيجابية القادرة على الامتداد عبر العصور ، تربط بين ماضي الامة وحاضرها وتهيئ لثقافتها المعاصرة جذورا تنمو بها و « أصولا » تقوم عليها .

وواضح أن هذا المعنى ليس بعيدا عن المعنى الأول للأصالة وكلاهما يرتبط بالتميز والتفرد ، لكن المعنى الأول يدور في الغالب حول تقويم ادبي أو عمل أدبي وبيان وجوه تميزه وامتيازته وما أضافه أو ابتكره ، على حين يقصد الاستعمال الثاني إلى الكشف عن مقومات ثقافة أمة ما ، وبيان تلك العناصر النامية الممتدة مدى العصور لهذه الثقافة ومقدار مرونتها وقدرتها على مواجهة الظروف المتغيرة .

1 - هل نبع هذا الجديد من حاجة حقيقية لا بد للمجتمع العربي الحديث من تحقيقها .

2 - هل ارضت النماذج الثقافية او الادبية لهذا الجديد تلك الحاجة .

ومن خلال الجواب عن هذين السؤالين نستطيع ان نمحص الجديد لنعرف اهو استجابة حقيقية لظروف عامة في المجتمع ام هو نزعات فرعية او تيارات ثانوية او بدعة من البدع . فالاصالة والتجديد - بالمعنى السليم لهما - ليسا متناقضين بل هما قى الحقيقة متكاملان .

ولا شك ان الندوة لن تكتفي بالرصد التاريخي لمواطن اللقاء بين الاصالة والتجديد ، بل سيكون من اهم اهدافها تقويم تلك المواطن التي تم فيها تفاعل سليم وتوازن معقول بين روح الاصالة وروح المعاصرة، والمواطن التي انحرف فيها اللقاء انحرافا عطل سير التطور او التقدم نتيجة سوء فهم لمعنى الاصالة او لمعنى المعاصرة والتجديد ، حتى يمكن من خلال ذلك الاهتداء الى اسلوب سليم فى مواجهة طبيعة العصر الذي تعيشه الامة العربية من الناحية الثقافية والادبية.

ويزيد من ضرورة التقويم ومن ضرورة البحث عن اسلم الاساليب لهذه المواجهة ، ان الامة العربية ما زالت تعاني مشكلات اللقاء بين « الاصالة » و « التجديد » فى صورة حادة لم تخفف من حدتها كثيرا عشرات السنوات التي انقضت منذ بدأت الامة نهضتها الحديثة . فما زالت الامة حتى الآن تعاني مخاض الحياة العصرية ، وما زال بين المثقفين والادباء خلاف واضح حول مفاهيم الاصالة والتراث والمحافظة والتقاليد والتجديد والعصرية . ويزيد الصورة حدة على حدة اننا - رغم انقضاء تلك السنين الطويلة - ما زلنا مضطرين الى ان نأخذ الكثير من الاشكال الادبية والمضامين الفكرية من امم سبقتنا فى مضمار النهضة الحديثة ، وعلينا دائما ان نحاول التوفيق بين الجديد وبين المقومات الاصلية فى ثقافتنا العربية .

فى مفهوم الثقافة

تتناول « الثقافة » بمعناها الواسع كثيرا من جوانب حياة الامة ، وتشمل : تقاليدها وعقائدها وتراثها وانماط سلوكها واتجاهها الفكرية وفنونها المختلفة من تشكيلية وادائية وشعبية الخ ...

ولما كان بحث كل هذه الميادين فى مؤتمر واحد سيؤدى بالضرورة الى تشعب الموضوعات وتشتت

المناقشات ، وحرصا على ان تتاح الفرصة لاعضاء المؤتمر للتركيز على جوانب محددة والتعمق فى بحثها ومناقشتها ، رؤى حصر موضوع المؤتمر فى « الفنون القولية » وحدها دون غيرها من ميادين « الثقافة » على ان تكون بقية الميادين موضوعات بحث فى مؤتمرات قادمة .

وتشمل « الفنون القولية » : الشعر ، والقصة والرواية ، والمسرحية ، والمقال الادبي ، والنقد الادبي ، والرحلات والسير ، واللغة من حيث هي أداة التعبير وسيلة فى هذه الفنون القولية .

ويتوخى المؤتمر من بحثه لموضوعات الاصالة والتجديد فى الفنون القولية المختلفة ان يربط بين هذه الفنون وطبيعة الحياة العربية ، وان يضمها فى موضعها بين المقومات والميادين الاخرى للثقافة العربية ، دون الاقتصار على النظر اليها بوصفها فنا خالصا مستقلا عن التيارات الحضارية الاخرى .

فى مفهوم « المعاصرة »

اما « المعاصرة » فى عنوان هذا المؤتمر فتشمل النهضة الادبية الحديثة منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى وقتنا الحاضر .



وقد درس المؤتمر النقاط الآتية :

- 1 - مفهوم الاصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة (عرض لتحديد الدلالات)
- 2 - خصائص الثقافة العربية ومقوماتها .
- 3 - موقف الثقافة العربية الحديثة فى مواجهة العصر (عرض وصفي حضاري)
- 4 - الاصالة والتجديد فى الشعر العربي الحديث .
- 5 - الاصالة والتجديد فى القصة والرواية .
- 6 - الاصالة والتجديد فى المسرحية .
- 7 - الاصالة والتجديد فى المقال الادبي .
- 8 - الاصالة والتجديد فى النقد الادبي .
- 9 - الاصالة والتجديد فى الرحلات والسير (التراجيم والتراجيم الذاتية)
- 10 - محاضرات وندوات فى اللغة تتناول الموضوعات التالية :

- أ - المصطلحات والتعريب .
- ب - اللغة والادب فى مراحل التعليم العام .
- ج - لغة الاعلام (الصحافة والاذاعة) .

تاريخهم من لغتهم عشتار

عبد الحق فاضل

والرأي الذي عليه الباحثون أن الأقدمين من مختلف الشعوب اقتبسوا عبادتها عن البابليين . منهم ، بالإضافة الى الشعوب السامية التي اقتبست اسمها أيضا ، الاغريق الذين سموها (أفروديت) ، والرومان الذين دعواها (فينوس) ، والفرس الذين سموها (اتاهيد) .

ومن ذبوح صيتها لدى أبناء العالم القديم وكثرة جريان ذكرها على السننهم صار اسمها المحبوب يعني النجم بوجه عام عند بعضهم ، مثل (ستاره Sitareh) عند الفرس ، و (astron) عند الأفريق ، و (astarum) لدى الرومان ، ومنه اشتقوا اسمي علم التنجيم والفلك astrology و astronomy

ويبدو أن تعميم اسمها على هذا النحو أي اطلاقه على النجوم كافة هو الذي جعل كلا من هذه الامم التي اقتبست عبادتها تطلق عليها اسما آخر ، غير اسمها الاثلي (عشتار) .

وقد امتدت آفاق شهرتها مغربة حتى انكلسرا حيث يدعون النجم star ، ومشرقة حتى نيبال حيث لا يزالون يعبدونها باسم (تارا - Tara) ، وربما فيما وراء نيبال أيضا .

سيدة الالهة وعظيمة الربات - يدعوا مؤلف ملحمة فلقميش (Gilgamesh) (1) . على انها ليست الالهة جمال وحب وخصب كما يعرفها كل من عرف اسمها فقط ، وانما هي الالهة حرب ودمار بالإضافة الى ذلك ، فقد كانت خصائص الالهة ووظائفهم كثيرا ما تزيد أو تنقص أو تتبدل عند أبناء العالم القديم ، لبعض المناسبات .

أحد التماثيل الرمزية البابلية يصورها عارية ، حلوة سمات الوجه تعبيرا عن الجمال الذي هي الالهة ، مفرطة امتلاء الفخذين اخصاصا عن قوة الأنوثة والحب الذي يولدها الدريرة ، وقد أمسكت بكفيها نهديتها الخيرين كأنها تفدق منهما على الدنيا الاكسير المغذي للحياة التي نبتت في رحمها .

انها الزهرة ، هذا الكوكب الدريري في السماء ، المتميز بين ذلك الحشد المكتظ من النجوم بسحره وشدة توهجه ، كأنه مشعل متأجج بين شموع .

الهوا وعبدوها كما الهوا وعبدوا غيرها من الكواكب والنجوم ، لاعتقادهم بأن هاته الكائنات العليا المضيئة ، البعيدة ، هي مسيرة الكون ومدبرة شؤون الناس .

(1) ملحمة بابلية كتبت بالخط المسماري على الواح الطين منذ نحو 4 000 عام ، وهي أقدم ملحمة معروفة في تاريخ الفكر الانساني ، تدهشنا بروعة فنها وحبيكتها ومراميتها ، وكأنها كتبت لجيلنا بأسلوب قديم .

وادغام اللام كما ننطق الكلمة فى فصحانا . واهل الموصل يسمون بقايا الآشوريين فى المنطقة آثوريين (ونخال هذا النطق الثانى ، الأثلى ، متخلفا عن احدى اللهجات الآشورية .

وكان الاغريق يسمون الدولة الآشورية Assyria و Syria ، وكانوا يطلقون هذا الاسم الاخير على بلاد الشام أيضا لأنها كانت جزءا من الامبراطورية الآشورية ، ثم تخصص بلاد الشام وحدها فى اللغات الأوربية ، ومهما فى العربية الحديثة (سورية) . كما ان الأبحاش كانوا ينطقون اسم عشارهم بالسين أيضا (عستر) ، كما تقدم .

ومن اقبال الأقدمين على اعتبار الثور رمزا للقوة بما يشبه الاجماع انهم استعاروا سلاحه شعارا لحكامهم الذين كانوا يضعون فى التاج قرنين دلالة على شدة بأسهم ، ومنهم الاسكندر ذو القرنين . لكن ما هو اهم واغرب ان قدامى العراقيين - قبل الاسكندر بـعصور - كانوا يجعلون على جانبي تيجان آلهتهم قرونا - بنفس المعنى - على كل من جانبي التاج قرنين أو ثلاثة أو أربعة ، حسب درجاتهم ... والأربعة شارة الآله من المرتبة العليا . فالذي فعله الحكام فى شتى أنحاء العالم القديم كان امتدادا لهذا العرف الرافداني الأقدم .

صحيح ان الشومريين الذين يعتبرون أقدم من الأكديين فى العراق ، قد عبدوا الزهرة باسم (نانا) لكن الأكديين (قدامى البابليين) لم يأخذوا عبادتها عنهم ، لأن عبادتها كانت شائعة لدى جميع الشعوب السامية الأخرى فضلا عن أن اسمها السامي (عشتار) متطور من اسم الثور ، كالذي المعنا اليه ، وكالذي سيأتي برهانه .

يضاف الى ذلك أننا نعتقد ان الأكديين ، او بالأحرى الساميين ، أقدم وجودا من الشومريين فى الرافدانية ، لأن الهجرات من قلب الجزيرة العربية لم تبدأ بعد الشومريين بل قبلهم بعشرات القرون . وإنما يسبق ذكر الشومريين ذكر غيرهم لأن الكتابة اخترعت فى العراق فى أبان سيطرة دولتهم فكانت من ثم أقدم الوثائق مدونة بالشومرية . فهذا لا يعنى ان اسم (عشتار) الأكدى لم يكن جاريا على السنة الساميين فى

وقد عبدتها الشعوب السامية جمعاء ، ولها عندهم أسماء كثيرة أخرى : اشخارا لدى البابليين ، وعشتاروث لدى الفينقيين ، وعشار وعشتار عند الأرميين ، واثيرة عند قدامى اليمانيين ، وعشيرة عند قدامى الكنعانيين ، وعستر عند قدامى الأبحاش . غير أن عشتار الآله ذكر عند اليمانيين الأقدمين ، ومثله عشتار عند السبئيين وعند أهل ماري (Mari) (1) الذين كانت آلهتهم الأثى هي عشتار البابلية نفسها .

لكننا تجاه الراى القائل بأن أقدم أسمائها هذه هو الاسم البابلى (عشتار) قد شاع فى المنطقة فلفظه كل قوم بلهجته - نرانا نلاحظ أولا ان اسم الآلهة (عشتار) عند الأرميين كان يطلق على الآله ذكر عند قدامى اليمانيين ، ومثله اسم الآله (عستر) عند أهل ماري وسبأ .

ونلاحظ ثانيا أن هناك صيفا ثانية : عثار وعشتار واثار واثيرة .

ونلاحظ ثالثا ان اسم الآلهة الحبشية (عستر) شبيه باسم الآله الماري والسبئي (عستر) .

هاته الملاحظات الثلاث تمكس الآية عندنا ، وتفتح باب التأويل الذي يقول لنا ان مبعث الكلمة ومهد الآلهة هو الجزيرة العربية ، لا العراق .. وان الأثلى القديم لكل هذه الأسماء صيغة ثانية .

وبكلمة انه الثور .

كانت للثور أهمية عظيى عند الأقدمين . فاما العرعونيون فقد عبدوه وعبدو آناه . واما الهنود فما زالوا يعبدونها - البقرة . واما الآشوريون فقد اتخذوا الثور شعارا لدولتهم كرمز للقوة ، وجعلوا له فى تماثيلهم رأس انسان وجناحي طائر كناية عن الحكمة والتحليق ، بالإضافة الى القوة . وقد اطلقوا اسمه على عاصمتهم القديمة (آشور) وسموا أنفسهم (آشوريين) .

وقد ورد اسم آشور فى التوراة (آشور) بتشديد الشين وكأنه (الثور) مع اظهار نطق الهمزة

(1) دويلة كانت على الفرات بقيت قائمة الى ان سيطر عليها حمو رابي عندما وحد دويلات الرافدانية - العراق - فى دولة واحدة .

(هاتور) ما هو الا صيغة فرعونية لا اسم آثور (الثور)؟
 يمكننا الآن ان نقول فى ثقة ان الدلائل التي مرت
 بنا - ومثلها التي ستمر بنا - تنبئ ان اسم عشتار ،
 مهما قدم ، فاقدم منه الصيغة الثائية النابتة فى الجزيرة
 العربية .

اما ان تعدد الصيغ ايضا مرجعه الجزيرة العربية
 فيؤيده اسم الثور نفسه .

فالآن اذا تبعنا ثورتنا وثورنا المقدسين داخل
 المعربة قبل هجرتهم الى العالم الخارجي ، أي فى
 اللغة العربية نفسها ، نجد ان التسمية مشتقة من
 فعل (ثار يثور) تعبيراً عن (ثوران) الثور أي هيجانه
 المعروف ، الذي اتخذ منه الاسبانيون رياضة
 مشهورة ، وهم يسمونه (تورو - toro) لكننا لا
 ندري هل التسمية حديثة مقتبسة من العربية
 الاسلامية فى العهد الأندلسي العربي أم من اللاتينية
 التي هي الأساس لكيان الاسبانية .

فانظر الى تعدد مصادر هذا الفعل (ثار يثور) :
 ثورة وثورا وثؤورا وثورانا . وجمع الثور : ثيران
 وثوار واثوار وثيرة وثورة (والآخرتان زنة عنبة) .
 ولعل هناك صيغا أخرى كانت موجودة فى لهجات
 العربان الذين هاجروا منذ الوف السنين فنشأ منهم
 الساميون المختلفون فى ديارهم المختلفة .

ونسجل هنا ان اسمي الثورة والثور هما فى
 نفس الوقت مصدران لفعل ثار . نسجل ذلك لفتنا
 للنظر الى استعداد الكلمة للتطور والتخبط ، فكما
 تنوع مصدر الفعل (ثار) وجمع الاسم (لثور)
 تنوعت صيغ الثور والثورة عند القبائل والشعوب
 واختلفت باختلاف اللهجات ، حتى لنراها مختلفة فى
 اللغة الواحدة أحيانا كما فى البابلية (عشتار واشخارا)
 وفى الأرمية (عثار وعشتار) وفى المارية (عشتار
 وعشتار) .

من معنى الثوران قالت العرب (ثار التراب) أي
 ارتفع ، ومن ذلك نشأ (العثير) - زنة المنبسر - أي
 التراب والمعجاج . ومن ثم صار اسم (العثرة) يعنى
 الحرب لأنها تثير العثير ، وطالما قرنوا اسم النقع أي
 الفبار ايضا باسم الحرب حتى صار يعنى الحرب نفسها
 أحيانا فى مثل قولهم : يوم النقع ، وغداة النقع . فلا
 غرابة ان تغدو (العثرة) الناشئة من العثير مرادفة
 للحرب كذلك .

الرافدانية على عهد الشومريين وبل عهدهم بزمن قد
 يكون طويلا . وسنرى كذلك ان اسمها (عشيرة) قد
 كان قديما فى ديار الشام وأنه لغويا أقدم من
 صيغة (عشتار) . وقد كانت الآلهة واسمها معا أقدم
 فى المعربة على كل حال منهما فى سورية والعراق .

والظاهر ان الذين قالوا بأن الأصل هو العراق لم
 يطلقوا على كل هذه الأسماء التي تجمعت لدينا من
 مصادر شتى ، ولم يستدلوا بوجود الصيغ الثائية على
 شيء .

وكان الأعرابون يطلقون اسم الثور على بعض
 الأماكن الجغرافية ايضا فيما يهظز ، مثل جبل (ثور)
 بين مكة والمدينة .

وقد دخل اسم الثور فى بعض الآريات القديمة ،
 ربما منذ أيام الهجرات الآرية الاولى من المعربة . من
 ذلك ان الثور يسمى باللاتينية (taurus) . ومما
 يدعو الى العجب أنهم كالعرب أطلقوا اسمه هذا على
 جبال أيضا هي التي نسميها جبال (طوروس) فى
 تركيا . ومن عادة المهاجرين ان يطلقوا أسماء بلدانهم
 وجبالهم وأنهارهم .. على نظائرها فى المهجر الجديد ،
 كما نرى فى أمريكا مثلا أسماء جورجيا وبيورك
 واوكسفورد وأكثر من عشر مدن وقرى باسم بغداد ،
 وغيرها مثلها . فلعل بعض الأعراب هاجروا من منطقة
 فيها جبل باسم الثور وحلوا فى الأناضول وأطلقوا
 اسمه على أحد جبالها تذكارا لوطنهم الاول ، ثم عمم
 الاسم فشمّل سلسلة جبال (طوروس - Taurus) ،
 واستمر أولئك المهاجرون فى اطلاق نفس الكلمة على
 الحيوان الثور ايضا ثم ذهبوا ، أو ذهب طائفة منهم ،
 الى ايطاليا فحملوا الكلمة معهم وطفقوا يطلقونها على
 هذا الحيوان وتلك الجبال . وزيادة فى التوكيد تقول
 انها تنطق فى اللاتينية بفتح التاء ما يقر بها من النطق
 العربي الفصيح .

وقد رأينا ان المعبود كان جنس البقر انا وذكورا ،
 ومن ذلك ان البقرة كانت تدعى فى العربية (الثورة)
 وما زال ذلك فى المعجم ، لكن اسم (البقرة) شعاع
 وغلب عليها فصارت (الثورة) تطلق غالبا على الهياج ،
 ثم اكتسبت أخيرا معناها هذا السياسي . ومن عبادة
 الثورة كالثور ان الفراعين الذين عبدوا الثور (آيسس) ،
 كانت لهم الالهة بقرة اسمها (هاتور) . وقبل ان نتقدم
 خطوة أخرى .. هل لاحظ القارىء الكريم أن اسم

ومن معنى المعاج اي التراب المرتفع نجد
(العثير) او ما يقاربه من الصيغ بصورة (ether)
في الاغريقية بمعنى الطبقة العليا من الهواء ، ثم
اقتبسته العربية بصيغة (الاثير) وهو كما في اللغات
الاوروبية ايضا - تلك المادة المقترضة التي تملأ فراغ
الكون وتسري خلالها موجات الضوء والحرارة . لكن
لا ننس ان الاقدمين كانوا يطلقون الاثير على الفلك
التاسع .

كذلك راينا اليمانيين القدامى يستمون عشتار
(اثيرة) ، ولعل هذه الصيغة كانت قبل ذلك تعني
الثورة اي البقرة . فالظاهر انهم من شدة تقديسهم
البقرة اطلقوا اسمها المبجل على اجمل كوكب في رقعة
السماء (الزهرة) .

وعلى عادة تطور صفات الالهة وتنوعها واختلاطها
في الاديان القديمة من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد -
تنوعت صفات هذه الالهة وتعددت وظائفها وصاروا
يطلقون اسمها على مختلف الالهات والالهة والنجوم .

والظاهر ان اسم (اثيرة) اليمانية هو ائبل تسمية
الالهة الكنعانية (اشيرة) او (عشيرة) ، وهي زوجة
الاله (ايل) عندهم . وهما - الزوج والزوجة - من
الالهة القدامى البائدين الذين تقول اسطورة كنعانية ان
الالهة الجدد ثاروا بهم واستاصلوهم . ومعنى هذا ان
هذين الالهين كانا معبودين لدى اجيال سبقت الجيل
الذي انشا اسطورة اباداة الالهة القدامى ، فلماذا يحتمل
ان تكون عشيرة هذه ، الاقدم من الالهة الكنعانية ،
اقدم من عشتار البابلية ايضا . وان لم تكن هي اقدم
فان اسمها ائبل على كل حال .

ومن كون عشيرة زوجة صار (المشير) في
العربية يعني الزوج والخليط والصديق ، ومؤنثه
(المشيرة) : الزوجة والساحبة والخليطة . وصارت
(العشرة) - زنة الفكرة - و (العاشرة) تعنيان
الصحة والمخالطة . ومن هذا المعنى صار (المشير)
و (المشيرة) يعنيان القبيلة .

وهذه الصيغ العربية المنطوقة بالعين والشين ،
والناشئة من اسم الالهة الزوجة (عشيرة) دليل

- ولو غير حاسم - على ان (اثيرة) اليمانية كانت
تنطق (عشيرة) ايضا في المعربة نفسها قبل هجرتها
الى ارض كنعان ، ومن اسمها الاعربي هذا استخرجوا
معاني الزيجة والصحة والقبيلة في العربية . والاعراب
انهم استخرجوا مثل هذه المعاني من صيغة (اثيرة)
كذلك لكنها بادت كما بادت معان كثيرة من الفاظ
عربية اخرى . الا انه بقي مع ذلك من آثار هذه المعاني
لفظ (الاثير) و (الاثيرة) . بمعنى الشخص المفضل
المختار اي العزيز . ومن ثم صاغوا الفعل (آثرته)
بمعنى فضله واخترته ، ومنه صيغ المصدر (الايثار) ،
ثم تقيضه (الاثرة) اي ايثار النفس على الغير .

ويلوح ان الاعربين استعملوا (العثير) ايضا
بمعنى البقرة ومنه صيغ اسم ائثر (او ائثار) الذي
بقي في المعينية .

ونجد اسم ائثر في الفارسية بصورة (اختر -
Akhtar) وهو نجم ايضا او بالاحرى نجمان
(اختران) ، ولعلهما نوعان (I) . ومن صيغة (اختر)
هذه نشأت عندهم صيغة (باختر - bakhtar) :
الفرب ، و (خاور - khawar) : الشرق - ما
يرجع ان النجمين المذكورين (اختران) منيبان
الأنواء التي تظهر في السماء اشفاعا : يسطر من ليلة
نوء منها في المغرب فطلع قبالة نوء في لمشرق .
وليس في متناولنا الآن شيء من المراجع الفارسية
للتثبت من ذلك .

وعلى هذا يمكننا ان نفترض ان (خواهر)
وتنطق (خاهر - khalar) : الأخت بالفارسية ،
مشتقة من (خاور) الذي ربما اطلق على النوء الشرقي
اولا . وانما سميت الأخت (خواهر) من معنى تقابل
النجمتين النواين ، كالأختين .

وفي العربية ايضا اشتقوا من تقابل النواين
وصعود الشرقي منهما عندما يفوض الغربي في الأفق
معنيين : النهوض والتقابل . فمن معنى النهوض قالوا
(ناء ينوء) بمعنى نهض اول الامر ثم بمعنى نهض بمشقة
كمثل قولهم (ناء بحمله) . ومن ذلك قالوا (ناض)
ينوض ، بمعنى نهض ايضا ، وقد انقرض هذا الفعل
في الفصحى لكنه لا يزال موجودا في المغربية الدارجة .

(1) تحدثنا عن النجوم الأنواء بعنوان « العرب أول الفلكيين ؟ » في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية » .

ونسى في نفس الوقت ان ابدال الاء سينا كان عادة اعرابية لا تزال باقية في الدارجتين المصرية والسورية. ومهما يكن فان ائول هذه الصيغ السامية جمعاء ترجع الى الاء - سواء منها ما صيغ داخل المعربة ام خارجها - وتجتمع كلها عند الثور والثورة الاعريين . ووجود صيغة (عشتار) في لغة سبا وصيغ عينية اخرى سيأتي ذكرها ، في العربية حتى اليوم ، دليل على ان الكثير من الصيغ العينية الاخرى قد سبكت في المعربة ايضا قبل خروجها الى الاصقاع المجاورة وخاصة اننا نفترض ان اسماء هذه الالهة كان موجودا في لغاتهم قبل مغادرتهم المعربة .

ولم تقف تطورات الاسم ولا اطلاقه على الزهرة عند هذا الحد ، فاننا نرى من الصيغ الثابتة اسم (الثريا) الذي يلوح انه كان ينطق أولا (الثويرة) تصغير الثورة ، مثل كلمة (شوي) أي قليل بالدارجات العربية ، التي ائلها (شبيء) تصغير (شيء) . والثريا هي عنقود النجوم الذي يقع ضمن المجموعة التي يطلق عليها اسم (الثور) . وهي - الثريا - تقع بالدقة في عنق هذا الثور . بل ان الفلكيين اطلقوا اسم الثور على الثريا نفسها ، منهم للفلكي الفارسي عمر الخيام حيث يقول :

« كاويست در آسمان ونامش بروين »

أي « يوجد ثور في السماء واسمه الثريا » (2) ويمكن ان تكون الترجمة : «توجد بقرة في السماء واسمها الثريا » لان اسم الثريا (بروين) في الفارسية تسمى به النساء . وسواء اكانت ثورا ام ثورة فان وجودها في رقبة الثور يشير الى الاختلاط اللغوية والممنوبة التي تتسم بها اللغات والديانات .

ومن اطلاق اسم الثور والثورة والائير والمثير على مختلف النجوم نجد صيغة (العدرة) - زنة القدرة- قد اطلقت على نجمة اذا طلعت اشتد الحر على تعبير المعجم - المنقول عن اقوال العرب - والاصح ان طلوعها يصادف اوان اشتداد الحر . ومن المحتمل ان يكونوا قد ظنوها الالهة الحر وموجته .

ومن (ناض ينوض) ظهر فعل (نهض ينهض) . ومن معنى النهوض والمقابلة قالوا (ناواه مناواة) أي ناهضه مناهضة ، الذي صار يعني عارضه وفاخره ، وعاداه . ومن معنى المقابلة قالوا (ناوحه) . ومن ثم قالوا (تناوح الجبلان) : تقابلا . ومن هذا المعنى نشأ معنى غريب هو (النوح والنياحة) حيث قالوا (استنح الرجل) : بكى حتى ابكى غيره ، وهذا ناشيء من قولهم (تناوحا) ، كأنما قصدوا انهما تقابلا في البكاء . ثم قالوا من هذا المعنى (استنح الرجل غيره) : استبكاه .

ثم ان الاعريين طوروا اسم ائتر (او ائثار) الذي نجده في المعينية فصار ينطق على السنتم : عشتار وعشتار وعستر وعشتار وعشتار وعشتاروث .

ثم سرحت هذه الاسماء البقرية الائل فانداحت على جوانب المعربة في لغات الموجات المهاجرة منها. ومما قد يؤيد ذلك ان الاحباش في افريقيا نطقوها عستر (او عستار) بالسين واهل ماري ، في موقع (تل حريري) الحالي على الفرات ، شمالي البوكمال ، في سورية ، نطقوها (عشتار) و (عشتار) بالسين . وليس من المستحيل لكن من المستبعد ان يكون احد الفريقين قد اقتبس الاسم من الآخر وبينهما هذه الجزيرة العربية المترامية الطرفين ، التي هي اصلح لسبك الصيغ وتوزيعها لوتوعها متوسطة بين جميع الاطراف المعنية - فضلا عن ان عشتار الاله عند الماريين وعستر الالهة عند الاحباش . وكلتا الصيغتين ائلها (ائتر) التي بقيت الى عهد المعينيين ولعلها بقيت بعد عهدهم في لغتهم او لغة سواهم من الاعريين الذين لم يكتبوا او لم تكتشف اكايتبهم .

ويجوز طبعاً ان تكون بعض هذه الصيغ قد سبكت خارج المعربة حيث تناولت بعض الشعوب السامية كلمة اعرابية واحدة فنطقها كل منهم بطريقته مثل (عستر) الحبشية التي يحتمل ان يكونوا قد تسلموها من العرب بصورة (ائتر) بالاء فنطقوها بالسين وفق لهجتهم كما نطقوا الثالوث مثلا (سيلاس) (1) لكننا لا

(1) من ذلك اسم عاهل اثيوبيا « هيلاسيلاسي » المركب من كلمتين : هيللا (= حيل ، اي قوي) و سيلاسي . ومعنى الاسم بجملته : الثالوث القوي .

(2) تمام ترجمة هذه الرباعية التي يعبر فيها الخيام عن احتقاره الجنس البشري ، في كتابنا «ثورة الخيام» هو : لاح ثور في السما يدعى الثريا ظاهر واخفتى تحت طباق الارض تسورا آخر فاذا ما نظرت واعية العقل البصير شاهدت بين كلا الثورين سربا من حمير !

وقد عبرت العزى خارج المعربة كذلك ، فى الهلال الخصيب من قبل اللخمين فى الحيرة والأرميين فى العراق والشام .

والظاهر أن قريشا جلبت الصنم من الحضرة - المدينة التي دمرت بعد الميلاد بنحو قرنين - لا لأن قريشا كانت تجلب منها اصنامها فى العادة فقط - كما كنت قرأت منذ عهد بعيد فى مطبوع ما - لكن لأن صنما للعزى وجد فى اطلالها كذلك (1) .

وربما من اسم (العزى) نشأ فى الفرعونية اسم (ايزيس) الالهة المصرية المشهورة التي تناظر عشتار البابلية . واسم زوجها (اوزورين) ، وهو الذي ورد اسمه فى القرآن (العزيز) - زنة الزبير . وازضافة السين الى هذه الأسماء الفرعونية : ايزيس واوزوريس وسيرويس - عادة لغوية اعربية قديمى لا تزال من بقاياها كلمات مثل العتريس (الشديس) والقدموس (القديم) والقسطاس (الميزان) (2) .

واوزوريس الذي كان عند المصريين رمز الزرع والخضرة ، مع زوجته ايزيس لا يناظر الاله تموز مع الالهة عشتار عند البابليين .

ويظهر أن طلوع العزى كان يصادف موسم هطول الأمطار عند بعض الأعربيين . ولعلمهم ، أن صح ذلك ، اطلقوا من هذا المعنى كلمة (المعزوزة) على الأرض التي أصابها (العز) - زنة الحس - أي المطر الشديد ، كما كانوا يقولون « مطرنا بنوء الثريا » مثلا .

ولا ندري كذلك هل نشأ اسم (عطار) من صيغة مثل عتار أو عطرة أم من معنى الطرد لأنه يطرد أي يلاحق نجما أو كوكبا ما .

ولعل اسم كوكب (المشتري) متطور كذلك من (عشتار) أو نحوه .

ولعل اسم (سهيل) ثم (السها) أيضا من ذراري هذه المجموعة .

ومن العذرة فيما يظهر نشأ اسم (الشعري) بكسر الشين وفتح الراء - وهو اسم نجمة تطلع فى الجوزاء ويكون طلوعها فى شدة الحر كذلك . وهذه الخلة المشتركة بين النجمتين تنبئ أن اسم الشعري ناشئ من العذرة مبنى ومعنى ، بينما صيغة (الشعري) تبدو أقرب الى اسم (عشيرة) وكأنها مقلوبة منه . ويجوز طبعا أن يكون الأثر كلمة نالفة غير هذه وتلك بنتيجة التغييرات الدينية والتحويلات اللغوية .

وتوجد عند العرب شعريان : احدهما وهي المع نجوم (الكلب الأكبر) سموها (الشعري اليمانية) لأنهما تطلع من صوب اليمن ربما بالنسبة الى الحجازيين فتكون التسمية حجازية عندئذ . . والثانية سموها (الشعري الشامية) وهي المع نجمة فى كوكبة (الكلب الأصفر) ، والتسمية تومئ الى أن طلوعها يكون من ناحية الشام .

والشعري اليمانية التي لعلم عدوها الالهة القبط ، عرفها الفرعونيون باسم (سيرويس) واعتبروها الالهة للخصب والانبثاق لأن الموسم الذي يطلع فيه هو فى مصر ابان فيضان النيل حيث يشتد الحر فعلا ، ومن ثم كان عند الاغريق والرومان رمز الحر ، كما عند العرب .

ولا ندري بالضبط من اية صيغة باقية او بائدة نشأ اسم (العزى) ، الصنم المشهور الذي عبدته قريش فى جاهليتها . وعلى بعض الروايات كان أعظم اصنامها ، تزوره وتنحرف له . وكان يمثل الالهة (العزة) ، أي أن هذا أثر (العزى) فيما يظهر . وكان للعزى أكثر من معبد فى الحجاز ، وكان يعبدها أكثر من قبيلة بالاضافة الى قريش . والمعبد الرئيسي فى بعض الروايات كان بين مكة والطائف ، أرسل النبي خالد بن الوليد لهدمه ، فهدمه وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك !

اني رأيت الله قد أهانك !

(1) أخبرنا المرحوم الدكتور ناجي الأصيل عندما كان مديرا عاما للآثار القديمة فى العراق أن التنقيبات العراقية كشفت عند مدخل أحد الهياكل فى اطلال الحضرة عن ثلاثة تماثيل منقوشة على احدها اسم « اللات » وعلى الثاني اسم « العزى » ، والثالث غفل لا اسم عليه والمظنون أنه « مناة » مصداقا للآية : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

(2) تطرقنا بشيء من التفصيل الى موضوع السين فى العربية والآريات ضمن بحث « أسرار الضمائر » - فى المرجعين المذكورين .

وأخيراً نذكر اسم (الزهرة) الجميلة - وهي أساس كل هذه الفتنة - فيبدو لنا أنه متطور من اسم امها (الثور) العظيمة الشأن .

— x —

بعد أن تبيننا لنا العلاقة اللغوية بين هذه التسميات الشتى من النجوم والآلهة والأبقار ، نعيد ادراجها حسب ترتيبها الهجائي في هذا المسرد - تيسيراً لالقاء نظرة عامة فاحصة عليها :

آتوري : آشوري ، بلغة الموصل . ونحسب هذا النطق الثاني متخلفاً من احدى اللهجات الآشورية ، وهو الأثقل على كل حال ، وأثله (الثور) .

آشور : اسم عاصمة الآشوريين القدامى ، كانت في موضع بلدة (شرقاط) الحالية ، على دجلة ، جنوبي الموصل ، ثم صار الاسم علماً على الدولة الآشورية . وقد ورد في التوراة بصيغة (آشور) بتشديد الشين ما يقربها من نطق أثله (الثور) .

أنتار (أو اثتر) : الآلهة عند المعينيين تناظر عشتار عند البابليين . وهي كما يظهر أثل عشتار ومن ثم عشتار . أما أثل (أنتار) فهو (انار) - بتشديد الثاء - الذي نفترض أنه اسم كان موجوداً ومنه نشأ اسم (عثار) الأرمية .

أثيرة : الآلهة عند قدامى أهل اليمن تناظر عشتار البابلية . وكانت أولاً تعني البقرة فيما يبدو ، وأثله (الثور) .

أختر : نجم ، بالفارسية . والأغلب وروده بصيغة (اختران) وهو يشمل الثنية عندهم ، مما يدل على انهما نوءان . وأثله (اثتر) المعينية .

أسيريا Assyria : اسم دولة آشور ، بالاغريقية ثم اللاتينية ، أثله : آشور أو آثور .

اشخارا - Ish'hara : احدى صور الآلهة عشتار عند البابليين ، واسمها متطور من اسمها .

اشييرة (أو عشيرة) : زوجة الآلهة (ايل) عند الكنعانيين ، وهما من الآلهة القدامى اللذين أبادهم الآلهة الجدد ، ولعلها أقدم من عشتار

البابلية ، أو أن اسمها على الأقل أقدم لأنه أقرب تأثيلياً إلى (أثيرة) بينما اسم عشتار أثله (أنتار) ، وهي أحدث صياغة من (أثيرة) .

أوزوريس : الإله فرعوني . إذا حذف السين الزائد من اسمه فأصبح (أوزور) يبدو كأن أثله : آشور أو آثور وهو يناظر تموز حبيب عشتار عند البابليين من حيث أنه رمز الخضرة ومن حيث أن أثنائه إيزيس نديته وحاولت استنقاذه من الموت .

إيزيس : الآلهة فرعونية ، وهي كالذي قلنا توازوجة أوزوريس ، التي تناظر عشتار البابلية بالنسبة إلى حبيبها تموز . لكن اسم (إيزيس) منحدر من (العزى) أو من صيغة مقارنة .

تاراً : الآلهة الحب والجمال عند أهل نيبال حتى اليوم ، وأثله اسمها عشتار أو عثتار أو نحو ذلك . ولعلها معبودة بنفس الاسم أو بغيره لدى شعوب أخرى في المنطقة .

الثريا : طائفة من النجوم في عنق المجموعة النسي تسمى (الثور) . وأثله اسمها هو (الثوييرة) تصغير الثور ، أي البقرة ، فيما يظهر .

باختر : الغرب ، بالفارسية . وأثله (اختر) ، أنفا .

ثور : جبل بالحجاز فيه الفار الذي لجأ إليه النبي مع أبي بكر يوم الهجرة النبوية إلى يثرب .

الثور : معبود الفراعين باسم (آيس) ، وأحد البروج الاثنى عشر في السماء ، مدته من 21 نيسان (أبريل) إلى 20 ايار (ماي) .

الثورة : البقرة . وقد عندها الفراعين باسم (هاتور) ، ولا تزال معبودة الهندوك .

خاور : الشرق بالفارسية . ومنه نشأ اسم (خواهر) : الأخت ، لعل أثله (اختر) ، أنفا .

الزهرة : النجمة المتوهجة المعروفة التي كانت الآلهة الجمال والحب والخصب لدى الأعربيين وغيرهم من الشعوب القديمة شرقاً وغرباً . يبدو أن أثله اسمها (الثور) .

كانوا يطلقون اسم عشتاروت - الذي هو الزهرة في الأصل - على الالهة القمر أحيانا . وعلى هذا يكون (الشهر) قد اطلق في العربية على القمر أولا ثم صار يعني الفترة الزمنية بين طلوع هلالين أو بالأحرى بدرين . وما زال اسم القمر يعني الشهر في الفارسية (ماه) والتركية (آي) وفي كثير غيرهما من اللغات .

طوروس : سلسلة جبال في تركيا . والتسمية من اللاتينية (Taurus) التي تعني فيها الشور كما تعني هذه الجبال . وأصل الكلمة كما هو واضح (ثور) . وقد يكون أصل تسمية هذه الجبال اعرابيا وخاصة أن في الجزيرة العربية جبلا أو أكثر باسم (ثور) .

عشار : اسم عشتار عند الآريين .

عشتار : اسم عشتار عند الآريين كذلك .

عشتار (أو عشتار) : إله عند قدامى أهل اليمن .

العذرة : نجم يطلع حين يشتد الحر . ولعله ائله (الشعري) لفظا ومعنى . أما ائله فربما كان ائتر أو أئيرة أو ثورة ..

العزى : صنم كان لقريش في الجاهلية ، وجد نظيره في أطلال الحضرة . وقد عبده اللخميون والآريون كذلك . أما ائله (العزى) فلعله اسم الالهة (العزة) - زنة القصة .

العزير : اسم ورد في القرآن تعريبا لاسم (أوزوريس) الفرعوني . وربما كان منه أيضا اسم النبي العبراني (عزير) على عادة العبريين في اقتباس بعض الفرعونيات وأشهرها عبادة العجل (1) .

عستار (أو عستر) : نظيرة عشتار البابلية عند قدامى الآحياس . وأئلهها (عستار) وهذا من (اشار) المعينية .

عشتار : الالهة الجمال والحب والخصب والحرب عند البابليين ، وأئله اسم (عشتار) أو (اشار) .

السها (أو السهي) - كلاهما زنة الرؤى : نجم يقع في مجموعة الدب الأصفر ، يضرب به المثل في الضالة . يبدو أنه اختزال من اسم (سهيل) ، تاليا .

سهيل : نجم وهاج ، يطلع عند العرب في أواخر موسم القيظ . لعل ائله (الزهرة) . فان صح ذلك فالأغلب أنهم سموه (زهير) أول الأمر .

سيروس : جزيرة في بحر إيجة . لا تعرف سبب تسميتها لكن اللفظة تبدو كأنها جاءت من اسم (الشعري) مثل اسم الإله المصري (سيرويوس) ، لاحقا .

سيروس : الملك الفارسي القديم المعروف باسم (كوروش) أيضا . ويظهر أن ائله (الشعري) كذلك ، مثل اسم (سيرويوس) ، تاليا .

سيرويوس : نجم يطلع عند المصريين بشيرا بفيضان النيل الذي يبدأ عادة في منتصف شهر آب (أغسطس) أي بداية موسم اشتداد الحر . وكان عندهم لذلك إله الأنبات والخصب ، وهو المسمى عند العرب (الشعري اليمانية) . واسم (سيرويوس) متطور من اسم (الشعري) نفسها ، يتضح ذلك عند حذف (أوس ، يوس) من آخر الاسم فيبقى (سيرو) .

سيريا - Syria : اسم أطلقه الإغريق على بلاد الشام وآشور ، وظل كذلك عند الرومان ، ثم تخصص في اللغات الأوروبية ببلاد الشام (سورية)

الشعري : نجمة تطلع عند اشتداد الحر . ولعل ائله الاسم (العذرة) التي تطلع في شدة الحر أيضا . ويبدو اسم (عشيرة) أقرب إلى (الشعري) ويمكن أن يكون هو الأئله . ومنها اسم (سيرويوس) آنفا . وكانت عند الإغريق والرومان أيضا رمز الحر .

الشهر : الجزء من اثني عشر جزءا من السنة . يصح ذكره مع هذه المجموعة من الأسماء أن كان ائله (الزهرة) أو نحوها . ويؤيد ذلك أن الفينيقيين

(1) كما أن اسم موسى أيضا من الفرعونية والمظنون أنه ائله : موشا (= مو : ماء + شا : شجر) : إشارة إلى التقاطه رضيعا بين أشجار الماء .

أوردنا هذه الأسماء مرتبة الفبائيا ، لاننا لا نستطيع ترتيبها دينيا ولا تأثليا بسبب تفرعها مثل اغصان الشجرة متعارضة ومتماكسة ومتواشجة ، لا متتالية مثل حلقات السلسلة . ويمكن تأثيل كل واحد منها على حدة بوجه التقريب والتخمين ، كالذي فعلنا.

هذا ولا نذكر مصدرا اخذنا عنه هذه الأسماء لانها صادفتنا في مصادر مختلفة اثناء مطالعاتنا العامة خلال عدد عديد من الأعوام . ولا نخالها موجودة كلها في مصدر واحد . ولا بد ان هناك مصادر أخرى تحتوي اسماء أخرى في هذا الصدد قد تكون كثيرة . ولا بد ان هناك أسماء منقرضة أيضا لا توجد في أي مصدر . ولو أمكن الاطلاع على هذه وتلك لأمكن بسهولة تأثيل هذه الأسماء بوجه الدقة أو ما يقاربها .

وأخيرا ، لو انصفنا لجعلنا الثور أو الثورة عنوانا لحديثنا هذا لانهما أصل تلك الآلهة وأثل هذه التسميات . لكننا آثرنا الأجل والأحب الى القراء فجعلنا عنواننا (عشتار) .

عشتار : الإلهة الخصب عند أهل ماري .
عشتاروث : عشتار عند الفنيقيين ، أي كوكب الزهرة ، وكانوا يرمزون بها الى الإلهة القمر أحيانا . ويظهر ان (اوث) في آخر الاسم علامة تانيث ، ما يوحي بأن الذين سبكوا هذه الصيغة ، من الفنيقيين أو أسلافهم ، كان لهم إله ذكر باسم عشتار أو عشتار . مثل السبثيين والماريين ، فالحقوا علامة التانيث باسم الإلهة الأنثى ، تمييزا .

عشتار : الإلهة عند أهل ماري .
عشتار : الإلهة عند قدامى السبثيين ، كانوا يقصدون به كوكب الزهرة ، وهو الابن في الثالوث السبثي . أبوه القمر (الموقء) وأمه الشمس (ذات حميم) .

عشيرة : هي أشيرة ، أنفا .

هاتو : الإلهة ثورة (بقرة) عند الفرعونيين . ويبدو أن اثل الاسم هو آثور أو الثور .

— x —



أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ يُجَارِبُونَ لُغَتَهُ

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
مكة ،

وكانت نتيجة هذا التأثير السيء أن اكتفى المثقفون منا في باكستان وبلاد المشرق من القرآن الكريم بالتلاوة مجردة عن فهم معاني الالفاظ والكلمات، كما اهلوا في دراساتهم تعلم هذه اللغة الميسرة .

انهم لو بذلوا جزءا يسيرا من مجهودهم العلمي في سبيل اتقان هذه اللغة الكريمة لما وقموا في شباك الدعاية السيئة التي يروجها الاعداء .

ان اللغة العربية لغة سهلة وميسرة للفهم والاتقان، وهي بالنسبة لنا نحن الباكستانيين من اسهل لغات العالم ادراكا لكننا - مع الاسف الشديد - انجرنا مع تيارات الدعايات المقرضة ، واخذنا نسمي السهل صعبا ، ونقول لليسير عسيرا .

وليس ما يشكو منه الكاتب الباكستاني الفيور على لغة القرآن مقصورا عليه ، فكل الغير عليها يشكون ما يشكو منه .

وليس الباكستانيون وحدهم انصرفوا عن العربية، بل العرب اشد منهم انصرافا ، فالتهمة التي الصقها اعداء الاسلام بلفته اثرت في علماء العرب من اساتذة الجامعات والمعاهد الكبرى ، وحمل علماء عرب كبار راية الاتهام وايدوا اعداء العربية في زعمهم انها شديدة الصعوبة .

وقد وضع اولئك الاعداء مخططا رهيبا للقضاء على العربية ، وجعلوا عنوانه : صعوبة اللغة العربية ،

جاء في مجلة « رابطة العالم الاسلامي » التي تصدر في مكة المكرمة (العدد الماشر 1390) ما ملخصه:

كتب الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار مقالا قيما تحت العنوان المذكور اعلاه ، ينوه فيه بباكستان الشقيقة التي تولي عناية كبيرة باللغة العربية ، ولقد تسنى للسيد كاتب المقال أن يزور باكستان ويلتقي بشخصيات مرموقة فوجد فيها عطفًا كبيرًا واهتمامًا بالغا بلغة الضاد . وكذلك الامر في الصين الوطنية يقول مثلا : « فالمسلمون في الصين يتمنون أن يدرسوا اللغة العربية ويتعلموها ولكنهم لا يجدون المعلمين فيكتفون بقراءة القرآن دون أن يفهموا كلمة أو آية ، بل يقرأ بعضهم الآيات محرفة » .

ويؤكد الاستاذ عبد الغفور عطار أن اهتمام باكستان باللغة العربية اهتمام لا حد له ، غير اننا نحن العرب لم نول أهمية تذكر هذا الاهتمام فلا نكاد نعرف من جهودهم المباركة العظيمة شيئا . وبعد ذلك تحدث عن كتاب « قواعد الفقه » للعلامة الباكستاني الاستاذ محمد عنيب الاحسان ثم عاد الى الدفاع عن العربية قائلا :

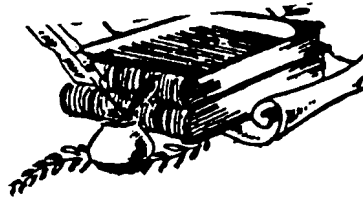
« لقد قام اعداؤنا اعداء الاسلام - وما زالوا يقومون - بدعايات سيئة ضد هذه اللغة الميسرة مدعين بانها من اصعب اللغات ، واخذوا يروجون هذه الدعاية بطرق شتى واساليب مختلفة حتى تأثر كثير منا وطفقوا يرددون فيما بينهم بأن اللغة العربية صعبة!!»

وحضاراتهم وشريعتهم وآدابهم وسلوكهم ولغتهم ،
فاتجهوا نحو اعدائهم ووالوهم وجملوهم مثلهم الاعلى ،
وتركوا لغتهم ودينهم فهانوا وذلوا .

ومن جملة ما دعوا اليه ليقضوا على لغة العلم
والكتابة ، والى تيسير النحو في اللغة العربية الدعوة الى
اتخاذ العامية والى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف
العربي المسلم ، والى هدم موازين الشعر العربي ، والى
ترك الاعراب وتسكين اواخر الكلمات ، والى الثورة على
علوم البلاغة الخ .

ثم فصلوا التهمة تفصيلا ، وزخرفوا اباطيلهم وتهمهم
المدمرة بالغيرة على اللغة العربية والناطقين بها حتى
وقفوا الى ان يجعلوا علماء العرب مؤمنين بصدق ما
يدعون ، ونهضوا بحمل الدعوة كما اراد اصحابها من
اعداء الاسلام .

وهؤلاء الاعداء يعلمون ان اللغة العربية لغة القرآن
والحديث والاسلام ، فاذا اضعفوها اضعفوا العرب
والمسلمين جميعا وتم لهم ما ارادوا ، فقد اضعفوا
العرب والمسلمين ، ونزعوا منهم الثقة بدينهم وثقافتهم



أَسْمَاءُ الْأَعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ

(من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي)

الدكتورة فيبفا فالتر
أستاذة اللغة العربية
جامعة مارتش لوتز (ألمانيا الديمقراطية)

التعريض بادعاء الشعوبية وإن يجد لكل اسم معناه فقد كان لا بد له من أن يعترف بعجزه عن إعطاء المعنى الدقيق لعدد كبير نسبياً من الأسماء ، لذلك فهو يذكر أحيانا احتمالات مختلفة لشرح اسم واحد . وسبب ذلك في كثير من الأحيان أن لبعض الأصول في اللغة العربية معاني مختلفة .

ابتدا بعض المستشرقين الأوربيين منذ أوائل هذا القرن بأبحاث عميقة لبعض مجموعات الأعلام العربية وقد انتبه إلى ذلك بعضهم من قبل ومن بين هؤلاء العلماء مثلا Th. Nöldeke عن بعض مجموعات الأعلام الساميين ومنهم العرب و E. Gratz عن أعلام النساء العربية القديمة و J. Hotovitz عن الأعلام في القرآن . و J. Wetzstein عن الأعلام في جبل حوران في منتصف القرن الماضي و J. Hess عن أعلام البدو في وسط الجزيرة العربية . و E. Littmann عن بعض مقالات مثلا عن أعلام البدو في جبل حوران وعن الأعلام المصرية في منتصف قرننا هذا .

وبدا المستشرق الإيطالي L. Caetani كتاباً عنوانه : Onomasticon ومعنى ذلك كتاب الأعلام العرب ولكن لم يكن في وسعه أن يتم إلا الجزء الأول من هذا الكتاب وهو يحتوي على العبادة ويعني ذلك من أسمهم عبد الله ، وكتب المستشرق الإيطالي F. Gabrieli كتاباً افتتاحياً لذلك الكتاب يجمع فيه المصادر ويعرض فيه فكرة واضحة عن نتائج المؤلفات

اسمحوا لي أن أعرض لكم اليوم موجزا لبعض الأعلام العربية منذ القرن الأخير للعصر الجاهلي حتى أوائل العصر العباسي ، وجربا على رأي الكاتب والعالم اللغوي الألماني (A.W. v. Schlegel) الذي قال : أن الأسماء هي التمثال الإقدم للغة وللأدب ولتفكير الشعب .

وقد وجدت اليوم أبحاث شاملة وعميقة للغات كثيرة عن أسمائها سواء أسماء الامكنة منها وأسماء الأشخاص ، ولا تبحث الأسماء فيها من الوجه اللغوي فحسب بل ومن الوجه التاريخي والاجتماعي والانتولوجي أيضا .

ويشتمل الأدب العربي اللغوي في القرون الوسطى على أقوال عديدة عن الأسماء من الناحية اللغوية فقط . ولقد حاول (سيبويه) في كتابه «الكتاب» أن يحدد ماهية الاسم العام وبما يختلف عن اسم الجنس ، ويبحث سيبويه مواضيع نحوية ولغوية تتعلق بأسماء الأعلام . واستطاع اللغويون بعد سيبويه أن يحددوا بدقة أكثر ماهية اسم العلم ، وفي مؤلفاتهم فصول خاصة حول الأسماء . ويجزئني عن الإطالة أن أذكر لكم هنا أن العالم العربي (ابن دريد) قد حاول في كتاب «الاشتقاق» في القرن الرابع الهجري أن يشرح معاني أسماء العرب الشخصية ، ويعلل ذلك في مقدمة كتابه «أن قوما يطعنون في اللسان العربي وينسبون أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم» . وهو يعني بهذا أصحاب الشعوبية ، ومع أن غايته كانت

العربية والاوربية المهتمة بالاعلام العربية التي صدرت حتى ذلك الوقت حتى سنة 1915 م .

وبدا بعض الادباء فى العالم العربي فى السنوات الاخيرة بلفت النظر الى الاعلام العربية . فكتب الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائى مقالات متعددة عن الاعلام العربية خاصة الحديثة منها (يمكننا ان نقول انه لا توجد الى الآن دراسات واسعة مهتمة بالاعلام العربية بالنسبة للغات السامية الاخرى او للغات الهندية الاوربية) . اما اسماء الاعلام فى القرون الاولى من الاسلام او فى الجاهلية فقلما كانت حتى الآن موضوعا للدراسة . مع ان نظام سلاسل الانساب العربية الواسع الناشىء من المجتمع البدوي والادب العربي التاريخي والبيوغرافى المتسع يحتوي على مجموعة ضخمة من اسماء الاعلام جديرة بدراسات عميقة .

ويهمنا الآن فى هذه المقالة اسماء الاعلام فى القرن الجاهلي الاخير وفى القرنين الاول والثاني من الاسلام .

ولكى نحصل على نظرة اجمالية مناسبة عن اسماء الاعلام الشائعة فى ذلك الوقت نستفيد من كتاب الاشتقاق لابن دريد ومن فهارس الاسماء فى بعض مؤلفات بارزة فى القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري، من ذلك كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد او سيرة النبي لابن اسحاق وفهارس الاسماء فى بعض مجموعات الأشعار كالتقائض او المفضليات مثلا . ونجد فى هذه المؤلفات من 3000 الى 4000 اسم تقريبا ، وعندنا الآن مرجع ممتاز وهو جمهرة الانساب لهشام ابن الكلبي الذي كان الفضل فى نشره من جديد سنة 1967 للمستشرق الالماني W. Caskel باستطاعتنا ان نذكر ان اسماء الاعلام المذكورة تغلب فى هذا العصر الذي نحن بصددده على اسماء الاعلام المؤنثة لان المجتمع كان مجتمع الرجال . مع انه توجد فى شجرات الانساب بعض الآثار لمجتمع سيطرت فيه النساء (Matriarcat) (وهو ينتج من طبيعة المجتمع العشائري البدوي المبني على القرابة الحقيقية او الوهمية انه يصعب علينا ان نفرق بين الاعلام الشخصية واعلام البطون او العشائر لان البطون يرجع اصلها الى اب واحد سواء اكان حقيقيا ام وهميا واحيانا الى ام واحدة) .

وبناء على كثرة عدد الاسماء ارى ان من المناسب ان اركز على الاسماء بدون الالقاب او الكنى او الانساب مع انها اجزاء لا تتجزأ عن العلم العربي الكامل ومع ان بعض الالقاب والكنى المجازة تعبر عن تفكير الشعب

ومزاجه ، وعدد الالقاب والكنى المجازة السواردة فى مصادرنا المذكورة نسبيا قليل . وظلت النسب تنسب فى القرن الاول والثاني من الاسلام الى البطن الذي يرجع الشخص اليه سواء عند البدو او عند سكان المدن، وقد عاش سكان المدن وبينها المدن المنشأة فى صدر الاسلام حسب تبعيةهم لبطن من البطون ويظهر لنا ذلك ان هذه التبعية كانت اكبر قيمة من تبعية المنشأ المحطى . وهذا مميزات لمجتمع تغلب عليه البداوة . وكثيرا ما كان الناس فيما بعد ينسبون لبطن من البطون وايضا الى مكان من الامكنة مثلا السلمى المكي . واحيانا كان لهم زيادة على ذلك نسبة تدلنا على مذهب الشخص او حرفته او حرفة ابيه كالساعاتى مثلا . فاذا فى وسعنا ان نقول ان العلم العربي الكامل فى ذلك الوقت عبر عن موقف الشخص فى المجتمع تعبيراً دقيقاً نسبياً ، ولا نجد القابا تكريمية فى عدد كبير من الاسماء حتى وقت العباسيين وكانت هذه الالقاب اول الامر القابا عرشية للخلفاء بدت فيما بعد عند الاسر الحاكمة المختلفة وعند زرائهم وموظفيهم ايضا . وكان استعمال الكلمات (دين) و (دولة) و (ملك) فى الالقاب المركبة مميذا لذلك العصر ، ويبدو ان هذه الالقاب تتقوى وتتضخم كلما تفكك الملك وفقد قدرته ، وبعض الالقاب المضافة الى « دين » صارت فيما بعد اسماء اعلام ولا تزال حتى الآن .

واذا اردنا الاهتمام باسماء الاعلام فعلينا ان نأخذ اربع نقط رئيسية بعين الاعتبار وهي :

- 1 - شكل اسماء الاعلام .
- 2 - معنى اسماء الاعلام .
- 3 - البواعث لاختيار اسم من الاسماء لطفل .
- 4 - انطباع اسماء الاعلام بطبيعة الاحوال الاجتماعية .

1 - شكل الاعلام :

نستطيع ان نقول (بوجه عام) حول شكل الاعلام ما يلي :

لا توجد فى العربية الشمالية على النقيض من اكثر اللغات السامية الاخرى اعلام بشكل جمل اسمية (فمثلا ، فى العبرية القديمة Immanuel يعنى عندنا الله ويذكر لقويو العرب بعض امثلة لاعلام فى شكل الجمل الفعلية مثلا تابط شرا او برق نحره . جميع الاسماء فى هذا الشكل كما يبدو القاب ولم توجد الا فى وقت الجاهلية . وهناك اعلام اخرى على شكل جمل

ونذكر على سبيل المثال تغلب أو يزيد ، ومعظم هذه الاعلام اعلام لبطون او لشخصيات من اساطير قديمة ومن المحتمل ان منشأ هذه الاعلام فى جنوب جزيرة العرب وانها كانت فى البداية تنسب الى الالهة ، ولكن شرح ابن دريد فى كتاب الاشتقاق يبرهن على ان العرب فى شمال جزيرة العرب ايام ابن دريد نسبوا هذه الاعلام الى الطفل او الشخص المسمى بهذا العلم ، ووجدت فى ذلك الوقت بعض اعلام اخرى بشكل جمل نشأت فى جنوب جزيرة العرب ايضا وهى مثلا معد يكرّب او شرحبيل ويقول نحاة العرب انها مركب مزجى لانهم لم يفهموا العربية الجنوبية بعد .

ومجموعة صغيرة نسبيا من الاعلام هي اضافات منسوبة الى الالهة ومنها فى الجاهلية مثلا عبد العزى وزيد اللات . ويدل المسلمون الالهة الوثنية بالله او لقب من القاب مثل عبد الله او عبد العزيز ولم ينبثق فى الاسلام من الكلمات الاولى التي استعملت فى هذه الاضافات الا الكلمة عبد . (ووضح نحاة العرب بعض اسماء اخرى بمركب مزجى وهي الاسماء التي فى نهايتها (به) وهي فى الحقيقة اسماء التصغير منتبهة بانها فارسي واعني بذلك (به) وتظهر هذه الاسماء منذ منتصف القرن الثاني الهجري فى اراضى فارس والعراق) . وقد عرف المستشرق الالماني

Th. Nöldeke

ان الحروف الاخيرة فيها اخذت من الفارسية تظهر اول ما تظهر فى الاسماء الفارسية مثل سيويه ومن ثم فى الاسماء العربية مثلا سعدويه وعبدويه وليثويه . معظم الاعلام العربية تتألف من كلمة واحدة وهي اسماء او صفات واسماء الفاعل او المفعول والافعل . (وكثيرا ما نجد بعض الاعلام التي تقطع من الاضافات القديمة مثلا زيد واوس وعوف) . ومن الطبيعي ان اشكال الكلمات الشائعة تغلب على الاعلام ايضا وتوجد بعض الاعلام النادرة بشكل لا يتفق والقواعد مثلا محبب ومزيد وبسميها نحاة العرب شواذ وهو من المحتمل ان هذه الاعلام متخذة من اللهجات . ومما يلفت النظر كثرة حدوث الاشكال التي تعبر كما يقول المستشرق الفرنسي H. Fleisch فى كتاب Traité عن انفعال العواطف ومعنى ذلك انها تستخدم للتعبير عن زيادة المعنى الاصلي (Augmentatif) او تقليلها (Déminutif) ونذكر على سبيل المثال الاشكال فعيل وفعال وفعالة وفوعل وفيعل والاشكال افعل وفعال غالبية ايضا .

ومن المعروف ان الجنس النحوي فى العربية لا يتفق احيانا والجنس الطبيعي فيلاحظ ان كثيرا من اعلام البطون واعلام الرجال فى آخرها علامة الانثى وهي غالبا تاء مربوطة . تعبر هذه العلامة هنا عن زيادة او تقليل فى المعنى وتعبر عن المفرد فى الاعلام المشتقة فى اسماء النبات وتدل ايضا على الجماعة فى اسماء البطون . وتوجد ايضا بعض الاعلام المؤنثة بدون علامة التانيث مثلا سهام ودعد وقلم . واستعملت بعض الاعلام للرجال وللنساء على السواء ، مثلا عبادة وعبدة وعمادة . ونجد فى الجاهلية بعض الرجال يسمون : اسماء او هند وهي اعلام تغلب على النساء وستحدث عنها فيما بعد .

وقد لفت نظر نحاة العرب انه من المنطق ان الاعلام معرفة عن ذاتها ومع ذلك هناك العديد من الاعلام فى العربية معرفة باداة التعريف . ويبدو ان معنى الاسماء يلعب دورا فى هذه الناحية ، ففي اسماء : الوليد او الطفيل او الاسود ، يعنى ذلك ان اسماء الجنس اصبحت اعلاما ، ومن اللازم ان يعرف المسمى باداة التعريف . ولكن هناك اعلام اخرى بمعان مشابهة وبغير اداة التعريف مثلا ابيض واحمر وابجر ، وبعض الاعلام المعرفة باداة التعريف تعبر عن فعالية حرفية او مستمرة مثلا المغيرة (يعنى العسكري) والحكم والحارث ومن المحتمل ان هذه الاسماء كانت اول الامر القابا . ومما يلفت النظر ايضا ان الشكل فعيل للافعل المعروف بمعنى صفات جسمية ليس له اداة التعريف كما يلفت النظر اسماء كالحارث وعطى خلافه حارثه او الربيع وعطى خلافه ربيعة . وانه من المدهش ان نحاة العرب لم يلتفتوا الى ان كثرة الاسماء منونة ، وهذه علامة النكرة ، ومن المحتمل انهم ادركوها عنصرا لا معنى له . واضيف الى ذلك ادرك الغفاء انه من المرجح ان الاعراب اعفى منذ زمن طويل فى الحياة اليومية . ونستنتج ذلك مثلا من رأى نحاة العرب فى امثال الاسم العلم حسان الذي لا يعرفون اهو مشتق من حس او من حسن يعنى اهو متصرف او ممنوع من الصرف .

2 - حول معنى الاعلام :

معنى اكثر الاعلام العربية فى ذلك الوقت كما هو الان مفهوم . وذلك على خلاف معظم الاعلام فى اللغات الهندية الاوربية . وصحيح ان هناك اعلاما لا تستعمل ككلمات ولكن كثرتها اشتقت من اصول اشتق منها اسماء كثيرة وذلك ، كما اظن بسبب معنى هذه الاصول .

ويعني هذا ان هذه الاسماء تنتج عن حسب العرب للجناس .

وفى وسعنا ان نقسم اسماء اعلام العرب حسب معناها الى مجموعات مختلفة ومنها :

الاعلام الدينية :

معظمها اضافات والكلمة الاولى فيها فى الاسلام غالبا وفى الجاهلية احيانا الكلمة عبد وتوجد فى الجاهلية زيادة على ذلك مثلا الكلمات تيم وأوس وانس وهوب وسعد وزيد ، وعند النساء امة ، ككلمات اولى ويعني كلمات تعبر عن ارتباط بين المسمى بهذا الاسم والله او الالهة الوثنية المضاف اليها كعبد العزى او زيد اللات او تيم الله او اوس مناة الخ . . . اما المضاف اليه فى هذه الاسماء فى الجاهلية فهو احيانا كما يبدو علم شخص مثلا عبد امية او عبد عمرو . ومن المرجح كما ظن المستشرق الالماني J. Wellhausen ان هذه الاسماء تدل على عبادة الاجداد . ولكننا نشك فى ان ذلك تفسير لكل هذه الاعلام . ونجد فى كثير من هذه الاعلام اسماء الالهة الكبيرة التي كانت عبادتها شائعة فى مناطق واسعة من جزيرة العرب وهي بجانب الله : اللات والعزى ومناة . ودلت اسماء اخرى على آلهة اخرى مثلا عبد الجد او عبد ذي الشرى او عبد رضا او عبد شمس (او عبد الملك وكان الملك الها كنعانيا بلذكر ايضا فى النقوش التامودية) . وترينا الاعلام عبد الكعبة وعبد البيت وعبد الدار عبادة الكعبة ، وتشهد الاسماء عبد المسيح وعبد يسوع على النصرانية الشائعة فى جزيرة العرب قبل الاسلام .

وتغلب على الاسماء الدينية فى الاسلام عبد الله وعبيد الله وامة الله عند النساء ويوجد بجانبها عدد من الاسماء المركبة بعبد ولقب من القاب الله مثلا عبسد الرحمن وعبد ربه ، وقد وجد هذان الاسمان ايام الرسول محمد . ونجد بعض الصفات من صفات الله الاخرى فى الاعلام البارزة فى القرن الاول والثاني من الاسلام ، نحو عبد الكريم وعبد المجيد وعبد الرزاق وعبد المنعم وعبد الصمد ، واننا لا نجد كل الاعلام المألوفة اليوم بهذا الشكل فى هذين القرنين .

وعدد الاعلام الدينية عند النساء صغير بالنسبة لعددها عند الرجال .

وتستعمل الكلمات الاولى الواردة فى هذه الاضافات وحدها كاعلام ومن المرجح انها اختصارات صارت اعلاما مثلا زيد وأوس وعوف . ونجد مشتقات

من هذه الاعلام مستعملة ايضا ، فاعلام مثل عبيد وعبيدة وزباد وزائدة واباس وهيب والخ . .

ومن الاعلام الدينية اعلام بمعنى (هدية) وهي واردة فى اللغات السامية الاخرى غالبا ومنها فى العربية مثلا حلوان ورفيدة وزريد وعطاء بجانب وهب وأوس .

كان عدد الاسماء العربية المأخوذة من اسماء الحيوانات كبيرا نسبيا فى ذلك الوقت . وانه من الطبيعي لشعب متعلق بطبيعة حياته كشعب العرب فى ذلك الوقت ان يسموا اطفالهم باسماء الحيوانات ولو ان البواعث لهذه التسمية مختلفة . وتغلب على هذه الاسماء الحيوانات الوحشية مثل اسماء الاسد ومنها اسد واسامة وليث ، واسماء الذئب ومنها السيد والسرطان ، وفهد وتغلب والنمر وثور ، ونجد بجانبها اسماء الحشرات كاسماء اعلام مثلا جنذب وجراد وحر قوص وشبث ، ونجد بعض اسماء الطيور مثلا زحوم وصرد وسلطان ، كما نجد بعض اسماء الانفى مثلا السباب والحشن والارقم .

وتغلب على اسماء النساء المأخوذة من اسماء الحيوانات حيوانات بصفات جميلة او ناعمة او لطيفة وعلى أمثلتها اسماء الظبي مثلا خولة وخنساء وطيبة ، واسماء الارنب مثلا ارنب وخرنيق ، واسماء بعض الحيوانات البيتية مثلا كبشة وبريدة وهر ، وبمض اسماء الطيور مثلا قظاة والسلكة وحميمة وهدبية . ولكن توجد ايضا بعض اسماء الحيوانات بصفات غير جميلة مثلا عقرب واعد وضبيعة . واعتقد انها من اسماء البدو . وعدد الاعلام المأخوذة من اسماء النباتات اصغر من الاعلام المأخوذة من اسماء الحيوانات . ومن الممكن ان سبب ذلك الاخضرار القليل فى جزيرة العرب وتغلب على هذا النوع من الاعلام عند الرجال الاعلام المأخوذة من نباتات مرة او شوكية مميزة للمناخ الجاف مثلا حنظلة وسلامة وطرفة وطلحة وعلقمة . وتغلب على اسماء النساء المأخوذة من اسماء النبات اسماء الزهور او الشجرات المزهرة او المتسوعة كلبنى او ريحانة او خزامى . ومن اللافت للانتظار ان معظم الاسماء المأخوذة من اسماء النبات لها شكل المفرد يعني فى نهايتها تا مربوطة .

وهناك عدد من الاسماء لها معنى صخر او مسا يشابه ذلك مثلا جرول وجلي وجنبل وجندلة اهمهم انشى الخ . . .

وتحدد أسماء أخرى موقف الطفل في أسرته ومنها اول الامر تسمية بسيطة جدا وهي التوليد او الطفيل او اصل ومنها ايضا أسماء الدلال مثلا حبيب ومحبيب وحبيبة وتوجد بعض أسماء بمعنى عوض مثلا بدل وبديل وخلف وتعبر بعض الاسماء عن موقف الطفل في المجتمع الانساني مثلا الخليل وشريك ، وقد وجد في ذلك الوقت أسماء اعلام مأخوذة عن أسماء معان ومعظمها تمنيات للاطفال الذين سموا بها مثل ايساد (بمعنى عون او قوة) وشه وبشر وتوبه (هو اسم اسلامي) كما هو الحال بعون او رجاء ، ومن الاسماء للعبيد فتح ورياح ويسر ويمن ونجاح . وقسم كبير من الاعلام العربية هي صفات مختلفة ومنها صفات منسوبة الى الولادة او الظروف خلالها او زمانها او مكانها مثلا بكار وحرس او ربيعي والصبح ، وصفات أخرى تخبر بمظهر المسمى وهنا تضمحل الحدود بين الاسم واللقب . ومن الممكن ان بعض هذه الاعلام كانت في الاصل القبا طفت على الاسم الحقيقي ، وتقلب على هذا النوع من الاسماء المأخوذة من لون البشرة او الشعر او العيون مثلا ابيض واحمر والاسود وسودة اسم انثى وزريق وورد الخ ...

وتدل اعلام اخرى على صفات جسمية اخرى مثلا ابجر واحجن والاحسن وأشيم وجميل الخ . وكثير من الاسماء تعبر عن صفات ذهنية او روحية او اخلاقية ومعظمها تدل على تمنيات للاطفال مثلا بسام وتميم وتامة اسم انثى وثابت وحكيم وخالد وخفاف وسعيد وسهل وسهلة اسم انثى وعفان اسم اسلامي وعلي ومسرور ومفضل والخ .. وهناك بعض الاسماء تدل على صفات قاسية ومن المرجح ان الاطفال سموا بها لتخويف الاعداء مثلا العباس واشرس وبغيس (في الجاهلية فقط) وصعب وصعبة وظالم . واسماء النساء غير مشتقة من أسماء الرجال هي مثلا رائطة ونفيرة وبرة وفريدة وعاتكة .

عدد قليل من الاسماء تدل على اعمال مثلا الحارث وهو اسم قديم قد ظهر عند ملوك غسان واللخمييين وقد شوهد في النقوش . والى جانبه حاطب والحجاج وسياد ومجالد ومجاهد ومحارب ومباقر الخ وقلما نجد في ذلك الوقت أسماء امكنة كاسماء شخصية او هذا النوع من الاسماء شائع عند الاسر الالمانية ، بل تعبر النسبة عادة عن المنشأ ووجدت بعض بطون في جنوب جزيرة العرب سميت باسم الناحية التي سكنت فيها مثلا بولان او حيوان وتوجد بعض أسماء من

وعدد الاسماء المأخوذة من أسماء الكواكب او الاجسام الفلكية هو نسبيا صغير عند العرب - كما هو الحال عند شعوب أخرى - مع ان الكواكب لعبت دورا مهما في حياة البدو لانها كانت الموجه الجغرافي لهم في الليل . ولا نعرف اذا اشتقت أسماء كاسد او حمل او ثور او سنبله من معناها كاسماء النجوم او صور من منطقة البروج او كاسماء الحيوانات او النبات . ولكننا على يقين ان الاسماء بدر وهلال وعطارد عند الرجال وقميرة وثريا وجوزاء عند النساء تابعة لهذه الفصيلة .

وتوجد أسماء اخرى مأخوذة من الطبيعة ومنها بينها بحر وهو كما اعتقد يعطي صورة لكرامة ووسمة . وحندج وروح ورياح وجعفر وفرات وهي كما اعتقد صور الانتعاش وزرعة ومصاد ومطر ونهار ورملة وهالة عند النساء .

ونجد في مصادرنا اعلاما مأخوذة من اشياء مختلفة ويصعب علينا احيانا البيان لماذا سمي طفل باسم من هذه الاسماء ولكننا نعرف ان هناك أسماء من هذا النوع موجودة عند شعوب أخرى ايضا . ويخبرنا المستشرق الالمانى (Hess) ان هناك أسماء مشابهة ما زالت شائعة عند البدو في شمال جزيرة العرب في الثلث الاول من قرننا هذا وان بعض الوالدين لا يعرفون لماذا سموا اولادهم بهذه الاسماء وبينها أسماء مأخوذة من أسماء البسة مختلفة ومن الممكن انها تدل على الحماية مثلا بجاد ويرد ودار وعباية ، وعند النساء الملاءة وبعضها مأخوذة من أسلحة مثلا سنان سهم سيف عنزة او مأخوذة من نقود كدينار ودرهم ، وقد وجد دينار في الجاهلية ويقلب هذان الاسمان في الاسلام على العبيد ودنانير جمع لدينار وهو اسم لجارية . ولا نجد في ذلك الوقت أسماء من أسماء الجواهر التي كانت شائعة للعبيد في القرون التي تلت مثل ياقوت او جوهر او لؤلؤ ولكننا نجد بعض أسماء اللاليء كاسماء بعض النساء مثلا درة وجمانة ، وتوجد بعض أسماء اخرى مأخوذة من اشياء مختلفة خاصة من حياة البدو مثلا جرير وجلس وحنتم .

وعدد صغير نسبيا من الاسماء مأخوذة من جسم الانسان ومعظمها على وزن فعيل او فعيطة ، ومن المرجح ان اصل هذه التسمية لان صاحب الاسم كان يلفت الانتظار ومن هذه الاسماء انيف ورقبة وعلباء وعند النساء اديبة .

امية . على كل حال وجدت هذه المادة عند شعوب
اخرى واعني بذلك عادة تسمية الاطفال بأسماء بشعة
او سيئة لحمايتهم من قوى رديئة . اضمحل هذا النوع
من التسمية ايام العباسيين .

2 - كثرة الاسماء العربية في ذلك الوقت

تعبّر عن رغبات الأبوين لطفلهما كما هي للعادة عند
شعوب كثيرة ونجد مثلا الرغبة في ان يبقى الطفل حيا
مثلا في المشتقات من عمر مثل عمر وعمرو وعامر
ومعمر الخ . والمشتقات من عيش مثلا عائشة وعائش
وعياش ، ونجد الرغبة في ان تسير حياة الطفل مثلا في
المشتقات من خلد مثل خالد وخلاد وخليد الخ . ونجد
الرغبة في سلامة الطفل مثلا في المشتقات من سلم
مثلا سالم واسلم وسليم الخ . والتنعيمات لسعادة
الطفل في المشتقات من سعد مثلا سعد وسعيد
واسعد وسعدى وسعاد ، ونجد بعض رغبات بالنسبة
لاخلاق الطفل كما ذكرناه سابقا .

3 - ظروف الولادة تحدد احيانا التسمية

يقول ابن دريد : ومنها (يعني ذلك مذاهب التسمية)
ان الرجل كان يخرج من منزله وامراته تمخص فيسمي
ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب وثعلبة والخ .
ويذكر ابن دريد حديثا يؤيد ذلك . ومثل هذه العادة
لا تزال الى الآن عند البدو وسكان القرى في بعض
نواحي البلدان العربية كما يقول بعض العلماء مثل
Hess و Musil, Wetzstein وابراهيم
السامرائي . ونذكر على سبيل المثال ان Musil
يحدثنا ان امرأة من بدو الرولة في شمال جزيرة العرب
سمت ابنها مطرا لانها ولدته خلال مطر شديد وتعسرت
امرأة اخرى عند الولادة فقالت للطفل اسمك عسير ،
ويحدثنا ابراهيم السامرائي ان طفلا في قرية من قرى
جنوب العراق سمي حربا لانه ولد خلال الحرب ،
ويحدثنا Hess ان بنتا عند البدو في وسط جزيرة
العرب سميت سدينا يعني سدينا بالبنات لان امها
ولدت قبل ولادتها عدة بنات . واغلب الظن ان عادة
التسمية هذه كانت شائعة عند البدو منذ قرون عديدة .
ومن المرجح ان البدو يرون فال الطفل في الاحوال التي
رافقت الولادة . واننا نستطيع ان نجد معنى اغلب هذه
الاسماء ولكن لا يمكننا ان نعثر اليوم على الاسباب التي
كانت دافعة لهذه التسمية . ومن الممكن ان الاسماء
مثل طارق ومصبح ومسهر تنتمي الى هذه الفئة .

4 - وتوجد اسباب اخرى لاختيار اسم من
الاسماء لطفل لا يذكرها ابن دريد ومنها التسمية حسب

اسماء الجبال كاسماء شخصية مثلا ابان وقطن ومسطح
وقلما نجد في الجاهلية اسماء غير عربية وسبب ذلك
العزلة التي عاش سكان جزيرة العرب فيها ووجد عند
بطون على حدود جزيرة العرب عدد صغير جدا من
اسماء فارسية او سريانية ونجد احيانا عند اليهود او
النصارى بعض اسماء عبرانية او آرامية او سريانية
ولكنها لم تكن موجودة الا عند اليهود او النصارى وقد
طرق المستشرق الالماني J. Horovitz هذه الاسماء
في كتابه Koranische Untersuchungen ويعني ذلك
دراسات قرآنية ، عند ما افتتح العرب باسم دينهم
الجديد البلدان الحضارية المجاورة لهم قدموا لها
بجانب دينهم لغتهم واسماءهم . فمن اسلم سمي
باسم اسلامي عربي ، ونجد بعض الاسماء الفارسية او
الاغريقية عند بعض العبيد فقط .

وهناك عدد من اسماء اصلها غير عربي مع ان
شكلها عربي انتشرت ايام الاسلام في البلدان الاسلامية
كلها وما زالت شائعة الى ايامنا هذه وهي الاسماء
القرآنية مثلا ابراهيم وادريس واسحاق واسماعيل الخ .
وقد درس J. Horovitz هذه الاسماء في كتابه
الذي ذكرته سابقا .

3 - بواعث الوالدين لاختيار اسم من الاسماء لأطفالهم:

هناك بواعث مختلفة جدا يمكن ان تكون
حاسمة لاختيار اسم من الاسماء . واذا اختار ابوان
الاميان اليوم اسما لطفلهما فلا يفكران في معناه الا نادرا
جدا لان معنى معظم الاسماء الالمانية ليست مفهومة
بدون استعمال معجم للاسماء . والبواعث التي تدفع
الأبوين لاختيار الاسم بالدرجة الاولى هي الموضة او
رنة الاسم او الاقتداء ببطل من ابطل الكتب او الافلام
والاغاني الشعبية او التقاليد العائلية . ونستطيع ان
نستنتج مما يقول ابن دريد في كتاب الاشتقاق عن
عادات العرب ويعني بذلك البدو كما اعتقد ان تسمية
الاطفال ترد الى وجهات نظر ثلاث وهي :

1 - حماية الطفل من اعدائه في المستقبل

ومن هذه الاسماء حسب ما يقول ابن دريد . مثلا غالب
وظالم وعارم والتسمية باسماء الحيوانات الوحشية
وبالشجرات الخشنة او الشوكية او التسمية
بالاحجار . من اكبر الظن انهم قصدوا بهذا النوع من
الاسماء حماية الطفل من قوى سيئة متوهمة كالعفاريت
او الجان ، من المرجح ان هذه ايضا الغاية من تسمية
الرجال باسماء النساء مثل هند واسماء او جويرية او

العلم العربي بشكله الخاص المتألف من الاسم والكنية والنسب والنسبة في الاحوال الاجتماعية في جزيرة العرب في الجاهلية التي انصفت في الاغلب بالبدو والتي حددت خلالها حياة الفرد بالعائلة والبطن الذي يتبعه بولادته او عن طريق الاندماج او السواء او بالاولاد الذين انجبهم في حياته . واذا سئل شخص في ذلك الوقت من انت فلم يكن يجيب باسمه عادة بل بالبطن الذي يتبعه وذلك مميز لتقدير الفرد الذاتي في ذلك الوقت . عبر دراسة العلم العربي يمكننا ان نلقي نظرة فاحصة الى الاحوال الاجتماعية في جزيرة العرب والى عقلية العرب في ذلك الوقت . ويظهر عدد كبير من الاسماء تطالع الانسان لاستقرار في عالم يبدو معاديا له ضمن اصعب الظروف المعيشية ولم تكن لاغلب الاسماء مهمة التسمية فقط بل كانت لها مهمة حماية المسمى نفسه من اعدائه خلال التحديات الكثيرة بين البطون ، ومن المرجح ان كان لها ايضا مهمة حماية الانسان من الجان او العفاريت . وينتسب كثير من الاسماء العربية الى غزواتهم وتجوالمهم . وهناك اسماء قليلة فقط تعبر عن افعال مستمرة . اما التضامن بين افراد العائلة الذي لا استثناء عنه للحياة في الصحراء فرمزت اليه الاسماء بشدة . وهناك اسماء تحتوي على تمنيات للاطفال وهي تعبر عن المثل الاعلى للبدو من قوة وشجاعة وخفة وذكاء وثبات وعزم ومرح وكرم الخ .

وتبدو الطبيعة المجاورة لهم من الحيوانات والنبات والاحجار وقلما الكواكب بل اشياء مختلفة في الحياة اليومية مثلا اسلحة والبسة من الاهمية بمكان لتسمية اطفالهم باسمائها . وعدد الاسماء الدينية التي وصلتنا من الجاهلية قليل نسبيا . ومن المشكوك فيه ان الاسماء العديدة المأخوذة من اسماء الحيوانات تدل على الطوطمية (Totemisme) على كل حال في القرن الاخير للجاهلية . ويناقض ذلك اننا نجد اسماء حيوانية مختلفة في عائلة واحدة سواء في نفس الجيل او في اجيال متتابعة . ولم توافق الطوطمية للفرد الاحوال الاجتماعية في جزيرة العرب قبل الاسلام .

لم يؤثر الاسلام تأثيرا مهما في تسمية البدو ولكننا نلاحظ بوضوح اتجاهات جديدة للتسمية في المجتمع المتحضر في صدر الاسلام ، فقد استنكر الناس بعد ان اصبحوا مسلمين الاسماء الدينية المنسوبة الى الاوثان وايضا الاسماء البشعة المعنى . ويحدثنا الادب الاسلامي ان محمدا غير اسماء بعض اصحابه وبعض البطون مثلانه سمي عبد الكعبة بن سمرة وعبد عمرو بن

مظهر الطفل مثلا عبيدة او اجبر او اشيم الخ . وهو من الممكن ان يسمي طفل باسم من تلك الاسماء بعد ولادته بوقت طويل مثلا عريج او تحوير ويمكننا التصور ان التسمية باسم من اسماء الحيوانات او باسماء الاشياء متعلقة بمظهر الطفل ، ويحدثنا مثلا Hess عن البدو في وسط جزيرة العرب في بداية هذا القرن ان ولدا سمي جريدي يعني جريد لانه عندما كان صغيرا واحمر ومثل جريد ولقي ولدا اسمه دبسان من دبسا يعني هراوة لان رأسه يشابه الهراوة .

5 - وسبب خامس لاختيار اسم عند العرب هو الرغبة في اظهار تضامن العائلة ونستطيع ان نستنتج من مصادرنا ان العرب فضلوا اسماء متشابهة في المعنى او في الصوت لاطفالهم او اختاروا مشتقات مختلفة من اصل واحد لاعضاء العائلة كما احبوا ولا يزالون يحبون المترادفات والمجانسات . مثلا سميا اسعد وسعد ابنا زرارة كما يبدو هكذا لان امها كان لها الاسم سعاد ، وكان لماوية بن كلاب خمسة ابناء اسمهم حسل وحسيل وضب وضباب ومضب وكل هذه الاسماء من اسماء الحرذون .

6 - وفي وسع الانسان ان يطلق على طفله اسم رجلا عظيم حتى يكون هذا الرجل مثلا اعلى للطفل او ان يسمي طفله باسم الجد او الخال او العم حتى يحيي الاسم من جديد . ونجد امثلة لهذا النوع من التسمية في الانساب مثلا في الطبقات لابن سعد او في الجمهرة لهشام ابن الكلبي مرات عديدة وفي اوائل شجرات الانساب ولكنه من المشكوك فيه ان كل هذه الامثلة واقعية واذا كان النسب ناقصا فقد كان من الطبيعي ان يكمل باسم من الاسماء الواردة فيه . وقد سارت التسمية حسب التقديرات عادة عند المجتمع المتحضر في صدر الاسلام . ونلاحظ هنا ايضا الميل للتعبير عن التضامن العائلي . وسمى مثلا طلحة بن عبيد الله جميع ابنائه باسماء الانبياء ، وسمى الزبير بن العوام ابنائه باسماء الشهداء كما فعل عبد الله بن عمر بن الخطاب . ونلاحظ تأثير القدوة التاريخية ومنه مثلا ان رجلا اسمه محمد سمي ابنه القاسم او ان رجلا اسمه عمر سمي ابنه حفص . ونلاحظ تأثير الاسر الحاكمة من رواية من كتاب الاغانسي ان عبد الله بن جعفر سمي ابنه حسب رغبة معاوية بن ابي سفيان معاوية وان معاوية بن عبد الله بن جعفر هذا كان وثيق الصلة بيزيد بن معاوية سمي ابنه يزيد .

4 - كيف تنطبع الاعلام العربية بطابع الاحوال الاجتماعية في الجاهلية وفي صدر الاسلام . بنطلق

الاسم عبد الرحمن وسمى رجلا اسمه بفيض حبيبا ورجلا آخر اسمه عاصي سماه مطيعا وسمى رجلا اسمه غراب مسلما وسمى بني خالفة بني رشدان النخ. وتخيرنا هذه الاحاديث بتغير عقلية الامة الاسلامية في صدر الاسلام ، واستنكر الناس بعض أسماء اخرى يرون فيها صفات الله وعفوا عن تسمية اولادهم بها مثل الطيب والميز وكريم والجبار . ونلاحظ بوضوح الميل الى تسمية الاولاد حسب قدوات صالحه . ويبحث الناس في حياة النبي واصحابه وقاسوا حياتهم عليها واختاروا الاسماء لاولادهم وفقا لذلك . ففضلوا عند التسمية اسمى النبي محمد واحمد واسماء افراد هائلته ومن زوجاته خديجة وعائشة وبناته فاطمة وزينب وام كلثوم وزوج ابنته علي وابن عمه جعفر وعمه حمزة وحفيديه الحسن والحسين كما اختار السنون منهم اسماء الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان . واصبحت الاسماء الدينية الاسلامية خصوصا الاسمين اللذين فضلها محمد عند التسمية كما تحدثنا الاحاديث وهما عبد الله وعبد الرحمان شائعين جدا . وكذلك الحال في اسماء الانبياء الواردة في القرآن . وبرزت اسماء اسلامية خاصة اخرى مثلا المشتقات من رشد او اسماء كهون وتوبة وظاهر ومسكين والمبارك والحجاج .

بينما لا زال البدو يختارون الاسماء لاولادهم من كلمات اللغة ووجد للمجتمع الحضاري زمرة ثابتة من الاعلام التي اختار الابوان الاسم لطفلم منها .

وانتشرت هذه الاسماء بانتشار الاسلام ولفته العربية في كافة البلدان المفتوحة عن طريق العرب .

اما الاختلافات الاجتماعية في تسمية العرب فيعبر عنها قول العرب الذي يذكره ابن دريد ويذكره (Hess)

عن البدو وفي قرننا هذا وهو اننا نسمي لبناءنا لاعدائنا ونسمي عبيدنا لنا . ولذلك سمي العبيد بأسماء جميلة حسنة الفأل ومنها افطح ومفلح ويسار ويسر ونجاح ونجيج ورباح ونافع ورجاء وجميل ورشيق ومؤنس ، وللمعدات مثلا قلم وعرفان وتحفة وجمال .

ويعبر معظم هذه الاسماء عن بعض الامثال العليا للمجتمع الحضاري في صدر الاسلام الذي طمّح الى الرفاهية . ويبدو بأن بعض العبيد سموا حسب مظهرهم . فمثلا سمي عبد رومي ازرق وسمى عبد اغريقي صهيب وقلما بقيت لهم اسماءهم العجيبة .

اما الموالي الذين ازدراهم المسلمون العرب خصوصا وقت الامويين فطمحوا كما يبدو الى ان يحتدوا في التسمية الفئة العليا وهي العرب .

وفضلوا غالبا كما يبدو الاسماء الاسلامية الخاصة، ووصل هذا الطمّوح عند بعضهم وبشكل خاص الذين استطاعوا الوصول الى مركز سياسي الى ايجاد نسب عربي كامل لهم فضلا عن اسم عربي لايبهم .

ومن الصعب علينا ان نلاحظ في ذلك الوقت اختلافات جغرافية في تسمية العرب ويبدو كأن التسمية في جزيرة العرب كانت في ذلك الوقت نسبيا موحدة مع انه يبدو وكان بعض الاسماء الحميرية صارت شائعة في العراق .

واننا نجد في البلدان العربية اليوم كثيرا من الاسماء الشائعة في صدر الاسلام وفي الجاهلية ، بعضها لا تزال مالوفة الى الآن والاخرى يسمي الناس اولادهم بها تذكارا لفصل رائع من فصول تاريخ العرب.

Dr WIEBKE
HALLE (SAALE) D.D.R. فيسك فالتر

اللغة العربية .. والبحوث الاقتصادية

الدكتور ابراهيم دسوقي أباطة

« الرباط »

اما في بلاد الضاد فلم يحظ هذا التطور بعناية تذكر ، اذ ظل الاقتصاديون العرب على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية .. او مكتفين بترديد المصطلحات الاجنبية كما وردت في لغاتها الاصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية .

وقد ترتب على هذا الوضع صعاب عديدة اعترضت طريق الباحث العربي في ميادين الاقتصاد ولعل اهم هذه الصعاب تتلخص فيما يلي :

1 - تعدد المصطلحات العربية التي تستعمل للدلالة على المعنى الواحد . ومرد ذلك الى غيبة المصطلحات العربية الموحدة مما يستتبع تعدد الاجتهادات الشخصية في البحث عن المصطلحات التي تؤدي المعنى المطلوب .

من ذلك مثلاً اصطلاح Structure الذي يرادفه البعض في العربية باصطلاح « بنية » ويرادفه آخرون باصطلاح « هيكل » . وكذلك اصطلاح L'utilité marginale الذي يرادفه البعض باصطلاح « المنفعة الحدية » ويرادفه آخرون باصطلاح « المنفعة الهامشية » .

ولا يخفى ما يؤدي اليه هذا الوضع من اضطراب ولبلة تعود على البحث الاقتصادي بأفدح الأضرار .

لعل من اخطر المشاكل التي تعترض الباحث العربي في ميادين العلوم الاقتصادية هي مشكلة القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية .

ذلك ان علم الاقتصاد يعتبر من أسرع علوم العصر تطوراً وأكثرها استخداماً لمصطلحات فنية متزايدة نقلت في معظمها عن العلوم الأخرى كعلم الأحياء ... وعلم الكهرباء ... وعلم الميكانيك .

وهذا التطور السريع الذي ينفرد به علم الاقتصاد دون غيره من العلوم الانسانية يعود الى التقدم التقني الكبير الذي بدا في مطلع القرن العشرين وما اقترن به من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة . فقد أدت هذه العوامل مجتمعة الى أن تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الأول في سلم المشاكل التي تعالجها المجتمعات البشرية وتمقدت الظواهر الاقتصادية وتشعبت في مجالات الانتاج والتفوق والبنوك ... الخ . بينما برزت قضايا التخلف والتنمية لتأخذ مكان الصدارة من قضايا العصر .

وقد سائر الفقه الاقتصادي الغربي هذا التطور فنشطت حركة الابتكار والتخصيص والاستعمارة بالنسبة للمصطلحات الفنية . كما تم توحيد العمل بها بين أبناء اللغة الواحدة بل طغى اتجاه التوحيد على الناطقين بلغات مختلفة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاديين الفرنسيين وأقرانهم الانجلوسكسون .

2 - عدم دقة بعض المصطلحات العربية التي يكثر تداولها من ذلك مثلا اصطلاح L'amortissement الذي يستخدم في علم الاقتصاد للدلالة على الهبوط التدريجي في قيمة رأس المال خلال مدة معينة بسبب الاستعمال اذ يرادف البعض هذا المصطلح بكلمة « الاستهلاكات » وفي هذه المرادفة خطر كبير اذ يمكن أن تختلط باصطلاح La consommation الذي يقابله بالعربية اصطلاح « الاستهلاك » .

وقد دفعت هذه الصعوبة نفرا من الاقتصاديين العرب الى اعمال الاجتهاد فاستعملوا اصطلاح « الاندثار » للدلالة على هذه الظاهرة ، بينما آثر آخرون استعمال عبارة « استهلاكات رأس المال » .

وهكذا يتعرض الباحث العربي الى السقوط بالخطأ في الفهم بسبب الخلط بين المصطلحات العربية المتشابهة أو بسبب عدم وضوحها .

3 - المصطلحات الاقتصادية التي لا يقابلها مرادف بالعربية قد يضطر الخبراء الاقتصاديون الى ذكرها بلفتها الأصلية أو كتابتها بالحروف العربية من ذلك المصطلحان الآتيان : Ex-ante و Ex-poste اللذان جرى العمل على استخدامهما في الدلالة على « السابق » و « اللاحق » في مؤلفات الاقتصاديين السويديين وقد درج الاقتصاديون العرب على كتابتهما باللغة اللاتينية .

وكذلك مصطلح Dynamisme ومشتقاته فقد عمد عدد من الاقتصاديين الى نقله بأكمله وكتابته بالحروف العربية .

وطبيعي أن في هذه الاتجاهات ما يضمن القدرة على التعبير الاقتصادي الدقيق .

4 - استعمال مصطلح عربي واحد للدلالة على معان اقتصادية جد مختلفة . من ذلك مثلا اصطلاحا Régime و Système اللذان يرادفهما بالعربية دون ما تمييز اصطلاح « نظام » مع أن لكل منهما معنى مختلفا في الفقه الاقتصادي والاجتماعي ، فاصطلاح Système يستخدم للدلالة على « النظام » بمعناه النظري أي الذي ورد في النظرية بينما يستخدم اصطلاح Régime للدلالة على « النظام » بمعناه العملي أي المطبق فعلا في العمل .

ويؤدي عدم التمييز بين معنيين مختلفين على هذا النحو الى صعوبة الاستيعاب والتعبير بالاضافة الى تعريض الباحث الى السقوط في التعميمات البعيدة عن الدقة العلمية .

— x —

تلك بعض نماذج من القصور اللغوي الذي تعانيه العلوم الاقتصادية . ولعل المتفحص لواقعنا المتطلع الى مستقبلنا لا يخامرهم شك في أهمية المعارف الاقتصادية لبناء أمتنا . واللغة أداة رئيسية في بسط هذه المعارف واستيعابها ، اذ عن طريقها تتحد المناهج وتتقارب المفاهيم .. وعن طريقها تكتمل الوحدة الثقافية والفكرية للأمة .

وإذا كنا نحاول اليوم بعث نهضتنا الحضارية فيجب ان نضع في الحسبان أن النهضة الحضارية والنهضة الثقافية متلازمان ، فلا يمكن تصور نهضة حضارية بغير نهضة لغوية تمهد لها وترسيها على دعائم ثابتة .

رسم نموذجي مخطط الرقعة لمشروع إصلاح الطباعة العربية للاستاذ أحمد الأضر غزال

خط التشخيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتطلب الطباعة بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعين حرفاً من الحروف المحززة (أي التي حُرِّزَتْ لِتَتَرَاكَبَ وَتَتَدَاخَلَ)، وما يزيد على ثمانين حرفاً من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للآستاذ أحمد الأضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطباعة إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات التيونيب والانتريتيب وآلات الرقاعة باستثناء آلة التيونيب التي تحتوي مكتسفاً على 250 مفتاحاً ولاكتفاً على ثمانين) وذلك بالشكل التام، إذا اقتضت الحاجة ذلك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام، إلا أن علامات الوقف توضع في الملصق الإضافي.

خط الرقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتطلب الطباعة بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعين حرفاً من الحروف المحززة (أي التي حُرِّزَتْ لِتَتَرَاكَبَ وَتَتَدَاخَلَ)، وما يزيد على ثمانين حرفاً من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للآستاذ أحمد الأضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطباعة إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات التيونيب والانتريتيب وآلات الرقاعة باستثناء آلة التيونيب التي تحتوي مكتسفاً على 250 مفتاحاً ولاكتفاً على ثمانين)، وذلك بالشكل التام، إذا اقتضت الحاجة ذلك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام، إلا أن علامات الوقف توضع في الملصق الإضافي.

الخط الكوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتطلب الطباعة بالحروف العربية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعين حرفاً من الحروف المحززة (أي التي حُرِّزَتْ لِتَتَرَاكَبَ وَتَتَدَاخَلَ)، وما يزيد على ثمانين حرفاً من الحروف الغير المحززة. أما بهذه الحروف الجديدة للآستاذ أحمد الأضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطباعة إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية المغربية، وذلك بالشكل التام، إذا دعت إليه الحاجة.

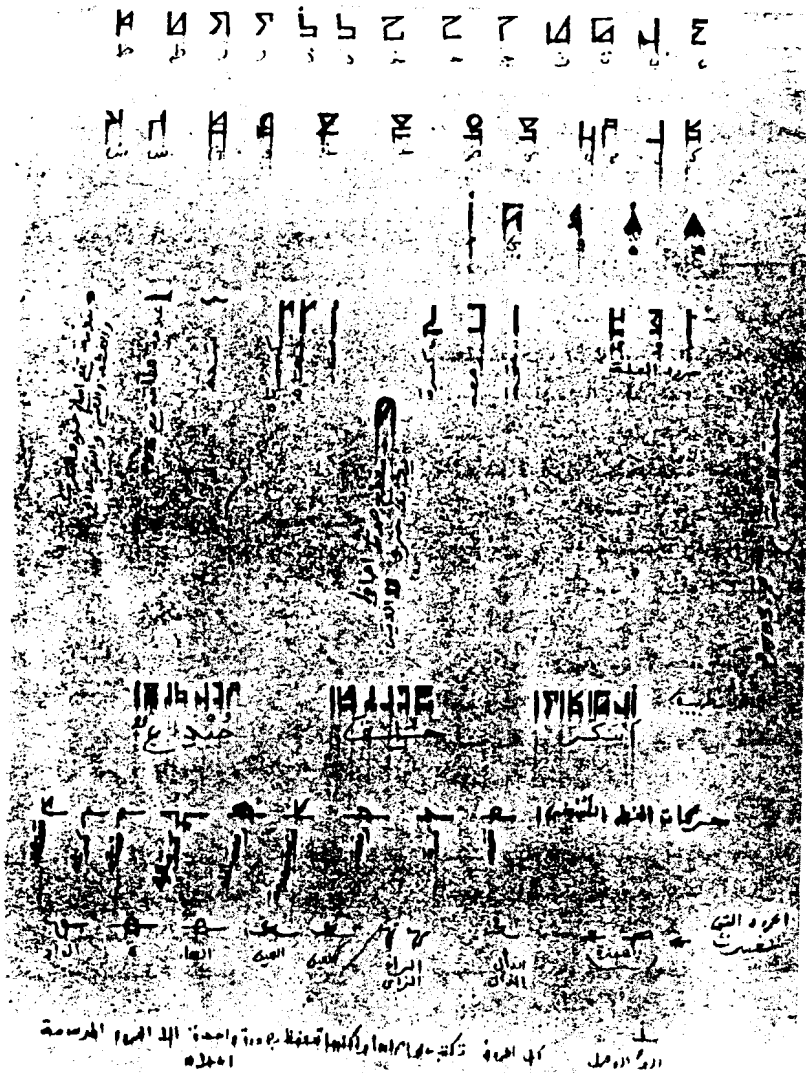
حُرُوفٌ عَرَبِيَّةٌ جَدِيدَةٌ

الأستاذ مصطفى النعمان
(المغرب الأقصى)

سهلة تشغل مساحة هندسية مائة واستغنى عن
السكون ...

وهذا الابتكار الجديد يضاف الى عشرات أمثاله
قدمت منذ نحو خمسين سنة والجامعة العربية جادة
الآن في دراستها جميعا للاتفاق على حل نهائي .

نشر فيما يلي صورة لحروف عربية جديدة
ابتكرها الأستاذ مصطفى النعمان وهو مدرس للغة
العربية في الدار البيضاء (المغرب) وهو يرى أن
فيها تسهلا كثيرا إذ اختصر فيها الحركات وأدخلها
في ضمن الكلمة وجعل الحروف مركبة من خطوط



الأستاذ يحيى بلعباس « الرباط »

الحروف الجديدة

ستتصف بالميزات المذكورة اعلاه وتجرد من النقط التي يربو عددها على سبع عشرة نقطة . وتعوض برموز صغيرة وأنيقة تتناسب مع أجزاء الحروف الأخرى بحيث يصبح كل حرف قابلا لمحورين أحدهما عمودي والثاني أفقي يمدان من مركزه .

هذا من جهة ومن جهة أخرى توجد مشكلة تحتم معالجتها الا وهي تشابه صور بعض الحروف في الرسم وتباينها في اصواتها ومخارجها . ليس من المنطق ان تكون الحروف المتباينة في اصواتها متباينة في اشكالها ؟ ايعقل ان تكون الحروف المتباينة في اصواتها المتشابهة في رموزها اسرع رسوخا في الالف من الحروف المتباينة في اصواتها المتشابهة في رموزها ؟

الحركات

لن ترسم الحركات فوق الحرف أو تحته لما يحدث عن ذلك من تعسف ومضايقة بين الاسطر . ليس بديها ان ما يدخر أفقيا يضع عموديا ؟ فما عسى ان تكون الطريقة التي ترمز بها الى الحركات الثلاث ؟ هل ستحتفظ بنص تعريفها ؟

- (1) الفتحة الف مائلة .
 - (2) الضمة واو صغيرة .
 - (3) الكسرة ياء مبتورة .
- لا :

من الأليق والأجدر أن ترسم الحركات ازاء الحروف ، فنرمز الى الفتحة بالـف صغيرة والى الضمة بـواو عمرو والى الكسرة بالـياء بصورتها الكاملة .

وهذا ما حاولت الوصول اليه خلال عمل طويل بذلت فيه جهدا كبيرا لمدة طويلة ، حتى توصلت الى الصور المنشورة مع هذا المقال . وأنا اعرضها على القراء لمناقشتها وأشكر جزيل الشكر المكتب الدائم لتنسيق التعريب الذي أتاح لحروفي أن تنشر على صفحات مجلته الراقية ، وانتظر الرد والمناقشات

الكتابة هي اداة حضارتنا بواسطتها نقيّد افكارنا ونرسمها كما نستطيع ربط الاتصال بيننا وبين تاريخنا عبر الزمان والمكان ، قال الرومان في هذا الصدد : الكلام يزول والكتابة تبقى ، وقال العرب : الكلام ربح والكتابة قيده . انها ذاكرة الانسانية جمعاء ، انها خزينة ثروات اجدادنا ..

ولا يتسم هذا العنصر بتلك الميزات فقط بل هو عامل مهم من عوامل تقدمنا ورقينا يتحتم علينا ان نوليه كل عنايتنا واهتمامنا ، فالكتابة الرومانية ما فتئت تتطور بينما الكتابة العربية لم تحرز الا على تقدم ضئيل تجمد في شكل عقيم الى حد انها اصبحت تعتبر كتابة معتمة قاصرة عن الاداء كما اكد ذلك ائمة الاداب العربية واقطاب المستشرقين .

لقد جاء في فقه اللغة لبلاشير ما يلي :

لا ترسم في الكلمة العربية الا الحروف وحروف المد دون الحركات والرموز التي تشير الى التضعيف ، والهزمة ، والمدة ، والسكون .

ينتج عن هذا الوضع :

- (1) استعصاء في القراءة والفهم
- (2) استعصاء في تقييد الصوت وتصحيح اخطاء اللهجة .
- (3) صعوبة تحديد دور الكلمة في الجملة

الاصلاح

يبدأ الاصلاح قبل كل شيء بايجاد بناء خاص بالمطبعة بما فيه الحروف الكبيرة والصغيرة ..

الا يلحظ ان الكتابة العربية تكاد تكون الوحيدة من نوعها التي لا تتوفر على حروف مستقلة . سرية الترصيف ، انيقة المظهر ، متوحدة الحجم ؟ الا يلحظ ان رموزها متباينة الحجم ، متعددة الصور ، كبيرة الذيل .

222

المعلمة العربية التراث العزبي الخالدي

- الوحدة القومية من خلال اللغة والفن
للدكتور عفيف بهنسي
- الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- اللغة العربية
للاستاذ أنور العطار

224

الوَحْدَةُ القَوْمِيَّةُ مِنْ خِلالِ اللِّغَةِ وَالفَنِّ

دكتور عفيف بهنسي (ج.ع.س)

الامم التي انتشرت فيها اللغة العربية بعد الاسلام ،
فلقد اندمجت هذه الامم بالفكر العربي ، وبالقومية
العربية اندماجا كاملا او جزئيا ، بحسب انتشار اللغة
العربية ذاتها .

واذا كان اللفظ صيغة لحدس تبلور في كلمة ذات
اشتقاقات حسب الجنس والوظيفة والعدد ، فان
الكتابة صيغة مطابقة لما تنقله حاسة النظر وهو الرسم
اولا ، ثم هي الهيروغليف واخيرا هي مجموعة الحروف
المحورة عن الرسوم او المتطورة عن اصل بدائي .
وسواء اكانت الكتابة رسما او كانت رمزا بدائيا ، فانها
ايضا تصدر عن الحدس الاولى لاشكال الاشياء والافكار
بحسب تصورها ، ولكن هذا سيقودنا الى القول ، ان
منشأ اللغة والفن واحد ، اي ان اللغة هي فن وان الفن
هو لغة .

بين اللغة العربية والفن العربي

برى كروتشه (1) ان فلسفة اللغة وفلسفة الفن
واحدة ذلك لان كلا من الفن واللغة موضوعه التعبير ،
والتعبير الانساني واحد وان اختلفت وسائله . فجميعنا
شعراء ما دام الفن حدسا ، والحدس تعبيراً والتعبير
لغة ، واللغة بمعناها الواسع شعرا . فالشعر هو اللغة
الاصلية للجنس البشري . والواقع ان كلمة الشعر

لا شك ان الفكرة ميزة الوجود الانساني ، بل هو
شرط هذا الوجود كما يقول ديكرت . ولكن هذا الفكر
لا يتحقق الا عن طريق التعبير ، بواسطة رموز ، واسهل
هذه الرموز واقربها الى سيطرة الفكر هو اللفظ . وقد
يكون هذا اللفظ حدسيا في نشأته مرتبطا بالطبيعة
والانسان ارتباطا عضويا ، وقد يكون توليديا او تركيبيا
مأخوذا عن مقياس او وفقا لقاعدة . وجميع اللغات
تتكون عن السببين معا . وقد يكون سبب غالبا على
سبب ، كما هو الامر في اللغة العربية التي تبدو حدسية
مرتبطة بالمعنى ارتباطا عضويا .

هذا الارتباط العضوي بين اللغة العربية وبين
الانسان العربي يفسر جانباً هاماً من مفهوم القومية
العربية . فاذا كانت اللغة تعبر عن الحدوس الاولى
ازاء الوجود الانساني والعالم الطبيعي ، فان انتقال هذه
اللغة يعني انتقال هذه الحدوس والاحساسات الاولى .
ومن هنا كان انتشار اللغة العربية انتشارا للقومية
العربية ذاتها ، اي ان اللغة العربية هي العنصر الاساسي
للقومية العربية ، واشتراك مجموعة من الشعوب بلغة
واحدة كاللغة العربية ، هو اشتراك قومي ، يقوم على
وحدة الحدوس الاولى ازاء مفهوم الانسان والطبيعة ،
وبمعنى آخر ، يقوم على الوحدة العضوية بين اللغة
المشتركة وبين فكر موحد ، تقوم اللغة بدورها بتحديد
اطاره القومي والانساني . واننا نرى ذلك واضحا لدى

(1) كروتشه - علم الجمال . ترجمة نزيه الحكيم .

وحدة اللغة العربية عبر الزمان

بقى أن نتساءل هل وحدة اللغة العربية والفن العربي وهي المعبرة عن وحدة الشخصية العربية صحيحة عبر التاريخ ؟ وما هي عوامل تفكيك هذه الوحدة ؟

ما زالت اللغة العربية أقوى مظاهر السمات العربية وأقوى رابط يربط المحيط بالخليج ويوحّد أفكار العرب وآمالهم ونضالهم ، وهي متينة غنية ذات تراث عريق لا ينضب . وعلى الرغم من محاولات التثريك في العهد العثماني ، وعلى الرغم من الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الأرض العربية في عهود الانتداب والاستعمار ، ومحاولة فرنسة الفكر واللسان في المغرب العربي ، ورغم التخلف الفكري والاجتماعي الذي أصاب الأمة العربية ، نرى أن اللغة العربية بقيت صامدة يدعمها القرآن الكريم ، والتراث الأدبي العربي وجهود المجامع ودور المجلات والمدارس العربية والحركات القومية التي أعطت اللغة أهمية أولى ليقظة الوجود العربي . وهكذا نرى اللغة العربية اليوم تعيش في ظروف مواتية وقد ابلت من أكثر أمراضها التي توارثتها عبر تقلبات التاريخ . وأنها في طريقها الآن للقضاء على اللهجات المحلية الركيكة ، وأن ارتفاع مستوى الثقافة وانتشار وسائل الإعلام كالمذياع والتلفاز ، سيكون له أثر كبير في تصفية اللهجات العامية التي تختزن الفكر العامي البدائي وتؤثر بذلك على حركة التقدم الحضاري والقومي .

وحدة الفن العربي

أما وحدة الفن العربي ، فإنها ماثلة باعتراف جميع المؤرخين ، وهي وحدة داخلية تكمن في شخصية الفن العربي ، ووحدة جغرافية . ونحن نستطيع أن نتميز هذه الوحدة الداخلية في أي عمل فني سواء أكان آداء أو سيفاً أو رداء مطرزا أو فسقية أو مؤذنة ، ولنسمع مايقوله جورج مارسيه عن هذه الوحدة (2) .

« لتخيل تجربة : لديك ساعة فراغ ، ولتزرجه الوقت او لمجرد التسلي باستعراض صور جميلة أمام عينيك ، تقوم بتصفح مجموعة صور لآثار ترجع الى

بحسب اصلها اليوناني تعني الابداع بصورة عامة ، وأن جميع الفنون من عمارة وتصوير ونحت وموسيقى هي شعر كما يرى هيدغر(1)، الذي يضيف قائلا: «ان الشعر لغة ، لانها كلاهما يسعيان الى التجلي والانتشار او الى العلاية ولان اللغة هي المظهر الأسهل لخروج الانسان الى عالم العلاية ورفضه لكل امتزاج بالوجود المختلط المختفي . فان الفن بهذا المعنى ، هو صورة من صور اللغة » . فالمعاني هي الأساس وهي تخرج الى عالم العلاية عن طريق الرمز اللفظي او التصويري ، عن طريق اللغة او الفن . وبمعنى آخر ان افكارنا ومعاني الاشياء لا تتجلى فقط عن طريق اللغة ، بل عن طرق أخرى أهمها الفن ، لان ثمة أشياء وافكارا لا يمكن التعبير عنها باللغة بل عن طريق الفن ، فاللوحة او اللحن لا ينقلان الينا الشكل التقني وحسب ، بل السدلالات المشخصة او المجردة لافكار واشياء مشخصة او مجردة .

ومما لا شك فيه ان اللغة تعبر عن اكثر الاشياء تشخيصا وتحديدا ، أما الفن فانه يعبر عن اكثر الاشياء تعميما واطلاقا ، ولهذا فان اللغة تبقى مستقلة عن مضمونها . أما الفن فانه يمتزج بمضمونه . أي ان الفن قد يكون اكثر وضوحا في نقل الشخصية القومية لان اللغة تبقى قاصرة عن التعبير الدقيق عن الفكر والوجدان القومي . أما الفن فانه قادر ان يشخص مباشرة هذا الفكر وهذا الوجدان عن طريق رموزه التي تقرا بواسطة الفكر والوجدان .

هذه الصفة التاريخية والحضارية للغة والفن تجعلهما ابرز العناصر المقومة للوجود القومي . فإذا تساءلنا عن ابعاد القومية العربية ، فان الفن واللغة سيشاران بدقّة في تحديد هذه الابعاد . فحيثما انتشرت اللغة العربية وحيثما انتشر الفن العربي وأصبح تقليدا وارثا ، تمتد القومية العربية .

ودلائل اللغة والفن في تحديد السمة القومية ، أقوى وأثبت من الدلائل السياسية . فالوحدة اللغوية والفنية هي طابع قومي ثابت نسي وجدان الأمة وشخصيتها ، ولا يمكن للتغييرات السياسية أن تؤثر على هذه الوحدة . بل ان هذه الوحدة هي الأساس الذي تقوم عليه الوحدات السياسية .

(1) Heidegger : « Chemins qui mènent nulle part », Gallimard, 1962.

(2) جورج مارسيه : الفن الاسلامي - ترجمه د. عفيف بهنسي - دمشق 1968 - المقدمة

ما هي عوامل تفكك هذه الوحدة ، اي وحدة اللغة العربية والفن العربي ؟

امام جميع الجهود القومية التي تبذل لتحقيق وحدة سياسية تقوم على الايمان بوحدة الوجود العربي تظهر نزعات شعبية او انفصالية او امية ، تنادي باسم الاصلاح او الثورة ، بتسليم مفاتيح اللغة والفن لاول ظافر في معركة الابداع ، او لاقوى لغة تفرض نفسها في عالم المبادلات المعقائدية والثقافية ، او لاسهل لهجة تفيده في تقوية الاستقلال الاقليمي ولقد تجرت بعض الدعوات الى تفضيل العامية على الفصحى او تفضيل الحرف اللاتيني على العربي ، او الى استيراد الاساليب الفنية الحديثة .

ان جميع العوامل التي تؤدي الى اضعاف وحدة اللغة والفن او القضاء عليها ، هي دعوة الى تصفية شكل البنية العضوية للقومية العربية . والبديل الصحيح لهذه الدعوات هو تعزيز اللغة العربية واستصدار المعاجم الدقيقة لمختلف النشاطات الفكرية الحديثة ، وتوحيد المصطلحات المستحدثة ، وتسهيل الكتابة المطبعية وتعميم دراسة الخط العربي الجميل . واعادة النظر في اسرار الفن العربي والعمل على تطويره ضمن نطاق وحدة شخصية واصالتها . ان هذه الاعمال هي من صلب العمل الوجداني الذي يسمى لتحقيق اهداف راسخة ، فاية وحدة سياسية لا تقوم الا على وحدة فكرية وتعبيرية متينة .

مختلف الفنون . وتتالي التماثيل الاغريقية بعد اللوحات الجدارية المثلثة على المقابر المصرية والستر المطرزة اليابانية بعد النقوش النافرة في المعابد الهندوسية .

وفيما انت تقلب هذه الاوراق يقع بصرك بصورة متتابعة على لوحة جصية منحوتة في احدى قاعات الحمراء . ثم على صفحة من قرآن كريم مزين من مصر ، وتقع عينك اخيرا على زخرفة منقوشة على فسقية نحاسية فارسية ، وحتى لو لم يكن بمقدورك بعد ذلك ان تقرر البلد الذي ايدع فيه كل من هذه الاعمال ، فانك لا تميل ولو لبرهة وجيزة الى نسبة اي منها الى فن غريب عن البلاد الاسلامية .

اما الوحدة الجغرافية فهي تتمثل في وحدة الطراز على اختلاف الاقاليم والمناطق ، وعلى اختلاف السلطة الحكومية . ولكن هذا لم يمنع من ظهور فروق ابداعية ضمن نطاق هذه الوحدة تجعل الفن الاموي في سورية وفي الاندلس مختلفا عن الفن الفاطمي في مصر او العباسي في بغداد . ان هذه الفروق دليل حيوية وتطور الفن العربي تطورا ابداعيا منسجما مع الظروف المعقائدية والجغرافية التي ينشأ فيها ، ولكنه يبقى محافظا على وحدته الداخلية والقومية .

عوامل تفكك وحدة اللغة والفن

نعوذ بعد الاطمئنان على وحدة اللغة والفن العربيين الى الاجابة عن الشق الثاني من السؤال وهو

هه

إِسْهَامِ فِي الْفَنِّ الْعَرَبِيِّ:

الفنّ المغربي تعبيراً عن مدارك الأجيال

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

سبق للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله أن نشر دراسة ضافية باللغة الفرنسية عن الفن المغربي منذ عشر سنوات (1961) تحت إشراف جامعة محمد الخامس بالرباط. وتقديم رئيسها آنذاك فضيلة الأستاذ الكبير محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالثقافة والتعليم الأصلي سابقاً ومما جاء في هذا التقديم: «ما أكثر المصنفات حول الفنون في البلاد الإسلامية وخاصة في المغرب، ولكن توجد من بينها دراسات قيمة سواء من حيث التقنية أم التطور التاريخي إلا أن معظم هاته المؤلفات ليست في متناول الجمهور لأنها تظل مغمورة في بيئة الإخصائيين.

فكتاب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الذي نقدمه اليوم يسد أذن هذا الفراغ، والأستاذ بن عبد الله لا يزعم لكتابه القيم مقام المصنفات الكلاسيكية الكبرى مثل ما أنتجت فرائح الأساتذة مارسى وريكار، وطيراس. ومع ذلك فإن كتاب الفن المغربي يقدم مساهمة هامة في دراسة الفن القومي منذ أصوله.

إن منطقية المدارك، وكذلك مدى ودقة المستندات تجعل من هذا الكتاب في آن واحد موجزاً مركزاً وكتاباً للامتناع والموانسة.

فالباحث المحنك يستمد من خلال آلاف الجزئيات الفميسة والبدائي يلمس في ثناياه أروع أداة للتوجيه والتكوين، في حين يجد فيه كل القراء على اختلاف اتجاهاتهم ومستوياتهم ديواناً حافلاً بالإبهاء والتصويرات الكفيلة بفتح آفاق جديدة انطلاقاً من الأحداث التاريخية المحصنة.

فهاكم مثلاً نظرة متبصرة دراجة للفن البربري، فقد استخلص السيد عبد العزيز بن عبد الله من النصوص كما استمد من ملاحظاته الخاصة ارتكازاً على ما كتب أمثال ريكار وطيراس هاته الفكرة الشخصية التي هي أصيلة بقدر ما هي حقيقية، وهي أن المنزع اتفني البربري لا يخلو من مظهر عربي بدوي ثم نرى المؤلف يلفت نظر القاريء إلى نوع من التزاوج غني بالصور المجسمة والإيعازات الكشافة: «إن الفن البربري يرتبط حقاً على ما يلوح بهندسة الواحات التي أشاعتها مصر الفرعونية القديمة إن لم تكن قد خلقتها».

وهناك فصل يشير اهتمام المغاربة بكيفية خاصة ، وهو الذي افرده الاستاذ عبد العزيز للعصر الموحدى حيث يؤكد بحق أن الاستاذين طيراس ومارسي يريان فى المساجد الموحدة اروع ما ابدعه الاسلام ، وهكذا لم يترك المؤلف مجالاً للصدفة والاتفاق كما انه لم يهمل أي ميدان يتصل بالموضوع حيث انكب على دراسة جميع المظاهر الفنية والحضارة المغربية كهندسة المساجد والمعاهد والمعامل والحصون والمؤسسات العمومية والزخارف والرسوم ، والتطورات ملقيا اضاء كاشفة عن كل عصر من خلال كل الملابس التاريخية .

وهناك مئات الامثال الدقيقة التى تتبلور فيها هاته الفكرة الاساسية وهى ان اوربا مدينة للعرب لا للاغريقين بالمعطيات الاولى لصناعتها الحديثة .

فالاندلسي عباس بن فرناس هو اول من فكر فى صنع اداة للطيران جربها بنفسه كما ابتدع طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر ، فانبثقت آنذاك صناعة رائعة ويشير الاستاذ ايضا الى ما وقع الكشف عنه فى مكتبة الاسكوريال مما يؤيد ان العرب هم اول من استعمل الورق المصنوع من القطن ، وهو عبارة عن مخطوط يرجع تاريخه للقرن الحادى عشر الميلادى .

وقد اوضح المؤلف انه اذا كانت الصناعة الكيماوية فى القرن الثامن عشر الميلادى قد قلبت الاوضاع بالنسبة للانتاج الحديث فما ذلك الا بفضل الكشوف العربية لبعض الاجسام التى جهلها الاغريقون كالبوتاس وترات الفضة والكحول والحامض الكبريتى .. الخ .

واترك للقاريء لذة الكشف عن كنوز هذا الكتاب الذى تمتاز نصوصه بقيمة سامية والذى تزينه روعة ، تلك المجموعة الشيقة من الصور والرسوم التى يتحلى بها ، والتى ستساعد الباحثين كما ستساعد الطلبة ومختلف القراء على تذوق متعة عارمة وتركيز نظراتهم على قاعدة موضوعية رصينة .

فالاستاذ عبد العزيز بنعبد الله يقدم اذن كتابا قيما للجمهور وخاصة هواة الفنون الجميلة الذين سيفتح لهم هذا المصنف القيم مجالات طريفة للتكوين والاستملا .

وقد عرف المؤلف بنصاعة اسلوبه وعرضه ، وبرقة ذوقه ، كيف ينير الطريق بروعة وفعالية .

الدار المحصنة وهى دار مربعة تقوم فى اركانها ابراج وفى سورها مدخل يتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف اخرى فى باقى الواجهات الداخلية . وفى زاوية من زوايا هذه الغرف درج تؤدي الى الطابق الاول الذى هو صورة طبق الاصل للطابق السفلى حيث الخدم والماشية اما الحصون الركنية فانها تستعمل كذلك كمخازن للمون .

ويوجد ايضا عند البربر ما يسمى بالمخازن المحصنة اى ايفرم وهى عبارة عن اجنحة منفصلة تفتح فى ساحة داخلية وتقوم البناية كلها على

وهاكم نص هذا البحث الذى ينشر اليوم باللغة العربية كاملا لأول مرة :

من خواص الفن الاسلامى انه مزيج من الفن الشرقى والفن الخاص بالاقطار التى اعتنقت الاسلام مثال ذلك ان التنسيق الهندسى كان موجودا قبل الفتح الاسلامى فى الفنين القبطى والبربري وقد اقتبس الفن الاسلامى من الفرس القباب المزخرفة والاقواس الرخوة والمقربصة .

لا يكاد يوجد فى المغرب سوى الدور ذات السطوح ، فى الاطلس نجد ما يسمى بتغرمت اى

يوسف بن تاشفين من قرطبة جملة من صناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها كما استقدم علي بن يوسف المهندسين الاندلسيين لبناء قنطرة تانسيفت .

ثم جاء الموحدون فاستطاعوا بفضل ما ابدعوه من روائع تبوؤ المقام السامي في تاريخ الفن الاسلامي لاسيما في عهد يوسف الذي عاش في اشبيلية حيث زينها بأروع البنايات والمؤسسات العمومية ثم جاء ولده يعقوب المنصور فكان ابداع بناء في تاريخ المغرب الفني وقد تجلت هذه البدائع خاصة في اشبيلية والرباط ومراكش ومناراتها خيرالدا وحسان والكتيبة) واصبحت مراكش بيناياتها وقصورها وحدائقها اشبه بيفداد في الشرق كما اشبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة وقد ظل للصناع المجلوبين من الاندلس اليد الطولى في عهد الموحدين الذين نشروا الفن الاندلسي في جميع ربوع افريقية حيث تجدد الاتصال بين الفن المغربي والفن المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء .

وقد خلف بنو مرين الموحديين في الربوع الافريقية فكان للفن المريني ميسم خاص اذا قورن بالفن عند بني عبد الواد في تلمسان والحفصيين في تونس في حين واصل بنو نصر في غرناطة تقاليد الفن الاندلسي .

غير ان الطابع العام لم يتغير وكذلك الاتجاه الفني الذي انصرف عنه بنو الاحمر الى زخرفة القصور في حين تجلى عند المرينيين في اقامة المدن المحصنة والمساجد والمدارس .

وقد استعادت فاس دورها كعاصمة غير ان ابا يوسف المنصور اقام مدينة فاس الجديدة او مدينة البيضاء بقصرها الملكي ومسكن الضباط ومعسكرات الجند والمرترقة واحيط فاس البالي بأسوار جديدة .

ويتجلى نشاط المرينيين المعماري في شعورهم بالحاجة الى اقامة المدن الجديدة على ان ابا يوسف صنع المارستانات وبنى المدارس بفاس ومراكش والزوايا في الفلوات ، ولم يفته في كل ذلك

شاهق نقطة استراتيجية لذلك تستخدم كمستودع للمؤن وكقلعة يلجأ اليها الناس عند الخطر . وهناك نوع من المستودعات يسمى « اجدير » وهو عبارة عن هري عام يتخذ شكل دار مربعة لها باب خارجية واحدة تؤدي الى ساحة مركزية تفتح منها اربع او خمس طبقات من الغرف في اطرافها ابراج وتحتوي في الغالب على مسجد وهري عام وغرف للحراس ودار الندوة للاعيان وفي وسطها صهريج لحفظ الماء للحاجة .

والاغلبية هم اول من ادخل الفن الشرقي الى افريقية ايام الفاطميين وقد وضعوا اسس الفن الجديد في القيروان حيث جددوا مسجد عقبة بن نافع على نمط مساجد دمشق والقاهرة ثم جاء الخوارج فاقاموا في تاهرت وسجلماسة مآثر عفى عليها الزمان ثم اتخذ الفن مظاهر جديدة ايام بني زيري في اشير وقلعة بني حماد وبجاية حيث يتطور التأثير الشرقي في مزيج من الهندسة البربرية العربية وفي القرن الثاني الهجري بنى المولى ادريس مدينة فاس التي يقول عنها كزبل بأنها آية في الاقتباس من الفن الشرقي .

ولكن عندما جاء المرابطون لم يجدوا في متناولهم سوى نتف من بقايا الفن البربري ، ولم تكن لهم صلة مباشرة بالشرق وفنونه التي لم يلمسوها الا عن طريق الاندلس فاستمدت الهندسة المعمارية بميسم جديد ثم اتجه الموحدون في هذا الاسلوب الاسباني المغربي ، ولعل اول بوتقة انصهرت فيها مع الايام مظاهر الفن المعماري الشرقي المغربي هي مدينة فاس التي اقامها المولى ادريس عام 192 هـ (1) بالموضع المعروف بجراوة وقد احاط عدوة الاندلس بسور فتح في جوانبه عدة ابواب وجهز المدينة بجامع للخطبة وهو جامع الاشياخ ثم بنيت عدوة القرويين عام 193 بدار القيطون بسورها ومسجدها ومسجد الشرفاء .

وقد اتجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التي لم يعد يخلو منها ربض ولا زقاق لاسيما في فاس كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الاصلية مع الاقتباس في آن واحد من الاندلس . واول ما تجلى هذا الاقتباس في فاس حيث استقدم

(1) راجع الطبعة المطولة لمظاهر الحضارة وكذلك كتابنا تاريخ الفن المغربي للتعرف الى مختلف الروايات حول تاريخ بناء مدينة فاس .

الزخرف الفني الرائق الذى يطبع المؤسسات الجديدة .

وقد لاحظ ابن مرزوق فى مسنده « ان انشاء المدارس كان فى المغرب غير معروف حتى انشئت مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس (مدرسة الصفارين) عام 760 ثم مدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء ثم مدرسة الصهريج ثم مدرسة الوادي ثم مدرسة مصباح .. ثم انشأ ابو الحسن فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة » فقامت عند ذلك مدارس لايواء الطلبة فى تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وأزمور وآسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد (تلمسان) والجزائر وقد اقام بنو مرين كذلك « من آسفي الى جزائر بني مزغانة واول افريقية محارس ومناظر اذا ظهرت النيران فى اعلاها تتصل المراسلات بينها فى الليلة الواحدة او فى بعض ليلة » .

ولعل اروع مثال يبرز البراعة التى بلغها المهندسون والصناع هو ذلك القصر الذى بناه ابو الحسن فى ظرف اسبوع، وقد اشتمل على اربع قباب مختلفة ودويرتين تتصلان منقوشتي الجدر بالصناعات المختلفة .

ولكن ما هي ميزات الفن المريني ؟ ان الجامع الكبير فى تازة وكذلك مسجد ابي يعقوب المريني فى وجدة يحتفظان احيانا بتلك الفخامة التى يتسم بها الفن الموحدى ولكنهما بضيغان رقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقربصات والزليجات ويلاحظ فى المدرسة العنانية بفاس تشابه واضح فى الهندسة والترخيم مع مدارس الشرق .

وهذه المدرسة هي مدرسة ومسجد فى آن واحد مجهزة بمنارة ومنبر للجمعة ومنجاة ذات ثلاث عشرة من الطسوس « شعار كل ساعة فيها ان تسقط صنجة فى طاس وتفتح طاقات » ومن خواص الفن المريني النقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس الموه وترصيع المنارات بالزليج .

اما فى عهد السعديين الذى بدأ الفن المعماري يتحجر فيه نسبيا فانه يمتاز (بقصر البديع) الذى وصفه الافراني بانه يفوق بغداد روعة وجمالا ورغم هذا التحجر لا يمكن ان يعتبر هذا الفن سوى امتداد للفن المغربي الاندلسي مع مميزات جديدة حيث ان المنصور الذهبي استقدم الصناع والمهندسين من مختلف البلاد وحتى من اوربا وقد هدم المولى اسماعيل قصر البديع الذى انتشرت نبت من انقاضه فى مختلف المدن .

ومن المآثر السعدية الباقية بعض مساجد مراكش (المواسين والقصبة وباب دكالة) وقبور السعديين الرائعة وجناحان فى جامع القرويين .

وقد كفل العلويون امتداد هذه التقاليد الفنية فجهز مولاي رشيد مدينة فاس بالحصون على غرار بني مرين واقام مدرسة الشراطين ولكن المولى اسماعيل الذى نشر اول الامر الحصون والقلاع الجديدة فى جميع انحاء المغرب انصرف بكليته بعد ذلك الى بناء قصر الرياض بمكناس وتنميق حدائقه على نسق قصر فرساي حيث كان ينافس لويز الرابع عشر ملك فرنسا وقد استعان المولى اسماعيل بالخمسة والعشرين الف اسير مسيحي على انجاز مشاريعه الضخمة التى وافاه الاجل دون اتمامها فاكمل المولى عبد الله اسوار القصبة وباب منصور العنج .

وقد اراد المولى اسماعيل ان تكون مدينة الرياض شبيهة بفرساي والبديع ولكن تمتاز بشوارعها الواسعة واحياؤها المسورة .

واستمرت اقامة القصور على النسق التقليدي كدار المخزن قرب انقاض قصر البديع بمراكش وقصر الباهية والقصور الخاصة التى تنتشر هنا وهناك فى حواضر المغرب .

اما هندسة المساجد فقد كانت مزيجا من هندسة الدول السالفة .

الفن المغربي قبل التاريخ

زلنا نشاهد الى الآن فى منحدرات الاطلس بعض الفاور العتيقة المتهمة وقد كانت هذه المآوي الطبيعية

لقد اضطر الانسان فى عصور ما قبل التاريخ الى اللجوء للكهوف المنحوتة فى صخور الجبال وما

مركز حياة نشيطة كما تشهد بذلك بقايا الأدوات
الغريبة وعظام الانسان والحيوان اللذين عاشا فى
هذه الكهوف واللذين القت تلك المكتشفات أضواء
على أساليب عيشهما .

لقد اختار الانسان الاول - كفالة لامنه
وطمأنينته - هذه المخايح السامقة فى قمم الجبال
فرارا من الضواري المفترسة وتوجد الى الآن فى
هضاب تادالا كهوف تحتوي على غرف منحوتة فى
الحجر الصند ينفذ اليها النور من خلال كوات
واسعة غير ان الاواني والآلات التى عثر عليها تختلف
اشد الاختلاف عن الاثاث البربري الحالي ولكن
تم عن شعور فني يزداد وضوحا فى الصور
المقوشة على الصخور ومن أبرز هذه الرسوم
(كبيش زناكة) Le bélier de Zenaga
المكتشف فى فيكك والذي يعطينا صورة عن الفن
المغربي قبل التاريخ فى مرحلته الطبيعية (أي تصوير
المنظر الطبيعية) التى عقبها مراحل ادت الى ما
نشاهده اليوم من نقوش حيوانية فى الهندسة
المعمارية البربرية وتوجد ثلاثة آلاف وخمسمائة صورة
منحوتة على الصخر فى الاطلس الكبير ومما يساعد
على تحديد تاريخ نحتها وجود صور لحراب ورمح
- من النوع المعروف فى عصر البرونز الثاني بأوربا -
كاسبانيا والبرتغال وبريطانيا وايرلندا وايكوسيا وهي
قريبة الشبه بأسلحة جنوب شرق اسبانيا وبذلك
يمكن ضبط تاريخها بالنصف الثاني من الالف
الثانية، وتوجد منها نحو الثلاثين فى جبل اوكايميدن
وياكور . ومن بين الصور الانسانية التى عثر عليها
المكتشفة فى الاطلس الكبير توجد اربع تلفت النظر
احداها مسلحة بخنجر وتحمل اربعة اسورة على الاقل
علاوة على نحو 14 الى 17 من السمات البارزة
الواضحة منها اربع حول العنق واربع على الصدر
والشخص الثاني ببقعته وحذائه وهراوة فى اليد
اليمنى وخنجرين فى العضد الايسر اما الرجل الثالث
فسماته غامضة ويظهر ان عصى مائلة الاثر فوق راسه
وما زالت معالم الرجل الرابع بارزة منها ذكره وحرته
وخنجر فوق راسه ويلاحظ ان الشخصيين الاول
والثالث يوجدان فى اوكايميدن والآخرين فى ياكور
(عزيب نكيس وفيف كاكين) ويتأكد ان اثنين منهم
من المحاربين .

ولكن منذ هذا العصر بدأ البرابرة يتجمعون فى
قرى فى شكل خيام واطصاص شاهد منها الرومانيون
بافريقيا الشمالية وقد عثر بالمغرب على عدة أدوات

تؤكد هذه النظرية فى احد مناجم الدار البيضاء
وقع الكشف عن حصيات ذات بريق تناوبى قديمة
العهد وعثر منذ عام 1941 على حصيات شبيهة بهذه
فى منجم سيدي عبد الرحمان قرب انفا . وترجع
الى نفس العهد التاريخي المخلفات الحجرية الموجودة
فى سوق الاربعاء وعرباوة وغابة المعمورة (نوع احمر
اللون) واحواز الرباط (مجموعة من الحصيات
المنجورة) قرب دوار الدوم .

ومهما يكن تنوع مناطق هذه المناجم فانها تعتبر
اقدم صناعة معروفة بالمغرب وان وجود آلات مختصة
بين هذه المصنوعات ليبرش بإمكان الكشف عن بقايا
مصنوعات اعرق فى القدم .

وعثر كذلك على مناجم فى نجد مدينة سلا
استخلصت منها صخور ضخمة (متران الى ثلاثة
امتار) ويوجد نفس النوع فى شالة ومطار الرباط
مع تنوع اكثر فى اطوال القطع واختلاف المواد الاولية

اما فى العصور التاريخية فان البرابرة اقاموا
لحفظ ثرواتهم نوعا من « القصور » او الحصون
اسندوا حراسها لرجال مسلحين واحيانا ابراجا
على قمم الجبال لايداع العتاد والمال والمؤن .

وكانوا يلبسون اول الامر مخيطات بسيطة
تستر العورة ثم جلود الحيوان تقي من البرد القارس
ثم الجبة الصوفية ثم اكسية اشبه بالبرانس مع
تزيين رؤوسهم احيانا بأكاليل من الريش .

والسلاح كان يصنع من الحجارة فى العهد
الحجري الذى امتد طويلا فى انقارة افريقية حيث
لم يعرف الناس منذ العصور الاولى معادن الحديد
والبرونز والنحاس - ثم استعمل تبرير الحراب
فالاقواس فالخنجر وكانت درقات الدفاع تصنع من
جلد الفيلة وهذه الاسلحة وكذلك الآلات الاخرى
كانت تنقش اولا بالظافر ثم بأسنة حجرية ثم اسنة
متخذة من اطراف العظام المحددة وتطور صنع الاسنة
الى نوع اشبه بأسنان الناشير .

وكان البرابرة بالإضافة الى ما يصنعونه من
انواع المجوهرات يرسمون على الحجارة صورا تمثل
حياتهم اليومية ويتحلون نساء ورجالا بالاسورة
والعقود وينفرد الذكور بالاقراط وانشاء بالخلخل
وكانت الاواني كلها خزفية والمرأة فنانة تتولى نقش
مختلف الاوعية كما تتكفل بنسج الزرابي . وكان
الموتى يدفنون فى مغاور طبيعية ثم صاروا يضعون

الحالي (2) والاعراف القرطاجنية نفسها كانت شرقية فمن ذلك تعدد الزوجات وأنواع الحلبي النسوي وشكلية الاجداث والشواهد وحركة السجود وتحظير اكل الخنزير «والخمسة» (اوانيد) ... الخ وقد تساءل المؤرخ كزبل هل استمرار معالم الحضارة البونيقية بالمغرب هو الذي ساعد على انتشار اللغة العربية القريبة من البونيقية بين البربر مؤكدا ان مدينة قرطاج قد هياتهم من بعيد الى تقبل القرآن ككتاب مقدس وكدستور .

وقد خلفت قرطاجنة هذه حاضرة روما التي بسطت سيطرتها على افريقيا الشمالية طوال 7 قرون (من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعد ازدياد المسيح) .

وقد كان اقليم النفوذ الروماني في موريطانيا الطنجية (ابتداء من عام 42) يشكل قطعة صغيرة تمر حدودها جنوبي الرباط من المحيط الاطلنطي الى ملتقى وادي ابي رفراف وعكراش اما في شرق المغرب فان الآثار الباقية تحمل على الظن بأن هذه الحدود امتدت الى الاطلس الاوسط جنوبي مكناس وفاس وبذلك تكون منطقة الاحتلال الرومانية عبارة عن مثلث بين سبتة والرباط وفاس تدرج فيه طنجة كعاصمة بعد قصر فرعون (وليلي) .

والغالب ان طنجة كانت اعظم مدينة في الجزء المغربي المحتل من طرف الرومان وما زالت المدينة تحتفظ - كشاهد على الاستيطان الروماني - بانقاض كنيسة لم يبق منها سوى تصميمها اما الآثار الاخرى المحفوظة فانها لا تعدو بعض الكتابات والنقود والمنتجات الفنية مع تمثال امرأة .

وقصر فرعون(3) عبارة عن مدينة مستطيلة الشكل ولكن غير منتظمة المساحة (يتراوح طولها وعرضها بين 700 متر الى ما بين 300 و 500 متر) تدرج بناياتها في سفح جبل زرهون حيث ضريح المولى ادريس الاول ونظرا لانعدام وثائق تكشف عن وضع هذه المدينة التاريخية فان مصلحة الآثار القديمة التابعة لوزارة التعنيم العالي تعمل على تجديد هذه المدينة التي هي اعظم حاضرة رومانية في الاقليم الداخلي بفضل الحفريات التي كشفت عن قوس كاراكالا (4) او قوس النصر وعن

في كهوف مربعة او مستطيلة تنحوت في الجبال وتحشر فيها جثث متعددة بعد ثنيها وكسر عظامها ولكن منذ القرن الثالث الميلادي صار بعض المغاربة يحرقون موتاهم كاليونانيين والقرطاجنيين كما تعودوا صبغ الموتى وابداع الحنى والانات مع مالكتها في مرقده الاخير وتعتبر ناحية تافيلالت من بين النواحي الفنية بالمقابر التي يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام فقد عثر عام 1938 على ما سمي بمقبرة ارفوذ الواقعة على الضفة اليسرى لوادي زيز حيث وقع العثور على نحو 1200 حجرة لتبليط الاضرحه وقد تم الكشف في اثنتين منها عن عظام بشرية ما زال من السهل التعرف على هويتها .

وكان الفن البربري يستمد من الاشكال الهندسية - زيادة على بعض الرسوم الطبيعية - ولكن قلما كان يستعمل الاقواس والحنايا وانما هما خطوط وتعاريف .

واروع ما في هذا الفن حيويته واصالته مما ساعده على الصمود في وجه تأثيرات الرومان والاسبان واقل ما يمكن ان نستخلصه من هذا هو ان وفرة الائنات والاسلحة لدى المغاربة منذ عصور ما قبل التاريخ تنم عن تدفق حياة اجتماعية لا بأس بها.

— * —

اما في العصور التالية فقد أسس الفينيقيون مدينة قرطاج بافريقيا اواخر القرن التاسع قبل الميلاد وفي منتصف القرن الخامس اجتاز هانون بدوافع تجارية اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) على ظهر ستين مركبا واقام على ظواهر سواحل المغرب سبعة مراكز احدها في مصب الساقية الحمراء ولعل هذه الاقامة القرطاجنية العابرة تركت آثارها اذا اعتبرنا بعض المظاهر المشتركة في الحضارتين البونيقية والمغربية فالطابع القرطاجني ما زال يسم صناعة المعادن والجلد والخزف المذهب والاصباغ والنسج والالات الفلاحية والبحرية ويرى المؤرخ كوتيسي ان الثياب البونيقية كانت شرقية بقميصها الطويل ذي الاكمام العريضة وطربوشها وكساء السفر الذي يشبه الكندورة (الفوقية الفاسية) بل وحتى البرنس

(2) تاريخ افريقيا الشمالية ص 92

(3) نشرنا بحثا مطولا عنه في العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي »

(4) امبراطور روماني نجل سبتيم سيفير Septime Sévère ولد في ليون عام 188 م وتولى

الملك بين 211 و 217 م .

أزقة ودور ومعاصر للزيتون وقد وقع العثور على الساحة المركزية للمدينة بكنيستها وازيحت الانتااض عن بدائع فنية رائعة منها كتب من البرونز (وهي قطعة مقتبسة عن الاصل اليوناني المنحوت فى القرن الخامس قبل الميلاد) ورأس مصنوع من المرمر ونقوش بديعة تمثل صورا حيوانية وانسانية فى قالب فسيفساء وكانت الساحة الداخلية المحاطة بالاروقة هي القلب النابض للحياة العمومية فى المدينة ويقوم فى جانبها القربي حى لا شك انه امتداد لدسكرة أهلية كما توجد شرقي قوس النصر شبكة واسعة من الدور الثرية بقاعات استقبالها الواسعة وبساحاتها المحاطة بالفرف على النمط القربي وقد عشر على بقايا فنوت كانت تحمل المياه من زرهون الى سقايات المدينة وحماماتها أو الاحواض المنبتقة داخل المنزل أما الزخرف داخل البيوت فان نقوشه تشكل احيانا دوائر ناتئة رائعة أو نحوها مفرغة علاوة على الرسوم الزهرية فى الحجارة والتسطيرات الهندسية ذات الطابع البربري ورؤوس الاساطين البسيطة والمزخرفة بصورة نورية عريضة الاوراق جميلة التقاسيم وتمائيل ودمى واثاث من البرونز تشكل مجموعة فنية ثرية نادرة المثال وتوجد انتااض مدينة باناسة Banassa الرومانية عنى الضفة الجنوبية لنهر سبو وهي تحتوي ايضا على ساحة مركزية ودور كبرى جميلة ومستحقات تتجلى روعة مبانيها الاصلية فى قطع البرونز الفنية التى عشر عليها، أما تموسيدة Thamusida الواقعة كذلك على نهر سبو على بعد ستة عشر كلم . من القنيطرة فان بقاياها المعمارية اقل روعة وجمالا من بناسة، وقد تم الكشف

فى شالة عن قسم من الساحة المركزية Forum التى تنتهي غربا بقوس نصر وبقلمة رومانية وعمارتين جنوبا وشمالا كما كشف فى الجنوب الشرقي للساحة عن آثار دور رومانية وعن مقبرة فى المكان الذى يقوم عليه مقر السفارة الفرنسية الآن ولم يعثر على حمامات ولا على اشياء فنية باستثناء كتابات جميلة تلقي بعض الضوء على الحياة الرومانية فى هذه المدينة المتيقة الا ان الحفريات الاخيرة ازاحت التراب عن ثلاثة من التماثيل ما زالت تحت الدرس ، ومن المدن الاثرية الهامة ليكسوس الواقعة على مسافة اربعة كلم . شمالي

العرائش وعلى الضفة اليمنى لنهر لوكوس وهي فينيقية الاصل (القرن السادس قبل الميلاد) احتلها الرومان واقاموا بالقرب منها ضريح هرقل وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة الشمس أو تشمس التى يقال بأن حدائق هسبيريدس ذات الفواكه الذهبية موجودة بها على خلاف ما يراه آخرون من وجودها فى الجزر الخالدات وهي الجزر «السعيدة» السبع التى اكتشفها الاسبان فى القرن الخامس عشر ، ويرى علماء الآثار ان هذه المدينة تحتوي على كنوز فنية لا تقدر لذلك يولي المسئولون من الاثريين هذه الحاضرة الازلية عناية خاصة الآن وقد عشر على البناء الفينيقى فى الطبقة السفلى على عمق بضعة امتار وفوقه البناء الروماني على طبقتين اعلاها المدينة الامبراطورية ثم طبقة اخيرة يظهر انها راجعة لصدر الاسلام نظرا للعثور فيها عنى قطع خزفية عربية ملونة ومنقوشة بحروف كوفية علاوة على بقايا مسجد بمحرابه وفنائه ، اما النماذج الاثرية القديمة فهي اوان من الفخار تطور صنعها فدهنت ايام الفينقيين باللون الاحمر وكذلك قناديل منوعة كما عشر على بقايا دور بونيقية مبنية من الحجارة تحتوي على غرف مستطيلة كالفرف المغربية الحالية وارضها مبلطة بالفسيفساء المرمرى وهذه المدينة التى تنقسم الى عدة احياء كل حى بسوره الخاص تعتبر (هي ومدينة شالة) المدينتين الوحيدتين الواقعتين فى مركز بحري هام وكانت مستودعاتها الفنية تستعمل لحفظ الحبوب والزيت .

وقد عشر على مدن ازلية اخرى مكان سبتة والقصر الكبير (اوييدوم نوفوم) وتمودة (على بعد ست كيلومترات ونصف من تطوان) وأصيلا وفريدى (على مسافة كيلومترين اثنين من عرابوة) وتريمولي (فى المكان الذى كانت تقوم البصرة فى القرن الرابع الهجري) .

وقد لاحظ تيسو (5) ان مدينة القصر الكبير مبنية فى معظمها بادوات ازلية العهد وتوجد على احدى قواعد منارة الجامع الكبير كتابة اكتشفت منذ عام 1871 م وهي تشهد بوجود ضريح فى ذلك المكان .

(5) كتاب الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية ص 162 .

يمثل في القرن الرابع أبرز حواضر المغرب
الاسلامي (6) .

وقد ظلت اهم هذه المدن قائمة الدات في القرن
الخامس الميلادي بعد انسحاب الرومان وكان بعضها

مفطيات الفن لعربي ليوناني

العمليات الذهنية مظهرا من الروعة والرواء ، بقدر
ما تنمو وتبلور في ذهن الانسان حاسة الجمال .
وقد تولد عن تلك العوامل الاجتماعية والفكرية نزوع
الى التنسيق وميل الى فن الزخرف والتنسيق . وقد
عثر المنقبون منذ قديم على آثار فنية خالدة في
المغاور والكهوف التي يرجع عهدها الى ما قبل
التاريخ .

وتوجد في المغرب مصلحتان اثنتان : تهتم
احدهما بحفريات العصور القديمة ، والاخرى

ان صنع الاشياء العادية واقامة بعض المؤسسات
البسيطة كان الشغل الشاغل لسكان المغرب قبل
التاريخ ، فقد احتد ذكاء هؤلاء ، وتطورت قواهم
الفكرية ، وفتحت مخيلاتهم بفضل الاحتكاك
الموصول بالضروريات اليومية ومقتضيات الحياة
المتجددة . فالفكر الذي تفتقه الحاجة يسمى في الخلق
والابداع فيبتكر الهيات والاشكال في غير تناسق
باديء ذي بدء ، ثم يندرج في تطور بطيء يحدوه
الى تقوية التساوق وتعزيز الانسجام . وتعمل
الفريزة في آن واحد عملها البناء ، فتضفي على

(6) تاريخ لمغرب - طيراس ج 1 ص 61 - البيان المغرب ج 1 ص 133 و 330 .
سبق للمؤلف ان نظم قصيدة اشار فيها الى هذه المدن الرومانية بعنوان « نوفوم » او القصر
الكبير » جاء فيها :

فى العزيين توائم الاقمار
نزاحة عن لكسس وقفار
عرفت ب « هسبريد » (ب) فى الامصار
فغدت « ويلي » - طمرة الاغمار
وتموسيدا (ج) انعم بها من دار
الا بدا فيض من الانوار
الا سما ومض من الاسرار
يا موطن الاطهار والاخيار
ت عينه والسييل خير نضار
ت دثاره والبيت خير مزار
ت جماعه والجود خير منار
فيك الجنان لواقح الازهار

« نوفوم » (ا) ثابفة الحواضر ارفلي
اختارك الرومان حاضرة الهنا
مهد الحضارة جنة الدنيا التى
جرت ذبول الفخر فى خيلائها
بذت عواصم « تنجس » و « تمودة »
ما ان بدا قصر العوارف فى الدجى
او اينعت وضح النهار كرائم
يا بلدة اكرم بها من بلدة
اليمن نبع فيضه واليسر نثر
الخير انت شعاره والنبل انت
العقد انت نظامه والفضل انت
فيك الاجنة راضعات للتقى

- (ا) نوفوم Oppidum novum اي الحاضرة الجديدة التى بنيت بعد ليكسس Lixus
(بنيت هذه عام 1101 قبل الميلاد) وهى ثاني مدينة بنيت فى المغرب فى المكان الذى تقوم عليه
الآن مدينة القصر الكبير وهى موطن الافذاذ من العلماء ورجال الفكر ومعركة « وادي المخازن »
التي اندحر فيها البرتغال
- (ب) Hesperides هي جزر اسطورية فى ساحل الاطلنطيك كالجزر الخالدات او جزء من ساحل المغرب
الاقصى قرب ليكسس وهى حدائق عدنفة فيها تفاح الخلود حسب الاساطير .
- (ج) Tingis او طنجة الحالية وتقع تمودا Tamuda قرب تطوان وتاموسيدا
Thamussida قرب مهدفة بمصب نهر سبو (قرب القنيطرة الحالية) .

في بعض الاواني ، كما وقع الكشف عن بقايا اوان خزفية بيضية الشكل او مسطحة الاسفل وهذه الوفرة والتنوع مما اتسمت به الصناعة في اشقار منذ فجر التاريخ .

— * —

وقد لاحظ الباحثة الاسباني طراديل خلال حفرياته ان الخزف المكتشف يدل على شيئين اثنين ، هما : اقدمية استعمال الخزف بالمغرب من جهة ، وعلاقة المغرب باسبانيا منذ فجر التاريخ . لان الاواني الخزفية الموجودة باشقار تشبه ما وجد في الكهوف الاسبانية الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط وكان الشكل الكروي هو الغالب في هذه القطع ، ولم يدخل الشكل البيضوي الا فيما بعد كما ان الصناع كانوا يوغلون في طبخ الخزف وكذلك في نقوشه . وقد بلغ عدد بقايا الاواني الخزفية خمسة آلاف غير منقوشة ، ولم توجد اية واحدة كاملة الهندام وبعضها عبارة عن قدر ومراجل حمراء منقوشة بالالظفار . ويتسم الخزف المصنوع في اشقار بخصائص تميزه تميزا كبيرا عن مصنوعات باقي اقاليم افريقيا الشمالية ، ووجدت نماذج منه في مغارة الاصنام .

ولوحظ بين القطع المكتشفة في الكهف الاولي نحو المائة من القطع الرومانية ، مما يؤكد لنا ان ناحية اشقار كانت مطروقة من طرف الرومان وتوجد على بعد كيلومتر واحد جنوبي هذا المكان اوان خزفية من عهد الامبراطور الروماني اوجست من عائلة (سيفير) وقد عثر داخل مقبرة محاذية لاحدى الصخور على قطعة من الزجاج وقطعتين من الخزف (ونقاتل) اي دبابيس من نحاس . ويرجع تاريخ هذه القطع الى القرن الاولي قبل ميلاد المسيح .

وهكذا تدلنا الحفريات في كهوف اشقار على ان هذا الاقليم عرف جميع انواع الادوات والالات والوانى منذ العصر النيوليتي Neolithique الى عصر المعادن . وقل ما توجد هذه القطع في المناجم المغربية الاخرى . اما نوع الخزف الشبيه بخزف الاسبان فالظاهر انه لم يصل الى سواحل الاطلنطي . والخزف الاحمر المكيف في اشقار ينسب بعد الاواني الحمراء اللون التي نقلها الفينيقيون الى مدينة اللكوس (قرب العرائش) ومدينة الصويرة القديمة . وكل مكتشفات اشقار تؤكد لنا ان عناصر

بالحفريات الاسلامية وقد سارت الاولي خطوات واسعة في الكشف عن مخلفات الفينيقيين وآثار الرومان بالمغرب ، واسفر نشاطها المستمر منذ عقود من السنين عن تحقيقات لكثير من المعطيات التاريخية ، كما كشفت ابحاثها القناع عن بعض مظاهر الحضارة المغربية منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي . ونضرب مثلا لذلك بالكهوف الثلاثة المكتشفة في مغارات اشقار قرب طنجة . فقد لاحظ شارل تيسو منذ عام 1875 ان هذه الكهوف يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ وانها كانت رأس معبر للبحارين الاوائل الذين اجتازوا مضيق جبل طارق . وقد شرع المغرب في دراسة هذه الحفريات منذ عام 1906 بواسطة البعثة العلمية الفرنسية . فعنى طول سواحل المحيط الاطلنطي ترتفع نجوم صغرى من دقيق الاحجار الرماية توغل الماء في تضاريسها فحفر سرايب مختلفة تمتد احيانا مسافة ثلاثين مترا في باطن الارض . والذي يضفي اهمية خاصة على هذه الكهوف هو ما عثر عليه في حناياها من ادوات واوان مصنوعة من الجير والخزف او منحوتة في الحجارات الكبرى .

ففي طبقات كل كهف من الكهوف الثلاثة وقع الكشف لحد الآن عن ادوات تشهد بوجود صناعة رقيقة في هذا الاقليم منذ اعرق العصور ففي ثنايا الطبقة الاولي مثلا من الكهف الاولي احصيت 420 قطعة كما بلغ عددها 772 في الطبقة الثانية بلغت نسبة الاواني في مجموعها 129 .

وفي الكهف الثاني 228 قطعة و 1.303 في الطبقتين توجد بينها آنية . اما في الكهف الثالث فعدد القطع 301 منها 39 آنية . وتحتوي هذه القطع عن محكات ومثاقب من انواع مختلفة لثقب الاوراق والحديد والخشب مثل البريمة وادوات اخرى ذات شكل هندسي وقصع منحوتة واخرى مسلسة ، ووجدت آلة غريبة هي عبارة عن محك من نوع خاص .

وقد عثر الباحثون جنوبي اشقار على مغارة اطلقوا عليها مغارة الاصنام ، ووجدوا فيها مجموعة ثمينة من الادوات المنحوتة من العظام في شكل مبارق ومثاقب وملاعق وانايب ويوجد في هذه المغارة جانب اطلق عليه اسم عربي هو المغارة العالية .

واذا لم يكن قد عثر بين هذه القطع على بقايا جلي ، فقد لوحظت فصوص من جير احمر منقوشة

للسكن المغربي بالرغم عن تنوع التصميمات المستوحاة من اللوازم المحلية .

ومن الامثلة الحية تيفرمت الاطلس المتوسط ، التى هي عبارة عن قلعة مربعة ذات حصون تحتوي كل زاوية من زواياها الاربع على برج متصل بغرفة فيها درج توصل الى الطابق الارضى . اما الحصون القائمة بالاركان فانها تستقل كاهراء ومخازن للحبوب والساحة قد غطي جزء منها فقط فى حين ان الطابق الثانى خال من البيوت . اما الاغرم فهو شبيه بالتفرم الا انه يفوقه من حيث عدد المخازن المواجهة للبناء . على ان كلا منهما قد بني على مرتفع من الارض ليأتي بالفائدة المرجوة منه كمخزن للقريبة ومركز للتجمعات فى حالة هجوم وقد كانت قلاع كبار قواد الاطلس تقوم بنفس الدور . غير انها اشتملت بالاضافة الى ذلك على سكنى للرئيس يتناسق فيها الفن المعماري الحضري بالصور والتنسيقات الفنية الريفية (رسوم هندسية عجيبة الشكل واعمدة مزخرفة ونقش وترصيع) .

اما هندسة البناء البربرية فقد لاحظ طيراس انها تظهر من حيث قوابها الفنية متصلة بهندسة بناء واحات مصر الفرعونية ، وتختلف الفنون البربرية عن الفنون الاسلامية المتقابلة بالمغرب العربي بكونها فنونا عائلية ، وفى اغلب الاحيان نسوية الا ان هذه النظرية (الفرعونية) تتنافى مع ما يلاحظ من تجانس ومظاهر وحدة بين التصميمات المعمارية فى اليمن والمغرب لاسيما وان شعبا شتى من البرابرة قحطانيون حسب روايات راجحة .

الاسر الاغريقي الروماني

وقد تأثر المغرب لاسيما فى عصور ما قبل الاسلام بالاسلوب الاغريقي الروماني وما يمتاز به من اقواس واعمدة وحمامات وقناطر وقنوات ومخازن للماء وسقابات ، وظل ذلك بارزا فى مختلف اطواره ومراحله التاريخية ولقد كانت الدار الرومانية نفسها حتى فى اقاليم المغرب ، كثيرة الشبه بالدار الاغريقية حيث تشتمل كما نرى الى الآن على بناء مربع متصل بالهواء الطلق تحيط به اروقة وله ممر طويل يصله بالشوارع . اما الحجرات فهي تقع فى الجهات الاربع للبناء .

واردة من العدو الاخرى لمضيق جبل طارق قد استقرت فى هذه الناحية بفنونها وصنائعها كما جاءت منذ ثلاثين سنة بأدلة قاطعة على وجود علائق اقتصادية وثقافية عبر مضيق جبل طارق منذ العصر النيولوتي .

واندمام المعادن فى هذه المغارات يؤكد من جهة اخرى ما زعمه الجيولوجيون من ان المغرب لم يعرف عصر البرونز .

ويظهر الفن فى عدة اشكال ويتجلى فى منشآت مختلفة فمن ادوات الطبخ الى الرموس والابنية والهياكل التى دخلتها مجموعة من القواعد فى الزخرف والزينة وفى ذلك دلالة على ما كان دائما للفن المعماري من الارتباط الوثيق بفن النحت والتصوير وصناعة الخزف والفنون الصناعية الاخرى .

الفن البربري وعناصره

وقد تأثر البرابرة منذ الفى عام بمدنيات مختلفة، استمدوا عناصرها من القرطاجنيين والرومان والوندال والبيزنطيين ثم العرب ، الذين استمر احتكاكهم بالبربر ما يثيف عن الف عام . وبذلك استطاعوا ان يطبعوا بطابعهم انخاص عدة مظاهر من الحياة الريفية المغربية .

واذا كان الفن البربري هو - كما قال ريكار - فنا بدويا قديما ينفصل تماما عن الفن الحضري الاسلامي الاصيل فان المزيج الفني البربري لا يخلو من مقومات عربية بدوية . فالحياة التى يحياها البربر وليدة ملابس محلية كثيرة : من جملتها عوامل الطقس والمقتضيات الجغرافية الاقليمية . ومعلوم ان انتجاع الكلا يفرض حياة تنقلية تتلاءم مع الخيام التى تعتبر نواة للدسكرة (المدشر) . ولكن بمجرد ما تسمح الظروف الطبيعية فى ناحية معينة بالحياة القارة، فان السكن الثابت يخلف السكن المتنقل كما تقوم القرية مكان الدوار بما تحتوي عليه من حصون ومخازن ومستودعات مشتركة (اغرم او اكادير) . وهكذا يتطور المظهر المعماري للسكنى ، من الشكل العتيق الذى كانت عايه فيما قبل التاريخ - وهو شكل فى منتهى البساطة - الى شكل دهليز او دار ذات سطح وهذا التسطيح هو النموذج التقليدي

ومن حيث هندسة البناء الدينية يظهر ان الفن المسيحي لم يترك اثرا يذكر فى البلاد حيث ان المغرب نقل عن المشرق طريقتة فى الزخرفة التى تزدهان بها مساجده ومختلف مؤسساته الدينية . وهي الطريقة الاسلامية التى اثاره اعجاب مهندسي الكنائس الرومانية فى فرنسا ، وظهرت آثارها فيما شيدها بها من معابد خلال القرون الوسطى .

نعم يقال ان ذلك الاشعاع الفني الاسلامي لم تنعد آثاره نطاق الجزئيات (ريكار) ولكن كم يكون فن القرون الوسطى المسيحي جافا وباردا كما يقول الاستاذ ريكار نفسه - لو انه خلا من هذه الجزئيات ومن روعة ألوانها وجمال خطوطها .

ولكن ماذا بقي بالمغرب من هذا الفن القديم ؟

ان الحفريات التى انجزها علماء الآثار بموريطانيا الطنجية ، اذا كانت لحد الآن لم تلق الا بعض الانوار على حياة المغرب القديم العقلية والدينية ، فانها على العكس من ذلك تفيدنا فوائدها حول حياته الفنية فى قصر فرعون (وليلي) مثلا نشاهد قوس نصر من الحجارة فى اسلوب بديع بالرغم عن جفاف وتمعدن معظم تشكيلاته . ومثل ذلك يقال عن أسواق وساحات « بناسة » وشالة التى شيدهت من الحجر المنجور المتجانس فى اتقان غريب ، ونفس الاسلوب يلمس بوجه عام فى مختلف الاسس والعتبات والمساكن الرومانية . اما قلب الجدران فهو من الحجر غير المنحوت ومن الأجر والطايبية . ولقد كانت الدور فى معظمها متعددة الطبقات ، وكانت مغطاة بأغمية (سطوح) من تراب وكلس ، واحيانا بالقرميد ، وكانت الأرض مرصعة بالحجارة الا فى الحجرات حيث كانت مبلطة بالكلس والتراب او بالفسيفساء المزدوج الالوان من صنع الفنانين المحليين .

وبلاحظ فيما بعد العصر الروماني - حتى ايامنا هذه - ان اسلوب هندسية البناء لم يتغير كثيرا . وانما من التطور الطبيعي بصفة جوهرية تفاصيل الزخرف حيث استعملت بالرسم الهندسي مثلا والصور الزهرية عن اشكال الحيوانات او نحت الصور البشرية على النقود . ولكن اصالة الفن الروماني بالمغرب

بقيت بارزة بوجه خاص فى فن نحت تماثيل المرمر والبرونز . وبعد الفتح العربي استمر التأثير الروماني قويا فى الجهاز المادي للحضارة من ازياء وحلى وبنيات وجامعات وحمامات .

فهذا النموذج الروماني الاصيل قد تسربت اليه عناصر جديدة فى شكل تضاريس وزخارف عربية تستمد هدامها من العوائد والاعراف الجوهريية . ولكن الاسس تبقى من خلال ذلك ثابتة الدعائم . وهكذا نرى ان فنون هندسة البناء وصناعة الاواني فى المغرب تتبلور اشكالها ولا تزدهان بعد الف سنة الا دقة ورواء بفضل احتكاكها بحضارة المدن . كما نرى معجم البربر الفني قد اضيفت اليه ثروة من اسماء المصنوعات الجديدة التى قد تكون احيانا فى منتهى الجودة والاتقان . مثل الصناديق الخشبية المنقوشة او المصبوغة وادوات زينة الابواب والاقفال والخناجر ، والاعغام ، واوعية البارود ، ومقابض البندقيات والمسدسات المفضضة المرصعة بالعاج والحلي المتنوع مثل الخواتم والاخراس والعقود والتيجان والاسورة والخلاخل .

ويجتهد الجوهري فى نقش المعادن النفيسة مبتكرا تحفا تدل على ملكة فنية قوية .

وفى المراكز الزينية الصغيرة نفسها تجد الخزفي يبدع فى صناعة الاواني الخزفية والمصحون والجامير وتشكيلها بأشكال هندسية رائعة .

اما صناعة الجلد فتحترفها هيئة خاصة تنفرح حسب الاختصاص الى عدة شعب كلها تتبارى فى ابراز ما لها من اللوق الفني الرفيع سواء فى ذلك صانع الاحذية الصغيرة وصانع المحفظات والخرجة والتخوت والطنافس او المفضض والمذهب ، او النقاش الذى يرصع المنتجات الجلدية بالخيشوط الفضية والذهبية او بالحزير او المعصائب الجلدية الرقيقة المختلفة الالوان .

وهكذا نرى المغرب عبارة عن بوتقة انصهر فيها الفن البربري والفن الاغريقي الروماني وازدادت على مر الايام ثراء بفضل ما اضافه اليها فن المشرق العربي .

الفن بعد الفتح الإسلامي

عهد الاسلام المستديمة والمنبعثة بواسطة هذه المسالك ومن ابرز مظاهر هذا الاشعاع الفني انبثاق مساجد وجوامع تتسم بطابع عربي اصيل وتوجد خاصة بافريقية العناصر الاولية للفن الاسلامي فمدينة القيروان هي اول حاضرة اسسها العرب بعد فتح عقبة بن نافع الفهري وقد برزت في القرن الثاني الهجري اهمية هذه المدينة التي اصبحت عاصمة المغرب الاسلامي في عهد عبيد الله بن الحبحاب (باني الجامع ودار الصناعة بتونس عام 116 هـ) والذي استعمل على طنجة العامل عمر بن عبد الله المرادي وتم ذلك في اواخر عهد الامويين واولئ العصر العباسي حيث بدأ الاسلام يتغلغل في الغيافي الافريقية وقد احتفظ المغرب مع ذلك بسمه خاصة نظرا لكون العباسيين لم يملكوها وراء الزاب (من بلاد المغرب وتلمسان وانظارها فولها محمد بن سليمان الحسني وفاس وانظارها كان فيها شيعة ثم آل ملكها الى ادريس) ولم تستمر الوحدة السياسية بين المغرب والامويين سوى عقود من السنين عندما ولي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقيا والاندلس فكان له من العرائش الى طنجة الى سوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك (9) .

وفي نفس الوقت الذي تأسست دولة الاغالبة وبني رستم في كل من افريقية والمغرب الاوسط تركز الادارة بالمغرب الاقصى حيث التفتت حولهم القبائل الكبرى التي تولدت عنها دول خلال العصور التالية (مثل صنهاجة ، والمصامدة ، وزناتة ، ومكناسة الخ) .

اول مملكة عربية تركزت في المغرب هي مملكة تكور الواقعة بالريف على شاطيء البحر الابيض المتوسط وذلك في عصر الوليد الاموي بامارة صالح ابن منصور الحميري (6) .

وقد غزا الاسلام منذ العقود الاولى للفتح قلوب صنهاجة وغمارة فاتجهت الجهود الى بناء رباط في عهد الامير سعيد بن صالح يحتوي على مسجد يرافقه يستوحي تصميمه الهندسي من جامع الاسكندرية وكان الاسلوب المعماري بسيطا تبعا للفن الشرقي الاسلامي الذي كان لا يزال اذ ذلك في فجر انبثاقه فجامع عمرو بن العاص (عامل مصر) مثلا خال من كل زخرفة وتنميق كالتقريضة والنقشيين الخشبي والمرمر وسائر العناصر المعمارية الدقيقة التي امتاز بها الفن العربي في العصور التالية .

ومن هذا الطراز مسجد اغمات غيلانة الذي أسس عام 85 هجرية والذي يظهر انه اول مسجد بناه المسلمون بالمغرب بعد ان حولت المعابد التي بناها المشركون الى مساجد وجعلت المتابر في مساجد الجماعات (7) وبدات افريقيا تنطور روحيا وفنيا على نسق الشرق الاسلامي .

وقد لاحظ الكاتب الفرنسي جورج مارسي وهو من كبار مؤرخي الفن الاسلامي - ان بلاد البربر امتست منذ القرن السابع الميلادي عبارة عن مرحلة في الطريق الكبرى التي تصل الهند بجبل البرانس باسبانيا والتي يطرقتها علاوة على رسل الخلفاء وسفرائهم ثمة من الحجاج والطلبة والفنانين والتجار (8) فلا يسعنا والحالة هذه ان نستبين آثار

(6) صالح بن منصور الحميري افتتح اقليم تكور زمن الوليد بن عبد الملك ونزل تسمان وعلى يديه أسلم بربرها من صنهاجة وغمارة ، وسعيد بن ادريس هو الذي بنى مدينة تكور (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب للبكري الجزائر 1911 م ص 91 - 92 .

(7) المغرب لابن عذارى ج 1 ص 37

(8) مقدمة كتاب الفن الاسلامي .

(9) البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي - بيروت عام 1950 ج 1 ص 37 ويذكر ابن بابا مؤرخ السودان انه عندما غادر عقبة بن نافع بلاد لمطة كان بعاصمة غانة اثنا عشر مسجدا (الاسلام في افريقيا الغربية بقلم دو شاطو لي - باريس 1899 ص 52) .

معالمها الرائعة فى النباتات التى تنافست العناصر المختلفة من سكان الاندلس فى وضع أسسها مما أدى الى تاصيل نواة وصفت فيما بعد بالفن الاندلسي المغربي .

هذه المعطيات الاولية للفن الاندلسي التى تجمعت فى روائع قرطبة كالجوامع الكبير والقصر ومدينتي الزهراء والزهرة قد انضفت اليها عناصر فنية مقتبسة من مدارس طليطنة واشبيلية (11) وقرطبة حيث توجد مثلا فى قصر الحمراء قوالب بسيطة من الجبس ما زالت تغالب الحدشان الى الآن (12) .

وفى هذا المزيج الفني برز العنصر الشرقي فى الآثار الشامية والفارسية والبرنطية فكما سبق للوليد الاموي ان استعان بامبراطور الاستانة لاستقدام فنانيين فى الفسيفساء من اجل ترخيم جوامع دمشق والمدينة والقدس فكذلك اتجه الحكم نحو الامبراطور الروماني للحصول على خبراء فى هذا الجانب من الفن البرنطى (13) وقد اكتسب العمال الاندلسيون مهارة فى الابتكار تجاوزوا بها معنيمهم (14)

وقد كانت لروح التبادل التى سادت بين اشرق والغرب بعد قيام الدولة الاموية فى الاندلس - اثرها العميق فى طبع ايسط المعالم فى الحضارة المغربية الاندلسية. اذ لا يعزب عن الازهان ان زرباب وهو من ابرع مغني الشرق قد هاجر الى قرطبة فأصبح - كما يلاحظ دوزي - مشرع اسبانيا العربية حيث حقق ثورة جذرية فى الازياء فقد كان الاندلسيون يطيلون شعرهم مفضولا على جباههم ويستعملون الاواني الذهبية والفضية واخونة الكتان فى حين

ويمكن ان تعتبر مدينة فاس اول مركز عربي تفتق فى البلاد المغربية واصبح بعد ذلك - حسب كوتبي - مظهر اعجاز فى ميدان التكيف بالطابع الشرقي . ذلك ان الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر الاموي فى كل من الشرق الادنى والمغرب العربي بفضل مرونة حساسية العرب ومداركهم الابداعية. فهناك عوامل حدثت العرب فى الاندلس والمغرب وكذلك بمصر الى الاستيحاء فى زخارفهم من معطيات الهندسة وهذه العوامل هي اهمالهم للاشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتممقهم فى دراسة الرياضيات وسعة مواهبهم واذواقهم .

وقد تبلور هذا الاتجاه مع مرور الاعصار وتهذبت اطرافه ورقت حواشيه وتممقت معالمه .

فظهر العباسيين بالشرق قد حدا فلول الامويين الى تأسيس مملكة اتخذوا لها قرطبة حاضرة ما لبثت ان اصبحت مهذا لمدينة جديدة ترعرعت مجالها الخصبة طوال قرنين ونصف قرن مسفرة عن فترة زاهرة فى تاريخ الفن الاسلامي .

فبالرغم عن احتكاك القبائل العربية المستقرة بالاندلس واستفحال حركة التمرد بانضمام البرابرة وتدخل المسيحيين لم يتوقف ازدهار الفنون وقد نتج عن حركة الربضيين الثورية التى شبت فى ربض قرطبة بعد تأسيس فاس - هجرة عائلات اندلسية فى مختلف الطبقات الى خارج الاندلس وقد استفادت حاضرة المغرب الادريسية من الافواج القرطبية التى توافدت للاستيطان بها (10) فكان لهؤلاء اثرهم فى توجيه الحركة الفكرية والمآثر الفنية الا ان الاستقرار السياسي الذى استتب فى عهد الناصر والحكم الثانى قد فتح المجال فى وجه الادباء والشعراء والفنانين فأقيمت دعائم نهضة فنية جديدة تجلت

(10) يقال بان ثمانية آلاف عائلة قرطبية وردت على فاس فوجدت ثلاثمائة عائلة فيروانية قد سبقتها الى عدوة القيروان وهذا الرقم الذى اعطاه دوزي فى تاريخ مسلمي الاندلس (ط 1932 ج 1 ص 301) يعارض ما أكده طيراس فى تاريخه وهو ثمانمائة عائلة ويظهر ان هذا هو الصواب لان اليون بين عدد افراد الطائفتين القيروانية والاندلسية لم يكن شاسعا الى هذا الحد .

(11) كانت اشبيلية تعتبر مركزا للعلم والحضارة الرومانية فى عهد القوط وهى اهم مدينة اسبانية (تاريخ مسلمي الاندلس ج 2 ص 39) .

(12) حضارة العرب (كوستاف لوبون) الطبعة الفرنسية ص 300 .

(13) كتاب الفن الاسلامي لمارسي ج 1 ص 224 .

(14) البيان المغرب طبعة بيروت 1950 ج 2 ص 354 .

وزخرفتها في عهد الملوك الامويين الاول ثلث الميزانية العامة للدولة (21) . فقد كان المهندسون المعماريون والنحاتون والرسامون يشتغلون ترضية لحاجيات الامير ونواذعه السياسية ونقعا لفننه الدينية وتلبية لاتجاهاته الزخرفية وعندما كانت الاضطرابات تستتب وتحتدم كان الفن يتوقف وينتكس لان ازدهاره منوط بثورة الدولة وشخصية الامير .

كل ذلك جعل تطور الفنون معلقا على الظروف والملابسات التاريخية ومدى ثراء البلاد في الحقل المادي وقد استمرت هذه التقاليد الفنية بالمغرب خلال العصور التالية وحتى عقب انحلال المملكة الادريسية في القرن الثالث الهجري ظل كبار الامراء يؤسسون من الشمال الى الجنوب حواضر صفرى تنافس حاضرة فاس في اقتباس مظاهر الحضارة الاسلامية ونشر معالمها الرائعة .

فقد كانت مدينة البصرة (22) مثلا في ذلك العصر مركزا نشيطا لانتاج الكتان وفي عهد بني عامر وبني زيري (القرن الرابع) تسربت عناصر جديدة من حضارة الاندلس وفنونها الى المغرب حيث تفلقت في جبل الاطلس فباقت ناحية فازاز على يد قرطبيين من مهاجري الربض وكان جنوب المغرب آنذاك زاهرا بالمدن الالهة كنفيس مدينة الحدائق واغامت عاصمة الادارسة في الجنوب وايغلي وبتاروانت وتامدلت وماسة وواحات نول

اصبح الناس يقلدون زربابا في قطع الشعر مستديرا والاكل في آواني الزجاج وعلى اخونة من الجند (15) كل هذا اضفى على الحضارة الاندلسية طابعا خاصا من الروعة والرواء وازدهرت في عهد عبد الرحمن الناصر جميع مرافق المدينة من فلاحه وصناعة وتجارة وفنون وعلوم (16) مما ساعد حضارة اسبانيا المساحة على احتلال المكانة الاولى بالنسبة لدول الغرب (17) ويشهد كثير من مؤرخي الفكر بأوروبا ان القرن العاشر الميلادي وهو عصر النهضة الناصرية - يعتبر من ابهى وازهر عصور اسبانيا العربية سواء في الفنون ام المؤسسات العلمية (18) والناصر الاموي هذا هو الذي وسع جامع القرويين بعد بنائه بقرن مضيا بصورة رسمية على مدينة فاس اول طابع فني اندلسي وقد ازدهرت هذه الحاضرة الى ان اصبحت بعد ذلك بقليل منافسة لدار السلام بغداد الرشيدية (19) .

وقد كان لفاس اثرها القوي حتى في افريقيا وبذلك اُسمى مهد علماء الاسلام بافريقيا تابعا لمدرسة برايرة الغرب الاسلامي (20) ويرجع فضل هذه النهضة الى المولى ادريس الثاني الذي امد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها فالن بالمغرب وفي غيره من الدول الاسلامية هو من متبنيات الامراء والملوك الذين يحمون الادب والفنون الجميلة ويشجعون الكتاب والفنانين متحملين بذلك تكاليف مادية باهظة ففي الاندلس مثلا بلغت مصاريف بناء القصور

(15) تاريخ دوزي - الطبعة الجديدة التي اصدرها ليفي بروفنصال عام 1932 ج 1 ص 312 .

(16) ابن حوقل - طبعة كوج 2 ص 77

(17) طيراس - تاريخ المغرب ج 1 ص 230 .

(18) تاريخ الطب العربي - لوكير عام 1876 ج 2 ص 351

(19) كوستاف لوبون - حضارة العرب ص 263 (الطبعة الفرنسية)

(20) الفن الاسلامي - جورج مارسي ج 2 ص 469

(21) نفع الطيب ج 1 ص 179 .

(22) تعرف ببصرة الكتان وبالحمراء لانها حمراء التراب وكان سورها مبنيا بالحجارة والطوب ولها عشرة ابواب وللجامع سبع بلاطات ولها حمامات .. ونسائها مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منهن .. وانست في الوقت الذي اسست فيه ازبلا او قريبا منه (البيان المغرب ج 1 ص 133 - 134) وهادم البصرة هو ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368 هـ وكانت في البصرة عمارة عظيمة بالاندلس والبربر (ص 330) .

والادريسي اسماء مجموعة من المدن اندثرت الآن معالمها وهي مجهولة فى الخرائط وقد هدم البرغواطي يونس بن الياس وحده 387 مدينة (24) .

لمطة وايغني (23) ويظهر ان الحياة الحضريّة كان لا بأس بازدهارها آنذاك نظرا لوفرة الحواضر التي اندرس معظمها وقد ترك لنا كل من البكري

المرابطون وكفت

فى البداية قاعدة ملك المرابطين والتي كان يدبغ بها جاود تفوق جودة عملها جلود الدنيا (المعجم) ما لبثت ان تقاعست أمام الحاضرة الجديدة (مراكش) (25) .

ومنذ ذلك العصر اصبحت الاندلس مقاطعة مرابطية عرف فيها الفن خلال جيلين مظهرا جديدا من الروعة والازدهار .

وقد لاحظ جورج مارسي (26) ان المرابطين الذين ورثوا ملك الامويين وحكموا العدوتين كانوا صلة وصل بين اسبانيا والبربر حيث نما التبادل بين شقي مملكتهم واذا كانت اسبانيا اذ ذلك قد خضعت سياسيا للمغرب فان المغرب كان اقلما فنيا اندلسيا حيث استقدم يوسف صناعا قرطبيين لبناء مؤسسات بفاس (27) بينما استفاد ابنه عني من مواهب مهندسي العدو ولاقامة قنطرة تنسيفت فى مدخل حاضرة مراكش ويفضل هؤلاء الفزاة الصحراويين فرض الفن الاندلسي روائعه على المغرب وقد رأى المؤرخ دوزي فى الغزو المرابطي

ان احتكاك العناصر السلالية فى الاندلس قد احدثت وعجل ذلك بسقوط الخلافة الاموية مما ادى الى قيام نحو العشرين من ملوك الطوائف ابرزهم المعتمد بن عباد امير اشبيلية الذى اتسم بلاطه بروعة خلافة وكان مجمعا للعلماء والادباء ورجال الفن غير ان خطر الزحف الاسباني بدأ يلوح فى الافق فى الوقت الذي احرزته على المسيحية رأى من الواجب لا استئصالا الخطب وادلهم وأمست ممالك الغرب الاسلامي عرضة للغزو الدايم فاستنجد مسلمو الاندلس بزعيم الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين وقد لبي هذا الامير الصحراوي نداء الواجب بصفته منافحا عن الدين والحنيفية السمحة فاجتاز الى الاندلس وبعد النصر الذى احرزته على المسيحية رأى من الواجب استئصالا للخلاف المستديم بين الامراء المتنازعين على المنك - العمل على توحيد الاندلس تحت راية الاسلام واستعادة مجده بتنحية بعض قادته امثال عبد الله بن بلكيسن وابن عباد الذى نقل الى اغمات حيث قضى بقية حياته وهذه المدينة التي كانت

(23) البرابرة والمخازن - روبر مونطاني ص 59 .

ومن هذه المدن مجكسة ودليل (قرب سبتة) وصدينة وتقيساس وكرت وماسنة وسداك وحجر النسر ومدينة الزيتون ولكلي وتافرجنيت وترنانة وجراوة (المسالك والممالك للبكري) وليكسيس وصفروى وتاكرارات (مكناسة) وتاوردة وكرانطة وتشمش (قرب طنجة) وباب افلام (قرب البصرة) وهنين (نزهة المشتاق فى احتراق الافاق للشريف الادريسي) .

(24) المسالك للبكري ص 136 .

وتهمنا هذه الحواضر وتلك المؤسسات من عدة وجوه لان الفن فى كل قطر مظهر لامجاده وصورة حية لروائعه فما اثر من الآثار العمرانية الا ويمكن ان تنطوي زخارفه ونقوشه على اسرار من شأنها ان تلقي يوما ما ضوا جديدا على المجالات التي ظلت غامضة فى تاريخ البلاد فالدراسات الاثرية تكون احيانا اضمن وسيلة للتحري والتصحيح وهي عنصر جوهرى فى كل حضارة .

(25) كانت تسمى مروكش وقد استعملت هذه اللفظة دون غيرها ايام المرابطين وانتقلت الى اسبانية هكذا (مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري - نشره ليفي برفنصال 1955 ج 1 ص 125) .

(26) الفن الاسلامي ج 1 ص 301 .

(27) زهرة الاس طبعة الجزائر سنة 1922 ج 1 ص 78 - الجدوة)

يوجد بها حمامان اثنان وقد احتوت جراوة النسي أسسها ابو العيش عيسى بن ادريس عام 257 هـ على خمسة حمامات الى جانب القصة المانعة والجامع ذي البلاطات الخمسة (32) اما قرطبة فقد ضمت اسوارها ثلاثمائة حمام تتخلل ثلاثة آلاف مسجد و 28 ريبضا منها الزاهرة والزهرة (113.000 دار) ووجد بفاس أيام الناصر الموحدى 93 حماما بينما لم يكن بها سوى العشرين قبل ذلك ويظهر ان القاهرة اشتملت فى القرن السابع على 80 حماما (33) بينما كان فى الفسطاط فى نفس الوقت الف حمام ، اما فى بغداد فقد تحدث ابن جبير عن الفين وابن الخطيب البغدادي عن ستين الفا .

ولا اعرف كتابا افرد فى تاريخ او وصف حمامات المغرب بينما الفت فى حمامات دمشق كتب مثل «عدة الملمات فى تعداد الحمامات» ليوست بن عبد الهادي (من رجال القرن التاسع واول العاشر) .

اما من الوجهة المعمارية فالظاهر ان انماط البناء تبلورت فى الشرق والمغرب منذ القرن الثامن الميلادى كما لاحظ ذلك مارسي فى الاسلوب الاندلسى توجد قاعة ثانية هي قاعة الاستحمام الحقيقية مجهزة بجفان من مرمر وانايب مركوزة فى عرض الجدران يجري فيها الماء المسخن فى مرجل نحاسى من العيار الكبير وتنبعث من هذه الانايب حرارة مرتفعة ، اما فى حمامات المغرب فالبرمة (وهي قدر كبرى من حجر) تقع فى الردهة الثالثة التى هي مصب الحرارة وهي موازية لقاعة ثانية اقل حرارة وتليها غرفة ثالثة دائثة وبذلك يتطور المفتسل بنوع من التدرج يطابق المتضيات الصحية اما الساحة الخارجية وهي عبارة عن وسط الدار الداخلى فتملوها قبة ثمانية وتتوسط بساطها المبلط بالزليجي فسقية من مرمر او فسيفساء وبجوانبها غرف للراحة والاستجمام .

للاندلس مشار ثورة عامرة فأكد ان الوحشية قامت آنذاك مقام الحضارة والتطير مقام التعقل وطفى التعصب على التسامح (28) غير ان المؤرخ الاسباني قد تراجع عن هذه النظرية ولاحظ مارسي ان المرابطين حققوا فترة انتقالية مشرفة بين ملوك الطوائف والموحدين . (29) واكد المؤرخ الفرنسى هنري طيراس (30) انه اذا نظرنا الى المرابطين من خلال عمائم الافريقي فانهم يتجلون كدولة خدمت الحضارة الاندلسية واحسنت اليها ، ثم حمل على دوزي الذى زعم ان المرابطين استأصلوا اجود ما فى حضارة الاندلس بدعوى الدفاع عن حوزة الاسلام فى العدو هذا ولم يجد المستشرقون الاسبان عناء فى الدلالة على ما اضفاه المرابطون من روعة وبهاء على المدينة الاسبانية وقد اندرست او تغيرت اعلام مؤسسات ملوك الطوائف بالاندلس او المرابطين بالمغرب فقصر ابن عباد فى اشبيلية قد ادخلت عليه تغييرات عميقة من طرف منك قشتالة بيير لوكورويل (1350 - 1360) بحيث فقد كثيرا من عناصره العربية ورددهة السفراء هي التى تذكرنا وحدها بالفن الاسباني المغربى فى القرن الخامس بينما مرافق القصر الاخرى مستوحاة من النهضة الاسبانية (31) .

وقد اشار صاحب الاستبصار الى مآثر مرابطية لم يبق لها اثر وهي « دار الامة » التى أسسها ابن تاشفين بمراكش « ودار الحجر » التى اقامها ولده علي ودمرها عبد المومن لبناء جامع الكتبية مكانها ويرجع الى هذا العصر كذلك القصر القديم فى تكرات (تلمسان المرابطية)

اما الحمامات فانها على صورة المستحمامات الرومانية التى ما زالت منها بقايا فى شالة وتجلى أهمية هذه البنايات فى وفرتها بالمراكز الكبرى وحتى الصغرى منها فمدينة البصرة التى هدمها ابو الفتوح صاحب افريقيا من قبل العزيز بالله عام 368 هـ

(28) ابحاث حول تاريخ فرنسا السياسى والادبى - ص 27 - الطبعة الثانية ج 1 ص 343 .

(29) كتاب الفن الاسلامى ج 1 ص 297 الى 301 .

(30) تاريخ المغرب ج 1 ص 259 .

(31) كتاب الفن ج 1 ص 338 .

(32) البيان المغرب ج 1 ص 133 .

(33) راجع القرطاس ج 1 ص 10 حيث تحدث المؤلف عن مدرسة واجاج ابن زلو ويظهر ان هذه اول مدرسة من هذا النوع فى البادية المغربية .

يد الاندلسي محمد بن حمدون (37) وكانت كذلك لمدينة داول قرب مدينة اصيلا أسوار امر بهدمها اواخر القرن الرابع محمد بن قاسم من قبل المستنصر بالله الاموي (38) .

وقد تزايد عدد الابراج والاسوار المحيطة بالمدن والحواضر خلال القرن الرابع على اثر انحلال السلطة المركزية بقيادة ملوك الطوائف بالاندلس وزناته والادارة والبرغواطيين بالمغرب الى حد انعدم معه تقريبا وجود مدن شاغرة خالية من الاسوار بل كانت توجد قلاع محصنة داخل بعض المدن فكانت مثلا في مدينة البيرة (39) بالاندلس مراكز يتخذ فيها الرجل بازاء داره مسجدا وحماما فرارا من جاره وقد بنى المرابطون قلاعا للتحصن من هجمات خصومهم والتوفر في عقر الاطلس على ما و دفاعية عند الاقتضاء ويظهر ان يوسف ابن تاشفين رغب اول الامر في ابراز قوته العسكرية بالاستغناء عن الاسوار فمدينة مراكش مثلا ام تجهز بالاسوار الا في ايام علي بن يوسف بايعاز من الفينسوف الفقيه ابن رشد وقد ذهب ابن تاشفين ابعد من ذلك عندما دمر اسوار مدينتي صدينة ثم فاس عام 462 هـ (40) عنى ان الامير المرابطي شعر بالحاجة الملحة الى بناء حصن في قلب مراكش لحماية امواله وعتاده وقد أسفرت الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار الاسلامية في المكان الذي بني فيه جامع الكتبية الاول عن جانبين اثنين لهذا الحصن المرابطي وهناك قلاع اخرى يرجع عهدها الى العصر المرابطي مثل قلعة بني تودة بفاس هذا ولم يحس المرابطون الصحراويون باديء ذي بدء بالحاجة الى تزويد المغرب بمؤسسات حضرية ذات مصلحة عامة فمشكلة المياه مثلا رغم اهميتها

وقد اقام المرابطون عددا كبيرا من المؤسسات الدينية في المغرب الاوسط (جوامع جزائر بني مزغنة وندرومة وتلمسان (34) وكذلك في المغرب (مدرسة الصابرين بفاس وجامع ابن تاشفين بمراكش (35) وتدل الحفريات الاثرية الاخيرة على ان في الامكان تحديد موقع هذا المسجد العتيق في وسط المدينة وقد كشفت مصلحة الفنون الجميلة والاثار الاسلامية التابعة لادارة التعليم العالي عن قبة مرابطية هي قبة البردميين قرب جامع ابن يوسف .

اما في فاس فان جامع القرويين المؤسس عام 245 هـ قد وسعت جنباته في عهد المرابطيين على الشكل الذي ما زال عليه الى الآن كما يتجلى ذلك من الوصف الوارد في القرطاس وزهرة الآس وقد بني جامع القرويين طبقا لتصميم اصيل فصحوه موازية للقبلة على غرار مسجد الشرفاء الذي بناه المولى ادريس بفاس وكذلك جامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق .

اما التصميمات المعمارية العسكرية فقد استمد الصنهاجيون جل اساليبها من بقايا العناصر البيزنطية والرومانية والقرطاجنية فمنذ القرون الاولى للفتح الاسلامي بالمغرب العربي والمدن تحاط بأسوار وكذلك الامر في كثير من الحواضر العربية بالشرق والمواد الاساسية للبناء كانت تتشكل في القرن الثالث الهجري فن الأجر والجص والطوب والطواهي فسور جراوة (36) مثلا بني بالطوب عام 257 هـ وكذلك بقيادة بافريقيا عام 294 والبصرة المهذمة عام 368 هـ هذا بينما استعمل البناءون الجص والمرمر والأجر في جامع القرويين لدى تجديد بنائه عام 252 هـ على

(34) هذان الجامعان الاخيران هما نهاية في البساطة الخلافة وهما خاليان من كل كتابة تنم عن مؤسسهما غير ان تأسيسهما يرجع في الغالب الى ابن تاشفين (الهندسة المعمارية الاسلامية في المغرب مارسي ص 191) .

(35) ورد في معجم ياقوت (ج 6 ص 384) ان عدد الحمامات 180

(36) تقع جراوة حسب الادريسي قرب ميلية على مسافة ستة اميال من البحر (مختصر النزهة ص 54)

(37) وبنى أسواره ابن الاشعث عام 146 هـ - البيان لابن عذارى ج 1 ص 85 .

(38) البيان ج 2 ص 366 .

(39) التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للامير عبد الله ابن بلقين - نشره ليفي بروفنصال عام 1955 هـ .

(40) القرطاس ج 2 ص 41 - 42 وقد لاحظ ابن ابي زرع ايضا ان اسوار فاس حطمت من جديد في عهد عبد المومن ثم جدد بنائها حفيده المنصور (ص 137)

قد حاولوا حلها بالوسائل التي كان يستعملها رجال الصحراء ولا يزالون ، فمن ذلك الخطارات التي مدت في باطن الارض لتجهيز مراكش بالماء وهذه الانابيب الواسعة شبيهة بالفكرات الصحراوية غير ان الاساليب الاندلسية الجديدة حدثت علي بن يوسف الى الاستعانة بالفنيين الاندلسيين لتجديد طريقة جلب الماء فقد حفرت آبار نقلت مياهها بأسلوب ميكانيكي عجيب الى حدائق المسرة (المنارة) .

وهكذا فان المرابطين الذين قاموا بدور الوسيط بين اسبانيا وافريقيا التجاؤا في آن واحد كما يلاحظ مارسي السى الفنيين الصحراويين والمهندسين الاندلسيين وقد بنيت قنطرة على نهر تنسيفت بمدخل مدينة مراكش بفضل جهود مهندسين استفد منهم الامير من العدو وقد جرفت المياه هذه القنطرة خلال فيضان فاعيد بناؤها في عهد الامير الثاني .

وقد اكد المؤرخ الفرنسي طيراس (41) لدى حديثه عن الفن المرابطي ان علي بن تاشفين فاق

والده بكثير في المؤسسات المعمارية مع ان يوسف نفسه كان من كبار البناء والمؤسسين وقد اندثرت اعلام جميع ما اقامه من قصور ومساجد في مراكش باستثناء قبة البردعيين (قرب جامع بن يوسف) ومسجد تلمسان (عدا منارته) ومعظم أروقة جامع القرويين الزاخر بروائع الفن الاندلسي المقتبس طبق الاصل من الفن الاندلسي بما كان ينطوي عليه في القرن الخامس الهجري من رقة ورشاقة وروعة زخرف ومع ذلك فان اسهام المرابطين في الفن كان مهما لا يخفى من تجديد الفنون لا يمكن ان يستسيغ ويقتبس الا ما تمكن تقريبا من الكشف عنه (42) ولنا على ذلك دليل قوي في النفوذ الشامخ الذي بسطه المرابطون في الاندلس وافريقيا وذلك في العمل البناء الذي حققوه في هذا الجزء من المغرب الاسلامي وقد لاحظ كودار (43) عن حق ان اقامة المرابطين لصروح اكبر امبراطورية اسست في العالم حيث امتدت من الاندلس الى جزر الباليار الى نهر النيل النيجري لتتم لدى الفاتح المرابطي عن فتح مدارك قوية .

تَطَوُّرُ الْفَنِّ فِي عَهْدِ الْمُوَحِّدِينَ

وهكذا فان الموحدين الذين ركزوا للمرة الاولى وحدة الاسلام السياسية من حدود قشتالة الى ليبيا قد ساهموا في تاصيل نوع من التوحيد بين عناصر الفن الاسلامي في المغرب (45) .

وقد استمر نفوذ الموحدين ازيد من قرن ، كان لهم في غضونهم اعماق الاثر في عدوة الاندلس الزرامية الاطراف ، فانتصار يعقوب المنصور في الاندلس قد اضفى على الفن طابعا خاصا وحقق بتساوق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب ذلك ان المغرب تمكن عن طريق افريقيا من الاتصال بعالم

بعد انهيار الدولة المرابطية اعتلى اريكة العرش زعيم المصامدة الموحدين المهدي بن تومرت المنحدر من الاطلس الكبير ثم خلفه عبد المومن بن علي الذي وصفه بعض المؤرخين الاجانب بأنه اعظم شخصية بدون منازع طوال القرون الوسطى البربرية اذ هو قائد حربي نظامي حقق للمرة الاولى في تاريخ افريقيا الشمالية اعجوبة باستلام ازمة الحكم في مجموع الاقطار الممتدة من المحيط الاطلسي الى طرابلس الغرب ، وقد اعترف المؤرخ كزبل ايضا بأن الموحدين بسطوا نفوذهم على مجموع بلاد البربر (44) .

(41) تاريخ المغرب ج / ص 252

(42) مقدمة كتاب الفن الاسلامي لمارسي .

(43) في كتابه وصف وتاريخ المغرب ج ص 314

(44) التاريخ القديم لافريقيا الشمالية ج 6 ص 281 ولكن المؤرخ اشار دون نقد الى هذا الرأي في

كتابه (مؤسسات واعراف البربر في المغرب ص 28) .

(45) مارسي - الفن الاسلامي ص 305 .

ففي منارة الكتبية توجد طبقات متوالية من
الغرف المقوسة السقف تصل بينها درج مركزية
لا مرقاة لها ، ويلاحظ وجود نفس التصميم في كل من
الخالدة وحسان ، فالجدر مطلية بجص أصفر أكلس
أي ضارب إلى اللون الرمادي ، وما زال هذا التليط
جاريا به العمل في مراكش الآن ، وتنعكس على
صفحته تموجات وضاءة تنسل إلى داخل المنارة من
النوافذ المفتوحة في عرض الحائط وتؤدي الدرج
آخر المطاف إلى الجزء العلوي من المئذنة المطل على
المدينة وتستمد النقوش تخطيطاتها من أشكال الزهر
والسعف الجامعة بين القوة والرقعة (50) ، أما في
الطبقة الأرضية فان القبة مخروطية الشكل تبعاً للأسلوب
الإسلامي الإسباني بينما تحتوي القاعة السادسة
والأخيرة على أغني قبة ثمانية الهندام ذات اضلاع
ومقربصات تتكون منها مجموعة هندسية رائعة ولكن
لا يلاحظ في مجموعة أجزاء المنارة أي عنصر جديد
يمس الأسلوب أو الهندام العام الشائعين في المغرب
اللهم إلا اذا استثنينا ضخامة برج المئذنة وقمتها
والتناسق الأسيل في الزخرف والتنسيق ، وقد أكد
كل من طيرأس وباسي ان الكتبية أجمل معبد أقامته
الخلافة الإسلامية في المغرب ، وأنه يعادل في جدة
أساوبه روائع الجامع الكبير بقرطبة والانطباع التي
ترتسم في نفس الزائر لهذا المسجد هي الروعة
والتأثير البالغ ذلك ان مساجد الموحدين أكمل وأروع
المساجد الإسلامية، فهي عبارة عن خميلة من الأساطين
تتجلى في غزيرتها جلاله الصحن والاروقة الممتدة بين
الاعمدة والحنايا وصفاء الأقواس في رسومها المتناهية
والجناس الاخاذ بين الصحن المركزي والصحن
الجانبية بأقواسها المقربصة وقيها البديعة وسقوفها
الخشبية السامقة تتللا في منتهى الصحن الذي تخيم
عليه اشعة خافتة - وضاءة المحراب الناعمة وفصوص
العاج المعسفرة في تضاريس المنبر ولعمان الفسيفساء
بحيث تنبثق من هذه المجموعة المعمارية الخلافة عظيمة
تجمع بين الوداعة والنعموة، فجامع قرطبة رغم سعته
لا يتسم بنفس الطابع من التجانس والتناسق ومع ذلك

جديد متأثر بالعناصر الفنية المصرية والعراقية ولكن
هزيمة العقاب ضعفت بعد ذلك بخمسة عشر عاما
أركان الدولة الموحدية التي زحزحها المرينيون عن
ملك المغرب بما كالوها من ضربات متوالية ، هذا وقد
احتل الموحدون في تاريخ الفن الإسلامي مكانة مرموقة
تفوق ما كان للمرابطين في هذا الحقل ، وذلك بالرغم
عن معارضة المهدي بن تومرت مؤسس الدولة
الموحدية لبعض مظاهر هذا الفن كالموسيقى والسماع
ولزخارف والنقوش ، غير ان البلاط الموحدية ما لبث
ان تلالأت في ربوعه مجالي الفن أيام عبد المومن الذي
اضفى رواء على مساجلات الشعراء كما أقام العمارة
الرائعة وازداد الفن روعة في عصر ولده يوسف الذي
زخر بلاطه بالاطباء والفلاسفة امثال ابن رشد وابن
طفيل وابن زهر وأبي مروان القرطبي (46) .

وكان ابن يوسف هذا يقطن في اشبيلية التي
زخرف معمارها بأبهى وأروع مما زين به حاضرة
مراكش ، أما ولده يعقوب المنصور فان بدائعه الفنية
تشهد بأنه أروع بناء في العصر الموحدية (47) مثال
ذلك المؤسسات المقامة في اشبيلية والرباط ومراكش

وبفضل الموحدين تجلى القرن السادس لبعض
علماء الآثار كمصر بلغ فيه الفن الأوج في الشرق
الغربي من العالم الإسلامي (48) ، وقد شرع عبد
المومن في آن واحد في بناء مسجد تازة والمدينة
نفسها وكذلك مسجد تينمل معهد الدولة الموحدية
الذي لم يتبق منه سوى معالمه ، أما في مراكش فان
كتيبته الأولى هدمت وقد تمكنت مصلحة الآثار
الإسلامية والفنون الجميلة من الرسم الأول لهذا المسجد
ثم بنى اولاده الكتبية الحالية محاذية للأولى ومتوجهة
بدقة نحو القبلة ، غير ان جانبا من هذه البنايات لم يتم
إلا في عهد يعقوب المنصور .

وتبدو الهندسة المعمارية الموحدية في أجلى
وأجل معالمها في مساجد مراكش وحسان (بالرباط)
(ومرصد الخالدة باشبيلية) .

- 46) القرطاس ج 2 ص 176 .
47) مارسي - الفن الإسلامي ج 1 ص 303 .
48) الهندسة المعمارية الإسلامية في الغرب ص 200 .
49) يوسف هو الذي شرع عام 567 هـ في بناء المسجد الأعظم باشبيلية (القرطاس) لابن أبي زرع -
طبعة سلا ، ج 2 ص 186 .
50) مجلة هسبريس التي تصدرها كلية الآداب بالرباط ، المجلد السادس عام 1926 ، ص 107 .

الكبرى ، ونحن لا نساند ما زعمه الاستاذ جورج مارسى (55) من أن الموحدين اختاروا منهجا مغايرا لاسلوب سلفهم فى هذا النوع من البناء والتعمير فاذا كان بنو عبد المومن قد هدموا اسوار بعض كبريات الحواضر المغربية كفاس وسبتة وسلا (56) فان هذا الامر لا يعدو - فى نظري - مجرد وسيلة حربية استغلها المرابطون انفسهم - كما رأينا - بهدم اسوار مدينة ثم فاس على ان هذه الاسوار اعيد بناؤها بمجرد قضاء الدولة الجديدة على أعشاش المقاومة التى لجأ اليها خصومها ، وقد اضطر عبد المومن نفسه الى تجديد بناء ما هدم ، فالاستاذ جورج مارسى الذى اغفل هذا العنصر الهام فى الاستراتيجية الحربية عند المرابطين ، وكذلك الموحدين يظن ان هؤلاء رجعوا الى اسلوب سلفهم .

وقد بنى الموحدون مدينتين اثنتين هما تازة (أيام عبد المرمن الذى حصن تينمل ثم جبل طارق عام 555 هـ) والرباط على يد المنصور الذى اهتم خاصة بالقلع والحصون ، والمنصور الموحدى أساء اختيار موقع مدينة الرباط حسب بعض المؤرخين الذين يزعمون انه ندم على ذلك ، إلا ان هذا الزعم لم يتأكد ، وقد نقب مارسى على ذلك ملاحظا ان بناء رباط الفتح بما فيه من باب الرواح وباب القصة الرائعة يعتبر انتاجا قيما نادر المثال لا مجال للشك فى جدواه وقد سبق لان تاشفين ان اقام اول رباط للجهد فى هذا الموقع وقد تجاوز طول اسوار مدينة المنصور خمسة كيلومترات ، وعدد ابراجها 74 ، واندرست اعلام ما كان يسمى بقصر عبد المومن فى الحروب التى نشبت بين الموحدين وبنى مرين (57) .

وقد اتمت هندسة القلاع فى آخر عهد الموحدين عملا مندرجا فى تقاليد ملوك المغرب والاندىلس فى العصور التالية .

فان عددا كبيرا من رؤوس الاساطين فى الكتبية هو اصل اندىلسي ، فالاعمدة الاربعة التى تساند قوس المحراب عن مخلفات الفن الاموي (وتوجد ايضا فى المسجد الموحدى بقصبة مراكش اعمدة أموية من الصعب وجودها ملتئمة فى قرطبة نفسها ، فجامع الكتبية يشكل متحفا حيا للاعمدة الموحدية التى ينيف عددها على الاربعمائة والتى بما زالت تحتفظ باصالتها المتجلية فى عبقرية الفنان الاندىلسي الموحدى ومهارة يد الصناع ، وقد اكتسى فى بناء رؤوس الاعمدة غلالة من الخصب الذى لا ينضب معينه لم يسبق له نظير فى الغرب الاسلامي ، ولن يسمح الزمان بمثلثه (51) .

اما منبر الكتبية فقد تحدث عنه ابن مرزوق فى مسنده (52) فأشار الى ما اكده اهل الفن من جودة واتقان ترصيع منبري جامع قرطبة ومسجد الكتبية فى حين ان المشاركة لا علم لهم بفن النقش على الخشب برقة واناقة ، ويرجع تاريخ صنع هذا المنبر الى عبد المومن بن علي (53) .

ويرى كل من طيراس وباسي (54) ان هذا المنبر هو اجمل منبر فى الغرب الاسلامي بل أبهى وأروع منبر فى العالم الاسلامي اجمع وما زال قائم الذات الى عصرنا هذا فى الكتبية ، الا ان بعض اجزائه تميل الى التداخي وقد تعرض ميلبي فى كتابه عن الموحديين (ص 128) الى المنارات الثلاث ، فذكر ان قيمتها لا تركز على ضخمتها وتوازنها فحسب بل ايضا على فخامة هندامها ونسبها الوافية بمقتضيات الاناقسة مع بساطة فى الزخرف والنقش واصالة فى الذوق الذى يحدق بها ويحويها دون مساس بوحدة هذه المجموعة التى تسري فى معالمها آثار السلطان المؤسس لها محي العلة والدين وحامي التقاليد ، بل مدغم الاسلام فى ربوع المغرب ، وفى أيام الموحديين اصبح العمل جاريا باقامة الاسوار لحماية المراكز

- (51) طيراس وباسي (هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 107 .
(52) مقتطفات نشرها ليفي بروفنصال فى مجلة هسبريس عام 1925 ، ص 65 .
(53) الحلل ، طبعة تونس ص 109 .
(54) هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 169 .
(55) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 220 .
(56) الاستقفا للناصرى طبعة القاهرة ج 2 ص 11 . وزهرة الاس ص 78 .
(57) بنيت اسوار بادس والحسيمة ومليبية عام 601 وعلى يد يعيش عامل الناصر الموحدى (الذخيرة السنية ص 39) .

على الوصف ... وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم يرسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجه مما جلب اليه من الادوية ، وأقام فيه الصيادلة لعمل الاشرية والادهان والاكحال ، واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء ، فاذا تقه المريض فان كان فقيرا امر له عند خروجه بماله يعيش به ريشما يشتغل ، وان كان غنيا دفع له كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الي ان يستريح او يموت . وقد وصف ميلبي هذا المارستان بانه يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية وتخجل منه حتى اليوم (اى عام 1926) مستشفيات باريس (63) وقد ترعرعت المارستانات فى العصور التالية لاسيما فى عهد المرينيين (64) وقد عرف فن الزخرفة الاندلسي المغربي - نظرا لزهدهم وتقشف عبد المومن وخلفائه - نوعا من البساطة (65) حدث فنانى الاندلس الى الاجتهاد لضمان خطوط الزخارف وفحواها وبذلك قويت حاسة الاتقان وسما الكيف والقيمة لاسيما مع توفر الوسائل وكفالة الدرائع المادية التى لم يسبق للفن الاندلسي ان عرف نظيرا لها منذ ازدهار مملكة قرطبة فقامت المؤسسات الضخمة وقد عجلت المجموعات الفنية الموحدية بمراكش واشبيلية والرباط بانثاق الاساليب الكلاسيكية للفن الاسباني المغربي بحيث لن يتأتى بعد ذلك للفنان الاندلسي ان يتصور او يحقق عملا يمتاز بمثل هذه السعة والفخامة ، وقد تبلورت فى هذا العصر فى مجموع انحاء المملكة حضارة بانعة مؤتلفة المعالم انعكست اشعتها الخلاصة على الحياة المدنية وحتى فى بعض مظاهر حياة البادية فاجتمعت فى الهندسة المعمارية رغبة فى ضمان جودة

وقد اقتبس بنو عبد المومن من الاساليب الاندلسية لاسيما بناء السواقي وجلب المياه ، فقد اسمت قنوات نقلت مياه عين غبولة الى سلا ورباط الفتح (58) حيث وضعت انابيب ثانوية لايصال الماء الى الجامع الكبير والزاوية التجانية بعد ذلك، ومناعة تبليط هذه القناة لا تقل عن قوة الاسوار الموحدية بالرباط (59) وهناك قنوات اخرى ترجع لهذا العصر فى مراكش وفاس وباقي مدن المغرب .

وقد اكد ميلبي (60) ان ابا يعقوب الموحدى بنى القناطر ومعايير المياه مبرهنا بذلك عن اهتمام نادر بالصالح العام ، وقد أسس ولده المنصور منارات وقناطر (61) وحفر مطافى واقام الملاحيء فى الفلوات من سوس الاقصى الى سويقة ابن مذكود فى حدود طرابلس .

ولم يعثر على اى اثر للمدارس او المرستانات التى اشار اليها صاحب القرطاس والمعجب ، ويظهر ان المستشفى الذى بناه يوسف بمراكش فى القسم المنبسط من المدينة كان يتسم بطابع عصري وقد وصفه المراكشي (62) بقوله :

(ابنى بمراكش يمارستان ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فاتقنوا فيه النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشومات والماكولات، واجرى فيها مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك فى وسطه احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحبرير والاديم وغيره بما يزيد

(58) راجع التاريخ الصغير للرباط للاستاذ كاي .

(59) القرطاس - طبعة سلا ، ص 146 ، وكتابا حول القنطرة الموحدية لنقل الماء بالرباط - هنري باسي - المجلة الافريقية .

(60) كتاب الموحدين ص 129 .

(61) منها قنطرة من معديات بنيت على وادي الرومان اى نهر ابي رقرق بين الرباط وسلا (الاستبصار) وقنطرة من الواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر فاذا مد عبروا فى القنوات (المراكشي فى المعجب ص 222) وقد بنى الاندلسيون السلويون ايام السعديين قنطرة على النهر تجاه منارة حسان (التاريخ الصغير للرباط ص 113) (بقلم كاي) .

(62) المعجب - طبعة سلا عام 1357 - موافق 1938 ، ص 177 .

(63) الموحدون ص 129 .

(64) راجع «الذخيرة السنية» ص 100 وتاريخ الطب والاطباء للمؤلف .

(65) تاريخ المغرب طيراس ص 368 .

عند ما وصف المعالم التي تشهد بمدى اسهام الانتصارات الموحدية في نشر الحضارة بالنواحي الاطلنتية التي لم يسبق للعناصر الاجنبية ان تسربت الي حواجزها المنيعة (68) .

وقد استنتج الاستاذ ميليبي ان ملوك بني عبد المومن لم يكونوا مجردين عن احقية اعتلاء الارائك التي خلفهم فيها في الصعيد العالمي ملوك غرييون امثال فريديريك الثاني ، وسان لوي فرديناد (69) .

الكيف مع حاسة العظمة واستعملت اساليب آلية مقبسة من علم الحيل لانجاز التصميمات الهندسية(66) وقد لاحظ الاستاذ أندري جوليان ان الحضارة الاندلسية اتمت اذذاك بطابع رائع صادف ازدهار النظام الذي حققه الموحدون ، وبذلك أخذ كل واحد حظه من الاشعاع الحضاري وامتد ذلك طوال القرون التالية حيث تغفلت مدينة حق كثرمة للمبادئ وثقافة فكرية اخاذة في اعماق الجبال المغربية (67) وقد اكد الاستاذ روبير مونطاني هذه الانطباعة

قصة الاوداية

زال مائلا للعيان في روعته المهولة مصوبا ثغراته نحو المحيط او تجاه المدينة .

ويظهر في خصوص مادة البناء في سور قصبة الرباط انها وسط بين النهج المعماري المرابطي وبين المعطيات الموحدية التي برز فيها مزيج من المسلاط المعقوى بالرمل والماء ، فالاسوار التي يرجع تاريخها الى عهد يوسف بن تاشفين وخلفائه قد بنيت - كالقسم المشرف على سوق الفزل - من الحجارة غير المنحوتة والاجر او من الحجارتين المسبوطة وغير المنحوتة ، وقد استخدم الموحدون غالبا الحجارة وحدها دون تحميل انفسهم عناء نحتها كما هو الحال في ابراج موحديسة اخرى غلب عليها الطابع القرطبي ، وقد تاثروا هنا ببداية سلفهم اللمتونيين ، ومع ذلك فان القصبة لم تكن تخلو من روعة وجلال .



وينفذ الزائر الى قصبة الاوداية من ثلاثة ابواب اكبرها الباب الاثري المؤدى الى سوق الفزل ، والثاني هو الباب الواقع بين الباب الاول وبين البرج ، ويظهر انه حديث العهد يرجع تاريخه الى العصر العلوي، بينما يقوم الباب الثالث العتيق قبالة الجهة الشمالية

ولنضرب مثالا حيا بقصبة الاوداية برباط الفتح فهذه القصبة الموحدية محاطة بسور سواء على طول نهر ابي رقراق ام تجاه البحر ونحو السهل البري ولم يعد هنالك من جهة الوادي سوى قطعة جدار قرب ما يسمى بصقالة طولها نيف وثلاثون مترا ، وارتفاعها نحو ثمانية امتار وبجانبتها ما يدعى بمستودع مولاي البيزيد (اى العلوي نجل السلطان محمد بن عبد الله) والكل مقام فوق انصخر بحجر غير منحوت ، وهنالك بقايا اسوار اكثر اهمية تقع بين مقهى الاوداية والبنابة الدائرية المسماة المدورة التي تضمها مياه الوادي عند المد ، اما من ناحية البحر والبر فان السور الممتد ما زال قائما ، ويبلغ معدل عرض هذه الاسوار مترين اثنين ونصف متر بينما يصل على مقربة من برج سوق الفزل الى ازيد من ثلاثة امتار قد طلي ظاهرها بدهن سميك ، وكان الحرس ميثوثا فوق نهج سوي قد مد على هذه الاسوار يذهب ويجيء لخفر الجوانب المشرفة على المدينة والبحر في معزل عن الانظار بفضل حاجز منيع قد فتحت فيه ثغرات تنفذ منها البندقيات . وليست كل هذه الاجزاء من صنع الموحدين لان بعضها قد تجدد بناؤه منذ نحو القرنين بفضل ما اولاه الملوك العلويون من عناية فائقة لهذه التحصينات، اما الابراج التي تملو الاسوار فبعضها ما

(66) ذلك ما حكاه صاحب زهرة الآس ص 69 من ان خصه من المرمر الابيض وزنها 143 قنطارا

نقلها ابو الحسن من العرية الى العرائش ثم الى فاس على ظهر عربات خشبية .

Mouliéras

(67) المغرب المجهول - موليراس ج 28 .

(68) البرابرة والمخزن ص 77 .

(69) الموحدون ص 159 .

وقد فند كايبي هذا الرأي خاصة باعتبار عصر الموحدين ويظهر أن اللجوء إلى القباب يهدف إلى تفادي هلهلة الأقواس المعروشة المستطيلة . وقد أظهر النحاتون براعة في نقش بابي القصة وهو نحت ثري منوع في صلب الحجر على مستويات عديدة تتخلله خطوط هندسية تحدد مختلف الأقسام وتحيط بكتابات الخط الكوفي بالمشبكات (Entrelacs) وبأفاريز الزخرف السعفي Frise de palmettes إلا أنها غير واضحة ويعلو الجميع أفريز من الحنايا المرصومة (أي المسدودة) وتقضي التقاليد بأن يكون الوجه الباطني للإبواب أقل تنسيقا من الوجه الخارجي إلا أن باب قصة الأوداية تشد عن هذه القاعدة فتبرز فيها كل العناصر الفنية التقليدية من خطوط هندسية وحنايا مفتحة وأفاريز وأشرطة كتابية وأقواس مفصصة (Arcs lobés) (أي ذات قوسيات طبقا للفن الأندلسي المغربي) وأقواس حدوية Outrepassés (أي شبيهة بحدوة الفرس أو نعله) وتحتل التخطيطات الكوفية في أروع مظاهرها وهي أجمل أنواع الخطوط وأوفقها للنقوش المعمارية ولذلك كانت تشكل أحد المجالي البارزة في الفن الأندلسي، أما الرسوم النورية أو الزهرية فإنها تشغل أيضا في هذه النقوش حيزا واسعا كما يوجد رسم في شكل حية قائمة على ذنبها انطلاقا من الأقواس المفصصة في الوجهين معا ويتوافر هذا النوع من الرسم في الأبواب الموحدية الكبرى كباب كناوة (مراكش) وباب الرواح (الرباط) وستحلى بها أبواب شالة في العهد المريني، والملاحظ أيضا أن الرسوم السعفية (أي التي تتخذ أشكال سعف النخل) تعتبر من العناصر الكلاسيكية في الترخيمات الموحدية وهي موجودة في جميع الأبواب المومنية إلا أنها أبرز وأوسع في باب القصة خاصة في الوجه الخارجي للباب وهي من المقتبسات الراجعة إلى الفن القوطي قبل الإسلام .

وبالرغم من ثراء النقوش من حيث الأشكال والتقسيم فإنها تظل واضحة المظهر خفيفة المس دون أي غلو ولا تشعب بخلاف ما سيمتاز به الفن في عهد بني مرين من تكثف ووفرة . وهناك تناسب بين الترخيم في مختلف أجزاء الهيكل العام يتسم بالقوة والرشاقة معا بحيث لم يتخلف الموحدون في ذلك عن تقاليد الفن الإسلامي شرقا وغربا .

الشرقية للمتحف . أما الباب الكبير فإنه في منتهى الروعة يبلغ طوله 38ر60 م وعرضه 16 م ، ويتراوح علوه بين 12 و 13 م ، وتحتوي طبقته الأرضية على ثلاث قاعات متداخلة وعلى طبقة أولى تحوي خمسة معمرات فوقها سطح يظل على مجموع القصة ، وتبلغ مساحة القاعة الأولى نيفا وسبعة أمتار في مثلها تملوها قبة سامقة مع حنايا جانبية تليها قاعة ثانية في نفس الأحجام مقببة ومحلاة بمناجد Pendentifs شبيهة بالجواهر المنظومة . أما الغرفة الثالثة فإنها أعرض وبزدان الوجه الباطني للباب بمضادات أو أعمدة مربعة تحمل مساند ناتئة تعرف اليوم بطاولات الجدار Consoles ولا تزال بقايا التبليط الذي كان يغطي أرض القاعات ، ويذكرنا تصميم باب القصة بأحجائه وأشكاله المنعرجة بتخطيطات أبواب السور الموحدية لرباط الفتح إلا أن ترتيب الغرف يختلف فيهما ، وقد لا يبدو جليا العامل الداعي إلى تحلية غرف ذات هدف يتسم ظاهرها بطابع عسكري إلا أن هنالك عناصر تدل على أن السمة العسكرية لم تكن هي البارزة في هذا التصميم لأن ضخامة مصراعي الباب مثلا لم تكن لتعين على الصمود أمام ضربات الأكباش (وهي آلات حربية تتألف من عمود خشبي أو من حديد تدك بها الأسوار والأبواب) كما أن المعمرات العلوية لم تكن تشكل غرضا حصينة للدفاع ولا توجد أية فائدة عسكرية في وفرة القاعات .

وهكذا يمكن القول - مع كايبي - بأن باب قصة الأودايا ليست في مجموعها جهازا قويا للحماية والاستحسان بل هي لا تعدو كونها مدخلا عاديا لقصر من القصور تحيط به أسوار زيادة في الدعم وبرابط الجند في إحدى القاعات بينما يتخذ الخليفة من الغرفتين الأخرين قاعتين لاستقبال رعاياه أثناء مقامه على ضفاف أبي رقراق (70) .

ويلاحظ أن انعدام الملاط المقوى Béton قد يشير الدهشة بالنسبة للعصر الموحدية الذي امتازت فيه الهندسة العسكرية بالاستعاضة عن الحجارة بهذا الملاط لا سيما وأن الأبواب الأخرى لمدينة الرباط تبايرها تماما من حيث مادة البناء .

وقد قيل من جهة أخرى بأن وفرة القباب في أفريقيا الشمالية ترجع لقلّة الأخشاب الفنية الرقيقة

(70) تاريخ مدينة الرباط ، ص 100 .

ومسجد القصبة اقدم جامع فى مدينة رباط الفتح وهو يقوم فى قمة القصبة وينحرف محرابه نحو الشمال على نظرية الموحدين فى فهم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبة » (71) وقد طبق بنو عبد المومن فكرتهم هذه فيه لانه ثالث مسجد موحدى بعد جامعي تازا والكتيبة ، وقد ظل الى اوائل القرن العشرين مهبط الملوك يؤدون فيه صلاة الجمعة كلما امتد مقامهم بالرباط وهو من بناء عبد المومن بن علي (72) وقد ادخلت عليه تعديلات خاصة فى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (73) الذي جدد بناءه على يد أحد الاعلاج المسلمين (74) أحمد الانجليزى ويحتوي المسجد على سبعة صحنون مع صحن حرد (اى بعضه أطول من بعض وغير متساو فى الطول) تحيط به ابهاء فى جهاته الاربع وتنبري المنارة على بضعة امتار جنوبي شرق جدار القبلة بجانب ملحقات مختلفة على طول هذا الجدار كمسجد الجنائز ومقصورة الامام والكتاب القرآني (او سيد وهو تحريف مسجد) والمراحيض وتكاد مساحة الجامع تكون مربعة الشكل (25 م فى 25 م) ويفلسب استعمال الحجر غير المنحوت مع حنايا واساطين من الاجر وتغطي « البرشلة » صحن الصلاة مزدوجة الانحدار فى شكل ما يسمى فى الشرق بجهة الجملون عدا سقف مسطح فوق الصحن الاخير والابهاء، وقد تجدد التسطیح أواخر القرن الماضي حيث كانت مياه المطر تنصب فى ميازيب الى صهاريج او مصانع تحت الصحنون عطلت الآن واصبحت المياه تجري على طول الجدار الخارجى ، وللجامع اربعة ابواب تعلوها اقواس مكسورة حدوية الشكل وتسندها عضادات ويمتاز بابان اثنتان كلاهما بساريتين يتصل تاجاهما بواسطة طنف ، وكانت الصومعة معزولة عن المسجد ولكنها اصيحت منذ عام 1940 موصولة بالمرمر المكشوف المحاذي لجدار القبلة ، واذا لاحظنا ان جوامع الموحدين تتسم بالتناسق فى اجزائها فاننا نستغرب فقدان هذا الانسجام فى جامع القصبة الذى يظهر ان التعديلات المدخلة عليه قد غيرت معالمه

تغييرا عميقا ولم يجد المهندسون مجالا واسعا لحفظ هذا التوازن الفنى نظرا لتكاثف الابنية حول المسجد، وليس هنالك ما يؤكد ان المنارة من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما يظن كايي .

اما السور الموحدى الذى أسسه يعقوب المنصور بالرباط فقد تم بناؤه - على ما يلوح - حوالى عام 593 هـ - 1197 م وهو يمتد على طول 5263 مترا غربى وجنوبى المدينة التى تحميها من الجهتين الشمالية والشرقية قبة الاوداية ونهر ابي رقرق والمحيط الاطنطقي ، وتبلغ المساحة الداخلية المحاطة بالاسوار 418 هكتار ينفذ الناس اليها من اربعة ابواب هي غربا باب العلو وباب الرواح وأخرى داخل التكنة المسكوية المحاذية للقصر الملكى ، وجنوبا باب زعير المؤدية الى شالة .

وما زال السور - رغم مرور نحو من ثمانية قرون على تأسيسه - قوي الدعائم عدا قمته التى تفتتت عناصرها وهو مبني من الملاط المقوى Béton الذى يحوي الثلث من الكلس بينما لا تتعدى نسبة الجير عادة السدس او الثمن ، وبمعلوم ان الملاط الموحدى هو اقوى الملاطات اذ يشتمل فى بعض المواضع على اجر مدكوك فى شكل « طابية » وعلى حصيات صغيرة قد لف بعضها ببعض فأصبحت كالحجارة فى صلابتها لا ينال منها المعدل الا قليلا ، وقد غالبت اسافل السور جوارف المطر ، اما عرض السور فيبلغ احيانا مترين اثنين ونصف متر قد عبت فوقها طريق مشرفة للحراسة يدعمها حاجز منيع يقل ارتفاعه عن المتر الواحد فى حين يصل علو السور الى ازيد من عشرة امتار ، ويسكن ان نلاحظ اليوم وجود اربعة وسبعين برجا سبعة منها تمتد من برج الصراط فى الطرف الغربى الى باب العلو وتسعة الى باب الحد وخمسة وعشرون الى باب الرواح وسبعة على طول تكنة الحرس الملكى واربعة وعشرون الى الجهة المارة من باب زعير والمطلبة على ابي رقرق قرب ما كان يسمى بالمنزه (وهو مقر السفارة الفرنسية الآن) ،

- (71) نظرية لا تتفق وموقع المغرب من الوجة الجغرافية لانها خاصة بالمدينة المنورة ولذلك قابلها الكثير من علماء المغرب بأن القبلة بالنسبة الينا هي ما بين الشمال والجنوب .
- (72) محمد بوجندار فى كتابه حول تاريخ القصبة (مخطوط المكتبة العامة بالرباط عدد 1047) .
- (73) تاريخ محمد الضعيف (مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط عدد 660) .
- (74) هكذا يسمى صاحب العقد الفريد (ج 3 ص 296) ، وابن سعيد (ص 137) الحديثى المعهد بالاسلام ويسميه ابن حجر بالاسلمين (الدرر الكامنة ج 1 ص 315) .

وقد تجدد بناؤه عام 229 (76) في عهد السلطان مولاي سليمان .

وتمتاز هذا الباب بثلاث غرف متوازية احداها مكشوفة كما تمتاز بوجود ثلاثة أقواس تدعمها روافد متينة Arcs doubleaux تحمل عقد القبة قد انفمست عضاداتها شمالا داخل الجدار ، وقد وصف الاستاذ كايبي (ص 137) هذه الميزة بأنها استثنائية في الهندسة المعمارية المفرية نظرا لانعدام مثل هذه الاقواس في مآثر اخرى ، وأشار الى احتمال نسبتها الى أحد الاعلاج او الاسرى الاوربيين ، وتفتح باب الرواح (77) اليوم امام شارع النصر (الذي هو أعظم شارع في العاصمة تقام فيه المهرجانات والاستعراضات الرسمية) على مسافة 1021 م جنوبي باب الحد وهي أعظم ابواب السور الموحدى واكثرها تنميكا ، يبلغ عرضها 28 م وعمقها 26ر93 م وارتفاعها 12 م وتحتوي على أربع قاعات احداها مكشوفة كلها مربعة الشكل (5ر65 م فى مثلها) وعلى ممرين (مساحتهما 4ر20 م فى 2ر20 م) وتعلو القاعة الاولى قبة ذات اضلاع مشعة (على الطراز القوطي) (78) عقودها الركنية من الأجر ، لها ستة عشر أخدودا تتجمع فى قبية ذات ثمانية فصوص (اى قويسات او أقواس صغرى) ونعثر على هذا النموذج من القباب فى عدة غرف بمنارتي الكتبية وحسان الا ان قبة باب الرواح أضخم وان كانت اقل جمالا ورواء فى حين تمتاز بسمة خاصة ، وهي ان قاعدة كل عقد ركني تدعمها سوربة متوجة ومحلة بما يسمى بالانتشا او شوكة اليهودي وهي نبتة اتخذت أوراقها مثالا للزينة فى الابنية القديمة وأختص بها تقريبا الطراز الكورنثي اليوناني وتصطبغ هذه المجموعة الرائعة بالرشاقة والخفة ضمن الهيكل الضخم المتشكل فى الحنايا والاقواس ، ولا شك ان بعض القاعات كانت مخازن او مخابىء لاستخدام الحرس المسكري ، وقد جدد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله العلوي كثيرا من المظاهر الاثرية فى هذا الباب (79) بل اضاف عناصر طريفة كقوس الانفتاح المكسورة والمشرعة Surhaussé (وهذه هي

وقد يطول احيانا الحيز الواقع بين برجين ربما لانهايار بعضها خلال هذا الفاصل ، وقد ظلت مدينة رباط الفتح فى حدودها الموحدية غير أهلة طوال عدة قرون وكانت حدودها الجنوبية الشرقية هي السور الاندلسي الممتد من سيدي مخلوف الى باب الحد (مارا بيباب البيوية وباب شالة وباب التبن) ويقول الاستاذ كايبي (ص 131) بأن الرباط كان يعرف فى هذه الفترة بسلا الحديثة والذي يظهر ان هذا الاسم قد اطلق على سلا منذ عهد الشريف الادريسي (75) أى قبل بناء رباط الفتح وربما كان ذلك فى نظرنا - للتمييز بينها وبين شالة الرومانية لحملها نفس الاسم تقريبا .

وقد ذكرنا ان ابواب السور الموحدى خمسة بادراج الباب الواقعة داخل ثكنة الحرس الملكي وهي تحمل الاسماء الآتية : باب العلو وباب الحد وباب الرواح وباب زعير .

وباب العلو هو أقرب الى المحيط وهو يبعد عن البحر بمسافة 544 م ويشكل هيكلا ضخما طوله 19ر2م وعمقه 20ر92 م وعلوه 10ر85 م كما يشتمل على غرفتين متوازيتين احداها مكشوفة وتعلو الكل ابراج ناتئة مع وجود حجارة منحوتة جميلة فى الزوايا وقلب الواجنتين الشرقية والغربية وتوجد قاعة صغيرة مربعة داخل الفرفة الاولى كانت مستودعا للسلاح وتؤدي الفرفة الثانية الى السطح الذي يغطي مجموع البناء تحيط بها حواجز غير منحوتة يبلغ ارتفاعها 2ر26 م غربا وأقل من متر من جهة المدينة وقد فتحت فيها ثغرات ثمان ويتصل السطح بالطريق المعلقة فوق عرض السور وينزل درج فى الفرفة المكشوفة الى بطن الارض ليؤدي الى ممر مستطيل لعله كان مخبأ لجند الخفسر .

وقد نقشت على الجدران كتابات فى صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخناجر بعضها معقوف الطرف وصورة قوس يحمل سهمها مصوبا نحو الاعلى فى روعة خلافة . أما باب الحد فهو لا يختلف كثيرا عن الباب السابق ويقع على بعد 505 أمتار منه،

- (75) نزهة المشتاق ، طبعة 1957 ، (ص 48) .
(76) أكد الضعيف ذلك فى تلريخ الرباط ص 506 .
(77) ترجم كايبي باب الرواح بباب الريح Porte du vent وهو واهم فى ذلك لان الرواح معناه الروحة اى الذهاب صباحا .
(78) الزخرف المشع أصله اغريقي يمتاز بتشكيلات زخرفية كثيرة ووردات متفتحة متعددة الفصوص .
(79) تاريخ الضعيف ص 165 (مخطوط المكتبة العامة) .

عبارة عن حنية او عقد قبة يعلو سهمها او مفتاحها الى نصف مستوى الانفتاح) ، ويحيط شريط من الخط الكوفي باللوحه المركزية الماطورة للباب فى وضوح وروعة وتجانس بين المجموع والجزئيات (وهو شبيه بمثليه فى باب القصبه وباب كناوة بمراكش) وتقل الرسوم الزهرية فى النقوش حيث لا تعدو بعض الاشكال السعفية كما تقل التنميقات فى الوجه الباطني للباب طبقا للتقاليد المعمارية المتبعة التى تأبى الا أن تحلي الجدران بكتابات منحوتة على الحجر وصور سيوف دقيقة وقاذوف (اي آلة لرمي السهام الى مسافات بعيدة كالتى توجد فى باب العلو) وحسام قصير ذي نصل معقوف .

اما الباب الكائنة داخل القصر الملكي فهي تقع على بعد 880 م جنوبي « باب الرواح » وعلى مسافة 465 م شمالي برج الزاوية وهي تبلغ 21ر21 م عرضا و 22ر80 م عمقا وتشتمل على ثلاث قاعات مثل باب الحد مع وجود تعديلات ترجع لا محالة الى العهد العلوي ولا تختلف فى مجموعها غربا فى الابواب الموحدية .

وتفتح باب زعير - كما يدل عليه اسمها - على الطريق المؤدية الى الاقليم الذى تشغله الآن قبيلة زعير وتصل احجامها الى 18ر24 م عمقا و 9ر71 م علوا و 12ر59 م عرضا ، وهي شبيهة فى تخطيطها بباب العلو مع انتظام اقل ولا تزيد قاعاتها على اثنتين متوازيتين .

وقد مد عبد المومن بن علي انايب الى رباطه بمصب ابي رقرق لنقل ماء عين غبولة الى القصبه ، ولا شك أن هذه المجاري كانت جديرة بروعة الفن المعماري الموحدى الا ان الحفريات التى تمت لحد الان سواء داخل المدينة او خارجها لم تسفر عن كشف اي عنصر هام من هذه القنوات ، ويظهر ان اندراس معظم هذه المعالم راجع لكون الملوك العلويين قد اقاموا قنطرة معلقة لنقل مياه غبولة فوق القنطرة الموحدية مما لم يترك اثرا لهذه ومع ذلك فقد لاحظ الاستاذ هنري باسي (80) وجود بعض الاثار الشاهدة بقيام جسر بني عبد المومن على مقربة من شمالي

شالة على طول الشارع الحامل لهذا الاسم الى منمرج كائن قبالة الجامع الاعظم يؤدي الى قصبه الاودية ، وتبلغ هذه القناة العتيقة 1ر3 م من العلو - بادراج عقد قوسها - و 0ر59 متر عرضا وهي مبنية من الملاط المقوى الذى لا تنال منه المعاول لصلابته ، الا ان الاستاذ كايبي (81) ابرز الخلاف الملحوظ بين وصف المؤرخ باسي ووصف الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي (82) الذى تحدث عن قناة من الحجر المنحوت مقامة على حنية بنفس الصناعة الفنية المعروفة آنذاك فى ايطاليا وخاصة فى روما ، فهل ينطبق هذا الرصف الرائع على قطعة من الجسر تهدمت وامحت معالمها ؟ من الصعب التأكد من ذلك لا سيما والنصوص التاريخية او الحفريات لم تسفر عما يشير اليه ، فالشكل اذن ما زال قائما ، الا ان العنصر الهام الذى ينبغي ان يوخد فى نظرنا يعين الاعتبار هو جودة الملاط المقوى وصلابته وهما من سمات الفن الموحدى بالاضافة الى ضخامة القناة وكشافة حجم الملاط ووضع الحنايا والاقواس الذى يساعدها على الصمود امام ضغوط المياه مهما كانت قوتها ، ومع ذلك فقد لحقت اضرار جسيمة بالقناة خلال الحروب الطاحنة التى استمرت بين الموحديين وبني مرين بعد وقعة العقاب حتى جدد السلطان المريني ابو يوسف ما تهدم وانهار خلال هذه الفترة العصبية من تاريخ الرباط .

ومن هذا الوصف الموجز يتضح أن ابواب السور الموحدى بالرباط لها ميزات مشتركة تنجلي فى وجود منمرجات ونزواتء ضخمة وسلسلة من القاعات المتوازية احداها مكشوفة يحتوي داخل كل منها على غرف صغيرة لسكنى الحرس او خزن الاسلحة وهي تشكل مع ذلك مراكز دفاعية هامة تميزها الانمرجات المختلفة غير الموجودة فى الحصون الاندلسية التى اقتبس منها الموحدون وكذلك فى باب القصبه الخالية من كل منمرج او مركز مكشوف ومهما يكن فان الارتسامات البارزة التى تنطبع فى قلب الزائر لهذه المجموعات المتكاملة هي الشعور بالفخامة والقوة والابداع ، فهي

(80) فى كتابه « قنطرة موحدية بالرباط » Un aqueduc almohade à Rabat الذى نشره فى المجلة الإفريقية Revue africaine 1923 ، ص 523 .
 (81) تاريخ الرباط ، ص 150 .
 (82) فى كتابه « وصف افريقيا » Description de l'Afrique, éd. Schefer, Paris, 1896, T2, p. 22

على المعطيات المحلية ونحس في كل ذلك برغبة
المؤسس الموحد يعقوب المنصور الصادقة في
منافسة المآثر المعمارية في الاندلس والمغرب .

تشكل مع منارات الكتبية وحسان وجامع اشبيلية
روائع خالدة في الفن الاندلسي المغربي ، والملاحظ
ان التأثير الاندلسي يغلب في هذه الهندسة المعمارية

المريسيون وَالفَنّ الأندلسيُّ المغربي

اقامة المدارس المحصنة والمساجد وقباب الاضرحة
والفنادق المزخرفة والمدارس الفخمة التي اضفت
على المغرب الميري طابعا خاصا من الروعة والبهاء
فالى جانب المدينة البيضاء او فاس الجديدة المؤسسة
في ربض العاصمة الادريسية اقيمت مدينة للجهاد
بالجزيرة الخضراء (89) علاوة على المارستانات والمآوي
والملاجيء ، كما رصدت اوقاف متنوعة ضمن ريعها
سير المؤسسات الجديدة واسعاف الطلبة .

وقد لاحظ الاستاذ الفريديل عن حق انه خلافا
لتقاليد الشرق كان الملوك في طليعة من تبني تأسيس
المعاهد ، في حين تكفل بذلك الوزراء في المشرق (90)

وعلى هذا الفرار سار الملوك الميريون كسلفهم
الموحدين طابعين بميسم خاص نشاطهم المعماري الرائع،
وقد اكد جورج مارسى ان هذا النشاط الذي هو من
صنيع الامراء يبرز ثراء الاسرة المالكة بحيث تكون عصور
الانهيار السياسي فترة جمود في الميدان المعماري
فبعد المآثر الماجدة التي يرجع الفضل فيها الى عهد
المنصور ظل المغرب يتأرجح طوال قرن في بحوثة من
الركود لم يعرف خلالها عمارات بارزة (91) .

وقد اتسمت هذه الحركة المعمارية بطابع ديني
في كثير من الاحايين حيث اقام الميريون مجموعة

في عام 610 هـ (83) انبثقت من الصحراء قبيلة
بني مريين التي قامت بحملة واسعة في كثير من الاقاليم
المغربية التي كانت تحت الحكم الموحد وكادت حدود
المغرب قبيل ذلك بعقود من السنين تمتد من السوس
الاقصى (84) الى طرابلس ، الا ان الحفصيين (وهم
من سلالة الشيخ عمر الهنتاتي صاحب ابن تومرت)
الذين كانوا يحكمون افريقية باسم الموحدون اقتطعوا
لانفسهم مملكة منفصلة عن المغرب، وفي عام 625 هـ (85)
أسس محمد بن يوسف بن هود باسم العباسيين امارة
بالاندلس ما لبث ان استولى عليها بعد اربع سنوات
الامير محمد بن يوسف بن الاحمر (86) الذي انصاع
لامير تونس ، وبذلك توالى الضربات على المملكة
الموحدية فآل امرها الى الانهيار على اثر احتلال
المريين لمدينة فاس عام 645 هـ (87) .

وقد ازدهرت مظاهر الحضارة وال عمران في عهد
بني مريين الذين اصبحوا اقوى ملوك افريقيا
الشمالية (88) اذ بالرغم عن محتدم الصحراوي فان
هؤلاء الرجال استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج ببني
نصر ورثة الحضارة الاندلسية وبالموحدون - التكيف
والانسياق في مجرى الحضارة تبعاً للمقتضيات
المدنية مع استمداد من معطيات الفكر الاسلامي
والمجالي الطريفة في التجديد ، وقد تبلور اتجاههم في

(83) الذخيرة السنية ص 24 .

(84) القرطاس ج 2 ص 174 .

(85) البيان المغرب ج 4 ص 270 .

(86) البيان ج 4 ص 302 .

(87) الاستقصا ج 2 ص 7 . الذخيرة ص 99 .

(88) راجع تاريخ افريقيا الشمالية لـ André Julien

(89) الذخيرة ص 100 .

(90) الجريدة الآسيوية - الكتابات العربية بفاس عام 1917 و 1918 ج 10 ص 152 .

(91) كتاب الفن ج 2 ص 476 .

رائعة من المساجد في تازة ووجدة (92) وتلمسان (93) وقد تم ذلك خاصة في عهد ابي الحسن بفاس والمنصورة (قرب سبتة) وطنجة وسلا ومكناس ومراكش ، كما اقيمت معابد حول اضرحة الملوك مثل مقابر المرينيين في شالة (بالقرب من رباط المجاهدين) حدا الملوك منذ عهد ابن يوسف الى عهد ابي الحسن الى اختيار هذا الجدث الظاهر) ، وقد اضفى ابو الحسن على هذه الاضرحة السلطانية مسحة من الروعة والجلال بتسويرها وزخرفتها واقامة مسجد ثان حولها ، وكان هذا الامير اذ ذلك في طليعة زعماء الاسلام بالمغرب حيث توحدت افريقيا الشمالية لأول مرة منذ عبد المومن الموحد تحت راية امير واحد من فاس الى المحيط الاطلسي . وبلغت الدولة المرينية اوج عظمتها كما بلغت حضارتها قمة روعتها وامسى ابو الحسن - كما يقول اندري جوليان - اقوى ملك في الغرب خلال القرن الرابع عشر (94) .

وقد قام الصوفية في عهد ابي يوسف بدور اساسي في المجتمع المغربي (95) وهم الذين اثاروا تلك الموجة الزوجية التي انبثقت عنها زوايا ما لبثت ان ترعرعت وتبلورت تاثيراتها الاجتماعية والسياسية في عهد الشرفاء من سعديين وعلويين حيث ان بعض ملوكهم لم يعتلوا اريكة العرش الا بفضل تأييد الحركة الصوفية الفتية التي زادا نفوذها تكتلها ضد الاجنبي الذي سيطر على كثير من المراكز الساحلية ومحا الاسلام والعروبة من ربوعها ، وكثيرا ما كانت الزوايا ولا تزال خلوة للعبادة ومربط للزهادة ومركزا للعلم ويدل على ذلك مدى الاشعاع الثقافي والفكري المحفوظ في زاوية الدلاء بالاطلس والزوايا الناصرية في درعة وبالصحراء حيث قامت بنشر العلوم والمعارف وتركيز المثالية الاسلامية والسلفية السمحة في قلب الفيافي والجبال .

اما في عهد المرينيين فقد استت زاوية شالة (96) التي تعبد فيها الشاعر الوزير ابن الخطيب السلماني والتي اضافها ابو الحسن الى جناح الاضرحة بهذه المدينة الاثرية وهي بساحتها الداخلية وصهريجها واروقتها وغرفها اشبه بمعهد تتجلى فيه نفس العالم الزخرفية المدرسية كالترخيم والنقش والزليج والفسيفساء والتبليط المرمرى ، وقد بنى ابو عنان زاوية النساك بسلا التي ما زالت بيابها المنحوتة من الحجر البديع قائمة الى الآن مع بقايا غرفها الثلاث حيث كان يقطن شيخ الزاوية وطابقها الاول وصحن يتوسطه صهريج ويحيط به احد عشر مرحاضا للوضوء وتعتبر المدارس المرينية مساكن للطلبة ومركزا لدراساتهم التي كانت تتابع في المساجد القريبة منها واحيانا كانت المدرسة نفسها تحتوي على مسجد صغير بمحراه ومنارته .

وقد رسم التصميم العام لهذه المدرسة المغربية منذ القرن الخامس الهجري فهناك صحن تقوم في جوانبه الثلاثة سلسلة من البيوت ، وفي الجانب الرابع قاعة للعبادة ، وتقوم في الطابق الاول في بعض الاحايين مجموعات اربع من الغرف تشرف على الصحن الداخلي

ويمكن ان نعتبر توافر المدارس والمعاهد في عهد المرينيين بمثابة رد فعل ضد الحركة الدينية الموحدية وذلك باقرار برنامج يهدف الى نشر آراء جمهرة اهل السنة الذين نصب بنوا مرين انفسهم للدفاع عنهم ، وكان المرينيون متضامنين في ذلك مع جميع طبقات الصوفية التي ساندتهم في دعم هذه السلفية .

- (92) ابو يعقوب هو الذي بنى مسجد وجدة عام 696 هـ حسب القرطاس ، وقد لاحظ مؤلف الذخيرة السنية (ص 150) ان ابا يوسف هدم وجدة عام 670 هـ .
- (93) راجع مقتطفات المسند لابن مرزوق في هسبريس ج 5 ص 32 عام 1925 حيث لاحظ ابن مرزوق ان الرحالين مجمعون على اعتبار هذا المسجد كجامع هو الاول من نوعه ، وقد اسس ابو الحسن مسجدا آخر في مدينة هنين التي اندرست معالمها منذ قرون .
- (94) تاريخ افريقيا الشمالية 1931 هـ ص 446 .
- (95) صحب ابو يوسف معه في حركة الجهاد بالاندلس عام 674 هـ طائفة كبرى من صوفية المغرب ، (الذخيرة ، ص 174) .
- (96) توجد لفظة الزاوية مكتوبة على الرخامة المرمرية وعلى خزف عشر عليه عام 1930 خلال الحفريات (الهندسة المعمارية الاسلامية ص 283) .

وقد أسست أول مدرسة مرينية عام 670 هـ بأمر من أبي يوسف (97) وهي تحتوي على مسجد ومنارة وهي المؤسسة الوحيدة التي يرجع تأسيسها إلى هذا القرن .

وفي القرن التالي أقيمت مجموعة من المدارس منها مدرسة فاس الجديد عام 720 هـ (وهي تضم أيضا مسجدا وصومعة ومدرسة العطارين ثم مدرسة الصهرج الكبرى) ومدرسة السباعيين (الصغرى) وكانتا متصلتين ثم أخيرا المدرسة المصباحية (98) هذه المدارس الثلاث الأخيرة بنيت بأمر من أبا الحسن الذي زود بالمدارس كبريات مدن المغربيين الأقصى والأوسط (تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وأزمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بتمسان وعاصمة الجزائر) . أما ولده أبو عنان فإنه أسس المدرستين الحاملتين لاسمه بفاس ومكناس .

ويلاحظ أن هذه المدارس كانت تشتمل أول الأمر على منارة وتجلى كمسجد علاوة على ميسمها كماوى للطلبة. وكان تصميمها مزدوج المعالم عبارة في آن واحد عن مسجد مدرسي (كالقرويين) وعن جناح للسكنى ثم تبلورت في التصميم بعد ذلك مظاهر المدرسة فالبيت الصومعة (مثل مدرسة الصهرج) ثم تقلصت مساحة المسجد الذي أصبح لا يعدو قاعة كبرى للصلاة دون زخرفة خاصة وحتى المحراب صار يقاوم رمزيا في شكل قوس اصم محاط بأسطوانتين دقيقتين .

وقد استمر هذا الاتجاه فاسقط المحراب تماما بعد بضع سنوات من المدرسة المصباحية إلا أن مدرسة العطارين وهي آخر مدرسة بناها أبو سعيد تحتوي على محراب وأعل ذلك راجع لضرورة تبرير مزيد الزخرفة والنقش (99) بمظهر ديني خاص ، كما أن مدرسة سلا احتفظت بمسجدها ومحرابها نظرا لصبغتها الاستثنائية كمركز صوفي لا يحتوي على أي

غرفة لسكنى الطلبة ، ومدرسة أبي عنان في مكناس تمثل مرحلة انتقالية بين نوعين من المدارس يرجع عهدهما لأبي الحسن وولده أبي عنان (مسجد مربع وأروقة في الجوانب الثلاثة من الصحن) أما المدرسة العناية بفاس فهي تتسم بهيكلها الضخم وروعيتها الإخاذاة لجامع مزود بمنار ومنبر لخطبة الجمعة .

أما دور السكنى المرينية فإن المغرب لم يحتفظ حتى بمعالمها فيما يلوح اللهم إلا في تلمسان حيث تساعد كتابة عثر عليها في رأس أسطوانة على أن البناية أسست عام 745 هـ بأمر من أبي الحسن ، كما اثبتت الحفريات عام 1885 عن قصر صغير بالقرب من ضريح أبي مدين الفوث بالعباد ويحتوي هذا القصر الذي كان السلطان ينزل به فيما يظهر على ثلاث مجموعات من البنايات .

وقد وصف لنا ابن مرزوق في مسنده كيف بنى أبو الحسن قصرا في ظرف أسبوع وضمنه جميع ما تتسم به القصور الصغرى من روعة وجمال ، فقد أمر أبو الحسن بجمع أرباب الصناعات من البنائين والنجارين والجبايين والزليجيين والرخامين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين فأحضروا بين يديه فقال لهم أريد دارا تشتمل على أربع قباب مختلفة ودريرتين متصلان بها منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة بالجص والزليج والنقش في الأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة ونقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما بما فيها من طيافير الرخام والسواري والنجارة في السقف مختلفة باختلاف القباب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة (100) الدهونة الأبواب بالصناعات المؤلفة والخزائن والخوخ جميعها والحلية في جميع ذلك من النحاس المموه بالذهب والحديد ورسم لهم قدر ساحتها في كاغد ووقع الوفاق لجميعهم على ذلك قطيما ووضح لهم عملها فلما تم هلمنا قال لهم انسى أريدها في مثل هذا اليوم ... فما انقضى الأجل

(97) راجع المسند لابن مرزوق (مقتطفات ليفي بروفنصال - هسبريس ج 5 ص 35 عام 1925) .

(98) نص ابن مرزوق على أنها من بناء أبي سعيد في حين أن الكتابيب الموجودة بها تدل على أن مؤسسها هو أبو الحسن (راجع الاستقصا ج 2 ص 87 وكتابات فاس لالفريد بل ص 229) .

(99) هذه المدرسة هي أبهى وأروع مدرسة من حيث الزخرف حتى في نظر الفنانين الأجانب (الهندسة المعمارية الإسلامية في المغرب ص 288) .

(100) الصناعات المشتركة هي عبلة عن صناعة التوريق والتسطير التي تزود فيها الزخارف ذات اشكال مزهرية بنقوش هندسية .

هذا المسجد فاكد مؤرخ سلا محمد بن علي الهكالي انه من مؤسسات الاندلسيين الذين وردوا على المغرب فى عهد السعديين اى فى القرن الحادى عشر مستندا الى ما استنتجه من كتاب « وصف افريقيا » للحسن الوزان من عدم وجود اى اثر لبناء بالرباط فى عصره اى فى القرن العاشر الا ان مؤرخ الرباط محمد بوجندار (103) يرجح ان المسجد من مآثر المرينيين ويعمل ذلك بوجود المارستان العزيزي قبالة ، ويكون احدى الابواب قد رمت فى عهد السلطان المريني ابي الربيع وهي وجهة نظر سديدة وان كانت التعديلات اللاحقة قد غيرت معالم الاصل ويبلغ عرض المسجد على طول جدار القبلة 47ر5 م ويزيد عمقه بمترا واحدا على عرضه بادراج مقصورة الامام الا ان شكله الهندسي غير مربع نظرا لعدم تساوي اضلاعه اما مساحته البالغة نحو 1800 م . م فانها تجعل منه اعظم مسجد بالرباط بعد « جامع السنة » وهو يحتوي على سبعة صحنون موازية للقبلة وعشرة عمودية ، اما الساحة فشكلها مربع منحرف عرضه اكبر من طوله تحيط به ثلاثة ابهاء اقيمت فى احدها مقصورة للنساء وبالجانب الشمالي الغربي المنارة ، وللمسجد ستة ابواب وعلى طول جدار القبلة عدة مرافق تتصل بفرع للمكتبة العامة بالرباط - يفصل اليوم المسجد عن المقبرة - وهذه المرافق هي مستودع المنبر ومقصورة الامام وجامع الجنائز ، اما الافواس فانها ذات اشكال واحجام مختلفة الا ان الحنايا التى يستند اليها الرواق امام المحراب تلفت الانظار بميزاتها الخاصة اذ هي عبارة عن حنايا مفصصة قد نحتت فيها قويسات تصل الى ثلاثة عشر متشابهة عدا قويس الانطلاق وقويس الانفتاح ، اما الاقواس الاخرى فمعظمها حنايا مكسورة وحدوية (على شكل حدوة الفرس اى نعله) او مشرعة (اي ان سهمها اكبر

وتم الامل وجاء اليوم المعلوم الا وهو يتمشى فيها وانا بين يديه على الوجه المشروع والغرض الموصوف وهذه هاية فى الضخامة والاقتدار وعنوان على ما وراءه (101)

وقد ارتفعت اثمان المباني اواسط عهد المرينيين بسبب تهافت الايستقراطيين على الزخرفة احتذاء بالبلاط وقد اشار ابن خلدون الى ان الدور كانت تباع بفاس بالف دينار ذهبي .

اما الفنادق التى كان بها التجار الاجانب فان شكلها المعماري يشبه شكل دور السكنى لانها تحتوي على ساحة تحذف بها غرف ومستودعات بل ومخازن لعرض المبيعات ، ومن هذا النمط ايضا القيساريات التى تغير اسلوبها الهندسي فى العقود الاخيرة حيث اصبحت عبارة عن اروقة مستطيلة تقوم بجانبها دكاكين واهراء (102) .

ولنضرب مثلا للفن المريني الرائع ببعض المآثر التى ما زالت قائمة برباط الفتح ومنها « الجامع الكبير » الواقع قرب باب شالة الذى تحده فى الجنوب الشرقي مقبرة تمتد الى السور الاندلسي وقد كتب على احدى ابوابه تاريخ 1299 هـ (1882 م) وهو تاريخ تجديد البناء فى عهد الحسن الاول ، كما ان لوحة التحسيس المرينية وهي صفيحة مربعة من الرخام مغروزة فى احدى الاساطين المحيطة بمكان العتزة هي نفسها التى كانت على ضريح السلطان ابي الحسن بشالة ، ونقلت الى المسجد فى عهد مولاي اليزيد العلوي الا انها لا تشير الى الجامع الكبير ، كما بوجود المارستان العزيزي قبالة ، ويكون احدى ادخلها على المسجد جلالة الملك المقدس المرحوم محمد الخامس ، وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ بناء

(101) نخب من المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا ابي الحسن للخطيب ابن مرزوق (هسبريس ج 5 - مجلد اول عام 1925 ، ص 39) .

(102) تحدث ماس لاطري فى كتابه (معاهدات السلام والتجارة) عن الفندق بالمغرب فوصفه باناه حارة حرة يقطنها القنصل الاجنبي مع مواطنيه وترجع اليه مهمة السهر والحراسة عليها وكانت ايضا بمثابة حي له قوام بلدي يقبض فيه القنصل على الجهاز الشرطي والجمارك السلطانية هي التى تتحمل المصاريف العامة فى البناء واصلاح المساكن والكنائس والدكاكين ، وكان المسكن محترما وقانون الارث الاجنبي مطبقا (بمقتضى المعاهدة المبرمة بين المغرب وبيزة عام 1358 البند الرابع الفقرة الرابعة عشرة) وقد اكد لاطري ان الاقطار الاخرى لم تتسامح الى هذا الحد مع الحارات المسيحية المقامة وسط المدن الاهلية بحيث كان المسيحيون يرضخون خارج المغرب الى تدابير تنطوي على اهانة وعدم ثقة (راجع كتابي بالفرنسية حول التيارات الكبرى لحضارة المغرب ص 33) .

(103) الاغتباط ص 114 (مخطوط المكتبة العامة بالرباط (عدد 1287) .

من نصف الانفتاح) كما ان معظم السطوح ذات انحدار مزدوج فى شكل برشلات او جملونيات دون قرميد ولا تنميق ، أما المحراب فان قوس انفتاحه حدوي الشكل كنعل الفرس الحديدي متقارب المركزين غير بارز الكسر يستند الى عضادتين عاليتين ، وقد ازدوج بقوس آخر خارج عن المركز فى جوف قد نحتت نقوش رائعة فى جبهه اللامع وعلته قبة متمثلة ينفذ اليها النور من ثفرة مثناتها مع المجموع .

اما الصومعة فانها مربعة الشكل تبلغ اضلاعها 10ر5 م وقد زيد فى ارتفاعها عام 1939 فبلغت من العلو 15ر33 م بينما لم تكن تصل من قبل الى اكثر من 27 م ، وتحتوي الصومعة على ست غرف مربعة الواحدة فوق الاخرى تغطيها اقبية متصالية الروافد تؤدي احداها الى مخدع الموقت الواقع فوق المصرية (اى العلية وهي من مصطلحات المغرب الاقصى) (104) وينفذ الضوء الى دورات الدرج من ثغرات واسعة مقوسة ومائوية فى انحاء مستقيم ويتسم المجموع بطابع البساطة الذى يزيده روعة. اما ملحقات الجامع الكبير فانها لا تمتاز بأهمية خاصة فالى جانب ممر ضيق يؤدي الى جامع الجنائز على طول جدار القبلة توجد مقصورة الامام وهي تضم غرفتين تتصل احدهما بمستودع المنبر .

واذا استثنينا النحت على الحجر فى خصوص الأبواب فان النقش على الجبس يتوافر فى المحراب وفى الوجه الداخلى للباب الكبرى وفوق الحنايبا المفصصة امام المحراب مع رسوم زهرية متكاثفة تحيط بها خطوط هندسية وانضاد متراكبة من الوردات بين الاقواس دون اصباغ مع ضالة النقوش الخشبية ، وتبرز فى مواضع اخرى سعفيات «موردة» او كتابات بالخط النسخي ، اما المنبر فهو من صنع علوي عادي برسومه الخشبية المنحوتة على لوحات « مأطورة » : تلك صورة عن الجامع الكبير كما هو الآن والباين الشارعتان الى زققة باب شالة قد اضيفتا كمنفذ خاص الى رواق النساء وكذلك الباب المؤدية الى زاوية سيدي التلمساني والفسقيتان الفوارتان فى البهو الجديد شمالي غربي الصحن . ومن الزوائد الطريفة فى المسجد نقوش المحراب ورواق الجنائز وتاريخيات بعض الحنايبا مما حفظ للجامع هيكله العام

دون كبير تعديل ، ويظهر ان الجامع لم يكن فيه اكثر من خمسة صحن طولية مركزية بدل عشرة بجانب الصحن السبعة الموجودة الآن ، وكانت المساكن تحيط به من جهتين وهذا التخطيط متناسق الاجزاء بالنسبة للتصميم الحالي الذى يخاو نوعا ما من التوازن والانتظام اصف الى ذلك ما كانت تمتاز به الحنايبا المفصصة والمكسورة والحدوية من تنوع وبتكرنا الهندام المعماري فى الجامع الكبير بالمساجد المرينية فى تلمسان وخاصة فى مدينة « العباد » حيث مدفن ابي مدين الفوث فعدد الصحن الطولية واحد فيهما مع ثمانية صحن موازية للقبنة هناك بدل سبعة بالرباط ومن مظاهر العتاقة فى الجامع الكبير ضخامة الاقواس المفصصة امام المحراب وهي من خواص المساجد المرابية والموحدية بكيفية عامة مع وجودها احيانا فى عهد المرينيين كما هو الحال فى جامع فاس الجديد . ولم يعد المهندس المعماري يستعمل هذا النوع من الترخيمات فى العصر العلوي وحتى بالنسبة لنقوش الحنايبا يمكن التنظير بين المشبكات الهندسية فى الجامع الكبير ومثيلاتها فى منبر المدرسة العنانية بفاس وباب العنانية ايضا يمكننا ومع ذلك فان جامع الرباط لا يوحى فى مجموعته بنفس الارتسامة التي يشعر بها الزائر لمدارس فاس ومساجد تلمسان المرينية التي تمتاز بعدة ظواهر جزئية كبعض الاشكال الصنوبرية (على شكل ثمرة الصنوبر) او الزهيرات (أي زخارف نورية الشكل) تلك معالم تشهد بأن الجامع الكبير يرجع تاريخه الى العهد المريني وذلك بالاضافة الى بعض النصوص التاريخية التي تعزز هذه النظرية لا سيما وان مؤرخي العلويين مثل الضعيف والزياني والناصرى لم يدمجوا هذا المسجد فى لائحة المساجد العلوية وربما كانت المجموعة المركبة من المسجد والسقاية والمارستان العزيزي هي نفس ذلك الثالث الملحوظ فى جميع المساجد مع اعتبار ان هذا المارستان كان مدرسة كما يدل عليه شكله ، وهنا يجب ان نتساءل - كما فعل الاستاذ كايبي (ص 199) - عن تاريخ التعديلات والاضافات الطارئة على الجامع الكبير ويمكن ان تقارن بين هذه وبين المظاهر المعمارية فى جامع مولاي سليمان بالرباط ، وقد أسسه السلطان العلوي سليمان بن محمد بن عبد الله ، فالمارتان متساويتان فى الاضلاع والترتيبات

(104) لا شك ان هذه التسمية ترجع لكون مصر هي التي عرفت فى العالم الاسلامي بكثرة طبقات دورها ، وقد ذكر المقرئبي فى خططه ج 1 ص 334 و 341 ان مساكن الفسطاط كانت من سبع طبقات .

قد قامت بجانيها سويرتان تتصلان بطنف تحمله مساند بارزة وهذا الرسم لا يختلف كثيرا عن تصميمات المدارس المرينية ينقصه المسجد الصغير الذي يقام عادة في المدرسة الا ان تغييرات حديثة قد أضفت على هذا المارستان طابعا علويا بعيد الشبه بالسقاية المرينية المجاورة .

اما الحمام المعروف بالحمام الجديد والكائن بالحي المعروف بتحت الحمام فانه من مآثر أبي عنان المريني كما تشهد بذلك لوحة التحجيس الموجودة الآن بصحن الجامع الكبير والتي تحمل تاريخ 755 هـ وتشير الى ان ريع هذا « الحمام الجديد » ينفق على ضريح السلطان المقدس ابي الحسن المريني وعلى اطعام الفقراء المرابطين بشالة ، ويعتبر هذا الحمام اقدم حمام عرفته رباط الفتح، وتبلغ مساحته 20ر85م طولا في 9ر75م عرضا ، كما يزدان بروائع معمارية من تيجان هرمية مقلوبة واقواس مكسورة وحذوية وقبة ذات ثماني رفارف Pans قد حملت على عقود ركنية في شكل نصف اقبية متصالية الروافد ، وفي كل رفرف ثغرة ينفذ منها النور الى الغرفة ، وقد اصبح هذا التصميم عاديا في حمامات الرباط بما فيه من قاعة الاستراحة المتفتحة على الغرفة الباردة التي تفصلها عن القاعة الساخنة اخرى وسطى دائنة تتخلل الكل مخادع منعزلة للاستحمام الفردي وتعود القاعة الاخيرة حرارة تستمد بخارها من حوض ساخن، وقد سرت هذه الحرارة في مجموع الارض المبلطة بالرخام والقائمة على سويريات قصيرة مركبة فوق قويسات من الحجر ، ويشبه هذا الحمام في شكله حمام شالة الذي يرجع لنفس التاريخ وكذلك حمامات مرينية اخرى كحمام المخفية بفاس وحمام جيدة المقابل للجامع الكبير ، وتسم الحمامات الاندلسية بنفس الطابع مما يعد مظهرا جديدا لوحدة الفن الاندلسي المغربي على ان هذا الترتيب لا يختلف عن التقسيمات الملحوظة في الحمامات الرومانية التي كانت تتوافر بوليلي وباناسا وشموسيدا واوييدوم نوفوم وباقي المراكز العتيقة .



وقد توافرت الحمامات ولكن على وتيرة وثيدة نظرا لكثرة ما اقيم منها في العصور السالفة حيث

الداخلية والنسق الفني واحد في السطوح والحزات الجدرانية انتي تنصب منها مياه المطر بدل الميازيب وذلك علاوة على تشابه بعض الابواب ويدعم هذا الشبه الواضح ما اشار اليه محمد الضعيف من ان السلطان مولاي سليمان وجه من طنجة احد اعوانه لمخاطبة المعلم الحسن السوداني فيما يجب انجازها من اعمال في جامع الرباط (105) وهكذا يمكن التأكيد بان الزيادات العلوية في هذا الجامع يرجع الفضل فيها الى الملك الصالح المولى سليمان الذي قام بهذه البادرة المثلى فوسع المسجد وجدد سطوحه .

وقد اقيمت الآن مكتبة مكان السقاية المرينية التي اسفرت الحفريات منذ نحو ربع قرن وجود كتابات تأسيسية في واجهتها وكانت طبقات من الكلس تغطيها منذ اجيال وقد امكن الكشف فيها عن اسم مؤسسها السلطان ابي فارس عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني وبذلك يرجع تاريخ بنائها الى القرن الثامن الهجري ، ويبلغ طولها 10ر26م وعلوها 4ر62م وعمقها 2ر75م ، وقد بنيت من الملاط المقوى المعطى بظلاء مع واجهة من الحجر المنحوت المتناسق الترتيب وثلاث حنايا مكسورة واربع اسطوانات تحمل اثنتان منهما هذه الاقواس الرائعة بواسطة تيجان مقربصة وتترابك فقراتها الحجرية المستديرة في سبع او ثماني طبقات ويزدان الحوض بثلاث حنايا جدارية مشرنة كما تتحلى جبهة البناية بزخارف حول افرز منحوت يدعمه طنف وتتسلسل في شريطه المستطيل (9ر34م طولا و 1ر10م علوا) سبع عشرة طاقة معمارة ورسوم تذكرونا بباب القصبه وقويسات منحرفة ومشبكات وتفرجات من الاقنشا Acanthe ذات الطابع الكورنتي الاغريقي) وخطوط دائرية قد نقشت فيها وردات تنفرع عنها اربع تويجات في تناسب يخلب الالبي بساطته ولمعانه واتساق اجزائه الى جانب القوة والرشاقة .

ويقع المارستان العزيزي قبالة الجامع ويظهر انه من بناء السلطان المريني ابي فارس وانه كان مدرسة في الاول ثم احيل الى مارستان فنظارة اجباس وهو بسيط في تصميمه تحيط بساحته من ثلاث جهات غرف مستطيلة وابهاء قد رفعت على سوار من حجر تملوها تيجان محلاة بانعراجات « مؤقنثة » واقواس نصف دائرية ، اما الباب فانها حدوية الشكل

(105) تاريخ الرباط للضعيف ص 531 .

في شكل جديد سمي بالفن الاسباني الموريسكي
Art hispano-mauresque

وبالرغم عن التأثيرات الاندلسية التي وسمت هذا الفن فانه اصطبغ بسمة خاصة اذ عوضا عما كان يدركه المهندس الاندلسي من رغبة في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية هدف المهندس المغربي الى ضمان متانة الهيكل بالاضافة الى ما كان يشعر به من حاجة الى مزيد من الزخرفة والتنميق وهذا هو الطابع العام الذي يتسم به مجموع الفن الاسلامي من تسطيرات ناتئة ومقربصات وتلوينات علاوة على روعة الهندام ورغما عما يتسم به هذا الفن المعماري الذي بلغ في العصر المريني اوج عنفوانه من ايفال في التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الاجزاء وعدم جودة المواد فان المجموع ظل - كما يصفه المؤرخ اندري جوليان - واضح المعالم متوازي النسب تتجانس تقوشه تتجانسا رائعا ضمن الحيز الذي يملأه وهذا بالاضافة الى ما انطوت عليه الالوان من دقة وجناس كاملين (107) وقد اشيع الفن المريني شرقا وغربا بثروته التي لا تضاهي وروعته الطريفة الاصلية فكان فنا اندلسيا مغربيا تتناسق عناصره في العدوتيين .

وهذا التناسق الفني يرجع الفضل فيه الى نشاط المهندس الاندلسي الذي كان تأثيره ملحوظا في مجموع الآثار المعمارية (108) .

وكان للفنانين والمنتجين المغاربة صيت رائع وحظوة لا بأس بها حتى في الشرق غير ان درجة النضج الذي بلغها هذا الفن كانت تنطوي على عناصر انهياره فقد استنفذ كثيرا من قواه منذ عهد ابي الحسن وحال قيام الفتن دون تحقيق اعمال عمرانية كبرى بعد ذلك .

وقد حلل الاستاذ طيراس مظاهر المدينة المغربية في عهد المرينيين (109) فأبرز الصبغة الاندلسية والحضرية في هذه المدينة التي بدأت أساليبها

كانت بغاس وحدها 293 وقد كتب بعض المؤرخين ابحاثا حول الحمامات المغربية منها حمامات وجدة وشالة والمخفية بغاس (كتاب الهندسة الاسلامية ص 315) والرباط (تاريخ الرباط لكايي) وقد بنى ابو عنان المريني هذا الحمام الاخير الذي ما زال معروفا الى الآن بحمام العلو مع توقيف ريعه لفائدة المسجد .

وهذه الحمامات لا تختلف عن المستحقات الموحدية الا بغرف فردية للتخليفة وباضافة معالم جديدة في الزينة من فسيفساء وزليجى بالبديع وتقوش على الخشب ونحت على الجبس .

اما المؤسسات العسكرية فانها عديدة منها باب العريسة بسلا (وهي دار صناعة وباب بحري في هذه المدينة) وأسوار فاس الجديد وشالة والمنصورة (قرب تلمسان) .

وقد قام المرينيون بعدة اعمال تمييزية ذات صبغة عمومية مثل بناء المارستانات والملاجيء ودور الوضوء والسقايات وقناطر نقل الماء ، وقد سبق للمهندسين الاختصاصيين ان زودوا بعض الحواضر كالعاصمة الادريسية بالقنوات التي تنقل مياه وادي فاس الى مختلف الاحياء ثم حول الامير يعقوب المريني ماء عين عمير الى المدينة الجديدة التي أسسها بأرباض فاس وهي مدينة البيضاء او فاس الجديد ، وقد اقيمت مؤسسات من هذا القبيل في العباد وشالة ، والرباط (106) وكان هؤلاء المهندسون اما اندلسيين واما صحراويين مثل الاختصاصي الذي استقدمه الامير من سجلماسة لبناء الخصة المرمرية بالقرويين .



تلك هي المظاهر الجوهرية التي يمكن ان تستخلص منها صورة عن الفن المريني الذي بدأت تتبلور فيه مجالي الازدواج بين الطابعين الاندلسي والمغربي

(106) منها السقاية المرينية قبالة الجامع الاعظم بالرباط

(107) تاريخ افريقيا الشمالية ص 456 .

(108) كان ذلك منذ المرابطين وقد لاحظ الناصري نقلا عن صاحب الجذوة ان المهندس الاشبيلي محمد

ابن علي هو الذي رسم تصميم دار الصناعة البحرية بسلا واستعمل الاساليب المعروفة بالاندلس

(الاستقصا ج 2 ص 11) كما ان نقل مياه وادي فاس لتزويد قصر يوسف بن يعقوب كان على يد

مهندس اشبيلي اختصاصي في علم الحيل هو محمد بن الحاج .

(109) تاريخ المغرب ج 2 ص 76 وما يليها .

ومناهجها تتحجر منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي
فالحضارة لم يعد لها وجود الا فى الحواضر وخاصة
بفاس لان مدينة مراكش التي فقدت مركزها كعاصمة
صارت تنحدر فى طريق الافول محتفظة ببقايا التقاليد
الموحدية .

واذا كان الفن قد استطاع الصمود فى نهاية
العهد المريني فما ذلك الا بفضل العناصر الاندلسية
التي هاجرت الى المغرب . بحيث اصبح المغاربة منذ

عهد الوطاسيين عالة فى كثير من الفنون والحرف على
الاندلس (110) ومع ذلك فان الفن المغربي الذي
نشطت مقوماته العمرانية ظل محتفظا بجودته النادرة
رغما عن انعدام الفخامة فى مجاليه ذلك ان وفرة
الزخرفة وبراءها وروعها انتظمت فى اطار من الوضوح
والدقة لا غبار عليه وكان المجهود الفني الذى بذله
المرينيون تقلص - كما يقول طيراس - فى الوقت الذى
انهرت قوتهم العسكرية .

كيف تبلور الفن فى العصور الأخيرة ؟

١) العصر السعدي

اتخذ تدخل السعديين صورة ثورية ضد عجز
الوطاسيين عن إيقاف الحملة المسيحية وهبوب
الاسبان لغزو المغرب بعد سقوط الماقل العربية فى
الاندلس وقد تم احتلال سبتة عام 818 هـ فثارت
ثائرة الامة المغربية وطاف دعاة الجهاد فى القبائل
يحدون الناس الى مقاومة المغير وقد تركزت هذه
الحركة التحريرية حول مراكز اقليمية للتجمع وهي
الزوايا واستغل الشرفاء السعديون الموقف فتزعمو
هذه الفورة الشعبية ونصبوا انفسهم قوادا للثورة التى
لم تنتظم الا بعد ان تمكن البرتغاليون من غزو كبريات
المدن الساحلية التى احاطوها بأسوار عتيقة
وجهزوها بحصون وابراج واقاموا فيها كنانيس
ومستودعات للماء (مطافىء) .

وقد عرف السعديون كيف يوجهون هذا الحماس
الشعبي الرائع الذى كان يميزه العلماء والصوفية
فاخرجوا العدو من اكادير وآسفي وازمور واصيلا
والقصر الصغير وكلت سلسلة الانتصارات هذه
بهزيمة شنعاء مني بها البرتغاليون فى معركة وادي
المخازن التى فقدت البرتغال بعدها استقلالها
السياسي طوال اثنتين وستين سنة واندرج المغرب
بفضل انتصاره الفد فى صف الدول العظمى تخطب
وده بلاطات أوروبا وتسعى فى الحظوة بمعونته

وتأييده (111) وقد اثرت الدولة بما دره عليها
احتلال السودان وافتكاك الاسرى البرتغاليين فاتجهت
نحو بناء مؤسسات معمارية كقصر البديع الذى
وصفه اليفرنى (112) ملاحظا ان السبب الذى
حمل المنصور على انفاق جلائل الاموال ونفائس
الدخائر لبناء البديع هو الحصول على مائة وشفوف
على المرابطين والموحدين ومن بعدهم وقد استغرق
العمل فيه المدة المتراوحة بين سنة 986 هـ و
1002 هـ ، وجلب السلطان الصناع الافرنجى يجتمع
كل يوم من ارباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم
حتى كان يباه سوق عظيم كما جلب له الرخام من
ايطاليا فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن
وكان هذا القصر عبارة عن دار مربعة الشكل فى كل
جهة منها قبة رائعة الهيئة تحتف بها مصانع من قباب
وقصور ودور .. وفيها من الرخام المجزع والمرمر
الابيض والاسود ما يحير الفكر وكل رخامة طلسي
راسها بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافي وفرشت
ارضه بالرخام العجيب النحت الصانى البشرية وجعل
فى اضعاف ذلك الزليج المتنوع التلون وتجسم فى
سقوفه الذهب وطلبت الجدران به مع بديع النقش
ورائق الرقم بخالص الجبس وكان به اشعار مرموقة
فى الاستار وايات منقوشة فى الجهات على الخشب

(110) كـردار ج 2 ص 461 .

(111) تاريخ المغرب - طيراس ج 2 ص 189

(112) مناهل الصفا (نقل الناصري فى الاستقصا ج 3 ص 65)

والزليج والجبس وقد هدم المولى اسماعيل هذا القصر عام 1119 هـ « ولم يبق بلد - كما يقول اليفرنى - من بلاد المغرب الا دخله شيء من انقاض البديع » .

ومن المؤسسات الدينية السعدية مسجد باب دكالة الذى بنته مسعودة الزكيتية والدة المنصور ويتناسق فى هذا المسجد الاساب الميرنى (الصحن الربع) مع بعض معالم الفن الموحدى . مثل هنادم القباب وبعد ذلك بخمس سنوات اسس جامع الواسين بمرافقه من قاعة الضوء والحمام والمدرسة والكتاب (أى السيد) والسقاية ومورد الماء المخصص للحيوانات وتم هذه المظاهر الجزئية عن استمرار تقاليد العصور السالفة فى الحقل المعماري .

اما فى جامع القرويين بفاس فان السعديين بنوا قبتين فى الصحن تتوسط كليهما حصة مرمية شبيهة بما يوجد فى ساحة الاسود بالاندلس .

وقد اسهم السعديون فى بناء مدارس صفرى مضافة الى المساجد او الزوايا حيث توجد مثلا فى مراكش عاصمة السعديين اعظم مدرسة بالمغرب (113) يرجع فضل تجديد بنائها الى الامير مولاي عبد الله وهي مدرسة ابن يوسف التى تستمد اسمها من الجامع المجاور لها وقد بناها أبو الحسن الميرنى (114) وكان اهم ماوى لطلبة جامعة ابن يوسف حيث تحتوي على نحو المائة غرفة الا ان مصلحة الأتار تباشر الآن ترميمها لاحتلتها الى مؤسسة اثرية حفاظا على روائعها الفنية وقد خصصت وزارة التربية الوطنية اعتمادات لاصلاح مثيلاتها من المدارس الاثرية الميرنية بفاس .

اما قبور السعديين فانها اقيمت على غرار اضرحة الميرنيين بساحة - قرب مسجد القصبة بمراكش لدفن امراء الاسرة المالكة .

ويلاحظ بخصوص المؤسسات العسكرية ان الانقلاب الذى طرا على الاساليب الحربية تحت تأثير

حركة النهضة الاوربية وانبثاق عهد الآلة وغزو المسيحيين للتراب المغربى كل ذلك حدا الدولة المغربية الى تعديل مناهج وطرق التعمير فالاسوار المحيطة بالمدن الكبرى تمزق بأبراج مجهزة بعتاد جديد لمقاومة المدفعية ومن جملة هذه المعامل المجردة « باستيون » (اى حصن) تازة الذى بناه المنصور استجابة للحواجز العسكرية القاضية بتزويد ممر تازة الواصل بين الشرق والغرب - بالاجهزة الدفاعية المناسبة وهذا الحصن عبارة عن مؤسسة ضخمة مربعة الشكل يبلغ طول اضلاعها ستة وعشرين مترا وتطل منها على المدينة ثلاث عشرة غرفة للرمية كما تحتوي على مستودعات للعتاد وقد اقام المنصور كذلك بفاس (115) برجين آخرين يشرفان على المدينة وما زال البرج الجنوبي على حالته بينما ادخلت تعديلات على البرج الشمالي خلال انقرون الاخيرة وتجدر الاشارة هنا الى ان السعديين اضافوا اجهزة قوية جديدة الى المعامل والحصون البرتغالية فى المدن المحررة (اسفي وازمور والجديدة) كما بنوا فى طول البلاد وعرضها قناطر - ذات طابقيين استراتيجي ونفعي - ومعابر لنقل المياه وسقايات عمومية على غرار سلفهم .

وقد لاحظ طيراس (116) انه بالرغم من الجهود التى بذلها كبار الامراء السعديين فانهم لم يسهموا فى انبعاث الحضارة الاسلامية بالمغرب « ذلك ان المدنية والفن كانا متجهين نحو الماضى فلم تستطع بعض التأثيرات الاجنبية تعديل الاصول القديمة ولا تركيز بذور اختلاق جديد » فالفن المغربى اذن هو حسب طيراس « فن خال من كل غض تكتنفه رواسب الماضى » غير ان صلات عابرة وغير مباشرة بالفنون الاسلامية الشرقية تحققت من جديد بفضل ما كان للسعديين من علاقة بالاتراك ولعل بعض هذه الآثار تتجلى فى فن الطرز والنسيج والتجليد والتذهيب وكذلك فى بعض ازياء الرجال لاسيما منها العسكرية نظرا لتاثر امراء سعديين مثل عبد المالك الذى عاش فى تركيا ببعض مجالي الحياة فى هذه البلاد .

(113) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 392 .

(114) الاستقصا نقلا عن نزهة اليفرنى ج 2 ص 56 .

(115) يظهر ان مدينة فاس اعيد بنؤها ايام السعديين فى عام 1033 هـ انهارت معظم البنايات فقضى

على الباقي لاعادة بناء الكل (نشر المتانى للقادري ص 149) .

(116) تاريخ المغرب ج 2 ص 234 .

والتنميق فقدت بساطتها من جهة ولكنها ازدادت
فخفة ورواء من جهة أخرى (117) .

ومهما يكن فإن الفن المغربي الذي استنفد قواه
أصبح يبرز تحت عناصر قوية في النقش والزخرفة

2) العصر المملوكي

عقدين من السنين إلى الجولة في أقصى الأقاليم
التي جهزها بقلع يبلغ عددها ستا وسبعين في المغرب
وشمال الأطلس (120) .

وفي مكناس التي اختارها مولاي اسماعيل
عاصمة أقام قصورا فخمة داخل القسبة نفسها منها
مدينة الرياض التي لم يبق منها سوى باب الخميس
وقد سبق للموحدين أن جددوا بناء مكناسة المسماة
بتكرارات (أي المحلة) ثم بنى المرينيون قسبتها علاوة
على ما شيده بها من مساجد ومدارس وزوايا
وربط وعندما أراد المولى اسماعيل بناء الرياض
هدم ما يلي القسبة من الدور وبنى سورا على الجانب
الغربي وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده
في القسبة القديمة ولم يبق إمامه إلا القضاء فجعل
ذلك كله في قسبة وبنى سور المدينة وأفردها عن
القسبة جالبا الصنائع لذلك من جميع حواضر المغرب
وقبائله وكان قد سبق له أن أسس قصر النصر أيام
أخيه مولاي رشيد (121) وقد وصف الناصري قصور
مكناسة ومساجدها ومدارسها بأنها « فوق المعهود
بحيث تعجز عنه الدول » كما ذكر الزباني أنه شاهد
في آثار الدول أعظم من آثار هذا الأمير (122) ولا
يخفى ما في ذلك من إيغال بالرغم عما تتم عنه بعض
الآثار الباقية من روعة الأصيل (123) .

العنويون شرفاء حسنيون انحدروا إلى المغرب
من الجزيرة العربية وأول من دخل
منهم إلى تافيلالت مولاي حسن بن قاسم أواخر المائة
السابعة وقد قام محمد بن الشريف في سجناسة
عام 1045 هـ فبايعه الناس نظرا لزهادته
وتقواه وواصل كفاحه ضد بعض الأقاليم المستقلة
وعندما استتب الأمر للعلويين في عهد مولاي الرشيد
بدأ هذا الأمير يهتم بتجديد معالم الفن المريني
والسعدي بتعزيز الأجهزة العسكرية ومتابعة بناء
المعاهد والمدارس والمساجد وقد استطاع إقامة بعض
المؤسسات رغم قصر أمد إمارته المملوكي بالحروب ومن
ذلك بناؤه عام 1075 هـ بالأجر والجير في نهر
سبو وعلى بعد أربعة كيلومترات من فاس لقنطرة
طولها مائة وخمسون مترا مرفوعة على أعمدة تتخللها
ثمانية أقواس (ثلاثة منها إنما بناها سيدي محمد
بن عبد الله - الناصري - ج 4 ص 121) ثم تقوية
أسوار فاس البالي كما شرع عام 1081 هـ في بناء
مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز ولا تخلو هندسة
وتقوش هذه المدرسة من جمال إلا أن معالمها بعيدة عما
يتسم به الفن المريني من صفاء (118) .

واقوى أمير واعظم بناء في الأسرة العلوية هو
مولاي اسماعيل (119) الذي وجه عناية خاصة إلى
مكناس إلا أن مقتضيات التهذئة اضطرتة خلال

- (117) تاريخ المغرب ، كواسك دو شافر وبيير ، الفصل الخاص بالسعديين .
(118) تاريخ أفريقيا الشمالية لاندري جوليان ص 490 وقد استعيرت بهذه المدرسة عن مدرسة
اللبادين وهي تحتوي على عدة غرف ذات نوافذ .
(119) الهندسة المعمارية الإسلامية في المغرب - جورج مارسلي ص 383 وقد وهم مارسلي فذكر أن
مولاي اسماعيل هو ولد مولاي رشيد .
(120) راجع كتابي حول مظاهر الحضارة بالعربية والتيارات الكبرى لحضارة المغرب بالفرنسية
(ص 90) .
(121) الاستقصا ج 4 ص 3 .
(122) الاستقصا ج 4 ص 48 - 49 .
(123) في عام 1145 هـ أمر السلطان مولاي عبد الله بهدم مدينة الرياض (الزباني - الترجمان
المغرب عن دول المشرق والمغرب) ترجمة هوداس ص 71

استعانة السلطان بمهندس اوربي لتخطيط هذه
البنية .

وفى فاس الجديد يوجد المسجد الذى بناه
مولاي عبد الله نجل المولى اسماعيل اما مسجد باب
الكيسة (باب عجيبة من ابواب فاس البالي) فهو
حديث العهد وقد ادخلت عليه اصلاحات فى السنوات
الاخيرة .

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على
صحون - قليلة العدد - تخترق المسجد على نسق
ما عوهد فى فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا
باستثناء الفترة المرينية . اما فى الرباط فان جامع
السنة الواقع خارج مشور تواركة من بناء سيدي
محمد ابن عبد الله الذى اوصل الناصري الى نحو
السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد
فى كثير من مدن المغرب علاوة على الصقائل والابراج
والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن (انفسا
وفضالة والمنصورية والصويرة (125) .

وقد تجدد جامع السنة اواخر القرن الماضي ثم
فى السنين الاخيرة وكان يحتوي على ساحة تحتل
المقام الاول - مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا -
بين مساجد المغرب وتقوم فى جانبها الموازي للقبلة
ست عشرة غرفة كان يسكنها الطلبة الافريقيون
ويشبه هذا المسجد فى معالمة المعمارية الخاصة مسجد
لالة عودة بمكناس وقد تجدد بناؤه فأصبح اروغ
المساجد وابهاها فى المغرب .

اما فى الهندسة العسكرية فان العلويين ساروا
على غرار سلفهم السعديين فالولى اسماعيل اعظم من
اقام القلاع والحصون وتنقسم القصبات التى أسسها
الى ثلاثة انواع تبعاً للمراد منها حسب المؤرخ
طيراس (126) فهناك نقط محصنة حول القبائل
المتردة وسلسلة من القلاع فى تادلة واعلى الماوية
لصد قبائل الاطلس ثم سلسلة ثالثة من القلاع
أسست على طول الطرق الكبرى المتعدة بين تازة
وتارودانت وقد توفرت كل حامية على جمهرة من

وتقوم الى الآن وسط بقايا هذه القصور الدار
البيضاء التى بناها السلطان مولاي عبد الله والتى
رمت واحلت الى اكاديمية عسكرية وتوجد امام هذه
الدار ساحة فسيحة كانت تجري فيها تدريبات
الجيش واستعراضاته وكان السلطان يجلس مع
حاشيته اثناء حفلات الاستعراض او استقبال القواد
والولاة داخل رواق جميل (124) مرتفع ومتفتح فى
احدى زوايا هذا القصر .

وفى مراكش اقيمت دار المخزن بساحتها
المفروسة المعروفة بمعرضة النيل ومنازها وقتها
الكبرى المدعوة الستينية ومساكنها واروقتها العديدة
ومسجدها مع مختلف ملحقاتها المحادية لتصدر
البديع .

والباهية دار الوزير باحماد من اجمل واروع
قصور عاصمة الجنوب .

ومن المساجد التى يرجع تاريخها الى العهد
العلوي مسجد لالة عودة الواقع داخل القصر الملكي
بمكناس وقد فتحت بالقرب من المحراب باب متصل
بممر مستطيل يؤدي الى القصر الملكي ومن هذه
الخوخة كان السلطان يدخل بعد اداء فروضه الى
الستينية التى تقطنها الآن أسرة مولاي عبد الرحمن
ابن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ونقيبها سابقا وتقوم
بجوار هذا المسجد مدرسة ومراحيض جددت الاوقاف
معالمها بعهد الاستقلال .

وتدين العاصمة الاسماعيلية للمولى محمد بن
عبد الله بأعظم جوامعها وهو جامع الروى الذى اكد
مارسى أن مظاهر روعته وجمانه تتجلى فى تناسب
صحونه وبساطته وبتصميمه الذى عولجت فيه
العناصر التقليدية بروح اجنبية عن الفن الاسلامي
وبانعدام اي ممشى وبتناسق اجزاء الصحن الخارجي
الذى لا يحيط به اي رواق ثم وضعية الابواب
وتوزيعها الخاص المتأين للمعهد فى خوخ المساجد
المغربية مما يدل فى نظر المؤرخ الفرنسي على

(124) جورج مارسي - الهندسة المعمارية ص 397 .

(125) الاستقصا ج 4 ص 121 .

(126) تاريخ المغرب ج 2 ص 358

الفرسان تتراوح أفرادها بين اربعمائة وثلاثة آلاف رجل (127) .

ومن جملة القلاع المهمة التي ما زالت قائمة الى الآن قلعة ادخسان في الشعاب الشمالية للأطلس واكوراى (وهي التي احتفظت اكثر من غيرها بهندامها الاصلى) التي تراقب الأطلس الاوسط وقلاع تادلا وحميدوش (على مسافة ثلاثين كم من آسفي) وبو الاعوان (على بعد 60 كلم من أزموور) ومديونة (على مسافة 20 كم من الدار البيضاء) .

وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بأبراج مربعة الشكل او مستطيلة في احد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن والغالب ان القلعة لم يكن لها اكثر من سور واحد عدا قلعتي حميدوش وتادلة اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة .

وقد جهزت المدن كذلك بالصقائل والحصون (128) وانتشرت القلاع على ساحل المحيط الاطلسي بفضالة (المحمدية الآن) والبيضاء والعرائش وطنجة والصويرة وبالاخص الرباط حيث تشرف اعظم وأروع قصبة (قصبة الأوداية) على مصب ابي رقرق وتوجد بهذه المدينة ابراج ثلاثة اخرى هي برج الصراط وبرج صقالة (من بناء المهندس احمد الانجليزي في سنتي 1755 و 1776 م) في عهد سيدي محمد بن عبد الله وبرج الدار الحديث العهد (عام 1824 م) (129)

ومن بين العمارات الاستراتيجية العلوية القنطرة فوق نهر سبو على مسافة اربعة كيلومترات من فاس (وهي من بناء مولاي الرشيد) وقنطرة ام

الزبيع (بنيت ايام مولاي اسماعيل) والتي لا يقل طولها عن طول القنطرة الرشيدية مع عشرة اقواس من الحجر .

اما الدار المغربية فانها احتفظت بتصميمها وهندامها المعماري اللذين اصبحا المظهر التقليدي منذ نهاية العهد المريني اي منذ نحو من خمسة قرون فالباحة الداخلية التي تتصل بالخارج عن طريق ممر منمرج - يتناسب مع لوازم الحجاب العرفية - محاطة بأروقة مسقفة مستطينة تتفتح فيها غرف ذات أبواب ضخمة تطلوها شمسات مفرغة وتقوم على جانبها نافذتان متوازيتان وفي احد جوانب « وسط الدار » يوجد بهو منسق الجدران كباقي اجزاء المنزل علاوة على سقاية تواجه البهو احيانا او فسقية فوارة .

ويزى المؤرخ جورج مارسي ان الدور المغربية تتسم بمياسم ثلاثة او ترجع اى ثلاث مدارس :

(1) مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل

(2) مدرسة مكناس وفاس

(3) مدرسة مراكش ومدن او قرى الجنوب

فالتصميمات واحدة في هذه المدارس وانما يختلف الهيكل العام ومعالم الزينة تبعاً لهذه الاقاليم فالاسلوب الموحد يلف وجوده في المدن ذات الطابع الاندلسي حيث تحيط مثلاً الحنايا الحجرية بساحة الدار الوسطى (130) وهذه الطريقة الهندسية مقتبسة من الاندلس .

(127) ذكر الزياني في الترجمان (ترجمة هوداس ص 35) ان عدد فرسان كل قلعة كان يبلغ مائة على رأسهم قائد مسؤول عما يقع في اقليمه من احوادث وكان في قلعة باب الخميس حامية تتركب من خمسمائة فارس من شراكة كلفوا بالسهر على الامن في الطريق الواقعة بين السائس والمهدومة (وادي المهدومة من فروع سبو)

(128) كان عدد المدن في العهد العلوي مائتين وخمسين مدينة لا تحتوي اصغرها على اقل من ثلاثين الفا من السكان وكان بفاس ستة عشر مائة الف نسمة (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب - دوفونطان ماكسانج ص 14) هذا بينما كان عدد كبريات الحواضر في الاندلس يبلغ العشرين حسب ابن سعيد والمدن الوسطى ثلاثمائة مع عدد ضخم لا يحصى من المراكز الصغرى من بينها اثنا عشر الفا على ضفتي الوادي الكبير وحده (نفع الطيب ج 1 ص 106) .

(129) تويريخ الرباط لكايي ص 30 .

(130) هذا الاسلوب يلف حتى بفاس التي يسود دورها الطابع المريني وتلاحظ كذلك تأثيرات اوربية في هذه المدن اذ لا ننسى مثلاً ان السويد والدانمارك كانتا تمدان السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمهندسين وصناع في فن البناء (كودار ج 2 ص 564)

وفى بعض المدن كفاس حيث تسيطر التقاليد المرينية تحتوي الدار على طبقتين او طبقات تتوفر فيها مظاهر الزخرفة بينما يتبسط هذا الاسلوب فى مدن الشمال الاخرى كوازان وتازة (باستثناء تطوان الاندلسية الهندام)

وسواء فى الجنوب ام فى الشمال فان الطوب والاجر يتعارضان مع الاحجار غير المنحوتة والمكلسة فى الرباط وسلا ويتجلى ذلك فى نضاعة البياض فى هذين المدينتين بالنسبة لمراكش الحمراء غير ان معظم الدور الكبرى كانت تحتوى على روض يشغل جناحا خاصا باروقته وغرفته وظلت بعض المدن متمسكة بهذه التقاليد الرومانية او الاندلسية ففى تطوان مثلا يملك الاثرياء مصطافات « وجنات » تقض حقة من فصلي الصيف او الربيع ولم تكن اثمان العقارات مرتفعة بالبادية فالهكتار الواحد من الحدائق المفروسة كان يساوي آخر القرن الماضي بطنجة مائتي فرنك بينما كانت قيمة الفدادين (من 7 و 8 هكتارات) لا تزيد على مائة فرنك اما فى الداخل فكان فى وسع المرء ان يصبح ملاكا بمائتي او ثلاثمائة فرنك (131) . وقد تصلى ذوق الملوك فى غراسات بعض الضيع كالمنازة بمراكش ولالة مينة بفاس وجمرية بمكناس واكدال بالرباط .

ويعيش المغرب الآن حالة على روائع الماضي فكبريات المدن فقدت كثيرا من مظاهرها الفنية الكلاسيكية ومدينة فاس التى كانت تنافس حاضرة بغداد قد تهدم الكثير من آثارها وقد وصف كامبو هذه المعالم عام 1886 م فلاحظ فى نعمة المتشائم ان الحالة المادية بالمغرب لا تزال على ما كانت عليه فى القرن الثالث عشر الميلادي مع انحلال فى عناصرها اذ كل شيء بال عتيق منحور فى معظمه لانعدام ابي اصلاح (133) الا ان مصلحة الآثار تبذل الآن جهودا لترميم الآثار التاريخية التى يهددها الحدثنان مع محاولة الاحتفاظ بالاساليب الكلاسيكية فى الفن المغربي بلاضافة الى حركة التجديد التى تساير التطور العالمى وقد لخص الاستاذ طيراس مجالس الفن الاندلسي المغربي فى العهد العلوي بعد مرور اربعة قرون على سقوط غرناطة فلاحظ ان الاشكال والرسوم المعمارية تحجرت لاسيما فى المساجد الكبرى

والقصور حيث تطبعها الآن « وحدة قوية » اما فى الدور والاضرحة والمساجد الصفري فالمحوظ هو وجود اتجاهات اخرى لا يتردد طيراس فى اعتبارها « مدارس حقيقية » ويلوح لي أن الامر لا يعدو نوعا من التحجر المحلى بحيث تبلورت بعض الاساليب الكلاسيكية الغالبة فى هذا الاقليم او ذلك بنوع من التبادل بين الجهات المختلفة لم ينصهر على اثره الفن فى بوتقة واحدة فقد استمرت التقاليد المرينية بفاس (وكذلك فى مكناس رغم الفترة الانتقالية العابرة ايام مولاي اسماعيل) وهكذا فالمسحة بل الشكلية الموحدة (الحجر بدل الاجر مثلا) المسيطرة بالرباط مدينة المنصور وبمراكش عاصمة بني عيد المومن لا تسمح لنا بالحديث عن مدارس معمارية مختلفة فضلا عن وجود انقسام بين الاتجاهات الفنية التى ترجع فى نظري الى عوامل اجتماعية تاريخية هي نفسها مستديمة التقاب ولعل هذا هو الذى يفسر لنا مظهر التجانس بين اجزاء الهيكل المعماري العام فى حواضر المغرب فالدور الانيقة لا يختلف كثيرا بعضها عن بعض من حيث الشكل واسلوب الزخرفة ذلك ان وفرة الجزئيات والزخارف المرينية من جهة وبساطة نقوش المآثر الموحدة مع صفائها وفخامتها من جهة اخرى لم يعد لهما حيز اقليمي خاص لاسيما فى العصور الاخيرة حيث تحقق بين الحواضر الكبرى (كفاس والرباط ومراكش) تداخل عميق اسفر عن وجهات متساوقة وحيوية فياضة هي فى نظري سر هذا الطابع العام الموسوم بالوحدة ولكن هذه البوتقة لا تلبث ان تصبح وعاء لانصهار العناصر المختلفة فى فن جديد تتسق فيه معطيات العصور وتنبثق عن مزيج كلاسيكي وعصري

فهل من مصلحة هذه المعالم ان تتحد ؟ ام ان سر جاذبيتها كامن فى اختلاف معالمها ؟ ام ان استمرار اصالتها لا يبد ان يرتكز على نوع من الامتزاج ؟

الواقع ان الهندسة والاساليب المهنية البربرية العتيقة التى يظهر انها تحجرت فى البادية والجبال يجب ان تنتعش بمعطيات الفن فى الحواضر ولكن دون مساس باصالتها ويجب ان ينبثق كل تجديد عن حاسة عريقة بالجمال وشعور تلقائي بدافع التكيف

(131) كودار ج 1 ص 190 .

(132) حضارة العرب - كوستاف لوبون ص 263 (الطبعة الفرنسية)

(133) كتاب «مملكة تنهار او المغرب الحديث» ص 19 .

لا تذوب معه الخواص الجهوية التي هي اسس كل اصالة .

ولنضرب مثلا بروعة المآثر العلوية في حاضرة المغرب السياسية : رباط الفتح ، فقد دشّن المولى اسماعيل الانطلاقة المعمارية الرائعة باقامة مدينة الرياض بمكناس التي بلغ طول اسوارها اربعين كيلومترا واحتوت على قصور فخمة ومخازن واهراء واسطبلات ومساجد وقد شبهها البعض بمدينة فرساي الفرنسية من حيث الضخامة والروعة .

ويظهر ان اهتمام كل من مولاي رشيد ومولاي اسماعيل انصب خاصة في الفترة العسكرية الاولى على قصة الاودية التي لم تكن لتخفى عليهما قيمتها الاستراتيجية فقد وسع المولى الرشيد هذه القلعة باقامة السور المحيط بحديقة متحف الاودية على طول مساحة سوق الفزل كما ادخل تعديلات على البرج الشرقي للقصبة وبنى قصرا جديدا سمي بعد بالقلعة (اي الثكنة العسكرية) وهو النسجن الحالي يصله بالقصبة جدار كبير (134) حسب مويّت Mouette الذي لاحظ ان هذا الجدار الذي كان يدعمه برجان اثنان قد اقيم على حنايا بينما اوضح القنصل الفرنسي شينيبي (135) Chénier ان هذا الجدار كان عبارة عن طريق مغطاة ويظهر ان الوضع الذي شاهده القنصل الفرنسي راجع الى تعديلات لاحقة طرأت على هذا المعسر .

اما السلطان مولاي اسماعيل فان اهتمامه ببناء القلاع والحصون في طول المغرب وعرضه قد حدها الى مزيد من العناية بقصبة الاودية لاسيما وان استمرار القرصنة جعل من هذه مركزا بحريا من اهم المراكز الاستراتيجية ومعنوم ان هذا السلطان تنازل عن الحقوق الملكية في نهر ابي رقراق واوقف ارباع صيد الشابل على مساجد العدوتين كما رمم جوانب من سور القصبة وجدد - حسب مويّت - بناء بعض

الابراج المطلة على الوادي ، واقام البناية التي تضم الان المتحف والتي قيل عنها انها كانت مدرسة .

وقد ترك لنا رحالون غربيون تواردوا على المغرب في القرون الاخيرة صورا وخرائط وتصميمات عدلنا عن الاستناد اليها لتناقضها مقتصرين على بعض النصوص التاريخية القائلة مثلا بان المراكب المسيحية كانت تلقي مراساتها تجاه القلعة التي كانت ترابط بهافي العهد الرشيدي حامية مؤلفة من ثلاثمائة جندي اضيف اليهم العبيد ايام المولى اسماعيل الذي اكتفى بهم في آخر الامر وكانت القصبة آنذاك تصوب فوهات مدافعها الى رباط الاندلسيين كما توجه بطارياتها تجاه البحر لصد غارات المراكب الاوربية على ان القصبة نفسها كانت تخضع لمراقبة قصر مولاي رشيد الجديد المشرف عليها ، وكانت باب من خشب تقفل المدخل الاساسي للقصبة التي توافرت في جنباتها المساكن والاصطبلات والمخازن حول القصر الموحدى المقابل للجامع العتيق بسراييه المشحونة بالعتاد بمنأى من قنابل العدو فكانت القصبة كناية عن حاضرة صغيرة يتعقد تحت جدرانها سوق النخاسة للاسرى .

وعند انبثاق عهد السلطان محمد بن عبد الله دعت الحاجة الى تنظيم الادارة وتعزيز الثغور وتجديد الاسطول وتشجيع القرصنة والتجارة فاسهمت حاضرة الرباط بحظ وافر في هذه البادرات وكان السلطان يتوفر - حسب شينيبي (136) - على ستين مهراسا ومائتين من المدافع معظمها في الرباط والصويرة وهو عدد ضخم بالنسبة للعصر ، وقد قام السلطان بدعم القصبة من جديد وترميم ما تهدم منها وبناء برج كبير يسمى صقالة على يد احد الاعلاج الانجليز مغززا ببطاريات تحرس الساحل على طول المسبح وبرج الصراط والفي المر المغطى بين القصبة والقصر الجديد ، كما هدم القصر الموحدى الذي احتفظ الى ذلك العهد بجميع مقومات الراحة وكان السلطان قد اسس خزينة (بيت المال) لاداء اجور الجند في

(134) مذكرات الاسر (ص 19)

Relation de la captivité de sieur Mouette dans les Royaumes de Fès et de Maroc, Paris 1683 p. 19.

(135)

Recherches historiques sur les Maures et Histoire de l'Empire du Maroc, 3 vol. Paris, 1787 (T. 3, p. 27-359).

(136) نفس المصدر ج 3 ص 237 .

جميع مراسي المحيط الاطلنطيكي ، وكانت خزينة الرباط قائمة في غرف باب القصبية ويظهر ان الباب الثانية للقصبية استت في هذه الفترة لان الخطر اصبح محصورا في جهة البحر حيث ازدهرت القرصنة ضد اساطيل العدو .

وقد عمل السلطان سيدي محمد على اقامة صرح مدينة جديدة في اكدال بالمشور الحالي وأسس دار المخزن وجامع السنة وجامع اهل فاس وهو اول عمل معماري عرفته الرباط منذ يعقوب المنصور الا ان الحاضرة العلوية تجاوزت آنذاك السور الاندلسي واستحالت الى حضرة سلطانية وقد اكد الناصري في الاستقصا ان اكدال ازدان آنذاك بسة مساجد علاوة على جامعي السنة واهل فاس الا ان المدينة ما لبثت ان فقدت من قيمتها في عهد مولاي اليزيد ، وقد عمل السلطان المولى سليمان على توسيع معالم المدينة ببناء قصر القبيبات « دار البحر » (الذي يوجد فيه الآن المستشفى العسكري) وجامع مولاي سليمان (بين البويبية والسويقة) وجامع الجزارين (بشارع القناصل) وجامع القببة (بحمام العلو) وجدد باب شالة في السور الاندلسي وكذلك باب الحد بينما أهمل القصبية كل الاهمال ومع ذلك فقد اصحت الرباط مثل فاس ومكناس حضرة من حضرات السلطنة لاسيما في ايام المولى عبد الرحمن الذي اصبح قناصلة الدول يقدمون له بالرباط اوراق اعتمادهم الا ان هذا السلطان لم يضيف الى المدينة مآثر جديدة اذا استثنينا جامع سيدي فاتح وبعض الابراج والدور الجميلة وسنط جنان وحدائق غناء زرعت خارج السور ، وقد اصبح الملوك العالويون المتأخرون وخاصة سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الاول يواصلون المقام بالرباط، وقام السلطان محمد الرابع بتغيير وجه جانب من الحاضرة بما أحدثه من بنايات اهمها القصر الجديد في اكدال على انقاض القديم وهو القصر الملكي الحالي مع سور المشور المحيط بتواركة (اي ساحة البلاط السلطاني) علاوة على تجديد معالم جامعي السنة واهل فاس وايصال قنوات عين غبولة الى دار المخزن على قناطر معلقة لم تعد مستعملة منذ عقود من السنين وبذلك احيا محمد الرابع الحضرة

السلطانية التي أسسها خلفه الكريم محمد الثالث ، وقد صادفت بيعة الحسن الاول تاجح اطماع الاوربيين ودسائهم بالاضافة الى مخلفات ورواسب حربي اسلي وتطوان فاتجه الملك الشجاع الذي كان عرشه على صهوة جواده الى تعزيز الامن والنظام ودعم الثغور مع العمل على ترميم ما لحقه الخال من مؤسسات الرباط وخاصة الجامع الكبير وقصري اكدال والقيبات ولم يكد يبيزغ فجر القرن العشرين حتى اصحت الرباط مدينة حضرية بيورجوازيتها الثرية وتقاليدها التي اضىف عليها جوار القصر الملكي طابعا من الروعة والمهابة بالاضافة الى ما تستلزمه جودة المناخ من رعد وازدهار حدبا الجالية الاوربية الى الاستيطان على ضفاف ابي رقراق وخلق نوع جديد من التبادل الفكري والحضاري الذي تبلور مع الزمان في اروع مظاهره حتى قال بعض المؤرخين الاجانب ان الرباط امست « مفتاح المغرب » (137)

اما السور الرشيدى فانه يحاويه حديقة الاودية وساحة سوق الفزل على طول 131,6 م وقد أسسه بأمر من مولاي الرشيد قائد العدوتين احمد الريفي ضمن مجموع سدس الزوايا والاضلاع يضم المتحف والحديقة وتخرقه اربعة ابواب معززة ببرجين من الطابية ومن مميزات هذه الابراج الرشيدية التي خالف فيها شكلية التحصينات الاندلسية المغربية ان ما يسمى بالسجف او البدنة (وهو جدار الحصن القائم بين برجين) بارز بالنسبة للسور ظاهرا وباطنا اي سواء من جهة الساحة ام الحديقة وقد نقشت على جانب من البرج خمسة رسوم تمثل المراكب بصواريخها واشرعتها ومجاذيفها الاثني عشر في كلتا الجهتين وهذه النقوش اشبه بالرسوم المنحوتة على ابواب السور الموحدى بالرباط او في شالة ومهدية وباب المريسة (بسلا) وحصن تازا ومكناس وزرهون .

ويقع المتحف في الجهة الغربية من الحديقة ، وقد أسس في عهد مولاي اسماعيل (كما تشهد بذلك الكتابة المنقوشة على الخشب في ساحة المتحف (138) وتزدان خزائنه بنسخة من القرآن

Archives du Protectorat - Consulat général de France à Tanger (« Dépêche », 1887) (137)

(138) يقول مؤرخ سلا محمد بن محمد بن علي الدكالي ان نجل السلطان مولاي احمد الذهبي سكن في المتحف عندما كان ينوب عن والده في العدوتين .

كان قد حلى تجليدها بتمويهات الذهب الخليفة
الموحدي عمر المرتضى عندما كان واليا على القسبة
قبل اعتلائه العرش ويحتوي المتحف على ساحة
مركزية على غرار ساحات الدور الكبرى وغرف
مستطيلة تمتد على الجوانب الأربعة مع مخادع
صغرى وبرج في الركن الجنوبي من خمس طبقات
وثلاث ملحقات وهي مسجد وحمام (139) وقاعات
صغرى وتسد الإبهاء الأربعة خمس حنايا بأقواسها
المكسورة والحدوية وقد اطلق اسم مدرسة على هذا
المتحف في آخر عهد الحسن الأول إلا أن تصميمها
لا ينطوي على بيوت للطلبة إذا اعتبرنا أن المدرسة
كانت منذ العصور الأولى عبارة عن حي جامعي مصغر
الهم إلا إذا كان ملوكنا الأمجاد قد استفلوا قرب
هذه البناية من المرسى لاحتها إلى معهد
للملاحة (140) بعد أن كانت مجرد دار ملكية
للسكنى محاطة بحديقة ومسجد وحمام .

وكان السور العلوي الخارجي ينطلق من
شاطئ المحيط الأطلنطي في نقطة تبعد بالف
وستمائة متر في الطرف الشمالي للسور الموحدى
وينقسم هذا السور إلى شقين يبلغ طول أحدهما
3 200 م ويصل إلى الكدال بعد مايقطع شارع تماره
وشارع النصر إلى باب مراكش التي ما زالت قائمة
إلى الآن بالقرب من السكك الحديدية (خلف حديقة
التجارب) أما الشق الثاني فإنه يتصل مباشرة
بالسور الموحدى ويبلغ طوله ألفا ومائة متر ، وقد
فتحت في السور أربعة أبواب (باب القبيبات في
جهة البحر (أو باب الدار أيضا) وباب تماره في
الشارع الذى يحمل هذا الاسم أو باب تامسنا ،
وباب مراكش (أو باب الجديد أو باب الجاز أو باب
المدير البراني) وباب المصلى (لقربها من المصلى
الحالي) وهكذا يمكن القول بأن السور العلوى بلغ
طوله أربعة كيلومترات وثلاثمائة متر وكانت المساحة
التي تفصل المحيط عن الصور الموحدى أربعمائة
وواحدا وعشرين هكتارا بينما كان مجموع المساحة

- بادراج المدينة العتيقة - يزيد على ثمانمائة
وأربعين هكتارا أي الضعف ولا نعرف بالضبط تاريخ
بناء هذا السور نظرا لسكوت المصادر المغربية ككتب
الزياني والضعيف والناصرى عن ذلك عدا مؤرخ
سلا الفقيه ابن علي الدكالي الذى ذكر أن بانيه هو
السلطان محمد الرابع (141) وقد هدم هذا السور
أبان الحماية لتسهيل عمارة المدينة الأوربية ويظهر أن
هذا السور لم يكن يحتوي على طريق معلقة ولا على
نقرات للرمية .

وهناك بنايات أقامها الملوك العنويون الامجاد
في السور الموحدى مثل برج لالة قضية قرب باب
البحر التي كانت الفلك (المراكب) تنقل إليها الناس
من سلا إلى الرباط عندما كان ماء النهر يبلغ في مده
هذا الجدار العلوى إلا أن أرصفة جديدة أسست منذ
نصف قرن فصارت تحجز مياه الوادي وقد أقيمت
عليها مخازن الديوانة وأماكن لارساء السفن الصغرى
ومستودعات ملاحية مختلفة .

المشور : وبشكل المشور (أي ساحة القصر
الملكي) مربعا تبلغ مساحته تسعة وأربعين هكتارا وهو
يحتوي الآن بالإضافة إلى القصر الملكي المذكور على
ضريح الحسن الأول الذي يضم جدث السلطان سيدي
محمد بن عبد الله قدس الله روحه وجثمان جلاله
الملك المرحوم محمد بن يوسف (الذى نقل الآن إلى
حسان)، كما يضم جامع أهل فاس والمجلس الأعلى للقضاء
(الذى كان معهدا تلقى فيه جلاله الحسن الثاني نصره الله
دروسه في السلكين الابتدائي والثانوي قبل الالتحاق
بالعالي) ووزارة الدفاع ووزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية وملعب الفروسية والمطبعة الملكية ومسكن
الحرس الملكي التي أحييت إلى دور عصرية بعد أن
كانت عبارة عن « نوايل » أو أخصاص قصديرية
وأصبح المشور في هندامه الجديد بحدائقه الفناء
وفواراته النافورية وأضوائه اللامعة وأرصفته المبلطة
صورة حية للمجهود الذى بذله العرش المغربي بعد
الاستقلال في مجالات التخطيط والعمران .

(139) الحق بالمتحف عام 1941 .

- (140) اشارت إلى ذلك مصادر اجنبية وخاصة كتاب «الرباط وناحيته» الذى نشرته البعثة العلمية
الفرنسية في أربعة مجلدات عام 1918 بباريس (ج 1 ص 151) .
141) يلاحظ كايبي في تاريخ الرباط أن ذلك غلط لان سيدي محمد بن عبد الرحمن هذا لم يعتل
العرش إلا عام 1859 م فى حين أن Beaumier نائب قنصل فرنسا بالرباط تحدث
منذ عام 1856 عما سماه بالسور الثاني للرباط ولعل كايبي وأهم فى ذلك على ما يلوح لنا
لانه ربما كان المقصود بالسور الثاني هو سور الاندلسيين وهو اقرب إلى الاحتمال .

وينطبق سور المشور غربا وجنوبا على السور الموحدى بينما اضيفت لاستكمال تريعه الجانبان الشمالي والشرقى وقد بنيت البابين الاساسيان فى العهد المحمدي وصارتا تحملان اسم « باب السفراء » و « باب القيادة العليا » وتدل الكتابات المنقوشة عليهما أن احدهما من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن (عام 1283) والاخرى من بناء ولده محمد الرابع مما يدل على أن السور يرجع عهده الى هذا التاريخ . ويبلغ طوله 1373 م كما تزدان ابوابه بحنايا مشرعة رائعة بنواتها الخفيفة وعقودها الركنية ومصاريمها الخشبية الثقيلة وتحصيناتها .

اما التجديدات والترميمات التى قام بها الملوك العلويون بالنسبة للسور الاندلسي فانها مستوحاة من تطور الحاجيات ولوازم الحضارة فمن ذلك باب تسمى « تقويسة الراعى » (كانت بجانب الحجرة التى يحمل اليها الرعاة الفتم والبقر) التى تحمل كتابات يرجع صنعها الى السلطان محمد بن عبد الله عام 1193 بينما توجد باب اخرى متصلة بشارع الجزاء تعرف بتقويسة الطرافة (اي باب الاسكافيين او مصلحي الاحذية) وتدل الكتابات المنقوشة عليها انها جددت فى عهد السلطان مولاي عبد العزيز عام 1315 هـ اما باب شائلة المؤدية الى الجامع الكبير (تسمى ايضا باب سيدي علي بورحى وهو الولي المدفون بلزائها) فقد جدها المولى سليمان فى 16 جمادى الثانية عام 1228 (كما فى النقش) (142) .

وكانت مدينة الرباط تضم بين جنباتها ازيد من خمسين مسجدا وزاوية فى اوائل هذا القرن ، وقد أسس معظمها فى العهد العلوي اهمها جامع السنة وجامع أهل فاس وجامع أهل سوس وجامع أهل مراكش وكلها من بنىء السلطان الامجد محمد بن عبد الله علاوة على ستة مساجد اخرى تهدمت مع ما تهدم فى اكدال (143) وسنستعرض على التوالي المظاهر المعمارية فى ثلاثة من هذه المساجد هي جامع السنة وجامع أهل فاس وجامع ملين .

اما جامع السنة فقد اقيم بالجامع الغربى والطرف الشمالي الخارجى لمشور تواركة قرب لىسى مولاي يوسف الحالى وقد اكّد الضعيف ان بناءه تم فى جمادى 1199 هـ (مارس 1785 م) على يد الملك الهمام محمد بن عبد الله الذى انفق عليه أموالا طائلة ، ويظهر انه ظل منذ تأسيسه نحو من عشرين سنة خاليا لبعده عن المدينة وقلة السكان حوله مما حدا للسلطان مولاي سليمان الى نقل اخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي ابن يوسف الذى انمحت آثاره الآن بمراكش (144) وكان بجانب المدرسة التى تحمل نفس الاسم ، وقد قام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتجديد بناء جامع السنة الذى أصبحت الصلوات الخمس تقام فيه بانتظام مع خطب الجمعة وذلك بعد ما بادر الى زيادة تعمير حى تواركة بعبيد البخاري واهل سوس ثم اقامة دار المخزن والمشور السعيد ولم تزد الترميمات الجديدة على دعم صحن الصلاة بروافد خارجية دون تعديل التخطيط الاصلي للجامع مع اضافة جناح وباب جديدين خلف القصوره وربما ايضا دار للوضوء قرب الصومعة ومخدع مستطيل وراء المحراب يرجع تاريخه الى عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1325 - 1907) . واول ما بيده الزائر للجامع السنة مساحته الشاسعة وتناسق اجزائه وبساطته ، واذا اعتبرنا تخطيطه الاصلي فان المساحة تكون عبارة عن مربع كامل (70ر74 م فى 50ر74 م) اي 5565 متر مربع ، وهذا الجامع من اكبر مساجد المغرب ولا يفوقه فى الضخامة عدا جامع حسان (25 523 متر مربع) وجامع القرويين (6 300 متر مربع) بينما تزيد مساحته على مساحات جامع القصبه بمراكش (5 512 متر مربع) وجامع الروى بمكناس (حوالي 4 930 متر مربع) وجامع الاندنس بفاس (نحو 4 760 متر مربع) والجامع الكبير بالرباط (نحو 2000 متر مربع) واذا كان شكله المربع عاديا بالنسبة للمساجد الصغرى فانه نادر اذا نظرنا الى الجوامع والمساجد الكبرى . وكان للجامع ثلاثة صحنون معترضة مفصولة بعضها عن بعض بخمس عشرة حنية فى الاتجاه الشمالي

(142) ويؤكد الضعيف هذا التاريخ (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص 499)

(143) كما ورد فى الاستقصا وفى البستان لابي القاسم الزباني (ص 173 من مخطوط مكتبة ابن زيدان) وفى تاريخ الرباط للضعيف .

(144) كايىسى - تاريخ الرباط ص 458

الصحون الداخلية أقواس مكسورة حدوية (أي على شكل نعل الفرس) واسعة ذات مركزين يبلغ علوها أزيد من خمسة أمتار وانفتاحها ثلاثة أمتار ونصف متر أي تسعة أضعاف البعد الذي يفصل المركزين وتقضي التقاليد المعمارية في المغرب بأن تكون هذه الأقواس مأطورة ضمن مربع مستطيل ومشعر (أي يرتفع عقد قبتة فوق القوس التام أو النصف الدائري) وارتفاع هذه الحنايا هو الذي يضمني نوعا من الرشاقة على البنية التي تتسم بسبب امتداد الصحون (71ر7 مترا) بشيء غير قليل من الضخامة والجلال يزيدا بساطة وروعة خلوقية الحراب المثمنة الشكل من العقود الركنية ومن القربصات اللهم الا تلك القولية الخلاية التي تمتاز بها العضادات التقليدية الجامعة بين الزينة المقررة والخيوط المشبكة ولا ينفذ النور الى الصحون الا من خلال الحنايا المفتوحة على الساحة الخارجية المنتظمة الهندام التي كانت مساحتها تبلغ 72 مترا عرضا في 42ر7 م عمقا قبل التوسيعات الملحقة آخر القرن الماضي والتي جعلت منها باحة مربعة (72 م في 73ر77 م) وتتوسط ساحة الجامع فسقية من الرخام الابيض تحملها دعامة مرمية ضمن مربع من الزليج المصري تفور من جانبها مياه غبولة وتقوم بين الصومعة والسرواق المربع (الزاوية التجانية) على طول الجدار الشمالي الغربي اربع بنايات تحيط بأبواب الواجهة وتبلغ كل واحدة منها 4ر75 م عمقا و 12 الى 14 م عرضا وتحتوي كل بناية على أربع غرف كانت مأوى للطلبة الذين أنزلهم السلطان محمد بن عبد الله (145) بالجامع وامدهم على ممر الايام بالثبوتة اللازمة تمييزا للجامع وتشجيجا لحملة العلم .

اما الصومعة فقد ظلت في شكلها الاصيل ومكانها الاول الى ان تقلت بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الى الركن المقابل حيث كان رواق التجانيين وذلك لتكون في سمت شارع محمد الخامس ، وكان علو المنارة يبلغ 25ر24 م أي ستة أضعاف القاعدة المربعة التي لا تتجاوز اضلاعها ستة أمتار أما الصاري الواقع تحت الجامور فان قسمه المربع يبلغ كل ضلع منه 3ر75 م وعلوه 6ر41 م ، وقد فتحت نافذة في كل ضلع ويحتوي الجامور على ثلاث كور من الخزف الاخضر المبرنث .

الشرقي والجنوب الغربي كما هو الشأن في جميع مساجد المعهد العلوي وخاصة في جامع الروى ولالة هودة (مكناس) وجامع مولاي سليمان (الرباط) وجامع الرصيف (فاس) وهو اتجاه مقتبس من الهندسة المعمارية التي عرفت منذ القرون الاولى في كل من جامع القرويين وجامع الاندلس بفاس ولعل الاتجاه الملحوظ في عهد العلويين يعكس الخلاف القائم بين الفقهاء حول مفهوم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبله » والذي قرر العلماء المتأخرون انه خاص بموقع المدينة النورة خلافا لما ارتآه الظاهرية في عهد الموحدين وان المفهوم الصحيح لهذا الاتجاه بالنسبة للمغرب هو « ما بين الشمال والجنوب » .

اما ساحة الجامع فان شكلها حرد (أي بعضها أطول من بعض وغير متساوية في الطول) وهي أوسع من الصحن وتحتوي في طول الجدار الشمالي الغربي على سلسلة غرف (كان الطلبة يسكنون بها) ورواق مربع (استخدم كزاوية تجانية داخل الجامع) تقابله الصومعة في الطرف الآخر الملاصق لدار الوضوء ، وكان المصلون ينفذون الى الجامع من خمسة ابواب (ثلاث منها في واجهة المسجد) علاوة على الباب السادس المضاف وراء الحراب .

وقد بنيت معظم جدران الجامع من الملاط القوي القليل الكلس والمخلوط بشظايا القرميد والأجر اما هياكل الابواب فانها من الحجر المنحوت المغطى بطبقة كثيفة من الجير بينما بنيت الاساطين الداخلية المربعة بالأجر وكذلك الحنايا والأقواس ويتجلى الحراب في شكل هرم ذي خمسة رفارف أو ذبول وتغطي سقف جملونية من البرشلة ذات منحدرات اربعة صحون المسجد الواسعة التي يبلغ طولها واحدا وسبعين مترا وعرضها سبعة أمتار وتعتمد أربطة الجملون (وهي خشبات تصل كل واحدة منها طرفي الجملون ، وتباعد بينهما) في أطرافها على مساند ناتئة مفروزة في الجدران وتزدوج هذه الأربطة فوق الأقواس الا ان المجموع يخلو من طابع الرشاقة الذي عمل السلطان محمد الرابع على اضافته على الجامع عندما اضاف الى الصحن أروقة جديدة وابهاء باساطينها الضخمة الاربع عشرة التي تصلها حنايا مكسورة ومفتوحة من الحجر المنحوت تقابلها في

(145) تاريخ الرباط للضميف (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص 444)

وكانت الزخرفة بسيطة فالسوارى مجردة من التيجان كما أن الأقواس عارية من كل نقش ولا يوجد الخشب المنحوت إلا فى الباب الشارع من جدار القبلة وهي باب ذات حنية مكسورة ومشرفة مفصصة الزينة على غرار القويسات المطرزة فى اطراف الثوب وهذه المفصصات مرسومة فى شكل ثلاثة اشطرة دقيقة متداخلة وتحتوي الالواح المأطورة على صور نباتية ملتفة محلاة بالافنان والورق ضمن طيقان زخرفية مقوسة نافذة تتوسطها زهرة رائعة المنظر فى الوانها الزاهية من ابيض واخضر واحمر فى خلفية زرقاء تبرز المجموع فى حلة قشبية يتكاثف سعتها وبراعمها وانوارها وكؤوسها وتخاريمها وهذه الالوان الرائقة والرسوم المتشابكة مظهر من التراث الاندلسي المغربي الذى تزوج على مر العصور مع معطيات الفن الشرقي وخاصة السوري والمصري بفسيفسائه الزهرية وانتظام اجزائه ووضاءة جنباته ، ويمتاز المحراب الى جانب ذلك بالتحوت على الجبس وتراكب الاقواس والكتابات الكوفية والحنايا المقلدة وقبة قد رسمت عليها نجمة ذات تفاريع تتوسطها قببة منجمة وهي زخرفة حديثة من معطيات فن القرن العشرين، تزيدها روعة ما تمتاز به من قولبة هندسية رقيقة وانتظام فى التخطيط وجمال فى الهيكل .

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - بامر من جلالة الحسن الثانى ايداه الله - بتجديد هيكل جامع السنة فنقلت عام (1969) مناراته من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد ، وكان ذلك عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن المغربي الاندلسي بطابعه الخاص الذى اندرست معالمه فى الوطن العربي كما تجددت سقفوف الصحن والبلاطات وازدانت مختلف الازوقة بنقوش خلاصة وبرزت براعة الصانع المغربي فى النحت على النحاس الاصفر اللامع الذى لبست به ابواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير فى تاريخ الفن بالمغرب فكانت هذه المظاهر وكثير من اشباهها فى اجزاء هذا التجديد ضورا حية لعمق المكاسب الاندلسية والشرقية الاسلامية فى حضارتنا الحديثة التى تضم الى رواء الجمال المصري جلال الفن التقليدي ، وقد اصبحت الصومعة الجديدة شامخة فى هيكلها الضخم يراها الناظر وقد اطلت فى سمت هندسي محكم على اكبر شارع فى العاصمة هو شارع محمد الخامس رمز النهضة المغربية الحديثة ورائد الفكر الحضاري والاسلامي الجديد فى المغرب العربي .

وجامع اهل فاس هو جامع المشور الذى اكده الضعيف انه من مآثر السلطان الامجد المولى محمد ابن عبد الله. الا ان بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد خالي الوفاض الى ان جاء السلطان الاكرم محمد الثالث (محمد بن عبد الرحمن) فجدد بناءه وموه سقفه بالذهب والبرقشة ثم توالى التعديلات عليه وخاصة فى عهد جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله تراه الذى افرغ فيه اروع مجالي الفن المعماري الجديد نقشا ونحتا وتبليطا وقربصا وتزليجا . ولا يزال جامع الخطبة الملكية السامية يقصده الشعب من كل فج للتملي بطلمة ملك المغرب الهمام الحسن الثانى نصره الله .

ويقع جامع ملين قرب الحديقة التى عرفت فى عهد الحماية بحديقة المنظر المثلث Triangle de vue ولا تكاد تعرف شيئا يذكر عن هذا المسجد الذى ينسب بناؤه الى احد افراد عائلة اندلسية هي عائلة ملين فى اوائل العهد العاوي وان كان من الصعب التسليم بذلك بسبب سكوت المصادر التاريخية والرحالين العرب والاجانب الذين وصفوا الحدائق والجنان فى المساحات الشاسعة الخالية بين السورين الاندلسي والموحدي دون الاشارة الى هذا المسجد الذى قد تهدمت اليوم معالمه من سقف وحنايا واساطين عدا منارته التى ما زالت قائمة الى الان والتى يبلغ علوها ستة عشر مترا (اي ثلاثة اضعاف ونصف عرضها) ولا يزال الهيكل الاصلى واضحا فى مساحة المسجد المربعة (23ر45 م فى 23ر66 م) وبلاطيه المعترضين واقواسه الكبرى السبعة المسندة بسوار ضخمة مربعة القاعدة علاوة على ثلاثة اقواس تصل البلاط بالصحن الخارجى والمحراب المثلث الشكل البارز فى تنوع رباعي مستطيل خفف جدار القبلة والصحن اكبر بقليل من بلاطات الصلاة (209 متر مربع بدل 203 متر مربع) وله شكل حرد (اي بعضه اطول من بعض) وينفذ اليه المصلون من باب واحد قبالة المحراب فى الطرف الاخر والشئ الذى يمتاز به هذا المسجد بالاضافة الى بساطته هو اعتراض بلاطية على غرار المساجد العلوية وجامعي القرويين والاندلس . ولا اثر لاي نقش ولا ترخيم عدا فى المحراب المحلى بقولبة من الجبس وبقبة مفصصة القويسات مثل باب الرواح ، وجامع حسان مع تناسق وانتظام فى الصوص ورقة فى الابعاد والاحجام وتوافر الاجر والحجر غير المنحوت ومع ذلك فان التخطيط المعماري يترك فى

ويقع جامع مولاي سليمان في حي السويقة على مسافة اربعمائة متر من الجامع الكبير وهو يحمل اسم السلطان الذي اسسه حسب رأي مؤرخي الدولة العلوية ، وان كان البعض يسميه جامع السوق والبعض الآخر جامع السويقة وتاريخ هذا البناء هو 1226 هـ (1812 م) على ان الزياني يؤكد ان مسجدا آخر كان قائما بنفس المكان قبل المولى سليمان الذي لم يزد على كونه قام بتجديده وتوسيعه . تلك نماذج من الفن المعماري في العهد العلوي تبرز الجهود التي بذلها الاشراف لبلورة الفن وضمان وجود هذا التراث الاندلسي المغربي الحي .

الفن البربري والزخرفة المعمارية

وضخامة الهيكل قصور قواد الاطلس المكونة من دار القائد ومساكن الحاشية والمستودعات والاصطبلات والباحات الواسعة والحدائق المحاطة بسور تعلوه أبراج محصنة فهذه القلاع الافريقية . . تشرف من قمتها الاستراتيجية السامقة على الدسكرة المجاورة متحدية هجمات المعتدين كما تتقارب مع الحواضر في مواد واساليب البناء فالطوب قديستعمل بدل الحجارة المنحوتة ولكن الاحجار العادية والاجر منتشرة وتمتاز الاخشاب في الاعمدة والابواب وكذلك الحدائق بنقوش وترصيعات جميلة بينما تزدان البيوت باناث يتناسق داخل هذا الاطار المعماري الرائع الذي تتحدد معالمه بطراد نحو الرقة ويحتوي الاناث على صناديق منقوشة وملاقق واعمدة مرصعة للخناجر واوعية للبارود ومقايض للبنادق او المسدسات واوان منمقة وركب منحوتة للفرسان وتجلى في هذه البدائع عبقرية حق الا انها لا تعادل روعة الزخرفة ودقتها في كبريات الحواضر ويشغل الموسيون والاسرائيليون خاصة في صهر الجواهرات الكريمة او المصوغات الذهبية والفضية المطعمة بالحجارة الثمينة كالجوهرات ذات الصفوف والمعلق الذهبية والمعقود والاسورة والاقراط والتيجان والخلخال الخ . .

اما صناعة الخزف في البادية فتكاد تنفرد بها النساء لاسيما في الريف والتسول (ناحية تازة)

النفس ارتسامة خاصة هي الشعور بالانسجام وشيء من الرشاقة وتناسب الزخارف رغم بساطتها والظاهرة البارزة التي تؤكد عدم نسبة هذا البناء للمهدين المريني أو السعدي هو انعدام اي اثر لتقاليد هذين العصرين ، والشبه الملحوظ في خصوص تصميمه وهيكله وتشكيله بينه وبين المساجد التي اقامها السلطان محمد الثالث كجامع السنة الذي يقول كايبي (146) انه صورة مصغرة منه ولعله من المساجد الستة التي اشار اليها ابو القاسم الزياني عندما عدد مآثر العرش العلوي في اواخر القرن الثاني عشر الهجري وهو من أبرز عصور الازدهار العلوية .

يتسم الفن البربري احيانا بنوع من السداجة وهو يختلف كل الاختلاف عن الفن الحضري الذي يطفئ فيه الطابع الاسلامي على اللون اليوناني الروماني .

ان الخيمة المتنقلة هي نواة « الدوار » تساعد على حركة انتجاع الكلا في الاقاليم القاحلة في حين يستقر غير الرحالين في دسكرة تشكل في مجموعة من الدور وهناك نوع ثالث من المساكن خاص بنصف الرحالين الذين ينتقلون عن مراتبهم الاصلية مرتين في السنة صيفا وشتاء وهذه الفئة تتأرجح بين الاخبية واخصاص القصب او الطوب والدور واذا كانت الوحدة سائدة من طرابلس الى سوس في خصوص معالم الزخرفة واساليب النقش فان الشكلية المعمارية تختلف بين هذا الاقليم وذاك فالي جانب الدار المقوسة المنحوتة في بعض الصخور الاطلسية على غرار كهوف ما قبل التاريخ - توجد الدار المتسمة بالطابع المغربي الاصيل في جميع انحاء البلاد سواء منها الصحراء ام الاطلس ام السهول والبطاح .

فاليفرم او التفرمت هو المستودع المحصن في الاطلس والمجمع القروي والملجأ الجماعي عند الخطر وتفوق هذه الايفرم من حيث الهندام المعماري

(146) تاريخ الرباط ص 481 .

وتختص الصحراء (درعة) فى نقش الخواصي كما يتفنن الاطلسيون فى رسم الصور المختلفة على الاواني المنزلية وتتلور فى النسيج رسوم وتسطيرات رائعة من ذلك الاسحال والاسديت المستعملة فى الاخبية والمصنوعة بسداة خشبية مبسطة على الارض تسم بالبساطة ولكن لا تخلو من رواء لان النقوش تتحقق بمجرد تداخل اللحم فى السداة وتتنون بادراج خيوط خاصة حسب انعراجات هندسية مدققة وهذا النوع من النسيج يكثر عند الرحل الذين يتخذون الاخبية مساكن لهم اما القبائل القارة فان مناوئها تتركب من ركيزتين واسطوانتين فاللحمة المعالجة باليد تغطي السداة فترسم النقوش طبقا للحركة الصادرة عنها واذا تغير لون اللحمه دوريا تكونت سلسلة من الخطوط المتوازية ثم اذا طفت بعض الخيوط على سطح النسيج لتظهر فى نقط محدودة تشكلت رسوم وصور فاذا ما اصعدت خيوط اخرى مستقلة عن السداة او اللحمه فى اتجاه منحرف او عمودي ارتسمت نقوش هندسية رائعة تتجلى فى الخمر والبرانس والاربية والاكسية والمخدرات والوسادات وتختص فى صنع هذه البدائع نواحي درعة (147) والريف وجباله والاطلس والسوس وبزو بينما تمتاز الشاون ووزان فى صنع الخرقه والحايك المشهورين بالرقه وجودة النسيج .

اما الزربية فهي قטיפه تقوم لدى الاثرياء مقام الحصير كسباط للجلوس فى الدور والمساجد وتنسج انواع مختلفه من الزرابي فى زمور (ناحية الرباط) والرباط وزيان وكلاوة (بالاطلس الكبير) وغيرها وتمتاز بعضها برسوم رائعة الى جانب الجودة والمتانة .

وتعالج الجلود من طرف فنانين يصنعون الخرجة واجهزة الافراس والقرب والاحذية والمثابن (اكياس نسوية) والوسائد المرصعة بخيوط الحرير او بمصنوعات مشبكه بالفضة والذهب.

ويمكن ان نلاحظ مع الاستاذ ريكار ان العنصر الذى يثير الانتباه فى الرسوم البربرية هو طابعها الهندسي القار لان الاقتباس من صور الطبيعة من شواذ هذا الفن مثال ذلك الدمى المصنوعة من الخشب فى قبيلة بني مطير وتختلف الرسوم الى ما لا نهاية له : من المربعات المتداخلة البسيطة الى تروس صفري (تحمل شعار الشرف) الى رقع اللب الى خطوط متشابكة واشكال سداسية الزوايا والاضلاع لنقش الحنايا والسقوف .

وفى النواحي التى ينعدم فيها الحجر يباشر البناء بالطابية (تراب مبلل فى اوعية مستطيلة) التى تعتبر نوعا من الاسمنت القوي وقد استعملت هذه المادة فى المدن الاسلاميه الاولى بالمغرب مثل البصره ونكور (148)، والطوب المصنوع من التراب المجفف اقل مناعة اما الاجر فانه تراب مطبوخ فى الفرن وكذلك الاحجار والقرميد المستعملة فى تبيط الارض وتسقيف السطوح غير ان الحجر والمرمر المستخرجين من المناجم المحليه (عكراش بناحية الرباط وابن احمد بناحية الدار البيضاء ومراكش) هما العنصران العاديان فى التعمير وقد جلب المغرب الرخام من ايطاليا ايام السعديين فى مقابل السكر وزنا لوزن ولكن المغرب رجع منذ عهد المنصور الذهبى الى اسابه القديم فى صنع الرخام وقد استقلت اشجار الارز المتوافرة فى الاطلس والريف لصنع الاخشاب التى هي من المواد الاساسية فى البناء

- (147) كان يوجد بدرعة نوع من الحجارة تحك بين الايدي فتنتحل وتصير اشبه بالكثان وكانوا يصنعون منها الحبال والارسان والمقاود ومن خواصها عدم الاحتراق وقد جلب احد التجار لفرديناند ملك كاليسيا باسبانيا متديلا صنع من هذه المادة اهداه اليه زاعما انه من مخلفات احد تلاميذ المسيح (وصف افريقيا الشماليه ترجمه دوسلان ص 336 وكذلك كتاب الاستبصار وهو مخطوط مجهول المؤلف وذكر ابن سعيد انه رأى فى سجلماسة صكا لاحدهم على آخر مبلغه اربعمون الف دينار وقد سبق ان ذكر ذلك ابن حوقل (المسالك ج 70) وفى معجم ياقوت ان لنسائهم يدا صنعا فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الازر تفوق الذى بمصر يبلغ ثمن الازار 35 دينارا واكثر كأرفع ما يكون القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات .
- (148) مدينة نكور هي المزمة حسب البكري (المسالك ص 99) او الحصيمة حسب (ميشوبيلير - المحاضرات ص 192) والخلاف بسيط لان بينهما بضعة اميال بحيث يمكن القول بانهما كانتا تكونان جانبي المدينة .

غير ان التسطيرات الهندسية والزهرية كانت قد قطعت شوطا لا بأس به .

وقد ازدهر في القرن الخامس خاصة فن النقش على الخشب على ان نفس الفنانين كانوا ينحتون على المرمر والعاج وتمتاز مناير الجمجمة في القرويين والكتيبة وجامع القصبه بدقة في النقوش تفوق قيمتها روعة التنميق وهذا النقش الخشبي الرائع يحيل ارز الاطلس الى سقوف واطنات (كرنيزا) ومن (كيام) بديعة الا ان هذه العناصر النقشية اتخذت ايام المرينيين سمات طريفة حيث اُستت الاحجار المنحوتة والجبس المنقوش او المفرغ الزينة الغالبة في الجدران او اجزاء القباب اما الالوان فان وفرتها من خصائص هذا العصر وان كان المرابطون قد تغننوا هم ايضا في تلوينات القبة التي فوق محراب القرويين كما اسفرت عن ذلك الحفريات منذ بضع سنوات وكان مادة التلوين الشفافة تستمد انعكاساتها من حراء فتختلف الوانها باختلاف اتجاه النور المنعكس عليها اما الترصيعات الخزفية فقد تساوقت مع المعطيات الجديدة في الهندسة المعمارية وهي تقوم ازاء الافاريز والرسوم الوردية الشكل المحدقة بالمنارات والاشرطة الكتابية واطر الابواب - بتزيين الجدارات والاعمدة وحتى بلاطات الاروقة والغرف (149) .

وقد خف في هذا العصر استعمال رؤوس الاساطين واستعويض عن الاقواس المفصصة المستخدمة في المنارات بأقواس على شكل هلال مقربص وتوافرت النقوش لاسيما في الافاريز الكتابية المنقوشة على الجبس .

ومنذ القرن الثامن اصبح نفس الاسكفات ومناخذ الارز يتناسق في الهيكل المعماري العام مع النقش على المعدن المتجلى في نحت ابواب البرونز في بعض المدارس المرينية اما الخزف فانه منقوش بآلة حديدية على شاكلة النحت الشرقي الاندلسي لاواني «البديع» ذي الانعكاسات المدنية ومعلوم ان فيسيفساء البديع ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي (150) بقلعة بني حماد ثم اتخذ اشكالا مختلفة من دوائر سوداء منعزلة وسط اجر وردي (مرصد الخالدة باشبيلية) الى افريز واسع من الحجر الثمين الاخضر (جامع

وتمتاز الهندسة المعمارية المغربية خاصة باعمدتها واقواسها وحناياها التي بلغت نقوشها وتسطيراتها درجة متناهية في الجاذبية والرواء وقد اجتازت هذه النحت مراحل شتى تبدا بالاسطوانة المرمرية الموحدية البسيطة وتنتهي بالعمود المريني الرقيق الذي يخلب اللب بفسيفسائه وتعاريفه وقد استقدم الموحدون من قرطبة رؤوس اساطين رائعة كللوا بها اساطين جامع الكتبية بمراكش ومسجد تينمل فكان لذلك اثره في تكييف هذا الجانب من الفن اذ عوضا مما في جامع حسان بالرباط من الانضاد الحجرية المترابكة والمجللة بتاج ساذج - اصبحنا نشاهد مجموعة متناسقة مستديرة الساق ذات رؤوس مكعبة الرسوم مورقة الاضلاع او حلزونية الشكل زهرية التعاريف .

وقد تبلور في العهد المريني طراز رؤوس الاعمدة فاتخذت هذه الرؤوس الاتجاهات العامة التي طبعت مجموع مظاهر الفن الاسلامي ومن هذه المنازع الجديدة تسطيح النقوش النائثة واستواؤها وكذلك الاستعاضة بالصفوح او المصارع الماطورة الخفيفة التغير عن الصور البارزة .

وقد عرف القوس نفس التطور فمن اقواس نصف دائرية بسيطة الى حنايا متقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائري وتعلو احيانا اجر الاقواس اسكفة محمولة على دعائم الباب باسناد تتفنن في نقشها يد الصناعات وتضفي القباب بتنوتها وتعقيداتها واجزائها المتساوقة طباعا من الاصاله على هذا الهيكل المعماري السني .

وهكذا استخدم النقاش منذ العهدين المرابطي والموحدي الحجارة والمرمر والطين المطبوخ فازدانت منارة جامع القصبه الموحدية (مراكش) بقطع نقشية ذات طابع بينظلي اقتبسها الامويون لاول مرة في الاندلس واخذها عنهم الموحدون فالقوس المستدير الكامل وكذلك الحنايا المغلوقة او المفصصة (على غرار ورق الاشجار) اصبحت العنصر الكلاسيكي في بناء الصفوح (على نسق صفوح جامع قرطبة) مع ما تنطوي عليه هذه من مقرنصات وتعاريف في رؤوس الاساطين كما في تسمان وتينمل والكتبية بمراكش وكانت الكتابات المنقوشة لا تزال بدائية في هذا العصر

(149) (في الاسلام) ص 143

(150) « ريكار » في كتابه « من اجل فهم الفن الاسلامي » ص 155 .

المقاربة خلال العصور الحديثة فى نحت مزيج الكلس والرخام المستعمل فى الترخيمات المعمارية كما تتجلى عبقرية النجارين فى بري وتقليم المواشير الخشبية التى تتكون منها قطع المقريصات وتتفنن يد الزليجي الصناع فى اقتطاع دقاق الزليجي وتثويتها لتبليط الاديم والجدر والفسقيات والكوى غير النافذة وسيقان الاعمدة الدائرية (153) فاذا فقدت النحت الكتابية من رقتها والرسوم الهندسية من ثروتها فان الصور الزهرية اصبحت تقتبس من ينابيع جديدة هي عبارة عن مجموعة من النباتات الفارسية تزدان سعوفها وزهيراتها بالقرنفل والسوسن غير ان الخزف الفيسفائي الذى ما زال يصنع بالمغرب ولكن على وتيرة وبيدة - لم يحتفظ بذلك البريق المعدني الذى كان له فى الماضى ونافسه الزليجي الاندلسي المجلوب الى شمال المغرب (تطوان)

ومهما يكن فان هذا الفن لم يستمد ازدهاره القديم بل فقد كثيرا من عناصر طلاوته وقمارته .

من مظاهير الهندسة المعمارية فى المساجد والمعاهد

موتته بنتين هما : « فاطمة أم البنين ومريم » وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبنا أن تصرفاه فى وجوه البر فعملتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير فى كل عدوة من فاس لضيق الجامعين

الكتيبة) فى عهد الموحدين ثم فى النهضة ازدهار صفائح الرخام المختلفة الاصباغ والتلوينات (الزليجي) وقد اصبحت بعض قطع الفيسفاس ايام بني مرين عبارة عن اجزاء متماسكة مسلسلة باللون الاسود (فى الغالب) تثبت عليها الرسوم بالمنقش وقد انتشر هذا الاسلوب بالمغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر فى زوايا الحنايا والاقواس وافاريز الابواب على ان المغرب احتفظ منذ السعديين بأساليب النقش الاخرى لاسيما النحت على المرمر فملاوة على الرخام الذى جلبه المنصور من ايطاليا استقلت مناجم انوكال التى تشبه احجارها الرخام وكذلك مناجم امينتالة وكانت مناجم كيك التى هي اقرب لمراكش لا تقل قيمة عن هذه المناجم الا ان قلة الماء الضروري لتقطيع الحجر كان معدوما بهذه الجهة وطريقة استخلاص هذا الرخام بسيطة حيث تضرم النار كما يقع فى الهند فوق اخاديد تحفر فى الصخر ثم يصب فوقها الماء الذى تشق برودته هذا الصخر (152) وتظهر مهارة الجبايسين

عند ما تولى يحيى بن محمد بن ادريس ملك المغرب عام 234 هـ كثر الواردون على فاس (154) فكان ممن قدم من القيروان محمد بن عبد الله الفهري الذى استقر مع ذويه فى عدوة القرويين وخلف بعد

(151) نفع الطيب فى ثنايا الكتاب .

(152) مجلة هسبريس عام 1956 عدد 43 ص 101 - 115

(153) فن الاسلام ص 185 .

(154) استت القرويين بعد بناء فاس بثلاثة ارباع قرن وقد اختلف فى تاريخ بناء فاس ، وافرد ليفي بروفنصال بحثا فى الموضوع اقتبس فيه من مؤرخين كآبي بكر الرازي المتوفى عام 344 هـ والذي يقول بأن باني فاس ادريس الاول الذى جاء الى المغرب عام 172 هـ ومات عام 174 هـ وبنيت المدينة فى نظره خلال هذه الفترة ، ولاحظ ابن سعيد ان ادريس الاول لم يؤسس سوى عدوة الاندلس ونقل ابن الابار عن ابي الحسن النوفلي ان ادريس الثاني بنى عدوة القرويين عام 187 هـ ويوجد فى مكتبة باريس درهم سك بفاس عام 189 هـ اي قبل التاريخ العادي لبناء فاس بعامين، كما يوجد درهم فى متحف كاركوف بروسيا سك بفاس عام 185 هـ . وهو التاريخ الذى يعطيه الحسن بن محمد الوزان لبناء فاس .

القديمين (155) بالناس فشرعت فاطمة في بناء جامع
عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الاندلس (156) .

وقد وقع الشروع في بناء جامع القرويين في
رمضان 245 هـ ونصبت قبلته على غرار قبلة جامع
الشرفاء الذي أسسه المولى ادريس ، وكان يحتوي
اول الامر على اربعة بلاطات ابتداء من القبلة ، ولكل
بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق الى الغرب ، واقسم
المحراب مكان الثريا الكبرى ، كما جعل في مؤخرة
صحن صغير وصومعة واحتفظ بهذا الهندام المعماري
الى ان كثرت العمارات واتصل البناء في ارباض
المدينة من سائر الجهات وجرى امر زناتة بأرض
المغرب سنة 307 هـ فأزيلت الخطبة من جامع
الشرفاء لصغره واقامت بجامع القرويين لاتساعه
كبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر .

وعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك
المسلمين وبإيعاه أهل فاس قام العامل أحمد ابن أبي بكر
الزناتي بتوسيع المسجد منقفا عليه « من اخماس
غنائم الروم » فزاد اربعة بلاطات من الغرب وخمسة
من الشرق وثلاثة من الجوف (اى الشمال) في موضع
الصحن الذي كان فيه بلاط واحد بعد ان هدم
الصومعة لتطول اشرافها على الدور المجاورة واصبح
مصعدا يضم مائة درجة ودرجة وغشي بابها لمواجهة
للقبلة بصفائح النحاس الاصفر وتم ذلك كله عام 345 هـ
حسبما في التريفة المنقوشة بها من جهة الصحن
وجعل في اعلاها قبة صغيرة ووضع في دورانها
تفانج مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في
الزج سيف الامام ادريس مؤسس المدينة وبنيت
تحت القبة المذكورة قبة اكبر منها لجلوس المؤذنين
لاشاعة الأذان في أوقاته ، وكان فيها بيت الراعي منهم
لاوقات الليل وانصداع الفجر وبندهم يقتدي باقي
المؤذنين بصوامع المدينة ، وتوجد بمواضع من المنارة
بلاطة رخام وسط كل منها قائم يستدل بصدود ظله
على خطوط بطول ازمان النهار ومرور ساعته ، وفي
عطفات دراجها سرج زاهرة الضياء يمر عليها الليل ،
وفي عهد يوسف المريني (685 هـ) نصب بطن من

الفخار بالقبلة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء
مجري من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منها الماء
بقدر معلوم الى أن يصل الخطوط فيعلم بذلك اوقات
الليل والنهار ، وقد صنعت في غرفة مطلة على الصحن
منجانة على يد المعدل محمد الصنهاجي عام 714 هـ
وهي عبارة عن مجن من خشب الارز جعل في ركن
الغرفة عن يسار المستقبل ووضع في داخله بدنان
كبيران من فخار احدهما اعلى من الآخر يحتوي على
ماء وبلاسل انبوب من نحاس يهبط منه الماء في
البدن الاسفل بقدر معلوم ، وجعل في طرف الجنح
(الآلة) مغطس (جفنة) وكذلك في جانبي التفتيصة
رسمت فيها الساعات ودقائقها واوقات الليل والنهار
وجعل الموقت المسطرة معلقة في (158) . . . خارجا
من الجنح يجري في حفر التفتيصة طالعا وهابطا ،
وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل
جسيما مجوفا من نحاس على هيئة الاطرفة (اى
الجوانب الداخلية) معلقا في الطرف الداخلي على
العلو فاذا طلع الجسم بطولع الماء الذي يجتمع في
البدن الاسفل طلع طرف (157) الخارج من التفتيصة
وظلعت بطولوعه المسطرة - وفي أيام أبي عنان (749 هـ)
جعل خارج الجنح دائرة عليها شبكة الاسطراب تدور
رسومه ومتى طلعت المسطرة عرف بها الوقت ، كما
اقامت هناك رمليات لاختيار الوقت مع اسطرابات
اخرى ، ومنذ هذا العهد جعلت صارية ينشر فيها
العلم ايدانا بأوقات الصلاة النهارية ومنار لاوقات الليل
وقد صنع أبو عنان (عام 758 هـ) « مجانة بطيسان
وطسوس من نحاس » مقابلة لباب المدرسة التي
أسسها بفاس « وجعل شعار كل ساعة ان تسقط
صنجة في طاس وتفتح طاق » .

وقد بنى المظفر بن المنصور بن ابي عامر المنبر
عام 388 هـ من « عود الابنوس والعناب وغيرهما »
فخطب عليه الى أيام علي بن يوسف بن تاشفين حيث
صنع عام 538 هـ منبرا جديدا « من عود الصندل
والابنوس والنانج والعناب وعظم العاج » مع غشائين
من جلد وكتان ، وذلك على يد نجار كان اماما في اللغة
والشعر (158) ، وكلف صنعه نحو 3800 دينار فضي .

(155) لاحظ ابن زرع ان عدد مساجد فاس انتهى أيام المنصور والناصر الموحيدين الى 782

مسجدا علاوة على 122 ما بين سقايات ودور الوضوء و 73 حماما (الانيس المطرب ج 1 ص 64) .

(156) زهرة الاس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي طبعة 1340 ، ص 34 .

(157) نفس المصدر .

(158) زهرة الاس ص 42 .

لا تحتوي على أي توريق ذهبي، وقد لوحظ ان اصناف الاصبغة المشار اليها من طرف صاحب القوطاس هي الازرق والاحمر والمغرة الصفراء ، وما زالت الالوان متماسكة وفي رائق غضاضتها ، ويظهر ان مزيج الاصباغ كان يحتوي على مع البيض الذهبي اللون وان الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق أشعة النور المنعكس من النوافذ .

وقد جهز الجامع بمستودع توضع فيه اموال الجامع وامانات الناس ، وكان محصنا بخشب الارز وبخمس منافيس بصفائح من حديد مقلوية « وبنيت دار الوضوء بخمسة عشر بيتا مع طاق في سقف كل بيت للانارة وانبوبة نحاسية ينصب منها الماء » في نفير محفور من حجر ، وفي سمكها قبة من جيس مقربصة مرفشة بأنواع الاصبغة وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر مع ثقب من نحاس مموه بالذهب والبيلة والخصة كلاهما من عمل رجل سجلماسي صنعهما له رجل آخر « من اهل المعرفة بالبناء والهندسة » اما العترة فقد اقيمت عام 688 هـ « وفيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب واتقان الالصاق ودقة الخرت والنقش ما يقضي بالعجب » (165) وصنعت سقاية منمقة « بالجص والحجر المنجور وانواع الصبغة » كما جعلت على المحراب عام 712 هـ مقصورة من خشب الارز الغيت بعد ذلك ، اما الخزانة فقد اسسها ابو عنان المريني عام 750 هـ وجهزها بالكتب المنوعة وعين قيما لضبطها ومناولة مصنعاتها .

وللجامع 18 بابا و 300 سارية - عشر منها من حجر ملون وثلاث تقع تحت الثريا الكبرى تبصر منها جميع ابواب الجامع - و 21 بلاطا و 130 ثرية

وقد زيدت بجامع القرويين في مختلف العصور بناءات جديدة منها الباب الاكبر بسماط الموثقين (المدول) عام 505 هـ وبخارجه قبة الجص المقربصة (عام 617 هـ) وباب الشمايين (عام 518 هـ 159) مع قبتين احدهما بالداخل من الجص والاخرى من الارز بالخارج (160) .

وفي عهد علي بن يوسف اشترت دور كان اكثرها في ملك اليهود وزيدات في المسجد عشرة بلاطات من الصحن الى القبلة (161) والقبة بأعلى المحراب « بالجص المقربص الفاخر الصنعة » ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة (162) وركب في الشماسات التي بجوانب القبلة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه « ثم غشيت ابواب الجامع « بصفائح النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن ، (كل ذلك عام 533 هـ) ، وقد لاحظ ابن ابي زرع ان هذا الفن كان يبهت الناظرين ، فلما دخل عبد المومن بن علي عام 540 هـ خاف الفقهاء والاشياخ ان ينتقد ذلك النقش والزخرف لان الموحدين قاموا بالتقشف والتقل ففطى البناءون النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض (163) .

وقد علق جورج مارسى على هذا الحدث فزعم انه قصة ملفقة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين في قبة المحراب (164) الا ان الحفريات التي قامت بها مصلحة الفنون الجميلة منذ عام 1952 اكدت حكاية المؤرخ العربي ، فقد كشف عن نقوش رائعة غير انها

- (159) يذكر صاحب القوطاس ان كتابات التأسيس مؤرخة بعام 528 (ج 1 ص 85) ، ووهم صاحب الجذوة فأعطى تاريخا محرفا هو 710 هـ .
- (160) احترت القبة الخشبية عام 571 فصنعها الموحدون من الجص عام 600 هـ من بيت المال ، في حين صنع المرابطون بابي السماط والشمايين مع القبتين من مال الاحباس .
- (161) يوجد بجامع القرويين 19 بلاطا موازيا للقبلة وقد لاحظ جورج مارسى ان هذا الاسلوب يرجع عهده الى صدر الاسلام ونجده في مصر (جامع عمرو وجامع ابن طولون) وظل هو الغالب في مساجد فاس (فن الاسلام ص 95) .
- (162) الانيس المطرب ج 1 ص 87 .
- (163) الانيس ج 1 ص 88 .
- (164) كتاب الفن الاسلامي طبعة 1926 ج 1 ص 302 وقد اكد مارسى هذا الزعم في الكتاب الذي صنفه عام 1954 وهو « الهندسة المعمارية الاسلامية في الغرب » ص 188 الا ان الاستاذ طيراس ايد مقالة ابن ابي زرع .
- (165) زهرة الاس ص 65 .

من النحاس مختلفة الالوان والصناعات والانسال والهيآت .

اما جامع الاندلس فقد وقع الشروع فى بنائه كذلك عام 245 هـ وكان فيه ستة بلاطات وصحن صغير وزاد فيه عامل الناصر الاموي الصومعة عام 345 هـ (166) ونقلت اليه الخطبة من جامع الاشياخ قبيل ذلك (321 هـ) وبعد نحو من ثلاثة قرون عام (600 هـ) أمر الناصر الموحيدي ببناء الباب الكبير الذي فيه درج بأسفلها شبك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب ، فى الاوسط بيلة من الحجر الاصفر ينفجر بها الماء من وادي مصمودة . وبأعلى الباب قبتان احدهما من جص مقربص الداخل ، والثانية من خشب الارز .

كما أمر الناصر ببناء سقاية ومدخل لمصلى النساء ومصربة لائمة الجامع ودار للوضوء بخصتها تحاكي التي بجامع القرويين وعدد بلاطاته بعد سنة 695 هـ خمسة عشر من الشرق الى الغرب وثلاثة عشر من اقبلة الى الجوف وتسعة ابواب و 134 سارية .

وكانت فاس فى هذا العصر كما وصفها المراكشي « حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان و علم قرطبة ... رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس ، فهى اليوم على غاية الحضارة واهلها فى غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم انصح اللغات فى ذلك الاقليم ، وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب » (167) .

وقد لاحظ كوستاف لوبون ان مدينة فاس كانت تزاحم بغداد فى القرن العاشر الميلادي فكان بها نصف مليون نسمة و 800 مسجد وخزانة حافلة بالمخطوطات اليونانية واللاتينية (168) وقد زعم استاذ ايطالي هو لويجي روسو انه اشترى من فاس مخطوطا نادرا من عشاريات تيتليف (169) حول التاريخ الروماني .

وقد وصف كابريال شارم مدينة فاس بانها اول مدينة مقدسة بعد مكة وانها كانت مركز القوة العربية فى عنفوان ازدهارها والعاصمة الفكرية والروحانية للغرب الاسلامي بفضل معاهدها الخالدة ومساجدها الماجدة (170) ، وذكر مارسي (171) ان افريقيّة نفسها وهى الوطن العتيق لعلماء الاسلام اصبحت تتلمذ لبرابرة الغرب .

وشبه علي باي العباسي هذه المدينة باثينة لوفرة علمائها ومعاهدها (172) .

ولاحظ ليفي بروفنصال انها لم تكن اقل مكانة من عواصم الاسلام الاخرى (173) ، نسم فى هذه المدينة تبلورت الحضارة العربية التى تفتقت بالمغرب فتلاّت اشعتها على اوربا (174) ، وقد احتفظت فاس على ممر العصور باشعاعها فهى ما زالت دار العلم وجامع القرويين ما زال اول مدرسة فى الدنيا (175) .

وذكر مارمول انه كان بفاس 200 مدرسة ، ونقل الكانوني فى « شهيرات نساء المغرب » عن مؤرخ اوربي خصص كتابا لفن الاستان بالمغرب لاحظ فيه ان مدينة فاس كان بها فى القرن الرابع الهجري « مدرسة

(166) حسبا فى عتبة بابها - زهرة الاس ص 81 .

(167) المعجب فى تلخيص اخبار المغرب سلا عام 1357 ص 221 .

(168) حضارة العرب - الطبعة الفرنسية ص 263 وقد ذكر دلفان (ص 81) ان هذه الخزانة كانت تحتوي

على 30 000 مجلد ، كما ذكر كودار (وصف تاريخ المغرب ج 2 ص 376) ان يعقوب المرينسي استرجع من المسيحيين عددا من المصنفات العربية واهداها الى القرويين ، ولاحظ ميلي (كتاب الموحيدين ص 101) ان يعقوب الموحيدي كانت له خزانة تضاهي مكتبة الخليفة الاموي الحكم الثاني وقد اهداها كذلك الى القرويين ، وفى عهد المولى زيدان السعدي اختلس قنصل فرنسي اربعة آلاف مخطوط عربي وباعها لاسبانيا فكانت من نواة الاسكوريال .

(169) ولد هذا المؤرخ الروماني عام 59 قبل الميلاد .

(170) كتاب سفارة بالمغرب (ص 255) .

(171) كتاب الفن الاسلامي ج 2 ص 465 .

(172) سفريات علي باي العباسي الى افريقيا وآسيا - باريس عام 1884 ج 1 ص 137 .

(173) مجلة هسبريس - عام 1952 ص 3 .

(174) كتاب سفارة المغرب ص 228 .

(175) دلفان فى كتابه « فاس وجامعتها » (ص 2)

الصدر الاعظم الجياص) وايطاليا (مثل محمد بناني
العلمي) .

وكان بجامع القرويين اواخر القرن الماضي 700
طالب ونحو الاربعين استاذًا وظل العدد جامدا الى ما
قبيل الاستقلال حيث اصبح ينيف على 6 آلاف، وكان
هؤلاء الطلبة يسكنون بالمدارس ويتمتعون بنظام
الخبزة الذي عوض الآن بمنح دراسية ومطاعم مدرسية
وداخلية منظمة في الشراودة .

جامع حسان

المتيق وبانيه هو يعقوب المنصور الذي اتمه عام 592 هـ
ويظهر ان بناءه لم يتم ومنارته اقرب عهدا من منارة
الكتيبة ومنارة جامع اشبيلية المعروف بالخالدة ، وهي
مربعة كمنارة جامع دمشق ، يبلغ عرضها ربع طولها
حسب التقليد المعماري ، وهذا العلو وهو 64 مترا -
يجعل من منارة حسان اعظم منارة في الغرب بل حتى
في الشرف (178) ، اما الجامع فانه مربع المساحة
تقريبا هندسي التقسيم لتساوق سواريه الفاصلة بين
صحونه الواسعة ، ومحرايه مربع الشكل على خلاف
المحاريب المغربية ، وهو منحرف بعض الشيء عن
القبلة مثل جامع القرويين (179) .

للطب « وقد احييت المدرسة المرينية بدار المخزن في
فاس الجديد حوالي عام 1844 م الى مدرسة
للمهندسين نظم فيها السلطان دراسة العلوم
الحديثة (176) .

وقد اكد مولاي عبد الرحمن بن زيدان (177)
ان خريجي « مدرسة البوليتكنيك » (الفنون) التي
اسسها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بفاس
الجديد تابعوا دراستهم في معاهد انجلترا (مثل

ان هلك الجامع من مآثر الموحدين الخالدة اني
حققت وحدة الفن الشرقي والفن الاندلسي المغربي ،
فهو رمز لفخامة الدولة الموحدية ومشاعرها في السمو
والعظمة وذرقها في التناسق الجامع بين الفخفخة
والبساطة وهو مجهود رائع اذا اعتبرنا انبثاقه من
أسرة « موحدة » كانت تعمل على دعم الاسلام في
صفائه الاصيل - وحنيفيته السمحة وعظمتها الساذجة .

ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط
على علو نحو 30 مترا فوق البحر وهو المسجد الثاني
الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبية

رسالة الأوقاف المغاربة

لقد تذرغ المغاربة منذ انبثاق فجر الاسلام بهذه
البلاد - بشتى الوسائل لتركيذ الفكرة الاسلامية
وتحقيق ازدهار المسلمين في آن واحد بواسطة
(رباع) توقف على المؤسسات الدينية والاجتماعية ،

(176) الجريدة الاسبوية عام 1917 - كتابات عربية بفاس - الفريد بيل ج 10 ص 152 وكانت توجد
بالجديدة في نفس الوقت مدرسة مركزية للمدنية (كتاب امبراطورية تنهار ص 16) وقد اجري
تدريب لاثني عشر طالبا مغربيا في المدرسة العسكرية بمونبيلي عام 1885 وانها درستهم عام
1888 (هسبريس ج 41 عام 1954 ص 136 وقد وجه مولاي الحسن طلبة الى انجلترا وايطاليا
واسبانيا والمانيا (المغرب الحديث ابركمان ص 114) وحتى الى امريكا (كتاب سفارة بالمغرب
ص 238) .

(177) الاتحاف ج 3 ص 367 .

(178) لاحظ ابن بشكوال ان منارة قرطبة احسن منارات الاسلام .

(179) وقد فند ابن سعيد ذلك ملاحظا ان منارة الكتبية ومنارة اشبيلية الموحديتين اضخم من منارة
قرطبة (نفع الطيب المقرئ ج 1 ص 267) ومساجد الريف شمالي الغرب غاربة من المنارات وانما
تمتاز عن باقي الدور بعلم ابيض (المغرب المجهول لموليراس-باريس عام 1895 ج 1 ص 144) .

وقد ساهم الملوك والشعب في هذه الحملة الدينية الاسعافية التي كانت تتخذ مختلف المظاهر لتحقيق غاياتها واذا راجعنا دفاتر الاحصاء الحسبية لاحظنا ان الاوقاف تتوفر في جميع انحاء القطر على احسن الاراضي والمقارن حتى على السوائم الحية في الجبل علاوة على الغراسات الثرية ، وقد وقع تفويت جانب كبير من الاراضي الخصبة الشاسعة والاملاك المختلفة في ابان الحماية ولا تزال صكوك تحببها موجودة الى الآن .

تكن اية مدينة من المدن لتخلو من عائلات خصصت قسما من املاكها للاسعاف الاجتماعي وهي الاوقاف المعينة على الخبز مثلا الذي كان يوزع اسبوعيا او يوميا حسب اهمية الارباع ، هذا علاوة على الاوقاف الخاصة بالمساجد والمرستات ومعاهد التعليم التي كان يتعيش منها عدد كبير من المستخدمين زيادة على رواتب العلماء والطلبة .

واذا اعتبرنا ان مدينة مغربية كانت تتوفر في كل حي من احيائها على عدة مساجد بأوقافها لمنا ضخامة الثروة الجسيمة في المغرب ، ويكفي ان نعلم ان في فاس وحدها احصى في زمن المنصور ومحمد الناصر الموحدين (785 مسجدا و 42 دارا للوضوء و 80 سقاية عمومية و 43 حماما) (زهرة الاس ص 33) وكلها حسبية .

وكانت في المغرب اوقاف من نوع خاص (180) كالتي تصرف على الزوجين الفقيرين بايوائهما مجانا في منزل مؤث ابان الزفاف وكالتي تنفق في تجهيز العروس المعوزة ، واوقاف الاواني المكسرة ، وتمهد وتغذية الحيوانات والطيور (كدية البراطيل بفاس) وذلك بلاضافة الى تاسيس الاسوار والقناطر والقنوات والسهر عليها ، والشبه هنا ملحوظ بين المغرب والشام حيث توجد نفس الانواع من الاوقاف (181).

وقد اكد الجزنائي في زهرة الاس (ص 75) (182) ان ما يظهر من انحراف قد يقرب من الصواب على راي

وقد نبور الاتجاه الحسبي على الخصوص منذ عهد المرينيين حيث اقام ابو يوسف المارستانات للغرباء والمجانين واجرى عليها النفقات وخصص لها الاطباء وبنى المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم واجرى لهم المرتبات في كل شهر وبنى الزوايا في الفلوات واوقف لها الاوقاف الكثيرة لاطعام عابري السبيل وذوي الحاجات (الذخيرة السنوية ص 100) ، وسار الملوك بعد ذلك على منوال حيث في هذه الطريق الجديدة حتى انشأ ابو الحسن (في كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط (الجزائر) مدرسة فقامت مؤسساته الاجتماعية في تازا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا (الدار البيضاء الحالية) وازمور وآسفي واغامت ومراكش والقصر الكبير وتلمسان وعاصمة الجزائر (المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص 35 مجلة هسبريس عام 1925) ولم

180) وكانت هنالك احباس من نوع خاص في كل من المغرب والاندلس فقد ذكر صاحب نشر العثاني ان من احباس جامع الاندلس قراءة التفسير بالفخر الرازي (ج 1 ص 20) وان كراسي العلم في التفسير وقراءة صحيح مسلم وابن الحاجب وصغرى السنوسي والرسالة ونظم ابن زكري لها احباس (ج 1 ص 38) ومن احباس فاس استيفاء ابن حجر على الصحيح في التدريس (نيل الابتهاج ص 169) وكان بعض العلماء لا يأكلون من مال الاحباس مثل سيدي عبد القادر الفاسي (السلوة ج 1 ص 310) .

181) ذكر صاحب جذوة الاقتباس ان كثيرا من اوقاف المساجد ادخلها اهل فاس في منافعهم وحسبوا من اموالهم ايام ابن تاشفين فرفعت القضية الى القاضي عبد الحق بن معيشة الغرناطي فتوجه الطلب على النظراء والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم فأبرزت المحاسبة 80 000 دينار (ص 42) . وقد ذكر ميشوبيلير في المستندات المغربية عام 1907 ص 192) ان الاحباس احتفظت بادارتها المستقلة الى عهد مولاي عبد الرحمن الذي قرر ضمها الى دوائر المخزن والفي النظار الخصوصيين للمساجد والاضرحة وعوضهم في كل مدينة بناظرين يعينهما السلطان .

182) لاحظ بعض فقهاء فاس على الامير ابي يوسف بن عبد الحق المريني ما في بعض مساجد فاس من انحراف فجمعهم الامير وذكروا ان جامع القرويين نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها المولى ادريس وقد صلى اليه جماعات من العلماء والصلحاء والقضاة وامراء العدل فما غيروا ذلك ، وذكر ابن القاضي في جذوة ان مساجد فاس كانت قبل اليوم 785 واما اليوم (عصر المنصور السعدي) فلا تحصى كثرة وعدد حماماتها قبل اليوم 93 ، واما اليوم فلا عدد لها (ص 28) .

استقبال القبلة في قضاء الحاجة حيث قال صلى الله عليه وسلم : « شرقوا أو غربوا » اي بالنسبة للمدينة المنورة ، وقد وهم الاستاذ طيراس في كتابه « سمت المحراب في المساجد » حيث اول هذا الانحراف تاويلات مختلفة ضاربا صفحا عن تمسك الموحدين بظاهر الحديث .

من يرى ان المطلوب من قبلة سائر الافاق انما هو الجهة لمكة والجهة حاصلة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة .

ولعل الموحدين تشبثوا بظاهر هذا الحديث الذي يماثل الحديث الآخر الذي رواه البخاري في عدم

مِنْ رَوَائِعِ الْفَنِّ الْأَنْدَلِسِيِّ

ولكن رسومه مقتبسة من جامع دمشق وجامع بغداد والمسجد الأقصى .

ويشكل هذا المسجد الآن مربعا (طوله 180 مترا وعرضه 130 مترا) ثلثاه أروقة للصلاة والثلث الباقي صحن وهو محاط بسور مسنن مدعم الجوانب فتحت في اضلاعه ابواب رائعة اغلق اليوم معظمها لوقوعها في اجنحة هذا المعبد الكبير الذي اصبح كنيسة ، وقد اسس الجامع على حافة الطريق المؤدية الى قنطرة (183) الوادي الكبير قبالة القصر الملكي بحيث لم تتسع مساحته تدريجيا الا نحو الجنوب والشرق .

وكان هذا المسجد كنيسة اول الامر فعذا الامير حذو الخليفة عمر بن الخطاب في الانتقام وجرى في قرطبة ما جرى بالنسبة لكنيسة القديس جان بدمشق حيث اقتطع المسلمون نصف الكنيسة وتركوا الباقي للمسيحيين الا ان رحاب الجامع الجديد ضاقت بعد ان اصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الاموية في الغرب الاسلامي فقرر عبد الرحمن الاول بعد نصف قرن اقتناء النصف الباقي وتأسيس مسجد كامل فوق المجموع ، فاقتطع من غنائم ناربونة 80 او مائة الف مثقال لهذه الغاية ثم زاد نجله هشام الاول سقائف للنساء وحوضا للوضوء ومنارة ويظهر ان البناء توقف في عهد الحكم الاول واستؤنف عام 218 أيام عبد الرحمن الثاني باقامة تسعة بلاطات جديدة مدعمة بشمانين سارية في ظرف 15 عاما ، ومن سنة 234 هـ الى منتصف القرن الرابع تم نقش وترخيم طرر المسجد وبناء المقصورة ومستودع الاموال وتجديد الحوض ... والسقائف

لعل الفن الاندلسي المغربي من اعرق الفنون التي خلفتها العصور الوسطى ، فمنذ القرن الثاني الهجري وقف عبد الرحمن الداخل مؤسس جامع قرطبة مشدوها معجبا امام مآثر الرومان الرائعة التي لقيها حينما مر بالبلاد الاسبانية فحاول ان يثبت في هذا المسجد ما راعه في الفن الجديد الذي ما لبث ان تطعم بالعناصر الطريفة المقتبسة من اليونان او عن طريق العلماء والفنانين البيزنطيين ، وهذا الفن الذي نشأ عام 786 م - كما يقول طيراس - ما زال يعيش ضمن الحرف والمهن في كبريات الحواضر المغربية فهو فن منبثق من حضارة واحدة ولد في اسبانيا وترعرع في الحواضر الافريقية فهو اذن وليد المدينة الاندلسية بقدر ما هو منبثع من معطيات الاسلام . . ولا يمكن ان نعطي في هذه المجالة نظرة شاملة على مجموع المآثر الاندلسية فلذلك سنقتصر حديثنا على بعض المظاهر البارزة للفن الاندلسي الاسلامي لجامع قرطبة واشباهه .

فقد اصدر الامير الاموي عبد الرحمن الاول امره بالشروع في بناء جامع قرطبة عام 170 هـ غير ان المنية عاجلته بعد سنتين فاستأنف ولده هشام المشروع الضخم الذي لم يتم على شاكلته الحالية الا بعد قرنين ونصف قرن ، ولكن المعالم الاولى التي خطها الامير عبد الرحمن ظلت سائدة في التوسيعات المتوالية بحيث يمكن القول بان فنا جديدا انبثق في الغرب منذ عام 170 هـ (اي 786 ميلادية) مستمدا تنميقاته ومواده المرمرية وسواريه من بقايا الرومان ،

(183) قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن الفافسي وطولها 800 باع وعرضها 20 باعا وارتفاعها 60 ذراعا وحدد حناياها 18 وعدد ابراجها 19 (نفع الطيب - المجلد الاول - القسم الاول طبعة ليد عام 1855 ص 314) .

افريقية وعددها 1013 واهدى اليه ملك الروم 150
والباقي من رخام الاندلس .

وقد نحت في مدينة الزهراء حوض عليه اثنا
عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر النفيس
وبلغ عدد الدور داخل الزهراء اربعمائة دار بينما كانت
عدة الدور داخل قرطبة 113 000 دار و 3 000 (185)
مسجد و 28 ربضا منها مدينتا الزهراء والزهرة .

وقد جلب الناصر رخام الزهراء الابيض من
المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية
والحوض المنقوش من الشام وقيل من القسطنطينية
وفيه نقوش وتمائيل وبني فيها قصر الخلافة وسمكه
من الذهب والرخام الفليظ . وفي وسطه اليتيمة
المهداة من اليون ملك القسطنطينية (186) وقراميد
هذا القصر من الذهب والفضة وفي وسط هذا المجلس
صهريج مملوء بالزئبق وفي كل جانب منه ابواب انعقدت
على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب اصناف
الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور
الصافي . وكان الامير يامر بتحريك الزئبق فيلمع
لمعان البرق من النور ويخيل للناظر ان المجلس قد
طار ما دام الزئبق يتحرك وقد قارن المقرري الزهراء
بالقصر الذي شاده ملك طليطلة المامون بن ذي النون
بها حيث صنع في وسطه بحيرة وفي وسطها قبة من
زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة
بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة
على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة
الزجاج في غلالة من ماء قد سكب . خلف الزجاج لا يفتقر
عن الحركة ، منظر عجيب (187) .

وقد لاحظ طيراس (188) ان اساليب النقش في
مدينة الزهراء مقتبسة من اليونان والبنزطيين في حين

واقيم ساباط - بين القصر والجامع - اما عبد الرحمن
الناصر فقد اهتم بالمنشآت العسكرية والمدنية اكثر
مما اعتنى بالمؤسسات الدينية ومع ذلك فقد صرف
على الجامع نحو ربع ما انفق على قصر الزهراء (المغرب
ج 2 ص 344) فهدم منارة هشام الاول واقام مكانها
صومعة جميلة .

وقد كان للحكم الثاني اهتمام خاص بالجامع حتى
اشرف بنفسه على رسم تصميم التوسيع بحضور
فقهاء ومهندسين وبني بلاطات ومحرابا جديدا (184)
واقام قبا في البلاط المركزي والبلاطين الجانبيين
قبالة المحراب مع تطريزها بالمرمر المنحوت
والفسيفساء وهو الذي جلب الفسيفساء عام 354 من
مملكة الروم اقتداء بالوليد في بناء مسجد دمشق حيث
اوفد رسلا الى امبراطور بيزنطة فرجع الوغد بالصانع
ومعه من الفسيفساء 320 قنطارا هدية فرتب جملة من
المالِك لتعلم الصناعة فابدعوا واربوا على الصانع الذي
صدر راجعا عند الاستغناء عنه .

وفي عام 356 هـ اجرى الخليفة الى سقايات
الجامع ماء عذبا من عين بجبل قرطبة « خرق له الارض
واجراه في قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة
اودع جوفها انايب الرصاص » .

وقد هدم منبر الجامع عام 1572 م ولكن الجامع
احتفظ منذ تسعة قرون بروائه واثرائه ووميض نقوشه
ومناعة هيكله .

اما مدينة الزهراء فقد اتدىء بنيانها ايام الناصر
في اوائل سنة 325 وكان يصرف فيها كل يوم من
الصخر المنجور ستة آلاف سوى التبليط في الاسس
وجلب اليها الرخام من قرطاجنة الافريقية ومن تونس
وكان فيها من السواري 4313 جلبت بعضها من

(184) نقل المقرري عن صاحب المغرب عن ابن شكوال ان الحكم المستنصر استحضر العلماء للمشورة في
تحريف قبة جامع قرطبة الى نحو المشرق حسبا فعله والده الناصر في قبة جامع « الزهراء »
فقال له الفقيه ابو ابراهيم انه قد صلى الى هذه القبة خيار هذه الامة فاخذ الخليفة براهيه (النفح
ج 1 ص 369) .

(185) ذكر المقرري ان دور قرطبة وارباضها بلغت ايام ابن ابي عامر 13077 دارا للرعيعة و 60300 دار
للاكابر و 80455 حانوتا (نفح الطيب ج 1 ص 356) .

(186) المغرب ج 2 ص 345 .

(187) نفح الطيب ج 1 ص 327 .

(188) كتاب الفن الاسباني المغربي - باريس 1932 ، ص 96 .

اسم عبد الملك نجل المنصور ، ومن جملة صور الحيوانات المنقوشة في هذا المرمر النور والعقبان والظباء والاسود والفهود والطيور ، وهذا يدل على أن الاستمداد من الطبيعة لم يكن خاصا بالنقوش الخزفية او العاجية وقد خلف لنا العهد الاموي بالاندلس مجموعة من التحف العاجية تعتبر من اجمل ما يوجد في العالم (192) وما زالت تغزوت شمالي المغرب تصنع الى الآن نماذج رائعة من هذه العلب والصدائق والاعشبية العاجية ولعل الفن الاموي يستمد هذه البدائع من الفنين العباسي والفاطمي ، ويمكن القول بأنه اذا كان الاثر البيزنطي جليا في مدينة الزهراء واذا كان التأثير العباسي قد بدأ يظهر في الصنائع ايسام الحكم الثاني فانه استقى نقوشه الخزفية وصوره العاجية وقسما من نقوشه الهندسية من العراق ولكنه اضى عليها طابعه الخاص .

وهكذا فخلال ثلاثة قرون (من القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري) ظل الفن الاندلسي موصولا بالاسرة الاموية المألوفة وبالعاصمة قرطبة ثم انتشر في باقي ربوع الاندلس وحدود قشتالة فاستعملت الاساليب المعمارية والنقوش القرطبية في مساجد كبريات المدن وقصورها وقلاعها وبعد سقوط الخلافة الاموية والحجاجة العامرية تمزقت وحدة الاندلس ونشأت مصانع في مدن لم يكن لها سابق نشاط فني وغرست البلاطات الاقليمية في عهد ملوك الطوائف جذور الفن الاندلسي في المدن الصغرى حيث عاش طوال قرون ثم ما لبث الغزو المرابطي الاندلسي ان فتح باب افريقيا الشمالية في وجه الفن الاندلسي الذي سادت معالمه في المدن المغربية ، انه لم يبق الآن أي مظهر لمؤسسات ملوك الطوائف باستثناء القصور الجعفرية التي اقامها بنو هود في سرقسطة (193) والتي تدل على مدى الجهود الذي بذله النقاشون في هذا العصر / تزايد النقوش الزهرية في شكل دقيق وظهور القسي المتقطعة واتساع الاشكال الهندسية .

وقد عرف المرابطون كيف يقتبسون من الفن الاندلسي وينقلون الى المغرب بدائع هذا الفن ويعتبر محراب تلمسان وروائع القرويين اجمل ما اهداه

ان محراب قرطبة (189) شبيه بباب خزانة مسجد سيدي عقبة ، ومعلوم انه في الوقت الذي وسع فيه الحكم الجامع الاموي كانت قد مرت ازيد من مائة وعشرين سنة على اقامة مسجد القيروان الذي كان يعتبر اذذاك اوسع واجمل مسجد في الغرب الاسلامي ويلاحظ كذلك التأثير العراقي العباسي في مؤسسات قرطبة كالقسي المفلوكة او المفصصة على غرار ورق الاشجار وكذلك في نقش السقوف الهندسي والقباب المنمقة في شكل عروق واضلاع .

اما الرسوم الزهرية فالظاهر انها من ابتكار الاندلسيين (190) وتتجلى التقاليد الاسبانية الصرف في رؤوس الاعمدة المرمرية التي توجد بقاياها خارج قرطبة في الكتبية بمراكش وفي مسجد اشبيلية والمتاحف وقد نحت الرخامون الفرطبيون عددا من اجمل هذه العمدة في العصور الوسطى .

وتظهر المجالي الثانوية للفن الاموي في القلاع والاسوار (مدينة الزهراء وطليلة) ومعلوم ان خلفاء بني امية كانوا من كبار بناء الحصون في الشق الغربي للعالم الاسلامي ولعل مبانيهم العسكرية تفوق في ضخامتها ما أسسوه من مساجد وقصور .

وفي عام 368 امر المنصور ببناء « الزهراء » بطرف البلد على نهر قرطبة فتتمت في عامين فاتخذ فيها الدواوين والاهراء واقام خلالها المنازل وجلبات القصور والاسواق واتصلت ارباضها بأرباض قرطبة (191) ، وقد استمر الطابع الاموي العام في ايام حجابة المنصور حيث زاد ابن امير بشرقي الجامع بلاطا امتد طولها من اول المسجد الى آخره وقصد في هذه الزيادة المبالغة في الاتفاق والوثاق دون الزخرفة (المغرب لابن عذارى ج 2 ص 429) وبلغ عدد السواري 1417 وعدد الثريات 280 وعدد خدام الجامع 159 شخصا وعدد القومة 300 .

وتسم النقوش العامرية بالطابع النباتي غير ان الرموز الحيوانية اتخذت مكانة جلى في فن النحوت المرمرية وتوجد جفتان من المرمر احدهما بمتحف مدريد والاخرى بمدرسة ابن يوسف بمراكش تحمل

(189) ص 110 .

(190) ص 141 .

(191) التفصيح ج 1 ص 380 .

(192) طيراس - الفن الاسباني المغربي ص 173 .

(193) طيراس ص 197 (في عهد أبي جعفر المقتدر ، ص 202) .

الاندلسي المغربي بأعظم وأروع مما اتسمت به الفنون الأخرى مثل قرصة جامع اشبيلية الذي يحتوي كجامع الكتبية على تسعة عشر بلاطا مع بلاط اوسط وخمس قباب وجدر من الأجر حسب التقاليد الموحدية ولكنه احتفظ ببعض المظاهر الاموية الملحوظة في جامع قرطبة كالابراج التي تسند الجدر ويبلغ عمق جامع اشبيلية ضعف عمق الكتبية (110 على 150 مترا بدل 60 على 90 مترا) .

اما القباب التي لم تكن معروفة في التقاليد الاموية والتي تشبه مقرصات العراق وفارس فانها تبعد كثيرا عن المقرنصات المصرية ومع ذلك فان المقرنصات الموحدية تمتاز بتوريقات اموية المحند وفي خصوص الكتابات نلاحظ انه لا تكاد توجد في الاسلام مؤسسات اقل كتابة من البناءات الموحدية اللهم الا خارج المساجد كبعض الابواب الكبرى حيث تبرز حروف كوفية رائعة هذا بينما تسود التسطيرات الزهرية والتوريقات الجريدية والسففية على غرار اليونان والرومان والزنطيين ، وقد عرف الفن الاندلسي نوعا من الجدة في النشاط بفضل السلام والامن الناتجين عن سيطرة الموحديين على جنوب اسبانيا .

اما ما يخص الفن الشرقي فاننا نلاحظ تقارب الاساليب المغربية الاندلسية مع المناهج الفاطمية سواء في المظاهر الهندسية ام النقوش (بالرغم عن استعمال الأجر في المغرب والحجر والعقود والقباب المحدودة في مصر) وقد تباعدت طرائق التزيين المصرية السورية عن الاتجاهات العراقية لتقترب من المنازع المغربية ، ففي الكتبية ومسجد الحكم الفاطمي بالقاهرة مثلا توجد حجيرية واقواس مسندة بأعمدة من الأجر ونقوش على الجبس وتوريقات زهرية ، وقد استطاع الفن الاندلسي في عهد الموحديين الاستمداد من مصر عن طريق بني زيري ولكن غزوا الاعراب الهلاليين قلص من هذا التبادل الفني بين الشرق والغرب الاسلامي ايام الايوبيين والمماليك بحيث ظل الفن الاندلسي منعزلا يتطور بسرعة خارقة في اطار مقفل تبلورت اشكاله ومعالجه فلم يصف اليه المرينيون ولا الغرناطيون اكتشافات جديدة وانما هي تلوينات طريفة في اطار عتيق زادت جمودا حركة الفسوز

المرابطون الى الافارقة ، واذا كان المرابطون قد شجعوا انتشار الفنون الاندلسية دون مساس بروحها فان الموحديين تمكنوا من اضاء طابع خاص على مجموعها ولعل ذلك راجع لكون ملك المرابطين لم يدم طويلا وان دولتهم استوصلت في عنفوانها ، ومع ذلك فقد مهدوا الطريق للموحديين وفتحوا مدن افريقيا على مصارعها في وجه الفن الاندلسي على ان ظهور الدولة الموحدية غير الظروف التي عاش فيها الفن الاندلسي فانتع نطاق هذا الفن وانفسح مجاله مع تبلور وسائله واتساق مظاهر كماله ، واذا كان عبد المومن قد اتجه خاصة الى اقامة مؤسسات بالمغرب (تازة ومراكش) فان الاندلس احتلت المكانة الاولى في عهد ابي يعقوب الذي جدد اسوار اشبيلية واقام قبة انخفضت ازاءها انوار قصور بني عباد ، وبني أكبر مسجد في الاندلس (194) ضاهى به جامع قرطبة وكتيبة مراكش الذي بناها والده ، كما نانس يقصور القصبية (مراكش) مدينة الزهراء نفسها .

ثم جاء المنصور فاتم جامع اشبيلية ومنارته العجيبة Geralda ومعماريات القصبية بمراكش ، وبني رباط الفتح . (قرب قبة الودايا التي هي من مخلفات جده) وشرع في بناء جامع حسان ثم واصل ولده الناصر نشاط الاسرة العماري فأسس اسوارا جديدة بفاس ووسع جامع الاندلس ولكن هزيمة الموحديين بالاندلس فتحت ابواب اسبانيا في وجه الصليب على ان الهندسة المعمارية العسكرية الموحدية لم تتطور في العدوتين الا في ميدان النقش حيث استعاض عن الحجر المنجور وعن الرخام بمزيج من الملاط (الطين الذي تطلّى به الجدر (195) والرمل والماء وهو الاسلوب الاقتصادي السريع في البناء مما اثر تأثيرا سيئا في مناعة الحصون وفي قيمتها الاستراتيجية غير ان استمرار الخطر المسيحي في الاندلس حدا الموحديين انفسهم الى نوع من العناية بالهندسة العسكرية وواصل بنو نصر جهودهم في تجديد الاساليب العتيقة بالاستمداد من الاجهزة المسيحية .

ويمكن القول ان الطابع العام في المعماريات الموحدية هو الفخامة والاصالة مع مهارة المهندسين في فن التشكيلات والتصويرات ولذلك اتسم الفن

(194) طيراس ص 280 .

(195) قوي استعمال الأجر في المساجد والقصور باستثناء جامع حسان حيث تكثر السواري الحجرية وكذلك في تلمسان ايام بني مرين .

المسيحي للاندلس ، وقد قويت في هذا العصر بعض الاتجاهات مثل الاكتفاء بالأجر والملاط المرمل في البناء ونحت وصيغ الخشب والجبس، فالزليج اصبح يغطي اسفل الجدر ويكفل المنارات وتضائل استخدام الحجر والمرمر وتقترب هذه النقوش الجسية والخشبية المرينية النصرية من الاساليب الفارسية المعاصرة .

وقد تأثر الاسبان المسيحيون الذين عاشوا بين ظهرائي المسلمين بالاندلس بالفن العربي الذي ظهرت بعض معالمه في بناء الكنائس (ابهاء اشبه بمحاريب - نسي - قباب مورقة) كما احتفظ المدجلون (196) بصنائهم واساليبهم الفنية ولكن الدولة لم تستخدمهم الا في المؤسسات المتواضعة بينما استعمل الاسبان الواردون من الشمال في بناء القصور والمعابد الضخمة عملة من الشمال او من فرنسا ثم من الفلاندر والمانيا وبذلك اصبح البعض يرى ان الفن المسيحي في اسبانيا فن اجنبي مستورد من الخارج ، ويلاحظ وجود منصرين في فن المدجنين هما الفن الاندلسي القديم والفن المجلوب ، ففي طليطلة يتسم الفن المقتبس بالطابع الاموي بينما يسطغ فن المدجنين في اراغون - وهو ابرز انواع هذا الفن - بالطابع الموحدى لا سيما في نقوش المنارات (الأجر والفسيفساء) وحتى العناصر المستوردة تتقارب من الفن الموحدى في النحت والتزيين (ابواب جميلة ذات تسطيرات مضلعة كالتي سيصنعها المرينيون في القرون التالية) وتوريقات زهرية كالمنابر الموحدية بمراكش او منبر البوعنانية بفاس .

وبعد سقوط طليطلة وقرطبة وبلنسية واشبيلية اصبحت غرناطة حاضرة اعظم مملكة اسلامية في اسبانيا والتفت حول بلاط محمد بن الاحمر ابرز عناصر المعرفة والثروة والفن والصناعة (غراسات بلنسية ومصانع مرسية للاواني المذهبة والاسلحة والمرصعات) ولا توجد الآن في غرناطة اية مؤسسة مهمة اقدم من قصر الحمراء باستثناء حماماتها التي

يرجع عهدها الى العصر العربي الاول فبعد ما احتل امير قشتالة اشبيلية شرع ابن الاحمر في بناء قلعة الحمراء ، وقد تحدث الادريسي عن الحرف الصناعية (في الجزء المقتبس من النزهة (طبعة ليدن ص 208) فلاحظ ان مدينة المرية مثلا كان بها 800 طراز يعمل بها الحلل والديباج والستور المكلفة والخمر وصنوف الحرير وصنوف آلات للنحاس والحديد ليس في بلاد الاندلس احضر من اهلها نقدا ولا اوسع احوالا فيها 970 فندقا وفي شاطبة (ص 192) تصنع ثياب بيض من ابداع الثياب عتاقة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة والبياض ، وقد واصل محمد الثاني بناء الحصون والقصور وأسس ولده عبد الله جامعا فخما رائق الهدام مزدانا بالفسيفساء المنقطة ومسندا باعمدة رائعة برؤوسها وقواعدها المفضضة ثم اكتملت بهجة الحمراء ايام الغني بالله لا سيما في ساحة الاسود وردة السفراء (197) .

وفي عهد اخيه ابي الحجاج انتظمت آخر النقوش والنحوت ونافس الاثرياء بدائع الحمراء بقصورهم الفاخرة وبمناهم المنتشرة في سهول غرناطة (والمنية عبارة عن فيلا بدوية Villa de campagne) وما زالت قيسارية المدينة الى الان شبيهة بقيساريات فاس .

وتعتبر ساحة الاسود وردة الاخيتين وبنسى سراج من اروع ما حفظه الحدائق في الحمراء وتقوم وسط الساحة فسقية تتفتح في دائرتها اثنا عشر اسدا هي اهم واكمل انموذج للنقش العربي في الاندلس وحتى في الشرق وكتابات الحمراء الشعرية والنثرية من اوفر ما ازدان به الفن المعماري ايام بني الاحمر (198)

وبالقرب من الحمراء تنبثق جنة العريف Generalif التي هي ابداع مصطفى يتصوره الفكر بمائها الزلال وورودها الوافرة وعطورها الزكية .

تلك نظرة خاطفة على خواص الفن الاندلسي مقارنة مع معطيات الفن المغربي الذي ازدوج بها في مختلف العصور ليشكل مزيجا رائعا يعتبر من دغائم التراث الاندلسي .

(196) وقيل المدجنون وهم المسلمون في حكم الافرنج عند المغاربة (عن ابن فضل الله العمري - المكتبة الصقاية ص 150) .

(197) ردة السفراء في اشبيلية لا تحاذي الحمراء في روعتها فحسب بل انها من اجمل ما خلفه الفن الموريسكي .

(198) الهندسة المعمارية عند العرب والمغاربة - جيرول دوفرانجي طبعة 1841 ص 153 (راجع في قسمه الاخير نماذج رائعة من الكتابات المعمارية مع صور خلاصة تمثل بدائع النقش في قصور غرناطة في الوانها الحقيقية .

الفنون الصناعية

الكشوف وغمرت العالم بأصناف المنجزات من أقداح وعلب وانايب وأوان كيميائية مختلفة وكانت المصانع العربية تنفخ الزجاج وتفرغه في قوالب متنوعة وتنحته على غرار المصانع الحديثة وتأسست في العالم الإسلامي في ذلك العصر مصانع من هذا الطراز وقد وجد في مدينة فاس في أيام الناصر والمنتصر الموحدين اثنا عشر مصنعا للزجاج وامسى صناع حاب اخصائيين في افراغ الاواني الزجاجية بينما اشتهرت هذه المدينة العربية كمركز عالمي لانتساج الزجاج .

وقد عرفت دمشق بفن الترضيمات والتذهيبات كما اشتهرت مصر بصفاء مصنوعات الزجاجية وقد اصبح العرب ينتجون نوعا من زجاج النوافذ والمصابيح وصنفا اشبه بالبلور الرقيق الذي كان يصنع في بروسيا وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الاخيرة وكانت قصور العواصم العربية في العصور الوسطى تتلألا باشعاعات هذا البلور الزجاجي الخلاب وبانعكاساته الضوئية الاخاذة وكانت صناعة الخزف تحتوي على اروع المنتجات التي تزدان بها القصور معماريا واجتماعيا .

والعرب هم الذين « خلقوا » - كما يقول كوتبي - (200) الورق الذي عوض جريد النخل وسعفها ورق الغزل وما عرفه المصريون والاشوريون من ادوات الكتابة وقد عثر المؤرخ الاسباني في مكتبة الاسكوريال باسبانيا على ورق عربي مصنوع من القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 ميلادية وهو اقدم من الورق الذي عثر عليه لحد الان في المكتبات الاوربية .

وكان بفاس وحدها اربعمائة من الارحى تصنع الورق الا ان ورق سبتة كان مشهورا بجودته وكذلك ورق شاطبة (الورق الشطبي) التي كانت تزود اوربا الغربية كما كانت مصانع بغداد تمون - حسب

هذا وان اوربا مدينة للعرب لا لليونانيين بالمعطيات الاولية لصناعتها الحديثة ففي الاقطار الاسلامية مثل مصر وسوريا والعراق والاندلس والمغرب كان للتقنية العربية خلال العصور الوسطى - وهي عصور العرب الذهبية - اثر عميق في خلق وبلورة المناهج العلمية المنبثقة عن التجربة .

ففيما يخص صناعة الزجاجي مثلا اكد المؤرخ كوهنيل (199) ان فسيفساء مدينة الزهراء من نوعين احدهما شرقي من سامرا (اي سر من رأى) يرجع تاريخه الى القرن الثاني الهجري والنصف الآخر من رائق صناعة الخزف المحلية المنجز في القرن الثالث عشر والذي استمرت صناعته في قلعة بني حماد وقد بحث كوهنيل في اشبيلية عن اصل زليجي « البديع » الاسباني واوضح ان خزف مالقا المشهور ببريقه المعدني اللامع كان له طوال قرنين (من القرن الثاني عشر الى الخامس عشر الميلادي) صيت واسع تجاوز حدود الاندلس وظلت مالقا خلال مدة طويلة المركز الاندلسي الوحيد لصناعة هذا الصنف الرائع من الخزف ولكن الشريف الادريسي اكد ان هذه الصناعة عرفت في عصره (اي القرن السادس الهجري) في قلعة ايوب اما في بلنسية فان الاخزاف ذات البريق المعدني لم تعرف الا في القرن الرابع عشر الميلادي احتذاء بالنماذج المايقية وقد اتسعت شبكة التجارة الخزفية فامتدت الى الشرق وبقى الطابع الاندلسي الاسلامي مسيطرا حتى في العصور التالية بعد استرجاع الاسبان للفردوس المفقود - على المصنوعات الخزفية التي ظلت الى عصور متأخرة تحمل اشارات واسماء عربية .

وعندما كشف عباس ابن فرناس الاندلسي وهو اول طيار عربي استخدم آلة لامتطاء الاثير - طريقة جديدة لصنع الزجاج من معدن الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من

- (199) كتاب صدر عام 1925 في ليزيغ ج 2 ص 12 .
(200) عادات واعراف المسلمين ص 250
(201) حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية م 519 .

كوتبي - أوروبا الشرقية منذ أواخر القرن التاسع الميلادي .

ومصر هي التي ادخلت الى أوروبا - حسب كرونار - مطبعة الحروف المتحركة .

أما في فن التوريقات والتسطيرات الخشبية والترصيمات العاجية فان دمشق ظلت ذاتمة الصيت أزيد من ألف عام وكانت منتجاتها محط تهافت رواد الفن في العالم وما زالت ترصيمات دمشق مشهورة الى الآن بروعتها وجمالها (Damasquinage)

وقلة الفحم في الاقطار الاسلامية قد عاق تقدم صناعة الحديد الثقيلة فترة طويلة الا ان ذلك لم يحل دون تطوير هذه الصناعة بفضل صلب (الفولاذ) سمرقند ودمشق ورسا مصر الفاطمية ومستغلات النحاس والفضة في العالم العربي . وكانت الموصل تصنع ادق موازين العالم كما كانت دمشق تقوم في العصور الوسطى في خصوص صناعة المنجانات المنوعة بالدور الذي تقوم به سويسرا اليوم في صناعة الساعات الدقيقة وقد اهدى هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان ساعة اعجبت أوروبا بدقتها واليتها وقد لاحظ سيديو ان ابا الوفا هو الذي كشف دقاق الساعة قبل العالم الايطالي غليلي - وقد أكد المؤرخ كوتبي أيضا ان الصناعة الكيماوية هي من جملة الكشوف العربية ، وقد كانت تنتج اصنافا مختلفة من المواد الصيدلية ، وقد صنف ابن البيطار كتابا حلل فيه مركبات الفين من العقاقير ما زال عدد كثير منها معمولا به في التركيبات الصيدلية . واذا كانت الصناعة الكيماوية في القرن الثامن عشر الميلادي قد استطاعت ان تحدث انقلابا في الانتاج الحديث فلم يكن ذلك الا بفضل كشف العرب لبعض المركبات التي جهلها الاغريقيون كالبوطاس ونترات الفضة والكحول وحامض الكبريت ، وحامض النترات وملح الامونياك (النوشادر) ومركبات الزئبق (ومنها نقله من المائمية الى الغازية والعكس) .

وهناك عدد كبير من المصطلحات الكيماوية عربية الاصل مثل الاكسير والالقالي Alkali (من القلى) كما اكتشف العرب بعض الطرق والاساليب الجوهرية في الصناعة الكيماوية كالتصفية والتصعيد والبلورة والتحليل والتخثير وسبك الذهب والفضة وذلك لاستخلاص او تنسيق بعض

التركيبات ، وقد أكد مؤلف (فيزاج دو سلام) (وجوه الاسلام) ان التقدم الذي حققه المسلمون في الكيمياء الصناعية تشهد به تلك المهارة القصوى التي برهن عنها الصناع العرب في فن الصباغة واعداد الجلود وسفابة الفولاذ الخ . .

والعرب هم الذين كشفوا كذلك اصباغا وتلوينات لم يتمكن توالي القرون من المساس بفضاضتها وذلك في صباغة القطن والحبر والصوف وتلوين الخزف الرقيق والزجاج ، ومعانم ان أوروبا مدينة للفيلسوف الرازي بمعرفة اسلوب الحامض الكبريتي كما ان الاندلسي جابر بن حيان يعتبر حتى عند الغربيين ابا لعلم الكيمياء . وكانت مصر تنتج في العصور انوسطى اجود انواع الصابون وكانت مصانع الصابون موفورة في الاندلس والمغرب والعراق حيث كان الصناع يستعملون صودا الاثنان المعروفة بخواصها الكيماوية التطهيرية في تركيب الصابون . وفي مصانع النسيج بمصر كانت تنتج انسجة الكتان المطعمة بخيوط الذهب والفضة ، وكذلك اقنعة حربائية تتاون انعكاساتها الضوئية تبعا لساعات النهار ، وكذلك اصناف الوشي المخطط المستعمل في التابيث والاقنعة الفاخرة المحلاة بالذهب ، وقد اشار صاحب الاستبصار الى وجود نسيج مصنوع من الميكا في المغرب في القرن السادس الهجري اما صناعة الحرير فقد ازدهرت ازدهارا خاصا لاسيما بعد ما ادخل العرب دودة القز الى الاندلس في القرن الثاني الهجري . وكانت انسجة الحرير تتحلى بفسيفساء من التوريقات والتسطيرات بعض نماذجها مستعملة في المصانع الاوربية . وقد بلغت هذه الصناعة الحريرية اوجها في المصانع السورية وما زالت ارق منتجات الحرير تحمل أسماء عربية مثل المصلين (من الموصل) والدمشقي والاطلسي الخ . . وقد استوردت فرنسا بعد الحروب الصليبية من المنسوجات الشرقية كميات هائلة وأولى الدول الاوربية التي استفادت من التقنية الصناعية العربية هي ايطاليا التي نشرت ذلك في ربوع أوروبا . وقد عثر في مخطوط عربي يرجع تاريخه الى انقصرن السادس الهجري على اساليب البارود للمدافع ، هذا بينما عرفت أوروبا المدافع لأول مرة في حصار الجزيرة الخضراء من طرف الانجليز عام 1342 م ، وكان الانجليز يعملون آنذاك في الجيش الاسباني وعرفت هاته المعركة بمعركة « كريسي » وقد ذكر جورج ريفوار ان من الكشوف العربية ذات الفائدة

والسفن تنوالى بين البلدين مثقلة بهاته المادة فى ايام
الحر ، ولم تعرف أوروبا صنع الثلج الا فى القرن
السادس عشر الميلادي . وقد عرف علم الجيـل
(الميكانيك) ازدهارا خاصا وتحتوي المكتبة
التيـمورية بالقاهرة على عدد من المخطوطات تعالج هذا
الفن وتشير الى رسوم لبعض الادوات والالات
والدواليب والمنجانات المصنوعة فى المصور
الوسطى ، وقد تانت أوروبا بالاساليب الالية
العربية كما تعطينا فكرة عن ذلك الالات الدقيقة
التي استعملها المسلمون فى ابحاثهم وما زالت
بعض مصنعات ابي القاسم الزهراوي حافلة برسوم
الالات التي استعملها فى الطب الجراحي .

الصناعية البارود وورق القطن والكتان والخسرق
الرثة وقد نسب كشف صناعة البارود مدة طويلة
الى علماء غربيين مثل روجني باكسون وشوارتسر
ولغيرهما الا ان الابحاث التي قام بها كل من الاستاذين
رينو وفاني ساعدت على التاكـد من كون العرب هم
الذين كشفوا الاسلحة النارية بعدما تمكنوا من
استخدام القوة القاذفة الناتجة عن البارود وقد عشر
فى بعض الوثائق والمستندات الراجعة الى المصور
الوسطى حسب كوتبي على تحليل لوسيلة صنع
الثلج - ومعلوم ان الشام كانت تمد العراق - حسب
القلقشندي (صبح الاعشى الجزء 14) - بالثلج فى
عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت الهجن



اللغزُ العرْبِيَّةُ

الأستاذ الشاعر أنور العطار (دمشق)

أيا لفتي أنت سر العظم
ويا لفتي أنت ترب الخلود
لسان الكتاب ، وفصل الخطاب
وريحانة رويت بالملأ
تبارك من صاغها للفناء
ووشحها بمقود التنظيم
تميس المعاني بها كالفصون
وتنساب الفاظها كاللحون
توشى بها السحر سحر البيان
وناجى بها الحب احلامه
وشبت بها الحرب تطوي الحياة
وتنشئها السلم بعد الزوال
إذا ما استقرت فسجع الحمام
وأما استثيرت فدك الجبال
تري الارض مد آذنت بالصدام

ولولاك كان البيان المدم
وخدن البقاء ورمز القدم
ولب اللباب ، وروح الحكم
وزنبة نديت بالكرم
ورصعها بالانبي التوم
وفجرها بعيون الكلم
إذا حفلت بشمار القلم
فيا رب لفظ جرى كالنغم
وطاب القريض بها وانتظم
وطاف بأركانها واستلم
وترمي بأبنائها فى الرجم
كانك تشهد بمث الرمم
وشدو الينايع خنف الاجم
ومحو الرجال وصب الحمم
كان قضاء عليها جثم

واعلى مكانك بين الامم
وحفظ اللغات كحفظ الحرم
وانجيك من زيغ اهل النقم
وكم شوها شعرك المنسجم
ومن كائد يتحرى التهم
وذلك فى السمع منه صمم
وما ظلك السمع الا حرم
وجبل الاخوة لا ينصرم
وحل بنا داؤه المخترم
ولا تشتهى الحرب بعد السلم
اذا الصد قطع منا الرحم

اصونك ما عشت صون النفيس
وارعاك رعية اهل الوفاء
وادفع عنك اذاة المدة
فكم افسدوا نثرك المتطاب
فمن حاقد يثمرى العيوب
فذيالك فى الطرف منه عمى
وظلك تاوي اليه الحياة
بك الله وثق جبل الاخاء
ولولا اباديك عم الشقاق
فقد يجتوى العيش بعد الوئام
ولا ينفع الود ود القريب

هي النقم الساحر المنثم
وما عرف الحب من لم بهم
وهل هي الا هواي العمم
وان كنت ادري لفات العجم
ويرح السقام ولذع الالم
وما العربية الا الذمم
بها عصم الله من قد عصم
واهل القصور واهل الخيم
تجل على راسخات الدعم
تزيد على هزيمات الديرم
تنيف على سابقات النعم
وبالمصطفى افرردوا بالثمم
وما عرف الجور شرع حكم
وكانوا قديما رعاة الفنم

هي الكلم اطيب المنتقى
وما همت دهرى الا بها
وهل انا الا فتاها المشوق
ولا انكلم الا بها
حلال لعيني فيها السهاد
فما العربية الا الحمى
بها افزل الله قرآنه
بها اسعد البدو والحاضرون
وكان لبيانها دعمة
وكان لروضتها ديمة
وكان لفينانها نعمة
به بلغ العرب اوج الكمال
اذا حكموا لم يجر حكمهم
رعوا امم الارض لم ياتلوا

وناسمه الصرف اما نسيم
ومفتوح القول والمختتم

فيا لفتى انت عطر الخلود
ويا لفتى انت لحن الوجود

292

تَحْقِيقَات

- ♦ اسبقية اللغة العربية الفصحى على العامية
للدكتور خليل سمعان
- ♦ نقد الكتب
للدكتور ممدوح حقي
- ♦ حول نسبة كتاب الحجّة
للدكتور عبد العال سالم مكرم
- ♦ متخير الألفاظ
للاستاذ سليمان هادي الطعمة
- ♦ عبد الحق فاضل في مفارماته اللغوية
للاستاذ ذنون أيوب
- ♦ حول المفارمات اللغوية
للاستاذ عبد الحق فاضل
- ♦ المقولات المشر - مخطوط نادر
للشيخ محمد الحسي البليدي
للدكتور ممدوح حقي

294

أُسْبُقِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى عَلَى الْعَامِيَّةِ

تَحْقِيقٌ وَتَرْجُمَةٌ لِدَكْتُورِ خَلِيلِ سَمْعَانَ
أَسَازِدَ فِي جَامِعَةِ وِلايَةِ نِيُورِكِ
(بَنَغْمَتِنِ)

نشر فيما يلي نبذة في ابطال رأي القائلين بترك اللغة العربية الصحيحة واستبدال اللغة العامية بها في الكتب والكتابة لأمين فكري بك احد اعضاء الوفد العلمي المصري بمؤتمر السويد والنرويج ورئيس النيابة العامة بمحكمة مصر الابتدائية الاهلية سابقا وتجسدون النص الانجليزي في مكان آخر :

الانسان ، او حاجياته ، او كمالاته ، ولهم ان يستعملوها كتابة ، وتأليفا ، كما يستعملونها(20) نطقا اما اللغة فهى من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم في ضرب من ضروب المعاني ، اللهم الا اذا انفقوا في تعلمها ازمانا طويلا ، وبذلوا في دراستها ما استطاعوا من جهد وقوة .

وينوا على ذلك ان اختصاص العلوم ، والاداب(25) وفنون الصنائع ، واصول الشرائع ، ونحو ذلك ، باللغة الفصيحة مما يقتضى على اهل اللغة العربية بالحرمان من التقدم في معارفهم وآدابهم بجميع انواعها.

وقد قال بعض مشاهير السياسة ، في الكلام على مصر ، ما نصه : « واخال ان امل التقدم ضعيف (30) ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما في الوقت الحاضر ، بدل ان تتعلم اللغة العربية المستعملة ، لان نسبة اللغة المصرية الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني السى اللاتيني والاغريقي الحديث الى الاغريقي القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة (35) بنفسها ، وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة

ذهب بعض الناظرين في اللغات الشرقية ، من رجال أوروبا ، الى ان اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليوم ، في البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي ، قد صارت في غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الاصلية ، حتى صح ان تعد (5) كل منهما لغة مستقلة عن الاخرى ، بحيث لو فرض ان اتى الى جهة يتكلم اهلها باللغة المستعملة الآن ، كمصير سوريا ، من لا يعرف الا اللغة الفصحى ، لم يمكن ان يفهموا منه ، او يفهم منهم ، الا بعد طول المعاشرة والمخالطة .

قالوا : وغاية ما يمكن لقائل ان يقول ، في النسبة (10) بين اللغة العامية المستعملة بين العرب وبين اللغة العربية الفصيحة ، هو ان اللغة العربية الفصيحة اصل لهذه اللغة العامية ، وان هذه فرع تلك ، كما يقال ان اللغة اللاتينية اصل للغة التليانية ، وان هذه فرع تلك . ثم رأى اهل هذا المذهب ان اللغة العامية وافية بحاجات (15) في التفاهم ، ولهم ان يستعملوها في جميع انواع المعاني ، عالية ودانيسة ، علمية ، وادبية ، وصناعية ، وشرعية ، وسياسية ، وبالجملة في كل ما يراد من معنى له مكان من ضروريات

ذلك البلد ، يكون بعينه ، أو أكثر ، في مصرى ذهب الى بلاد المغرب الاقصى أو الجزائر أو سورية ، وهكذا من يجيء من تلك الجهات الى مصر ، اذا كان لم يدخل المكاتب ، ولم يسبق له مخالطة أهل البلاد التسي جاءها .

(70) مانا لا نشك في انك اذا قلت لمصرى عامى (كيف حالك) باللغة النصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما اردت ، بخلاف ما اذا قال له المغربى (اشنك) أو (آشناتيا) . وكذلك فهم المغربى العامى ، اذا قلت له (كيف حالك) ، اسهل من فهمه لقول (75) العامى المصرى (ازيك) . وهكذا يفهم المصرى قول العربى الفصيح (ما هو) بخلاف قول المغربى (آشنوا) أو (شيهو) ، أو قول السوري (شكلوا) . وكذلك يفهم المغربى والسوري من قولك (ما هو) أكثر من قول المصرى (ايه هوا) أو (هوا ايه) . (80) وكذلك قولك للمصرى (هذا الوقت) اسهل عليه فهما من قول المغربى (توا) أو (دروق) أو (دروك) ، أو قول النابلسى (هالقيت) ، وقول البيروتى (هلا) ، بتفخيم اللام ، والطرابلسى (هلا) بترقيتها . وقولك (عمامه) اسهل عليه من قول المغربى (85) (كسطه) ، أو الشامى (لفه) ، فانه لا يفهم اللغة الا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير هو رضيع غير مفصل عليه . وقولك (النعل) أو (النعال) اسهل من قول المغربى (الصباط) ، و (كثير) اسهل من قوله (ياسر) أو (بالزاف) ، و (والعطفه) (90) اسهل من (الزنقة) ، و (سفينه) اسهل من (شقف) أو (شقفوف) ، و (رواق) اسهل من (برطال) . وقولك (امضاء) اسهل من قوله (خنفوسه) ، وقولك (امضيت الكتاب) (95) اسهل من (خنفتست الكتاب) و (الكتاب مخنفس) . وقولك (هل عندك ساعة) اسهل من قول المغربى

للحصول على النتائج الفعلية من المدارس المتعددة التهذيبية ، لاستمر الجبل الجديد كسابقه ، غير صالح لخدمة وطنه ، سواء كان في القيادة العسكرية ، أو في الصنائع ، أو في الخدم العامة ، (40) وتظل عبارة « مصر للمصريين » ، كما كانت ، اسما بلا مسمى » انتهى كلامه . وبالجملة قد قالوا ان الامة العربية ، اذا بتت علومها وآدابها مختزنة في العبارات الفصيحة ، كانت كأنها في لغة اخرى غير العربية . ولا يصل آحاد الامة الى حاجة من ذلك الا بعد ان (45) يصرف الجزء الاهم من عمره في تحصيل اللغة . فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية ، وهي لغة الاب والام وجميع الخطاء ، يتعلمها الصبي كما يتعلم المشى والاكل والشرب ، لكان عنده من فضل الزمن ما يصرفه في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصبا (50) ، وكان الزمن الذي يستغرقه في تعلم اللغة الفصيحة محفوظا للتوسع في العلوم والآداب ، وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة لحاجات الامة وبنها في نفس جميع آحادها بدون استثناء . فان أغفلت هذه الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون (55) ، ولا لتحسين التربية العامة . وهكذا لج هذا الوهم باربابه حتى كاد يلتحق بالآراء المعتد بها .

اما نحن فنخالقهم ونذهب غير مذهبهم لوجوه :

الاول ، ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون ، واستثارتها بالكتابة (60) ، سيجدونه في نقل العلوم الى اللغة العامية ، بل يجدون في الثانى ما هو اشد من الاول .

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الاقطار والبلاد ، بما لا يتقص عن الاختلاف بين العامى والفصيح ، بل ربما زاد . فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة اذا (65) ورد الى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية ، وحاله مع أهل

(ثماش منقاله) (1) ، وتوكل (كم الساعة) اسهل عليه من قول المغربي (قداس التعديل) . (100) و (حمص) اسهل عليه من قول الشامي (اضافة) ، وهكذا مما يطول ايراده ولا ينحصر تعداده .

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات العامية وغيرها ، بأن نقول ان المصرية اسهل او ارجح من السورية او المغربية مثلا ، او احدهما اسهل (105) او ارجح من المصرية : بل اردنا ان نبين ان اللغة الفصيحة ، بعد ان يجتنب منها (في تعليم الفنون والصنائع) الغريب وغير المألوف استعماله ، هي بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات العامية المختلفة اسهل واقرب تناولا من اللغة الخاصة (110) بغيره ممن لم يخالطه . واللفظ العربي الفصيح ، بالنسبة للعامي المصري ، اقرب من العامية المغربية والسورية ، وبالنسبة للعامي المغربي اقرب من العامية المصرية والسورية ، وبالنسبة للسوري اقرب من العامية المصرية والمغربية ، لما (115) يطرق آذان الجميع من سماع الفاظ القرآن ، والحديث ، والمواعظ ، وغير ذلك مما يعم الجميع كما سيأتى .

وقد اتفق لي من نحو سنتين ، انني جلست في بعض بلاد الشام ، مع سيدي الوالد ، فلقينا كثير من فضلاء نبلائها ، ونجباء ادبائها ، منهم الفاضل الشهير ، الشيخ عبد المجيد افندي الخاني ، الخالدي ، النقشبندی فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة ، بخلافنا في التكلم مع العامة ، السوق ، فكثيرا ما كانوا لا سيما اذا أسرعوا في التكلم يستغلق بيننا وبينهم الكلام ، وينسد الباب دون فهم المرام ، حتى يترجم (120) لنا

الاستاذ الخالدي ، المشار اليه ، وكان يلازمنا أيام مقامنا بدمشق ، في كل آن ومكان ، فقد جمع بيننا وبينه من اللغة الصحيحة ما لم تجمه اللغة العامية بيننا وبين العامي البحت ، وما ذاك الا لان لغتنا العامية المصرية غير لغتهم العامية الشامية .

(130) واتفق في سفرنا هذا ، الى هذه البلاد ، اني دخلت أيام مكثنا بمدينة باريس ، عاصمة بلاد فرنسا ، الى احد محال التجارة بها وهو المعروف بمخزن اللوفر ، مع السيد الوالد المشار اليه ، ورفيقنا بهذا الحفل النبيل ، من مصر فلقينا هناك ، بحكم الاتفاق (135) من غير قصد ، رجل من باعة البضاعة بذلك ، سبق له اقامة (2) مدة مديدة في بلاد الجزائر ، حتى اعتاد التكلم باللغة العامية المتداولة بها كاهلها ، فلما توسم في زي ملابسنا اننا من اهل اللغة العربية ، وتحقق ذلك بالسؤال منا ، وهو (140) انما يعرف من اللغة العامية المغربية ما عرفه ببلاد الجزائر ، اخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع طلاقة وذلاقة لسان . غير ان كثيرا من كلامه كان يستعجم علينا فما يفهمه منا الا رفيقنا الشيخ حمزة ، وكذا كلامنا بالنسبة للرجل (145) حتى يفهمه الشيخ الموما اليه . وذلك لان الشيخ اقام سنين من عمره في بلاد المغرب وتونس ، فكان يترجم بيننا وبين الرجل الى ان جاءت النوبة الى شراء ما يختص بسى ، ورايت التفاهم بينى وبين الرجل لا يتيسر الا بواسطة ترجمة الشيخ . (150) فوجدت الاقرب تناولا والاقرب زمانا ، ان يكلمنى بلغته الفرنسية ، ورجوته في ذلك ، فاجاب ، وسهل تعاطي الكلام بينى وبينه ، فكانت اللغة الفرنسية الاصلية بالنسبة له ،

- 1 (قوله (منقاله) - هذه القاف تقرا عندهم كالكاف في نطق صعيد مصر وكالجيم في نطق اهل القاهرة اي غير معطشة . وانظر ما يكتب به مثل هذه القاف اذا اريد نقل الكتابة الى اللغة العامية - اکتسب بالكاف وهي لا ينطق بها كالكاف المعروفة في قراءة القرآن فيلزم تمييزها عنها ؟ ام تكتب بالجيم فيلزم تمييزها عن الجيم الحقيقية ؟ والا كيف يتميز مثل قولنا (قده) اذا كتبت بالجيم من قولنا (جسده) ؟ ومثل هذا كثير جدا .
2 (هكذا في النص .

الطارئة بالنسبة لي ، أقرب لي تناولا من اللغة المغربية العامية ، لمكان (155) التباعد بينها وبين العامية المصرية . وكذا كان الحال مع من لقيناه غير هذا الرجل ، من أهل المغرب ، من الحديثي المعهد بالاتامة في بلادنا ، لاسيما ان كان من أهل المغرب الاتصى . فان اللغة العربية المغربية تكاد ان تكون بالنسبة لنا رطانة اجنبية ، اللهم الا (160) ان تكلم باللغة الصحيحة ، فان فهمها حتى بالنسبة الى العامى منا اقرب من تلك بكثير .

وأخبرني السيد الوالد ، ابقاه الله ، انه لما سافر الى البلاد الحجازية ، لاداء فريضة الحج ، كان فهمه لكلام أهلها ، بل اعراب باديتها ، اقرب واسهل مما مر (165) بكثير جدا ، لقربه الى اللغة الفصحى . وقد تستغرب الكلمة في استعمال احدهم فيرجع اليها من يستغربها في كتب اللغة ، كالتاموس ، فتوجد نصا ، مثل لفظ « الضلع » بمعنى (جانب الجبل) . قال : وقد سالت عاميا من اعراب البادية هناك عن معنى « الضلع » فقال : « الضلع ضلع الجبل » (170) وأشار اليه ، « و ضلع الانسان » ، وأشار الى ضلع نفسه . فلما وافقت لفثهم العامية صحيح اللغة العربية في البعض ، وقربت منه في البعض ، سهل فهم ما وافق المستعمل في لسان العامة ، ووجود غير المستعمل فيه بكتب اللغة .

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلا قول الشامي (175) في عاميته الشامية ، (قالشين) ، او (تمباز) ، او (منتان) ، او لم يفهم الشامي قول المصري ، في عاميته المصرية ، (شراب) ، او (قفطان) ، او (عنتري) ، بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها ، او لم يفهم كلاهما من المغربي ، قوله في عاميته المغربية ، (سبنيه) ، بمعنى مندبل (180) و (سقلي) ، اذا كان مشغولا بالفضة ، و (جامير) ، بمعنى تميص (وهو بجيم

(1) يقصد « المغرب » .

كالجيم التركية والفارسية ينطق بها بين الجيم والشين العربيتين ، كما عرفته من نطق بعضهم) ، او لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كل من الشامي والمصري . فأين يجد الواحد منهم بغيته (185) اذا جاء الى احد هؤلاء كتاب في غير لغته العامية ، فيه شيء من ذلك ، وربما لم يكن في بلده ، او بلدة تربية منها ، احد من أهل تلك اللغة ، ولا معرفة بها عنده ، ولا في شيء من كتب اللغة يجد قصده ؟

فاذا كنت مثلا في قرية من قرى مصر ، من غير مراكزها (190) المختلطة بها اصناف الامم ، مشتغلا بزراعة او غيرها ، واتانى كتاب من احد اصحابي في الشام ، او في الغرب ، (1) على لغته ، وفيه ما لا اعرف ، فماذا اصنع ؟ اهمله بالكلية ، وربما كان في حاجة ضرورية مهمة ، ام اسافر الى موضع اجد فيه من يفهمنى ذلك ولو كنت في اتصى (195) الصعيد ، ام ابعث به الى عارف اللغتين ، يترجمه كما تترجم اللغات الاجنبية ؟ فقد اصبح كل منا ، اذا تركنا اللغة الصحيحة الجامعة بالكلية (لا قدر الله) ، اجنبيا عن الآخر من ذوى لغته وبنى جلده ، بعد ان كان بيننا جامعة اللغة . هذا ، وما قدمناه (200) من اختلاف اللغة ، انه قد يوجد في احدى اللغات العامية ما يخاله من ليس يعرفه شتما او عيبا ، مما يستحى منه ، بالنظر الى لغته ، وقد وقع من ذلك ، لكثير من الناس ، ما لا يحصى . فما ظنك بمصري نزل بالشام ، في دار وتعهدت له شامية او شامي بعمل الاكل ، فقال المصري (205) ماذا اكل ؟ فقيل له : (كبه) — والكبة في العامية المصرية مما يستعمل في فطير الدعاء على الغير ، اذ هو فيها الخراج الطاعوني ، والعياذ بالله تعالى . وفي امثالهم العامية : (سنة الكبة يدلع لمخط) ، يضرب لمن يعجب بنفسه وهو حقير ، لدى عدم وجود من يعتد به ، كتقول القائل (210) « خلت البقاع من الرخاخ فتنفرزنت فيها البيادق » .

والكبة ، في عامية سورية ، طعام معروف لدى أهلها ، من أطيب ما يستلذ عندهم . وإذا قال المصري للمغربي : (بص) ، فهي عند المصري بمعنى (انظر) ، وعند المغربي من المعاني المستهجنة للغاية .

(215) وكثيرا ما توجد في عامية بعض الجهات الفاظ تعد عند غير أهل الجهة سخفا وفحشا ، بل من أنحش السخف ، وهي عند أهلها معروفة بالوفاة ، ليست في شيء من ذلك ، لا تستحي منها العذراء في خدرها .

وقد اتفق لي من ذلك يوم دخلنا القدس في السياحة (220) الشامية ، ان سألت امرأة صادفتها في الطريق عن موضع هناك ، وهو الفندق الذي نزلناه ، وكنت قد اشتبه على الطريق إليه . فأرادت ان تقول ما معناه (ها هو هنالك) . فأشارت الى موضع الفندق ، وقالت كلمتين أرادبت بهما ذلك المعنى ، يقضي بسببها الوهم (225) ممن لم يالف تلك اللغة ، أول وهلة ، ان المرأة من فواحش الفواجر المتهتكات . فعجبت من جهرها بذلك الكلام ، على قارعة الطريق ، بمسمع غيرها من فتيات من النساء . وكنت رأيتها متقدمة في السن ، وذلك مما حملني على اختصاصها بالمخاطبة والسؤال ، خيفة ما قد يلحق الغريب (230) من الظنة . فتاملتها ثانيا ، لما استغربت ذلك منها ، فاذا هي كما رأيت أولا ، مسنة عليها سمت وقار وسمة كمال ، وهي في أبعد حال مما كان قد ذهب إليه الوهم وسوء الفهم . فلما تكرر سماع ذلك من بعض الفتيات ، بعد هذه المرة ، لم أجد سبيلا لسوء الظن (235) ولا أريد ان اصرح بأمثال ذلك ، وفي هذا كفاية لمن شاء ، ومن أراد ذلك فربما وقع له ، اذا تجاذب الكلام مع من لم يسبق له وفادة على مصر ، وجرت المناسبة الى ما هو من هذا القبيل . وكل ما ذكرناه هو بالنسبة للحال الحاضرة اليوم . اما لو نقلنا الكلام الى ما قبل

(1) الاصحح « يميز »

عشرين (240) سنة ، مثلا ، لتقيس عليه ما بعد مثل هذه المدة ، لكان الامر أكبر ، لما تراه في العامية من التبدل والتغير بتغير الاعصار وعدم الثبات والاستقرار .

فلو فرضنا الكلام في سوري مثلا جاء الى مصر ، أو مصري ذهب الى سورية ، قبل نحو تلك المدة ، لوجدنا المصري (245) لا يفهم من السوري ولا كلمة واحدة . فان المصري لو سمع من امرأة سورية ، أو رجل سوري ، من ذوي السن ، ممن لم يدخل المكاتب ، هذه العبارة ، وهي : (سلكت الحثيم آل لي ال ايننا) ، لم يفهم ماذا يريد منها ، والمراد (سألت الحكيم قال لي كل كينا) . بل لو سمع (250) شاب مصري شابا سوريا ، من أهل بيروت ، يقول اليوم (وعأت على اجري) ، لم يفهم ماذا يريد ، ومراده (وقعت على رجلي) . وكذلك لو قال السوري للمصري : (انظرنني هلا وبجي) ، لم يفهم منه انه يقول (انتظرنني حالا اجي) . ولو أراد أحد احصاء ذلك ، يلزمه ان يكتب سفرا (255) كبيرا ، هو قاموس اللغتين السورية قبل عشرين سنة مع بعض السورية اليوم والمصرية اليوم . فمن أراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العامية ، لزمه ان يحول (1) بين السوريين والمصريين والبغداديين والتونسيين والمراكشييين وغيرهم (260) ممن يتكلم باللسان العربي ، ويجعل لكل فئة منهم لغة خاصة بهم في معارفهم وعلومهم وآدابهم . ويصبح المصري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه السوري . والسوري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه المصري . وهكذا سائر الاقوام العربية ، فيفتقد العرب ما عساه يكون بينهم من التعاون (265) على العلم والآداب ، ويصيرون الى حال من الفرقة أشنع مما هم فيه اليوم . بل من دقق النظر في أحوال البلاد العربية ، يجد أن البلاد المصرية نفسها ، يختلف بعضها عن بعض ، بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل

الفصيحة الصحيحة . فان اهل (270) الصعيد الاعلى يستعملون من الالفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه اهل البحيرة ، بل لاهل مديرية الشرقية ، مثلا ، من الالفاظ ما لا يفهمه اهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها ، الا من تكرر سماعه لها ، بل لاهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، الفاظ تخالف ما هو مستعمل (275) ، في معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في ايراد الامثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن اراد نقل العلم الى اللغة العامية لزمه ان يفرق بين اهل الاقاليم في معارفهم وآدابهم وياعد (1) بين افكارهم . وانتقلت الامة بسعيه (280) الى امم مختلفة ، لا يفهم الافراد من احداها ما يقول الافراد من الاخرى ، وهم اهل شريعة واحدة ، وفي سلطان حاكم واحد ، وكل واحد منهم في حاجة الى معونة الاخر في اقل الضروريات واجلها . فان قال اهل ذلك المذهب : اننا نضع كتابا يحتوي على جميع اللغات العامية ، (285) في الاقطار العربية ، او يحتوي جميع الالفاظ المصرية ، مثلا ، مرتبة على الحروف والابواب ، ويعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر احد من اهل الغربية ، مثلا ، على لفظ في كتاب لاحد من اهل جهة اخرى ، راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

(290) قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض ، لم يكن ذلك باسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بايدينا اليوم ، على انا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي ، والتقريب اليه من العربي الصحيح ، وتركنا التقريب والبعيد عن المستعمل ، (295) لسهل الامر

(1) الاصحح « وما بعد »

(2) الاصحح « الثمام » - ر. البكري : فصل المقال (خرطوم 1958) ، 276 ؛ العسكري : جمهرة الامثال ، 2 ، 257 ؛ الزمخشري : مستقصى ، 2 ، 387 رقم 1422 ؛ الثعالبي : ثمرات القلوب ، 1326 ، 373 ، 2 ؛ النويري : نهاية ، 3 ، 55 ادين المستشرق الدكتور انطون شبيتالر ، جامعة مونيخ ، بفضل كبير لتلطفه بمساعدتي على حل هذه العقدة الفلولوجية وتوجيهي الى المصادر المشار اليها اعلاه .

جدا : كأن نستعمل في تلك المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلا ، لفظ « الفضة » بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظا صحيحا فصيحاً ، في هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي المستعمل ، لا فرق بينهما الا كسر الفاء في الصحيح ، وفتحها في العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره (300) بخلاف الاول ، ولذا ندعه ونستعمل الثاني ، وكذا نستعمل بدل لفظ (العسجد) مثلا ، لفظ « الذهب » ، لقرب الثاني من اللفظ العامي . لا يفرق بينهما الا بالذال منقوطة في الصحيح . والذال لا يفرق بينهما الا بالذال منقوطة في الصحيح . والذال غير منقوطة في العامي ، فلهذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ، ومن هذا القبيل ، ما تصدناه (305) على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي « المنقوطة » « وغير المنقوطة » ، في هذه العبارة : بدل لفظتي « المعجزة » « والمهملة » الغالبتين في المؤلفات ، ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا ، لاننا نكتب للخواص لا للعوام . فسادا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، اعنى الاقتصار في المؤلفات التي يحتاج اليها (310) عامة الناس . كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال . لم يبق من حاجة غالبا الى مراجعة الكتب اللغوية . الا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها ، من العلماء والادباء ، ومن يريد للحاق بهم . والترقي في درجات البلاغة الى (315) درجاتهم ، وما ذاك بمتعين على عامة الناس ، ولا تدعو اليه ضرورة بالنسبة اليهم . ومن اراده ، ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة ، للتوسل به الى علوم التفسير ونحوها واجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها ، وجد الكتب التي يحتاج (320) اليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف التمام (2) بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبة

والتأليف كليا ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتتناسى ، ويضحل امرها ويتلاشى ، (325) وبتداول الزمن ، يصبح الوصول الى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد . على ان العمل في جمع متفرق اللغات العامية ، وتمييزها ، مما يصعب نجاحه كل الصعوبة . فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع ، لا يصل الى الغرض منه ، حتى يخالط أهل كل اقليم (330) بل كل ناحية ، ويسمع كلامهم في جميع المقاصد والاغراض ، ليتسنى له بذلك الاحاطة بجميع اللفاظ . وهـذا يستغرق من الزمن والنفقة ، ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصح ، لاتي بالفرض المطلوب ، على اتم وجه واكمل .

(335) هذا كله اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية ، وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش . فان نظرنا الى هياث التراكيب ، التي تختلف ايضا باختلاف الاقطار والنواحي ، لاحتجنا الى من نحو خاص بكل قطر ، او بكل ناحية ، ولكان على العربي منا (340) ان يتعلم كل نحو وضع لكل لفظة ، حتى يتمكن من فهم ما يكتب في اللغة العامية ، من اي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشتقات أضعاف ما يكلفنا تعلم نحو اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج ايضا الى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية ، لتكون (345) كتابة كل جهة جارية على اصول مضبوطة ، وطريقة واحدة ، والا صار كل واحد من افراد الناس ، يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعين له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط . فمثل (اللى) ، في العامية ، بمعنى (الذي) في الصحيحة : هل تكتب (350) بلام واحدة ، مثل ما يكتب (على) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جريا على قاعدة الادغام المرعية عند اربابها في النطق

والرسم ، ام تكتب « اللى » بلامين ، بناء على ان تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب (قللي) (355) من اللغة التركية ، بمعنى « ذي شعر » بلامين ، و (اللى) ايضا ، بمعنى « خمسين » ، بلامين كذلك ، لعدم رعاية الادغام عندهم ، واختصاصه باللغة العربية الاصلية الصحيحة؟ ومثل (قل لي المحرفة من قال لي) ، هل تكتب بلام واحدة مشددة ، ام تكتب (360) بلامين متصلين ، او منفصلين ؟ وعلى كل هل تكتب بالف بين القاف واللام ، على الاصل ، للتفرقة بينها وبين (قل لي) المركبة من فعل امر وجار ومجرور ؟ ام هل تترك الالف من الرسم ، لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل تكتب (1) بالهمزة بدل القاف ، (ال لي) (365) او (آل لي) (الي) ؟ او غير ذلك . ثم على كل هل تكتب بالهمزة في اولها ، بدل القاف ، لان النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، او بالقاف الحقيقية ، لان النطق بها كذلك ، في بلاد آخر كرشيد ؟ او تكتب بالجيم ، رعاية لحال النطق بها في بعض (2) آخر كالصعيد (370) لان أهله ينطقون بها بما يشبه جيما غير معطشة ، كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ او تكتب بالقاف ، ويمرزا لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، او بالجيم مرموزا لها بما يميزها عن المعطشة ؟ او يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجملة يلزم وضع علم للرسم في هذه (375) اللغة العامية ، اذا نقلنا اليها الكتابة والفنون ، لتتحد الكتابة فيها ، والا انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل براهه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيرا في رسم الكلمة الواحدة في بلدين ، مثلا ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الانظار فيما هو (380) الصواب في الرسم ، وهلم جرا ، الي سائر ما يلزمنا استحدثه من الفنون ، لنقل التأليف والكتابة الى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول ان الزمن الذي

(1) الأصح « اكتب »

(2) الأصح « بعض بلاد الصعيد »

بأطرانها ، ويأتوا على كل جوانبها . وانما هذا الشرع الشريف تأييدا وتأييدا ، وامدها امدا مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيير والتبدل . فحال العربية في هذا الزمان ، مخالف لحالها في تلك الايام (420) كما ان حال أهلها الآن ، يختلف عن حال الاسلاف كمال الاختلاف .

الوجه الثاني : ان اللغة العامية لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة في موادها ، ولا في هياكل تراكيبها ، حتى يعول عليها ، وتوضع فيها العلوم والاداب ، وانما هي (425) تحريف لغة اخرى . ولهذا نرى التبدل والتغيير فيها ، كما ذكرنا ، لا ينقطع . وما ذكره من المثال غير صحيح ، ولن يصح : فان اللغة التليانية ، او الاغريقية الحديثة ، لغة استقرت ، وثبتت ، وصارت ملكة في الناطقين بها ، لا ينحرفون عنها ، كلهم متفقوا الكلمة فيها ، غير متوفرة (430) عندهم اسباب التغيير ، كما عندنا ، ولهذا بعثهم الباعث الطبيعي على اعتبارها مدار التخاطب ، في جميع المقاصد . وليست الحال عندنا كذلك . والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح ، لا نحتاج في بيانه الى الاسهاب والاطناب ، في هذا الباب ، وانما نلم به بعض الامام (435) وندع ما وراء ذلك الى تدبر من ينعم النظر في مجاري الاحوال الطبيعية ، وترتب المسببات على الاسباب فنقول :

كانت أمة العرب ، قبل الاسلام منحصرة في بلادها ، غير منتشرة في آفاق الارض (نريد انتشار الجماهير المجهرة ، والالوف المؤلفة ، للغلبة والاستيلاء (440) والفتوح ، لا انتشار الافراد والجماعات القليلة ، للتجارة ونحوها من الاسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه اثر ذو بال ، واهمية ، بخلاف الاول) . ثم ظهر فيها الدين المبين الاسلامي ، وكثر وانتشر ، وتموى اهله ، وسارت الدعوة اليه ، على يد القائمين به ، (445) الناصرين له ، الناشرين

يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرها ، يكفينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة (385) ، ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات اسلافنا فوق الف سنة ، مع الامتناع على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فان قال احد من اهل هذا المذهب : لا يلزم (390) وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لانها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين اهله . قلنا : لو كان الامر كذلك ، لما اضطرت كل امة من الامم المتقدمة الى وضع قواعد لضبط لغتها التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم (395) ومفضولهم مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الاقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسبا لما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمناسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (400) في الاحاطة باللغة العربية الفصيحة ، وحصر موادها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت الي حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت في الاذهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط اهله من جميع اطراف (405) البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من اهل اليمن يخاطب الحضري من اهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر ، الا ان يكون لفظ طرا من لغة اجنبية ، فعربه التوليد (410) وهو مما لا يلتفت اليه في لغة واسعة ، ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، في اثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه الى ذلك العهد ، لا تقبل تغييرا ولا تبديلا . ولهذا سهل على واضعي قوانينها (415) وحفاظ موادها ، ان يحيطوا

غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها الا من جهل امرها .

فما ذكروه من المثال غير منطبق على الحال ، كما قلنا ، لامور كثيرة ، منها انك ترى الايطاليانيين ، مثلا ، اذا دخل عندهم رجل من امة اخرى ، للاقامة بينهم (480) فلغته غير لغتهم ، فهو اذا خاطبهم او كاتبهم ، فاما ان يخاطبهم ويكاتبهم بلغته ، وهو نادر مع من يعرفها ، او بلغتهم البايئة للغته ، فلا يحصل من التداخل في الحالين بقدر ما عندنا . اما نحن فاذا دخل عندنا السوري ، او المغربي ، مثلا ، فاصل لغتنا ولغته واحد (485) ، ولكنه عنده تحريف ، وعندنا تحريف آخر ، فيقع التداخل والتبادل . الى غير ذلك مما قدمناه ، كما يعلم بالتأمل وصحة النظر . فظهر ان المثال غير واقع موقعه ، والقياس غير مصادف محله ، ولا يقاس المثل الاعلى المثل ، ولا يصح القياس الا عند عدم الفارق (والفارق مثل الصبح ظاهر) . (490) ثم ان من تتبع احوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد انها كما تختلف باختلاف الازمنة ، تختلف ايضا باختلاف الاشخاص والامكنة ، فانك تراها ترتقي الى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند اهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (495) . وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد . وكما انك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحط عن الفصحى ، عند من لا يعرفون سواها ، ولا حركة للسان الجرائد فيما بينهم . وتتغير هيئات المواد ، وصيغها ، وهيئات تراكيبيها ، بحسب (500) اختلاف الاشخاص ومراتبهم في المعرفة ، بلا تكلف لذلك ، ولا قصد اليه . وتجد لفظا له هيئة ثابتة عند العامة ، بحيث لو غيرت تلك الهيئة لعد لحنا عندهم وغلطا .

كلمته ، الى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ، وتوالت على ايديهم الفتوح ، حتى انتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ، واسلم معهم من اهل البلاد التي احتلوها من اسلم ، فصار منهم (450) وانقاد من لم يسلم ، فدخل في ذمتهم ، واتام في كل صقع ناس منهم ، للقيام بالامر ، وتقرير احكام الشرع ، وتعليم اصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع اهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، في المعاشرة (455) والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة والمجاورة ، وامور المعاملة ، والتصق اهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعاداتهم ، وسرى من كل فريق منهم اشياء الى الآخر بحكم المخالطة ، وتوالي الايام والاعوام عليها . وانتقل ذلك الى الابناء بعد الاباء (460) ، والاحفاد بعد الاجداد ، الى ان صار اهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مزيجا مركبا ، صدق فيه ما قيل « نبط استعربوا (1) وعرب استنبطوا » ، وان يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (465) تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرا عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطننا بعد بطن ، وقرنا بعد قرن ، لا سيما بعد ان تقلصت ظلال دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من امم مختلفة ، واجناس من الناس متباينة (470) تداولتها ، واستولت عليها . كما انها دخلها ايضا ولا يزال يدخلها اخلاط من الامم ، للتوطن والاتامة ، كثير منهم موافق لاهل البلاد ، في اصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم في كفيته ، فيأخذون مما عند الاهلين ، ويأخذ الاهلون مما عندهم . وهكذا صار وقوع التغيير (475) بهذه الاسباب طريقة

(1) النبط بفتح النون والنبيط قوم ينزلون بالبطائح (2) والمعجم خلاف العرب .
(2) « البطائح » في النسخة الاصلية .

المستعملة الآن ، التي ستعجز بعد ، ويكون التكلم على لغة أخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلا ، فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الاول ، تكون لغة رابعة ، فان تغير بعد ذلك أيضا ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل (450) اللغات الى ما يتناهى لو حصل ذلك . (لا حصل) .

فان قيل : ان اللغة العامية الحالية انها كانت عرضة للتغير والتبدل لعدم تقييدها بالكتابة وتركها ههنا ، تتبع كل ربح بخلاف ما لو قيدت بالكتابة ، ودونت فيها الكتب ، وجرى عليها العلم والتعلم ، واستمر الحال (545) جاريا على تلك الحال ، فانها بذلك ترسخ وتثبت ، ولا يعثرها التغير .

قلنا : هيهات . فان اللغة الصحيحة أيضا كانت مقيدة بالكتابة ، مدونة فيها الكتب ، جاريا عليها التعلم والتعليم ، مؤيدة فوق ذلك بانها لسان الشرع والديانة (550) ثم انقلبت الى لغة أخرى ، على ما يقولون . فلم لا يجوز على غيرها ، وهو دونها ، ما جاز عليها ، وهي بهذه المثابة ؟

فان قالوا : يلزم بعد تقرير هذه اللغة العامية ، وتقييدها بما ذكر ، ان نمنع العلوم ، بالحكم والالزام ، عن التغير والتبديل في الكلام ، ونلزمهم الاستمرار (555) على الحالة التي تتقرر الان ، وعدم العدول عنها ، حتى ترسخ وتثبت ، وتصير لغة مستقرة وعادة مستمرة .

قلنا : ان الوصول الى تلك الغاية (لو امكن الحصول عليه) ، انها يكون على ذلك بصنع المتصنع ، لا بحكم الطبيعة . ولا شك ان حصول الشيء بالصنع لا يكون كحصوله (560) بالطبع . ثم هذا المنع والالزام انها يمكن ، لو امكن ، ويتنم ، لو تم ، في الاجيال الطويلة ، وبالنسبة للاهالي خاصة ، وفي الجامع والمواقع الرسمية خاصة ، وفي المكتبات والمخاطبات التي تقصد بها الحكومة خاصة ، والا

بل اللسان فيها مطلق عن كل قيد ، يذهب في الالفاظ حيث يشاء (505) الناطق . فلو اردنا تقريرها ونقل العلوم اليها لمسر علينا تعيين هيئة خاصة في السواد والتراكيب . وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة اشد عسرا . ولكونها تعد تحريفا لا لغة وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، ما دام التحريف له (510) عادة ، نقول اننا مهما حرصنا على هذه العادة ، التي سميناهم لغة ، لا نأمن ان نراها بعد قرن واحد قد صارت الى ما لا نتصوره الآن . ويأتي اهل القرن الثاني ويقولون فيها وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصحى . وهكذا يستمر التغيير والتبديل (515) في اللغة العامية: فاما ان يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة ، كل زمان ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، تبعا لتغير نطق اللسان ، كما يريدون ان يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الاجيال ، ولا يفهم لسانهم من ياتي (520) بعدهم ، ويصير كل جيل منهم امة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الامر ، فضلا عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والعناء في تقريره ، عصرا فعصرا ، لا يخفى ما فيه .

واما ان لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل (525) في النطق تغيير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يتقرر اول مرة ، لو حصل ، مهما تغير التكلم ، وتبدل ، وحينئذ نرجع الى ما نحن فيه ، من ان الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرها ، ويضيع التمسك سدى والعمل عقيبا عن (530) الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، نيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في اكثر من الف سنة في آفاق العالم ، وأقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث (535) الان على لغة غيرها ، وهي العامية

مكيف ، ومن اين يتأتى التحكم على الناس بالمنع (565) والالزام ، في شيء من الكلام ، في المحاورة والحادثة ، بين أفرادهم ، ومع أهلهم ، وأولادهم ، وعائلاتهم ، وقراباتهم ، وصحابتهم ، وسائر ذوي تعلقاتهم ، وفي خلواتهم ، وجلواتهم ، ومزارعهم ، ومصانعهم ، ومحال حرفهم وصنائعهم (1) ، حتى تصير القاعدة عامة ، والفائدة تامة ؟ هذا ضرب (570) من المحال ، وأمر انما يتصور في الوهم والخيال ، لا يخرج من القوة الى الفعل ، ومن القول الى العمل .

والغرض الذي يقصدونه في تسهيل العلوم ، لا يزال مفقودا في جميع الاحوال . فان لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ، ولا سبيل لتقويمه الا التريسة والتثقيف . فان كان الواضع نفسه ساعيا في ترويض التحريف ، واللسان مندفع اليه ، فلا ممسك له عنه ، ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ، ويعود الاشكال بعينه . فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر .

(580) الوجه الثالث ، ان اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة ، واضيف اليها بعض الفاظ اجنبية ، من لغات الاقوام الذين دخلوا في اللغة ، ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها . وانما حفظ منها ما اشتدت اليه حاجة المتكلمين بها ، للتفاهم في الاغراض المعاشية (585) الظاهرة . اما العلوم والآداب ، فلم يكن لهذه اللغة حظ منها . فلو اردنا نقل العلوم اليها ، لكان في حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة ، وصوغها في تراكيب تناسبها ، حتى تتسم الفائدة . فان لم نفعل ، احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم والآداب ، نضمها (590) الى اللغة العامية الموجودة ، ونسمي المجموع لغة عربية عامية ، تحاكي لغتي الايطاليين والاغريقيين الحديثين . وانا نجد بعض الكتب التي ترجمت ، أو ألقت ، في سوريا ، وفي مصر ، بعبارة تقرب من العامية ، لعجز المترجمين لها عن

(1) في الاصل « صنائعهم »

استعمال الفصيحة في المفردات والتراكيب ، بمد صار بمنزلة (595) الموجود في لغة اجنبية ، ولا يجد المطالع سبيلا الى فهمه الا بالاستفهام من مترجمه ، أو مؤلفه . فاللغة العامية لغة قاصرة ، ولا سعة فيها للعلوم ، ولا للشرائع ، ولا للآداب ، ولا للسياسة ، فكيف يمكن الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة ؟

(600) ولو اردنا الاطالة في ابطال هذا الرأي ، وايضاح الفساد في مقدماته ، لاتينا بتفصيل يحويه سفر طويل ، وغرضنا الآن عجالة تثبت رأينا ، فان دعا داع للتفصيل ، واستيفاء الأدلة ، والاكتثار من الامثلة ، رجونا ان نفي بالغرض من ذلك .

(605) والذي نراه : ان اللغة العامية ، خصوصا في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ، لم تبعد عن الفصيحة بما تصير به لغة مستقلة . فان المواد هي المواد الاصلية بعينها ، الا ما زاد عليها ، وهو قليل لا يلتفت اليه ، في تكوين لغة . وهيئات التراكيب (610) ترجع الى الهيئات المعروفة في تركيب الكلام العربي . غير انه قد عرض على المفردات تحريف وتغيير ، بنقص أو زيادة ، لم يخف بها اصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة ، أو كمل من النقص ، أو صحح من التحريف ، لم يستبهم معناه على العامي . فان العامي الذي يضع (اللي) مكان (الذي والتي) فيقول (615) : (اللي يفعل الخير ينال ثوابه) ، لو قيل له بدل هذه العبارة (الذي يفعل الخير ينال ثوابه) ، لفهمه كما يفهم لفظ العامي . ولا يزال الكثير من العامة يضع « الذي » مكان « اللي » ، فيستعمل عاميته مع الفصيحة كأنه مخير فيهما ، كاللفظين المترادفين ، ولفظ « هنا » بكسر الهاء (620) ، لا تختلف عن « هنا » ، بضمها ، الا بالحركة ، ولا ينقلب معناها عند العامي ، لو نطقت صحيحة . وهذا هو الشأن في جميع الالفاظ المفردة . وعلى نحوه يكون الخطأ في التراكيب : فان الذي يفهم

يشتمه ، وشكاه في صبيحة الليلة الى شيخ الجامع ،
زمن العلامة الشيخ القويني ، فما دهي الا من
التشدد في الكلام ، ولو اقتصر على ان قال : (افتح)
لفهمه (655) البواب بالسهولة ، ووافق العامي ولفظ
القرآن ، ومعه كل من سمعه من العامة ، بلا أدنى
صعوبة .

وكيف لا يكون ما نقول ، وجميعهم يحفظون شيئا
من القرآن الكريم ، يتلونه في صلواتهم ، والغالب منهم
يضم الى ذلك شيئا من الادعية ، والاوراد وشيئا من
الحديث (660) ، يستشهد به ، ثم هم في كل يوم
جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصيحة ، وما من
سامع منهم الا تظهر عليه علامة الفهم ، بما يظهر على
وجهه ، وفي حركات بدنه ، ثم هم يسمعون الوعاظ في
المساجد ، والكثير منهم يحضرون في دروس العلم ،
فهم وان لم يحسنوا النطق في كلامهم جملة ، فهم
يفهمون (665) ، اللهم الا ما كان من الغريب أو معتد
التركيب .

وفساد النطق ليس من الملكات التي يلحق
محوها بالمستحيلات ، كما يزعمون ، بل ازالته أيسر
من جعل اللغة العامية مستقلة ، يتفاهم بها في العلوم
والآداب ، وتوضع لها القواعد ، وتؤسس لها القوانين
وما (670) على طالب ذلك الا تعميم التعليم ، والزام
المتعلم بتقويم لسانه عند النطق ، وتصحيح عبارته
عند الكتابة ، من مبدأ التعليم الى نهايته . فان المواد لا
اختلف فيها ، الا بنوع من التحريف ، كما قلنا . وهيئات
التأليف لا فساد فيها ، الا بنوع من سوء الترتيب .
فاصلاح ذلك لا يزيد على (675) اصلاح لغة الطفل اذ
ينطق بها ، وهو في سن السنتين ، أو الثلاث ، محرفة ،
سيئة التأليف ، ثم لا يزال يصلحها له المصلحون ،
حتى يكون كأحدهم ، وهو في الخامسة ، أو السادسة
من عمره ، واما ما يروونه من صعوبة المسالك الى

(الرجل جه) يفهم (جاء الرجل) ، والذي يفهم (ما
عليهش) يفهم (ما عليه شيء) (625) والذي يفهم
(ايه ده) أو (شوهادا) ، من مصري أو سوري ،
يفهم (ما هذا) و (اي شيء هذا) ، وما شابه ذلك
من الاستعمال الفصيح . وقد تقدم شيء من هذا ، في
مقارنة اللغات العامية : فالتحريف وفساد التركيب لم
يذهب بالعامية عن فهم الصحيح بالمرّة ، بل هم
يفهمون (630) منه ما اتفق مع الفاظهم في المادة ،
وانما يعنى عليهم فهم الغريب .

واما قول ارباب ذلك المذهب :
« لو فرض ان اتى الى جهة يتكلم اهلها
باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف الا اللغة
الفصيحة لم يمكن ان يفهموا (635) منه او يفهم منهم
الخ (1) فمما يخالف العيان والمشاهدة : فطالما شوهد
كثير ممن يأتون الى مصر يتكلمون بالعربية الصحيحة ،
مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربية الا
الفصحى ، وليس لهم كتابة الا بها ، وبعض المغاربة
من أهل فلاتة وغيرهم ، فيتكلمون باللغة (640) العربية
الصحيحة ، فيتضون ما ربههم . ومن أعضاء هذا المؤتمر
الحبر ، العلامة ، الشيخ محمد محمود الشنتيبي :
سمعناه يتكلم في مصر باللغة الصحيحة فيفهم غيره
ويفهم من غيره . وجاء من أهل سقطو الشيخ عثمان
ابن جم ، ولم يتكلم الا بها ، وكان يفهم ويفهم ، حتى
اعتاد (645) بعض العامة على التكلم معه باللّغة
الصحيحة ، من كثرة المخالطة ، وامثال هذا كثير .
وكان العلماء لا يتكلمون الا باللغة الفصيحة ، ولم يكن
بينهم وبين العامة ترجمان . واما ما يحكى عن بعض
العلماء ، من انه كان يسكن في بعض الاماكن المعروفة
في مصر بالوكايل ، فقال للبواب ذات (650) ليلة ،
يامره بفتح الباب : (« فتحا بواب » ، مصدر مؤكد
لعامله المحذوف الخ) ، فلم يفهم منه البواب ، وظنه

تحصيل العربية السليحة ، وتمسر نيلها في الازمان (680) الطويلة ، فذلك لا نراه الا من اعوجاج طرق التعليم ، وفساد مذاهب بعض المعلمين فيه ، لا من بعد اللغة نفسها عن يد المتناول .

فالذي نراه لتسهيل العلوم على العامة ، ان نصلح لغتهم بالتقويم ، على النحو الذي قلناه ، ثم تكتب الكتب (685) في الآداب العامة والفنون الابتدائية التي يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة كافة ، باللغة الفصيحة ، على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة في لغة العامة ، فيجمع في تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة : فاذا اراد ان يقول (مفلق) ، مثلا ، فلا يقول (مرتج) لانها (690) بعيدة عن الاستعمال العامي ، وقد مر شيء من ذلك ، ولا يقول أيضا (مقفول) ، من أقفل ، بل يقول منه (مقفل) ، ولا (مفلوق) أيضا ، فانها رديئة متروكة والفصح (مفلق) . فاذا كان المعنى لا لفظ له فيها يقول العامة ، فيأتي بلفظ عربي ، ثم يفسره بما يوضح معناه ، ان لم يكن (695) معروفا ، وما دخل في اللغة العامية من الالفاظ الاجنبية يمكن طرحه منها ، واستبداله بأفضل منه من اللغة العربية . والاحسن ، والاقرب للاعتياد والاعتداد ، ان يكون هذا بمعرفة جمعية علمية تتألف من مشاهير الأفاضل ، كما ذكره سيدي الاستاذ الوالد في آخر كتابه (700) الذي ألفه في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة . فانه اذا كان اختيار اللفظ بمعرفة من يوثق بهم ، ويعتد بحسن اختيارهم ، توكل بالقبول ، وتناوله الاستعمال . ومتى استعمل عند بعض القوم سار في البقية ، ويمكن في لغة الكافة ، (705) كما نراه في لفظ (اللجنة) و (المؤتمر) ، مثلا ، فانها قبل عشرين سنة ، لم يكونا معروفين في معناهما ، الا عند البعض من أهل العلم خاصة ، وقد صارا ، من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما ، واتباع اصحاب الجرائد له على ذلك ، من الالفاظ العامية التي لا يخفى (710)

مفهومها على احد . هذا في المفردات ، اما هيئات التراكيب ، فتكون على اقرب ما يمكن من تاليف العامة ، على شرط الصحة والفصاحة . ثم بعد ذلك ، ينظر في اللغة الفصيحة ، ويجلب منها ما يحتاج اليه في التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على السنة العامة في انواع الفنون (715) والآداب ، لمن يبتغي الارتقاء فيها الى اتصى غاياتها ، فتكون سعة لغة الشخص على قدر سعة علومه ومعارفه . اما البلغاء والفصحاء ، وأهل الطبقة العليا ، في الكلام ، فلهم في خطاب بعضهم بعضا ما لا يكون لغيرهم ، ولا يجب على اقدمهم ان يجتنب من الالفاظ وصور التراكيب (720) الا ما ينكر عند علماء المعاني والبيان ، وأهل الذوق من حفظة اللسان . بل ربما حسن لاهل تلك الطبقة في البليغ من النظم والنثر ، والترفع عما لا تلجئ اليه الحاجة من الالفاظ المبتذلة العامية السوتوية ، وان كانت صحيحة ، حيث لا يقصدون مخاطبة العامة (725) حتى عيب على بعض البلغاء استعمال بعض الالفاظ المبتذلة . اما في مخاطبة العامي ، فيجمل بهم ان ينزلوا الى الطبقة التي يفهمونه بها ، فانهم يمكنهم ان ينزلوا إليه وهو لا يمكنه ان يصعد اليهم ، وبهذا تمتاز طبقة العامة عن طبقة الفصحاء البلغاء ، مع اتحاد اللغة (730) وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها .

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح في علوم العرب ولغتهم ، رجونا له النجاح ، اذا ائتم النظر في الطريقة التي ذكرناها ، وتكميلها ، وتعديل طريقته التعليم وتسهيلها ، حتى تكون اقرب الطرق للتوصل (735) الى المتصود ، من نشر العلوم وتعميمها ، مع بقاء الوحدة في اللسان ، وانتفاع المصري بكتاب السوري ، والسوري بكتاب المصري ، وكليهما بكتاب المغربي ، وهلم جرا ، واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر ، في اي قطر ، لان المواد على هذا لا تختلف (740) عما هو موجود في كتب اللغة المحفوظة عند

جميع اهل اللسان ، فما استبهم من الالفاظ سهل
مراجعة المعجمات لفهم معناه .

ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح ، التي
اشرنا اليها ، الاقتصار للمتعلم على اللازم الضروري
(745) دون سواه ، في غير الفن الذي هو بصدد ان
يتخذ صناعة له ، وحرفة خاصة يستعين بها على
معيشته ، وانتفاعه من وطنه ، وانتفاع وطنه منه ،
مع كمال الاعتناء بمزيد تمكنه في ذلك اللازم ، بزيادة
التمرين على الاستعمال ، وتطبيق العلم على العمل ،
ثم مساعدة (750) التمثل (1) بالنظر والمشاهدة فيما
يستدعيه ذلك ، مثل الطبيعة والكيمياء . وليتس ما لم
يقبل ، فقليل يتقنه المتعلم ويتمكن فيه حتى يصير
ملكة راسخة ، خير جدا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه ،
من غير ان يعرف له معنى ، ويعيده على وجه ما سمعه
كما يقول (755) البيضا . واللازم الضروري من علم
العربية ، لكل ذي حرفة سواه ، ليس بكثير يعطل عن
غيره لغاية ان يختار من اجل ذلك ترك العربية
الصحيحة بالكلية ، بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة
العامة ، لو اريد ان يجعل لها علوم وقواعد ، كما يراه
من يذهب (760) ذلك المذهب ، اذا اتى الامر عن يابه
وسهل سبيله ، وازيل وعره . وما اوهم العسر ،
وهول الامر ، الا ما قد يكون من ركوب التعاسيف في
التعليم ، وعدم الاعتناء برعاية ما تتأكد رعايته ، من
معاملة كل صنف من المتعلمين بما يليق به ويناسبه ،
(765) بالنظر الى ما هو معدله . فاذا اعتنى بذلك ،
سهل الامر ، ولم يبق بنا ادنى حاجة لتترك لغتنا
الجامعة لاشتنا ، الموروثة عن اسلافنا .

ثم في هذه الطريقة التي اخترناها ما يحفظ على
العرب آدابهم وعلومهم التي اودعتها كتب الادميين
(770) . فان العامي متى تقوم لسانه ، كما يقوم لسان
الصبي ، على ما قلنا ، وكتبت له الكتب القيمة بالعبارة
السهلة ، واستنار عقله بما اودعته من الآداب والافكار
الصحيحة ، رأيت على مقربة من اللغة الفصيحة ، لا
يبعد عنه تناول ما فيها ، فلا يحرم من تاريخ (775) أمته
ولا من اصول شريعته ، ولا الآداب المودعة في السنة
النبوية ، ولا من الفوائد الجملة المطوية في الاخبار
العربية . كل هذا يكون قريبا من العرب جميعا ، اذا
سلك بهم تلك الطريق التوجيهية ، ولا يحتاجون في علم
ذلك الى العناء الشديد في نقل جميع (780) علومهم ،
المودعة في كتب لغتهم ، الى تلك اللغة الاخرى ، التي
ظننا من ظن ، لغة جديدة ، لا سبيل لانتشار العلم الا
باعتبارها كذلك .

وآخر الكلام ان اللغة العربية الفصيحة هي
سبيل تقدم العرب في جميع احوالهم . فان وجدت (785)
الناصر ، وانبعث الى العمل من وجهه ، اشرقت على
العرب انوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ،
واضاء عليهم من سناها ما اضاء على امم العالم
اجمعين ، عدة قرون ، لم يخف علم حالها على الناظر
فيها .

والله اعلم

تم بقلم كاتبه محمد ريحان في 12 صفر الخير
1307 هجرية ! (2)

1 « التمثل » بمعنى « ملازمة المكان » لا تفي بالفرض المعنى هنا وربما كان قصد الكتاب « التمثل » .
2 الموافق 9 اكتوبر ، تشرين الاول ، 1889 م .

نقد الكتب

الدكتور ممدوح حقي

والدرس ، وتوفى في النجف أواخر عام 1289 هـ (فبراير 1970 م) . كان شيعي المذهب وأكثر مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط يتعلق بالشيعة ، ويبدو أن لكثرها قيمة علمية تاريخية لم نطلع عليها لنحكم بما نراه .

2 - الرهيمية : عين المؤلف معلما في الرهيمية (قرية في اواسط العراق) فانشأ عنها هذا الكتاب ، وصفها فيه وصفا دقيقا جدا ذكر موقعها وتربتها وفلاحتها وطرقها وجوها وتاريخها وحالتها الصحية والاجتماعية والتاريخية بحيث يشعر القارئ انه قد عاش فيها هو نفسه ورآها بعينه وشاهد نباتها وحيوانها وتحسن جوها وشارك سكانها المأهول وحيدا لو ذكر الى جانب اسماء النبات والحيوان اسماءها العلمية لكان عمله اتم واكمل اما الالمام فقد سرد اسماءها بالعامية العراقية ولم يصفها وصفا دقيقا . وعلى هذا فلا يستطيع ان يفهمها الا العراقيون وحدهم بل عراق الوسط وحسب .

3 - شوقي : وامارة الشعر : خمسون صفحة من القطف المتوسط . تقد المؤلف فكرة اماراة الشعر نقدا عنيفا وحمل على شوقي ومشايخه وادعى بان هذا اللقب بدعة في تاريخ الادب العربي وانه من مبتكرات العصر واتخذ ذلك وسيلة للحملة على الشعر الحديث الذي يسمونه ظلما وعدوانا الشعر الحر وما هو الا كالطبل الفارغ قمقمة ولا جمال وبالجملة فبحثه موضوعي كثير الاتزان ، ايده بأقوال كثير من الابداء في نفي فكرة الامارة عن شوقي وعن سواه .

أماي الآن يريد ضخم جدا ، لم استطع ان اقرأ منه اكثر من ثلاثين كتابا ، معظمها من منتجات مطابع الكويت . يبدو ان هذا البلد الصغير بمساحته القليل بعدد سكانه كريم جدا بانتاجه الفكري ، وباتي بعمده مما وصل الينا العراق والنجف منه بصورة خاصة فللسيد عبد الرحيم محمد علي وحده خمسة كتب هي : «شيخ الباحثين» الرهيمية ، شوقي وامارة الشعر ، رباب الكاظمي ، الكاظمي في ذكره الثلاثين » . ولسواه اكثر من كتاب كذلك ، فواجب مجلتنا ان تشير الى كل كتاب نقدا او تقریظا، اشارة ما ولو حاولت ان تعطي كلاما منها حقه وافيا لضاق بها المجال وينا . ولذلك نجتزئ بالترريف بها مع شيء من العرض ونترك النقد الموسع الى فرصة اخرى ونتناول في كل عدد ما نستطيع لئلا نقصر بحقها جميعا . ونحن نقرأ كل مؤلف نلتقاه بدقة وانعام نظر وتقدير ولا نهمل شيئا منها ولا نقول كما قال الشاعر :

تكاثرت الطباء على خراش

فما يدري خراش ما يصيد

بل لكل منها مقامه ودقته والتفاتنا الخاصة اليه ... ولنعرض هذه الحصيلة فيما يلي : ولنبدأ بكتب السيد عبد الرحيم محمد علي ثم نقفي عليها بسائرها :

1 - شيخ الباحثين آغا بزرک الطهراني في 88 صفحة من القطف الكبير يتحدث فيه عن الشيخ آغا بزرک حديث التلميذ المحب عن استاذة ، وزينه ببعض الصور ، علمنا منه ان السيد بزرک طهراني الاصل نجفي السكن عاش ما يقرب من سبعين عاما قضاها كلها في البحث

حزن والدها - وكانت وحيدته - وفي كنف زوجها
وفي مضمار الحياة الاجتماعية والادب والشعر .

5 - الكاظمي في ذكراه الثلاثين : قرابة 200
صفحة من القطع المتوسط فيه سرد متصل حول حياة
الشاعر وعلاقاته برجال عصره ومجتمعه وأسفاره
ورسو مركبه في مصر سنين طويلة حتى توفاه الله تعالى
واختاره الى جواره عام 1935 .

نحن نعرف ان الكاظمي شاعر الارتجال العجيب
في هذا العصر ، وقد نفى عنه هذه الصفة كثير ممن لم
يتصلوا به لكن المؤلف اثبت ذلك له بحيث لم يتسرك
مجالا بعده لناقد . وكنت استغرب مثلهم طول نفسه في
الارتجال حتى رايت بنفسي بين شعراء اليمن من يرتجل
20 الى 40 بيتا في موقف خطابي لم يكن مستعدا له من
قبل ، ورايت من شعراء النجف من يستطيع نحو ذلك ،
فلم استبعد بعد هذا قوة الارتجال على المرحوم
الكاظمي على قوة في السبك حتى ليخيل اليك انه قد
اعده اعدادا طويلا من قبل وان كان دون المستوى
الشعري الذي نستهدفه ونرمي اليه . وعلى اي حال
فانه لم يكن اقل من اقترانه المشهورين في عصره امثال
البارودي وشوقي وحافظ والرصافي ... الخ .

ولقد اثبت المؤلف امرين كان محبو الاستاذ
الكاظمي لا يعرفون الحقيقة فيهما وهما :

1 - ان الكاظمي قد اتصل فعلا بجمال الدين
الافغاني وصاحب من بعده تلميذه الشيخ محمد عبده .

ب - وانه لم يكف بصره مطلقا كما ورد في كثير
من كتب الادب وكل ما ذكر كذب وادعاء .

اما ما عناه الاستاذ الكاظمي من مر العيش وقسوته
فلا يختلف فيه احد . لكن اباءه وشحمه كان اقوى من
فقره فتغلب عليه بالصبر والترفع والمروءة ...

6 - مجتمك هذا : تأليف عبد الصمد تركي
نحو 140 صفحة من القطع الصغير ، تناول فيه المجتمع
المراثي الكذاب بالنقد الموضوعي ودعا الى بناء مجتمع
جديد على أسس قوية من الصدق والاخلاق والفضيلة
وهي بجماعها أسس الدين الحنيف . ما اشد حاجتنا
الى مثل هذا النقد البناء في عصر نشئت فيه الرذيلة
والهيبة والتخنث .

7 - الزواج في الكويت : تأليف عبد الله غلام
حسين وعزة سعيد اسماعيل نحو 184 صفحة من
القطع فوق المتوسط . تناول فيه المؤلفان المجتمع
الكويتي بدراسة تحليلة دقيقة جدا وقاما باحصاء

والذي نعرفه من قصة الامارة انها اتت مرادفة
للقب شاعر الامير وشوقي نفسه يقول :

شاعر الامير وما
بالقليل ذا اللقب

الا ان السيد طاهر الطناحي ذكر في كتاب « شوقي
وحافظ » صفحة (33) قصة اخرى للامارة نرويها
فيما يلي :

لقب امير الشعراء : وكما حدثت جفوة بين
شوقي ومحمد فريد بسبب الخديوي ، وقعت
ذات مرة جفوة عابرة اخرى بينه وبين الشيخ علي
يوسف لهذا السبب ، وقد اراد الشيخ علي يوسف ان
يكيد لشوقي كيذا صحافيا ، وكان شوقي يلقبني ذلك
الحين بشاعر الامير ويدل بهذا اللقب . فما كان من
الشيخ علي يوسف الا ان كتب مقالا ادبيا في جريدة
المؤيد لقب فيه حافظ ابراهيم بشاعر النيل . وطبيعي
ان النيل يشمل مصر والسودان ويشمل الامير وغير
الامير من اهالي الوادي ، فكان شوقي قد اصبح من
رعية حافظ ابراهيم بعد هذا اللقب الجديد ، فغضب
شوقي لذلك وغضب اصدقائه من الصحافيين
السوريين والمصريين واذا باللواء وجريدة الاهرام
والجريدة تصدر في اليوم الثاني ملقبة شوقي بامير
الشعراء وقد اشتهر شوقي من ذلك الوقت بلقب امير
الشعراء ، وقبل ان يبايع بالامارة بنحو عشرين عاما .

وايا ما كان الامر فان الامارة قد انصقت باسم
شوقي الصاقا قويا جدا والتاريخ الطويل وحده هو
الكفيل باثباتها له او نفيها عنه .

4 - رباب الكاظمي : 126 صفحة من القطع
المتوسط منه 48 صفحة دراسة عن الشاعرة والباقي
نماذج من شعرها . والسيدة رباب هي الابنة الوحيدة
لشاعر العرب الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي
المتوفى عام 1935 ، ولدت عام 1917 فهي الان في
الرابعة والخمسين من عمرها المديد ان شاء الله ،
وانجبت من زوجها الاستاذ الكبير السيد حكمة
الجادر جي ولدا وبنتا عنيت بتربيتهما تربية ناجحة جدا
واكملت دراستها بعد زواجها فحصلت على الدكتوراه
في (طب الاسنان) من باريس ومارست عملها طبية في
مستشفيات فرنسا والعراق والولايات المتحدة اذ
كانت رفيقة زوجها في اسفاره موظفا دبلوماسيا كبيرا
في تلك الديار . والملاحظ ان الكتاب لا يعدو كونه
دراسة سردية لا تحليل فيها ، ومع هذا فان القارئ
يخرج منها . وقد فهم شيئا كثيرا عن حياة الشاعرة في

علمي واثبتا النتائج للعلم الذي يخله الفرد للزواج والفرق المناسب بين العمرين للزوج وقرينته وحق اختيار الزوجة وقيمة المهر وتاثيث المنزل وجنسية الزوجة ودرجة تعلمها ونوع عملها والأزعة التي تعانيها الفتيات الكويتيات في زواج الشبان بأجنبيات ومشاكل الطلاق وتعدد الزوجات ... الخ .

وهي دراسة جدية جديدة على الباحثين في هذا الموضوع من العرب حبذا لو قام بمثلها علماء في كل قطر عربي واثبتت النتائج في كتاب واحد بعد مقارنتها وبحثها وتحليلها . المجتمع يعاني أزمة زواج حقيقية وقد كتب في موضوعها كثير من الأدباء غير ان أكثر ما كتب سطحي لا قيمة له - وهذا الكتاب نور جديد يلقي على درب البحث في هذه المشكلة .

8 - دليل المتحف الكويتي : كتيب في 100 فحة من القطع الصغير مصور تصويرا جيدا ومتحف الكويت لا يزال صغيرا نأمل له اطراد النمو في المستقبل القريب .

9 - المرأة الكويتية في الماضي والحاضر : هو اول كتاب يسجل تاريخ المرأة وحاضرها ليبنى عليه مستقبلها الموفق ان شاء الله ، وقد نشرته اللجنة العليا ليوم المرأة الكويتية . وفي الكويت جمعية نسائية ذات نشاط محسوس تسمى جمعية النهضة النسائية ، ومن تتبع تاريخ الكويت ورأى كيف تقدمت المرأة الكويتية وبأي خطى فساح جرت لآخذة العجب لهذا التقدم الممتاز الذي أحرزته والفضل في ذلك لا يعود للمرأة وحدها بمقدار ما يعود للحكومة التي وقفت الى جانبها موقف المشجع الحاني عليها حنو الاب الشفيق على ولده .

10 - دليل المختار في علم البحار : تأليف المرحوم عيسى القطامي ، نشره ولده السيد هيد الوهاب ، يقع في نحو 250 صفحة من القطع فوق المتوسط ، مصور مليء بالاحصاءات يتحدث عن السياحة في البحر (بخاصة المحيط الهندي والخليج العربي) وعن خطوط الطول والعرض والبوصلة للسير نهارا وليلا في بحار لا يرى فيها الا الماء والسماء ، ومما يذكر ان المؤلف المرحوم القطامي لم يتعلم في مدرسة تعليما نظاميا لكنه كان عصاميا عبقريا علم نفسه بنفسه ومارس الملاحة بشغف وحب وانتباه حتى أصبح من البحارة المشهورين ودخل التاريخ مع ابن ماجد وأمثاله من كبار ملاحى القرن الخامس عشر .

ان الامة العربية مليئة بالعبقريات الدفينة فمتى يتاح لها النشر ؟ ! ولو لم يتطوع السيد عبد الوهاب لنشر كتاب والده لجهلنا وجهل معنا التاريخ هذا العصامي الفذ والبحار النادر عيسى القطامي . فالى روحه العظيمة الرحمة والى ولده الشكر الجزيل .

11 - التنمية الاقتصادية في الكويت : تأليف صلاح الدين الصباغ يقع في 240 صفحة من القطع فوق المتوسط . وهو عبارة عن مجموع تقريرين قدمتهما بعثتا التنمية اللتان نظمهما البنك الدولي للانشاء والتعمير بطلب من حكومة الكويت . وقد علمنا من هذا الكتاب ان :

ا - الكويت تحوي 20 ٪ من احتياطي النفط في العالم .

ب - وانها رابع دولة في انتاج النفط ، تاتي بعد فنزويلا .

ج - وان عدد سكان الكويت نحو 350 الف نسمة . نصفهم غرباء عنها واجانب بعضهم مقيم اقامة دائمة وبعضهم طاريء .

د - وان مساحة منطقة الكويت تعادل مساحة نيوجرسي او ويلز في امريكا .

هـ - وان الدخل الفردي اعلى من اي دخل في العالم .

و - وان الادخار يعادل 45 ٪ فقط .

ز - وان 70 ٪ من اليد العاملة مرتبط بالخدمات والوظائف .

ح - وان اقل من 20 ٪ يمارس الزراعة والصناعة والحرف ، ونحن نترك للقارئ الكريم ان يقوم بنفسه بما يشاء من مقارنات بعد هذه الاحصاءات الناطقة بأفصح لسان .

12 - اقتصاديات الكويت : تأليف محمود الغريلي يقع في 192 صفحة من القطع فوق المتوسط تحدث فيه عن موقع الكويت الجغرافي وعن التطور التاريخي والسكان والتجارة الخارجية والقطاع الصناعي والقطاع الزراعي . وكان بحثه علميا مبني على دراسة دقيقة واحصائيات منسقة ، ونحن نرى ان هذا الكتاب يكمل الكتاب المتقدم وبهم دارسي المنطقة ديموغرافيا واقتصاديا ، فمتى يهتم مثقفونا بدرس أمثال هذه الكتب القيمة ويفضلونها على القصص التافهة ؟ .

13 - **الالعاب الشعبية الكويتية** : تأليف سيف مرزوق الشلال يقع في 400 صفحة من القطع فوق المتوسط ذكر فيه الألعاب الشعبية المعروفة منسقة مرتبة على حروف المعجم ومع ذلك فلم يبلغ فيه أكثر من حرف (ذ) ومعنى هذا ان الكتاب سيكون معجما كبيرا ممتازا لهذا الفن من الفلكلور الشعبي وقد شرح الألعاب بالصور الناطقة مما يساعد على الوصول بسرعة الى تصور الألعاب . والمهتمون بالشؤون الفولكلورية في البلاد العربية قلة من الأدباء والعلماء تعرف منهم في سوريا المحامي السيد عبد القادر عياش والمجلة الفولكلورية في مصر تأمل لهم مع الزمن ان يرتفعوا الى المستوى العلمي الصحيح للبحث . ونحن نقدرهم لانهم اول من ابتدا ففتح هذا الباب ولا يمكن ان يصل الباحث الى نهاية الشوط في وثبة . وتقدرهم كذلك تقديرا عظيما لاقبالهم على بحث جديد واهتمامهم بتسجيل ما اندثر او كاد من عاداتنا وتقاليدنا واكثرها نبيل جيد ممتاز .

14 - **الكويت والمستقبل** : تأليف محمد يوسف عيسى يقع في 160 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الكويت حتى نهاية عام 1961 وعن الآمال المبنية عليها كدولة صغيرة غنية لنفسها وللمغرب ، وزجر عبد الكريم قاسم بمنفذ اذ كان قد تهجم على الكويت وحاول غزوها وضمها الى العراق طمعا في نفيها ولؤلؤها وموقعها الاستراتيجي . اما عبد الكريم قاسم وقصة الغزو فقد أصبحت في ذمة التاريخ . واما ما عقد على الكويت من آمال فقد تحقق اكثرها - وها هي ذي دولة الكويت تعرض خدماتها ومعاونتها المالية على جميع الدول العربية شرط استخدامها في مرافق اقتصادية تحيي البلاد وتنعشها لا في سبيل تأييد حزب او حكومة وهي مؤمنة بأن الاشخاص والأحزاب زائلون وان الأمة العربية بجميع شعوبها فوق الأرض العربية هي الحية الخالدة الباقية .

15 - **صفحات من تاريخ الكويت** : تأليف يوسف بن عيسى القناعي . وهذه هي الطبعة الرابعة وتقع في 92 صفحة من القطع الصغير الا ان البحث على قصرة مرصوص مركز موجز ايجازا حسنا ، ولا يقف عند حد التاريخ وحده بل يتجاوز الى الحديث عن العادات والتقاليد والألعاب والمعتقدات الخرافية... وما شاكل ذلك مما يرتبط مع التسلسل الماضي في البحث تسلسلا منطقيا لا بد منه .

16 - **النظام الاجتماعي في الإسلام** : تأليف ابراهيم محمد ليلى محارب يقع في 150 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الصور الاجتماعية العامة

في الجاهلية وفي الإسلام وذكر ما جاء به الدين الحنيف من تنظيم في الأسرة وفي المجتمع وفي تحرير النفس والفكر والمسؤولية العامة والسلام... الخ . وهو على شدة ايجازه حسن في جملته .

17 - **عبد العزيز الرشيد** : تأليف البغدادي المثلث (عمان) يقع في 70 صفحة من القطع الصغير قدم البحث في رواد الإصلاح في الكويت ثم تحدث عن عبد العزيز الرشيد مؤرخا وشاعرا . ومن عرف تاريخ هذا الرجل الرائد قدر عمل المؤلف كثيرا وهو جدير باكثر مما كتب عنه . واذا كان المثل الصادق يقول : « من خلف لم يمت » فنحن نقول :

ان عبد العزيز الرشيد لم يمت فهو حي خالد بمؤلفاته وبآثاره وبشعره وأخيرا بولده البار السفير السيد يعقوب الرشيد الذي ورث عن والده رأيه وأخلاقه وشعره وهنئه في الإصلاح . وللبغدادي المثلث نحو عشرين كتابا صغيرا مطبوعا وبعض المخطوطات التي تنتظر النور ، وهو اديب منتج نشيط جيد الاسلوب حسن العرض مخلص لفنه اديبا وباحثة ومؤرخا .

18 - **الكويت : باللغة الإنجليزية** : تأليف راجي الملاح يقع في 240 صفحة من القطع المتوسط يبحث في اقتصاديات الكويت بحثا علميا مبنيًا على احصاءات ومقارنات قدم له السيد أوجن بلاك بمقدمة تشعر بتقديره المؤلف والكتاب معا . ونحن نعتقد ان في الكتابة عن البلاد العربية باللغات الاجنبية خدمة كبيرة جدا لها في الأوساط العالمية . وسواء أترجم هذا الكتاب وامثاله الى اللغة العربية ام لم يترجم فقد ادى واجبه في العالم الخارجي وكان هذا من اول اهدافه . ولقد لاحظت على اسلوبه الدقة والبساطة وحسن العرض والبعد عن التكلفة والتزمت والتعقيد مما يسهل على القارئ الاجنبي الاطلاع عليه ويجتذبه اليه اجتذابا مع ان ابحائه محض علمية واحصائية .

19 - **من الامثال العامية** : تأليف خالد سعود الزيد يقع في 270 صفحة من القطع فوق المتوسط سرد فيه الامثال العامية الكويتية وقارن اكثرها بامثال من الفصحى رجع في اكثرها على ما رأينا الى الميداني وهو اوسع كتاب في الامثال . وكانت مقارنته جيّدة جدا تشير الى ما فيه من ذوق ادبي رهيّف وكذلك استشهاده بالشعر ، وموضوع الكتاب كما ترى ناحية من النواحي الفولكلورية التائهة ضمها المؤلف بعناية وسجلها بأحكام ، فلو قام سواه في البلاد العربية بعمل مماثل لسهل بعد ذلك التأليف تأليفا كاملا في هذا

الموضوع . هكذا تبديء العلوم بالتجميع والتركيز ثم ينشأ عليها البحث القيم .

20 - **انشودة انجولا** : تأليف بيبثر فايس
ترجمة يسرى خميس وهو مسرحية من أشهر المسرحيات العالمية التسجيلية يقع في 120 صفحة من القطع الصغير يتصور فيها موقف الشعب البرتغالي التمس من ديكتاتورية سالازار .

21 - **تواضعت فظفرت** : تأليف اوليفر كولد
سميث ترجمة علي زكريا الانصاري تقع في 200 صفحة من القطع الصغير . وهي مسرحية كوميدية طريفة تكاد تكون عرضا موضوعيا لحادث .

ولا بد من القول بأن هذه الرواية وانشودة انجولا من منشورات وزارة الارشاد والانباء في الكويت وهذه الوزارة تقوم بنشر كثير من الكتب القيمة والابحاث الدقيقة وتنقل خير ما في الادب العربي الى العربية من أي لغة كانت وهو عمل مشكور جدا .

22 - **الترقيص عند العرب** : تأليف سعيد الديوه جي (الموصل) في نحو 100 صفحة من القطع فوق المتوسط . نشرته وزارة الاعلام العراقية في سلسلة الفنون الشعبية .

كتاب حافل على صفره بكل جليل ودقيق في فن الترقيص عند العرب منذ اقدم الأزمنة العربية . وخصص الجزء الاخير منه بفن الترقيص في الموصل وهو في رأينا كثير الشبه بفن الترقيص في كل المنطقة الشمالية من العراق وسوريا تقريبا . يتحدث فيه عن ترقيص الآباء والأمهات اولادهم وبناتهم والشعر الذي يروى في مثل هذه المناسبات وينعطف فيذكر بعض ما يخص ولادة الذكور وولادة البنات ورجع الفعل في الاسرة بسبب ذلك وما يقال في هذه المناسبة والكتاب في جملته تصوير فولكلوري جيد واضح يستحق مؤلفه كل تقدير .

23 - **حصاد التجربة** : تأليف الوجيه السياسي اليمني ابراهيم بن علي الوزير ، كتييب في نحو ثمانين صفحة من القطع الصغير ، ولكنه يحوي من الإنكار والنقد والتوجيه الصريح ما لا يحويه كتاب ضخم وكأنه نداء أمة وصرخة شعب ندت على أسلات قلم من الكتاب حياه الله تعالى ايماننا صادقا ورايا صائبا وتوجيها صحيحا .

24 - **الملاحة في الخليج العربي** : تأليف عيسى احمد النشمي كتاب من القطع فوق المتوسط

ينوف على مثني صفحة ، افتتحه بذكرياته في بدء عمله في البحار فاذا هو كاتب قصة من الطراز الممتاز ثم قطع هذا الفصل قطعاً يشمرك بأنه حذف شيئاً كثيراً جدا ومال الى شرح السفر في البحار فشرح ما يتعلق بالسفن والمراكب وقوانين السفر والملاحة وارشاد السفن وموانئ الكويت وتاريخها وقضى ذلك كله بخرائط مفصلة وحسابات ازياج دقيقة تذكرنا بأسد البحر الملاح أحمد بن ماجد صاحب الارجيز في وصف البحر والسفر فيه وازياجه ونجومه وقيادة السفن ... الخ .

بل لقد اناف مؤلف كتابنا هذا عليه بما جباه التقدم المصري من ثقافة ملاحيه لم تكن موجودة زمن ابن ماجد المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري .

والمؤلف اشتغل في البحر نحو ثلاثين عاما ، وكان اول مرشد عربي للسفن في الخليج وأول من تولى قيادة السفن وهو شاب حدث وأول من يحمل نحو 50 شهادة تقدير من ربانة بواخر تولى ارشاد سفنهم الى ميناء الشويخ .

وإذا كان ابن ماجد قد ارشد فاسكودوغاما فسير اسطوله من ملندة على الساحل الافريقي الى كالكوتا في الهند ففتح للبرتغال باب الاستعمار في الشرق على مصراعيه وهو لا يدري . فعيى التشب يرشد السفن الى موطنه لتدخل موانئه وتخرج منها فتفرغ بضاعتها المستوردة وتحمل بضاعتنا المصدرة وتنتعش التجارة والاقتصاد القومي ولا تفوته الرقابة عليها كما لا تفوت اي عربي في هذا المعنى ، فكل عربي لقوميته خفير .

25 - **الصوت الخافت** : تأليف سليمان الشطي كتاب في 125 صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة قصص نفيسة يدل على اصالة في هذا الفن وارتباط شبه التزامي بمجمعه وان لم يكن يقصده ، زينة ببعض الصور تخيلها مؤيدة لمعانيه وقدم الكتاب بعرض لتاريخ القصة في الكويت واهداه الى روح امه التي من حياتها علمته معنى الحب وفي رحلتها التي لا رجعة منها علمته معنى الصبر . وقد اجاد عرضا واسلوبا وموضوعا وهو أحد البذور الطيبة في الادب القصصي بالكويت .

26 - **جمعية تاريخ المغرب** : الكتاب في نحو 200 صفحة من القطع المتوسط نصفه باللغة العربية والنصف الاخر باللغة الفرنسية ، شارك في اصداره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط . ومع هذا

28 - مع جلالة الحسن الثاني في نواديو بهوريطانيا:

تأليف مؤرخ المملكة المغربية السيد عبد الوهاب بنمصور يقع في 180 صفحة من القطع المتوسط صور فيه المؤلف الرحلة تصويرا ممتازا جدا حتى لتكاد تشمر بانك من رفاق الرحلة نفسها في الطيارة والمطار والاحاديث في الذهاب وفي الاياب . وقدمه بكلمة عن الاستعمار والمستعمرين والصراع الذي قام بيننا وبينهم منذ وطئت اقدمهم هذه البلاد ، استغرقت بضع عشرات من الصفحات ، وهي مقدمة علمية دقيقة جدا على شدة ايجازها ، يزينها هذا الاسلوب السمج الذي امتاز به المؤرخ الفاضل فأصبح بحق صاحب اللقب الثابت « مؤرخ المملكة » .

واذا كان الناس يقدمون لاضياهم الحواذر والحوامض في مطلع الطعام ليشجذوا شهيتهم للاكل فنحن نختم طعامنا الفكري الذي قدمناه للقراء ناقدين بالحلوى . ولذلك جعلنا هذا الكتاب مسك الختام والحلوى بعد الطعام .

تتواضع الجمعية فتسميه (نشرة) . وهو العدد الثاني لعام 1969 ساهم فيه علماء مغاربة واجانب ف جاء مرجعا ممتازا لما فيه من بحوث قيمة تناولت اصول حركة فتيان في المغرب والحملات التنقيبية في شيشاوه والجامع في الدراهم الادريسية والاهرام والفنون البلاستيكية ، ومستقبل اللغة العربية بالمغرب الاقصى ، وبيبلوغرافية موجزة عن تاريخ افريقيا والاندلس وغير ذلك من بحوث قيمة جديرة بالمطالعة والحفظ والرجوع اليها عند الاقتضاء العلمي في بحث مثيلاتها .

27 - الملتقطات : كتاب كبير ، هو

خمس اجزاء في مجلد واحد انافت صفحاته على الاربعة مائة في الحكم والفقه والادب والطرائف جمعها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي اثناء مطالعته في الكتب العربية قديمها وحديثها وفي المجالات العلمية والادبية ، وقد علق عليها احيانا تعليقا فيه ذوق وايمان ، ان هذه الملتقطات لتغني عن اسفار عديدة كما اغنى في القرن الثالث كتاب الاغاني الصاحب بن عباد عن حمل ثلاثين جملا من الكتب .



حول نسبة كتاب الحجزة في القراءات السبع لابن خالوية

الدكتور عبدالعالم سالم مكرم

قسم اللغة العربية
جامعة الكويت

المناقشة ، لان الحقيقة العلمية اكبر مني ، ومن أخي
الاستاذ العابد .

وقبل مناقشة ادلة سيادته احب ان اشير هنا
الى ان بعض المعاصرين الذين شكوا في نسبة هذا
الكتاب الى ابن خالويه فريق من اصدقائي ناقشوني
مشافهة في هذه النسبة ، وكل ادلتهم تنحصر في ان
كتب الطبقات لم تشر الى ذلك ، ولم يقدم لنا هؤلاء
الزملاء دراسة مفصلة منشورة في نفي هذه النسبة ،
وليست هناك دراسة لابن خالويه ، ولكتابه الحجزة
تضمها المكتبة العربية في الشرق او في الغرب غير
الدراسة التي قمت بها ، وغير هذا التعليق الذي تفضل
به الاخ الاستاذ العابد على هذه الدراسة .

واما الادلة التي ذكرها الاستاذ العابد ليناقض
بها ادلتي ، فاني اتقدها على الوجه التالي :

1) ذكرت ان تلميذ ابن خالويه لابن مجاهد
فرضت عليه ان يحيا في الدراسات القرآنية ، ويتمكن
منها ، ولم بالقراءات ، ويدافع عنها ، وانه ألف الحجزة
في القراءات السبع لينافس به كتاب الحجزة الذي ألفه
ابو علي الفارسي ، وان عدم ذكر الحجزة لابن خالويه في
كتب الطبقات يرجع الى ان الكتاب في القراءات ،
فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجزة .

ولكن هذا الدليل لم يقنع الاستاذ العابد . لان
كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع في الدراسات

تفضل الاستاذ الكريم محمد العابد الفاسسي ،
الاستاذ بجامعة القرويين بالمغرب بنشر بحث قيم في
مجلة « اللسان العربي » ، المجلد الثامن ، الجزء الاول
ص 521 ، ينقد فيه توثيقي لكتاب الحجزة ، ونسبته
الى ابن خالويه ، وقد نشر بحثي في المجلة نفسها ،
والجزء نفسه ص 502 .

وقد اسعدني هذا النقد ، لان الحقيقة بنت
البحث كما يقولون . وقد اقتصر نقده على الفصل الذي
كتبته ، واثبت فيه نسبة الكتاب الى ابن خالويه .

واني لا اضيق ذرعا بالنقد البناء ، فاحتكك
الافكار بعضها ببعض ينمي العلم ، ويطور المعرفة ،
ويبعث في الفكر الحركة والحياة .

وكنت اود ان ابارك هذه الادلة التي اوردها الناقد
الفاضل لنفي نسبة الحجزة الى ابن خالويه ، واضع
يدي في يده مسلما له بكل ما قال ، ولكن الحقيقة
التي دفعتني الى ان يكتب هذا النقد هي الحقيقة نفسها
التي دفعتني الى ان انقد هذا النقد ، لانه قائم على ادلة
لم تقتنع بها نفسي ، وانا طالب معرفة ، فاذا اقتنعت
آمنت وسلمت ، واذا لم اقتنع لا الود بالصمت ، او
بالصبر فان الساكت عن الحق شيطان اخرس .

علي اذن ان ابين السبب في عدم اقتناعي من
غير ان اسمح للحظوظ النفسية ان تتدخل في هذه

القرآنية ، والف فيها كتباً لا يكفي ذلك دليلاً على إثبات نسبة كتاب الحجة له ، وأما كونه ليس بدعاً أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره فصحيح ، ولكن المسألة مسألة إثبات لا مسألة احتمال وتخمين ... » .

اقول :

ان تلميذ ابن خالويه لابن مجاهد ، وبراعة ابن خالويه في الدراسات القرآنية حيث ألف كتباً في هذا المجال نصت عليها كتب الطبقات ككتاب : اعراب ثلاثين سورة ، والبديع في القراءات ، ومختصر شواذ القراءات ، وكتاب مجدول في القراءات ألفه لمضد الدولة ، أقول : ان هذا كله يشير الى ان كتاب الحجة موضوع القضية نسبته الى ابن خالويه صحيحة .

وقد قلت في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي » بصدد عدم ذكر هذه التسمية في كتب الطبقات : ان شهرة كتاب الحجة للفارسي غطت على شهرة الحجة لابن خالويه حيث اشتغل الناس به قراءة ، وتلخيصاً كما فعل أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه : المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي وغيره .

ومن الجلي ان اصحاب كتب الطبقات وابن خالويه نفسه اشاروا الى ان له كتاباً في القراءات ، فاین ذهب هذا الكتاب ؟ لا يمكن ان يكون كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم 52 قراءات ، لان منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد والاطناب ، اذ يتحدث عن تفسير الآيات واسباب نزولها ، ويحشد قصصاً عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها ، والاحتجاج بها الا جزئاً يسيراً من هذا المنهج ، فكتابه في حقيقة امره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب التفسير التي تتعرض لهذه الأغراض جميعاً ، وقد نسخ هذا الكتاب المصور سنة 600 هـ بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عريبن محمد بن الحسين (1) .

على اننا نجد كتاب الحجة موضوع الحديث نسخ بخط واحد سنة 496 هـ وهو موقوف على القراءات وحدها ، والاحتجاج لها .

ان الذي يطمئن اليه القلب ، ويرتضيه العقل ان كتاب القراءات المنسوب الى ابن خالويه في كتب الطبقات هو كتاب الحجة نفسه ، لانه لا يعقل ان يكرر ابن خالويه ما كتبه استاذه ابن مجاهد في القراءات ، لان ابن مجاهد كل عمله في القراءات انه انتخب من القراءات العديدة هذه القراءات السبع وليس فيه الاحتجاج النحوي او اللغوي لهذه القراءات ، على حين يطالعنا كتاب الحجة لابن خالويه بالتوجيه لكل قراءة ، والاحتجاج لها في مجال النحو واللغة وكذلك فعل ابو علي الفارسي في حجته ، اعتمد على هذه القراءات السبع التي جمعها استاذه ابن مجاهد ، واحتج لها في ميدان النحو واللغة .

يقول الفارسي في مقدمته : « فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد » (2) ، فأبو علي الفارسي كما يبدو في مقدمته ، لم يرد ان يكون كتابه نسخة مكررة من كتاب استاذه ابن مجاهد ، بل كان عمله التوجيه والاحتجاج ، اذا كان الامر كذلك فهل يعقل في باب المنطق ان يأتي معاصر لأبي علي كانت بينهما منافسات علمية خطيرة اشرت اليها في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي » - ليؤلف في القراءات وتكون مهمته تكرار كتاب استاذه ؟

ان العصر الذي ضم هؤلاء الاعلام كان عصر احتجاج للقراءات التي ثبتت عن ابن مجاهد ، ولم يكن الامر مقصوراً على أبي علي الفارسي فقد شاركه في ذلك محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى 351 حيث ألف كتاب السبعة بعلمها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر (3) والف كذلك ابو محمد الحسن بن مقسم المتوفى 362 هـ كتاب السبعة بعلمها : الكبير ، والأوسط ، والأصغر (4) .

ايصح ان يقال اذن : ان ابن خالويه اللغوي الكبير كان عاجزاً عن متابعة هذه الحركة القرآنية في عصره ، وهو من خيرة اعلامه ، ومن اشهر تلاميذ ابن مجاهد ؟

- (1) فهرس مخطوطات الجامعة العربية 12 ، وفهرس المخطوطات ، الجزء الاول : 1 س \ 276 .
- (2) مقدمة الحجة لابن علي الفارسي 1 - دار الكتاب العربي .
- (3) الفهرست لابن النديم - 32 - 33 .
- (4) المرجع نفسه والصفحة ..

اليه ، لان كتب الطبقات لم تذكره ، ولان ابن خالويه لم
يشر اليه في تضاعيف كتبه .

اقول لآخي الناقد :

لا احب ان اكرر ما قلت في شأن كتب الطبقات
فليس اصحابها في عصمة من النسيان وليست هذه
الكتب في مأمن من الخطأ ، ولا ادل على ذلك من هذا
التراث الضخم الذي حوته فهارس مكتبتنا في الشرق
والغرب ولا تجد للكثير منه ذكرا في كتب الطبقات
المعروفة .

الم اقل في بحثي لانتاج ابن خالويه العلمي : انني
استطعت ان انسب الى ابن خالويه كتبا لم تضمها كتب
الطبقات ، وعددت من هذه الكتب عشرة كتب اذكر منها
كتاب الريح ، وكتاب أسماء الله الحسنى ، وكتاب
الهاذور ، وشرح ديوان ابي فراس الحمداني . .
انسقط هذه الكتب لانها لا توجد في البغية ، او في
انباه الرواة ، او في معجم الأدباء . . الخ ؟ لو فطننا
ذلك لأجهزنا على ترائنا بأيدينا من حيث لا نشمر ولا
اسلم ايضا للناقد الفاضل بأن ابن خالويه لم يشر اليه
في تضاعيف كتبه ، لان ابن خالويه قد اشار اليه ،
اشار اليه في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند
تمرضه للقراءات في قوله تعالى : « انعمت عليهم »
قال : « اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا
قلت : عليهما ، قال الله عز وجل : « يخافون انعم الله
عليهما » (7) الا يعقوب الحضرمي فانه ضم الهاء في
التثنية كما ضمها في الجمع ، وقد ذكرت علة ذلك في
كتاب « القراءات » (8) وهذا التعليل تجده في
الحجة (9) . واما عدم ذكره باسم الحجة فقد بينت
السر في ذلك ، وان هذه التسمية جاءت متأخرة عن
عصر ابن خالويه .

ان ابن خالويه حينما يقول : ذكرت علة ذلك في
كتاب « القراءات » ليست هذه اشارة واضحة الى ان
المعنى بذلك هو كتاب الحجة ؟ وما مدلول قوله :
« علة ذلك » ليست العلة هي التوجيه النحوي او
اللفوي ، وما التوجيه النحوي او اللفوي الا الاحتجاج ،

الواقع ان العقل لا يسلم بذلك ، فان الظروف
المحيطة بهذا اللون من الدراسات تلح على ابن خالويه
ان يولف في القراءات ، ويوجهها ، ويحتج لها كما فعل
معاصروه واكبر الظن ان الكتاب كان عنوانه الحجة في
القراءات السبع فعند النسخ سقطت كلمة الحجة ،
وهو امر يحدث كثيرا على يد النساخ ، او اختصر
عنوانه فأصبح : القراءات ، واختصار العناوين ليس
بلغا في مؤلفاتنا . وقد اشار الى ذلك محققو كتاب
الحجة للفارسي حيث ذكروا ان كتاب الحجة يرد « في
الكتب التي تذكره بأسماء مختلفة منها : الحجة ،
والحجة في علل القراءات السبع ، والحجة في شرح
القراءات السبع (5) .

الا يدل ذلك على ان ابا علي لم يضع هذه الاسماء
العديدة لكتابه ، وانما وضع اسما واحدا فقط ، فجاء
الرواة ، او الناسخون ، فغيروا وبدلوا مما جعل اسم
هذا الكتاب يتخذ صورا متعددة .

على ان ابن خالويه كان في مقدمته صريحا ، فقد
ذكر ان الكتاب في الاحتجاج وقد قلت : ان انسب
تسمية لهذا الكتاب هي الحجة ، فكلمة الحجة تطالعك
في كل سطر من سطور هذا الكتاب .



(2) ذكرت ان كتب الطبقات ليست حجة قاطعة
نرجع اليها في نفي نسبة الكتاب الى ابن خالويه حيث
لم تشر اليه ، ذلك لان هذه الكتب نفسها اغفلت ذكر
كتب لابن خالويه ، منها : كتاب أسماء الله الحسنى
الذي اشار اليه ابن خالويه نفسه في كتابه : اعراب
ثلاثين سورة حيث قال : « وقد صنفها في كتاب
مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (6) .

وقد علق الأستاذ الناقد على هذا القول بقوله :
« هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بان
يذكر في اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة
وحيث لم يذكر في كتب الطبقات ، ولا ذكر في باقي
كتب ابن خالويه ، فهذا دليل على عدم صحة نسبته

(5) انظر مقدمة الحجة للفارسي - 4 .

(6) اعراب ثلاثين سورة - 14 .

(7) المائدة - 23 .

(8) اعراب ثلاثين سورة - 32 .

(9) الحجة في القراءات السبع : تحقيق : عبد العال سالم مكرم - طبع دار الشروق - بيروت .

الى هذه التسمية وانما فهمت التسمية من موضوع الكتاب ، ولذلك اختلف الرواة فيها كما بينت آنفا .

وفعل ذلك ابن خالويه حينما ذكر في مقدمته ما نصه : « وانا بعون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم » (11) فكلمة « احتج » تجدها في مقدمة ابن خالويه على حين تفتقدها في مقدمة الفارسي .

وفعل ذلك ايضا الفارسي في كتابه « الاغفال » حيث يقول في مقدمته بصدد المسائل التي اغفلها الزجاج ما نصه : « ذكرناها لما اقتضت عندنا من الايضاح للاغفال الواقع فيها » وكتب على غلاف النسخة المخطوطة « الاغفال لابي علي الفارسي (12) .

وكذلك فعل ابو محمد مكي بن ابي طالب الاندلسي في مقدمة كتابه « تفسير مشكل اعراب القرآن » حيث يقول : « فقصدت في هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب ، وذكر علله ، وصعبه ، ونادره ، ليكون خفيف الحمل » (13) . الخ . ولم يشر الى ان هذا الكتاب اسمه « تفسير مشكل اعراب القرآن » وانما ذكر الموضوع ، ولا يخفى على الراوية او الناسخ لب هذا الموضوع ، فاستنتج الاسم منه ونسب اليه .

ولا ابالغ اذا قلت : ان كتاب سيبويه اشهر كتاب انتشر في الافاق لم يسمه سيبويه بهذا الاسم ، وانما جاءت التسمية من الرواة او الدارسين او الناسخين ، يقول استاذنا المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمته القيمة لتحقيق كتاب سيبويه ما نصه : « وقد عرف كتاب سيبويه من قديم الدهر الى يومنا هذا باسم الكتاب او كتاب سيبويه ، ومن المقطوع تاريخيا ان سيبويه لم يسمه باسم معين » (14) .

وفي العصور المتأخرة نجد المؤلفين ينصون على تسمية كتبهم في مقدماتها وبذلك يكون عنوان الغلاف وفق عنوان اسم الكتاب المشار اليه في المقدمة فهذا ابن هشام في مقدمة كتابه المغني يشير الى اسم كتابه فيقول : « سميت بمغني اللبيب عن كتب الاعراب » ، والسيوطي في مقدمة كتابه الهمع يقول : « فتخيرت

وما الاحتجاج الا ذكر الحجة ، والحجة تتكرر في كل قراءة يعرضها الذي يميني ياسيدي والا واخيرا هو المضمون لا الشكل ، والجوه لا العرض ، والمعنى لا اللفظ ، وهذا كله يشير الى ان كتاب القراءات الذي اشار اليه ابن خالويه هو في الاحتجاج ، وبذلك لا نسلم للناقد الفاضل قوله : انه لم يشر اليه في تضاعيف كتبه .



(3) وحينما ذكرت ان التسمية بالحجة قد تكون من عمل المتأخرين ، وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لعهد الدولة باسم الحجة .

يقول الأستاذ العابد معلقا : « اننا نؤكد ان النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لابي علي الفارسي مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق في القدم من نسخة كان يملكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار . . . الخ . فمن اين الجزم بان ابا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة ؟

اقول :

اخي ، ان الذي دفعني الى هذا القول هو ان عنوان الكتاب على الغلاف ليس هو الفاصل في القضية كما فهمت سيادتك . . فقد درج المؤلفون ان يذكروا في مقدمة كتبهم أسماء هذه الكتب او موضوعاتها ، ويقوم الناسخون بوضع هذه التسمية على الغلاف ان كانت مذكورة في المقدمة ، او وضع اسم ينطبق على موضوع الكتاب ان لم يكن اسمه مذكورا بنصه ، على ان الغالب في مؤلفات القدامى انهم يذكرون موضوعات كتبهم في مقدماتهم ، ولا يشيرون الى اسمائها ، فعل ذلك ابو علي الفارسي حينما ذكر في مقدمة كتابه الحجة ما نصه : فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (10) ولم يشر

- (10) مقدمة الحجة للفارسي - 3 .
(11) الحجة لابن خالويه - 38 - طبع دار الشروق - بيروت .
(12) الاغفال لابي علي الفارسي مخطوط رقم 649 تفسير - دار الكتب المصرية .
(13) شكل اعراب القرآن مخطوط رقم 232 ، تفسير - دار الكتب .
(14) مقدمة المحقق 1 - 23 - طبع دار القلم .

لهم هذه المجالة الكاملة بحل مبانيه ، وتوضيح معانيه الى ان يقول : مسماة بهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع .

ولعل في هذا الدليل الشافي في ان عنوان الكتاب قد لا يكون في بعض الاحيان من وضع المؤلف ، او من تسمية المؤلف .



(4) وقد ذكرت ان من الادلة على ان الحجة لابن خالويه دليل التنافس العلمي في هذا العصر ، ولكن هذا الدليل لم يرق في نظر الناقد فكتب يقول : « وانا لا ادري ما وقع هذا الدليل . والتنافس العلمي ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من اصله ، وقد وقع التنافس في كثير من الفنون في عصره ، ولم يؤلف ابن خالويه في جميع تلك العلوم المتنافس فيها . »

اقول :

لعل الناقد الفاضل يذكر ان اهم ما كان يشغل ذهن ابن خالويه هو العلوم القرآنية ، واذا نانس فانه ينافس في مجالها ، اما ما عدا ذلك من الوان المعرفة كالطب والفلك ، والمنطق والفلسفة ، والحساب والهندسة ، فهذه علوم لا تدخل في حساب المنافسة . وقد اشرت الى منافسته للفارسي وابن جني ، وغيرهما كما سبق بيانه في مجال الدراسات القرآنية .



(5) وقد قلت :

ان من اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته لابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وهذا التشابه محصور في الإيجاز والاختصار ، وموضوعات أخرى ذكرتها في بحثي ، واستدللت عليها بنصوص لا تقبل الجدل ، ولا تحتل الشك .

ولكن الأخ الناقد لم يعجبه هذا التدليل فقال : « ان الأسلوب والمنهج الذي كان سائدا في عصر ابن

خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تتلمذ لابن مجاهد ، وابو علي الفارسي في كتابه لم يكن يتبع غير طريقة الإيجاز ولو نسبيا . »

اقول :

لقد جعلني الناقد الفاضل اشك في انه قرأ او اطلع على كتاب الحجة للفارسي الذي طبع منه الجزء الاول بتحقيق أستاذنا النجدي ورفاقه ، وقد أشار سيادته في نقده الى هذا الجزء المطبوع .

من قال : ان ابا علي الفارسي في كتابه الحجة كان طابعه الإيجاز ولو نسبيا ؟ ان هذا قول لا تطمئن اليه النفس واليك الدليل :

ان الجزء الاول المطبوع من حجة الفارسي يحتوي على 331 صفحة من القطع الكبير ، ابتداء بفاتحة الكتاب ، وانتهاء بقوله تعالى : « على كل شيء قدير » آية 20 من سورة البقرة . أي ان هذا الجزء الضخم كله توجه لقراءات الفاتحة ، ولعشرين آية من سورة البقرة ، فهل هذا ايجاز يا سيدي ؟

ان الاساتذة المحققين اجسوا ان نشر كتاب الحجة للفارسي قد يصل الى اربعين جزءا على غرار الجزء الاول مما يتطلب وقتا طويلا ، وعمرا مديدا ، ومنذ ثلاث سنوات لم ير النور من كتاب الحجة للفارسي غير هذا الجزء الاول ، مما دفعني دفعا قويا الى اخراج كتاب الحجة لابن خالويه ، لانه يقدم للقارئ خلاصة موجزة للاحتجاج النحوي واللغوي للقراءات السبع في أسلوب ممتع ، وفي عرض يشرق على القارئ بهاؤه ويستولي على نفسه جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليحقق الهدف الأكبر من تأليفه ، وهو انتفاع الناس به ، أو كما يقول في مقدمته :

« قاصدا قصد الابانة في اختصار من غير اطالة ولا اكثار ، جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرّب على مريده ، وليسهل على مستفيدة » (15) ، ومن حسن الحظ ان كتاب الحجة لابن خالويه أصدرته ونشرته دار الشروق ببيروت في أوائل أغسطس سنة 1971 ، وهو الآن يشق طريقه الى عقول القراء ، لانه الكتاب الوحيد في المكتبة العربية الآن الذي يمكن للقارئ الرجوع اليه عند توجيه قراءة في مجال النحو واللغة من القراءات السبع .

(15) مقدمة ابن خالويه - 38 .

والى اخي الفاضل الاستاذ العابد اقدم دليلا ملموسا من كلام ابن جنى تلميذ الفارسي حول هذا الكتاب ، وراي ابن جنى الذي امتص ثقافة استاذه الفارسي في هذا المجال راى لا يتسرب اليه الشك او الضعف لانه شهادة على النفس كما النفس ، ولان ابن جنى من الفارسي بمثابة الروح من الجسد . يقول ابن جنى في المحتسب : (فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء ، الى ما يجفو عنه كثير من العلماء » (16) .

ويقول في موضع آخر : « وقد كان شيخنا ابو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراء ، وأجفاهم عنه (17) .

الا يدل هذا على أن ابا علي الفارسي لم يكن رائده الاجاز والاختصار كما يقول الناقد . بل كان رائده التطويل الملل ، والاستطراد المخل ، والاسلوب المعقد كما اشار الى ذلك تلميذه ابن جنى .

وليقتنع الناقد الفاضل بما اقول فاليه هذا المثال من كتاب حجة الفارسي :

قال ابو علي في قوله تعالى : « مالك يوم الدين » « اختلفوا في اثبات الالف واسقاطها من قوله » . « ملك يوم الدين » ثم يبين قراءة عاصم ، وقراءة غيره وبعد ذلك ينقل عن ابي بكر محمد السري نصا يستدل فيه على أن « ملك » يجمع (مالكا) أي ملك ذلك اليوم بما فيه ، ومالك انما يكون للشيء وحده .

ولا يكتفي بهذا ، بل ينقل حكاية عن عاصم الجحدري ، وبعد ذلك ينقل رواية لثعلب يحتج فيها لقراءة الكساني « ملك الناس » ويستطرد الى قول ابي عبيد في تفسير معنى « ملك يوم الدين » ويبين أن المالك والملك يجمعهما معنى واحد ويرجمان الى اصل وهو الربط والشدة ، ويستدل على ذلك بالشعر العربي ويستطرد مرة اخرى الى تفسير معنى الاملاك ، وهو ربط الرجل بالمرأة ويعود من حيث بدأ الى قراءة « ملك » ، وقراءة « مالك » وسرعان ما يترك توجيهه

القراءة الى موضوع آخر ليس منها فيقول : قال ابو الحسن الاخفش يقال : ملك بين الملك : الميم مضمومة ، وتقول : مالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها .

ولا يكتفي بهذا بل ينقل عن ابي عثمان فيقول : وقال ابو عثمان : شهدنا املاك فلان وملكه ، ولا يقال : ملاكه ، وينتقل الى الحديث عن املاك المرأة وهو المقدم عليها ، وقد ذكره فيما قبل ثم عاد اليه .

ومن غير وحدة او ترابط يرجع بعد ذلك الى قراءة « ملك » او « مالك » فاذا فرغ من هذا اتجه الى الحديث عن اضافة مالك الى يوم الدين والاضافة باب من ابواب النحو ، اخذ ابو علي يشق الحديث عنها الى منتصف ص 36 ، اي ان الحديث عن مالك يوم الدين تناول 36 صفحة من القطع الكبير . فهل هذا ايجاز او اختصار ؟

انظر الى ما كتبه ابن خالويه في «مالك يوم الدين» قال ما نصه : « يقرأ بانبات الالف وطرحها ، فالحجة لمن اثبتنا ان الملك داخل تحت المالك والدليل له قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك » (18) والحجة لمن طرحها ان الملك اخص من المالك وامدح ، لانه قد يكون المالك غير ملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (19)

وقد بلغت صفحات حجة ابن خالويه بعد طبعه 318 صفحة من القطع الكبير خلاف المقدمة والفهارس مع انه تناول توجيه القراءات السبع في القرآن الكريم كله مبتدئا بفاتحة الكتاب ، ومنتها بسورة الناس .



(6) ومن ادلتي في أن كتاب الحجة تصح نسبه الى ابن خالويه ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه كانوا اسبق منه زمنا مما يدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه . ولكن هذا الدليل من الادلة الواهية في نظر الناقد الفاضل حيث يقول : « هذا من الاستدلالات الواهية ، ومتى كان النقل عن اعلام سابقين في الزمان دليلا على تثبيت نسبة الكتاب لشخص معين » .

(16) انظر : مقدمة المحتسب لابن جنى - طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

(17) مقدمة المحتسب المرجع السابق .

(18) آل عمران - 26 .

(19) الحجة لابن خالويه - 38 .

أحب أن أذكر الأستاذ الناقد بما ذكره أستاذنا المحقق عبد السلام هارون حيث قال ما نصه في كتابه المبتكر « تحقيق النصوص ونشرها » : « وتعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس في تصحيح نسبة الكتاب أو تزيفها ، فالكتاب الذي تحشد فيه أخبار تاريخية تالية لعصر مؤلفه الذي نسب إليه جذر بأن يسقط من حساب ذلك المؤلف . ومن أمثلة ذلك كتاب نسب إلى الجاحظ وعنوانه « كتاب تنبيه الملوك والمكائد » ومنه صورة مودعة بدار الكتب المصرية برقم 2345 أدب . وهذا الكتاب زيف لا ريب في ذلك ، فأنك تجد من أبوابه باب « نكت من مكائد كافور الأخشيدي » و « مكيدة ثوزون بالمتقى لله » ، وكافور الأخشيدي كان يحيا بين سنتي 292 ، 357 ، والمتقى لله كان يحيا بين سنتي 297 و 357 ، فهذا كله تاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرات من السنين (20) ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما ذكرته في كتابي « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية » أن كتاب اعراب القرآن للزجاج المخطوط بدار الكتب المصرية رقم 528 تفسير ليس للزجاج بأدلة ذكرتها ، منها : ورود عبارة في هذا الكتاب وقفت عندها طويلا وهي قوله في باب التقديم والتأخير : « وقد تصالح الأستاذ والفلام على أن الظرف يعمل فيه الوهم ورائحة الفعل » وذهبت أبحث من الأستاذ ؟ ومن الفلام ؟ لأنه إذا تم التعرف عليهما أو على أحد منهما ، وتبين أنهما عاشا في عصر متأخر عن عصر الزجاج أمكن أن يكون ذلك دليلا يؤكد أن كتاب اعراب القرآن هذا ليس للزجاج .

أقول : بعد بحث طويل وجدت في تاريخ الأدب العربي « لبروكلمان » ما نصه :

« وكان أوفى تلاميذ ثعلب له ، وأقربهم إليه أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز السورقي البارودي ، ومن ثم سمي غلام ثعلب ، وتوفي غلام ثعلب ببغداد سنة 345 هـ » (21) على أن الزجاج المنسوب إليه هذا الكتاب توفي عام 311 هـ (22) ولعل في هذا القدر الكافي لاقتناع الأخ الناقد .



(7) وأما الدليل السابع من أدلة النقد ، فإنه ينصب على قولي : « ومن الأدلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه الأخرى مع بعض نصوص الحجة ، وقلت : انني لا أبالغ في أن هناك نصوصا بأساليبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة » .

ولكن الناقد لا يقتنع بهذا أيضا فيقول : « ان هذه المشابهة أو المقارنة بين النصوص لا تفيد شيئا في الواقع ، ومجرد القاء الباحث نظرة في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون ، والقراء والمفسرون والمعاصرون ، للفارسي ولابن خالويه يجد أن جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة في المعنى حتى وفي اللفظ في بعض الأحيان ، ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن أن نستدل بذلك على إثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب » .

أقول :

كنت أود من الزميل الفاضل أن يذكر لي ، ولو نسا واحدا من هذا التشابه والتقارب المعنوي أو اللفظي كما ذكر .

يا سيدي .. لقد علمتنا كتب التراث أمانة النقل فإذا رجع مفسر من المفسرين أو النحويين أو القراء إلى حجة أبي علي مثلا ، فإنه لا ينقل نصوصا متقاربة المعنى أو متشابهة اللفظ إلا بعد أن يذكر قوله : (وقال الفارسي في الحجة) أما أن يعتدي على المعاني ، ويكسوها الفاظا من عنده فهذه سرقة لا تليق بعالم يعتد بقوله . ومن وقع فيها شهر به ، وسخر منه ، والروايات على ذلك عديدة . والمعاني يا سيدي مطروحة في الطريق ، وإنما هي نتيجة كد الذهن ، وأعمال الفكر ، وبذل الطاقة والإطلاع الواسع والإلهام المبدع . كيف تتقارب المعاني ، ولكل مفسر منهجه وطريقته ولكل كتاب من كتب القراءات في الاحتجاج وغيره أسلوبها الخاص وطريقتها الخاصة ؟ نعم أن النقول قد تمددت في كتب التراث ، ولكنها نقول لها مصادر معروفة ، وأشخاص معروفون صدرت عنهم ، ونقلت منهم ، ولا يصح التصرف فيها بالتغيير أو

(20) تحقيق النصوص ونشرها - 43 طبعة ثانية (الجبلي) .

(21) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 2 - 218 ، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية - 275 .

(22) = البقيّة 1 - 413 .

اما جهل ناسخ الحجة للفارسي فاليك الدليل :
قال المحققون : « اعتمدنا في تحقيق كتاب الحجة
على نسختين كتبت اولهما سنة 390 هـ بخط النسخ
الواضح ، وضبطت كلماتها بالشكل ضبطا كاملا وهي
في مكتبة بلدية الاسكندرية برقم 3570 ع ، وفي دار
الكتب المصرية صورة منها برقم 462 قراءات وفي
خزانة مجمع اللغة العربية مصورة منها كذلك ، وقد
جعل المحققون هذه النسخة هي الاصل لانها الاقدم في
النسخ ، ولم يسيروا الى اسم الناسخ لانه غير
موجود » .

من هذا ، يتبين ان ظاهرة كتابة اسم الناسخ
قد تتخلف في كثير من الكتب المخطوطة وليس الجهل
بالناسخ ينقص من قدر المخطوط ، ويقلل من قيمته ،
والا لما اعترفنا بكتاب الحجة للفارسي ، وهو لا يتطرق
اليه الشك .

مع ان هذه النسخة كما يقول المحققون كتبت
بخطوط مختلفة فقد ذكروا ما نصه :

« ويلاحظ ان خط الصفحتين الاولى والثانية
مخالف لخط سائر الصفحات في كل من الجزء الاول ،
والثاني ، والسابع ، وخط الصفحات الاولى والثانية
والاخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء الثالث ،
وخط الصفحتين الاوليين والصفحتين الاخيرتين
مخالف لخط سائر صفحات الجزء الرابع ، وخط
الصفحة الاخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء
السادس » (23) .

وكتاب الحجة لابن خالويه كتب بخط واحد ، لم
يتخلف في صفحة واحدة من صفحات هذا الكتاب .

واحب ان اطمئن الاخ الفاضل الى ان هذا الخط
الذي كتبت به نسخة الحجة من الخطوط المتداولة في
القرن الخامس ، وقد رجعت الى استاذنا المحقق عبد
السلام هارون ، وعرضت عليه صفحات مصورة من
هذه النسخة ، فأقر بما لا يدع مجالا للشك انها من
خطوط القرن الخامس الهجري . وكذلك أقر هذا
الزميل المحقق الأستاذ عبد الستار فراج رئيس قسم
التراث بوزارة الثقافة بالكويت .

التبديل . وما عدا ذلك فردية في الطريقة ، وفي
المنهج وفي الاسلوب ، والا كان تكرارا أو سطوا
وكلاهما لا يليق بأولى العلم والمعرفة ، هذا في مجال
المعاني فما بالك في مجال تشابه اللفظ . اظن ان
توافق الخواطر قد يحدث في جملة أو كلمة اما ان
يحدث في نص تتعدد سطوره فذلك امر لا يقبله
المنطق . وقد ذكرت يا سيدي تشابه اسلوب ابن
خالويه في كتاب الحجة بأساليبه في كتبه الأخرى ،
لان المؤلف واحد ، والمقل واحد ، والاسلوب واحد ،
وطريقة التفكير واحدة . وقد بينت ان في الحجة من
كتاب « اعزاب ثلاثين سورة » نصوصا بالفاظها ومعانيها ،
وان في الحجة من كتاب « الريح » نصوصا بالفاظها
ومعانيها ، وقد سجلت ذلك في بحثي المنشور في
مجلة « اللسان العربي » نفس العدد الذي ذكر فيه نقد
الأستاذ الفاضل . الا يكفي هذا دليلا واضحا على ان
الحجة لابن خالويه لا لغيره .

— ◆ —

(8) والناقد الفاضل لم يعترف بقدم النسخ ،
« لان الناسخ مجهول امره ، ولان الخط ليس من
الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري ،
يعرف هذا بالبداهة من له خبرة بالخطوط ، وتطوراتها ،
والمقابلة المذكورة لا تفيد أي شيء ولان كاتبها مجهول »

اقول :

ان هذا الدليل لا نسلم للسيد الفاضل بصحته ،
لان كثيرا من الكتب المخطوطة لم تظهر بذكر اسم
ناسخها ، وجهل الناسخ لا يقلل من قيمتها ، لان
الدراسة التي تقوم حولها ، وتحليل مناهجها وطريقة
تأليفها ، والتعمرس بأسلوب مؤلفها ، والخبرة بالعصر
الذي نسخت فيه كل ذلك يزيل الغموض عنها ، كما
فعلت ذلك في دراستي لكتاب الحجة .

على ان كتاب الحجة للفارسي لم تظهر النسخة
الاصل التي اعتمد عليها المحققون باسم الناسخ ، فهل
جهل الناسخ ينفي ان كتاب الحجة للفارسي . اليس
من التناقض ان أثبت ان كتاب الحجة منسوب للفارسي
مع جهل الناسخ ، وانفي نسبة كتاب الحجة لابن خالويه
لان الناسخ مجهول ؟

(23) = مقدمة الحجة للمحققين - 33 .

هذه النسبة هو ان جميع المصادر التي ترجحت لابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجة ، ولم يصرح أصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه « هذا القول ذاته موجه اليك يا سيدي ، فاذا كان حجة ابن خالويه مختصرا لحجة الفارسي فلم لم تشر اليه المعاجم والفهارس وطبقات القراء مع شدة اعتناء العلماء بحجة الفارسي فقد ذكروا ان مكى ابن ابي طالب المتوفى 437 هـ اختصره في كتاب سماه : منتخب الحجة في القراءات ، واختصره ايضا ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ ، ومحمد بن شريح الرعييني المتوفى 476 هـ (24) .

ولم يشر احد الى ان عالما مجهولا لخص حجة الفارسي ، وبذلك يكون الناقد وقع فيما تقد به غيره .

والحقيقة ان حجة ابن خالويه تمعد كل البعد ان تكون تلخيصا او اختصارا لحجة الفارسي ، وذلك لامرين :

1 - ان مقدمة حجة ابن خالويه تختلف في منهجها عن مقدمة الحجة للفارسي ، فابن خالويه يقول في مقدمته : « وبعد ، فاني قد تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرايت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع . وقصد من القياس وجهها لا ينفع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، الى ان يقول : وانا بمعون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم وتارك ذكر اجتماعهم واثلتانهم الى ان يقول : وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير اطالة ولا اكنار ، الى ان يقول : جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقترب على مؤلفه ، وليسهل على مستفيدة » (25) .

والفارسي يقول في مقدمته : « فان هذا كتاب تذكروا فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المترجم بمعرفة قراءات أهل الامصار والحجاز ، والعراق ، والشام بعد ان تقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه ، واخذناه عنه ، وقد كان ابو بكر محمد بن السريي شرع في تفسير صدر من ذلك في

ومما يجدر ذكره ان الاستاذ الدكتور شوقي ضيف رغب في ان يقوم طالب من طلاب الدراسات العليا لتحقيق نسخة الحجة لابن خالويه للحصول على الدكتوراه تحت اشرافه وفعلما بدأ الطالب يستعد لتسجيل هذا الموضوع في كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ولما علم الدكتور الفاضل اني قمت بتحقيقه ، وفرغت منه ، عدل عنه ، اكتفاء بتحقيقي ولا انسى ان اذكر للناقد ان خبراء الخطوط بدار الكتب المصرية عرضوا هذا الكتاب في معرض الخطوط العربية القديمة على انه واحد من الكتب التي تبين معالم الخطوط في القرن الخامس الهجري .

ولعلي بهذا اكون قد بينت للناقد الفاضل وجهة نظري في ادلته مؤيدة بالدليل بعيدة عن هوى النفس ، او عن داء التعصب للرأي .

بقيت ملاحظات اخرى عامة ، احب ان اوجه نظر الناقد الفاضل اليها :

(1) تناقض الناقد مع نفسه : فنصان تعقيبه حمل العبارة التالية :

(نسبة الحجة الى ابن خالويه لا تصح) ثم ذكر بعد ذلك في السطور الاخيرة من تعقيبه انه (لا يمكن ان ننفيه عنه نفيًا قاطعا) .

ومن حقي ان اسأل الناقد : هل يجوز في مجال البحث العلمي ان تنفي ثم تنفي هذا النفي ولو بدرجة ما ؟ لان نفي النفي ، اثبات ، كان الاجدر ان يكون عنوان نقديك : (نسبة الحجة الى ابن خالويه فيها نظر) او ليست مؤكدة ، او يتطرق اليها الشك ، اما ان تنفي هذه النسبة بلا النافية ، ثم تعود بعد ذلك لتنفي ما نفيت ، هذا امر لا يتلاءم مع منهج البحث .

(2) اثبت الناقد في السطور الاخيرة من نقده : « ان الذي تميل اليه النفس هو ان كتاب الحجة هذا هو احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الاصلى لابي علي الفارسي لعالم مجهول » .

اقول :

ان الناقد الفاضل نقد نفسه بهذا القول ، الم يقل بعد ذلك بسطور « والذي يجعلنا نميل الى نفسي

(24) البقية : 297 - 195 ، وكشف الظنون 2 - 244 .

(25) الحجة 37 - 38 .

2 (معاني القرآن للزجاج . .

تضم دار الكتب المصرية نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب .

— نسخة رقم 111 — تفسير ، وقد وثقتها برجوعي الى كتاب « الاغفال » لابي علي الفارسي لانه ضم كثيرا من نصوص معاني القرآن للزجاج ثم علق عليها مصلحا ما أخطأ فيه الزجاج ، فرأيت أن نسبة هذه النسخة الى الزجاج صحيحة ، لأن النصوص التي أوردها الفارسي في الاغفال هي نفس النصوص التي أوردها الزجاج في المعاني .

— نسخة رقم 636 — تفسير ، وبعد تمحيص استطعت أن اثبت هذه النسخة ليست للزجاج ، والزجاج منها بريء (29) .

3 (اعراب القرآن للزجاج رقم 528 — تفسير — دار الكتب المصرية ليست للزجاج كما بينت سابقا في هذا البحث .

4 (البرهان في علوم القرآن للحوفي : نسخة رقم 20503 بدار الكتب المصرية . وقد صورت منها النسخة رقم 20784 ب والنسخة رقم 20785 ب .

ومع مجهود التصوير المكرر لهذه النسخة ، فانها ليست للحوفي ، بل هي نسخة من اعراب القرآن لابي جعفر النحاس (30) .



وبتوفيق الله لم يسبقني احد الى هذه التصحيحات او التحقيقات ، ولا فخر في ذلك ، فان ما يبذل حول الدراسات القرآنية قليل بالنسبة لما يجب ان يكون وقد اقلت هذه التحقيقات على هذه المخطوطات ضوءا كاشفا يحملنا على أن نعيد النظر في

كتاب كان ابتداء باملائه وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم ، وأنا أسند اليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا والى الله أرغب في تيسير ما قصدته « (26) وبمقارنة المقدمتين نتبين في وضوح وجلاء ان المنهجين مختلفان ، ولا يليق بعالم مختصر ان يتناول هذا التناول ، ويكتب هذه المقدمة بهذا المنهج الذي رسمه ، وكتابه تلخيص لكتاب معروف ، وما الذافع الى عدم الإشارة الى هذا التلخيص .

ب — ولو كانت حجة ابن خالويه تلخيصا لحجة الفارسي لرأينا تشابها في اللفظ وتقاربا في المعنى ، واتحادا في الفكرة مع أن الكتابين مختلفان لفظا ومعنى ، وفكرة ومنهجيا ، وان اتحد موضوعهما ،

(3) اود أن أقول لأخي الفاضل أن كتب المعاجم والفهارس لا يعتمد عليها كل الاعتماد ، لأن بعضها نسب كتبها الى غير أصحابها ، وفهارس المخطوطات في دور الكتب العربية تحتاج الى نظر ، لتفهرس من جديد ، فكثير من المخطوطات قالوا عنها : انها مجهولة النسبة ، وكثير من المخطوطات نسبت الى غير أصحابها ولا ادل على ذلك من هذا التصحيح الذي قمت به لبعض المخطوطات : وهذه أمثلة منها :

1 (اعراب القرآن لمؤلف مجهول . .

جاء في فهارس المخطوطات المصورة لمعهد احياء المخطوطات العربية بالجامعة العربية ما نصه : «اعراب القرآن لمؤلف مجهول . الجزء الثاني من نسخة كتبت في القرن التاسع ، يتدء من أول سورة الأنعام ، وينتهي بآخر سورة الاسراء (27) . وبعد بحث طويل استطعت أن اثبت أن هذا الجزء ليس لمؤلف مجهول ، وانما هو لمؤلف معلوم ، وهو السمين الحلبي ، حيث قارنت نصوصه بنصوص النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 321 — تفسير — فوجدت النصوص متحدة متماثلة . نفس النصوص ، ونفس الأسلوب ، ونفس الالفاظ (28) .

(26) = مقدمة حجة الفارسي — 4 .

(27) 1 — 20 .

(28) = القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية : عبد المال سالم مكرم — 253 .

(29) انظر الأدلة في ذلك المرجع السابق — 252 .

(30) انظر الأدلة في ذلك المرجع السابق — 284 .

هذه المخطوطات لتقويمها من جديد حتى لا تختلط القيم
وتضطرب الأمور .

اثار القراء نحو هذا الكتاب ليطلعوا على ما فيه بأنفسهم ،
والقارئ شريك الناقد والباحث في أن يكون له رأي
والفكر ليس وقفا على أحد .



وبعد ، فاني اقدم شكري العميق للأخ الفاضل
الأستاذ العابد ، على هذا النقد البريء الذي تفضل به
مشكوراً .

ومن حسن الحظ فان الكتاب قد تم طبعه في
دار الشروق ببيروت ، وقد رأى النور بنشره ،
واسعده الحظ في أن يبعث من جديد بعد احدى
وعشرين و الف سنة . .

والله اسأل ان يجنبنا الخطأ ، وان يهدينا سواء
السييل .

اشكره لانه اتاح لي فرصة طيبة لبيان وجهة
نظري في نسبة كتاب الحجة الى صاحبه واشكره لانه



مختار الألفاظ

الاستاذ سليمان هادي الطعمة
العراق - كربلاء

وانا اذ اشير الى بعض ميزات هذا المعجم الفريد من خلال قراءتي المتعمقة له لا ازعم ان هذه الميزات وحدها هي كل ما في الكتاب من ميزات جديرة بالتقدير، ذلك ان هذا المعجم اثار ضجة في الاوساط العلمية والمجتمعية على مستوى الوطن العربي ومع ذلك اجمل رأيي في النقط التالية :

1 - اعتاد كثير من المحققين العرب تحقيق ونشر كتب سبق ان نشرها المستشرقون بحجة او بأخرى مثل العثور على مخطوطة جديدة او نفاذ الطبعة الاولى او اضافة بعض التعليقات وما الى ذلك فهم في الاغلب عيال على أعمال المستشرقين . الا ان ميزة الاستاذ هلال الرئيسية في تحقيق التراث هي انه ينشر من المخطوطات ما لم ينشر قبلا ، هكذا فعل في (جيش التوشيح) و (تحفة الالباب) و (شرح ابن الوحيد على رائعة ابن البواب) و (العمدة) وبذلك كان رائدا فيما ينشر وتلك ميزته - كمتخير الالفاظ - الاولى فيما اعتقد .

2 - وميزة رئيسية لهذا الكتاب بالذات انه اول معجم عربي قديم ينشره عراقي في القرن العشرين ، ذلك ان العراقيين القدماء من اجدادنا الذين وضعوا اجود معاجم المعاني كابن السكيت في معجمه الالفاظ والهمداني في معجمه الالفاظ الكتابية وقدامة ابن جعفر في جواهر الالفاظ لم يخلفهم للاسف جيل من الاحفاد يقوم مقامهم او على الاقل يحقق وينشر معاجمهم نشرا علميا صحيحا . ومن

من اللخائر الرائعة التي اتحفنا بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط هذه الايام (متخير الالفاظ) تصنيف الامام اللغوي احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ ، وقد حققه وقدم له وعلق عليه الاستاذ هلال ناجي وهو كتاب تراثي نفيس واثر قيم من آثار العرب التي سيكون لها دور مهم في اثراء اللغة العربية ووضعها بين لغات الامم الحية .

وقد وجدت نفسي وانا اتصفح هذا الكنز اللغوي الثري ، انني متصل ومتعلق بالمصنف ، منكب عليه دون شعور بالكلل والملل ، حتى انهيته .. انه من الفخر والاعتزاز ان يقوم بهذا العبء الثقيل من هو جدير به ، يشعر في نفسه ان عليه دينا وجب قضاؤه ، عارفا انه سيواجه الصعاب ، وعالما انه تحملها بصبر واثارة ، لانه قصد بروح العالم خدمة لغة الضاد .

ان تحقيق التراث يتطلب سعة في الافق وثقافة عميقة وخبرة ودراية شاملتين مع معرفة بمصادر البحث وحسن الاضطلاع بها .

والاستاذ هلال ناجي اضافة الى كونه شاعرا مبدا وناقدا حصينا ومسرحيا موقفا وكاتب سيرة متفوقا فهو محقق بارع ، وقد جاء تحقيقه ل (متخير الالفاظ) دالا على قدرته الفذة وجمال أسلوبه وسعة اطلاعه وعلمه الفزير بدقائق اللغة واحاطته العجيبة بمصادر البحث .

المجلدات يكشف عن الجهد الكبير الذي بذله المحقق في عمله العلمي .

ان هذه المصادر والمراجع المذكورة في الحواشي هي بحد ذاتها مكتبة ضخمة من مكاتب التراث يحتاج اليها المختصون قبل غيرهم . ولله صبر المحقق كيف استطاع الرجوع الى هذه المئات من المراجع في تحقيقه القيم .

5 - ان ظهور مخطوطتي (متخير الالفاظ) في مكتبة خاصة عراقية - هي مكتبة اسرة المحقق العريقة علما وادبا - دليل على ان العراق على عكس ما يراه بعضهم ما زال رغم كل غارات التار وغيرهم من المستعمرين مصدرا ثرا وكنزا دفيننا من كنوز التراث لا تفنى نفائسه على مر الاجيال ، وتلك ماثرة للعراق قبل غيره .

وبعد : ففي رأبي ان وجود هذا المعجم في مكتبة كل اديب او متأدب ، امر ضروري اذ انه مساعد معين لكل الشعراء والادباء والمتأدبين .

واغتنم الفرصة لآحيي المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط على حسن اختياره والجهد المشكور الذي بذله في اخراج هذا المعجم الفريد .

هنا تبرز اهمية (متخير الالفاظ) اذ انه اول معجم للمعاني يحققه وينشره عراقي في القرن العشرين ، نأمل ان يثير الدوافع الطيبة في نفوس ذوي القدرة ، فيهدتوا الى اعمال مشابهة .

3 - ان فوز (متخير الالفاظ) باكبر جائزة لغوية على مستوى الوطن العربي - وهي الجائزة التي منحت له من قبل (المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي) ومقره (الرباط) تحمل اكثر من دلالة .

1 - من دلالاتها انها اعتراف علمي ضخم بهذا الجهود اللغوي القيم وهو اعتراف صادر عن جهة لغوية لها اعتبارها الضخم ومكانتها الكبيرة ، ويكفي لتقدير ذلك ان نعرف انها الجهة التي تصدر عنها مجلة (اللسان العربي) اكبر مجلة لغوية في الوطن العربي .

ب - ان فوز عراقي بهذه الجائزة هو قبل كل شيء تكريم للعراق في شخص احد ابناؤه البارزين الذين كانوا وجها مشرقا له في نتاجه العلمي والادبي .

4 - ان نظرة فاحصة لفهرس المصادر والمراجع التي رجع اليها الاستاذ هلال في تحقيقه هذا والتي بلغت (377) مرجعا ، يقع بعضها في عشرات

عبد الحق فاضل

الأستاذ ذنون أيوب
(بغداد)

في

مغامراته اللغوية

شعر بديع لا ادري لماذا لا يحب ان ينشره مع روعته في المبنى والمعنى . وقد علمت بأنه ينوي ترجمة ملحمة كلكامش شعرا ، وانه لابن بجدتها .

يمتاز عبد الحق فاضل بأسلوبه البليغ البسيط، ذي المنطق الواضح الرصين . وهو حين يعرض على القاريء اعوص النظريات يقدمها له على مائدة مزوقة منسقة ، حافلة بالتوابل والمشيات ، فيقبل عليها وهو مستأنس . وحججه القوية تشيع خلالها النكتة والامثلة الواضحة المقنعة ، فيستفرق القاريء في القراءة مسرورا حتى يجد نفسه مقتنعا ، واصلا الى ما يقوده اليه الكاتب من أهداف قد تكون بعيدة جدا عن المؤلف ، دون جهد او عناء .

وكتابه « مغامرات لغوية » آخر انتاجه ، ويقع في 370 صفحة ، من منشورات دار العلم للملايين . وما اقدمه الآن من هذا الكتاب عرضا ونقدا لا يعني عن مطالعته ، اذ ما ذلك الا قطرات من جدول عذب رقيق .

تعرض المؤلف للكثير من الكلمات العريقة في القدم ، فأحالها الى اصل واحد . فقد أثبت ان الآرامية والعربية والعبرية كلمة واحدة ، فالبناء والميم قريبتا المخرج . واتى بشواهد مقنعة تدل على ان العرب ومن جاورهم من الامم ، كثيرا ما يستبدلون العين الفا والباء ميمما . « فلو سددت أنفك وقلت ماما لخرجت من فيك بابا » . والاعاجم ينطقون كلمة عربي (اربي) حتى اليوم . فكلمتا عربي وارمي واحدة « كائنا رتقا ففتقهما تطور الحدثان » . واسم بكة ومكة وارد في القرآن . اما كلمتا العبرية والعربية فقد كان دليله على اصلهما الواحد اوضح

عبد الحق فاضل ، الموصل بالولادة ، هو اكبر انجال الاستاذ فاضل الصيدلي ، شاعر الموصل الشهير في بلده بشعره الساس البليغ ، ذي المضمون الانتقادي اللاذع ، للشؤون الاجتماعية المتأخرة ، والاخلاق المتردية ، وله في الوطنية والسياسة في اوائل قرننا ، صولات وجولات . وقد تتلمذ على الصيدلي كثير من ادباء الموصل ، في اللغة والادب والشعر .

خدم عبد الحق في وزارة الخارجية ، بعد انتهاء دراسته في الحقوق ، رهيأت له هذه الخدمة مجال التنقل بين البلاد العربية ويران وتركيا ، وغير ذلك من البلاد ، وكان آخر ما تبوأ من مناصب سفارة العراق في الصين .

لقد وهب عبد الحق ذكاء فطريا تجلى في ملكة الحفظ ، وسرعة الفهم ، والاحساس المرفه في ادراك التشابه والمختلف ، عند المقارنة . وكان لطبيعته الانعزالية المتسككة اثر كبير في كثرة قراءته ، وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته ، في حقل العلوم والآداب ، يبدو ذلك واضحا في جل آثاره وتأليفه .

درس عبد الحق الفارسية ، خلال خدمته في ايران واخرج كتابه الاشهر « ثورة الخيام » خالف فيه كل من كتب عن الخيام ، واتى بنظرية علمية تطويرية جديدة في دراسة حياة هذا الشاعر الخمري الفلكي ، اثبت فيها مروره بأدوار متتابعة متسلسلة ، مما لا مجال للبحث فيه هنا ، وترجم رباعياته المشهورة نظما .

وكتب عبد الحق عدة اقايصيص وقصص ، لا تعد ذروة انتاجه على جودتها وحسن تديجها . وله

القارتين الافريقية والامريكية بقارب شراعي مصنوع
من حزم البردى المقيّر ، عملا لا نظريا .

ومما لا جدال فيه ان موطن الامة العربية
الاول هو الجزيرة العربية ، وان موجات هجرة
وتنقل من هذه الجزيرة الى ما يجاورها ، قد حدثت
في حقب التاريخ مرارا عديدة ، فكل الحضارات
المجاورة للجزيرة العربية هي من اصل حضارتها .
بل وان الاديان التي تعتنقها كل اوربا ومعظم آسيا
وافريقيا نشأت فيها ، وعلى تخومها . لكن عبد الحق
ذهب الى ما هو اكثر من ذلك ، فقد اكتشف بعد ان
غاص في اعماق القواميس ، واجرى حفريات قاموسية .
ان الكثير من الفاظ اللغة اليونانية واللاتينية
والفارسية ، يرجع الى اصول عربية . وان الاصل
العربي اقدمها جميعا . فمن المعلوم ان اول الكلام
عند الانسان هو تقليد الصوت كما يسمع ، كالخبر
من صوت الجدول ، والفرار من صوت اجنحة
الطائر ، ومن الاخيرة تطورت كلمة فلاني وفلايت
fly و flight - بالانكليزية .

والقلم هو (كلموس calamus) باللاتينية .
وهي تقف وحدها في اللاتينية . اما في العربية فلها
عشيرة كبيرة : قلم ، كالم ، جلم ، جنح جلف . .
وكلاهما من معنى (قصب ، أي قطع) ، والقلم يتخذ
من القصب . وكلمة (سيمما sema) اليونانية
اصلها عربي وهو السمة والسيما . و muthos
واصلها العربي المثلة والمثلة ، وكلها تعني الخرافة .
والهستوريا اللاتينية اصلها العربي الاسطورة . ومنها
نشأت (استار) او عشتر . وهو يقترح هنا ان
نسمي علم الفلك astronomy بالعشترية ،
فيكون المعنى صحيحا لفظا واصلا ، وتكون بضاعتنا
قد ردت اليها . واليك امثلة اخرى من اللاتينية مما
ذكر المؤلف solid : صلد ، ululo : ولول ،
capesso : قبض . وذكر من الانكليزية : that
ذاك ، cut قط ، earth : ارض ، wine
الوين (العنب الاسود بالعربية) .

واللغة العربية المتحضرة نفسها ترجع نسبي
اغلبها الى اسماء تمت بالنسب الى حياة البداوة وما
يلابسها وهي لا تتعدى الابل وقليل من الدواب
والاغنام والخيام وبعض الاسلحة التي لا تتجاوز الرمح
والسيف والقوس . فالعقل وكل ما اشتق منه من
عديد الكلمات وساميتها ، من عقال الناقة . والكتابة
من الكتاف وهو القيد ، والابيات من ثبات الدابة ،

واجلى . واليك من براهينه : يقول العرب : عبر
تعبيرا وعرب تعريبا ، قاصدين نفس المعنى ، اي
الافصح والابانة .

وقد ذهب الى ان اسم سوريا مشتق من كلمة
(اسيريان Assyrian) كما سمي اليونان
القدماء الاثوريين . ولا غرابة فقد كانت سوريا مما
دخل في نطاق الامبراطورية الاثورية امدا طويلا .

وفوجئت عندما قال عبد الحق : ان الفنيقيين
انما هم (بني كنعان) اسما وقوما . فالرومان
القدماء سموا القرطاجيين ، وهم فنيقيون اقاموا
مستعمرة لهم فيما يسمى تونس الآن : بونيكوس .
والتحريف متأت من نقل لفظة من لغة الى اخرى .
والثابت ان ما يسمى كارتاكو عندهم (قرطاجة عندنا)
هي نفس ما اطلقه الفنيقيون على مستعمرتهم
الحديثة وهو (قريات حديثات) ، والبعد بين كلمتي
(قريات حديثات) و (كارتاكو) اكثر من البعد بين
كلمتي (بني كنعان) و (بونيكوس) ، وما هم الا
الفنيقيون . هذا الاسم الذي اقتبسه العرب من
اليونان والرومان مع التحريف المناسب ، دون ان
يدركوا ان الكلمة اصلها عربي وما هي الا (بني
كنعان) فرع من العرب القدماء سكن لبنان . وتوج
براهينه هذه بما عثر عليه في البرازيل ، وهو لوحة
قديمة ، يرجع تاريخها الى عام 125 ق م ، مكونة
من ثمانية اسطر اولها (هنا نحن بني كنعان من فريم
حقرة حصل . اوش حر حصل هك) . وترجمته
بعربيتنا وكتابتنا : « هنا نحن بني كنعان من فرايم
حملنا الحقارة . اليس حراما ان نحصل هكذا ؟ »

لقد كان اجدادنا ، واعمامنا ، بنو كنعان ، مخترعو
الحروف الابجدية وارقام الحساب ومراتبه ، اول من
جاب البحار ووضع فنون الملاحة . وقد حان ان يرجع
الفضل الى ذويه بعد ان « حقره حصل » . اليس
كذلك يا اخي عبد الحق ؟ ثم لماذا نستبعد ان يكون
القرطاجيون قد هاجروا من بعض مستعمراتهم في
اسبانيا مثلا ، هربا من مطاردة الرومان التي لا رحمة
فيها ، فركبوا البحر مخاطرين ، ووصل بعضهم
الى الامريكيتين ؟ لقد ذهب عبد الحق الى مثل هذا
الراي محترزا ، ولو كتب كتابه الآن لاعلن رايه دون
توجس ، وذلك لان (ثور هايردال Thor Heyerdal)
الانثري النرويجي ، اثبت امكان سفر الاقدمين بين

والشكل من الشكل وهو رباط الدابة ايضا ، ومثله الوثاق ، وكذلك العنوان من العنان ، والحنكة من حناك الفرس اي لجامها ، والحكمة عنى جلال قدرها وما اشتق منها هي من الحكمة وهو جزء من لجام الفرس الذى يحيط بالحنك . وكذا العقدة والسبب . الى غير ذلك مما يصعب على المتذلل من اللغة ان يجاريه فيه .

وكل ما مر لا يعتبر الا مفامرات بسيطة ، حتى يدخل فى مفامرته الكبرى حين يذهب الى ان اللغة العربية هي ام اللغات السامية والهنداورية وما يتفرع منها من الهندية والفارسية واللاتينية ، وان كل ما اشتق من الكلمات : من اصل عربي اي من جزيرة العرب التى كانت فى العصر الجليدي جنت عدن تجري من تحتها الانهار ، وعند انكشاف هذا الدور جفت فاستحالت الى صحراء وهجرها سكانها فى حقب ما قبل التاريخ ، وانتشروا فى الارض شرقا وغربا وشمالا . وهنا تصبح المفامرة خطيرة جدا .

ان علماء اصول الانسان لا يعلمون بالضبط اين نشأ جد الانسان الاول ، ولكن احدث ما عثروا عليه واقدمه عمرا من آثار هذا المخلوق كان فى جنوب افريقيا ، فرجحوا ان التطور بدأ هناك .

ان الجيولوجيين يقدرون ان اربعة دهور جليدية قد مرت على الارض خلال المليون سنة الاخيرة ، عمر رابعها واقصرها هو الاخير الذى تقارب مدته مائة الف سنة ، اي ما يقارب عمر الانسان بشكله الحالي . ويقسم هذا الى ستة عصور ثلجية ومدة آخرها الذى نحن فيه 15.000 سنة .

ان الجزيرة العربية ، ومعها الصحراء الكبرى ، وكل حوض البحر الابيض المتوسط ، الذى كان أرضا تتخللها بحيرات كبيرة ، كان واحة خصبة عمرها الانسان فى العصر الحجري وما قبله . وما كان لاسم العرب وجود حينذاك . وان ترسبات اللغات فى هذا الدور بقيت فى لغة البربر والطوارق كما بقيت فى العربية ، الامر الذى لم يتطرق اليه الاستاذ عبد الحق .

ولا يستبعد ان تكون لغ لغ (لغو الطفل) اصل اللغو واللغة او logy عند اللاتين واليونان ، كما ذهب اليه الاستاذ ، ولكن هذه اللغفة قد يرجع

تاريخها الى نصف مليون سنة . فابن كانت العربية يومذاك ؟ ولماذا ذهب ايضا الى ان الصوت : صو صو صو - صوت افراخ الدجاج ؟ اليس ثمة ما هو اقدم من ذلك وهو صفير الببيل ووصومة العصفير ؟ ان الدجاج قد دخل فى حياة الانسان مستانسا ، بمد وجود العصفير والببيل وغيرها فى الغاب ، بعشرات الالوف من السنين .

اننى اتفق معه ان اصل اللغات السامية والهنداورية والحامية ايضا واحد ، ولكن لا فى جزيرة العرب كما ذهب اليه ، بل فى حوض البحر المتوسط كله . حدثت موجات من المد والجزر ، والهجرات بسبب العصور الثلجية الستة ، التى صاحبت حياة الانسان ، فتزاوجت اللغات ثم افترقت ثم اندمجت ، ثم ابتعدت مرات عديدة ، ولعل الصحراء العربية حفظت بعض الاصول ولكن ما شأن الصحراء الكبرى؟ فلماذا تكون العربية هي الام وليست الأخت وبنت العم ، او ما أشبه ذلك ؟ ولماذا لا يبحث عن هذه المتحجرات اللغوية فى لغة الطوارق والبربر ؟ .

وآخر ما اتحفتنا به الاستاذ وضعه لكلمتي الترسييس والتائيل ، كلمتين اقترحهما عنوانا لعلمين ، يكاد عبد الحق ان يكون مبتكرهما وواضع اصولهما . فالترسييس هو علم ارجاع الكلمات الى راسها ، اي الى بدايتها ، او الى الاصل الصوتي الذى نشأت عنه بمحاكاته . اما التائيل فهي تقابل كلمة ethimology الاوربية اي علم اصول الكلمات ، او البحث عن كلمة اخرى انت منها الكلمة ، حتى يتوصل الى المرجع الذى جاءت عنه ، من لغة اخرى غالبا . ان فقهاء اللغة العربية لم يطلعوا على اللغات الاخرى مثل اطلعنا ، ولم يتح لهم وضع القواعد حسب الاصول العلمية فى البحث والمقارنة . وانى لامل ان يكون الاستاذ عبد الحق فى سبيل وضع معاجم وابحاث عامة فى هذين العلمين ، فيسبق بذلك كل مفكري العرب ، ولربما الغرب ، فى هذا المضمار .

ان فى اسلوب تفكير الاستاذ عبد الحق فاضل وسعة اطلاعه فى اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ما يرشحه لعضوية مهمة فى مجامع اللغة العربية ، فان فى استطاعته ، كما رأيت من كتابه ، ان يفيد العرب فى تبسيط القواعد ، وغرلة الكلمات والاصطلاحات ، خصوصا ونحن فى عصر تهقر العامية امام الفصحى ، نتيجة انتشار التعليم وازالة الامية .

حول :

المغامرات اللغوية

الأستاذ عبد الحق فاخيل

(المغرب الأقصى)

واود قبل الخوض في الموضوع ان اسجل تقديري للروح العلمية التي حدثت بالاستاذ الناقد الى انكار نظريتي هذه ولو ان ذلك ضد اللغة العربية التي هو مكبر لشأنها محب لها ولاهلها الذين هم قومه واهله .

وواقع الامر اني انا الآخر لم اقل ان العربية ام اللغات الآرية والحامية والسامية وان الشعب العربي ابو الآريين والحاميين والساميين وان الجزيرة العربية وطنهم الاول جميعا - بدافع من مباحاة قومية او عصبية من اي نوع ، فقد كنت اتوهم اول الامر ان العربية التي تبدو كأنها حديثة عهد بالتحضر والتثقف كانت عالة على اللغات المتحضرة القديمة من افريقية ولاينية وسنسكريتية وفارسية، وان وجود الالفاظ المشتركة بين العربية وهاته اللغات لم يكن يعني الا ان العربية اقتبسها واغتنت بها . لكنني بعد البحث والمقارنة اكتشفت في العربية اصول الكثير من الفاظ اللغات الآرية كما اكتشفت ان الالفاظ العربية يمكن ارجاعها بوجه عام الى اصولها الصوتية الاولى ، في العربية نفسها - مما هداني الى وضع علم « الترسيس » اللغوي ، الذي المص اليه ناقدا المفضل . ولا اتخرج من القول ان البحث لو كان اظهر لي ان ام تلك اللغات جميعا هي السنغالية او الانكليزية او اليابانية لما ترددت في اعلان ذلك بنفس الحماس الذي اعلنت فيه امومة العربية .

اشكر قبل كل شيء للاستاذ ذنون ايوب ثناءه على شخصي قبل ان يتطرق الى نقد كتابي «مغامرات لغوية» . وعلمي بأنه ضنين بالثناء على احد دون اقتناع كاد يجعلني اصدق بانني مستأهل للكلمات الاخوية الطيبة التي قالها عني .

وكان بودي ان اتحدث في جوابي هذا عن مكانة ذنون ايوب اديبا وقصاصا ، وعن مساهمته الماثورة بقصصه ومقالاته في مكافحة الفساد والتردي الاجتماعي والسياسي منذ اواخر الثلاثينيات مما لا يزال يتردد صدهاء في نفوس الذين زامنوا ذلك العهد . لكنني خشيت اذا انا تبسطت في ذلك ان يقول القاريء انهما يتمادحان بالمقايضة فلا مناص لنا اذن من السكوت على ثنائه والاجابة على نقده وحده . وحسبنا هذا التنويه اليسير .

ونقده يتناول بعض امور فرعية لو اقتصر عليها لاثرت السكوت عنها ايضا . لكنه تناول كذلك الامر الاساسي الجوهرى في الكتاب وهو نظريتي القائلة بان العربية هي ام اللغات الآرية بالاضافة الى الحامية والسامية . وهي نظرية توصلت اليها بمقارنة بعض الحقائق من تاريخية وجغرافية ولغوية . وساكتفي هنا باستعراض الحقائق اللغوية ، اما الباقي فقد اوضحته في الكتاب المذكور ولا ارى حاجة الى الاعادة فيه .

وأهل النظريات الجديدة متحمسون دائما لنظرياتهم .. لكن نرجو ملاحظة الفرق الشاسع بين التحمس والتعصب .

قال الاستاذ ذنون اني اكاد اكون مبتكر العلمين اللغويين : التائيل والترسيس . والحق اني مكتشف أحدهما فقط . فاما التائيل فعلم لغوي معروف عند الاوربيين واسمه بالانكليزية etymolog وقد ترجمه بعض اللغويين العرب « علم أصول الالفاظ » . لكنني وجدت هذا الاسم طويلا فاقترحت تسميته علم « التائيل » باعتبار ان الاثلة في المعجم تعني الاصل ، فانا مسؤول عن تسميته العربية وحسب . ووظيفة هذا العلم هي اعادة الفاظ اللغة الى اصل سابق لها ، فالالفاظ الانكليزية مثلا يبحثون عن ائيل كل واحدة منها فيجدونه في بعض اللغات الحديثة كالفرنسية والسويدية وغيرها ، او في احدى اللغات القديمة وهي على الاغلب السكسونية او الكلتية او اللاتينية او الاغريقية او السنسكريتية . وهم يقفون عند هذا الحد لانهم لا يعرفون الاثول التي جاءت منها الفاظ هذه اللغات .

واما العلم اللغوي الذي انا مسؤول عن وضعه وتسميته معا فهو علم « الترسيس » الذي يعود باللفظة التي رسها الاول اي بدايتها الصوتية التي نطق بها اول انسان نطق بها تقليدا لاحد الاصوات المسموعة ، مثل محاكاة صوت انريخ (هوووو) ، وصوت الفروج (صي صي صي) ، وصوت الصفير (صف) ، وهكذا .. وعلى ذلك تناولنا بعض الالفاظ الانكليزية التي بحثوا عن اصولها فوجدوها ترجع الى الفاظ بعض تلك اللغات ووقفوا عندها . فهذا قصارى ما يستطيعه علم التائيل (etymology) .

لكن علم الترسيس لا يقف عند حد حتى يصل الى الصوت الاول المحكي . وعلى هذا مضينا في البحث عن اثول تلك الالفاظ الكلتية واللاتينية والاغريقية .. فوجدنا في العربية اثولها وارساسها .

فمثلا كلمة aquarium (حوض المائيات ، بالانكليزية) اعدناه الى صوت هبوب الريح (هوووو) ، و top (قمة) وجدناها ترجع الى الكلمة الكنعانية طاو (كرة) وهذه من (طوى) وهذه من قول ابن الفأة (طو) تعبيراً عن صوت انكسار غصن او عصا دون انفصال احد الطرفين عن الآخر ، و calcium (كلس) رسناها من صوت القطع (قط) .. وهكذا .

وقد اقترحنا على الانكليزية والفرنسية تسمية علم الترسيس (radixion) باعتبار ان radix تعني سنخ الشيء ولاسيما اللفظة اللغوية ، وهي من اللاتينية بمعناها ومبناها . لكن بلغنا ان المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك ، الاستاذ بالسوربون ، اخذ يسمي الترسيس بالفرنسية (racinisme) ، اي من نفس مادة (الرس) العربية ، ومعناها : التجذير .

اما قول الاستاذ ذنون ان لطفة الطفل (لغ لغ لغ) قد يرجع تاريخها الى نصف مليون سنة ، فان الراي الذي يكاد يتفق عليه الباحثون ان الانسان ظهر على هذه الارض - كانسان بشكله الحاضر - قبل نحو مئة الف سنة ، كما ذكر هو ايضا . والظاهر ان الانسان لم يتوصل الى التخاطب بلغة الالفاظ الا بعد ذلك بعهد طويل . ومن المستبعد ان يكون قد اخترع اللغة قبل ان يصبح انسانا ببضعة اوف من القرون ، ولاسيما ان بعض قبائل البشر لم تتوصل الى اللغة بمعناها الصحيح الى انيوم ، او الى مطالع هذا القرن على الاقل ، حيث كان بعضها يتفاهم بالاشارات ، وبعضها بأصوات اشبه بأصوات الحيوانات ، مما لا يمكن تسميته لغة .

وهنا يتساءل الاستاذ ذنون : « فآين كانت العربية يومذاك » ؟

ان الشعب الذي انشأ هذه اللغة منذ بدايتها الصوتية الساذجة هو نفس الشعب الذي صنع المعلقات بعد عشرات القرون على كل حال ، ولو ان تسميته (عربيا) حديثة العهد . ولا بأس علينا ان نسميه عربيا من باب الاختصار بدلا من تسميته العلمية الدقيقة (الساكن الاقدم لشبه الجزيرة التي تسمى الان جزيرة العرب) .

ولا بأس علينا كذلك ان نسمي لغته (العربية) ولو انها كانت يومئذ في طفولتها الاولى ولم تكن قد سميت بالعربية مد . وقد جرى العلماء على هذا الفرار في تسمية المواقع الاثرية القديمة بأسمائها الحاضرة ، فهم يسمون عصر (فجر السلالات) في العراق مثلا باسم الموقع المتواضع الحديث الذي اكتشفوا فيه آثاره والذي يدعوه العامة « جمدة نصر » . وكذلك انسان (جاوة) وانسان (نياندرتال) وغيرهما قد سموا بالاسماء التي تطلق الآن على تلك المواقع ولو لم تكن تلك الاسماء قد ظهرت في تلك التواريخ القديمة السحيقة . على اننا كثيرا ما اطلقنا

اسم (الاعريين) على قدامى العرب و (المعربة) على الجزيرة العربية اختصارا .

وقلنا فى كتابنا « مفامرات لغوية » ان العرب صاغوا فعل (صأى الفرخ) من صوت الفروج (صي صي صي) ، ثم اشتقوا صاء وصاح وصات ... الخ ، وان بعض المشتقات العربية انتقلت الى اللغات الاوربية . ويرى الاستاذ ذنون ان ذلك الصوت لم يكن تقليدا لصوت فرخ الدجاجة بل لصوت البلب والعصافير ، لان « الدجاج قد دخل فى حياة الانسان مستأنسا بعد وجود العصافير والبلابل وغيرها فى الغاب بعشرات الالوف من السنين » .

وجوابنا على هذا هو ان الانسان الاعرب الذى اخترع لغته بمحاكاة الاصوات المسموعة منذ عهد بعيد لا يمكننا تحديده ، لم يتوقف فى أي عهد من العهود عن خلق الفاظ جديدة كلما سمع اصواتا جديدة . وظهور الدجاج حديثا فى حياته لم يمنع اذنه الموسيقية الموهبة العجيبة من استخدام اصواتها مادة خامة لصنع الفاظ مستحدثة . واذا كان ثمة مجال للشك فى حدائنة قولهم (صأى الفرخ) فلا سبيل الى اي شك فى حدائنة قولهم (صج) اي : ضرب حديثا على حديد فصوتا . فهذه الكلمة الصوتية الرسية من مخاوقات العهد الحديدي، ويجوز فقط ان نعتبرها اقدم من ذلك اذا قلنا انهم صاغوها فى العهد النحاسي ثم انتقل المعنى من النحاس الى الحديد . لكنها لا يمكن بوجه من الوجوه ان تكون اقدم من ذلك ، لانه ما من مادة غير معدنية يمكن اذا ضربت بمثلها ان تحدث صوت (صج) . ومن ثم فهي احدث من العهد الحجري قطعا .

ومثل ذلك يمكن ان يقال فى فعل (قط) الذى قلدوا به صوت قطع عصا مثلا بضربة فأس . فلا يمكن صنع اداة من الحجر لها هذا المضاء وهذه القوة التى تقطع بضربة واحدة وتحدث صوت (قط) .

وانما قلنا ان (صي صي صي) هو صوت الفروج لانه لا يشبه صوت فرخ أي طائر آخر نعرفه . ومن شدة شبه (صي صي صي) بصوت فرخ الدجاجة ان بعض عرب الشرق الاوسط ما زالوا يسمون الفروج فى دارجاتهم (صوصي) .

وثمة برهان اقطع من هذا ينبيء ان حدائنة عهد الدجاج بمعيشة الانسان لم تمنع الاعريين من استخدام صوته فى تكوين لغتهم واستكمالها ، هو انهم اصطنعوا كلمة اخرى من صوت نفس فروجنا

العتيد . ذلك ان بعضهم ترجموا صوته الى (جو جو جو) عدا اولئك الذين قلنا انهم ترجموه الى (صي صي صي) . ويدلنا الاستقراء الترسيبي ان هؤلاء سموا فرخ الدجاجة اول الامر (جوجو) ، ثم (جوجة) . وقد انتقلت هذه الصيغة الاخيرة (جوجة) الى الفارسية بنفس لفظها ومعناها . ثم همز العرب اسم الجوجو فنطقوه (الجوجو) مثل صنيمهم فى نطق البؤبؤ واللؤلؤ . ثم انهم اطلقوا الجوجو على الدجاجة بعد ان كانوا اطلقوه على فرخها ، ومثل ذلك يطلق المصريون بالدارجة اليوم اسم (الفرخة) على الدجاجة و (الفراخ) على الدجاج . ثم اطلق الاعربون اسم (الجوجو) على مقدم السفينة اي صدرها لمشابهة صدر الدجاجة . ثم انهم عادوا فأطلقوا الجوجو على صدر الدجاجة أيضا بعد ان كانوا يطلقونه على الدجاجة كلها - من باب تسمية الجزء بالكل .

ودليلنا على ان الدجاجة كانت تسمى جوجة هو ان السوريين وبعض العراقيين ما زالوا يسمونها (جاجة) وجمعها (جاج) ! لكن بعض قدامى العرب حرفوا الكلمة فصدروها بالبدال فصارت دجاجة . وهذه الصيغة التى كانت تعد عند ظهورها محرفة ومولدة هي التى انحدرت الينا فى الفصحى . اعني اننا اذا اعتبرنا الاقدم الاعرق هو الانصح فان اجاجة اقدم وافصح من (دجاجة) . وترسيبها على كل حال هكذا : الدجاجة - الجاجة - الجوجة الجوجو - الجوجو - جوجوجو .

ولم يكتف الاعربون باستيلاد صوت الفروج هذين التوامين - وربما كان يوجد غيرهما مما لا يحضرنا الآن - بل انهم استولدوا صوت امه ايضا - الدجاجة . فمن قولها (نق نق نق) وهي تلتقط طعامها قالوا (نقت الدجاجة) اي صوتت . ومن التقاطها الطعام اثناء تقيقتها ظهر فعل : نقر ، ومنه نقت بمعنى واحد ، فالنقار هو المنقار .. وما زالوا فى الموصل يسمون القلم الحديد الذى يستعمله الحجار فى ثقب المرمر او نقشه (المنقار) ، ويسمون الحجار الذى يعمل فى تسوية الرخام وتشكيله لاغراض البناء (المنقار) . وقدما ظهرت من النقار صيغة (النجار) التى تخصصت بنقار الخشب .

كذلك ظهرت من تقيق الدجاجة صيغ مثل :
تقّب (ومنها تقب) وتقرش وتقع وتقع وتقت وتقت
ونقى ... ومن فعل (تقب) نشأت صيغ : نخب
ونخر ونخرب وخرب وخروب ...

ومعلوم انهم استعملوا فعل (نقد) لفحص
الدرهم الفضة لانهم كانوا ينقرونه على قطعة معدن
ليتبينوا من رنينه صحته من زيفه . ثم انتقل المعنى
من عالم الصيرفة الى عالم الفن والثقافة ، حتى
صارت الكلمة تطلق على بحث قيم مثل (نقد)
الاستاذ ذنون لكتابنا (المنقود) .

حادثة ظهور الدجاج في حياة الانسان وحدانية
ظهور المعادن لم تقف حائلا اذن دون الاستمرار في
التوليد اللغوي عند الاعريين .

ومن صاي الفرخ وتقيق الدجاجة وصح المعدن
وقطع العصا ، نستفيد شيئا ، هو ان ملابسات
الالفاظ اللغوية تدلنا احيانا على تاريخ ظهورها ولو
بوجه التقريب ، او تدلنا على الحد الاقصى او
الادنى لذلك التاريخ ، وقد نوهنا بذلك عند كلامنا
على (صح) و (قط) في كتابنا .

وتأتي الآن الى النقطة الرئيسية في نقد الاستاذ
ذنون ايوب . وهي القول بأن لغات قاع البحر
المتوسط وما يحيط به قد بقيت ترسباتها في لغات
البربر والطوارق ، والعرب ، وان العربية منقولة من
ذلك المكان ، فهذا تأويل مقبول لوجود الشبه بين
عدد كبير من اللغات - اي مجموعة اللغات الآرية
والحامية والسامية - تأويل مقبول الى ما قبل ظهور
علم الترسيب . ولو كانت اللغة العربية قد انقرضت
لكان من العسير ان نجد تأويلا معقولا آخر له هذه
الوجاهة . لكن العجيب ان العلماء المحدثين من
شركيين وغربيين مع انهم اشادوا ما شاؤوا بشراء
هذه العربية ودهشوا له لم يخطر لهم ان يستثمروا
هذا الاندهاش وذاك الشراء في حل المشاكل اللغوية
العالمية . ان اللغة العربية تخبرهم بأوضح منطق كيف
نشأ الكثير من الفاظ هذه اللغات واحدة واحدة .
وبالرغم من ضياع عدة كبيرة من مفردات العربية لم
يزل فيها ما يكفي للاقتناع العلمي . ان اكتشاف علم
الترسيب انما يعني اكتشاف (وجود) اللغة العربية
.. مثل اكتشاف نجمة سينماية . انها كانت
موجودة من قبل ومعجبا بجمالها بين المعارف لكنها
لم تكن قد اوقفت امام المصورة لتعرض من بعد
بجمالها ومواهبها على الدنيا .

ان استقراء العربية ولو في النطاق المحدود
الذي استعرضنا فيه بعض الالفاظ في « علم
الترسيب » يوضح بصورة لا تقبل ترددا ان هذه
اللغة قد نشأت في موطنها وعلى السنة اهلها ، ولا
يمكن ان تكون قد استجلبت مع جذورها من موطن
آخر . لكن الانتقال الذي حصل فعلا هو انتقال
نمارها الى مواطن اخرى .

فبعد ان اكتشفنا المنجم الواقعي الفني لا يجوز
لنا ان نتركه لنبحث عن موطن المعدن النقيس في
ارض اخرى مجهولة ، قد غمرها البحر ، وهي بعد
مشكوك في امر وجودها اصلا ، ولا علم لنا على كل
حال بأي شيء واقعي يقيني عنها .

هذا بالاضافة الى ان تشابه هذه اللغات الواقعة
على شطآن البحر المتوسط لا يقتصر على هذه
المنطقة بل يمتد الى الانفسان ، والى الهند ، بل الى
اقاصي الصين ، وقد رسنا - في كتابنا المنقود -
الضمائر الصينية من الضمائر العربية البدائية
الاولى .

اننا نتفق مع الاستاذ ذنون على ان لغة قاع
المتوسط ربما كانت قد خلفت آثارا في لغات
الاقطار المجاورة لها ، واحرى بذلك ان يكون في
الاقطار الواقعة على سواحل هذا البحر . لكننا لا
نجد في السواحل الاوربية لغة تحتوي على كل
الاصول والفروع . اما الشمال الافريقي فلغات
البربرية محدودة نسبيا لعزلتها في الجبال ، ولم
اجد لها معجما يساعد على درسها ، وهي على العموم
لغات قبلية يختلف بعضها عن بعض ، وهي الكتلة
الكبرى من اللغات الحامية . لكنها كالاريات لا تعتبر
غزيرة المادة اذا هي قيست بالعربية .

ولما كانت الضمائر نواة اللغة واقدر الفاظها
على البقاء ومقاومة عوامل التغير والفساد ، فقد
درسنا ضمائر بعض القبائل البربرية فوجدناها ترجع
عند تحليلها الى ائول الضمائر العربية القديمة .
وهي - الضمائر البربرية - ليست أبعد عن الام
العربية من الضمائر البابلية مثلا . اما في العربية
فقد كنا درسنا - في كتابنا المذكور - تطور تلك
الضمائر العربية ابتداء من الاصوات الطبيعية الاولى
الى ان صارت لها معانيها اللغوية الدالة على مختلف
الاشخاص : انا ، نحن ، انت ، انتم ، هو ، هي ..

ولو كانت الالفاظ التي نستطيع ان نعدها الى
اساسها قليلة في العربية لتمكن القول باحتمال

انتقالها من مكان آخر ، لكن معظم الالفاظ العربية ، وكثيرا من الالفاظ الآرية ، يمكن اعادتها الى ارساسها البديثة في العربية نفسها . وهي مزية لا تملكها أية لغة سواها .

ان الحقيقة الواقعية التي يحسن ابرادها هنا من واقع التاريخ هي ان الهجرة تضيع على رهط المهاجرين بعض خصائص لغتهم الاولى ولاسيما جذورها الصوتية البديثة . نرى ذلك واضحا في اللغات السامية اي اللغات القديمة في الهلال الخصيب : البابلية ، الآشورية ، الكنعانية ، الآرية . . . فبالرغم من قرب اهل هاته اللغات من الجزيرة العربية ، بل اقامتهم على تخوم بادية الشام التي هي امتداد للدهناء ، وبالرغم من عدم انقطاع الصلة بينهم وبين العرب الرحل الذين كانوا - وما زالوا - يتنقلون على تخوم تلك الصحراء ، وبالرغم من انضمام ارهاط عربية مهاجرة بين حين وآخر الى المهاجرين السابقين الذين استوطنوا مناطق الهلال الخصيب - بالرغم من كل هذه العوامل التي تسلمد على احتفاظ المهاجرين باللغة الام وتجديد الصلة بها - لا نجد بين هاته اللغات السامية اية واحدة قد استطاعت التمسك بكل مقومات العربية واتول الفاظها ، بله ارساسها . فلماذا ليس في مقدورنا ان نسمي اية واحدة منها باكثر من انها جزء محرف من اللغة العربية . ولا تستطيع اية واحدة منها ان تنهض بمعمار ما تنهض به العربية من مهمة التأسيس . بل انها هي التي تبحث عن اثولها وارساسها في العربية .

هذا الواقع التاريخي اللغوي يمنعنا من القول ان اللغة العربية نشأت في غير موطنها ، وان هذه الدوحة الهائلة قد نقلت بكل جذورها العميقة المتشابكة البعيدة الغور وبكل فروعها الكثيرة المديدة الداخلة في كل اتجاه - من قاع البحر المتوسط ، كل تلك المسافة ، الى قلب الجزيرة العربية .

ان اللفظة الرسية - البديثة - كثيرا ما تتطور في خط متعرج طويل تتحكم في رسمه البيشة ومصادقات الظروف . ومن النادر وربما من المحال ان تتطور في نفس الخط المتعرج الطويل في بيشة اخرى . كالماء تصبه في مكان من الارض فيتخذ مجرى لا يشبه مجرى ماء تصبه في مكان آخر ، فما على الخريطة الارضية نهران متشابهان تماما . ومن هنا كان اختلاف اللغات . لان الالفاظ الرسية ، اي

المقلدة لاحد الاصوات ، كثيرا ما تكون متشابهة عند مختلف الامم . اي ان الانسان العربي ليس وحده الذي يحكي صوت هبوب الريح بقوله (هوووو) ، وانما هذا شان كل البشر . ثم يأخذ التطور مجراه الخاص في كل لغة على اسلوب يختلف عن سواه .

وفي اللغة العربية وحدها تطورت (هوووو) الى (ريف) على هذا النسق : هوووو - الهو - الهواء - الهباء - الهباب - الأباب - آب - آل - رال - راف ، ريف . . . كالذي اوضحناه في كتابنا . ثم اذا بنا نجد هذه الكلمة الاخيرة - الريف - في اللاتينية بصورة (ripa) بنفس معنى الريف اي الساحل ، ثم بصيغة اقرب الى العربية هي (rive) بالفرنسية بمعنى الشاطئ .

فلا يمكن ان تكون كلمة (ريف) قد نشأت من صوت هبوب الريح في لغة غير العربية بنفس خط السير هذا المديد المتعرج المعقد ، الذي سلكته في العربية . وكذلك القول في كلمات اخرى استمرضاها في كتابنا المذكور وارجمناها الى ارساسها العربية .

المعروف ان اللغات البدائية هي التي يقرب الشبه بين الفاظها والاصوات الطبيعية التي نشأت منها . اما اللغات الراقية فقد ذهبت اصولها وبقيت الكلمات الحضارية الراقية التي تولدت منها . ولاسيما ان الامم المتحضرة قد تنقلت، منذ اقدم العصور من مكان الى مكان واختلطت لغاتها بغيرها . لكن العربية وحدها تقدم لنا ارقى الكلمات الحضارية والثقافية مع الحلقات التسلسلة التي تقودنا الى البدايات الاولى . وسبب ذلك هو الظروف الفريدة التي تلبس الجزيرة العربية ، فقد بقي وسطها الرملي الجذب محافظا على حياة البداوة والبدائية على حين راحت اطرافها المتحضرة تصنع من تلك الخامة اللغوية مفردات حضارية باذخنة ، واذا بهذه العربية تغدو لغة الراعي والفيلسوف في وقت واحد . وقد اوردنا في كتابنا المذكور نماذج كثيرة من الالفاظ الحضارية التي تكونت من الفاظ حيوانية ، والالفاظ الثقافية التي اصلها اربطة البهائم من نبات وعنان وعقال ، مما تصدى لذكر بعضه الاستاذ الناقد .

وطبيعة الصحراء الفقيرة الشحيحة تدفع سكانها الى الخروج منها لكنها لا تفري أحدا بالدخول فيها . فهي أشبه بالمشقة الكاسية ، تمج

ولا تمص . وما اكثر الظروف التي طردت فيها سكانها الى مختلف الانحاء كلما زاد عددهم عن طاقة مراعيهم ، او شحت ارضهم ولو لم يزد سكانها ، او احتربوا فأجلى بعضهم بعضا عن ديارهم .

وعدم دخول الاجانب الى هذه الصحراء يعني بقاء لغة العرب للعرب ، ويعني ان تطورها قد جرى على السنتهم وحدهم دون ان تخالطها لغات اخرى . وخروجهم من جزيرتهم الى الانحاء يعني توزيع لغتهم على جيرانهم وجيران جيرانهم وسكان كل ارض قريبة او بعيدة يحلون بها . ومن ثم كانت الالفاظ الدخيلة في العربية الجاهلية قليلة ، فأكثر الدخيل من مقتبسات عهد التحضر الاسلامي .

وحقيقة اخرى . يقرر العلماء ان اللغة البشرية تكونت من اصول خمسة بوجه العموم ، نجدها كلها صريحة واضحة في العربية ، على حين ان اية لغة حية اخرى لا توجد فيها الا بعض هذه الاصول ، ان وجدت . والواقع انهم انما توصلوا الى هذه الاصول الخمسة من استقراء عدد غير قليل من اللغات البدائية التي لا تزال تحتفظ بجذورها الصوتية لعدم ارتقائها وابتعادها عن صورة ولادتها . وهذه الاصول الخمسة هي :

1 - محاكاة اصوات الطبيعة . ونذكر كمثال على ذلك صوت الهواء الذي مر بنا حديثه ، والذي انجب الفاظا كثيرة اخرى لم يتسع لها المجال هنا مما ذكرناه في كتابنا ، وكلمات كثيرة اخرى لم يتسع لها المجال في ذلك الكتاب ايضا . وكمثل آخر جديد نذكر صوت الماء : شلشل ، ومنه ترشرش الماء ، ثم رش ورشاش ، ثم رذ ورذاذ ، ثم ذر وذري ومذراة .. وذرة ..

2 - تقليد اصوات الحيوانات ، ومن ذلك صوت الفروج الذي مر بنا حديثه ، وصوت الدجاجة امه . ونذكر كذلك من الحيوانات التي سميت باصواتها : الليل ، والقرة (الضفدع) ، والقاق (الوز العراقي) ، والقوق (المسمى طائر الكوكو) ، والفاق (الفراب) ، واللقسق ، والججدج ، والصرصر ، والجحش (من صوت شحيجه) .. وما الى ذلك مما لا يوجد كله في اية لغة اخرى .

3 - تقليد الاصوات المصطنعة ، اي الاصوات التي يحدثها الانسان في بعض اعماله مثل صوت القطع (قط) الذي تحدثنا عنه بشيء من التفصيل

في العدد الثامن من « اللسان العربي » بعنوان « قط وبناتها » وقلنا انه تكونت منه الوف الالفاظ العربية ، وتسرب بعضها الى اللغات الاجنبية . ومثل ذلك فعل (صج) الذي تحدثنا عنه في « المغامرات » ضمن علم الترسييس ، وفي عدد سابق من « اللسان العربي » . نضيف الى ذلك هنا : دق وطق وقلقل وبقبق ...

4 - تقليد الانسان لنفسه ، في الاصوات الطبيعية التي تصدر عنه تلقائيا في مختلف حالاته ، مثل : قهقهه ، قاء ، ان ، عطس (انلها اطس) وهي في الفرنسية tosse (سعال) ...

5 - تقليد اصوات الطفل ، مثل : لغ لغ ، بابا ، تاتا ، دادا ، ماما ... وقد تحدثنا عنها في « المغامرات » فلا حاجة الى الاعادة .

فهذه لغة عصامية كونت نفسها بنفسها دون اعتماد على سواها .

لكن كل هذا وكل الدلائل الاستقرائية الاخرى التي تنبئ ان هذه اللغة قد نشأت في موطنها ولم تستورد من صقع آخر ، لا تخبرنا من اين جاء اسلاف العرب الاوائل وسكنوا تلك الجزيرة في عهدها المخصاب . وذلك امر لم ابحت عنه ولا اهمني امره في بحوثي لانه خارج عن الموضوع اللغوي ، ولان كل ما يقول فيه العلماء رجم بغيوب ، واستنتاجات يذهب كل من الباحثين مذهبه فيها ، لفقدان الادلة العلمية القاطعة او شبه القاطعة . لكن الواضح ان اولئك الاعريين الاولين قد وجدوا في المعربة قبل تكون اللغة ، لانهم لو كانوا قد جاؤوا من مكان آخر ناطقين لتغيرت لغتهم بتغير البيئة ولضاعت اصولها الرسية ، على نحو ما اصاب اللغات السامية وهي اقرب اللغات الى العربية نسبا وموطنا واكثرها بها شجها . هذا ان لم يكونوا قد تطوزوا ودخلوا المرحلة البشرية في معرفتهم نفسها - على رأي بعض العلماء .

وحقيقة اخرى . ان الضمائر من اقدم العناصر التي تتكون منها اللغة ، ان لم تكن اقدمها طرا . وقد استعرضنا في « المغامرات » في فصل « اسرار الضمائر » كيف تكونت الضمائر واسماء الاشارة في العربية والاريات من العناصر الثلاثة الاولية (ا ، نا ، تا) منذ نطق بها الادمي الاقدم ، وراينا تطورها في تلك الطرق المتسلسلة والمتشابهة خطوة خطوة . ونجد في العربية مختلف الاستعمالات

ومهما يكن ..
حتى لو افترضنا أن من المحتمل تخميننا ان
تكون اللغة العربية مستوردة من الخارج ، فما الذي
يدعونا الى الاخذ بالاحتمال التخميني الظني ، وترك
الواقع الناطق الواضح ؟
واخرى تحبونها ..

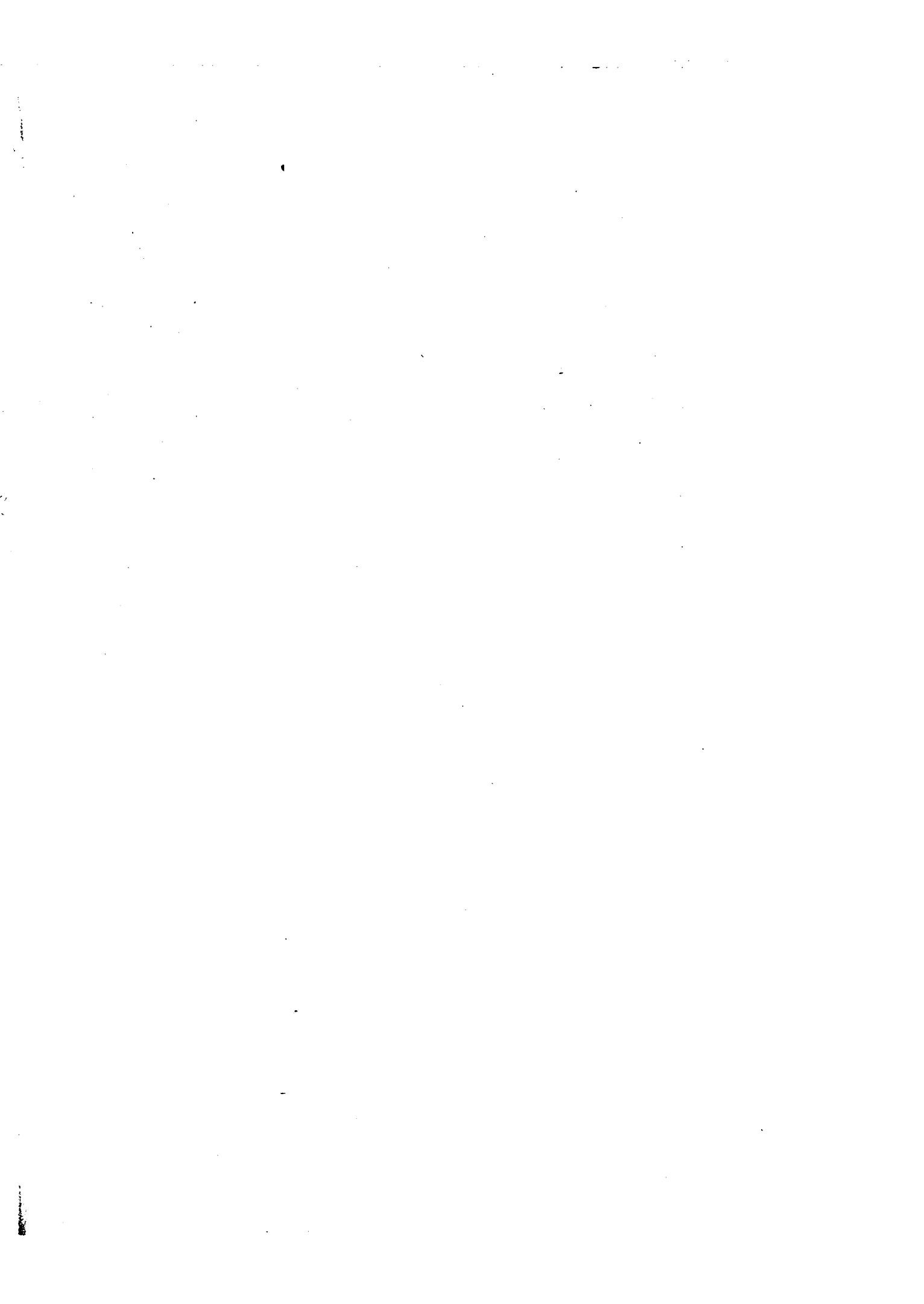
هي ان ظهور السكنيات الزراعية قبل نحو
عشرة آلاف عام في وقت واحد تقريبا في العراق
وفلسطين له دلالة خطيرة . ولعل تفسير هذه
الدلالة الخطيرة هو ان حياة الاستقرار الزراعي كانت
قد بدأت قبل ذلك في المعربة ثم هاجرت طائفة من
العرب شمالا فاستأنفوا حياتهم الزراعية حيث
استقر بعضهم في العراق وبعضهم في سورية .
وربما ستكتشف آثار سكنية من ذلك العهد في
مناطق اخرى من الشرق الاوسط ، او غيره .

والمعلومات الفلكية ، الموغلة في القدم ، التي
تقها المهاجر الاعرب الى ارض الرافدين ووادي
النيل - مما تطرقنا اليه في فصل آخر - تدل على
انه كانت للانسان الاعرب ثقافته الكونية ، المسجلة
في لفته ، التي لا يمكن ان تكون لغة رعاة وحسب .
فهل بدأ التحضر البشري في المعربة ؟ .

والمعاني التي ظهرت فيها تلك الضمائر . اما في
الساميات والحاميات والآريات فلا توجد الا بعض
تلك الضمائر تؤدي معانيها الحاضرة ، ولا يمكن في
اية لغة منها تتبع المعاني السابقة للضمائر ولا لصور
المباني التي انتهت اليها . فكلية (اتا - atta)
تعني أنت بالبابلية ، و (ايان - ea) تعني هي
باللاتينية ، و (نوي - noi) نحن بالابطالية ،
(تو - tu) : أنت بالفرنسية ، و (هي - he)
هو بالانكليزية .. وهكذا . كيف تكونت هذه الضمائر ؟
جواب ذلك عند علم الترسيس الذي يقول انها
تكونت في العربية . هذا عدا اسماء الاشارة وحروف
الجر وغيرها من الادوات والرواسن (التي تسبق
الكلمة في اللغات الآرية) والكواسع (التي تلو
الكلمة فيها) .

وبالإضافة الى ان الضمائر من اول ما يتكون
من مفردات اللغة أثبت الاستقراء انها آخرها ذوبانا
وزوالا . فاذا تسلطت امة على اخرى واكتسحت
لفتها فان الفاظ اللغة المقهورة تزول بالتدريج ،
وتكون الضمائر دائما آخر ما يزول منها ، وقد لا
تزول ابدا . فوجود الضمائر العربية في اية لغة
دليل لا يمكن اغفاله على ان اصحابها كانت لفتهم
الاولى هي العربية .





المقولات العشر

صمورندوله
الدكتور
ممدوح حقيقي

تأليف
العلامة الشيخ
محمد بنى البليدي

مخطوطات دار بخط المؤلف نفسه
شرحه عدد من علماء عصره

باسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منذ انتصب الانسان على قدميه ، وأطلق يديه تعملان في جلب المنفعة له ودفع الضر والأذى عنه ، تخلص من حيوانيته – اذ كان يسمى فيها على أربع – وتفاهم مع بنى فصيلته الجديدة بالصوت وبالإشارة ، واستطاع أن يورث حصيلة تجاربه أبناءه وأحفاده بما ركب من ألفاظ .. ومنذ سجل الانسان لغته بالحروف ، درجت به الحضارة على دولابها تجمع نتائج التجربة الى مثيلاتها وتولد منها فكرة جديدة وابتكارا جديدا ، وتستنتج فائدة جديدة تضيفها الى نتائج سواها من التجاريب ، تركم بعضها فوق بعض ، تغنى بها وتتسارع راکضة وتتواثب حتى طفرت عن الارض وحانت في الجو كالطير ، ثم اندفعت الى القمر والافلاك حزمة من نور وسرا من الاسرار ، لا ندري مدى ما يتفجر عنه الفكر الخلاق من وراء ذلك .

تخوف الانسان من غده المبهم فطفق يخترن ما يجابه به الجوع والبرد والخوف المتوقع . ويجمع الشئ الى شبيهه ، ويضم الحيوان المستأنف الخادم الى قرينه ، ويحتفظ به الى حين حاجته . فان افتقد منه شيئا عرفه بصفاته . وان أبق منه حيوان فأدركه ضمه الى رفاقه ... واحتاج في احصاء ملكيته الى العد ، فأخذ يقيس المعدود على أصابع كفه ، فاذا زاد قاسه على أصابع الكفين معا . فاذا كثر ناظره الى ما في قدميه من أصابع كذلك . فاذا فاض عنها عجز عن تعداده ووصفه بالكثرة وجعلها كثرة قليلة وكثرة كثيرة ثم ما زال يتقدم على الدهور حتى قدر على تجريد العدد من المعدود، فانطلق في آفاق فكر جديدة ، جمع فيها الاعداد وطرحها وضربها وقسمها ثم ارتفع

من فوقها الى الجبر ، فجرد العدد من معناه المحدود ومضى فوق الحساب،
فخلق فوق السحاب .

وكما استطاع الانسان تجريد العدد من المحدود ، أمكنه كذلك تجريد
المعنى من الحرف ، والفكرة من الكلمة ، فتخيل وتوهم وتقلب ما شاء له
الخيال والوهم والفلسفة . لكن من يدري كم من قرون أتت على الانسان
وهو يجاهد المجهول ويصارع المبهم حتى استطاع الاستعلاء على المادة
بالمعنى ، والتحويم فوق شاطئ التجريد المغمض وحفاني الفكرة الصائبة،
فتخيل الفراغ المطلق ، وحصر الزمان بقانون رياضي مجرد ، ورسم
المكان بغير مكين ... ؟ !

كم من دهور توالفت على البشر حتى استطاعوا الانطلاق من المحسوس
الى المجرد . واذا نظرنا اليوم الى العلوم الرياضية – وهي آلة الآلات ،
كما يقول باكون (1) Bacon فرأيناها محض عقلية ، رنونا الى الدهور
الطويلة المديدة التي خلفها الانسان وراءه ، وهو يتنقل بها تدريجيا في
أطوار التجريب الحسى ، الى حيث وصلت اليوم من سمو ، بقلوب ملؤها
التعجب والتقديس ، للعقل البشرى المتطور في اتجاه مستمر مستقيم ، كما
انبثق علم جديد أضافه الى أضمامة العلوم الاخرى ، واختزله بالاسلوب
الرياضي ، يربط الأسباب بالأسباب ويقرن الامثال بالامثال ، ليعلو عن قاع
التفرد الى آفاق التعميم والكليات ...

من هنا أخذت العلوم اتجاهها السليم ، وكان أريسطو Aristote
أول من تنبه الى ظاهرة التعميم فسجلها بقوله : « لا علم الا في الكليات »
ومنذ يومذاك ، والفلاسفة على اطلاقهم ، والعلماء على اختلاف مشاربهم ،
يضمون أفراد النوع المتنافرة في قانون واحد ، يغلوها جميعا ويسود ،
فيسهلون بحثها ومقارنتها بسواها ، والرجوع الى قواعدها العامة بيسر
وبساطة .

1 — فرنسيس باكون (1561 – 1626) فيلسوف انكليزي رجب التفكير ، ولد في لندن .
كان من اوائل مبتكري الطرق التجريبية في العلوم بكتابه المشهور
Instauratio magna . ووضع للتحريات العلمية اساس استقلالها بعيدا عن
مبادئ السلطة الضاغطة للاساليب المدرسية الاتباعية السائدة في عصره ، كما
وضع تصنيفا جديدا للعلوم ، ونظرية جديدة للاستنباط في كتابه

Novum organum

وإذا كانت آفة العلم التعميم الفج ، فإن النضج اللاحق يعد له على أى حال ، وما دامت البشرية فى تقدم متصل الحلقات ، متساوق الخطوات ، فلا خوف من التعميم المبدئى ، اذ هو خطوة فى المجهول ، تكشف عن الخطأ فتصلحه ، والنقص فترمه ، وتتكشف هى نفسها أمام الحقيقة فتتعديل .

ولقد درس أريسطو مظاهر المعرفة التى توصل اليها عصره ، فوجدها تقوم على عشرة أسس ، منها ينطلق الفكر المستقيم فى اتجاهه نحو التعميم ، وعليها يبنى . فجمعها وشرحها شرحا مبدئيا وسماها المقولات ، وهى :

1 - الجوهر ، 2 - الكم ، 3 - الكيف ، 4 - الاضافة ، 5 - الأين ،
6 - المتى ، 7 - الوضع ، 8 - الملك ، 9 - الفعل ، 10 - الانفعال ،

وما زال الفلاسفة منذ ذلك اليوم ، لا يملون شرحها وعرضها فى كساء جديد . وتعلق بها الفلاسفة المسلمون - وبخاصة بعد القرن الخامس - تعلقا شديدا ، وجعلوها أصلا من أصول المنطق الصورى ، لا غنى عنه . وتوصل المتأخرون منهم فى شرحها الى مستوى عال جدا من الفهم ، على قدر ما تسمح به مستويات المعرفة العلمية التى حصلوا عليها . وفى رأينا أن الشرح المنسوب للبيلىدى خيرها وأدقها بلا نزاع .

وأريسطو هذا ، فيلسوف اليونان القدماء ، وزعيم العقل الفلسفى حتى أواخر القرون الوسطى . ولد فى مدينة ستاجير Stagire بمكدونيا Macédoine عام 384 ق م وتوفى فى شالسييس Chalcis بأوبى Eubée عام 322 ق م . وكان صديقا لالاسكندر الاكبر (2) وأستاذه . خلد فى تاريخ الفكر الانسانى بعقله الجبار ومؤلفاته الرائعة كأنما سبق عصره بقرون . كان فيلسوفا نسيج وحده ، يصر على أن الطبيعة بجماعها تتجه اتجاهها نضاليا مستمرا لترتفع من عالم المادة الى عالم الفكرة ، ومن التثنتت والتنافر الى التقارب والانسجام والتوحد . وأيد رأيه هذا ، اذ جمع أصولا

الاسكندر الاكبر (356 - 323 ق م) هو ابن فيليب ملك مكدونيا . واهم اوليمبيس المشهورة بجمالها وذكاها .

اخضع لحكمه بلاد اليونان وآسيا الصغرى والهلل الخصب وبابل وبلاد انفرس وشمالى الهند ومصر . . . كل ذلك بسرعة خاطفة مذهنة ، اشتهر على صغر سنه بعبقريته الحربية وتخطيط المعارك والاستراتيجية العسكرية وقدرته الادارية . حتى لقد حاول الفاء فكرة « غالب ومغلوب » ومازج بين الشعوب التى حكمها ليستخلص منها شعبا واحدا ، وزوج فى يوم واحد ، وتحت تأثير هذه الفكرة ، عشرات الألوف من جنده وضباطه بنساء من الشعوب التى خضعت له .

ومن المدن التى اطلق اسمه عليها : الاسكندرية فى مصر ، والاسكندرون فى سوريا . والاسكندرية فى بيمونتي بايطاليا ، والكسندروبوليس فى اليونان .

عشرة للفكر ، ادعى بأنها مجموع الأجناس الكبرى التي تنتظم تحتها الأمور المتشابهة ، وسماها المقولات - كما تقدم - . . . وسيطرت فلسفة أريسطو على العقل البشرى سيطرة تامة ، خصوصا ابان القرون الوسطى ، لم ينج من سيطرته الفكرية أحد من الفلاسفة الا ديكارت (3) Descartes (1596 - 1650 ب م) وكان قد تأثر به في مطلع حياته العلمية تأثرا بالغا ، ثم استقل عنه واستن لنفسه فلسفة جديدة مبنية على الشك الحذر البناء . وجاء بعده كانت (4) Kant (1724 - 1804 ب م) فعدل في مقولاته بعض التعديل ، وزاد عليها مقولتين أخريين هما :

1 - النفسى ، 2 - الاثبات

واختلف المناطقة المسلمون في بعض هذه المقولات ، فقبلها بعضهم كما وضعها أريسطو واستبدل بعضهم الاضافة والانتفال بالعرض والنسبة . ومهما يكن من أمر ، فقد كان لهذه المقولات أهمية خاصة لديهم . وبخاصة منها : الجوهر والعرض ، لصلتهما الوثيقة بمباحث التوحيد . انظر الى النموذج التالي ، فانه مثال من طرائق البحث في هاتين المقولتين الى عهد قريب جدا (5) .

3 — **ديكارت** (1596 - 1650) فيلسوف رياضي فيزيائي فرنسي . ولد في لاهاي بهولندا ، وتجول في اوربا سائحا . ثم عاد الى هولاندا فاتخذها مقره . ابتكر الهندسة التحليلية ، ووضع أسس ما وراء الطبيعة (الميتافيزيك) الحديثة . وقعد اساليب جديدة للمنطق قائمة على الشك البناء ، وأثبت وجود الله تعالى من خلال اثبات وجوده كائن من فكر ، بالحدس والاستقراء ، ووضع جملته المشهورة : « انا افكر ، اذن انا موجود Je pense donc je suis » وتوفي في استكهلم بعد ان ترك اثرا في انحراف العقلية المعاصرة والتطور الفكري والمنطق .

4 — **عمانوئيل كانت** (1724 - 1804) فيلسوف الماني ولد في كونيكسبرغ وفيه توفي . من مؤلفاته المشهورة : نقد العقل المحض . نقد العقل العملي . نقد المحاكمة وأسس الميتافيزيك للتقاليد . . . وبالجملة فقد كان نقادا مثاليا . وهو يعتقد بان الاشياء التي ندركها في شكل حادثات قائمة في الزمان وفي المكان . وهي ليست اكثر من محسوسات ، ولما كانت الاشياء قائمة بذاتها بقطع النظر عن علاقتها الزمانية والمكانية ، فهي اذن غير مدركة . . . والقوانين الاخلاقية تفترض الحرية والخلود ووجود الله معا . . . الخ .

5 — جزء 1 ص 132 من الطبعة الثانية ، من كتاب « المواقيف » للامير عبد القادر الجزائري . شرح وتعليق وتحقيق الدكتور ممدوح حقي . والجزائري نادر القرر التاسع عشر المسلم على الاستعمار الصليبي . ولد في مسكرة (الجزائر) عام 1808 . حارب الافرنسيين منذ عام 1830 حتى 1847 حتى نفذت جميع قواه فاستسلم لاعدائه فأسروه وحبسوا عليه في امبواز بفرنسا . ثم اطلقوا سراحه فانتقل الى مدينة بروسة بتركيا ثم الى دمشق حيث توفي فيها عام 1883 . ونقلت رفاته الى الجزائر عام 1965 بموكب مهيب . كان عالما صوفيا وسياسيا وعسكريا . . . (انظر تفصيلا عنه في مقدمة ديوانه الطبعة الثالثة شرح وتحقيق الدكتور حقي) .

- __ تقول للطبيعى : العلوية ، غير العرش والكرسى والاطلس ، وتلك من
أى شىء هى مركبة ؟ !
- __ فيقول لك : من العناصر الاربعة وهى : التراب والماء والهواء والنار
فتقول له : والعناصر الاربعة ، من أى شىء هى مركبة ؟ !
- __ فيقول لك : التراب مركب من البرودة واليبوسة . والماء مركب من
البرودة والرطوبة . والهواء مركب من الحرارة
والرطوبة . والنار مركبة من الحرارة واليبوسة
- __ فتقول له : وهذه الطبائع الأربع : جواهر أم أعراض ؟ !
- __ فيقول لك : هى أعراض !
- فكانت الجواهر والاجسام كلها مركبة فى الأعراض ، تجرى عليها أحكام
الأعراض ولا بد ؟ !

x * x

وكما نفضت الكيمياء عنها سحر السيمياء ، فألغت فكرة هذه العناصر
الأربعة ، وبرهنت على أنها ليست هى العناصر الأصلية البسيطة للمادة ،
فأرجعت الماء - مثلا - الى عنصرية البسيطين : الأوكسجين والهيدروجين ،
وفككت الهواء فاذا هو آزوت وأوكسجين وغازات أخرى ، وفردت التراب
الى أكثر من مئة عنصر أصيل ، بل قد فجرت الذرة ... كذلك
انتفضت الفلسفة فحطمت طوق المنطق الصورى ، فتولد منها : علم النفس ،
والمنطق ، والاخلاق ، وما وراء الطبيعة (الميتا فيزيك) ، وعلم الجمال
و " الخ " واتسع المنطق حتى شمل بحوثا جديدة كل الجدة : كالحس
والاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب وطرائق العلوم وتصنيفها
والبرهان والمشاهدة " الخ " وأصبحت دراسة المقولات جزءا يسيرا جدا
منه لا أهمية له الا فى التعميم والتخصيص ، وانقطع البحث فيها على أنها
أساس لا بد منه فى المنطق ، بل ان المنطق الصورى كله ، أصبح جزءا
يسيرا من المنطق العام .. وفى كل يوم يمدنا العقل البشرى الخلاق ببحث
جديد . فتبارك الله مبدع هذا العقل .

وإذا تراجع البحث اليوم فى المقولات ، وأصبح فى المقام الثانى ،
فياطالما أدى من خدمات كبيرة جدا فى تطور العقل الفلسفى ، خلال عشرين
قرنا على الاقل ، وما زالت أهميته فى نظر بعض المثقفين قائمة حتى اليوم ،
فحينما يجول البحث فى الكم المتصل والكل المنفصل مثلا ، ويناقش حدود

اللانهاية بين زمنين متلاحقين ، كالحاضر المتوضع بين الماضي والمستقبل ، هل هو جزء من أحدهما ؟ أو من كليهما ؟ أو هو جزء مستقل عنهما معا ؟ ! وما هي حدوده بينهما ، وما هو امتداده ؟ وما هو مقدار اتصاله بهما ؟ ! -
 وحينما يعالج مفهوم العدد الرياضى ومفهومه الوجودى الحسى . وفكرة الزمان الميكانيكى المتجانس وفكرة الزمان الشعورى ، والنقطة الهندسية والخط الهندسى وتركيبه من نقطتين أو من ثلاث نقط ، أو تقسيمه الى أجزاءه النقطية - والفراغ المحدد والفراغ المجرى - وما شاكل ذلك من بحوث عقلية مجردة ، أى خيال عبقرى يرفع البحث فيها الى منطقتى التجريد ؟ ! فدراسة المقولات ما زالت بحثا له أهميته فى المنطق الصورى ، وأغلب الظن أنها ستبقى زمنا طويلا جدا ، مع كل ما تعرضت له من نقد ، وما تتعرض له اليوم من تحوير وتجديد .

وكلمة « مقولة » اشتقت من مصدر القول حتما ، وهى ترجمة لكلمة كاتيجوريا Katigoria اليونانية ، ولا يعرف بالضبط أول من وضع هذا الاصطلاح فى العربية ولا تجد له فى معاجمنا وجودا ، وقد دخلت فى جميع اللغات بلفظها تقريبا Category Catégorie حتى فى كتب الفلاسفة المسلمين ، ومعناها فى الاصل « العلاقة » ونحن نستعملها فى معناها الاصطلاحى ، ونفرق بينها وبين البديهيات Axiomes والموضوعات Postulats ولعل كلمة « كليات » أقرب الى أصل المعنى اليونانى الذى وضعه أريستو منذ نحو ثلاثة وعشرين قرنا ، من كلمة « مقولات » الشائعة .

والمخطوط الذى نوهنا به ، بخط البليدى نفسه ، وهو شرح للمقولات كما وضعها أريستو ، ولعله خير نموذج لأساليب التأليف أواخر القرون الوسطى . وسترى فى صورة الصفحتين الأولى والأخيرة ، المرفقتين بهذا التقديم ، أن حظ المؤلف ليس من السوء بحيث يصعب حله ، غير أن العقبة المرة التى تاكدتنا ونحن ننقله للطبع والنشر ، هو فى هذه الحوائى المتعاطلة المتراكبة الذاهبة الى يمين وشمال ، المتداخلة فى أصل النص والخارجة منه بغير استئذان ، وأكثرها مرسومة بخط ردىء ناصل الحبر أحيانا ، مطموسة الحروف أحيانا أخرى ، وأغلب الظن أن الكتاب لاقى عنتا طويلا وهو يقاوم الزمن والرطوبة والعفن والتراب . ويبدو لى أن التحشية قد وضعت بأكثر من قلم ، وتعاورت الكتاب أيد كثيرة قبل أن يصل إلينا ، لاختلاف الخطوط فيه وتباين النفس .

ولقد عرفنا المؤلف بنفسه وهو يقدم الكتاب ، اذ عين أصله ومهاجره
وبلده ومنشأه ومذهبه في سطر واحد واستراح! قال : « انه محمد الحسنى
الانلسى البليدى أصلا ، المصرى منشأ ، المالكى مذهباً » .

وهو من رجال القرن الثاني عشر الهجرى ، وكان عالماً قاضياً موقراً ،
أشار اليه شارح تاج العروس (6) ، وهو يتحدث عن قدوم الزبيدى الى
مصر ، تدل على مكانته السامية وكعبه العالى فى مجموعة علماء القاهرة ،
قال : « ثم ورد الزبيدى الى مصر ، فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومئة
وألف . وسكن بخان الصاغة . وأول من عاشره وأخذ عنه : السيد على
المقدسى الحنفى ، من علماء مصر . وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ
أحمد الملوى والجوهري والحنفى والبليدى والصعيدى والمدابغى ...
وغيرهم » ... فانظر كيف جعله فى جملة أشياخ الزبيدى ، وناهيك بالزبيدى
من عالم ، لو لم يكن له الا مؤلفه الضخم « تاج العروس » لكناه وسيلة الى
الخلود ... وأنعم النظر فى الفقرة التالية ، من مقدمة تاج العروس (7) ،
لتعرف قيمة الزبيدى فى القاهرة نفسها قال : « ودعا كثير من الأعيان الى
بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم مع خواص الطلبة
والمقرىء والمستملى وكاتب الأسماء .. فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية
كثلاثيات البخارى أو الدارمى ، أو بعض المسلسلات ... بحضور الجماعة
وصاحب المنزل وأحابيه وأولاده ، وبناته ونسأؤه من خلف الستارة ، وبين
أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة . ويكتب الكاتب أسماء
الحاضرين والسامعين ، حتى النساء والصبيان ، واليوم والتاريخ ... ويكتب
الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » . وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن
السابق ! » . فاذا كانت تلك هم قيمة الزبيدى ، والزبيدى نفسه يقف على
دروس البليدى ، فأى معلم يكون ؟ ! وسواء أكان وقوف الزبيدى تطفأ
وتأدياً ، أو بغية كسب فائدة علمية ، فانه يشير الى ما كان يتمتع به البليدى
من احترام الخاصة والكافة ، وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم .

وتجد فى جملة الشروح ، تعليقات للباجورى ، والباجورى شيخ
الازهر ، ولد سنة 1198 هـ فى بلدة باجور بمصر ، وتولى مشيخة الازهر
وعمره 38 سنة واستقامت مشيخته أربعين عاماً ، وتوفى عن 78 سنة من
عمر ملء بخدمة العلم . وحواشيه مشهورة جداً : على مختصر السنوسى
وعلى السلم فى المنطق ، وعلى السمرقندية والترصيف والعريطسى فى
البيان والصرف والنحو ، وعلى الجوهرة فى التوحيد ، وعلى الشنشورى فى

6 — ص : ط ي طبعة الكويت

7 — ص : ط ي طبعة الكويت

الفرائض ، وعلى ضوء المصباح في أحكام النكاح ، وعلى ابن قاسم الغزى في فقه الشافعى ، وعلى البردة وسواها ... الخ . مثل هذا العالم العظيم يحشى على البليدى في المقولات ، تحشيات تفسير وشرح ، فلا شك أنه كان يدرسها في الأزهر . فأى قيمة سامية لهذه المقولات في القرون المتأخرة ؟!

ويكشف المؤلف عن نفسيته من خلال كلامه ، وهو لا يشعر . فيبدو عصبى المزاج عنيفا في مهاجمة الفلاسفة والمنحرفين حين يقول : « قبحهم الله ، أبعدهم الله ، وهذا منهم ضلال مبین ... » . ولا يرى الرد على النظام بغير الصفع والضرب ! .. فهل لنا أن نتساءل : متى كان السباب والشتم والصنع والضرب من وسائل البحث العلمى ، أو النقاش الفكرى ؟ !

وفي أسلوبه بعض التعقيد ، هو من مستلزمات عصره ، ومن طبيعة البحث كقوله : « أما المقولات وهو المقصد الأول ، أو العقول وهو المقصد الثانى أو « لا » و « لا » وهو الخاتمة » !

والبليدى جزائرى ، ينتسب الى « البليدة » مدينة في الجزائر ، وأسرته من مهاجرى الأندلس . نشأ في مصر وتعلم في الأزهر ، وبقي على مذهبه المالكى في جو كله شافعية . والمغرب الكبير كله على المذهب المالكى ، منذ نقله اليه أسد بن الفرات تلميذ الإمام مالك (رضى الله عنه) فتأكيده على انتسابه الى الأندلس ، وانتمائه الى المذهب المالكى ، دليل على حنينه الى أصله ومذهبه وموطنه ، ووفائه لها جميعا بالرغم من وجوده في مصر ، وما زال الأندلسيون الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ، يحنون اليها ، وينتسبون الى هذا الوطن الجميل ، ويورثون أبناءهم الحنين اليه كذلك ، حتى اليوم . وظاهرة التمسك بالمذهب والتشيع له ، مع أنه فرع في الدين لا أصل ، انتقلت في المسلمين عبر القرون ، منذ تأسست المذاهب ، وعاشت حتى مطلع هذا القرن . ولقد بلغ بهم الأمر أن كانوا يسجلون انتقال أحدهم من مذهب الى مذهب ويعدونهم أمرا عظيما جديرا بالتسجيل والتاريخ . وكثيرا ما لاقى المنتقلون بسبب ذلك عنقا وأذى كما لاقى السمعانى مثلا صاحب كتاب « الأنساب » .

× * ×

وبعد ، فاذا كنت قد أطلت في تقديم الكتاب ، فلى عذرى في تعاضل أصل البحث وتعمده حاولت لقاء النور بين يديه اضاءة لبعض جوانبه المغمضة ، مساعدة للقارىء المعاصر وتسهيلا عليه ؟ فاذا بلغت غاييتى ووفقست ، فالحمد لله تعالى على معونته .

مدوح حقى

لما فعل حمد الله فيقول احوج العباد لمواضع السيد
محمد الحسين في الاندلس في البيدي اصله المصري منشأه في
الملك مذهبها: اطلع الله له ولاخوانه نيل السعادة على
لنا وكرم بالحسبي وزيادة اليك يري يا من هذا التلبيح على
السفاد ان في تمام المقولات: ضل عن اليك بزيت عبادك
وطول عصبة ابيائك ذذي الاثالة المستفي لحوود الجملات
ان تصلي وتسلم وعلى اله واصحابه وانصارة واعوانه الرقي
في تجوية الاشرفي بانبا عنهم اعلا الدر جلا: وان تنفع العباد
ما اسير اليه بقولي وينخص المقصود من نيل السعادات في مقدر
ومقصدية وخاتمة انك على ما تشا قدس وبلا اجابة قدس
وجه الحصر المذكور فيها اما ان يكون تابعا واما ان يكون مستق
والاول اما ان يكون تاسيسا للمقولات وهو المقدمة او لا
الثاني كذلك اما ان يكون بيا للمقولات العشر وهو
المقصد الاول او للمقول العشرة وهو المقصد الثاني وان
المذكور اما تاسيس او لا الاول للمقدمة والثاني للمقولات
وهو المقصد الاول او المقول وهو المقصد الثاني
اولا ولا هو الخاتمة المقدمة فيها ثلاث مسائل
اعلم ان من المقولات لا هي الخاتمة المقولات لها الزيادة
عندهم من الموجودات وذكرها في المنزلة من جهة استقامتها
على المجدديان في جملة وذلك بان تأخذ عدة امور من ادوات
اشخاص المجدود ان لان المجدودين في اشخاص انما المقولات
وهو المقصد الاول او المقول وهو المقصد الثاني
وهو المقصد الاول او المقول وهو المقصد الثاني
وهو المقصد الاول او المقول وهو المقصد الثاني

هكذا ان في قولنا ان هذا هو الذي...
فان الزمن عندهم مفارقة جهول المعلوم فيكون من مقولة
الاضافة واما غيرهم فيعلمون بانها نفس الفلك هي
وقايله بانها المعدل اعني منقطع الفلك الذي في وسطه وعليهما
قوله القومون مقولة الجوهر وقايله بانها حركة الفلك وقايله بانها
المعدل في حركة المعدل وعليهما فهو من مقولة لايت علي ما يظهر
وقايله بانها عرضا شيان معدرا بحركة وعليه فهو من مقولة
العلم يستوي الكم ويحري عليه ما ذكره اولاً وانظر تلك الاقوال في المعاني وتوا
ومنها ان النقطة نهاية الخط والوحدة نهاية الواسط
مطلقا فتكون اعني والنقطة اخص للشيء في حال تسعد العقائد في
الشيئية اذ قولهم في النقطة نهاية الخط قضية مبهمة
لا كلية ولا تفيد تكون نهاية لغير الخط كما في الجسم المخروطي
والحركة وهل هما نوع بسيط وعليه فليس من القولات
فيها يظهر وتردد في ذلك ليس في حوائش التهذيب نظر
لا يختصا بوجودات عندهم في العشر او من مقولات الذين
او من الامور الاعتبارية وهو الصحيح كما في المطالع لانها
لو كانت وجودية لانصفت بالوحدة وهكذا يكون التسلسل
من الاعراض في الامور الوجودية وهو باطل بخلاف في الامور الاعتبارية
وهو كما هو القول الصحيح والصحيح كالتوجب والامكان والقياس
لانكون نهاية من ثمة ما اهل الكلام كالعلمة السوي من الصفات
فظهر ان التسلسل خلاف للقاضي والاقام انما نفسية ولقول
من ان بعض انهما من المعاني قال في الطوالج الوحدة كون
نهاية احد الشئ بحيث لا ينقسم الى امور مشتركة في الماهية ان
سطح الامور وانها في ان النفاضة سلبية
وهو السطح
المتدا من النفاضة هي
الشيء الى نقطة هي
تة خط لا يفسد

تقديم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد (2) حمدا لله (3) ، فيقول أحوج العباد ، وأخفض العبيد (4) ، محمد الحسنى (5) الاندلسى (6) ، البليدى (7) أصلا ، المصرى منشأ ، المالكى مذهبا ، أتاح (8) الله له ولاخوانه (9) نيل السعادة (10) ، وختم لنا (11) ولهم بالحسنى وزيادة (12) .

عليك يدي (13) ، يا من هدانا (14) لنيل السعادات (15) ، في أمام المقولات (16) . ضارعا اليك (17) : بزَيْنِ عبادك (18) ، وطِرَازِ عَصْبَةِ أنبيائك (19) ، ذِي الأَقَالَةِ (20) المُنْتَقَى (21) لخمود الجهالات ، أن تصلى عليه وتسلم ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه ، الراتعين في حبوحة الشرف باتباعهم أعلى الدرجات ، وأن تنفع الطلب بما أشير اليه بقولى .

وينحصر المقصود من نيل السعادات ، في : مقدمة ، ومقصدين ، وخاتمة ، أنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وجه الحصر المذكور فيها : إما أن يكون تابعا ، وإما أن يكون متبوعا . والاول ، إما أن يكون تأسيسا للمقولات ، وهو المقدمة . أو لا وهى الخاتمة .

والثانى كذلك ، إما أن يكون بيانا للمقولات العشر ، وهو المقصد الاول . أو للعقول العشرة ، وهو المقصد الثانى .

وان شئت قلت : المذكور ، إما تأسيس ، أو لا . الاول : المقدمة . والثانى ، إما المقولات ، وهو المقصد الاول . أو العقول ، وهو المقصد الثانى . أو لا ولا ، وهو الخاتمة .

- 1 — اعلم ان البسمة اشتملت على خمسة امور : الباء والاسم واللفظ الشريف والرحمن والرحيم . فالباء من حيث لفظها من مقولة كيف ، وهكذا الباقي من الامور الخمسة .
واما من حيث المعنى ، فينظر . فبالنظر للباء ، فمعناها الاستعانة . والاستعانة ، نسبة . وهي لا تكون الا بين مستعان به ، ومستعان عليه ، فبالنظر لهذا ، فهي من مقولة الاضافة . اما اذا نظرنا للاعانة ، من اعانة الله للعبد ، فتكون - حينئذ - من مقولة الفعل . والاول ، هو الاقرب ، واما بالنظر لسماءه (الاسم واللفظ الشريف) فهما الذات ، والذات ، ليست بعرض . فهما ليسا من مقولة كيف ، قطعا . واما كونهما من مقولة الجوهر ، فوقع خلاف . فمعدنا - معاشر اهل السنة - ليسا من مقولة الجوهر ، لان الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهرية . واما عند الحكماء ، فوقع خلاف ، فان عرفوا الجوهر : بأنه ما قامت به الاعراض ، فلا يكون من مقولة الجوهر . واما ان عرفوه : بأنه ما قام بنفسه ، فهو من مقولة الجوهر . ولكن لا يجوز اطلاقه ، لما فيه من الابهام .
واما بالنظر للرحمن والرحيم ، فان اطلقناهما على الله ، فيجري فيهما الخلاف المتقدم ، فان مدلولي الاسم واللفظ الشريف . واما ان اطلقناهما على غير الله ، فهما من مقولة الجوهر .
- 2 — لا يخفى ان «اما» نأية عن «مهما» . اذ الاصل : «مهما يكن من شيء» بعد حمد الله ، فيقول : الخ . . فحذفت «مهما» و «يكن» وعوض عنهما «اما» .
- 3 — « بعد حمد الله » استشكلت هذه العبارة . بأنه لم يتقدم حمد ، فكيف يقول : « بعد حمد الله » ؟ واجيب : بأن الجواب الاول ، بالحمد مطلقا . ولا شك ان الثاني ، بالبسمة . فمعنى قوله « بعد حمد الله » اي بعد الاتكال على اسم الله . والجواب الثالث ، ان معنى قوله « بعد حمد الله » اي بعد ثنائي وذكر اللفظة . ونظير هذا قولهم : تكلم . اي بهذه اللفظة .
- 4 — قوله « واخفص العيد » اتى هنا بالعيد ، وسابقا بالعباد ، لمجرد التفنن والعطف للمفاصلة .
- 5 — قوله : « محمد الحسني » نسبة للحسن ابن سيدنا علي كرم الله وجهه .
- 6 — الاندلسي ، نسبة للاندلس وهو بالمغرب
- 7 — البلدي اصلا ، نسبة للبيدة وهي قرية من قرى الجزائر بالمغرب ، وقوله الظاهر فيه ، أنه راجع للذي قبله .
- 8 — قوله : اتاح بالثناء ، والحال معناه يسر وسهل .
- 9 — قوله : ولاخوانه ، يصح فيه كسر الهمزة وضمها ، وهو جمع . والمراد به ، اخ المعرفة .
- 10 — قوله : نيل السعادة ، اي اخذ ، وتحوز السعادة . . وهو معمول لاتاح .
- 11 — قوله : وختم لنا ، فيه اتفات من الفية للمتكم ، لانه اتى اولا بالاسم الظاهر والضمير ، والاسم الظاهر من قبيل الفية .
- 12 — قوله : بالحسنى وزيادة ، المراد بالحسنى الجنة . والمراد بالزيادة ، النظر الى وجهه الكريم .
- 13 — قوله : اليك يدي ، اليك خبر مقدم ويدي مبتدا مؤخر . والتقدير يدي ممدودة اليك . ويصح جعل اليد متعلق بفعل محذوف ، والتقدير : امد اليك يدي . ويدي هذا ، يقرأ بالافراد ولا يقرأ مثنى ، لانه لو قرئ مثنى ، لقييل يداي ، والاضافة للجنس فتعم .
- 14 — قوله : يا من هدانا ، المراد بالهداية الدلالة .
- 15 — قوله : لنيل علي السعادات ، اي لاخذ وتحصيل السعادات العلية . فهو من اضافة الصفة للموصوف . والسعادات جمع سعادة . وهي عند الاشاعرة الموت على الايمان . واما عند الماتريديين ، فنفس الايمان .
- 16 — قوله : في اتمام المقولات ، متعلق بالسعادات . وفي سببية . اي سبب اتمام الكلام على المحمولات .
- 17 — قوله : ضارعا ، من التضرع ، وهو التذلل . والمراد به هنا : التوسل . فمعنى ضارعا ، متوسلا ، وهو حال من الباء ، في يدي .
- 18 — قوله : بزین ، اي اشرف عبادك . وهو ضد الشين . ويصح ان يراد بزین ، مزین . لان النبي (صلى الله عليه وسلم) مزین بالعباد .

- 19 — قوله : وطراز عصابة انبيائك ، تطلق العصابة على الجماعة ، وعلى ما يعصب به الراس ، والمراد بها هنا : الأول . والطراز ، لا يكون الا فى ثوب ، ففى الكلام استعارة بالكناية . وكيفية جريانها ان تقول : شبه العصابة بثوب مطرز ، تشبيها مضمرا فى النفس . وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الطراز على قبيل الاستعارة بالكناية . واثبات الطراز ، تخيل .
- 20 — قوله : ذى الاقالة ، بضم الهمزة وفتحها . وهو المجد والشرف .
- 21 — قوله : المنتقى ، اى المختار ، لخمود ، اى اطفاء الجهالة . والاطفاء لا يكون الا لنار ، ففى الكلام ، استعارة بالكناية . حيث شبه الجهالة بنار ، تشبيها مضمرا فى النفس ، وطوى ذكر المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الاطفاء على قبيل الاستعارة .

المقدمة

وفيها ثلاث مسائل :

اعلم ، أن من (1) المقولات لأهل الحكمة (2) بحث المقولات ، لما أنها عندهم من الموجودات (3) وذكرها في الميزان ، من جهة انتقائها ، على التحديدات في الجملة . وذلك ، بأن تأخذ عدة أمور (4) ، من أشخاص المحدود ، بأن كان المحدود نوعا (5) ، أو من أشخاص أنواعه ، ان كان جنسا . وتعلم (6) : أنها باعتبار كونها هذا المحدود (7) ، من أى مقولة من المقولات . ولا تنظر الى غير ذلك من الاعتبارات . ثم تطلب جميع محمولاتها ، المقومة (8) لها ، بذلك الاعتبار ، من تلك المقولة ، لقاعدة (9) أن الجزء المحمول ، يجب أن يكون من مقولة الماهية . وحينئذ (10) ، يحصل تمام المحمولات المشتركة والمختصة ، وهو الجنس (11) والفصل ، مثلا : تحديد الانسان المنوع فتأخذ من أشخاصه (12) روميا وتركيا وهنديا ... وتعلم : أنها باعتبار كونها انسانا ، من مقولة الجوهر ، ولا تنظر الى غير ذلك الاعتبار ، لأنه المطلوب . فان الشيء (13) ، قد يكون من مقولتين أو أكثر . باعتبارين أو أكثر . كزيد ، باعتبار الانسانية ، مقولة الجوهر . وباعتبار الاخوة ، من مقولة المضاف ، ثم تعلم (14) ان المقومات لتلك الاشخاص ، باعتبار كونها انسانا ، المحمولة عليها ، التي من تلك المقولة ، جسم حساس متحرك بالارادة ، ناطق ، وغير الناطق (15) ، مشترك ، فهو الجنس ، والناطق مختص ، فهو الفصل ، واذا آثرنا تحديد الحيوان

الجنس ، أخذنا (16) ماشيا وطائرا وزاحفا ... فتعلم : أنها باعتبار كونها حيوانا ، من مقولة الجوهر . وتعلم : أن المقومات المحمولة ، جسم نام (17) ... الخ وقلت في الجملة ، للإشارة الى أن هذا الطريق ، لا بد معه من حصول التمييز بين الذاتيات والعرضيات . لأن المحمولات (18) ، المأخوذة من المقومات ، بعضها ذاتي — كما تقدم — وبعضها عرضي ككاتب وضاحك . والا ، فلا (19) يكون مسعفا (20) في التحديدات . ولا شك ، أن هذا التمييز ، عسر . حتى أن الشيخ (21) معترف : بأنه الموجب لصعوبة التحديدات ، خلافا لقول الشيخ أبي البركات : « تحديد الأشياء في غاية السهولة » انتهى ...

أقول : وكأنه مبنى على أن الذاتي ، يعرف بالاسبقية . والعرضي ، بضده . كما لا يخفى عليك (22) بالناطق والضاحك . وحاصله ، أن المحدود إذا عرف أنه من أي المقولات ، عرف جنسه العالی ، فينزل منه الى السافل ، ويطلب فصله من تلك المقولة ، وهو الحد (23)

- 1 — اي من جملة الاقوال .
- 2 — الحكمة ، اي العلم المزين . (اهل الحكمة هم الفلاسفة لما ان كلمة فلسفة اليونانية مركبة من كلمتين هما : فيلو (أي محب) سوفوس (الحكمة) فالعنى اذن هو : حب الحكمة . والفيلسوف محب الحكمة) .
- 3 — اي ذهنا وخارجا .
قوله : لما انها عندهم ، الحاصل انها موجودة ذهنا ، باتفاق منا ومنهم . واما خارجا ، فوقع خلاف ، ولكن محل الخلاف ، في غير الجوهر والكم والكيف ، فعندنا موجودة ذهنا ، لا خارجا ، واما عندهم ، فموجودة ذهنا وخارجا . اما الجوهر والكيف ، فهما موجودان ذهنا وخارجا ، عندنا وعندهم ، وعزى لبعض المحققين زيادة الكم .
- 4 — قوله : عدة امور ، هذا قيد . ولا يصح ان تاخذ واحدا من اشخاص المحدود ، لان الواحد منه ، زيادة تشخيص ، على ماهية المحدود .
- 5 — قوله : نوعا ، النوع ، هو صفة كالشفة للانسان . وذكره لئكتة لطيفة ، وهي ان غرضه بيان قوله سابقا : وبان تاخذ عدة امور . الخ فلما ذكر هناك ، ناسبت ان يذكر هذا النوع . انتهى .
- 6 — قوله : وتعلم ، هذا مغطوف على قوله سابقا : « بان تاخذ » فهو بالنصب . انتهى تقرير شيخنا الباجوري .
- 7 — قوله : هذا المحدود . المراد بالمحدود ، النوع ، ان كان نوعا . والجنس ، ان كان جنسيا . انتهى تقرير .
- 8 — قوله : المقومة لها ، اي المحققة لها بذلك الاعتبار . اي باعتبار كونها : هذا المحدود . من تلك المقولة ، متعلق بتطلب . انتهى باجوري .

- 9 — قوله لقاعدة : علة لمحدوف . اي ولا تكون تلك المحمولات من غير تلك المقولة لقاعدة ح ... الخ . واطافة قاعدة الى الجملة التي بعدها ، للبيان . اي قاعدة ان الجزء .. الخ . انتهى باجوري
- 10 — قوله : وحينئذ . اي وحينئذ ، طلبت جميع محمولاتها ، يحصل تمام .. الخ .. والمراد بالتمام ، التتميم . اي تتميم جميع المحمولات . انتهى .
- 11 — قوله : وهو الجنس ، .. الخ . الضمير ، راجع للتمام . والجنس ، راجع للمشترك . والفصل ، راجع للمختصة . فهو لف ونشر مرتب . انتهى .
- 12 — قوله : فتأخذ من اشخاصه ، المراد بالاشخاص ، الاصناف . لان الرومي والتركي .. الخ . اصناف لا اشخاص . انتهى شيخنا باجوري .
- 13 — قوله : فان الشيء قد يكون .. الخ . علة لما افهمه الكلام من تعدد الاعتبارات انتهى باجوري .
- 14 — قوله : ثم تنضم .. الخ . هذا كالتوضيح لما تقدم . وهو قوله : ثم تطلب جميع المحمولات .. الخ . انتهى .
- 15 — قوله : وغير الناطق ، هذا كلام مستأنف . والمراد بغير الناطق ، الجسم ، والاحساس والمتحرك بالارادة . وهذا - في الحقيقة - تفصيل لقوله سابقا : « المحمولات المشتركة والمختصة » انتهى تقرير .
- 16 — قوله : اخذنا ماثيا وطارا .. الخ . اي التي هي اصناف لانواع الجنس . انتهى .
- 17 — قوله : جسم نام ... الخ . اي حساس متحرك بالارادة فقط . ولا يكون الناطق ، لانه يسدد تعريف الجنس . انتهى .
- 18 — قوله : « لان المحمولات المأخوذة من المقومات » هكذا في بعض النسخ وفي بعضها : « من المقولات ، ، فعلى الاول : تكون العبارة فيها قلب . اي المقومات المأخوذة من المحمولات . وعلى الثاني ، لا قلب . انتهى باجوري .
- 19 — قوله : والا فلا يكون ، هذا ارتبط بقوله : « لا بد معه من حصول التمييز والا بأن لا يحصل تمييز : فانه يكون .. الخ .
- 20 — قوله : مسعفا : أي معينا في التحديدات
- 21 — قوله : حتى ان الشيخ ، هذا تفريع على قوله : « ولا شك ان هذا التمييز عسر » . والمراد بالشيخ : ابن سينا (*) . لانه هو المراد عند الاطلاق . في علم الحكمة . انتهى باجوري
- 22 — قوله : كما لا يخفى عليك .. الخ اي اذا استحضرت الانسان ، خطر بدهنك اولا ناطق ، ثم ضاحك .. انتهى باجوري
- 23 — قوله : وهو الحد : اي مجموع الجنس السافل والفصل ... الخ .

(*) ابن سينا بسميه الاوروبيون Avicenne هو شيخ الفلاسفة الاطباء من المسلمين ولد قرب بخارى عام 980 وتوفي عام 1037 من اشهر كتبه : القانون « في الطب والفلسفة . بقي يدرس في كليات الطب بأوروبا ، وبصورة خاصة في ليون ومونبيليه بفرنسا حتى القرن الثامن عشر . وما زالوا يعدونه من اعظم نوابغ الشرق الاسلامي .

المقصود الأول

بحث المقولات العشر : 1

وهو مقولة : الجوهر ، والكم (2) ، والكيف (3) ، والاضافة (4) ،
والاين (5) ، والتمى ، والوضع (6) ، والملك (7) ، والفعل ، والانفعال ،
المشار اليها بقوله على هذا الترتيب :

زيد الطويل الازرق ابن مالك فى بيته بالامس كان متكى
بيده غصن لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوا

ويقول الآخر وهو :

تمر غزير الحسن ألطف مصره لوقام يكشف غمتى لما انتنى

فالقمر للجوهر . والغزير للكم . والحسن للكيف . وألطف للاضافة .
ومصره للاين ، وأضافة اشارة : الى أن الاين ، الحصول فى مصر ، لانفس
المصر . وقام للوضع . ويكشف للفعل . وغمتى للملك . ولما « بتشديد الميم »
للمتى . وانتنى (8) للانفعال . وانما خصوا هذا باسم المقولات ، عند
الاطلاق . اذ كان كل كلى ، مقولا على ما تحته (9) ، نظرا لكونها أجناسا
عالية ، أوسع مقولية وصدقا (10) ، من غيرها المندرج تحتها .

- 1 — قوله : بحث المقولات ، ... الخ . اي المحمولات ، اي الموجودات العشرة . اي الكون احتوى على هذه العشرة . واعلم ان الجوهر والكم والكيف ، موجودة ذهنا وحارجا باتفاق . واما السبعة الباقية ، فعند أهل السنة ، موجودة ذهنا . وعند المعتزلة موجودة خارجا . « انتهى . أمير » .
- 2 — سمي : كما ، لكونه يسأل عنه بكم ؟
- 3 — سمي كيفا ، لكونه يسأل عنه بكيف ؟
- 4 — الاضافة ، نسبة يتوقف تعقلها على تعقل سببية اخرى ، متوقفة عليها . كلابوة فانها متوقفة على البنوة . والبنوة كذلك .

- 5 — هو اسم للحصول فى الأين . اى المكان .
- 6 — الوضع : هو اسم للهيئة الحاصلة من نسبة بعض الاجزاء الى بعض ، ومن نسبتها الى أمر خارجي .
- 7 — الملك ، هو اسم للهيئة الحاصلة من احاطة شيء بشيء كلا أو بعضا .
- 8 — قوله : انثنى للانفعال ، اى اذا كان بتأثير مؤثر . اى فعل فاعل « انتهى امير » .
- 9 — قوله : على ما تحته .. الخ ، هذا يقتضى أن مقولات ، من باب معدودات ، واشتهرت مقولة أيضا .. وكان التأنيث ، باعتبار انها لا تخرج عن صفة او ذات . تأمل . انتهى امير .
- 10 — المراد بالصدق ، الحمل والابخار فالعطف للتفسير « انتهى » .

مقولة الجواهر

لا يمكن حده ، لما سيأتى (2) . بل نرسمه : بأنه الغنى عن المحل . أو القابل للعرض ، أو المتحيز . وهو ما أخذت ذاته قدرا من الفراغ ، كان مستقرا (3) أم لا . جسما أم لا (4) . وحينئذ (5) ، فالمتحيز ، أعم من المستقر ، كدائرة مرشوقة برمح . فان رأس حريبتها ، الملقى له ، مستقر متحيز . وما عداها منها ، متحيز فقط .

ومن الجسم : فما تركيب من جوهرين فردين مثلا ، جسم متحيز . وما لا ، متحيز فقط .

ومن المتمكن (6) ، لاختصاصه بالمتحيز : الممتد دون غيره ، كالجوهر الفرد . فكل مستقر ، جوهر متحيز . ولا عكس . وكل جسم ، جوهر متحيز ولا عكس . وكل متمكن ، جوهر متحيز ، ولا عكس . والحيز (7) ، هو الفراغ . وهو موهوم عند المتكلمين (8) .

فائدة

للجواهر أحكام منها :

أنها قابلة للبقاء (9) زمانين مثلا ، الى الفناء (10) . خلافا للنظام (11) — والرد عليه بالصفع والضرب — فان مالت (12) نفسه للانكار ، قيل له : ذهب الفاعل والمفعول . فلا معنى للانكار .
وأنها لا تتداخل (13) . خلافا له .

وأنها تحدث بجملتها ، عن عدم سابق . وتتعدم كذلك خلافا للفلاسفة (14) والطبائعيين ، والسمنية .

وأنها يصح انعدام بعضها ، خلافا للمعتزلة (15) ، في أن الجوهر ، لا
ينعدم الا-جملة .

وأنها متماثلة في الصفات النفسية ، كما ذكره الامام (16) : من التحيز ،
والقيام بالنفس ، وقبول الاعراض ، والجرمية .. وان تباينت (17) بصفات
المعاني : كالماء ، والنار ، خلافا له .

وأنها لا تثبت في العدم ، خلافا للنظام ، وكثير من المعتزلة في قولهم :
انها كالأعراض (18) ، ثابتة في العدم ، ولذلك ، كان المعدوم — عندنا —
ليس بشيء ، وعندهم — قبجهم الله — شيء : أعنى بذلك المعنى والا ،
فأهل اللغة ، قائلون : بثبويه المعدوم ، لكن لا بذلك المعنى (19) ، فافهم .
انتهى .

- 1 — قوله : مقولة الجوهر : قدمها لشرفها . واخر الباقي ، لانها اعراض . « انتهى
شيخنا امير » .
- 2 — قوله : لما سيأتي ، اي اول الامور بعد المقولات ، والتتمة . اي ان هذه المقولات ،
اجناس عالية ، فلا جنس لها تحد به .
- 3 — قوله : مستقرا . ام لا . الخ فبين التحيز وكل من الجسم والتمكن والمستقر ،
عموم وخصوص مطلق . لان التحيز اعم من كل من الثلاثة .
- 4 — قوله جسما ، كأن تركيب من جوهرين فردين . وقوله : ام لا ، كأن كان جوهرًا
فردا . « انتهى امير » .
- 5 — قوله : وحينئذ ، اي حينئذ عممنا في التحيز .
- 6 — قوله : ومن التمكن ، ذكره وان كاشفني عنه لما قبله نظرا لتفايرها في اللفظة .
- 7 — قوله : والتحيز ، انما ذكره لكون التحيز يستلزمه .
- 8 — قوله : عند المتكلمين ، واما عند غيرهم فهو موجود ، لكنه من المجردات ، اي عن
المادة .
- 9 — قوله قابلة للبقاء : وكذلك الاعراض على التحقيق .
- 10 — قوله : الى الفناء . متعلق بمحذوف اي وتستمر الى الفناء .
- 11 — قوله : خلافا للنظام ، اي في قوله انها غير قابلة لزمانين . وهو من المعتزلة .
« انتهى امير » .
- 12 — قوله : فان مالت نفسه للانكار ، اي كأن قال لاي شيء تضربوني فنقول له :
ذهب الفاعل والمفعول ، فلا معنى لانكارك .
- 13 — قوله : وانها لا تتداخل ، اي بحيث ان الجسم لا يدخل في آخر ، مع عدم فهو
الأخر ، بل كونه بحاله .
- 14 — قوله : خلافا للفلاسفة ، اي قولهم ان بعض العالم قديم وبعضه حديث عن
عدم سابق .
- 15 — قوله : خلافا للمعتزلة ، المراد بعضهم .
- 16 — الامام : المراد به الفخر الرازي . « انتهى امير »

- 17 — قوله ، وان تباينت بصفات ... الخ . لعل معناه ، ان الجوهر في نفسه واحد مع مثله . والمعاني اطوار لا توجب التباين . والا فلا يقول به عاقل . **تأمل** .
- 18 — قوله : كالاعراض ، اي عندهم . وقوله ثابتة في العدم ، اي قبل الظهور . يقولون : كانت خفية ثم ظهرت . ونظيره ، الماهيات ، عندهم .
- 19 — قوله : لا بذلك المعنى . الخ . بل بمعنى ما يصح ان يذكر ، ويحكم عليه بأمر ما ، كقبوله الوجود . « انتهى امير » .

مقولات الكم

وهو عندهم (1) ، عرض (2) يقبل القسمة لذاته (3) . فالقيد الاول (4) ،
لاخراج النقطة (5) والوحدة (6) . والثانى (7) ، لاجراج ما عدا الكم . فانه
وان قبلها ، فبواسطة الكم ، لا لذاته ، كالبياض .

ثم اما متصل ، بأن يكون بين أجزائه حد مشترك ، كما فى معالج (8)
الامام الفخر الرازى ، أى تتلاقى (9) عنده وتتصل باعتباره (10) ، كما فى
شرحها (11) للشيخ الفهرى ، تلميذ المقترح ، كالنقطة بين النقطتين فى الخط .
وكالحال بين الماضى والمستقبل ، فى الزمن .

واما منفصل ، بأن لا يكون بينها حد مشترك كالعدد . فان الاربعة مثلا
اذا قسمت بين اثنين واثنين ، وكذا الثلاثة ، اذا قسمت بين واحد ونصف
وواحد ونصف ، بخلاف الخط من ثلاث نقط . فانه ينقسم الى اثنين بينهما
واحدة ، لا تنقسم . كما لا يخفى على العارف بالنقطة ، وكذلك الزمن ، فانه
ينقسم الى ماض ومستقبل ، وبينهما الحال . وقد حصل بين ما ذكر (12)
اتصال ، باعتبار ما ذكر (13) ، والخط المركب من أربع نقط ، مشتمل على
الثلاث نقط . فياتى فيه ما ذكر . وهل الحال (14) ، أجزاء من طرفى الماضى
والمستقبل ؟ - وعليه السعد - أو زايد عليهما ، قسم مستقل ؟ خلاف عند
الحكماء ، كما فى التشيرى على المطول ، أو هو جزء لا ينقسم ، نهاية الماضى
وبداية المستقبل ؟ وهو ما لبعض .

والمتصل : اما أن يكون قار الذات (15) ، أى مجتمع الاجزاء فى الوجود .
وهو المقدار . خط ، ان قبل القسمة (16) فى جهة فقط . والا ، فسطح ، ان
قبلها فى جهتين . والا فجسم . تعليمى ، ان قبلها فى ثلاث .

فهذه الثلاثة ، امتدادات عارضة ، للجسم الطبيعي ؟ فالشك ، المربع مثلا (17) : ذاته – أى جوهره – جسم طبيعي ، معروض لتلك الامتدادات ، التى هى مجرد الطول والعرض والعمق . ونفس الطول والعرض والعمق ، هو الجسم التعليمى ، نسبة للتعليم ، لانهم (18) كانوا يعلمونه صنارهم .

فالجسم الطبيعي ، جوهر معروض مركب من جوهرين فردين (19) ، أو ثلاثة ، أو أربعة . أو ثمانية ، أو ستة عشر أو أربعة وعشرين ، أو ستة وثلاثين ، أو ثمانية واربعين ... وهو – أى هذا الخلاف – لفظى ، على ما للفهرى (20) أو معنوى ، على ما للسعد . وللجسم التعليمى عارضى (21) عرض فقف (22) على الفرق بين الجسم الطبيعي والجسم التعليمى .

وقول التلخيص (23) : الجسم الطويل العريض العميق ، يحتاج الى فراغ يشغله ، يعين به الجسم الطبيعي ، كما هو ظاهره (24) . والا ، فالتعليمى (25) لا يحتاج الى فراغ وانما يحتاج الى محل يقوم به لكونه عرضا . لكن يشكل عليه ، كما فى الشهاب رلعه الشهاب بن قاسم على المطول : ان الاحتياج الى الفراغ ، ليس خاصا بالجسم الطويل ... الخ بل الجوهر الفرد كذلك ، مما يحتاج الى الفراغ ، خصوصا والمعتزلة – أصحاب هذا التقسيم (26) – يعترفون بالجوهر الفرد ، ويخالفون الحكماء ، فلا وجه للتخصيص والجواب – كما فيه – : أنه أراد الاحتياج الى فراغ ممتد . ولا يخفى أنه من خصائص الجسم الطبيعي الطول ؟ الخ . فان الجوهر الفرد ، لكونه عاريا عن تلك الامتدادات ، ليس له حيز ممتد ، والطول ، هو البعد المفروض أولا . والعرض ، وهو المفروض ثانيا . ولا يفسر الطول بأبعد الامتدادات ، لانتقاضه بالاشكال المتساوية الابعاد .

واعلم (27) : أن تقسيم الجسم (28) بما ذكر ، اصطلاح (29) المعتزلة مع اعترافهم (30) بثبوت الجوهر الفرد . وأما الفلاسفة ، ففسروه (31)

بالهيولى (32) والصورة . لان الموجود عندهم (33) : اما أن يكون محلا ،
أو حالا فيه ، أو مجموع الحال والمحل ، أو لا (34) .

فالمحل ، هو الهيولى (بتثديد الياء وتخفيفها) اذا تغير (35) ،
وتقوم (36) بما حل فيه ؟ كالنطفة اذا حلت فيها صورة بشرية ، فانها لا
تبقى نطفة بل حقيقة أخرى . وكالبيضة (37) ، فانها اذا حلت فيها صورة
الفرخ ، لا تبقى بيضة ، بل ماهية أخرى . وكخشب السرير ، والشريط ،
والمسمار . فان المجموع ، بحلول صورة السرير ، ينتقل الى ماهية أخرى ،
وهى السرير ، والا ، يتغير بما حل فيه ، فهو الموضوع (38) . كالثوب ،
فانه لا يتغير بالسواد مثلا .

والحال ، هو الصورة . ان غير ما حل فيه ، كما تقدم ، من صورتى
البشرية والفرخية وهيئة السرير ... والا يغير ، فهو العرض . ومجموع
الحال والمحل . أعنى الهيولى والصورة فقط ، هو الجسم . وغيرها ، ان
كان له تصرف (39) وتدبير (40) فى البدن فالنفس (41) والا ، فالعقل
الساوى ، على زعمهم .

فالجوهر (42) — عندهم — خمسة : هيولى ، وصورة ، وجسم ،
ونفس ، وعقل .

والعرض (43) واحد . والفرق بينه وبين الصورة ، تقدم ، كالفرق بين
الهيولى والموضوع .

وانكروا (44) الجوهر الفرد . ونحن نقول : (45) النقطة موجودة ،
باعترافهم . فاما أن تكون الجوهر الفرد — كما عندنا — وهو المطلوب .
واما أن تكون عرضا قائما به ، فيلزم أن يكون جوهرًا غير منقسم . والا
لانتقسمت ، وهو المطلوب .

وفى ظنى ، عند شرح المواضع : أن القوم ، لا يطلقون على الجوهر
الفرد ، نقطة . فتأمل .

وقالوا : بالجواهر المجردة عن المادة ، كالنفس والعقل .. وفيه ما فيه (46) ، وجعلوا الصورة ، من مقولة الجوهر . وهى — عندنا — من العرض . فالجوهر — عندهم — أعم منه عندنا (47) . والعرض كذلك . لكن من وجه . فالبياض عندنا وعندهم ، عرض . والصورة ، عرض ، عندنا . جوهر ، عندهم . والامور الاضافية . وهى ما عدا الكيف والكم والايين ، على ما فى الكبرى ، الذى هو خلاف (48) الظاهر ، كما فى المنجورى أعراض عندهم . لكونها موجودة . لا عندنا ، لكونها ليست كذلك .

وأما المتكلمون، ففسروه(49): بما تركيب من جوهرين، أو جواهر متناهية، لا تنقسم أصلا ، يعجز الوهم عن تمييز طرف منها عن طرف . كما للامام ابن عرفة . وهو مذهب الجمهور . وقيل : لا تنقسم فعلا . وان قبلتها فرضا . وقيل : غير ذلك . وهل يسمى كل واحد من تلك الاجزاء جسما ؟ نظرا(50) لثبوتها الجسمية المفهومة من الجسم للمجموع ؟ فتكون أجساما أولا . فتكون جسما واحدا ، قولان . وأما أهل اللغة ، ففسروه : بجماعة البدن والاعضاء من الناس ، وسائر الانواع العظيمة الخلق .

والحاصل ، فى الجسم تفسيرات أربعة (51) .

فأما أن لا يكون قار الذات ، وأما أن يكون . وهو الزمن . والفرق بين الحال وبين الآن — عندهم — أنه يقبل القسمة . بخلاف الآن (52) ، فان نسبته اليه ، كنسبة النقطة للخط ؟ فحاصله : أن الكم المتصل : أمران : المقدار والزمن (53) . والمنفصل ، واحد . وهو العدد . « انتهى » .

وها هنا (54) أمور ، منها :

ان الاجسام مرئية ، خلافا للفلاسفة (55) كما فى المحصل (56) لنا أن نرى الجسم فى التحيز (57) والعرض لا يتحيز (58) .

ومنها : أنها لا تتفك عن العرض ، وعليه الاكثر (59) ، خلافا للاقل .

ومنها : أن العرض (60) ، صحة انقسامه ، انما هي باعتبار المحل ، كما هو معلوم (61) ؟ فتقييدهم القبول بالذاتية (62) ، مشكل. والتفصي (63) عنه ، بأن معين كون القبول ذاتيا ، أنه لا يحتاج الى أمر زائد على المحل ، بخلاف الكيف ، كالبياض . فان قبوله القسمة ، باعتبار أمرين : المحل والكم ، ألا ترى أن الجوهر الفرد الابيض لا ينقسم (64) وما ذاك ، الا لفقد الكم ، المتوقف على اجتماع جوهرين ، مثلا . وحاصله : أن المنقسم حقيقة في الكم ، موصوفه . وهو الجسم الطبيعي ، من غير توقف (65) على شيء . وهو تابع له في ذلك . ولو كان (66) شرطا ، بخلاف الكيف ، فان انقسام محله ، موقوف على أن يكون ذا امتداد . فالمعنى : قبول الكم القسمة ، تبعا لمحله ، ذاتي لا يحتاج الى أمر آخر . بخلاف غيره من الاعراض ، فانه يحتاج في قبولها ، تبعا لمحله ، الى أمر آخر ، هو الكم . فانهم . . ولا يخفى أن الكلام (67) مع الاصحاب . وأما غيره ، فظاهره العكس . وأن القسمة في الكم ، ذاتية . وفي الموصوف وباقي الاعراض ، تبعية ، ومرادهم (68) كما قال السعد - أحد قسَميها ، الذي هو الوهمية . بأن يفرض (69) في المقسوم شيء ، لا الآخر ، الذي هو جعله هويتين بالفعل (70) قال البوسى : المتكلمون ، لا يجوزون انقسام العرض في نفسه ، فضلا عن انقسام المحل بانقسامه . ويمنعون (71) كون الكميات أعراضا موجودة ، قائمة بالمحل . فتأمل .

ومنها ما ذكر ، من كون الزمن من مقولة الكم ، وان (72) كان جاريا على اللسان (73) ، لا يجرى على مذهب الاصحاب ، فان الزمن - عندهم - مقارنة (74) مجهول لمعلوم . فيكون من مقولة الاضافة . وأما غيرهم ، فمختلفون : قائل بأنه نفس الفلك (75) . وقائل بأنه المعدل ، أعنى منطقة الفلك ، التي في وسطه . وعليها ، فهو من مقولة الجوهر ، وقائل بأنه حركة

الفلك ، وقائل بأنه حركة المعدل (76) ، وعليهما فهو من مقولة الاين ، على ما يظهر . وقائل بأنه عرض سيال (77) ، مقرر بالحركة . وعليه ، فهو من مقولة الكم . ويجرى عليه ما ذكر أولا . كذا يظهر ، وانظر تلك الاقوال في المحلى وحواشيه .

ومنها ، أن النقطة ، نهاية الخط . والوحدة (78) ، نهاية الواحد (79) ، مطلقا . فتكون أعم . والنقطة أخص ولكن (80) في كمال سعد العقائد النسفية (81) ، ان قولهم في النقطة : نهاية الخط ، قضية مهملة (82) لا كلية . والا ، فقد تكون نهاية لغير الخط ، كما في الجسم المخروطى (83) . وهل هما — أى النقطة والوحدة — نوع بسيط ؟ وعليه ، فليسا من المقولات (84) — فيما يظهر — وتردد في ذلك يس ، في حواشى التهذيب (85) نظرا لانحصار الموجودات — عندهم — في العشر . أو من مقولات الكيف ؟ أو من الامور الاعتبارية (86) ؟ وهو الصحيح كما في المطالع . لانها لو كانت وحدوية ، لاتصفت بالوحدة . وهكذا يلزم التسلسل في الامور الوحدوية ، وهو باطل . بخلافه في الامور الاعتبارية — كما هو القول الصحيح (87) — فصحيح . كالوجوب (88) والامكان (89) والبقاء (90) . ومن ثم ، عدها أهل الكلام ، كالعلامة السنوسى ، من الصفات السلبية ، خلافا للقاضى والامام (91) : انها نفسية . ولقول بعض : انها من المعانى ، قال في الطوالع ، الوحدة ، كون الشيء ، بحيث لا ينقسم الى أمور مشتركة في الماهية . أى سواء انقسم الى أمور غير مشتركة في الماهية ، أو لم ينقسم (92) ، كواجب الوجود عندنا وعندهم . قال امام الحرمين : الواحد (93) الشيء الذى لا ينقسم . يعنى : أصلا . فهو أخص من الطوالع ، الذى هو تفسير الفلاسفة ، والكثرة ، انقسامه الى أمور متساوية في الماهية . وهذا ، كالتحكيم ، كما في البوسى ، ناقلا عن شرح القاصد (94) . ان ذلك التفسير ، منقوص طردا وعكسا (95) ، بالمجتمع من الامور المختلفة . فتأمل .

وهى - أعنى الوحدة - اما حقيقة أو اضافية . وهى الانقسام الى أمور متشاركة فى الماهية كالانسان المنقسم الى أعضاء .

والاضافية اما وحدة بالشخص بالاتصال أو الاجتماع وبالارتباط والتركيب (96) .

وأما وحدة بالذات أو بالجنس أو بالنوع أو بالفصل .

وأما وحدة بالعرض اما بالمحمول أو بالموضوع .

فالواحد بالشخص ، أمران . وبالذات ، ثلاثة . وبالعرض ، اثنان .

فالاول، وهو المنقسم الى أمور متشابهة فى الاسم والحد ، كالمقدار (97) والجسم البسيط . أعنى المنفطر (98) الواحد .

والثانى ، وهو بالضد ، كالجسم المركب . نحو زيد (99) ، المنقسم الى يد وزجل ورأس ...

والثالث (100) نحو الانسان والفرس ، واحد بالحيوانية ، وان كانت واحدا بالاجتماع .

والرابع (101) كزيد وعمرو ، واحد بالانسانية (102) كذلك .

والخامس (103) زيد وعمرو واحد بالناطقية (104) .

والسادس ، كالثلج والقطن ، واحد فى البياض المحمول .

والسابع كالكتاب والضاحك (105) ، واحد فى الانسان الموضوع (106)

ولابد من كثرة للواحد أيضا . فالانسان والفرس ، معروض لجهة

واحدة ، هى الحيوانية ولجهة كثرة ، خصوص الافراد النوعية للانسان

والفرس . فتأمل . وزيد وعمرو ، واحد بجهة النوعية ، منفرد بجهة

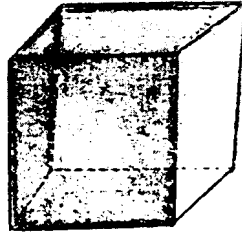
الشخصية فهو - أى الواحد - معروضهما . وقد نقول : جعل المقدار (107)

مثلا واحدا ، مع انقسامه الى أمور متساوية ، مشكل (108) . فاذا أريد

أنها ليست متساوية في ماهية المنقسم ، أعنى المقدار مثلا ، وان كانت
متساوية في نفسها ، أشكل مجموع نقط غسل مثلا . فانه كثرة ، مع كون
أجزائه ليست متساوية ، في ماهية المنقسم ، أعنى المجموع .

- 1 — قوله ، وهو عندهم ، أي عند الحكماء . والاضافة : قيد احترز بها عن غيرهم .
فانه عند أهل السنة ، أمر اعتباري ، لا وجود له ، الا في الذهن .
- 2 — قوله : عرض ، خرج عنه الجوهر ، فلا يدخل من اول الامر .
- 3 — قوله : لذاته ، انه لا يحتاج الى امر زائد على المحل ، بخلاف الكيف ، فانه يحتاج
الى امر زائد على المحل ، وهو الكم . وبما ذكر ، يفرق بين الكيف والكم .
والحاصل : ان الكيف والكم ، لا ينقسم الا تبعاً للمحل ، فكل منها يحتاج للمحل .
ولكن الكم لا يحتاج الى امر زائد عليه ، والكيف ، يحتاج الى امر زائد عليه .
وهو انكم . وهذا هو الفرق بينهما ، كما سيأتي ، في هذه الرسالة . وهذا بالنظر
لكلام الحكماء . فالذاتية حقيقية . « انتهى . شيخنا باجوري » .
- 4 — أي قوله : لا يقبل القسمة . « انتهى امير » .
- 5 — هي نهاية الخط ، فهي عرض لا يقبل القسمة .
- 6 — قوله : والوحدة ، وهي كون الشيء واحدا لا تعدد فيه ، او نهاية الشيء .
وعنى هذا ، ما الفرق بينها وبين النقطة ؟ ويجاب بأن النقطة نهاية الخط ، وهو أخص
من اوحدة .
- 7 — قوله : والثاني ، أي وهو قوله لذاته . « انتهى امير » .
- 8 — قوله : كما في معالج الامام : أي اسم كتاب له . « انتهى امير » .
- 9 — قوله : تتلاقى : هذا تفسير لقوله « مشترك » .
- 10 — قوله : وتتصل باعتباره ، أي بملاحظته . وهو عطف على قوله تتلاقى ... الخ .
- 11 — قوله : كما في شرحها للشيخ : ما ذكره لا يشمل كم الخط من نقطتين فانه
متصل ، مع انه لا يشترك بين جزئية ، لما أن كلا منهما ، لا ينقسم . فالاولى
تفسير المتصل ، بأنه عقيم الذات . والمنفصل تعدد . « انتهى امير » .
- 12 — قوله ، بين ما ذكر ، وهو الماضي والمستقبل ، بالنسبة للزمان ، والنقطتين
بالنسبة للخط .
- 13 — قوله : باعتبار ما ذكر ، وهو الحال ، والنقطة ، على التوزيع المتقدم .
« انتهى تقرير » .
- 14 — قوله ، وهل الحال ، الحاصل انه جرى خلاف في الحال ، فقيل : بسيط . وقيل :
مركب ، وعلى كونه مركب ، فهل هو قسم مستقل ام لا ؟
- 15 — قوله : قار الذات ، أي مجتمع الاجزاء ، وسيأتي مقابله : وهو ان يكون غير
قار ، عند قوله : فيما سيأتي . وهي أمور . « انتهى تقرير » .
- 16 — قوله : خط ان قبل القسمة ، الحاصل بأنه اذا اتى بجوهرين فردين قام بهما
عرض ، يقال له : خط . واذا اتى بأربعة جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له :
سطح . واذا اتى بثمانية جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له جسم تعليمي .
واعلم : ان نهاية الخط ، بالنقطة ، ونهاية السطح ، بالخط ، ونهاية الجسم
التعليمي ، بالسطح .

- 17 — قوله ، فالشكل ، هذا تفريع على قوله سابقا : « فهذه الثلاثة امتدادات ... الخ وقوله : المربع ، أي المربع من أربعة أبعاد ورسمه هكذا :



- 18 — قوله : لانهم ، هذه علة للنسبة .
 19 — قوله : مركب من جوهرين ، الحاصل : ان هذا ، شروع من الشيخ في اقسام ثائية . لكن على القول الاول والثاني والثالث ، فليس الجسم الطبيعي معروضا للجسم التعليمي ، وانما هو على القول الاول ، معروض للخط . وعلى الثاني والثالث ، فهو معروض للسطح . « انتهى تقرير » .
 20 — قوله : على ما للفهري ، أي فانه يقول : معنى قولهم الجسم الطبيعي مركب من جوهرين ، انه مركب من جوهرين مثلا او ثلاثة او أربعة مثلا وهو بعيد جدا . « انتهى تقرير » .
 21 — قوله : عارضي ، عرض هكذا . في بعض النسخ عرض عارضي وفي بعضها فعلي . الاول يكون قوله عارض . راجعا لقوله سابقا « معروض » ويكون قوله عرض ، راجع (كذا) لقوله سابقا : انه جوهر ، فهو لف ونشر مشوش ، وما على البعض الثاني ، يكون الاول راجع (كذا) للاول ، والثاني للثاني . فهو لف ونشر مرتب (انتهى تقرير) .
 22 — قوله فقف على الفرق ، وحاصل الفرق : ان الجسم الطبيعي ، ما تركيب من جوهرين ، واما الجسم التعليمي ، الامتدادات العارضة القائمة كالطول والعرض والعمق (انتهى تقرير)
 23 — قوله : وقول التأخيص ، الحاصل : ان التأخيص قال : الجسم الطويل العريض .. الخ . يحتاج الى فراغ يشغله . فما مراده بالجسم ؟ ان اراد الجسم التعليمي ، لا يحتاج الى فراغ ، وانما يحتاج الى ذات . فاجاب الشارح عند ذلك بقوله : يعين به ... الخ
 24 — قوله : ظاهره ، أي حيث قال : الطويل العريض العميق .. الخ (انتهى تقرير)
 25 — قوله : والا ، فالتعليمي ، والا نقول : ان المراد به : الطبيعي . بل المراد به التعليمي . فلا يصح . لان التعليمي .. الخ .
 26 — قوله : اصحاب هذا التقسيم ، أي تقسيم المقدار لخط وسطح وجسم تعليمي .. الخ .
 27 — قوله : واعلم ، هذه الكلمة يؤتى بها لشدة الاعتناء بما بعدها . ولا شك ان ما بعدها ، عسر الفهم ، لا يفهمه الا من له ادنى المام بعلم الحكمة (انتهى تقرير) .
 28 — قوله : الجسم ، ال ، في الجنس للمهد ، وقوله : بما ذكر ، أي من كون الجسم الطبيعي ، هو الطويل العريض العميق .. « انتهى » .
 29 — قوله : اصطلاح ، فالحاصل : ان المعتزلة ، اتفقوا على ان الجسم الطبيعي هو الطويل العريض .. الخ . وعلى هذا ، يكون دائما وابدا ، معروضا للجسم التعليمي .
 30 — قوله : اعترافهم ، لعل المراد ، اكثرهم . فقد تقدم ان بعضهم ينكره (انتهى تقرير)
 31 — قوله : ففسروه : أي الجسم
 32 — قوله : الهيولة ، وعلى هذا تكون الصورة جوهر . « انتهى تقرير » .
 33 — قوله : عندهم ، أي الفلاسفة .
 34 — قوله : او لا ، أي لا حال ولا محل ولا حال فيه . « انتهى امير » .
 35 — قوله : تغير ، أي كان التغير ، ليشمل اول صورة . « انتهى امير » .

- 36 — قوله : تقوم ، هذا معطوف على قوله ، تغير ، وهو عطف مسبب على سبب ، أو لازم على ملزوم . « انتهى تقرير » .
- 37 — قوله : وكالبيضة ، فان قيل : كمر المثال : قلت : للتوضيح ، او لثبوت لطيفة ، وان كانت ضعيفة . وهي انه لا فرق ان يكون ناطقا او غير ناطق او جمادا - « انتهى »
- 38 — قوله : فهو الموضوع ، المراد بالموضوع : شيء ذو وضع اي ذو تحيز وليس المراد به ما قابل المحمول ، لان هذا : انما هو عند المناطقة . وهو لا يخرج عن الجسم . فهو عينه . وانما الخلاف بينهما اعتباري . فمن حيث ان الثوب مثلا تركيب من مادة وهي الكتان . وصورة ، وهي كونه ثوبا : جسم . فلذا ، يذكره في التفريع الآتي وهو قوله : فالجوهر ... الخ « انتهى » .
- 39 — قوله : تصرف ، اي كالدهاب والمجىء مثلا .
- 40 — قوله : وتدبير ، أي كالاكل والشرب مثلا .
- 41 — قوله : فالنفس ، وهي عندهم جوهر مجرد ، اي لا مادة له . « انتهى امير » .
- 42 — قوله : فالجوهر ، هذا تفريع على ما تقدم ، من عند قوله : واعلم الى ما هنا ..
- 43 — قوله : والعرض واحد ، لعله اراد الجنس ، والا ، فأقسامه تسعة (انتهى امير)
- 44 — قوله : وانكروا ، هذا معطوف على قوله سابقا : ففسروه . ودليلهم على انكاره انه لو فرض خط من ثلاثة جواهر فردة ، فلا يخلو اما ان يكون الوسط مانعا من تلاقي الطرفين ، او لا . لا سبيل الى الثاني بل والى الاول . لانه لو لم يكن مانعا من تلاقي الطرفين ، لكان الوسط داخلا في أحد الطرفين ، فيحصل بين الاجزاء تداخل ، وهو محال ، اذا كان من غير نمو . ويلزم عدم الوسط ، والفرض ثبوته . وحينئذ يثبت كونه مانعا من تلاقيهما . فلا يلاقي الوسط أحد الطرفين غير ما يلاقي به الآخر . وحينئذ ينقسم الوسط . وقد فرضناه غير منقسم . فهذا خلف . وقد يقال : هذا انما يوجب ان الوسط : له نهايتان . والنهاية ، امر اعتباري . وحينئذ لا يلزم من ذلك انقسامه . على هذا ، الرد ليس قويا فدليلهم قسوي . « انتهى » .
- 45 — قوله : ونحن نقول ، هذا دليل الزامي والدليل الذي يرد عليهم ان التفاوت بين الجبل والحجر الصغير اما ان يكون التفاوت بينهما بجزء منقسم او لا فلا يخلو ان يقولوا بالثاني او الاول . فلو قالوا بالثاني لزمهم ثبوت الجوهر والعرض ان هم انكروه . ولو قالوا بالاول فلا بد ان ينتهي الى ما لا ينقسم وهو المطلوب .
- 46 — قوله : وفيه ما فيه ، وهو عدم دليلهم على ذلك . « انتهى تقرير » .
- 47 — قوله : فالجوهر عندهم .. الخ . أي فكل جوهر عندنا جوهر عندهم ولا عكس فبينهم العموم والخصوص المطلق . « انتهى تقرير » .
- 48 — قوله : خلاف الظاهر ، أي لان الأين هو الحصول فهو من الامور الاضافية « انتهى تقرير » .
- 49 — قوله : ففسروه ، فعلى هذا يكون تارة معروضا للجسم التعليمي وتارة يكون معروضا لغيره . « انتهى تقرير » .
- 50 — قوله : نظرا ، هذه علة للتسمية واذا كانت توهم ان التسمية مجازية . « انتهى تقرير » .
- 51 — قوله : تفسيرات اربعة ، التفسير الاول للمعتزلة والثاني للفلاسفة والثالث للمتكلمين والرابع للغويين . « انتهى » .
- 52 — قوله : بخلاف الآن ، فانه اسم للجزء من الزمن الذي لا يتجزأ . ولما كان هذا الجزء بلا حظ غالبا في الحال ، التي تقول انما فيها ، نخت له اسم من ضمير المتكلم فقيل آن . وفي الإشارة والنظائر : اصل آن اوان ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ثم حذفت احدي الالفين الساكتين « انتهى امير » .
- 53 — قوله : المقدار ، وهو قار . والزمن ، أي وهو ليس بقار . « انتهى امير » .
- 54 — قوله : وها هنا أمور ، ها هنا خبر مقدم . أمور ، مبتدأ مؤخر . وقوله : منهما ، إشارة الى أن المؤلف لم يذكرها كلها . وانما ذكر بعضها « انتهى تقرير » .
- 55 — قوله : خلافا للفلاسفة فانهم يقولون : ان الاجسام ، ليست مرئية . والمرئي انما هو العرض . « انتهى تقرير » .

- 56 — قوله : المحصل ، بصيغة اسم المفعول . هو اسم كتاب للامام الفخر الرازي « انتهى امير » .
- 57 — قوله : فى التحيز ، على تقدير مضاف اى فى حالة التحيز . يعنى والمرئى فى حالة التحيز انما هو الجسم ، وهذا الدليل ليس بقوي ، لان لهم ان يدعوا ويقولوا : المرئى فى حالة التحيز ، انما هو العرض . والجسم محجوب بالعرض .
- 58 — قوله : والعرض لا يتحيز ، اى فلا يرى .
- 59 — قوله : وعليه الاكثر . الحاصل ان العلماء ، اختلفوا . فاكثروا العلماء يقول : ان الاجسام لا تنفك عن العرض . وعليه ، فإلما له لون البياض . وانما هو لشفافيته لا يحجب لون انائه . وكذلك بعض العلماء يقول : ان بعض الجسم ينفك ، وبعضه لا ينفك . وعلى هذا ، فلا يستدل على حدوث العالم بملازمته للاعراض . « انتهى تقرير » .
- 60 — قوله : ان العرض المراد بالعرض : ما يشمل الكيف والكم .
- 61 — قوله : كما هو معلوم ، فان قيل : يازم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وهذا ممنوع . ويجب : بان المشبه والمشبه به اختلفا ، بالاعتبار . فمن حيث ان المشبه صادر من المؤلف ، مخالف للمشبه به ، من حيث انه معلوم من القواعد . « انتهى تقرير » .
- 62 — قوله : فتقيدهم ، اى فى قولهم فيما تقدم : الكم عرض ، يقبل القسمة لذاته .
- 63 — قوله : والتفصي ، بالتاء والفاء (كذا) والصاد والياء . المراد به التخلص من الاشكال .
- 64 — على تقدير مضاف الى ان بياض الجوهر .. الخ . بدليل ما تقدم الكلام فيه وهو العرض .
- 65 — قوله : من غير توقف ، هذا مشكل ، كيف يقول من غير توقف على شيء ؟ مع انه متوقف على الكم ؟ الا ان يقال : ان الكم ، ثابت من اول الامر . « انتهى تقرير » .
- 66 — قوله : وهو تابع له ، اى والجسم التعليمى تابع له . اى الجسم الطبيعى ، وقوله : فى ذلك ، اى القسمة . وقوله : واو كان شرطا ، اى ولو كان الجسم الطبيعى شرطا فى تحقيق الجسم التعليمى . « انتهى تقرير » .
- 67 — قوله : ولا يخفى ، اى ولا يخفى عليك ان تبعية انقسام الجسم التعليمى للطبيعى ، انما هو عند الاصحاب اهل السنة ، بخلافه يرههم . « انتهى تقرير » .
- 68 — قوله : ومرادهم : عائد على الاصحاب وان كان يوههم عوده على ما قبله « انتهى تقرير » .
- 69 — قوله : بان يفرض ، هذا تصوير للوهمية فالوهمية معنى ، الفرضية . اى باعتبار الوهم ، وحينئذ فنرجع للوهمية والا فبينهما فرق . وحاصله كما ذكره الشنوائى ، فى حاشيته على عبد السلام : ان له هو حكم العقل ، الذى لا يتوقف على غيره ، بخلاف حكم الواهمة ، فانه يتوقف على ادراك المحكوم عليه ، وهو أساس الفرض ، الذى هو التقدير الناشئ من العقل .
- 70 — قوله : هويتين : تشبیه هوية ، وهى الذات والحقيقة . والذى ضبطته من افواه المشايخ : انه بضم الهاء والواو . ورأيت فى بعض الهوامش بضم الهاء وكسر السواو .
- 71 — قوله : ويمنعون فيقولون انها امور اعتبارية . « انتهى تقرير » .
- 72 — الواو حالية . اى والحال .
- 73 — قوله اللسان ، اى اللغة .
- 74 — قوله : مقارنة ، كما اذا قلت ، آتيك طلوع الشمس . فالانبيان مجهول ، والطلوع معلوم ، فالزمن مقارنة الانبيان للطلوع . « انتهى تقرير »
- 75 — قوله : نفس الفلك : المراد بالفلك ، العرش . ولكن هذا مشكل ، لانهم لا يمنعون انقسام الزمن الى درجة والى ساعة ، فيلزم على قولهم بان الزمن نفس الفلك ، انقسام الفلك الى درجة والى ساعة ، وهذا لا يعقله عاقل . فلعل صاحب هذا القول يرجع الى الحركة « انتهى » .
- 76 — قوله : المعدل ، المراد بالمعدل : شيء فى وسط الفلك ، يستوي عنده الليل والنهار .
- 77 — قوله : سيال ، اى يوجد شيئا بعد شيء .

- 78 — قوله : والوحدة ، المأخوذة مما سيأتي ان الوحدة صفة الواحد فكأنه جرى عليه المشاكلة . وعلى كل ، فالصواب حسنه الواحدة ..
- 79 — قوله : نهاية الواحد ، اي نهاية الشيء الواحد ، اعترض بأن واجب الوجود متصف بالوحدة وهو منزه عن النهاية . فتفسير المؤلف الوحدة بالنهاية مشكل . ولعله نظر لمشاكلة تعريف النقطة بالنهاية .
- 80 — لكن ، استدراك على كون الواحدة اعم . ورايت في بعض الهوامش : انه استدراك على قوله : والنقطة اخص . وهو الاقرب بدليل ما بعده والمآل واحد . « انتهى » .
- 81 — قوله : سعد العقائد ، اي شارحها . والكمال هو ابن ابي شريف ، محشي شرح السعد عليها .
- 82 — قوله ، قضية مهملة ، اي في قوة الجزئية القائلة : قد تكون النقطة نهاية الخط وقد لا تكون نهاية الخط كالمركز . فظهر منه : ان نهاية احد سطحي المخروط المستدير وهو السطح المبتديء من القاعدة المنتهي الى نقطة هي نقطة بلا خط ، كمركز الدائرة .
- 83 — قوله : المخروطي ، نسبة للمخروط . وهو شكل يحيط به سطحان احدهما قاعدته . والآخر مبتديء منه ويضيق الى ان ينتهي بنقطة هي راسه . فان كان
-  السطحان مستديرين سمي صنوبريا ومستديرا وصورته هكذا
- والا سمي مزلعا لتلك الخطوط المستقيمة الخارجة عن قاعدته من المركز المنتهية الى ذلك الخط متساوية . وصورتها هكذا 
- تلك الدائرة يقال لها مركز  . انتهى . وسوى في عصرنا الهرم (حقي)
- 84 — قوله : فليسا من المقولات ، اي لانهما لو كانتا من المقولات لكانتا جنسين . والجنس لا بد وان يكون له فصل يميزه ، فجاء التركيب ، مع « اي » الفرض بساظتهما « انتهى تقرير » .
- 85 — قوله : التهذيب ، اي الذي هو متن السعد .
- 86 — قوله : او من الامور ، اي فليست من الاعراض .
- 87 — قوله : كما هو القول الصحيح ، التمييز يحتمل رجوعه لكون النقطة والوحدة امرا اعتباريا . ويحتمل رجوعه للامور الاعتيادية « انتهى تقرير » .
- 88 — قوله : كالوجوب ، اي فانه واجب . ومقتضى الحكم عليه بالوجوب في قولنا انه واجب ان يكون له وجوب . وهكذا فيتسلسل ولا ضرر فيه . لانه امر اعتباري اي ليس نمة الا ذات متصفة بالوجوب .
- 89 — قوله : والامكان ، ان اريد به الامكان الذاتي ، فاتصاف الممكن به واجب . اذ لو كان جائزا ، لكان اتصاف موصوفه بالوجوب او الاستحالة ، وهو محال . وحينئذ ، فنرجع للوجوب الاول . وان اريد به الامكان الوقوعي ، المفسر بحصول الممكن بعد عدم ، واتصافه به ممكن ، صح انه مقال للوجوب الاول . ويتعين حمل الوجوب عليه ، دفعا للتكرار . « انتهى تقرير » .
- 90 — قوله : والبقاء ، فيه ان البقاء صفة سلبية . والجواب ان السلب والاعتبار واحد . « انتهى تقرير » .
- 91 — القاضي : عياض . والامام : الرازي .
- 92 — قوله : ولم ينقسم ، اي كالجوهر الفرد « انتهى امير » .
- 93 — قوله : الواحد الشيء ، يلزم من تعريف الواحد بالشيء ، الذي لا ينقسم ... تعريف الوحدة بكونها : كون الشيء .. « انتهى تقرير » .
- 94 — قوله : القاصد ، اسم كتاب لسعد الدين التفتازاني . « انتهى امير » .
- 95 — قوله : طردا ، راجع لتعريف الوحدة . وقوله : وعكسا : راجع لتعريف الكثرة . فهو لف ونشر مرتب .. « انتهى تقرير » .
- 96 — قوله : بالاتصال ، هذا قسم . وقوله : بالاجتماع وبالارتباط وبالتركيب هذا قسم آخر ..

- 97 — قوله : كالمقدار : اي فان المقدار كالعמוד مثلا ، ينقسم الى امور ، اي اجزاء متشابهة ، في الاسم . وهي الحجرية ، وفي الحد وهو كونه جسما ليس بجسمين .
- 98 — قوله : المنفطر ، ضبطه شيخنا الشيخ فتح الله ، بضم الميم وسكون النون بعدها وفتح الفاء بعد النون . وهو كتابة عند الشيء الواحد . « انتهى امير » .
- 99 — قوله : نحو زيد ، تقدم ان المؤلف : جعله مثالا للوحدة الحقيقية . فهذا مشكل ، فلمنه ناظر لكلام الامام ، في جعله الوحدة ما لا ينقسم أصلا . فلذلك ، جعله مثالا للوحدة الإضافية .
- 100 — قوله : والثالث : وهو الوحدة الذاتية بالجنس . اي افراد الانسان والفرس ، بالنظر لكل فرد على حدة .
- 101 — قوله : والرابع : اي الوحدة بالتنوع .
- 102 — قوله : بالانسانية ، اي بالنظر لمجموع الحيوانات والناطقية .
- 103 — قوله : والخامس ، اي الوحدة بالفصل .
- 104 — قوله : بالناطقية ، اي وتقطع النظر عن الحيوانية .
- 105 — قوله : كالكتاب .. ألخ اي كمفهوم الكاتب وهو ذات تثبت بها الكتابة . وذات تثبت لها الضحك .
- 106 — قوله : واحد في الانسان ، مبني على ان النوع ، خارج عن الماهية . وهو أحد اقوال ثلاثة . وقيل : داخل فيها . وقيل : لا . « انتهى تقرير » .
- 107 — قوله : جعل المقدار ، .. كما سبق في امثلة النوع الاول .
- 108 — قوله : مشكل : لا اشكال . لانها وحدة اضافية .

مقولة الكيف

وهو كما قال العلامة الثانى (1) : عرض لا يتوقف تعقله على تعقل الغير ، ولا يقتضى القسمة ، واللاقسة فى محله اقتضاء أوليا (2) . فخرج الجوهر ، وباقى الاعراض النسبية ، كما لا يخفى . والنقطة والوحدة ، بناء على القولين (3) ، لا على أنها من مقولة الكيف . وقوله : كما قال اقتضاء أوليا ، مدخل فى الحد ، وهـ خرج . يعنى من النفس ، لما يقتضيهما لكن اقتضاء ثانويا . كالعلم من مقولة الكيف (4) ؟ فان اقتضاه للقسمة ، واللاقسة ، ليس اقتضاء أوليا ؟ بالنظر الى ذاته ، بل ثانويا ، بالنظر الى متعلقه . لكن لا يخفى عليك — كما قال العلامة ييس فى حواشيه — ان قوله فى محله (5) ، مغن فى ادخال ما ذكر كالعلم عما ذكر . أعنى قوله : اقتضاء أوليا . فان العلم لا يقتضيهما فى محله ، وان اقتضاهما فى متعلقه . لان متعلق العلم ، ليس محلا له . فانهم (6) .

وقد أورد العلامة شيخ الاسلام الهروى — حفيد السعد — أيضا . على التعريف : الكيفية المركبة ، كالمزوجة (7) . والنظرية كالعلم النظرى فى أن كلا منهما ، يتوقف تعقله على تعقل الغير ، كما لا يخفى . فلا يكون التعريف بما لا يتوقف ، جامعا . وأجاب : بأن المراد بالغير ، الواقع فى التعريف ، معناها عند المتكلمين . وهو المنفك . لا اللغويين ، وهو المخالف .

وحينئذ : يكون المعنى : الكيف عرض ، لا يتوقف تعقله على تعقل ما ينفك عنه . وان توقف على ما يخالفه ، ولا ينفك عنه . فيخرج الاضافات — كما تقدم — كالضرب ، من مقولة الفعل . فانه يتوقف على تعقل ما ينفك

عنه . وهو ذات الضارب (8) . وتدخّل الكيفية المركبة ، فانها لا يتوقف تعقلها على تعقل أمر ينفك عنهما . وان توقف على تعطل أمر مخالف ، لا ينفك . وهو مجموع ما تركبت منه ، كحلاوة الرمان ، وحموضته ، فان مجموعهما ، لا ينفك عن المزوجة . فهي موقوفة (9) على تعقل « غير » بمعنى غير موقوفة على تعقله بمعنى آخر ، بأن المراد بالمنفى ، فى قوله : لا يتوقف تعقله ، لزوم التوقف . وحينئذ ، يصرف على العلم النظرى ، أنه عرض لا يتوقف تعلقه على تعقل الغير . بل قد يكون كذلك (10) كما فى حقا . وقد لا يكون ، كما فى حق الملك . وقد وضحته غاية التوضيح .

فائدة

الكيفيات أربعة . ووجه الحصر : أن الهيئة المرسومة ، اما أن تكون مختصة بالمقدار ، أولا (11) .

الاول (12) : كيفيات الكميات (13) . كالزوجية والفردية (14) والاستقامة والانحناء والطول والعرض (15) والنقطة على أنها من الكيف (16) ... من هذا القبيل . الا أن يمنع الحصر (17) .

والثاني (18) : اما أن يتعلق به الادراكات أولا .

الاول (19) : المحسوسات وهى اما راسخة كحلاوة العسل وحرارة النار أو غير راسخة ، سريعة الزوال (20) وتسمى انفعالية ، لانفعالات موضوعاتها بها ، كحمرة الخجل ، وصفرة الوجل . وبطيئة كملوحة الماء .

والثاني (وهو ما لا يتعلق به الادراكات) اما ان يوجب كمالاتا أولا .

الاول الملكات كمالات العلم والكتابة ، وليست عبارة عن احضار ما ذكر ، بل عن الاقتدار عليه بلا كلفة . والفرق بينهما (أى الملكات) وبين الاحوال ، بالعرض لا بالذات . كما ظن (21) فان قويت عسرة الزوال ، فملكات ، وان وهت سهلة الزوال ، فأحوال .

والثاني ، أى الذى لا يوجب كمالا ، المعدات (22) ، وهى ما يوجب استعدادا سريع الانفعال ، ويسمى (23) بلا قوة ، كاللين الموجب للانقسام بسهولة . والتعبير عن هذا (24) ، بسلب مقابله ، لكونه ليس له اسم ، محصل له ، لا يوجب أنه عدمى ، كما ظن (25) . بل هو أمر وجودى ، كما هو ظاهر .

- 1 — العلامة الثاني ، المراد به : السعد . والعلامة الاول ، هو القطب الشيرازي .
- 2 — قوله : اقتضاء اوليا ، مقول لقوله . وقوله « كما قال » معترض بين القول ومقوله . والضمير فى « قوله » عائد الى العلامة الثاني ، الذى هو السعد . « انتهى تقرير » .
- 3 — اي انهما أمر اعتباري او نوع مستقل .
- 4 — اي على الصحيح .
- 5 — قوله : فى محله ، اي قوله اقتضاء اوليا .
- 6 — قوله : فافهم ، ماخصه : ان العلم ، من مقولة الكيف ، لانه لا يقتضى القسمة واللاقسمة ، لا اقتضاء اوليا ، ولا ثانويا ، من حيث محله .. وهو الدهن . وكذلك من حيث متعلقه ، بقطع النظر عن الكم ، واما بالنظر له ، فانما يقتضى القسمة اقتضاء ثانويا لا اوليا . وهو على كل حال ، من مقولة الكيف . « انتهى تقرير » .
- 7 — قوله : كالمزوزة ، هو طعم بين الحلاوة والحموضة .
- 8 — قوله : ذات الضارب ، اي والمضروب فيه اكتفاء على حد سراويل تقبلكم .. الخ .
- 9 — قوله : فهي موقوفة ، اي المزوزة موقوفة على تعقل غير مفسر بمعنى . وهو المخائف غير المنفك .
- 10 — وقوله : موقوفة : بالرفع ، معطوف على موقوفة وهو خبر ثان لهي . اي ان المزوزة ، غير موقوفة على تعقل الغير المفسر بمعنى آخر ، غير المعنى الاول ، وهو المنفك .. الخ . « انتهى تقرير » .
- 11 — قوله : كذلك : اي لا يتوقف تعقله على تعقل الغير . وقوله : وقد لا يكون ، اي لا يتوقف .
- 12 — قوله : بالمقدار ، المراد به ، الكم ولو منفصلا . « انتهى تقرير » .
- 13 — قوله : الاول ، اي المختصة .
- 14 — اي المقادير .
- 15 — قوله : والفردية ، يجعل الواحد مقدارا ، فهو خارج عن الموضوع .
- 16 — قوله : والطول ، وهو اطول الامتدادات ، او ما فرضته اولاً ولو قصيرا على الخلاف المتقدم . « انتهى تقرير » .
- 17 — قوله : على انها من الكيف ، فيه ان النقطة ، لا مقدار لها ، الا ان يلاحظ ما انتهى بها « تقرير » .
- 18 — استدراك على كون النقطة ، من كميات الكميات ، التى هي المقادير . فهو راجع للنقطة (انتهى تقرير) .
- 19 — قوله : والثاني : اي وهو الذى لا يختص بالمقدار « انتهى تقرير » .
- 20 — قوله : الاول ، اي الذى تتعلق به الادراكات .
- 21 — قوله : سريعة الزوال ، تفسير لقوله : غير راسخة .
- 22 — قوله : كما ظن ، راجع للمنفى ، وهو كونها بالذات .
- 23 — قوله : المعدات ، جمع معدة على صيغة اسم الفاعل .
- 24 — اي ذلك المعد .
- 25 — اي ما يوجب استعدادا سريع الانفعال .
- 26 — اي فيما تقدم .

مقولة الإضافة

وتسمى النسبة المتكررة (1) . وهي لا تعقل ، الا بالقياس الى نسبة أخرى ، لا تعقل ، الا بالنسبة اليها . أقول : وهو دور معنى (2) لا سبقي ، فلا اشكال . سواء أكانتا متفقتين كالأخوة (3) ، أو مختلفتين : كالابوة ، والعمومة ، والامومة ، والزيادة ، فان الأخوة ، لا تعقل الا بنسبة أخرى ، وهي الأخوة . والابوة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهي البنوة . وكذلك الامومة ، والعمومة ، لا تعقل ، الا بنسبة أخرى ، وهي : ولديه الاخ والزيادة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهي النقص ، فكل اضافة ، نسبة ، ولا عكس (4) . فان النسبة ، ان كانت موقوفة في تعلقها على شيء آخر ، لا يلزم أن يكون ذلك الشيء نسبة ، ولا موقوفا عليها ، كما نبه على ذلك على ، والعلامة البخارى . نوع تنبيهه في حواشيه (5) وحينئذ ، تكون النسبة عندهم : بالمعنى الاخص ، عرضا موجودا ، هو هذه المقولة . وأما بالمعنى الاعم ، فتارة تكون كذلك عرضا موجودا ، كما في باقى المقولات الآتية ، فان جميعها نسب . وتارة لا ، كما في النسبة العدمية . ونحن نقول : النسبة مطلقا أمر اعتبارى (6) ليس عرضا موجودا ، كما تقدم . وقد رد عليهم : بأنهم يصفونه - تعالى - بما هو اضافة كالمملك (7) ، مع امتناعهم - قبحهم الله - عن وصفه - تعالى - بما هو وجودى ، فكيف يجعلون الاضافة أمرا وجوديا ؟ الا أن يقولوا (8) : الوجودين : ذوا الاضافة .

فائدتان

الاولى : الكليات (9) ، من مقولة الاضافة . مثلا : الجنس (10) ، نسبة لا تعقل ، الا بأخرى . وهو النوع . ويأتى تحقيق ذلك .

الثانية : قال القطب ابن التلمساني ، وقد تعرض (11) الاضافة للمقولات كلها : كالأبوة ، والبنوة ، للجوهر . والصغر والكبر ، للكلمة المفصل والاحرية والابردية . والاقربية والابعدية ، للاضافة . أعنى : القرب والبعد . ولا يقال : كيف يعرض الشيء لنفسه ؟ كما لا يخفى ، والعلو والسفل ، للأين (12) . والاقدمية والاحديثية ، للمتى . والاسدية ، انحناء وانتصابا (13) للوضع . والاكسوية والاعروية ، للملك . والاقطعية (14) ، للفعل . والاشدية تقطعا ومنحنى ، للانفعال (15) .

- 1 — قوله : النسبة المتكررة ، أي النسبة التي حصل بها التكرار . ولا تعقل ، إلا بالقياس إليها ، أي النسبة الأولى . وقوله : المتكررة ، لما ان كلا من الاضافتين مكررة بالنسبة للآخرى .
- 2 — قوله : دور معي لا سبقي ، المنوع ، الدور السبقي . وهو ما اقتضى سبق أحد الامرين على نفسه . ككون زيد أوجد عمرا . وعمرو أوجد زيدا . لا الدور المعنى ، وهي الصدق بوجودهما معا : كالأبوة والبنوة .
- 3 — قوله : كالأخوة ، هي الاتفاق في جهتي النسب أو احدهما . وهذا ، يقتضى أن المقارنة من الاضافة . فالفعل بالمعنى المصدرى ، وعد الفعل مقولة ، مقابلة الاضافة ، إنما هو على مذهبهم في الفعل . لا عندنا ، من أن فعل العبد مجرد مقارنة . هذا هو الظاهر . وان التزمت : أن المقارنة والاجتماع والأخوة ، نسبة واحدة ، تقدم بشيئين ، خرجت عن الاضافة . لكن يبقى النظر في انهما من أي المقولات حينئذ ؟
- 4 — قوله : فكل اضافة نسبة ولا عكس ، تفريع على تعريف الاضافة المتقدم . هكذا قيل . وفيه : انه لا يظهر ، إلا بالنظر للشق الأول ، من شقي التفريع . ولا يظهر بالنظر للثاني (وهو قوله ولا عكس) لان تعريف النسبة ، لم يتقدم في كلامه رأساً . ويجب : بأن تعريفها ، معلوم عندهم . ووجه اعمية النسبة ، أنها لاتعقل ، إلا بين نسبة ، وشيء آخر أعم من أن يكون كذلك . بخلاف الاضافة ، فانها لا تكون ، إلا بين نسبتين . « انتهى تقرير » .
- 5 — أي حواشيه على المحلى .
- 6 — أي ولا تقول بوجود شيئين من هذه المقولات ، بحيث يصح ان لا يرى ، إلا الجوهر والكيف ، كالبياض ، والباقي ثابتة فقط .
- 7 — أي مالكيته للأشياء .
- 8 — أي يوافقون على أن الوجودين ذوي الاضافة .
- 9 — الكليات ، أي صفاتها كالجنسية .
- 10 — قوله : الجنس ، أي جنسية الجنس . فهو على حذف مضاف ، وإنما قدرنا المضاف ليصح الاخبار بقوله : نسبة . وقوله ، لا تعقل إلا بأخرى . أي إلا بتعقل نسبة أخرى . وقوله : وهو النوع ، أي نوعية النوع . « انتهى تقرير » .
- 11 — قوله : وقد تعرض ، هذا ظاهر ، على أن الاضافة ، أمر اعتباري ، كما هو مذهبنا . أما على مذهبهم ، أنها موجودة . فالعرض الوجودي ، لا يقوم بالعرض . لان العرض ، لا قيام له بنفسه ، حتى يقوم بغيره ، فهل يتم هذا ؟ تأمل .
- 12 — ذلك على التوسع . والا فالوصوف بهما — في الحقيقة — إنما هو المكان ، لا الأين الذي هو الحصول . كما سيأتي .
- 13 — قوله : انتصابا وانحناء . كل منهما تمييز للاسدية .
- 14 — قوله : والا قطعية ، وهي تأثير الشيء في غيره ، ما دام مؤثرا فيه .
- 15 — وهو كون الشيء متأثرا عن غيره ما دام متأثرا . « انتهى تقرير » .

مقولة الأين

وهو حصول الجسم في المكان . وسمى « أينا » لوقوعه جوابا لاين .
كذا ، ويسمى « الكون » أيضا . وقد ذهب المتكلمون : الى أنه أمر وجوبى .
وألزمهم الغزالي باعترافهم ، بأنه من النسب — كما تقدم — وأجاب الفهرى
باحتمال أن الوجودى ، ذو النسبة . والاكوان أربعة :

حركة : وهى كون أول (1) ، فى حيز ثان .

وسكون : وهو كون ثان ، فى حيز أول . أقول : هذا يقتضى أن الكون
الأول ، فى الحيز الاول ، واسطة (2) بين الحركة والسكون . نعم . ان قياء :
الكون ، ان كان حصولا أو لا ، فحيز ثان ، فحركة ، والافسكون . فسلا
واسطة . وارجع الى المطولات .

واجتماع وافتراق (3) ، وهو ظاهر .

- 1 — قوله : كون اول ، ما ذكره الشيخ فى تعريف الحركة والسكون ، انما يتانى على القول ببساطتهما واما على القول : بأنهما مركبان ، فتعرف الحركة بأنهما كونان فى مكانين ، فى زمانين ، والسكون ، بأنه كونان ، فى زمانين ، فى مكان واحد (بتصرف من ص) .
- 2 — قوله : واسطة ، اى يقتضى ان يكون الثانى ، فى الحيز الثانى ، واسطة . بل هو فيه اول ، للكون الاول .
- 3 — قوله : واجتماع وافتراق ، كونه ادخلهما فى الأين . لان الاجتماع ، حلول فى مكان مع اتصال . والافتراق مع الانفصال . هذا ، والنظر ان الاجتماع نفس الاتصال . والافتراق الانفصال ، فهما من الانفعال ، لا الأين . تأمل .

مقولة المتى

سمى بذلك ، لوقوعه جوابا « لمتى » وهو كما في ابن التلمسانى ،
حصول الشيء في الزمان أو في الآن (2) . والفرق — عندهم — أن الزمان ،
يقبل التجزئة . والآن ، لا يقبلها . وليس بمقدار . ونسبته للزمان ، كنسبة
النقطة للخط . وينقسم الى « متى » حقيقي ، وهو كون الشيء في زمان
يطابقه ، ولا يزيد عليه : كالخسوف في ساعة كذا . والى مجازى : كالخسوف
يوم كذا . وهما في « الأين » أيضا .

- 1 — قوله : مقولة المتى ، اعلم ان لفظة « متى » تصلح لمطلق زمان ، بخلاف ايان
فانها خاصة بالاستقبال .
- 2 — قوله : حصول الشيء . . الخ . عبارة ابن قاسم . او الهيئة التابعة للحصول في
الزمان ، او طرفه . وهو الآن ، كالحروف الالية الحاصلة دفعة ، مثل الباء والطاء .
وينقسم المتى — كالأين — الى حقيقي كالיום في الحصول . والى غير حقيقي
كالاسبوع والشهر والسنة لما وقع في بعض اجزائها . فانه يجوز ان يجاب بها
للسؤل بمتى . الا ان المتى في الزمان الحقيقي ، يجوز ان يشترك فيه كثيرون .
بخلاف المكان في الأين الحقيقي .

مقولة الوضع

وهو هيئة حاصلة من نسبة أجزاء الجسم ، بعضها الى بعض . ومن نسبتها الى أمر خارجي عنها ، بأن تخلق تلك الاجزاء ، بتلك النسبة ، في الموازاة والانحراف والقرب والبعد ، بالقياس الى جهات محوية ، وذلك كالقيام ، انما كان القيام وضعاً ، لانه هيئة . اعتبر فيها نسبة أجزاء الجسم بعضها الى بعض بالطبع ، كالجلد بعض . ونسبة مجموع تلك الاجزاء الى أمور خارجية عنها ، ككون رأسه من فوق ، ورجليه من أسفل . الانسان ، واما بغيره : كالعود والتربيع والاستلقاء والاستقرار وكون الشخص راکماً أو ساجداً . وظاهر كلام ابن سينا والامام والاستاذ (1) ، أنه يشترط في الوضع ، نسبتان . كما تقدم .. وأقول (2) : لا مانع من تحققه بنسبة واحدة . ويمكن أن يقال : المحقق بالنسبة الواحدة ، بعض الهيئة . فلا يكون وضعاً . لانه الهيئة كلها . فاننا لو اكتفينا بالنسبة الاولى مثلاً ، لكان انعكاس القامة ، يبقى قياماً . وهو باطل (3) .

فائدة

يطلق الوضع — أيضاً — بالاشتراك ، على ما يعرض للكم المتصل ، من أجزاء (4) منفصلة ، يشار الى كل واحد منها بأين (5) هو من الآخر ؟ وهذا قريب من الوضع ، الذي هو المقولة . والفرق بينهما ، هو : أنه ليس لكمية أجزائها المفروضة ، جهات مستقلة ، لما أنها أعراض عندهم . وأمور اعتبارية عندنا — كما تقدم — وعلى ما يكون (6) في جهة معينة ، بحيث

يمكن أن يشار إليه اشارة حسية . سواء أكانت له أجزاء بالفعل : كالأول ،
أو بالقوة كالثانى . أولا ولا (7) : كالجوهر الفرد . وكالنقطة على ما لبعض (8)
فلوضع معان ثلاثة ، غير تمييز اللفظ ، للدلالة على معين بنفسه ، وغيره .
بل على شىء (أى كما هو الفرق)

- 1 — الامام اي الفخر الرازي . والاستاذ هو ابو اسحق الاسفراييني .
- 2 — قوله : واقول : فى هذا القول نظر فانه لا يحكم على جزئياته فوق اجزاء ،
الا اذا اعتبر نسبتها للمحيط ضرورة . وكذا غيره فالنسبة للخارج لا بنفسك « امير » .
- 3 — فيه نظر . بل يكون وضعا فقط وهو صحيح .
- 4 — قوله : من ، للتعليل ، اي من اجل .
- 5 — اي ، فيقال : اين كذا من عام كذا ؟ فيقال : قريب او بعيد .
- 6 — قوله : وعنى ما يكون : اي وهو من مقول الأين .
- 7 — قوله : لا ولا ، أنه ليس له جزء حقيقي ولا مجازي كالجوهر « امير » .
- 8 — قوله : على ما لبعض ، كما هو عند علماء الوضع .

مقولة الملك

وهي هيئة حاصلة للشيء بالنسبة لما يحيط به . وينتقل بانتقاله ، فهو أعم من الوضع من وجه . فبينه وبين الوضع ، عموم (1) وجهي ، كما لا يخفى . وذلك : كالتعمم (2) والتقمص والتختم والتسلح (ابن التلمساني) ، ولا بد في هذه المقولة من حصول شرطين :

الاول : الاحاطة ، اما بالطبع ، كجلد الانسان ، واما بغيره . اما بكل الشيء : كحال الهرة عند اربابها ، وهو ذاتي . أو ببعضه ، كحال الانسان عند تختمه ، وحال الفرس عند الجامها واسراجها ، وهو عرضي .

والثاني (3) : أن ينتقل بانتقاله ، كالمثلة السابقة . أما اذا وجد أحدهما دون الآخر ، فلا يكون ملكا . فوضع القميص على رأسه ، وان (4) كان ينتقل ، لا يكون ملكا ، لعدم الاحاطة . والحلول في الخيمة وان كان (4) كان مشتملا على الاحاطة ، لا يكون كذلك ، لعدم الانتقال . وقد يعبرون عن هذا الجنس : بالجدة والوحدة ، لكونه الراجع الى القدرة ، كما في قوله تعالى : اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم .

- 1 — قوله : عموم وجهي ، اي فينفرد الوضع في القيام والملك في التقمص ، اذ ليس القميص جزءا ، تأمل ، ويجتمعان في الانسان ، بالنسبة لجلده .
- 2 — قوله : كالتعمم ، اي كآثره . لان كلا من التعمم والتقمص ، فعل الفاعل فلا يصح ان يكونا من مقولة الملك .
- 3 — قوله : والثاني : حاصله : ان الاقسام ثلاثة :
الاول : ان توجد الاحاطة بالشيء والانتقال بانتقاله ، كما تقدم من الامثلة ، وهي كالتعمم .
والثاني : ان يوجد الانتقال دون الاحاطة كوضع القميص على الرأس .
والثالث : ان توجد الاحاطة دون الانتقال ، كالحلول في الخيمة ، « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 4 — السواو للحال .

مقولة لفعل

وهي تأثير الشيء في غيره ما دام مؤثرا . فالتسخين ، فعل ، لكونه تأثيرا (1) مع المسخن . والسخونة (2) كيف ، لكونها لا كذلك . وأقول : وكان القيد والنفي ، لا احترازي . لان التأثير ، لا يكون ، الا بدوام المؤثر . فليتامل .

- 1 — أي لله تعالى حال كونه مصاحبا لوجود المسخن « تقرير شيخنا فتح الله » .
2 — قوله : والسخونة كيف ، أي لانها سخونة . هذا ، والانرب اخذا مما يأتي :
اعتبار الانفعال ، وهو التسخن ، قبل الكيف . « أمير » .

مقولة الانفعال

وهي تأثر الشيء عن غيره ، ما دام يتأثر (1) . فتأثر الشمع ولبينه ، انفعال ، ما دام يتأثر للطابع ، ويلين. وبعد ذلك ، كيف . قال شيخ الإسلام ، في شرح نقطة الزركشي : فان «يفعل وينفعل» (2) ، انما يقالان (أى يطلقان) على التأثير والتأثر (3) ، ما داما . فاذا انقضيا ، يقال لهما : الفعل والانفعال (ويقال للناشيء منهما كيف) . فتأمل في : هل العلم (4) من مقولة الكيف ؟ أو من مقولة الفعل ؟ أو من مقولة الاضافة ؟ أو من مقولة الانفعال (5) ؟ . وراجع تفصيل ذلك ، وثمرته : في حواشي العلامة يحيى (الشناوى) على أم البراهين . وراجع أيضا : أحكام العرض ، في المطولات الكلامية .

- 1 — قوله : وهو تأثر الشيء ، أي وهو المؤثر فيه . وقوله : عن غيره وهو المؤثر . وقوله : ما دام ، أي ذلك الشيء المؤثر فيه ، يتأثر ، أي يقبل التأثير . (انتهى تقرير شيخنا فتح الله) .
- 2 — قوله : فان يفعل ، وعليه فيكون من مقولة الفعل ، وقوله : وان ينفعل وعليه فيكون من مقولة الانفعال .
- 3 — قوله : على التأثير ، راجع ليفعل . وقوله ، والتأثر ، راجع لينفعل . فهو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 4 — قوله : هل العلم ؟ . ذكر السيد الجرجاني ، في حاشيته على المطول . وغيره : ان العلم ، يطلق على معان ثلاثة : يطلق على الملكات ، وعلى الادراكات ، وعلى القواعد والضوابط . لكن اطلاقه على الادراكات ، حقيقة لغوية ، وعلى الملكات والقواعد ، مجازي لغوي . ثم صار حقيقة عرفية (انتهى ، العلامة أمير)
- 5 — قوله : هل العلم من مقولة الكيف ؟ وعليه ، فيفسر بحصول صورة الشيء في الذهن .
وقوله : أو من مقولة الفعل ؟ وعليه ، فيفسر بالادراك .
وقوله : أو من مقولة الاضافة ؟ وعليه ، فيفسر بالعالمية ، فانها لا تتعقل ، الا بالنسبة للمعلومية ، كما علم في تعريف الاضافة .
وقوله : أو من مقولة الانفعال ؟ وعليه ، فيفسر بتأثير النفس وانفعالها بالصور المدركة « انتهى تقرير شيخنا فتح الله » .



ذهب أقوال : الى أن الجنس العالى ، واحد . وهو من مقولة الوجود عندهم . ورد بأن الجنس يجب أن يقال على ما تحته ، بالتواطى . خلافا لتوهم القاصر ، من تقسيم المناطق ، الى : متواطى ، ومشكك . أنه عام فى كل كلى من الكليات : الجنس ، والفصل ، والوجود ، مقول بالتشكك . فلا يكون جنسا ، ولا مقولة ، لان المقولات — عندهم — هى الاجناس ، ولا تكون ، الا موجودة . وبأن الجنس ، جزء الماهية ، يمتنع فهمها دونه . والوجود ، تفهم الماهية دونه . فلا يكون جنسا . وذهب أقوال ، الى أنه مقولتان : الجوهر والعرض . وأقول : الى أنه (1) : أربع مقولات : الجوهر والكم والكيف والنسبة . جعلوها جنسا للنسب السبع . فما عدا الجوهر والكم والكيف ، وهو السبع مقولات ، مقولة واحدة عندهم ، وهى النسبة . ووجهوا ذلك : بأن مفهوم النسبة ، الذى هو التوقف على تعقل الغير . لو رفع عن واحد من السبع كالايين ، وهو الحصول فى المكان ، ما بقيت حقيقته . وهو شأن الكلى الذاتى . ولا يخفى : أنها قدر مشترك ، بين تلك السبع المختلفة الماهية ، يصلح أن تقال فى جواب السؤال عنها (2) بحسب الشركة ، فتكون جنسا (3) لها . وها هنا ترديد (4) . وهو أن النسبة اذا كانت جنسا ، يلزم أن يكون كل نسبة تحتها ، مركبة من جنس وفضل (5) . وذلك محال . لان كل مركب ، فلك جزء منه ، نسبة الى الآخر . فتلك النسبة ، ان كانت مركبة ، كانت بين أجزائها حد مشترك ، نسبة أخرى . فان لم تنته الى نسبة بسيطة ، يلزم أن يكون المركب مركبا من أجزاء غير متناهية . وان انتهت الى نسبة بسيطة ، يلزم أن تكون تلك النسبة البسيطة

داخلة تحت مطلق النسبة ، وغير داخلة تحت الجنس ، لبساطتها . فالنسبة ، لا تكون جنسا للنسب عن السبع . وكل ما دخل تحت يتميز بالفصل ، فهو مركب . ويجاب باختيار الشق الاول . ولا نسلم اللزوم ؟ أعنى : أنه يلزم أن يكون المركب .. الخ .. وانما يلزم ذلك ، أن لو كانت النسبة ، التي بين الاجزاء ، داخلة في المركب ، وليس غايته ، لزوم تحقق نسبة ، لا نهاية لها . وذلك ، جائز . اذا الواحد ، نصف ، وثلاث وربع ... وهكذا من غير نهاية . فحاصله : أن الممنوع والمركب مما لا ينتاهى لا مجرد وجود ما لا ينتاهى ، فلا تركب منه .. الخ .. بتصريف أقول فيه : تأمل من جهة ، أن ما دخل في الوجود ، معناه في الحادث فقط ، على الراجح . والكلام فيه . ويمكن أن يقال : القاعدة في الوجود ، بالتحقيق ، لا بالاعتبار . فيجوز في ذلك . وعدم النهاية في النسب ، من قبيل الثاني . كما في النظر . أعنى الواحد نصف ... الخ فيكون جائزا . وفيه ما فيه من جهة أن المرعى ، أن النسبة جنس للنسب السبع . والجنس موجود بالتحقيق ، لا بالاعتبار . كما لا يخفى على ذوى الابصار . أو يقال : ذلك الجواب ، مبنى على ما لغير الاصحاب ، من جواز دخول ما لا ينتاهى في الوجود . وذهب من ينسب الى التحصيل منهم ، كأريسطو : الى أن الاجناس العالية ، عشرة . وهى المقولات ، كالمقالات (6) في الجنس العالى ، أربعة . وفي المقام ، أمور وفوائد .

أما الامور ، فمنها (7) : أن هذه المقولات كيف تكون أجناسا عالية ؟ مع كون كل مقولة منها ، ماهية مركبة : من جنس أعم منها ، وفصل مميز لها ، عما يشاركها في ذلك الجنس ؟ وجوابه : أن القوم صرحوا : بأن الاجناس العالية ، تعريفها : انها هو بالرسوم الناقصة ، لانه لا يتصور لها جنس كيف . وهى العالية . ولا فصل آخر . لان تركب الماهية من أمرين متساويين ، غير محقق ، بل هو احتمالى (8) .

ومنها : كيف يكون الجوهر جنسا عاليا للجوهر ؟ لفهمه دونه ؟ كما تقدم ،
في الوجود . بل هو عرض عام له .

ومنها : جعلهم (9) الجوهر ، جنسا عاليا ، دون تسميه ، الذي هو
العرض ما وجهه ؟ قلت : — كما مر — أعنى أن العرض ، لو كان جنسا ،
لتوقف ما تحته عليه . واللازم باطل . بخلاف الجوهر . فان ما تحته ، متوقف
عليه .

ومنها : أنهم ردوا جنسية الوجود ، بالتشكيك (10) الذي من أسبابه
التقدم والتأخر . فيقال مثله في الجوهر ، لتقدم الجواهر بعضها على بعض ،
بل في كل كلى . ويرتفع التواطى . وجوابه : أن الاختلاف الموجب للتشكيك ،
لابد وأن يكون واقعا في نفس المفهوم الكلى . فالوجود لكون (11) ما ذكر
من التقدم والتأخر ، واقعا فيه ، من قبيل المشكك ، بخلاف الجواهر ، مثلا .
فان تقدم بعضها على بعض ، وتأخره ، ليس واقعا فيها . بل في وجوداتها .
وكذا يقال في (12) الانسان : اختلاف أفراده بالتقدم والبيان مثلا . لا يفيد
كونه كليا متواطيا . لكون ما ذكر ، خارجا عن مفهوم الانسان . والحاصل :
أن التشكيك ، معناه الاختلاف ، في نفس المفهوم المشكك . فانهم .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنسا عاليا تحته ، لكان امتياز ما تحته من
الاقوال ، بعض عن بعض ، بالفصول الذاتيات . فحينئذ ، يكون كل نوع
منها : مركبا من الجوهرية ، ومما يتميز به عن غيره من الانواع ، فتكون
كلها مركبة (13) . وقد زعمتم : أن بعضها بسيط . وجوابه : أن كون الجوهر
جنسا لما تحته ، لا تقتضى أن جميع ما تحته مركب منه ، ومن الفصول
« كما زعمت » بل بعض ما تحته كذلك . وبعضه — وهو البسيط — يتميز
بنوعه وشخصه ، فيكون منفصلا عن المركب (14) . قيل : وهذا الجواب
اقتناعى (15) .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنما للجواهر ، لكانت فصولها أيضا جوهرية . لأن فصل الماهية ، من مقولة جنسها . لأنها لا تتركب من أمرين متنافيين ، كهذا لجنسها . فليزِم أن يكون للفصول فصول آخر ، تميز — وهي جوهرية — لها مر وهكذا ... ويتسلسل ، فيلزم تركيب الجواهر ، من أمور غير متناهية ، ومثل هذا ، يجري في كل مقولة . مثلا : الكيف ، لو كان جنسا للكيفيات ، لكان فصوله أيضا من الكيفيات ولما مر . وإذا كان لها فصول من الكيف ، كان الكيف جنسا لتلك . فيكون لتلك الفصول ، فصول أيضا ، من الكيف . ويتسلسل . وجوابه : تسليم أنها جوهرية ، ومنع كون الجوهر جنسا لها ، لقاعدة أن الجنس ، خارج عن ماهية الفصول ، غايته : أن الناطق ، شيء ذو نطق . وكونه جوهرًا أو جسما ، وصف له خارج عنه . فلا يلزم من كونه جوهرًا ، كونه جنسا له ، حتى يلزم النهاية ، في ذات المركب الجوهر . سلمنا : أن الجوهر ، جنس للفصول . لكن لا نسلم لزوم الفصول لها . لأن الفصول ، إنما تكون للانواع ، لا للفصول . لأنها غنية من تمييزها ، عما يشاركها في ذلك الجنس ، الذي هو الجوهرية ، من جهة أن جوهر الماهية ، الذي هو الفصل ، هو جوهرها ، الذي هو الجنس المتميز ، بالفصل عما يشاركه في الجوهرية والتغاير بينهما اعتباري (16) . وإذا كان نفس الجنس الذي تميز ، فلا يحتاج الى التميز أيضا . فصح لو كان غيره ذاتا ووجودا ، لاحتاج مثلا الجوهر ، الذي هو الحساس أو الناطق ، هو بعينه الجوهر ، الذي هو الجسم ، أو الجوهر ، الذي هو الحيوان . لكنه باعتبار (17) حصول الحس ، أو الناطقية ، صار حساسا (18) أو ناطقا (19) . انتهى .

أقول : وحاصل الجواب الاول ، منع كون الفصول أجناسها جواهر . « وتسليم التسلسل (20) ، بناء على أن منعه في الجواهر المركبة ، لا مطلقا . خصوصا ان كان اعتباريا جدلا » .

والثاني : بالعكس . قلت : وفيه أنهم صرحوا بأن الفصل ، لا بد وأن ينتهي الى فصل بسيط ، كما في العلامة السنوسى ، وغيره . فهذا صريح في التعدد . وابطال لقوله . لان الفصول ، انما تكون للانواع لا للفصول . ويمكن أن ما هنا طريقة . وان صرح بأن الناطق جوهر ، ذو نطق . ويمكن أنه رسم . وأن قوله شىء ذو نطق ، مقتضاه أن الشىء جنس . مع أنه تقدم ، أنه عرض عام . ويمكن أن يكون رسماً ومثالا . وقد فهم من المقام : أنه لا يلزم من كون الشىء من مقولة ، أن يكون جنسا له . فليتأمل .

والبحر ، رد منها : أن الامكان والوجود والوحدة والنقطة ، أمور زائدة ، على المقولات المتقدمة . فلا يكون الجنس محصورا في المقولات العشرة (21) وجوابه : أن الاولين (22) ، ليسا بأجناس عالية ، لاندراجهما تحت مطلق النسب . وأما الاخيران فعلى أنهما كيف ، فظاهر . وعلى أنهما عدميان ، لا يكونان من المقولات . وعلى أنهما نوع بسيط ، فكذلك (23) . ويعرفان بالرسم . كما صرحوا به . فلا تتنافى بين البساطة والتعريف . وحينئذ ، فيقال : لنا شىء موجود حادث ، لا يمكن تحديده .

ومنها : أن جعلهم الجوهر ، مقولا (24) بالمواطية ، ينافيه التصريح في الحكمة : بأنه مقول بالتشكيك ، على الجواهر الجسمانية ، والمجردات (25) عندهم . وهو بها أولى . وجوابه : أن المتواطى (26) ، بالنسبة الى الاول ، لا ينافى التشكيك ، بالنسبة اليه ، والى الثانى . وليحقق المقام ، فانه من مزال الاقدام . اللهم ضراعة اليك ، بزین أنبيائك ، عليه أفضل الصلاة والسلام وعليهم . والاولى أن تردنى برداء سترك (27) الجميل . وأن تكلمنى اليك . وأن تفرج ، يا نعم الحسيب ويا نعم الوكيل .

وأما الفوائد :

فمنها : أن الفصل ، نسبة الى الجنس ، بالتقسيم والى النوع ، بالتقوية كما لا يخفى . والى الحصاة ، قيل عند الشيخ (28) : بالعلنية . فهو علة فاعلية

لوجود الحصة . لانه لو لم يكن أحدهما (29) علة للاخر ، لاستغنى كل منهما عن الآخر . فلا يتحقق التلازم بينهما ، وهو لا يصح واذا كان كذلك ، فلا يصح جعل (30) الجنس الحصة ، علة للفصل . والا ، لكان الجنس ، مستلزما للفصل ، من جهة ، أن الحصة على جعلها (31) علة : تكون سابقة . ولاتحلقهما ، الا في طبيعة الجنس . فيكون الجنس علة أيضا (32) ، مستلزما للفصل . ورد بأن الفصل عنده (33) ، علة فاعلية ، تكون ناقصة فلا استلزام (34) لتوقفه (34) على المادية وغيرها . وذهب الامام (35) الى أن الفصل ، ليس علة للجنس ، يعنى الحصة (36) . وسد الخلاف (37) أن فصل النوع ، لا يكون جنسا له ، على الاول ، لما يلزم عليه : من كون المعلول علة ، وبالعكس . ومن تقدم الشيء (38) على ما تقدم عليه . ويكون على الثانى . ومن ثم : زعم قوم : أن الناطق ، بالنسبة الى الحيوان ، فصل الانسان . والحيوان ، جنس . وبالنسبة للملك ، بالعكس . وأن الفصل الواحد ، لا يقارن جنسين ، فى نوعين . والا ، لزم تخلف المعلول عن علته ، ضرورة (39) ، عدم حصة كل نوع ، فى النوع الآخر ، مع تحقق الفصل ، الذى هو علتها ، فى كل من النوعين ، بخلافها فى نوع واحد . كالناطق مقارن للحيوان ، والجسم ، والجوهر فى الانسان . وهذا ، على الاول . وأما الامام ، فذهب الى ما ذكر ، من الحكم والتفصيل أيضا . لكنه علق : بأن الحكم ، لكونه تمام المتميز ، لا يكون الا واحدا . هذا ويرد على الاول : أن التخلف والتوارد ، انما يمنعان فى العلة التامة ، لا الناقصة . وما تقدم عن الشيخ ، من قبيل الثانى ، لا الاول . كما تقدم .

ومنها : أن الحد لابد من تركيبه من الجنس والفصل — عند الشيخ — كما فى الاشارات ، فذهب أكثر شارحيه الى الانكار . ونقضوه بالاجزاء غير المحمولة (40) ، كأجزاء العدد والبيت (41) . فانه يتم المحدود بذكرها . مع أن شيئا منها ليس مما ذكر . قال نصير الدين العلوسى ، مراد الشيخ ، ذكر

بعض الحدود ، لا كلها . والحق ، ما ذكره الشيخ ، بناء على أن ما ذكره ، من أن المركب الحقيقي ، لا بد من اندراجه تحت مقولة من المقولات العشر ، كما هو مذهب الاقدمية ، وكثير من المتأخرين . وحينئذ كل حد تام ، له جنس وفصل ، وجدت له أجزاء محمولة ، أم لا . فالعدد مثلا ، حده كم مركب من الآحاد . والبيت ، جسم مركب (42) من السقف والجدر في أصله . ان الحاد التام ، هل لا بد من تركيبه من الجنس والفصل ؟ أو تارة وتارة ؟ خلاف مبني على الخلاف ، في أنه : لا بد من اندراجه تحت مقولة . وفي صحة التعريف بالأجزاء . المحمولة (43) .

أقول : ومما ينبني على هذا ، صحة القول : بأن النطق ، فصل ، ان قلنا بالصحة . وبطلانه (44) ، أن يقال الناطق فصل . مثلا ، اذ قلنا بعد ما (45) ، فاحفظ .

ومنها : هل اختلاف المعروضات بالماهية ، يوجب اختلاف العوارض بالماهية أو لا ؟ خلاف عند الحكماء . بعض : نعم . وبعض : لا فالجنس العالى المنطقي ، الذى هو مفهوم المقول ، على كثيرين ، عارض للمقولات العشر ، كل يطلق عليه : الجنس العالى . وهو معروضات مختلفة بالماهية : فان قلنا بالاول ، كان مفهوم الجنس العالى العارض لمقولة الجوهر للجنس العالى . أعنى : العارض ، يكون جنسا مقولا ، على مختلفين بالماهية ، أعنى : الانواع العالوية العارضة لكل مقولة . وان قلنا بالثانى ، كان هذا الجنس العالى العارض للجوهر ، مثل العارض (46) لكم . والعارض للكيف . وهلم جرا . وتكون متفقة بالحقيقة ، فيكون نوعا لها . وأيضا : حد أن الجوهر « مثلا » جنس طبيعى ، معروض لمفهوم المقول ، على كثيرين ، الذى هو الجنس المنطقي . وهذا العارض ، جنس له ، من حيث أنه عارض . وهل مطلق الجنس ، جنس طبيعى لهذا الجنس مثلا . أو نوع فيه ، ما عرفت ؟ وكونه جنسا أو نوعا ، من حيث مقولته على الاجناس العارضة ،

لا ينافى أنه جنس منطقي ، بلا خلاف ، من حيث أنه عارض للمقولات ،
 التي هي جنوس طبيعية . ولا يقال : اذا كان الجوهر مندرجا تحت الجنس
 العالي ، كيف يكون عاليا ؟ لان كونه عاليا على الجنوس الطبيعية ، لا ينافى
 أن فوقه جنس منطقي . فانهم . وينتقل أيضا (47) الى المقول على كثيرين ،
 الى المقول على الشيء ، الى المضاف . فالمضاف (48) ، جنس الاجناس
 لهذه الاربعة . ويجرى جميع ما ذكر ، في الجنس السافل والوسط والبسيط .
 وفي غير الجنس ، من سائر الكليات ؟ ومنه يعلم : أن الكليات الخمس ، من
 مقولة المضاف . وحينئذ يقال : اذا كان الجنس من مقولة المضاف ، كان
 أخص . والمضاف أعم . كيف ؟ وهو مندرج تحت مطلق الجنس ، وأخص
 منه ؟ هذا متناقض . وجوابه : أن يكون المضاف ، لا بشرط شيء أعم من
 الجنس ، لا ينافى أنه : بشرط كونه مطلقا مضافا . أقول : وكان العموم
 وجهي . وجهت وجهي اليك ، يامن أبدع الموجودات خلقا ، أن أكون من
 الناطقين بالتوحيد لجنايب الاقدس حقا . وبالاقرار بالرسالة لزين أنبيائك .
 وخاتمهم (صلى الله عليه وسلم) وكرم صدقا .

- 1 — اي الجنس العالي .
- 2 — اي بما .
- 3 — قوله : فتكون جنسا : اثار الى قياس من الشكل الاول . وتقريره ان تقول :
 النسبة ، قدر مشترك ، بين امور سبعة . يقال في جواب السؤال عنها بما .
 وكل ما كان كذلك ، فهو جنس . يستنتج : أن النسبة جنس . « تقرير شيخنا
 فتح الله » .
- 4 — قوله : وها هنا ترديد ، وحاصله اننا لو قلنا ان النسبة جنس ، مقول على
 النسب السبع ، يازم أن تكون كل نسبة منها مندرجة تحتها .
- 5 — قوله : من جنس وفصل ، ضرورة اندراج كل نوع مشتمل على جنس وفصل
 في جنس وذلك باطل ، لان كل مركب لكل جزء منه ، نسبة الى الآخر ، وتلك
 النسبة ، ان كانت مركبة كذلك ، كانت بين اجزائها نسبة اخرى . . وهكذا فان انتهت
 الى نسبة بسيطة ، لزم ان تكون تلك النسبة البسيطة داخلة ، تحت مطلق نسبة
 المشتمل على المركبة . وغير داخلة تحت الجنس ، لكونها بسيطة . وحينئذ ، فلا
 تكون النسبة جنسا للنسب السبع . وان لم تنته الى نسبة بسيطة ، لزم ان
 يكون المركب مركبا ، من اجزاء غير متناهية .
- 6 — أي الاقوال .
- 7 — قوله : فمنها ، وهذا الامر ، وارد على القول الاخير ، الذي قاله اريسطو ونحوه .
 « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 8 — وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 9 — قوله : ومنها جعلهم وارد على القول الاول من الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 10 — قوله : ردوا جنسية الوجود ، وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح
 الله » .

- وتقرير الاعتراض : انهم قاسوا الجوهر على الموجود ، في ان كلا منهما ، مقول بالتشكيك ، الذي من اسبابه التقدم والتأخر . وحينئذ ، فلا يكون جنسا عاليا « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 11 — قوله : لكون ما ذكر : علة مقدمة على معلولها . وهو قوله : من قبيل المشكك « تقرير » .
- 12 — قوله : وكذا يقال ، جواب عن قوله : بل في كل كلي الشامل للجوهر وغيره ، بخلاف الجواب الاول الذي ذكره بقوله : وجوابه .. الخ . فانه خاص بالجوهر « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 13 — قوله : فتكون اي الجواهر « تقرير شيخنا » .
- 14 — قوله منفصلا عن المركب : اي عن الانواع المركبة من غير فصل ذاتي « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 15 — قوله : اقتاعي ، اي لا قطعي . « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 16 — قوله : اعتباري ، اي هذا الجوهر الذي اندرج في الماهية من حيث شموله لسائر الجواهر . وعدم تقييده بما اندرج فيه ، يسمى جنسا عاليا ، ومن حيث تقييده بما اندرج فيه يسمى فصلا « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 17 — قوله : لكنه باعتبار ... اي ما ذكر من الجسم والحيوان .
- 18 — قوله : صار حساسا راجع للجسم .
- 19 — وقوله : او ناطقا ، راجع للحيوان . فهو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 20 — قوله : وتسليم التسلسل ، الاولى حذف هذه العبارة من قوله : « وتسليم ، الى جدلا » وذلك لانه لا يخاو اما ان يرجع قوله مطلقا الى المركبة وعليه فيقبل منع التسلسل في الجوهر المركبة والبسيطة ، وليس كذلك بل التسلسل موجود قطعا في المركبة ، واما ان يرجع الى المنع وعليه بتقيد . وحينئذ ، منع التسلسل ، اذا لم نقل بالمنع . وهو واضح البطلان « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 21 — اي التي هي اجناس عالية . وانما قدرنا ذلك ، ليلاتي السؤال قوله : فظاهر ، اي دخولهما في المقولات .
- 22 — قوله ، وجوابه .. الخ . اي فالمحصور ، انما هو الاجناس العالية « تقرير فتح الله » .
- 23 — قوله : فكذلك ، اي لا يكونان من المقولات « تقرير فتح الله » .
- 24 — قوله : مقولا : اي محمولا على افراده بالمواطاة . وحمل المواطاة هو حمل هو هو باختلاف الاشتقاق فانه حمل ذو هو « تقرير فتح الله » .
- 25 — قوله : والمجردات ، وهي الجواهر المجردة عن المادة والصورة كالمقول العشرة « تقرير فتح الله » .
- 26 — قوله : وجوابه ان المتواطى ، فهو متواطى ومشكك باعتبارين مختلفين فباعتبار انهما جواهر جسمانية ، متواطية ، وباعتبار انهما مجردة ، مشككة « تقرير فتح الله » .
- 27 — قوله : ستر ، بكسر السين بمعنى (الساتر) . وبفتحها ، مصدر (ستر) « تقرير فتح الله » .
- 28 — قوله : عند الشيخ ، اي ابن سينا ، فانه متى ذكر الشيخ في كتب الحكمة واطلق يكون المراد منه ابن سينا « تقرير فتح الله » .
- 29 — قوله : احدهما ، اي الفصل والحصاة . « تقرير فتح الله » .
- 30 — قوله : الحصاة ، يصح ان تكون بالجر بدلا من الجنس ، ويصح ان تكون بالنصب مفعولا لفعل محذوف اي اعني به الحصاة « تقرير فتح الله » .
- 31 — قوله : جعلها علة ، اي على جعل الحصاة علة للفصل ، سابقة عليه « تقرير فتح الله » .
- 32 — قوله : فيكون الجنس ، اي وهو باطل ضرورة وجود جنس بدون فصل « تقرير »
- 33 — اي الشيخ ابن سينا .
- 34 — قوله : فلا استلزام ، اي بين وجود الجنس والفصل « تقرير » .
- 35 — اي السرازي .

- 36 — قوله : يعني الحصة ، أي على فرض جعلها جنسا والا فالحصة اسم للأفراد « تقرير فتح الله » .
- 37 — قوله : وسد الخلاف ، أي والذي يترتب عليه الخلاف ، وتظهر ثمرته فيه ، أن فصل النوع كناطق مثلا ، بالنسبة للإنسان ، لا يصح أن يكون جنسا لجنسه ، الذي هو حيوان ، لما يلزم عليه من كون المعلول كناطق مثلا ، في حال جعله جنسا ، وبالعكس ، ضرورة كون الجنس علة في فصله ، ومن تقدم الشيء كناطق مثلا ، في حال جعله جنسا لحيوان ، على ما تقدم عليه ، الذي هو حيوان ، في حال جعله فصلا له .. وكلاهما باطل على الأول ، بخلافه على الثاني . وإذا تأملت ذلك ، علمت أن في كلام الشيخ تقدير مضاف ، في قوله : لا يكون جنسا له أي لجنسه . كما يظهر من آخر كلامه .. أو أراد بالنوع الجنس .
- 38 — قوله : ومن تقدم الشيء ، معطوف على قوله : من كون المعلول وهو كلام الشيخ .
- 39 — قوله : ضرورة عدم حصة ، أي ضرورة عدم تحقق كل نوع في النوع الآخر فإن المراد بالحصة الأفراد « تقرير » .
- 40 — قوله : غير المحمولة ، أي غير التي يصح عملها ، أي الإخبار عن المحدود .
- 41 — وقوله : كأجزاء العدد ، بأن تقول : العشرة مثلا مركبة من ستة وأربعة أو من خمسة وخمسة . ولا يصح حمل بعضها بأن تقول : العشرة ستة مثلا . وقوله : والبيت ، بأن تقول : البيت ما تركيب من أشياء مخصوصة وهكذا « تقرير فتح الله » .
- 42 — قوله : والبيت جسم مركب ، إنما اعتبر بجسم في تعريفه ، لكونه جنسا قريبا . والا فكان الأولى أن يبدله بجوهر لانه مقولة . « تقرير فتح الله » .
- 43 — قوله : الأجزاء المحمولة : الصواب أن يقول : غير المحمولة : لأنها محل الخلاف كما يدل عليه أول كلامه « تقرير فتح الله » .
- 44 — قوله : وبطلانه ، الضمير فيه عائد على القول بأن النطق فصل . وقونه : وإن يقال ، معطوف على : (وبطلانه) .
- 45 — وقوله : وإن قلنا بعدمها ، راجع لـ (وبطلانه) ، وإن يقال ، « تقرير فتح الله » .
- 46 — قوله : مثل الأولى ، حذف مثل ، لانه هو لا غير « تقرير فتح الله » .
- 47 — قوله : وينتقل ، أي الجوهر ، « تقرير » .
- قوله : فالمضاف ، تفريق على الانتقالات الثلاثة « تقرير فتح الله » .

المقصد الثاني

في العقول

اعلم : أن العقل ، قيل : جنس ، تختلف أصنافه بالخواص . فعلى الاول ، يكون جنسا منفردا ، لكونه ليس فوقه جنس . وتحت أنواع حقيقية . وهو العقول المفارقة العشرة ، بناء على رأى الفلاسفة فى اثباتها ، واثبات الجواهر المجردات . أعنى : عن الجواهر الجسمية . وأن الجوهر ليس جنسا لما تحته ، لانه حينئذ ، مقول بالتشكيك على المجردات وغيرها . وشرط الجنس ، التواطى ، كما مر . وذلك أنهم يثبتون للعالم قسما ثالثا . غير جوهر ولا عرض ، سموه : بالجواهر الروحانية ، وبالمجردات . وجعلوا من ذلك : النفوس (2) والارواح والعقول . وحكى : أن الغزالي وبعض الصوفية ، ساعدوهم فى النفوس البشرية . وقد قيل به فى الملائكة أيضا . وأنها لا تتشكل ، ولا تعمر فراغا . والصحيح ، خلافه . وأنها تشكل وتعمر فراغا كالجن . وانظر الفرق بين التشكيلين ، فى شرح الاربعين النووية للشبرخيتى .

نادرة

روى شيخ أشياخنا ، العلامة يحيى ، عن سعيد الجزائرى ، أنه قتل ثعبانا ، فاذا هو جنى . فاخطفه جنى آخر قريبه ، وألقاه فى أودية الجن . فدخل بعد مدة ، أعنى فى محل ، فوجد شيخا كبير السن جدا وكأنه قاضى الجن مشهورش . فقص عليه الحال ، فقال له : اذا أقبل سلطان الجن ، فقصف واطلب الشرع . فلما أقبل اليه الانسى ، وشكا من الجنى ، فأحضره السلطان ، وسأله عن موجب خطفه الانسى ؟ فقال : قتل أخى . فقال الانسى : انما قتلت ثعبانا . فدعا السلطان بالشيخ الاول ، واستفتاه فيما

يلزم الانسى ، فقال - بعد أن رفع حاجبيه - الكبيرة رويت عن سعيد المقبرى ، عن ابن جلال ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصور على غير شكله ، قدمه هدر . وهذا سند غريب من وجهين (3) . تأملهما . فأمر السلطان برد الشيخ الانسى الى بلده بالمغرب . فوجد زوجته مهياً بالدخول ، فمانع وأخذها . وافعل ما مر للفلاسفة : أنهم لما بنوا - أبعدهم الله - على قاعدتهم الفاسدة ، من أن الصانع تعالى - عن قولهم - موجب (4) لا مختار ، ولم يصفوه تعالى - عن قولهم - بشىء من الصفات . وردوا جميع ما يوصف به الى سلب واطافة ، لكونه موجب بالذات . وتبارك عن مقالتهم ، لانه لا يصدر عنه مباشرة ، الا واحدا ، وسموه عقلا ، أى جوهر اروحانيا ، مجردا عن المادة ولواحقها . ثم هذا العقل ، مثلا آخر ، باعتبار كونه عقلا ونفسا ، باعتبار امكانه فى نفسه ، وصورة له باعتبار وجوده . ثم العقل الثانى كذلك ، الى العقل العاشر ، المسمى بالفياض ، وهو العقل المنسوب الى فلك القمر . فتلك عشرة عقول ، وتسع نفوس ، وتسعة أفلاك . ثم حدثت العناصر ، أعنى : الماء والنار والهواء والتراب ، المختصة بالحيوان والنبات والمعادن . واختلطت كما فى العود الاخضر ، فى الماء والنار والدخان والتراب ، كما تظهر ان حرق . وتهيأت لقبول الصور المختلفة فى عالم الكون والفساد ، الى آخر ما فى شرح الكبرى . وغيرها . ويفيض العقل على كل قابل ، ما يستحقه ، افاضة واحدة ، من حيث هى . والاختلاف واقع بحسب القبول ، هذا ، ضلال مبين - لعنهم الله - وها هنا أمور ، منها :

أن العناصر ، ما ذكر فيها ، هو المشهود . وقيل : خمسة ، بزيادة البخار . وهو ما يرتفع من الماء كالدخان .

ومنها : أن كون كل منها أصلا ، هو الاصح ، لاختلاف حقائقها . وقيل : أصلها النار ، لشدها بساطة . وتحصل البواقي منها ، بالتكاثف . فهى نار

متكاثفة ، على أوجه متفاوتة . وقيل : الهواء لرطوبته ومطار عنه ، ومنه ، بالحرارة المطلقة ، بالتكاثف ، تحصل النار . وبالبرودة المكثفة ، يحصل الباقيان . وقيل : الماء لقبوله التخلخل بالحرارة .

ومنهما : النار والهواء والتكاثف ، بالبرودة .

ومنهما : الارض لشدها كثافة . ويحصل الباقي ، بالتلطف المختلف . وقيل : البخار ، لتوسطه كثافة ولطافة . والتفرع ظاهر .

ومنهما : أن منها خفيف ، وهو النار والهواء . وما عداه ثقيل . ووجه ذلك ، أن ما تحت فلك القمر ، مثاله . وهو الخفيف المطلق أولاً ، وهو الخفيف بالنسبة للارض . والماء ، الثانى . وأما نحو المركز كذلك ، لمن ألقى سمعه .

ومنهما : أن معنى الكون والفساد ، أن يخلع كل عنصر منها ، صورة عنصره الفساد ، ويلبس صورة عنصر آخر ، وهو الكون ، كالمالح ماء . والنار ترابا ، وهواء . وحينئذ ، فالانقلابات — على المشهور — اثنتا عشرة وعلى مقابلة ، عشرون ، فانهم جميعها ، من اللقطة . وشرحها بالتصريف والاختصار .

- 1 — قوله : فى العقول ، جمع عقل وهو عندهم جوهر مجرد عن المادة والصورة . وحاصلة العقول عندهم (يعنى الفلاسفة) عشرة .
العقل الاول : نشأ عن ذات الله بطريق العلة . قائم بنفسه لا فلك له . ونشأ عنه الفلك الثانى ، وهو المسمى العرش ، عند اهل السنة ، وعقله المدبر له . ونشأ عن الثانى ، الفلك الثالث ، وهو المسمى الكرسي ، عند اهل السنة ، وعقله المدبر له كذلك . ونشأ عن الثالث ، الفلك الرابع ، وهو السماء السابعة ، وعقله المدبر له . وهكذا الى سماء الدنيا ، التى هي الفلك العاشر ، وعقله المدبر له ، ونشأ عنه العناصر الاربعة ، وهي : الماء والتراب ، والنار ، والهواء ، فامتزجت وتولدت عنها الحيوانات والمعادن والنباتات .
- 2 — قوله : وجعلوا من ذلك ، النفوس . أى فالنفس والعقل والروح — عندهم — متحدة ذاتا ، وهي الجوهر المجرد عن المادة والصورة . مختلفة اعتبارا . فمن حيث تعلقها بتدبير الجسم ، فنفس . ومن حيث تعلقها بالقوام والحياة ، فروح . ومن حيث تعلقها بالمدرجات ، فعقل . « تقرير فتح الله » .
- 3 — قوله : من وجهين : وهما كون راويه واحدا . وكونه جنيا عن انسى (فتح الله)
- 4 — قوله : موجب ، بصيغة اسم الفاعل ، وسموه موجبا ، لكونهم يقولون : انه علة فى العالم « تقرير فتح الله » .



قسموا الجوهر ، الى بسيط ومركب . والاول ، اما جزء المركب أو لا . والجزء ، اما حال في غيره ، وهو الصورة . أو محل . وغيره ، اما مجرد عن المادة . وعلاقتها متنوعا الى ما هو منفصل عن الجسم ، وهو العقل . والى ما ليس كذلك ، وهو النفس . فان علاقته بالجسم للتدبير . أو غير مجرد . والثاني ، اما لا نفس له ، كالجماد . أو نام ، لا حس له ، كالنبات . أو له ، كالحيوان . أو غير تام ، كالملك ، قالوا : والجوهر ، جنس الاجناس ، لا اختلاف ، الا بالعرضيات وللمتكلمين معهم مؤاخذات .

أقول : وفي اللقطة : انه ينقسم الى روحاني، وهو المجردات. وجسماني (بالكسر) وهو غير المجردة عن المادة الجسمية .

والثاني ، ينقسم الى : بسيط ، وهو ما لا ينقسم الى أجزاء مختلفة العناصر كالماء . والى مركب ، وهو ضد كالحیوان . والبسيط ، اما لكونه ذا آثار في عالم الكون والفساد ، وهو الافلاك ، وما فيها . وهو العالم العلوي (بالضم والكسر) وهي شفافة لا لون لها . واما عنصرى ، وهو العالم السفلى .

والفرق بين السموات والافلاك أيضا : أن السموات — كلها — فوق الافلاك (أى كلها) وهي تحتها ، على التحقيق ، من أن السموات ، أطرافها على جبل قاف . وتأمله . مع أن المشهور ، من أن الشمس ، في السماء الرابعة . والقمر ، في سماء الدنيا . وأن الافلاك ، أجسام لطيفة . والسموات ، أجسام كثيفة . وأن الافلاك تسعة . والسموات سبعة . وأن الافلاك الكواكب ، والسموات موضع الملائكة . وأن الافلاك دائرة متحركة ، والسموات ثابتة .

تمتت ان

الاولى : الكواكب على قسمين : سائرة ، وهى سبع : زحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة والشمس والقمر. والنظر تفاوتهما ، فى الحركة فى المبطولات . وممن ذكره : العلامة اليوسى فى حواشى الكبرى . ولكل واحد منهما فلك مختص به ، من الافلاك السبع . وثوابت ، بمعنى انها لا سرعة لها . والا ، فهى تتحرك من المغرب الى المشرق ، حركة بطيئة جدا ، تقطع فى كل اربع وسبعين سنة وشهر وسبعة وعشرين يوما ، درجة . وهذه الثوابت ، لا يعلمها الا الله - تعالى - وغاية ما وصل اليه اهل الميقات ، ألف واثنان وعشرون نجما ، عليها أعمال اهل الميقات ، من الماضى والباقي ، ونحو ذلك . وأما السيارة ، أى غير الشمس والقمر ، فلا تتضبط . لكونها تارة ترجع القهقرى ، وتارة تسير معتدلة ، وتارة تخنس (1) فى غروبها . ولأجل ذلك ، لا يصلح أخذ عمل منها . واليها الاشارة بقوله - تعالى - : فلا أقسم بالخنس .. الآية . وجميع الثوابت فى ذلك ، واحد . وهو الثامن فوق السبعة . وأما التاسع ، فلا نجم فيه ، وهو أعظمها . وله فى كل يوم دورة ، من المشرق الى المغرب ، ويدور بدورانه كل ما يحويه . من فلك وكوكب .

الثانية :

اختلف المتقدمون فى حركة الكوكب . فقيل : ان الجرم الفلكى ، ساكن . والحركة للكوكب ، خارقة له .

وقيل : ان الفلك ، متحرك . والكوكب كذلك ، على خلاف حركته .

وقيل : المتحرك ، انما هو الفلك الثالث ، عطارد . والزهرة . والقمر ،
أصفر من الشمس . والثلاثة الاخر ، أعظم من الشمس . والشمس ، أعظم
من الارض بأضعاف (2) . والقمر ، أصفر منها ، بدليل الخسوف . وأصفر
كوكب من الثوابت ، أعظم من الارض . وجميع الكواكب ، نوره ذاتي ، الا
القمر .

وكون النجوم في سماء الدنيا ، أو في غيرها وموضعها ، لم يرد شرعا .
جعلنا الله — تعالى — من أهل منهاج الشرع ، وختم لنا بحسب
الختام (3) . وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، شهادة
عبد محتاج اليك يا الله .

(تمت بحمد الله وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم . آمين)

- 1 — قوله تخنس ، أي تسكن في غروبها .
- 2 — قوله : بأضعاف ، قيل مئة وأربعون مرة . والقمر قيل أكبر منها بمئة وعشرين مرة « تقرير فتح الله » .
- 3 — الخاتمة — ونسأل الله حسنها — ذهب المبطلون الى ان السموات كروية (نسبة الى الكرة) محيطة بالكون كالبيضة ، ومنعوا الخرق والالتئام . فأحالوا الاسراء (الاولى ان يقول المعراج .. تقرير .. بناء على أنها ، أعني السموات ، هي الافلاك . وقيل انها غيرها . ومقتضى كلام بعض الافاضل : ان الخلاف عام . لكن لا على منع الخرق والالتئام ، المرتب عليه ما ذكر . وانه صحيح كلا من القولين . وان الرجوع ، ان السموات ، غير الافلاك . وهو كذلك لا بد الملائم .

402

دراسات معجمية

- ♦ الفاظ الحضارة لعام 1971
للاستاذ محمود تيمور
- ♦ أكلة اللحم
للاستاذ عبد الله كنون
- ♦ أخطاء لغوية
للاستاذ عبد الحق فاضل
- ♦ حول الأخطاء الشائعة
- ♦ مصطلحات أجنبية أصلها عربي
أبو فارس
- ♦ تعقيب على المصطلحات البريدية
- ♦ المصطلحات الجغرافية
للدكتور يوسف ثوني
- ♦ معجم المصطلحات العلمية
للدكتور مهدي حقي
- ♦ مستدرک معجم المعاجم العربية
للاستاذ اسماعيل العبايجي
- ♦ قصص من اللغة
للاستاذ عبد الحق فاضل

الفاظ الحضارة

لعماد

1971

الأستاذ محمود تيمور

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ولد محمود تيمور في القاهرة سنة 1894 م . والده العلامة احمد تيمور ، وعمته الشاعرة عائشة التيمورية ، واخوه الأديب المشهور محمد تيمور .
كان للبيئة التي عاش فيها اثر واضح في صقل موهبته الأدبية منذ الصغر ،
فقرأ في البداية ألف ليلة وليلة واقبل بشغف على قراءة المنفلوطي (الذي كانت
نزعت الرومانية الحلوة تملك عليه مشاعره) ثم حديث عيسى بن هشام للمولحي ،
وقصة زينب لهيكل ، كما ان نصيب الشعر لم يكن قليلا في مطالعته ، وكان شغفه
بزعيم المدرسة انهجرية جبران خليل جبران كبيرا جدا .
ثم قرأ للمشهورين من كتاب القصة في العالم ، وكان لهو باسان النصيب
الأكبر من اهتمامه كما استأثر بنفسه تشيخوف وسومرت وغيرهما .
وكان لأخيه محمد تيمور تأثير واضح عليه في مطلع حياته الأدبية خصوصا بعد
عودته من فرنسا . بدأ ادب محمود تيمور (محليا) بتصوير النماذج العادية من
البيئة ثم ما لبث ان خلق فعالج نماذج انسانية واكتسب رؤى جديدة .
قام بعدة رحلات الى اوربا وأمريكا فصقلت موهبته ووسعت نظرتة في فهم
الحياة .

اربت مؤلفاته على الخمسين بين اقصيص ومسرحيات وابحاث وخواطر
ورحلات . نال عدة جوائز ادبية وتقديرية ، كانت آخرها وسام العلوم والفنون
من الطبقة الاولى سنة 1963 . كما اختير عضوا في مجامع لغوية داخل بلاده
وخارجها .

منح موهبة قصصية رائعة ، واحساسا مرهفا في النظر للحياة ومشاكلها ،
وقد وفق في تصوير نماذج ممتازة منها كان هدفه فيها الكشف عن الانسان بمعناه
الشامل والتوجه به نحو عالم افضل .

اهتم به معاصروه من النقاد والأدباء وشهدوا له بالسبق في ميدان القصة
وعلى رأسهم الدكتور طه حسين والمرحوم الأستاذ فريد أبو حديد ، والمستشرق
الروسي المرحوم اغناطيوس كراتشكوشكي ، والمستشرق المجري الدكتور عبس
الكريم جرمانوس وغيرهم ، لقب بعديد القصة العربية المعاصرة . .
ترجمت له عدة قصص الى لغات شتى منها الانجليزية والفرنسية والألمانية
والروسية واليوغسلافية والمجرية والايطالية والاسبانية وغيرها .

ما زال حتى اليوم يفذي الادب العربي بفنه القصصي الجميل وبحوثه المختلفة
الطريقة مد الله في حياته .

والخطر الذي يجب التوقي منه هو أن يشيع التكاثر في مواجهة الالفاظ الحضارية عامية كانت او دخيلة ، فان الجمهور في تحوله الثقافي لن يجد في لغة الكتابة ما يستعيب به عما كان يجري على لسانه في عهود الامية الطاغية .

ومعنى ذلك ان يستفيد في لغة الثقافة جديدا من التعبير بالفاظ الحضارة . فمن واجبنا اذن ان نعمل ما وسعنا العمل على جعل الفاظ الحضارة اقرب ما تكون الى الفصحى ، وان نشجع كل عمل في هذه السبيل ، وان نرحب بكل ثمرة تبدو لنا ، ما دامت تبغي احلال الفصيح محل العامي والدخيل .

واني اقدم لكم في هذه الجلسة بعض الثمرات التي اقتطعتها من المحاولات الجادة للتعبير عن مسميات الحضارة ومعانيها بلفظ عربي مبين .

1 (الصاروخ القمري :

Lunar rocket (E.)

Roquette lunaire (F.)

الجهاز الدافع لسفينة الفضاء القمرية ، ويوصف بأنه قمري تميزا له عن بقية الاجهزة الصاروخية المختلفة الاغراض .

2 (منصة الاطلاق :

Launch pad (E.)

القاعدة التي يوضع عليها الصاروخ القمري ، ومنها يبدأ انطلاقه .

3 (السفينة القمرية او سفينة القمر :

Lunar space craft (E.)

Vaisseau spatial lunaire (F.)

احدى سفن الفضاء ، وهي خاصة بالانطلاق الى القمر .

4 (مركبة الخدمات :

Service module (E.)

Module de service (F.)

احد اجزاء السفينة القمرية ، وله مهمة خاصة ، هي اداء المهمات اللازمة في رحلة تلك السفينة .

5 (مركبة القيادة او المركبة الام او الهادية والجمع (الهوادي) :-

Command Module or command vehicle (E.)

Module de commandement (F.)

اصطلحنا على ان اللفظ الحضاري هو اللفظ الذي يشيع على اوسع نطاق في محيط الجمهور العام ، لتسمية اسباب الحياة في البيت والسوق ، فهو قاسم مشترك اعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ، ذلك لان طعام الجمهور في التعبير عن حياته وبيئته وعلاقاته بما حوله وبين حوله يستمد عناصره من كل علم وفن ومعرفة .

وقد كان طبيعيا ان نرى الفاظ الحضارة في اغلبها خليطا من العامي والدخيل ذلك لان هناك لفتين: لغة خطاب ، ولغة كتابة ، ولان الامية ظلت ردحا من الدهر تضرب اطنابها في الامة ، فلا عجب اذن في ان تكون الفقرة كبيرة واسعة بين لغة الخطاب ولغة الكتاب ، ولا عجب تبعا لذلك في ان يكون العامي والدخيل كلاهما صاحب الصولة والجلولة والسلطان في التعبير عن حياة الناس واسباب معاشهم ونواحي معاملاتهم في كل ميدان .

كذلك كان الامر ، وكذلك وقف حراس اللفظة والمحافظة على سلامتها في حيرة ازاءه ، لا يدرون كيف السبيل الى مواجهة ذلك التيار العارم من العامي والدخيل في التعبير الحضاري العام .

على ان المشكلة حلت نفسها ، في معظم جوانبها ، وجوهر حقيقتها فقد تحققت التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه ، وبتوافر وسائل التثقيف والتنوير ، وبانتعاش الوعي الجماهيري ايما انتعاش ، والقافلة تسير على هذه الطريق ، فالببيت ايا كان شأنه لا يخلو من مثقف ، والسوق ايا كان موضوعها لم يعد يعوزها المتعلمون ، يباشرون شؤونها ، في تجارة او صناعة ، وفي بيع او شراء ، وهكذا انكسرت القيود ، وازيلت السدود ، وانفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب في كل مكان ، وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان .

وان هذا التحول لفرصة امام حراس اللفظة والمحافظة على سلامتها ، لكي يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامي والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فانهم اذا تظاهرت جهودهم في تلك السبيل ، امكن لهم ان يحيلوا اللفظ الحضاري كلمة مكتوبة ، والكلمة المكتوبة تصافح العيون في الصحف والمجلات والكتب ، ثم هي تقرأ فتقرع الاسماع في المجالس والاندبة والاذاعات ونتيجة ذلك ان يصبح اللفظ الحضاري طعاما جماهيريا يسوغ في الافواه كما جرى على الاقلام .

- (13) **اقمار التجسس :**
Satellites espions (F.)
اقمار صناعية تزود بأجهزة للتصوير والتسمع ،
وتوجه فى انطلاقتها الى مناطق محددة لاغراض
التجسس عليها .
- (14) **المنعة : (الدشمة) :**
شبه حائط يحتمي به الجنود فى مواقع القتال .
- (15) **دول المواجهة :**
Les pays de la ligne d'affrontement (F.)
هي الدول التي تواجه فى الحرب عدوا مشتركا
بحكم موقعها الجغرافي ، او موقعها من ناحية
التخطيط الحربي ، اعني : الاستراتيجي .
- (16) **الأتوبوس المفصلي - الحافلة المفصليّة او
السيارة العامة المفصليّة :**
Jointed bus, trailer-bus (E.)
Autobus accordeon (F.)
سيارة واحدة بسعة سيارتين فى منتصفها
المفصل الذي يضم الجانبين .
- (17) **جرار نصف مقطورة :**
Half traile tractor (E.)
سيارة ذات جرار متعدد العجلات متصل بنصف
مقطورة متعددة العجلات أيضا بحيث تستطيع
هذه السيارة الجرارة أن تبلغ حمولتها اثنان
كثيرة .
- (18) **الفن الحركي (فى التصوير) :**
Kinematic art (E.)
Kinetic art (E.)
المصطلح مأخوذ من كلمة Kinesis بمعنى
الحركة ، ويدل على نوع من فن التصوير يتميز
بالنشاط الحركي ، ويستخدم الجديد مسن
الخامات كاللدائن والأخشاب الصناعية ونفايات
المواد المضغوطة والكيماويات الغريبة مادة
للتعبير .
- (19) **التلوين التلقائي (فى النظارات) :**
Colormatic (E.)

- جزء السفينة المختص بالقيادة ، وقد رشحنا
كلمة « الهادية » اسما لهذا الجزء ، تنظيرا بينه
وبين الراحلة التي تتقدم الركب ، وتسمى :
الهادية ، والجمع : الهوادي .
- (6) **مركبة القمر :**
Lunar excursion module (E.)
Module lunaire (F.)
جزء السفينة القمرية الذي يترك - بعد هبوط
السفينة - على سطح القمر .
- (7) **تصحيح المسار :**
Correction de trajectoire (F.)
توجيه السفينة القمرية توجيها صحيحا فى المسار
المطلوب ، اذا اخطاته .
- (8) **الغلاف الجوي :**
Les couches denses de l'atmosphère (F.)
الطبقة الغازية المحيطة بالارض او بأحد الكواكب
الاخري ، فلكل منها غلاف جوي متميز .
- (9) **القنبلة المدارية :**
Orbital Bomb (E.)
قمر صناعي
مزود برأس نووي
(Artificial satellite)
(nuclear warhead)
يعود ليخترق الغلاف الجوي ، ولا يستطيع
صده ، ولسرعته المدهلة قل أن يدرك امره قبل
أن ينفذ مهمته .
- (10) **حاجز الصوت :**
Le mur du son (F.)
يقال : كسرت الطائرة او اخترقت او جاوزت
حاجز الصوت ، اذا هبط طيرانها الى مستوى
جوي معين .
- (11) **التشكيل الجوي :**
Formation aérienne (F.)
مسيرة مجموعة من الطائرات على نسق مخصوص
- (12) **القنبلة الزمنية :**
Bombe à retardement (F.)
قنبلة مزودة بجهاز يحدد وقت انفجارها ، فاذا
حضر الوقت المحدد انفجرت من تلقاء نفسها .

(24) التجميد :
او : التجميد
Freezing (E.)
Congélation (F.)

يطلق اللفظ على وضع الاطعمة او نحوها في
الثلاجة ، وهي في درجة تنزل تحت الصفر
المئوي بحيث يتحول كل ماء الى ثلج .

(25) الموقد المسطح :
Réchaud au butane (F.)

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وليس
فيه فرن ، ويوضع على منضدة .

(26) موقد الفرن :
Kitchener or stove (E.)
Cuisinière fourneau au butane

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وفيه
فرن ، ومنه ما يشتمل على مكان للشواء .

(27) بادئ الاشارة :
ستارتر :
Starter (E.)
Commutateur (F.)

اداة تتخذ في المصابيح المشعة (لمبات الفلورسنت)
لتشغيلها عند اضاءتها .

(28) الهونيون :
Les mitigés

تعبير اطلقه رئيس الحكومة المصرية في مجلس
الامة في منتصف ديسمبر سنة 1970 على طائفة
الذين يؤثرون التريث والبطء والتدرج في تطوير
النظم والاوزاع ، وقال ان الانقياد للهونييين
معناه وقف سرعة الزمن الذي فاقت فيه سرعة
الطيران سرعة الصوت .

والكلمة وردت على لسان رئيس الحكومة
بصفة الجمع ، ومفردتها الهوني نسبة الى
الهوني بالالف المقصورة ، ومعناها : التمهّل
والاناة والرفق .

(29) المبادرة او المبادرة :
Initiative (E.), (F.)

امكن صنع عدسة تضي عن عمل نظارتين ، فهي
تلون نفسها تلقائيا لتكون شمسية او غير
شمسية . والكلمة ذات مقطعين : الاول : (color)
بمعنى اللون ، والآخر : (matic) بمعنى
الحركي ، او التلقائي .

(20) اسطوانة طويلة المدى :
Long play record (E.)
Disque microsillon (F.)

او : قرص طويل المدى (في فن التسجيل الصوتي):
نوع من الاسطوانات او الاقراص اعد بحيث
يستوعب تسجيلات طويلة في حيز قصير .

(21) الثوب السابغ :
Maxi

او : الثوب الكاسي (في مبتكرات الازياء للسيدات):
المصطلح مقتطع من كلمة (maximum) بمعنى
الحد الاعلى ، ويراد به ثوب سابغ او كامل يغطي
ما تحت الركبة . وهو يقابل : (mini) بمعنى
الحد الادنى وقد سميته : الثوب الحاسر .

(22) موهيري :
Mohaire (E.)
Moiré - moir (F.)

(في المنسوجات) :
نسج من وبر معزاة انقرة الحريري الطويل .
وقد سماه العرب : المخير ، ونقل الى الانجليزية
باسم : (mohair) والى الفرنسية القديمة
باسم : (mocar) وقد ذكرت المعجمات
الباحثة في اصول الكلمات ان كلمة (الموهير) او
(الموار) من اصل عربي ، هو : المخير .

(23) التبريد :
او : التثليج :
Refrigeration (E.)
Réfrigération (F.)

يطلق اللفظ على وضع الاطعمة او نحوها في
الثلاجة ، وهي في درجة تنزل تحت الصفر قليلا ،
او تكون فوقه قليلا ، بحيث تبقى الاشياء باردة
مثلوجة ، ولكن ماءها لا يستحيل لثجا .

(34) الشراية - الشراية او الشراية او العنبة :
Gland (F.)
Tassel (E.)

حلية من نسيج على هيئة زوائد تتدلى من بعض الاشياء ، كالمساييح وكالاجراج ، ومنه العنبل : هو مثل شراية الخرج ، اي ليس له كبير جدوى .

(35) الشريط المتحرك :
Tapis roulant (F.)

جهاز على هيئة شريط تحركه قوة كهربية ، وعلى الشريط تحمل الاشياء والامتعة ، او يقف الناس ، فينتقل الشريط بما يحمل من مكان الى مكان ، والجهاز يستخدم فى المطارات والانفاق ونحوها .

(36) الكتيم او الخنيس :
Cachottier (F.)

تطلق الكلمة على الرجل يخفي ما بنفسه فى خبث ، وفى لغتنا الدارجة : تقول فى وصف مثل ذلك الرجل : الخنيس على وزن قديس ، وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة فى « التاج » بمعنى المراوغ المحتال ، وفى اللغة : خنس الشيء عنك : ستره . ويمكن ان تقول ايضا : الكتيم على وزن عليم ، وهى من الصيغ المسموعة فى مادة « كتم » .

(37) الغزل او المتلطف او المتظرف او الدمث :
Galant (F.)
Gallant (E.)

وصف للرجل الذي يحسن التودد والكياسة فى معاملة النساء على وجه الخصوص واهم مميزاته الرقة واللين وعذوبة الحديث .

(38) التحبب او التلطف او التظرف او الدماثة او الملاطفة :

Galanterie (F.)
Gallantry

الاتصاف بالكياسة والرقة فى معاملة النساء ومحادثتهن على وجه الخصوص .

(39) المناورة فى الحرب والسياسة (معربة) :
Manoeuvre (F.)
Manoeuvre (E.)

استعملت لفظة « المبادرة » فى الدلالة على معنى اللفظة الاجنبية ، ثم شاعت فى الصحف وعلى السنة الزعماء والقادة عبارة :

(Initiative de paix) (Peace initiative)

وترجمت فى العربية بعبارة « مبادرة السلام » ، فاستعملت لفظة « المبادرة » لا المبادرة ، واللفظتان متقاربتان فى الدلالة على اية حال .

(30) تعلم الحرف (فى مدارس التعليم العام) :
بريكـولاج :

Bricolage (F.)

نظام يقوم على ادخال تعليم الحرف المتنوعة فى مدارس التعليم العام ، وقد اتبع هذا النظام لكي يكتسب المثقف العادي معرفة بالحرف تعينه فى مجرى الحياة كاصلاح كهرباء المنزل ، او اجهزة السيارة ، مما لا غنية عنه .

(31) الاشارات الضوئية التوافقية (فى نظام المرور) :
Signalisations
électriques-coordonnées (F.)

تدبير الاشارات الضوئية ذات الموجة الخضراء ، بملاحظة الملاءمة بينها وبين سرعة المركبات على مد الطريق ، بحيث تفتح تلك الاشارات للمركبات فى سيرها على سرعة معينة نسبيا ، ويمكن التحكم فى عمل هذه الاشارات من مركز واحد لعمليات المرور .

(32) فرتيوز - الفائق البراعة او الصناع (فى الفنون الجميلة) :

Virtuose (F.)
Virtuoso (E.)

وصف لمن بلغ فى الفن عامة ، والعزف الموسيقى خاصة ، منزلة اثبت بها براعة ذات تفوق وامتياز .

(33) مطعم « اخدم نفسك » او مطعم الاختدام :
Self-service (E.)

(وكذلك فى المشارب والاسواق المركزية ونحوها) اتبعت فى بعض المطاعم والمشارب والاسواق المركزية ونحوها طريقة « اخدم نفسك » حيث لا يعول الزبون او العميل على من يخدمه من العمال ، وفى اللغة : اخدم الرجل خدم نفسه .

عما يتمتع به المرء من الزعماء والقادة من جاذبية شخصية تؤلف حوله القلوب ، وتجمع الأهواء .

(43) كاريكاتير - الرسم الساخر أو الرسم الهزلي
أو الرسم الفكاهي :
Caricature (F.), (E.)

اسلفنا لهذا اللفظ كلمة « الرسم الساخر » .
ولكن السخرية لا تصلح وصفا لهذا الرسم اذا
اتصل بشخصية لها مقامها أو موقف له جلاله .
وربما كان وصف الرسم بأنه هازل أو فكاهي يدفع
مثل ذلك الحرج في الاستعمال .

(44) الهويس - الحوز :

Canal-lock (E.)
Ecluse (F.)

اللفظ يدل على مكان يخصص على الأنهر أو الترعة
ونحوها لحجز المراكب ريثما تنتقل من جهة مائية
الى أخرى مرتفعة أو منخفضة بحسب مستوى
الماء في كلتا الجهتين . وقد شاعت في لغة
الناس كلمة : « الهويس » وليس لها أصل
معروف ، وقد وضعت بعض المعجمات العصرية
في مقابلها كلمة « الحوز » فهل « الهويس »
العامية محرفة عن « الحوز » العربية ؟
أما معنى الحوز في الفصحى فهو المكان
المحدد المقامة عليه الحواجز . وهذا المعنى
ينطبق على مدلول « الهويس » .

(45) العوامة - عوامة النجاة أو طوق النجاة :

Bouée de sauvetage (F.)
Buoy (E.)

عجلة من المطاط أو نحوه تتخذ في السفن لكي
يستعين بها ركبها ، على النجاة عند خشيعة
الفرق ، وتستعمل أيضا لتعليم السباحة أو
لمارسها على الشواطئ .

جرى استعمال هذا اللفظ في معنى حقيقي
يتصل بالحرب ، وهو تدريب تمثيلي لموقعه أو
عمل حربي ، ثم استعمل اللفظ في السياسة
لمعنى مجازي هو الخدعة والحيلة ، والظهور
بما لا حقيقة وراءه في الأعمال والأقوال ، لغرض
المخادعة . وقد ذكر المعجم الوسيط أن المناورة
مولدة بمعنى المخادعة وبمعنى التدريب والتمثيل
الجيشي ، والواضح أنها معربة لا مولدة .

(40) الصنج :

Gong (F.), (E.)

قرص معدني يقرع تنبيها الى بدء العمل ، أو
الدعوة الى الطعام .

(41) الأوبريت - المفناة أو الفنائية (في المسرحيات) :

Operette (F.)
Operetta (E.)

اسلفنا لكلمة (الأوبريت) مقابلا عربيا هو :
الفنائية ، أي المسرحية الفنائية . وقد طاب
لبعض الكتاب والمؤلفين استعمال كلمة (المفناة)
بوزن اسم المفعول ، أي المسرحية التي تغنى .
ونحن نؤثر أن تكون الكلمة (المفناة) على وزن
(المفعلة) لأنها تلائم في وزنها جملة من
المصطلحات الفنية لأنواع الروايات المسرحية ،
وهي المسلاة والمأساة والملهاة والمشجاة
والمفزعة ، وقد أقر المجمع وزن المفعلة ، لما
يكثر فيه الشيء .

(42) موهبة الجاذبية الشخصية :

Charisma (F.), (E.)

اللفظ الأجنبي يرجع مدلوله الى معنى ديني ،
فهو يدل على موهبة لدية ، أي منحة يهبها روح
القدس للشخص ، وقد استخدم اللفظ للاعتراف

آكلة اللحم

الأستاذة عبد الله شكون

عمر الخشاب ، وطبعة المطبعة العثمانية لصاحبها عثمان عبد الرزاق بمصر أيضا ، فاذا النص فيهما معا بدون يمين هكذا : « ليضربن أحدكم أخاه » .

ورجعت الى الفائق في غريب الحديث للزمخشري فاذا به يقول : « عمر رضي الله عنه : الله ليضربن أحدكم أخاه » بهمزة قطع في اوله ليس غير ، والى مجمع بحار الأنوار للشيخ ظاهر الهندي فوجدته ينقل عن النهاية والنص فيه كما هو فيها بدون يمين .

ثم رجعت الى لسان العرب فوجدت النص فيه كما جاء في المعجم الكبير بلفظ « والله ليضربن أحدكم أخاه » .

ورجعت الى التاج فوجدت النص فيه بلفظ « والله ليضربن أحدكم أخاه » بهمزة الاستفهام اوله .

وازاء هذا الاختلاف في نص الشاهد أخذت أبحث عن تخريجه ومطابق ذكره في ترجمة عمر لدى المؤرخين من ابن سعد وابن الأثير وابن كثير والمحجب الطبري وسواهم . وفي كتب الحديث كمسند الامام أحمد وفي كتب الفقه الأمهات على اختلاف المذاهب فلم أظفر به في أي مرجع من هذه المراجع بهذا اللفظ . . . نعم وجدت معناه في كثير منها ، وأقرب لفظ له وقفت عليه ، وهو مما ذكر فيه تعبير « آكلة اللحم » ، ما جاء في المحلى لابن حزم من رواية أبي بكر بن أبي شيبة بسنده الى عمر قال : « يعمد أحدكم الى أخيه

ورد علينا من فضيلة الاستاذ الكبير عبد الله شكون بحث قيم حول (نص شاهد من كلام عمر) جاء فيه:

عرض علينا في العام الماضي قسم من المعجم الكبير الذي يضطلع به المجمع ، وكان مما فيه حرف الهمزة مع الكاف وما تثلثهما . وقد جاء في هذا الحرف ذكر آكلة اللحم بمعنى السكين والاستشهاد عليه بقول عمر بن الخطاب (ض) نقلا عن النهاية لابن الأثير : « والله ليضربن أحدكم أخاه بمثل آكلة اللحم ثم يرى اني لا أقيده ، والله لا قيده منه » . واذا كان محل الشاهد لا غبار عليه فاني قد استشكلت اول النص ، وهو هذا القسم من عمر ، بصيغة الحنث ، على أنهم يفعلون ذلك ويعتقدون أنه لا يواخذهم به ، فقلت كيف يحلف عمر على أمرين كلاهما غيب ورهن بالمستقبل ، وذلك بصيغة الحنث التي لا يبرأ الحالف فيها حتى يفعل المحلوف عليه :

البر لا فعلت ان فعلت

لا فعلن ان لم افعل حنث

وهذا فيما يتعلق به هو فكيف بغيره ؟

وقد كنت أبدت هذه الملاحظة في احدي جلسات المؤتمر السابق ولكنها لم تثبت في المحضر لأنها اعتبرت ملاحظة جانبية على هامش الموضوع .

واهتمت بالامر فراجعت المادة في نسختين من النهاية هما طبعة المطبعة الخيرية بمصر لصاحبها

فيضرب به بمثل آكلة اللحم ، لا أوتي برجل فعل ذلك
فقتل الا أفدته به « (1) .

وعلى هذا لم يبق لي الا النظر في الروايات التي
بين يدي والترجيح بينها . وقد ظهر لي أن رواية
اللسان فيها تصحيف ، وهذا التصحيف هو الذي
يؤدي الى المحذور الذي ذكرته من حلف عمر على ما لم
يكن كأنه كان ومنافاته للعقل والمنطق ولما عرف به
عمر من التقوى والتحرج من الإنم .

بقيت رواية الفائق ، « أله ليضربن » وهي صيغة
قسم أيضا حذفت منه الواو وعوضت بقطع الهمزة من
اسم الجلالة على ما في المفصل للزمخشري ، ولفظه
نصب اذا لم تعتبر العوض ويجوز جره لقيام العوض
مقام المعوض عنه ، قال في المشارق (2) . « وحكى
أبو عبيد عن الكسائي :

كل يمين ليس فيها واو فهي نصب ، الا في
قولهم : ءالله لاينك ، فانه خفض - يريد ولا حرف
قسم - وذلك أن القسم عندهم فيه معنى الفعل ، اي
أقسم واحلف بالله أو والله ، فاذا حذف حرف القسم
عمل الفعل عمله فنصب مفعوله » .

(1) المحلى ، ج 10 ، ص 387 .

(2) ج 2 ، ص 353 ، ولينظر أيضا الجمل للزجاجي ط . الجزائر ، ص 84 .

والى هذا المعنى أشار ابن بونة في الاحمرار :

والله جره جوازا ان حذف

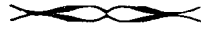
فعل وخافض وعوض الف

او ها او احكمن بأنه قطع

همزته ودونها جر سمع

وعلى كل فما يلزم على رواية اللسان يلزم على
هذه الرواية وأرى انها محرفة من الرواية الثالثة التي
عند صاحب التاج .

ورواية صاحب التاج كما رأينا هي ءالله بهمزة
الاستفهام ، وهذه الرواية يصح فيها الضم على حد
حديث ضمام (ءالله أمرك بهذا) ، ويصح فيها الجر
على ما في الجمل للزجاجي حيث قال في باب القسم
وحروفه : « وربما جعلوا الف الاستفهام عوضا من
الخافض فخفضوا بها فقالوا الله ليخرجن » ، وبكلا
الوجهين فان الاستفهام هنا منوي ومقصود حتى لو
حذفت أدواته ، لانه تقرير وانكار ، ولا يخرج نص
الشاهد من التبعة التي ذكرناها ويجمله في تحلة من
تلك اليمين الا هو ... فالرواية التي جاءت عليه هي
الصحيحة اذن وغيرها محرف منه والله اعلم .



أَخْطَاءُ لُغَوِيَّةٍ

الأستاذ عبدالحق فاضل

عندما قرأت في العدد الفارط من « اللسان العربي » (ج 3) المقال المعنون « قل ولا تقل » الذي يستعرض بعض الأخطاء اللغوية الشائعة ويدعو القراء إلى المساهمة في الموضوع شعرت بالأسف لعجزني عن جمع شتات القصاصات والجزارات ومختلف الأوراق التي كنت أدون فيها منذ سنوات عدة ما يعترضني أو يعن لي من تلك الأغلط .

لكنني رأيت ان اعتمد على الذاكرة فأخذت أدون على الورقة ما يخطر لي من الأغلط الشائعة فجعلت تنثال على ذهني ، حتى اجتمع لي منها على البديهة طائفة صالحة . ثم خطر لي أن أستعين بما أقرأ كل يوم في الصحف وأسمع كل يوم و ليلة في الإذاعات ، فإذا جمهرة كبيرة من الأغلط اللغوية مما انحدر إلينا من الجيل الماضي وما ابتكره الجيل الحاضر - تحتشدا مامي في بضعة أيام . فبعد أن كنت اتقصى الأغلط واتصيدها صرت لغزارتها أتخير منها ما يصلح أن يكون مثالا لغيره وأبذ الباقي دفعا للاطالة والاسنام . والواقع ان الكثير من اللغويين قد كتبوا في شأن هذه الأغلط حتى لا يكاد المرء يستطيع أن يأتي منها بجديد لم يسبق ان نبه عليه سواه ، وحتى أصبحت الكتابة في الموضوع من المكرور المعاد ، ما يجعل أداء هذا الواجب أشبه بفرض الكفاية لا حرج على من أسقطه عن نفسه لكثرة من قاموا وما زالوا يقومون وسيظلون يقومون بأدائه . وما كنت لاتصدى له لولا ان لي موقفي الخاص من بعض هذه الأغلط .

الأخطاء السماعية

بحاجة إلى معلمين . وقد يكون المرء هو الذي لقن نفسه خطأ النطق حين يخطئ الاجتهاد في قراءة ما يعرض له في كتبنا وصحفنا هذه غير المشكولة ، من قبيل : مائة ، على أهبة الرحيل ، صبارة البرد ، حمارة القبط ، يشفى ، ارتج عليه ، مغمى عليه ...

وتكتشف الخطأ أحيانا بعد امد متطول فنتعلم وجه الصواب فيه لكن لساننا يسقنا إلى النطق الخاطيء الذي اعتاده واستمره . والأغلب اننا عندما نكتشف الخطأ نستهجرن الصواب ونستثقله ونتعجب منه ، ونرى ان الخطأ الذي الفناه وجرينا عليه هو السائغ المقبول ، ونظل على ذلك حتى يعتاد لساننا الصواب

واقصد بها الأخطاء التي لا نشعر بها حين نقرأها بل حين نسمعها ، لان عدم شكل الكلمات - بحركات الفتح والضم والكسر والسكون - يجعل كلامي المصيب والمخطيء يقرأها على طريقته .

والظاهر انه لا يمكن ان يسلم احد في جيلنا من خطأ في نطق بعض الألفاظ ، لانه ما من احد قد تعلم كل الفاظه من المعجم . حتى المعاجم لا تخلو من خطأ لغوي او مطبعي . وقد طفقت أنطق (الظرف في الأنف) بفتح راء الظرف زمنا طويلا لاني كنت أيام الدرس قد قرأتها كذلك في احدى طبعات « فقه اللغة » للشمالي . والكثير بل الأكثر من الفاظنا الخاطئة قد لقننا آياها معلمو الابتدائيات والثانويات ، لانهم كانوا انفسهم

الجديد علينا وبالفه بعد أن يجري عليه أمدا . وفيما يلي نماذج من الأخطاء السماعية الرائجة .

البخـور :

ينطقونه بضم الباء والصواب فتحها . ومثل ذلك يقال في السفوف والنشوق أي ما يسف أو ينشق من دواء أو نحوه ، وكذلك الفطور والسحور . والسوريون ينطقون البخور في الدارجة بفتح الباء لكن بتشديد الخاء ، وهو خلاف النطق المعجمي أيضا .

يعني بالشيء :

إذا نطقت (يعني) بصيغة الملووية أي بفتح الياء وكسر النون كان المعنى (يقصد) . أما إذا أريد الاعتناء والعناية فينطق بصيغة المجهولية أي بضم الياء وفتح النون . فيقال : عني بالشيء ويعنى به وهو معنى به (بتشديد ياء معنى) . وماتى ذلك من قولك عناني أمره فإنا معنى به .

يشفى :

ينطقونها بفتح الياء والفاء بمعنى يتعافى ، والصواب نطقها بصيغة المجهول أي بضم الياء وفتح الفاء . أما بصيغة المعلوم - أي بكسر الفاء - فيكون الفعل متعديا ، فيقال إن الدواء يشفي المريض .

الجيل :

كثيرا ما أسمعاها من بعض المذيعين بفتح الجيم ، والصواب كسره .

حريق مهول :

بعض المذيعين ينطقون (مهول) على وزن (محسن) كأنه اسم فاعل لفعل (أهول) الذي لا وجود له في العربية . وما أكثر ما نقرأ (الحريق المهول) في الصحف السيارة كذلك ، ولا شك أن قراءها وكتابتها ينطقون الكلمة على وزن (محسن) أيضا .

والصواب : (حريق هائل) أي مخيف ، حيث يقال (هالتي الأمر) فهو هائل ، ولا يقال (اهالتي) أو (اهولني) .

وبعض عرب الشرق الأوسط يقولون كذلك (حريق مهول) لكنهم ينطقونها على وزن عدول ، بصيغة اسم المفعول ، وهو خطأ أيضا لأن (المهول) هو (المخاف) أي الذي هاله الحريق .

مائة :

أي عشر عشرات . ينطقونها (مائة) وصوابها (مئة) . وسبب الخطأ في نطقها هو هذا الخطأ التقليدي في كتابتها .

الخطبة :

بمعنى طلب الرجل الفتاة للزواج . يقرؤها الأكثرون بضم الخاء والصواب كسرها . أما الخطبة بالضم فتعني الخطابة أو الخطاب للذين يفوه بهما الخطيب . و (الخطابة) أيضا ينطقونها بكسر الخاء ، والصواب فتحها .

القمة :

ينطقونها بضم القاف والصواب كسره أيضا . لكن (القلة) بنفس المعنى هي التي ينطق قافها بالضم .

المنطقة :

ينطقونها بفتح الميم ، وصوابها الكسر .

المعرض :

ينطقونها بفتح الراء ، والصواب كسرها .

يشع :

ينطقون هذا الفعل بالضم ، وصوابه الكسر .

يصح :

ينطقونه بالضم ، وصوابه الكسر أيضا .

ينطق :

ولنتناول فعل النطق هذا نفسه ، فالأكثرين ينطقونه بضم الطاء والصواب كسرها .

ان النسخة - بالفتح - تعني المرة الواحدة من فصل
نسخ .

حمارة وصبارة :

كنت انطقهما كما سمعتهما من بعض المعلمين وكما
لا يزال ينطقها الكثيرون بضم أولهما مع تشديد الميم
والباء . ثم اخذني العجب حين تعلمت أن الصواب
نطقهما بفتح أولهما وتخفيف الميم والراء وتشديد الراء
فيهما . وما زلت أرى أن هذا الصواب ثقيل على الطبع
غريب الاشتقاق . ومنذ عرفت وجه الصواب في هاتين
الكلمتين تخلصت منهما بترك استعمالهما ، لكنني
مضطر الى نطقهما كما يريد المعجم حين اصادفهما في
قراءاتي .

نجوا :

سمعت المذيع أمس يقول (الذين نجوا من الغرق)
بضم جيم (نجوا) والصواب فتحه . ومثل ذلك :
جروا وجفوا وراوا ويكوا ومشوا وقضوا وأتوا .. وكل
ما كان ماضيه على وزن سما وجلا ورمى ومضى . لكن
صيغة المضارع هي التي تنطق بالضم : ينجون ويجنون
ويمشون .. .

بقوا :

هذه ينطقونها على العكس بفتح القاف والصواب
ضمه ، ومثل ذلك : رضوا وخشوا وفتوا .. وكل ما
كان ماضيه على وزن رضي وخفي وغشي وبلبي ..
ويكون مضارعها هو المفتوح (على عكس الحالة السابقة):
يقون ، يخشون ، يرضون ، يحيون .

ولدينا فعل ذو حدين في هذا الباب هو فعل :
هوى يهوى . فاذا كان الماضي (هوى) بمعنى وقع
فهو على وزن رمى ويقال عندئذ انهم هؤوا يهؤون على
وزن رموا يرمون ، واذا كان (هوى) على وزن رضي
بمعنى عشق فيقال انهم هؤوا يهؤون على وزن رضوا
يرضون .

لكن هذه القاعدة المتعاكسة مربكة للمبتدئين
كالكثير غيرها من القواعد ، والاعتماد على التعليم
والحفظ فيها لا يجدي ، وانما الاعتماد عند الذين
يحسنون نطق هذه الأفعال وامثالها ، على السليقة ،
فما منا أحد يفكر في ماضي نجوا وبقوا حين ينطقهما .

معجب بنفسه :

ينطقونها بكسر جيم (معجب) والصواب فتحه .
اما الشيء المعجب ، بالكسر ، فهو الذي يعجبك .
هو المعجب (بالكسر) وانت المعجب به (بالفتح) .
ومثل ذلك أولع به فهو مولع ، وأغرم به فهو مفرم ،
وفتن به فهو مفتون .. فكلها بصيغة الجهولية .

افرخ روعه :

يقروونها بفتح راء (روعه) والصواب ضمها .
وأشهد أن الخطأ هنا أقرب الى المنطق ، ولا سيما أن
الروح - بالضم - ومعناه سواد القلب أو موضع الفزع
منه - لم يعد يستعمله أحد ، فهو كلمة أشبه بالمائة ،
بينما الروح - بالفتح - ومعناه الفزع - هو الكلمة
المستعملة الجارية على الألسن . وما أحسب هذا الخطأ
الا سيمع مهما بذل المصححون من جهد في مكافحته .

بطيخ :

صوابها بكسر أولها لا بفتحها . ومثلها سكير
وعرييد وازميل وغطريس ونحرير ومسكين . كلها
مكسور أولها .

ارتج عليه في الكلام :

يقروون (ارتج) بتشديد الجيم اي بصيغة المعلوم
ظنا أنها من الارتجاج . والصواب نطقها بصيغة المجهول
اي بضم الهزة وكسر التاء ، من الارتجاج ، بمعنى
استغلق عليه الكلام كأنما أوصد دونه بابه .

أغمي عليه :

صوابها أن تقرا بصيغة المجهول ، لكن بعضهم
يقرونها بصيغة المعلوم اي بفتح الهزة والميم . وعلى
هذا يكون الشخص (مغمى عليه) بصيغة المفعول .
ومثل ذلك يقال في (غشي عليه) فهو مغمى عليه .

النسخة :

الورقة المنسوخة او المنسوخ عنها . صوابها
بضم النون لكن بعضهم صار ينطقها بفتحها . على حين

العلاقة :

ينطقها بعضهم بفتح العين وبعضهم بكسرها دون تمييز بين معنيها المادي والمعنوي ، فهي تقرأ بالكسر اذا كانت العلاقة مادية ، وبالفتح اذا كانت معنوية . لكني لا اظن احدا يتقيد بذلك فى نطقه او يتوقف قليلا للتفكير بين الحالتين ، فالأغلب ان ينطقها حتى الاديب اللغوي المتفطن كما يجري بها لسانه على ما لوف عادته من فتح أو كسر .

الضعف :

كثيرا ما قيل لنا أيام المدرسة ان الضعف ينطق بضم الصاد اذا كان ماديا ويفتحه اذا كان معنويا . فلما رجعنا الى المعجم وجدنا ان كلتا الحالتين سواء .

العالي ، الباقي ، الجاري :

بعض المذيعين ينطقونها بتشديد الباء بلا ضرورة، والصواب ان الباء هنا خفيفة وساكنة . ومثل ذلك قولهم : القاضي والمحامي والتربية والضربة القاضية، بالتشديد ويظهر انها طراز نطقي جديد اخذ بعض المذيعين يقبلون عليه . وفى بعض الاحيان لا يقتصر الأمر على مخالفة قواعد النحو بل يتعداه الى تغيير المعنى ايضا . فالعادي بالتخفيف هو الراكض أو المعتدي أو الاعتيادي ، وبالتشديد : الشيء المنسوب الى عاد ، ومن ذلك العاديات : الآثار القديمة . والسامي بالتخفيف : الرفيع ، وبالتشديد : المنسوب الى سام . فاذا قلنا : انها سامية الاخلاق بالتشديد تكون قد نسبناها الى الساميين وهو غير المقصود . كذلك (الحالية) بالتخفيف : التحلية ، وبالتشديد : المنسوبة الى الحال الحاضرة . . وهكذا .

المدرج والمدرج :

هنا ايضا يتغير المعنى بتخفيف الراء او تشديدها . فالمدرج بالتخفيف - زنة الملعب - اصطلاح مستحدث يقصد به الدرب اي السكة التى تدرج اي تسير عليها الطائرة قبل الاقلاع وبعد الحط . واما (المدرج) بالتشديد - زنة المضلع - فمصطلح مستحدث آخر يقصد به المكان المتحدر درجات بعضها أعلى من بعض ، وتطلق عادة على قاعة المحاضرات المدرجة او المسرح أو السينما ...

لهذا كان من المهم جدا شكل الكتب بالحركات على الحروف ولا سيما فى الكلمات التى يقع فيها الخطأ . اما الكتب المدرسية فيجب شكلها كلها بدون استثناء . وبذلك وحده نضمن للنائشة السليقة السوية التى تقود السنتهم الى الصواب دون ان يفكروا فيه او يحسوه .

تمالى :

نداء للانى . ينطقونها بكسر اللام ، والصواب فتحه . ومثلها (تمالوا) ينطقها الكثيرون بضم اللام والصواب فتحه ايضا .

مختلف الحالات :

ينطقها الاكثرون حتى من الادباء بفتح لام (مختلف) ، بصيغة المفعول ، والصواب كسره ، لان أصل التعبير هو (الحالات المختلفة) . فكما لا يجوز فتح اللام فى هذه لا يجوز فى تلك . وانما يفتح اللام فى مثل قولنا (الحالات المختلف فيها) .

منتظم :

كذلك ينطقونها بفتح الطاء ، وصوابها الكسر . شأنها شأن (مختلف) .

التجربة :

اكثرهم ينطقونها بضم الراء غلطا ، وندر من ينطقها بكسرها وهو الصواب ، على غرار تكمة وتوصية وتمبئة .

وفق الاصول :

ينطقون واو (وفق) بالكسر ، والصواب فتحه .

الخصر :

كنت اظن انها بضم الخاء . وعندما كنت اسمع بعض العرب ينطقونها بالفتح كنت احسب ذلك من تحريف الدارجات . ولشد ما تعجبت حين رجعت الى المعجم ذات مرة فاذا الضم هو الخطأ والفتح الصواب .

أخطاء سيئة

مترجمو القصص ، وبعضها من الروائع العالمية صاروا يحملون لواء اشاعة الأخطاء وفساد سلائق الناس . انهم وباء اللغة تجب مكافحتهم والا فعفاء على السليقة السليمة . ومن الغريب ان الكثير من اخطائهم يتكرر عند كل منهم كأنهم قد تعلموها على استاذ جاهل واحد في مدرسة ما . صحيح ان التطور اللغوي سائر في طريقه في كل لغة وكل زمان لكن بعض هذه الأخطاء لا يصلح ان يكون تطورا . انها أخطاء سيئة وحسب .

وإذا أضفنا اغلاط الجرائد والمجلات والاذاعات كانت لدينا عدة كاملة للقضاء على أي أمل في تكوين سليقة معافاة للناشئة ، بله تشويه السلائق السوية عند الكبار أيضا .

ومكافحة هذا البلاء لا يعني فيه التنبيه على الاغلاط في كتب ومطبوعات لا يقرأها المترجمون والكتاب الجهلة أصلا ، وانما يجب تأليف لجان في كل قطر عربي لتصحيح الكتب ولا سيما المترجمة منها ، والمطبوعات الدورية أيضا فهي لانتشارها أقدر على افساء طاعون الأخطاء اللغوية . وان تعذر ذلك وهو متمدر فعلا فيما يبدو فينبغي فرض غرامة مالية عن كل غلطة لغوية ، وذلك سيلجئ الناشرين الى استئجار من يقرأ لهم ويصحح قبل النشر وتوزيع الأخطاء على الناس بغير حساب .

الثلاثة رجال :

قلت مرة لأحدهم انها خطأ ، وصوابها : الثلاثة الرجال . فقال : ثقيلة . قلت هذي هي قواعد النحو . قال هذا نحو جوامع ! قلت وهل هناك نحو كباريات ؟

من حقه ان يقول انها ثقيلة لان الخطأ فيها شائع الفته الأذان وجرت به الألسنة حتى لتستثقل ما عدها . ولكي نوضح حقيقة الأمر فيها للقارئ نقول ان قوله (الثلاثة الرجال) يساوي تماما قوله (الرجال الثلاثة) ، فلا ينبغي ان يكون تأخير الرجال سببا لاسقاط علامة التعريف عنها . فاذا استثقل تلك فليقل هذه ، لكن لا يقل : الثلاثة رجال .

3000 كتابا و 50 رجل :

قال احد الأجانب : سأسافر غدا من البغداد الى موصل ، فقال له السامع العراقي : من فضلك خذ

معك ال ! (اي خذ أداة التعريف من بغداد والحقها بالموصل) . فعلى هذا نقول لمن كتب قبل بضعة أيام في الجريدة (3000 كتابا و 50 رجل) : من فضلك خذ علامة النصب من كتابا والحقها برجل ليكون التعبير الصحيح : 3000 كتاب و 50 رجلا . والحقبة أن حالات العدد والمعدود في العربية من الكثرة والتنوع بحيث يصعب تعلمها بالحفظ مثل دساتير الجبر والثلاث ، وانما مرجعها السليقة المتأية من كثرة سماع الصواب وقراءته . وطريق ذلك كما قلنا ان تشكل الكتب ولا سيما المدرسية منها ، وان تبذل عناية خاصة في الاذاعات بتلاوة النثر والشعر الذي يسيء بعض المذيعين والمذيعات قراءته فيشوهون وزنه وأحيانا يقلبون معناه أيضا .

من على المنابر :

عجيب ان تظل هذه الغلطة حية ترزق بالرغم من وضوحها وكثرة تنبيه اللغويين قراءهم اليها . والصواب : من فوق المنابر ، لان حرف الجر لا يدخل الا على الاسم ، ولا يدخل على حرف جر آخر . لكني وجدت تعبير (من على) يرد حتى في ترجمات شكسبير ، وحتى على أقلام بعض الكتاب المشهورين .

لو ، اذا :

صاروا يستعملون كلا منهما بمعنى الأخرى . وبعضهم ولا سيما من مترجمي القصص الأجنبية يلتزم بذلك كأنها قاعدة لا محيد عنها . ذلك مثل قول أحدهم : لو رأيتها غدا فقل لها انني أكرهها . والصواب : اذا رأيتها ... وقول آخر : اذا عرفت ما في ضميري لتأكدت انني اصدق اصداقك . والصواب هنا : لو عرفت . وقد قرانا أخيرا لكاتب معروف : اذا نظرنا الى الخميرة .. لوجدنا انها قائمة بنفسها . والصواب : لو نظرنا .. أو : اذا نظرنا .. وجدنا ..

الأهرامات :

صوابها : الأهرام ، ومفردها : الهرم . كثر هذا الخطأ وشاع حتى اننا قرانا صيغة (الأهرامات) في جريدة « الأهرام » غير مرة .

الرسومات :

بمعنى الصور أو الضرائب . لا ضرورة لصيغة جمع الجمع هذه . فالصواب : الرسوم .

الشييق :

الذي اعشناه ، بينما المقصود : الذي عشناه . ومثل ذلك قولهم المزاد والشاد والشان والمسان والمقاسن والمكال والمصاد والمقاد والملام ...
فصاوبها : المزيد والمشيد والمشين والمصون والمقيس والمكيل والمصيد والمقود والملوم ...
اي تبعا لصيغة مضارع الفعل ، لا ماضيه .

مزقه اربا :

الارب العضو . فقولك (مزقه اربا) خطأ مثل قولك (مزقه عضوا) . والصواب : مزقه اربا اربا ، اي قطع اشلاءه عضوا عضوا .

الأثاث :

بعضهم يؤنث الكلمة فيقول : كانت الأثاث ...
ظنا منهم انها جمع . والصواب أن الأثاث مفرد ومذكر .
هذا عدا أن بعضهم يكتبها أساس البيت وتأسيس الشقة ، كما قرانا أخيرا في إحدى المجلات . وهذه الغلطة النطقية مصدرها أن بعض العرب كما في مضر وسورية ينطقون الثاء سينا في الدارجة فيظن ضعفاء الكتاب انها النطق الفصح . وقد رأينا ذات مرة بطاقة لأحد الدبلوماسيين ورد اسمه فيها بالعريية : محمد ثابت ، وبالانكليزية : M. Sabet .

هي الباب :

صوابها : هو الباب . وكذلك يؤنث بعضهم الرأس والبطن ، والصواب أنهما مذكران .

بما في ذلك :

يقال نسيت امتعتي بما في ذلك تقودي . وهو خطأ ، والصواب : وفي ذلك تقودي ، أو : ومعهما تقودي ، أو : وبضمنها تقودي .. الخ . لأن القول (بما في ذلك تقودي) يساوي (بالذي فيها تقودي) وهو واضح الخطأ ، وصوابه : بما فيها من تقودي .

طالما :

كثر استعمالها بمعنى (ما دام) ، وهو خطأ كثير الشيوع خاصة على أفلام المترجمين . فان (طالما) تعني : كثيرا ما .

يستعملونها بمعنى المتع ، بينما معناها اللغوي بهذه الصيغة هو المشتاق والمشوق . أما المتع فصيغته الشائق . ويمكن أن يقال كذلك بهذا المعنى ، بالإضافة الى المتع : المعجب والشاغف .. والظلي ، إذا كان الموصوف صنيعا أدبيا .

استمرينا :

صوابها : استمررنا . ومثلها : استمددنا واستمددنا واستحمننا . على أن بعض القبائل كانت تقول في الجاهلية استمرينا واستمررنا واستحمننا . وقول ذلك من قبل معاصرنا في الدارجات ، وضعاف الكتاب في الفصحى ، ما هو الا اثاره متخلفة من ذلك النطق الجاهلي . لكن الغلبة في الفصحى صارت لفك الإدغام .

يعصاه :

صوابها : يعصيه ، فان فعل (عصى) مضارعه يعصي بالكسر ، مثل رمى يرمي ، ومشى يمشي ، واتى يأتي ..

مفجع :

لا يوجد في العربية فعل (افجع افجاعا) بل (فجع فجعاً) ، ومن ثم لا يقال مفجع بل فاجع . ومنه الفاجعة .

مريع :

كذلك لا يوجد فعل (اراعه اراعة) بل راعه روعا ، وروعه (بالتشديد) ترويعا . والفاعل من الاول رائع ومن الثاني مروع ، بكسر الواو وتشديدها . وقديما قالوا راعني وروعني بمعنى . لكن الرائع تخصص أخيرا بمعنى المعجب الفائق ، والمروع بمعنى المخيف .

الواقع المعاش :

كثر استعمال هذا التعبير أخيرا ، وصوابه : الواقع المعيش ، زنة المبيع والمدين . لأن المعاش هو

المظاهرة :

صوابها (التظاهرة) بالمعنى المقصود أي احتشاد الناس في مسيرة تأييد أو احتجاج . والتظاهرة : المرة من التظاهر وهو من معنى الظهور . اما (المظاهرة) فمن الظهر ومعناها المؤازرة من الأزر أي الظهر أيضا ، مثل المساعدة من الساعد والمعاضدة من العضد . وما أكثر من يقع في هذه الفلطة حتى من الكتاب ذوي الأسماء . بل أننا قلما نصادفها في صيغتها الصحيحة (تظاهرة) .

الرؤيا :

كثرت في كتابات المحدثين بمعنى الإبصار ، دون أن يدركوا أن (الرؤيا) تعني الحلم الذي يروونه في المنام ، وأنهم إنما يقصدون (الرؤية) .

دغم الشيء في الشيء :

الصواب (ادغمه ادغاما) لا : دغمه دغما .

دمج الشيء في الشيء :

الصواب كذلك (ادمجه ادماجا) ، لا : دمجه دمجا .

التسعيم :

هذه على العكس ، صوابها (الدعم) من فعل : دعم دعما . ومعنى دعمت الشيء : أسندته لئلا يعيل . فلا يقال : ادعمته ، ولا : دعمته ، بالتشديد .

الهامة والهام (بالتشديد) :

يستعملونها من معنى الأهمية ، والصواب : المهم والمهمة . اما الهام والهامة فمعناها : الغام والغامة (بتشديد الميم في كليهما) أي المحزن والمحزنة . أي (أهمني) صارت تعني آثار اهتمامي ، أما (همني) فتعني غمني وأحزني . وهي غلطة شائعة تجري بها أقلام أكثر الكتاب كبارهم والصغار ، لأن بعض اللغويين كانوا في هذا الباب قد صوبوا الخطأ وخطؤوا الصواب ، فشاعت قائلهم .

مما سبب كذا :

هذا الاستعمال يجوز إذا كان للأمر أكثر من سبب : مثل ارتفعت الأسعار مما ساعده على جمع ثروته . أي أن هناك سببا آخر أو أسبابا أخرى ساعدته على جمع ثروته . أما إذا كان السبب هو الوحيد فلا - مثلا : هطلت الأمطار ما أحدث السيول ، أو : انكسفت الشمس ما سبب الظلام في النهار ... فلا يقال في هذين المثالين (مما) .

أنهم يعرفوني :

وقرات كذلك في إحدى الصحف : يرجي من الإخوان الذين يرسلونا .. ومثل هذه الأغلاط يكثر في ترجمات شكسبير أيضا . والصواب : أنهم يعرفوني ، يرسلوننا ، يرونني ، يسمعونني . وإنما يحذف النون الأول في حالتي النصب والجزم ، مثل : لم يعرفوني ، ولن يسمعونني .

هات الكتاب :

كثيرون يقولون ذلك في خطاب الأثني ، يظنون أن الجزم يكون هنا بحذف الياء . والصواب (هاتي) . اما (هات) فتقال في خطاب المذكر وحسب .

لن يقيم :

ومثلها لن ينم ، ولن يستفق . وصوابها : لن ينام ولن يستفيق ولن يقوم .. فالنصب في مثل هذه الأفعال يكون بفتح آخرها . أما حذف حرف العلة منها فعلامه الجزم ، مثل : لم يقيم ولم يستفق ولم ينم . أي أنهم يستعملون (لن) بمثابة (لم) . وهذا الخلط بين النصب والجزم كثيرا ما نصادفه في الصحف والقصاص المترجمة ، وسببه ضعف السليقة مضافا إلى ضعف تعلم قواعد النحو .

لم تفتني ولم تقلني :

بدلا من لم تفتني ولم تقلني . الخطأ هنا في الجزم الذي يكون في مضارع المخاطبة بحذف النون فيحذفون معه حرف العلة ، قياسا على مضارع المخاطب : لم تفت ولم تقل . ويلاحظ أن الجزم والنصب هنا يستويان ، فتقول : لم تتردي ولن تتردي ،

المناخ هنا يوافقني أكثر :

تعبير عامي ، صوابه : أكثر موافقة لسي ، أو :
أوفسق لي .

كم هما جميلتان عيناك :

تعبير أحد المشاعرين قرأناه في إحدى الصحف ،
وهو نقل اعتباطي عن بعض اللغات الأجنبية التي يؤدي
بها معنى التفضيل على هذا النحو . في مثل هذا المقام
يكون الأيسر والأوجز والأغرب : ما أجمل عينيك ،
وأجمل بهما .

وهو من الأشخاص الأكثر تديرا :

عبارة أخرى قرأناها في صحيفة لكاتب قصصي ،
وهو تعبیر مترجم أيضا . ولا حاجة إلى التفصيل .
لكن إذا لم يكتب الكاتب المفضل بالقول : انه مسرف ،
أو متلاف ، أو مفرط التدير . . وأصر على صيغة
التفضيل ففي وسعه أن يقول : انه من أشد الناس
تديرا .

كان مثالا يحتذى به :

تعبير صادفناه مرات ، آخرها في قصة .
والصواب : كان مثالا يحتذى . أما إذا اشتى الكاتب
أن يستعمل (به) فليقل : يقتدى به .

وجدت باناه :

كثيرا ما يستعملون الباء بغير ضرورة في أمثال
قولهم ، رأيت بانه ، عرفت بانه ، ظننت بانه . والصواب :
وجدت انه ، رأيت انه . الخ . لكن تجوز الباء في :
أخبرني انه وبانه ، علمت انه وبانه ، سمعت انه وبانه .

الفيصر معروف :

غلظة ما أكثر شيوعها . وصوابها : غير المعروف .
كذلك : النصف شهري ، والفريق أول ، والضابط
صف ، وأسوأ منها : الصف ضابط ، إلى ما هنالك .
وصوابها : نصف الشهري ، والفريق الأول ، وضابط
الصف . .

ولم تعودني ولن تعودني . ومن حق التلاميذ في أمثال
هذه التعقيدات اللامنتظية أن يرتبكوا ويخلطوا ، فان
تعقيدات الرياضيات من جبر وهندسة مهما زادت
فهي منطوية سرعان ما تنحل ويغمرها الضوء بعد حسن
الروية والتفهم ، لكن تعقيدات قواعد اللغة ، الاعتباطية ،
يصعب جدا على التلاميذ في عصر السرعة والعلوم هذا
أن يستوعبها . أما القدامى فلم يكن تعليمهم مزدحما
بشئ العلوم كما هو اليوم من جهة وكانوا يتكلمون
الفصحى صوابا بالسليقة لأنها لغتهم الدارجة البيتية
من جهة أخرى .

لذلك فقد وافقت :

الصواب : لذلك وافقت . وما أكثر المواطن التي
يمكن فيها حذف (فقد) لتكون العبارة أقوم وأنق .

بالرغم من مرضه الا انه استيقظ مبكرا :

(الا انه) لا ضرورة لها . فاما ان يقال : انه
استيقظ مبكرا بالرغم من مرضه ، واما : بالرغم من
مرضه استيقظ مبكرا . ومن أصر على استعمال (الا
انه) ففي وسعه أن يقول : كان مريضا الا انه استيقظ
مبكرا .

ومثل ذلك قولهم : بالرغم من مرضه فقد استيقظ
.. والصواب حذف (فقد) .

مع انه صديقي الا انه تأمر صدي :

هذه العبارة أيضا صوابها حذف (الا انه) .

من الساعة الثانية وإلى الثالثة :

هذه غلظة اذاعية يكثر من تراددها متكلمو
الإذاعات العربية مع أن بعضهم حسن السليقة سليم
اللغة . والصواب حذف الواو من (والى) ، ففي
العربية يقال : ذهب من المكتب إلى البيت ، ولا يقال :
من المكتب إلى البيت . وبشاعة الواو هنا لا تقل عن
بشاعتها هناك . ولا ندرى من أية لغة جاءوا بهذه الغلظة
فهي ليست من التعابير المنقولة عشوائيا عن الفرنسية
أو الإنجليزية .

ذهبنا سويا :

صوابها : ذهبنا معا ، أو جميعا ، أو كلانا ، أو كلنا . لان السوي هو المعتدل المستقيم ، فلا يقال ذهبنا معتدلا ، أو تمثينا مستقيما .

يبقى الى ما لا نهاية :

لا يوجد في العربية تعبير (ما لا نهاية) . وإنما يقال : الى غير نهاية ، أو : ما لا نهاية له . ويجوز في الاستعمال الحديث : الى اللانهاية .

كلما كد واجتهد كلما زاد ربحه :

هذا تعبير آخر يستعمله حتى بعض ذوي الشهرة الآفاقية (التي طبقت الآفاق) من الأدباء . والصواب : حذف (كلما) الثانية .

أخطاء محتملة

توجد أخطاء كثيرة الشبوع أقل سوءا من هاته الأخطاء التي مرت بنا ، وربما يمكن التفاضل عنها لانها قياسية أو قريبة من القياسية أولا ، ولانها قد استفحل شبوعها فلم يعد بالامكان مقاومتها والقضاء عليها ثانيا .
منها ما يلي :

الميوعة :

مصدر مستحدث لا تعرفه المعاجم . والمصدر المعجمي هو الميع . لكن بعض الافعال الثلاثية له في العربية أكثر من مصدر ، مثل : فار فورا وفورانا وفؤورا ، ومثل : عدا عدوا وعدوانا وعدوا وتمعداء وعدا - وأرجع الى المعجم لتعرف كيف تنطق هذه المصادر الخمسة .

لهذا لا نرى بأسا أن يكون لفعل (ماع) مصدران وحسب ، أحدهما مستحدث . و (الميوعة) بعد مصدر قياسي مألوف في العربية من باب السهولة والعدوية والبطولة ...

الخصوبة :

الصواب المعجمي هو الخصب - زنة الرزق . والقول فيه كالقول في الميوعة .

النضوج :

مصدر مولد آخر . والمعجمي هو النضج - زنة النصر . ووزن النضوج في العربية هو : الوقوف والمكوث والرجوع . وشأنه شأن الخصوبة والميوعة .

الفشل :

معناه المأثور هو الضعف والتراخي والجبين عند حرب أو كرب . أما المعاصرون فصاروا يستعملونه بمعنى الاخفاق . والعلاقة بين المعنيين علاقة سبب ونتيجة ، فالفشل يؤدي الى الاخفاق . وانتقال المعنى وتطوره على هذا الفرار مألوف في جميع اللغات .

انخرط في البكاء :

الصواب : استخرط في البكاء . لكن فعل (استخرط) هذا لا نستعمله في أي تعبير آخر . وقد عم (انخرط) الذي يعد غلطا الى حد ان الصواب كاد ينقرض بازائه .

أضاف عليه :

المأثور عن العرب هو : أضاف اليه . أما المعنى المعجمي فقد اندثر أو كاد ، فان قولهم (أضاف على الشيء) كان يعني أشرف عليه ، و (أضفت الرجل على فلان) : أنزلته ضيفا عليه .

استند عليه :

صوابه : استند اليه ، كما يسندون عمودا الى جدار مثلا . لكن هذا التعبير صار يعني الارتكاز على الشيء أيضا كالاستناد بالمرفق الى المنضدة مثلا أي فوقها . والأصح في شأن المنضدة ونحوها ان نقول : اعتمدت عليها . لكن الاعتماد صار يعني الاتكال على شخص آخر ، أي الاعتماد المعنوي ، ونادر استعماله في معناه المادي لدى المحديثين . لهذا لا نرى بأسا بالقول المفلوط : (استندت على المنضدة) و (استندت الى الجدار) - ولو أننا شخصا نتجنب ذلك تزمتا .

وطيء على الشيء :

صوابها المعجمي : وطيء الشيء . لكن الاكثرين يكتبونها اليوم (وطيء عليه) ، فصارت اشيع من القولة الفصيحة . وقياسها قول العرب : ركب البعير وركب على البعير .

داس عليه :

هذه ايضا صوابها ان تحذف منها (على) لتكون: داسه .

تعود عليه :

ومثلها اعتاد عليه . والصواب المعجمي ان تحذف (على) فيقال : تعود الشيء واعتاده .

ثار عليه :

الصواب المعجمي : ثار به . لكننا اذا تذكرنا ان (على) تعني (ضد) في مثل قولهم (من لم يكن منا فهو علينا) نجد ان تعبير (ثار عليه) اوضح من (ثار به) في اداء المعنى المراد .

مرفيه :

يخطئون هذا التعبير ويصوبون قول المجنون : مررت على الديار ديار ليلي ، وقول شوقي : ولقد مررت على الرياض .

ولئن اجازوا مررت على الديار فهي لا منطقية ولا قياسية . ونرى انه يجوز قياسيا استعمال حروف جر اخرى حسب واقع المعنى فنقول : مرت الطائرة على بغداد ، اي فوقها .. ومر القطار من الجزائر ، اذا اجتازها من جهة وخرج من جهة .. ومرت الرصاصة في الرنة ، اذا اخترقتها .. ومررت بالديار ديار ليلي ، اذا اجتزتها دون ان تدخلها .. ومر الزورق تحت الجسر . وهذا هو الذي سوف يشيع على مر الاجيال . اما اتباع القاعدة باستعمال الباء و (على) في جميع هذه الحالات فيجمل المعنى هو المرور بجانب تلك الاشياء وحسب .

اخطاء مستحبة

ينبغي ان نتذكر ان اللغة في تطور دائم ، كما كانت ابدا منذ نشأتها الاولى ، وان تدوينها في المعجم

قد ساعد على ضبط ذلك التطور وتوجيهه لكنه لم يجمدها او يقف تطورها . ولنتذكر ان الكلمة الفصيحة قد مرت بعدة تطورات وتحريفات في المعنى والمبنى حتى وصلتنا كما هي الان . اي ان كل كلمة فصيحة قد كانت خطأ بالنسبة الى الكلمة التي نشأت منها . ولو قد دوت المعاجم قبل الاسلام بالف سنة لاعتبرت فصحاء عامية محرفة بالنسبة اليها ، مثل لغاتنا الدارجة بالنسبة الى الفصحى . وقد انجبت العربية من مستحدث الالفاظ والمصطلحات في العهد الاسلامي الشيء الكثير - في العلوم والآداب والاجتماع والعمران ، مما ينبيء ان حركة التطور سارت سيرها الطبيعي الحي ، وان المعاجم الجامعة لبعض الصيغ السماعية لا تمنعنا من اشتقاق صيغ اخرى قياسية ، بل تساعدنا عليه .

ان من فضائل المعجم العربي انه يورد من الكلمة صيغها المسموعة فقط ، لا جميع الصيغ التي يمكن اشتقاقها منها . لكن بعض المتشددين كانوا يحرمون اشتقاق صيغ اخرى مما يمكن استخراجها حسب قولهم الصراف ، وما زالت بقية من اولئك المتشددين يحاولون الوقوف في وجه التيار الذي لا يوقف في وجهه . فانه لمن العبث اجبار ابن عصر الصاروخ الهابط هونا على الزهرة الا يخرج عن حدود لغة راكب البعير السائر هونا في البيداء .

واذا سلمنا بحقيقة تطور اللغة تكون قد سلمنا ضمنا بان الفصحى يمكن ان تكون هي المخطئة . وما بعض الشواذ الا اخطاء جرت قديما على لسان بعضهم فتبعته أسرته او قبيلته ، ثم تسربت الى لغة قبائل اخرى ، ثم انحدرت اليها من العهد الجاهلي . والشواذ آفة تناب كل لغة . ومن اكثر اللغات شواذ الانكليزية حتى لقد فكروا جادين في الفاء كل الشواذ نطقا وكتابة ، واقامة ما سموه Basic English اي الانكليزية القاعدية ، او القياسية .

من هنا تبرز أهمية حقيقية اخرى ، هي ان تيار الاخطاء اللغوية في العربية سائر بوجه عام الى التقييس ، اي الفاء الشواذ ، اي تصحيح الاخطاء الجاهلية القدمى . وسلاحظ القارئ ان اكثر الاخطاء التالية ، التي نسميها مستحبة ، قياسية . اي ان ضعف الكتاب لجهلهم بالشواذ يقيسون ما لا يعلمون على ما يعلمون . وهذه الاخطاء المستحبة بالاضافة الى ذلك اقرب الى المنطق والى حاجتنا واقدر على البقاء والصمود من الصواب المتداعي المنهار الذي لم يعد بالامكان فرضه على الجيل .

الزوجة :

استعمل العرب كلمة (الزوج) للذكر والانثى ، لان كلا منهما زوج للآخر ، اي قرين . لكن بعضهم انشأ للانثى على قلة قديما . وقد احسن المحدثون بالتمسك بذلك فقال اكثرهم : الزوج للذكر والزوجة للانثى . فهي ليست خطأ اذن ، لكن المتشددين يعدون التذكير في الحاليين افسح .

الخادمة :

ويقال هنا ما قلنا في الزوجة ، فان استعمل (الخادم) للانثى بسبب اللبس اذا لم توجد قرينة توضيحية . ولا كذلك الظئر والمرضع والحاضن والحامل .. اللاتي لا يلتبس الكلام فيهن لانهن لا يكن الا اناثا .

العضو :

سمى الجزء من جسم الانسان عضوا ، بالتذكير ، واعضاء الجسم اخلاء ، اي خلو من الذكورة والانوثة ، ولا لابس فيها . لكننا حين نطلق الكلمة على البشر : عضو الجمعية واعضاء الحزب او اللجنة - يحسن بنا التفريق بين الاناث والذكور . ان القاعدة اللغوية تقضي ان نقول ان فلانة عضو في الجمعية الفلانية وزوجها عضو في اللجنة الفلانية . لكن ضعاف الكتاب صاروا يقولون انها (عضوة) ويجمعونها على (عضوات) . وهو التعبير القياسي الذي سيثبت في المستقبل .

العريس :

صيغة تعني مذكر العروس . والعروس في الفصحى كالزوج تطلق على الذكر والانثى ، لكنها تخصصت في الدارجات بالانثى وخصوا العريس - ولعلها قديمة مهملة - بالذكر . وهي صيغة مقبولة تماز ذلك بعدم اللبس .

الملك :

نسبة الى الملك بكسر اللام . لكنهم يعدون من الخطأ نطق هذه النسبة (الملكي) بكسر اللام ، لان المأثور عن العرب فتحه ، زنة عربي وبلدي . وهذا الصواب المأثور هو الشاذ المخالف للقياس الذي هو

وتصويب بعض الاخطاء المنطقية المقبولة لابس بالامر المستحدث ، فقديما حرموا اشياء ، منها تعريف (كل) و (بعض) باللام ، ونفي المضارع بعد (قد) . لكن الوعي اللغوي المفكر خرق هاتين القاعدتين . ويحل لنا اليوم ايضا ان نتبع هذه القاعدة - قاعدة خرق القاعدة اللامنتطقية - حين يتطلب الامر ذلك . فان لم نبج ذلك فان المحدثين قد اباحوه لانفسهم دون استئذان منا ، ولم يبق لنا الا ان نقر ذلك ، لان مكافحته عيب لا طائل وراءه . والظاهر انه كلما زدنا تشددا زاد الخرق اتساعا . القاعدة الدينية « يسروا ولا تعسروا » تجد لنفسها مكانا مرموقا في اللغة ايضا .

انا شخصا اكره الكثير من هذه الاغلاط - المستحبة - واتجنبها في كتاباتي ، واذا استعملت بعضها مما ارجحه على الصواب فغالبا ما اشير في الحاشية الى رأيي فيها . لكن هذا لا يمنعي ان انظر اليها النظرة الواقعية الموضوعية .

الكل والبعض :

لا يجيز اللغويون تعريف (كل) و (بعض) باللام كما قلنا . لكن قدامى المترجمين - في الفلسفة والمنطق - لم يجدوا مناصا من استعمال (الكل) معرفا وايراده مقابل الجزء ، ثم الحقوا به (البعض) . وقد اخذ ابن جنى بذلك ، فاسقط حجة المتشددين .

قد لا يمكن :

يجيزون (قد يمكن ، وقد يكون) لكنهم لا يجيزون (قد لا يكون ..) . لماذا ؟ لانه لم يسمع عن العرب . ولنلاحظ ان هناك فرقا بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يقله العرب » ، فان الكثير مما قاله العرب قد اندثر قبل ان يسمعه اللغويون او سمعوه ولم يأخذوا به لانهم عدوه مولدا او عاميا او نبطيا . اي ان هناك فرقا آخر بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يسمع عن الاعراب » .

وليس منطقيًا بطبيعة الحال جواز (قد) في الاثبات وعدم جوازها في النفي . وقد خرج على هذه القاعدة بعض قدامى اللغويين المنطقيين - اي القياسيين - منهم ابن جنى ، فقد استعملها كذلك في اكايبه .

في الأصل إضافة الياء الى الاسم المنسوب اليه (عدا حالات شاذة اي مغلوطه هي الأخرى ، تتغير فيها بنية الاسم) . ونعتقد ان هذه الغلطنة الدارجة ، الرائجة ، سوف تكتسح الصواب مع الزمن لكثرة الجاهلين بالصواب .

التقييم :

صوابها المعجمي : التقييم . لكن التقييم يعني تعديل المعوج ، وتقويم البلدان وتقويم الأيام (الذي يبين حساب الأيام والشهور) . فاذا أضفنا معنى آخر اليه هو التثمين وتقدير القيمة تكون قد حملناه فوق طاقته ، فضلا عما في ذلك من التباس لا يزيله الا ذكر قرينة إيضاحية مع الكلمة . لهذا سرعان ما تداول الكتاب صيغة (التقييم) مرحبين - وأنا من جملتهم - بغلطة المترجم الضعيف الذي اشتقتها من القيمة ، غير عارف ان أصلها هو (القومة) بكسر القاف .

الحياتي :

الغريبيون يستعملون كلمة حيوي (vital) بالانكليزية (بمعنى الاساسي والجوهري ، وقد تبهم العرب في ذلك حتى فقدت كلمة (الحيوي) - نسبة الى الحياة - معناها المنسوب الى الحياة . وقد صار ضمافا للكتاب يقولون (الحياتي) عندما يريدون النسبة فعلا الى الحياة (مقابل biological) وهي غلطة مستحبة أخرى ، مزيتها التفريق بين المعنيين .

بين كنا وبين كنا :

لا يجوز لغويا تكرار (بين) الا اذا كانت مضافة الى ضمير ، مثل : بيني وبينك ، او بينك وبين قومك . لكن لا يجوز ان يقال بين احمد وبين محمود ، فالصواب هنا ان نقول : بين احمد ومحمود .

وهذا يوجب اللبس اذا كان احد فريقتي (بين) او كلاهما متعددا ، كقولك : وقعت الخصومة بين احمد واخيه واخته . فهذا قد يعني ان احد طرفي الخصومة هو احمد ، او احمد واخوه ، او ان كلا من احمد واخيه واخته طرف مستقل في الخصومة . لهذا صاروا يقولون للخروج من هذا المازق اللغوي : وقعت الخصومة بين احمد من جهة واخيه واخته من

جهة أخرى - اذا كان احمد وحده احد طرفي الخصومة مثلا . واهون من ذلك واخصر ان نجيز تكرار (بين) في مثل هذه الاحوال فنقول : وقعت الخصومة بين احمد وبين اخيه واخته ، او بين احمد واخيه وبين اخته .

على ان الكثيرين يقعون في خطأ تكرار (بين) حتى كاتب معروف بمقدرته اللغوية كالعقاد حيث قال في كتابه عن (ابن الرومي) ما نصه : « فلم يمدح خليفة قط الا لعلاقة بين هذا الخليفة وبين رئيس أو نديم من الذين يعرفهم وينتمي اليهم » .

ونترك للقارئ ان يقدر هل (بين) الثانية ضرورية أو مستحبة في هذه العبارة أم لا .

استهتر بالقانون :

استهتر فلان ، تعني اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل . وقد صار المحدثون يقولون : استهتر بالشيء ، بمعنى لم يحترمه ، واستهتر بالقانون ، بمعنى لم يتقيد أو يحفل به . لكن بعض اللغويين يحرمون هذا الاستعمال لان فعل (استهتر بالشيء) - بصيغة الجهول - تعني اولع به . وما من احد يستعمل اليوم صيغة الجهولية هذه بهذا المعنى . فلا بأس بالاستعمال المتحدث ، وهو ليس خطأ بل توليدا .

الأفضل منه :

يقول النحاة انه لا يجوز استعمال حرف الجر (من) بعد اسم التفضيل المعرف باللام ، فلا يصح مثلا قولك : والآنكى من ذلك ، وهو التعبير الذي يكثر استعماله على نطاق واسع ، بل الصواب ان نقول : وانكى من ذلك ، وادهى من ذلك .

لكن هناك فرقا في المعنى بين قولك : هذا الرجل اقدر مني ، وقولك : هذا الرجل هو الاقدر مني ، فالاول يعني انه اقدر منك ويجوز ان يكون هناك آخرون كثيرون اقدر منك .

واما الثاني فيعني ان هذا الرجل وحده اقدر منك .

لهذا لا نرى ضميرا في ارتكاب هذه الغلطة المنطقية عندما يراد المعنى الثاني . واذا لم يوافقني القراء الكرام على ذلك فهو الخطأ الذي سيعم على كل حال ، وقد عم فعلا او كاد .

استعمالات مغربية

يتوفر على المال :

بمعنى يملكه ، وبالتعبير المحدث : توفر له المال .
اما توفرت على الامر ، فتعني عكفت عليه وانقطعت له .

التدخل :

يستعملونها بمعنى القاء خطبة . ويمكننا ان نقول :
تكلم فلان في المجلس أو خطب ، بدلا من (تدخل) .
ونترك التدخل لمعناه اللغوي الراجح .

المقابلة :

يستعملونها بمعنى المباراة ، وهي ليست خطأ ،
لكن معناها يلتبس بمعنى التقابل . ويمكن بدلا منها
استعمال المباراة والمنازلة .

الجهوي :

يستعملونها مقابل regional . لكن region
لا تعني الجهة بل المنطقة والربع والرجا ، زنة المها ،
التي جمعها : الأرجاء . لذلك نقترح استعمال
(الرجوى) ، زنة البدوي ، من (الرجا) ، بدلا من
الجهوي التي لها معنى آخر .

التراب الوطني :

يستعملها عرب المغرب العربي الكبير بمعنى
territory بالانكليزية و territoire
بالفرنسية ، وكنتا هما من اللاتينية terra :
تراب ، وكان المشاركة يعبرون عن هذا المعنى بقولهم
(الأراضي الاقليمية) . وقد اخذوا أخيرا بجوارون
المغاربة في استعمال (التراب الوطني) . لكن
للتراب معنى آخر محدودا هو القليل من الثرى . وكان
اولى من ذلك ان يقولوا (الأرض الوطنية) لان كل حفنة
من التراب تراب وطني . لكن هذا التعبير أيضا مركب
من كلمتين ، وشعارنا في وضع المصطلحات الاقتصاد
في اللفظ على قدر الامكان . لهذا نقترح (الثرى) الذي

الدارجة المغربية من اللغات العربية العجيبة ،
فهي مثل طبقات الأرض تكونت من ترسبات مختلفة في
آماد متفاوتة . وبالرغم من ان المغرب هو القطر
الاقصى بين الاقطار العربية لم يكن حظه من العربية
اقل من حظ سواه ، منذ عهد الهجرات الحامية
(البربرية) والفتيحية والقرطاجية ثم العربية الاسلامية .

وصحيح انه توجد الفاظ اجنبية غير قليلة في
الدارجة المغربية (1) الا ان فيها لقاء ذلك الكثير من
الالفاظ الفصحى التي لا توجد في لغات المشرق
العربي والتي لا يستعملها المشاركة الا في الفصحى .
نذكر من ذلك : الجهد (القوة) ، الوعر (الصعب) ،
الماضي (الحاد القاطع) ، يعرف (ينزف أنفه دما) ،
العام (السنة) . بل ان في الدارجة المغربية الفاظا من
الفصحى لا يستعملها المشاركة حتى في آدابهم مثل :
الحرش - بكسر الراء (الخشن الملمس) ،
ومثلها الخنز (النتن) ، والشهد (الحر) .
واكثر من هذا ان فيها ما لا يعرفه المشاركة
اصلا من الالفاظ المعجمية التي تعد عندهم مهجورة مما
يجري على السنة سواد الناس في المغرب حتى من
الأميين والقرويين ، مثل : القاصح - وفصيحا القاسح
(الصلب الجاسي) ، ويكحب - وفصيحا يقحسب
(يسعل) . ثم هم ينطقون الماء بالهمزة كالفصحى .

ولقاء هذه الاصالة في الدارجة المغربية نجد في
الفصحى المغربية الراجحة - اي لغة الجرائد وما اليها -
بعض الاستعمالات اللغوية المغايرة للفصحى المتعارف .
وانما سميناها استعمالات - لا اغلاطا - لأننا بعد الذي
اوردناه من رأي في التطور اللغوي نترك الحكم عليها
للقارئ وللزمن بعد ان نبدي رأينا فيها .

توصلت برسالة :

فعل التوصل لا يأتي في الفصحى بهذا المعنى .
والفصحى : تسلمت رسالة ، تلقيت رسالة ، وصلتي
رسالة . وانما يقال توصلت بالشئ الى شئ آخر ،
اي توصلت به .

(1) اكثرها من الفرنسية وبعضها من الاسبانية تسربت الى الدارجة المغربية في عهد الاحتلال الاجنبي ،
و « مكتب التعريب » يحارب هذه الالفاظ الدخيلة وقد اصدر كتابا بها مع ما يقابل كلا منها من
الالفاظ الفصيحة ؛ كما توسط في نشرها بواسطة الاذاعة والشواف .

والذي يبدو لنا ترسيماً أن ثرم وهرم أثلهما
فرم ، وهذه أثلهما فرى ، وهذه أثلهما ورسها فر ، من
محاكاة صوت أجنحة الطائر عند فراره : فرررر .

فما دمننا نجد فى العربية أثل (فرم) وهو فرى ،
وبناتها مثل : هرم وثرم .. فليس ثمة الا مجال
قليل للجدل فى كونها عربية فصيحة .

شطف الشيء :

تعبير دارج يعنى : غسله الغسلة الاخيرة بالماء
الصافى (دون منظف من صابون أو غيرهه) . ولا
نعرف ما يقابلها فى الفصحى . لكن قولك فى الفصحى:
شطفت الثوب ، يعنى غسلته بوجه عام . والمعنى
الدارج اخص ، وقد صاروا يستعملونه فى المجالات
التقنية والمعاشية فى الشرق الاوسط ، ومن الصعب
صرفهم عنه لو كانت هناك ضرورة لذلك .

و (الشطف) ان لم يكن كلمة عريقة من المهملات
المنسيات فان أثلهما عريق وهو (الشط) أى النهر أو
الشاطيء لانهم كانوا الى عهد قريب يغسلون الثياب على
شطوط الأنهار ، قبل أن تم أجهزة اتصال الماء الى
البيوت بالانابيب .

الشفط :

معناه : رشف السوائل مصا بالدارجة العراقية،
وربما فى دارجات عربية أخرى . ومن ذلك قالوا :
المضخة الشافطة ، وهي فيما نرى أدق من المضخة
العامة ، لان المص يشمل السوائل وغيرها من رطب
ويابس ، على حين أن الشفط خاص بالسوائل . فيقال
ان الطفل يمص اصبعه مثلا ويشفط الحليب .

وأثل الكلمة : شف ، ومنها : الشفة والشفير
والرشف . ولعل الشفط العامية أثيلة فى العربية
تخلقت من بعض القبائل القدمى .

العزومة :

فصيحة الدعوة . لكن الدعوة تلبس بمعنى
النداء أو الدعابة أو التحريض . وقد حلت الدارجات
هذا المشكل بالقول : عزمه على العشاء ، مثلا ، بدلا
من دعاه اليه . لكن المصدر هو (العزيمة) فاذا أردنا
تفصيح الكلمة فسوف يلبس معناها بمعنى العزم

كثيرا ما استعمل فى العربية بمعنى أوسع من التراب
ولا سيما فى تسمية ديارهم : ثرى الأجداد . فبدلا من
القول التراب الوطنى المغربى ، أو العراقى ، أو
السورى ، يقال : الثرى المغربى .. وخاصة أن كلمة
(الثرى) العربية هي أثل terra اللاتينية . وتكون
النسبة الى الثرى عندئذ (ثروى) زنة بدوى وسنوي .

الأزدياد :

يستعملها المغاربة بمعنى الولادة . وازداد
الشخص بتاريخ كذا : ولد . ولعلها مأخوذة من ازدياد
عدد افراد العائلة بولادة انسان جديد . بل لعل الأرجح
أنها من (زائدة الكبد) وهي الهنة الصغيرة منه الى
جانبه كأنها ولده ، فشبها بها الولد ، ثم عبروا عن
الولادة بالازدياد .

ويبدو أن الكلمة عريقة فى العربية ، لان كلمة
(زاده) تمنى فى الفارسية : سليل أو نجل أي ولد ،
والفعل الماضى (زاد) : ولدت . فان كان أثل الكلمتين
المغربية والفارسية واحدا فهو من العربية القدمى .

تفصيح الدارجات

توجد فى الدارجات العربية الفاظ لا
مقابل لها فى الفصحى ، أو لها مقابل منسى مهجور .
ولا نرى باسا باستعمالها فى الفصحى . ولعل بعض
هذه العاميات أفصح من الفصحى أي أقدم منها ، مما
اغفله جامعو اللغة .

فرم اللحم :

يكثر كتاب اليوم من قولهم : فرم اللحم ، واللحمة
المفرومة . وهذه أيضا يخطئونها لفقدان (الفرم) فى
المعجم . ونعتقد أنها كانت موجودة فى لغات قبائل لم
تصلهم لغتها ، وهي ما تزال موجودة على كل حال فى
السريانية . أما فى الفصحى فيقال : هرم (بالتشديد)
اللحم تهريما فهو ههرم . لكن من الصعب جدا تعميم
هذه اللفظة فى جيلنا .

وينطقونها فى العراق بالشاء : ثرم اللحم ،
واللحم المثروم . وهي صيغة عريقة فيما نظن بقي من
معناها فى المعجم : ثرمت الرجل : كسرت سنه من
أصلها فهو أثرم . والثرمان شجر لا ورق له .

والإرادة . وقد حلت الدارجة المصرية هذا المشكل الآخر بجمل المصدر (عزومة) زنة مرونة وسهولة ..

لا يطوله القانون :

تعبير مصري آخر بالدارجة يعني : لا يناله القانون ، وبالذقة : لا تصل إليه يد القانون ، أو لا تشمله طائلة القانون . وهي غلطة مجمية لكنها تؤدي بكلمة واحدة ما لا يؤديه المعجم الا بأكثر من كلمة .

الفنوة :

هي الأغنية فى بعض دارجات الشرق الأوسط . وشدها يزعجني ان أقرأها فى شعر الشعراء ونثر النثر . ولا عيب فيها سوى أنها من الدارجة ، والا فهي أخف على اللسان من (الأغنية) وأحلى جرسا . وما أكثر من يستعملونها فى الفصحى ظنا أنها من الفصحى ، ولعلها نغلا من الفصحى المنقرض مقلوبة من (النغوة) الفصيحة التي تعني : النغمة الحسنة .

الحكايا :

هذه أيضا يستعملونها بدل (الحكايات) . ويزعجني كذلك أن أقرأها ، لأنها - كالفنوة - تمثل القصور اللغوي فى المتأدب أو المتشاعر - مع أنها هي الأخرى أخف على اللسان وأحلى جرسا فى الأذن من (الحكايات) .

ووزنها فى العربية : القضايا والعطايا والهدايا . فلعل بعض العرب كانوا يجمعون الحكاية والرواية والشكاية أيضا على : حكايا وروايا وشكايا .

والحكايا من الدارجة السورية اللبنانية وسوف تشيع أردنا أم لم نرد .

خض :

بالدارجة العراقية يقال : خض الفصن أو الشكوة (وفصيحا الشكية ، بصيغة التصغير) . أما

فى الفصحى فيقال : هز الفصن ومخض الشكية . لكن (الخض) لا وجود له فى القاموس بهذا المعنى . ولا شك أن الصيغة فصيحة وأنها أثل (مخض) ولو أن اللغويين لم يذكروها . ونرى الكلمة مستحسنة ، فقولك : خض قارورة الدواء مثلا يعنى هزها لمزج ما فيها ، لكنك لا تقول خضها إذا كانت فارغة ، بل هزها .

غشيم :

الفاشم والغشوم والغشام لغة : الظالم والفاصب . أما صيغة الغشيم فى الدارجة العراقية - وربما فى غيرها أيضا - فلا وجود لها فى المعجم ، وهي تعنى الشخص الساذج أو الجاهل بالصنعة . ولا تقوم مقامها كلمتا (الفر) و (الفرير) الفصيحان اللتان تعنيان : الشاب الذي لا خبرة له ، لأن (الغشيم) تشمل الشاب وغير الشاب ، كما أنه من الضمب أن نعمم اليوم تعبير (فلان غر فى التصوير أو غرير فى التجارة) بمعنى أنه غير ذي خبرة أو تجربة فيهما .

البصمات :

صاروا يطلقونها على وسمات الأصابع . ويبدو أنه من العبث محاولة تعميم الوسممة والوسمات ، بالرغم من خفتها وحسن وقعها فى الأذن ، فقد شاعت البصمة والبصمات شيوعا كاسحا . ولا بأس بهذه الصيغة فان السمة والوسمة من الوسم وأثله الوشم ، وقد نشأت منه منذ القدم صيغ : الوصم والوصف والرسم والرشم والبسم .. ولا ضير أن نعطي المحدثين حق إضافة صيغة واحدة أخرى هي البصم . ولعلها صيغة أثيلة قديمة هي الأخرى مما افلتت من شباك المعجميين ، بقيت فى الدارجات فاستحياها المحدثون . ومن مزايا (البصمة) أنها تدل وحدها على طبعة الأصبع ، بينما الوسممة أو السمة أو أبة كلمة أخرى ، لا تدل على هذا المعنى دون قرينة تفسيرية .

حَوْلُ الْأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ

ينشر الأستاذ الشاعر السيد محمد العدناني تصحيحا للأخطاء الشائعة على أسلوات الأقلام والسنة الخطباء والمذيعين، وقد لاقت مقالاته هذه صدى طيبا واحتراما مرموقا، وعزم على جمعها وطبعها في كتاب تنميها للفائدة واحب ان يستشير اخوانه من العلماء في قيمتها ومدى نفعها فنشر في مجلة الاديب استفتاء وجهه الى مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط والمستشرقين والادباء طالبا منهم الاجابة على ثلاثة أسئلة هي :

- 1 — هل تجيزون وضع همزة تحت الالف في الأفعال الخماسية والسداسية اذا جاءت في أول الجملة ام تضعون تحت الالف كسرة ؟
- 2 — هل تضعون التنوين على الالف في نهاية الكلمة ام على اعلى جانبها الأيمن ؟!
- 3 — ما هو رأيكم في انموذجات الأخطاء الشائعة التي ظهرت في الأديب ؟ .

وجعل الاستاذ العدناني رسوله الينا سيادة سفير المملكة الاردنية بالرباط الشيخ ابراهيم القطان وهو الرجل العالم العامل قبل ان يكون دبلوماسيا ناجحا فبعثنا اليه بالرسالة التالية :

ما دامت قد اصبحت حرفا . اما قول النحاة بانها حرف معتل مريض يكفيه ان يحمل حركته وحده فكيف نحمله حركتين ؟ فقول فيه كثير من الحنّان الفلسفي !!! . ونحن نعتقد ان الالف من اقوى الحروف ان لم تكن في واقعها اقواها واشدها جلدا وصلابة . الا ترى انها تستطيع ان تتغير وتتبدل وتتنكر وتلبس لكل حال لبوسها فتارة تكون ممدودة مسوطة وطورا مهموزة مفصولة وحينما موصولة ، واحيانا مقصورة ، فاي حرف من حروف اللغة يستطيع هذا التلوي والتغير

1 — ما دامت الهمزة همزة وصل فرقم الهمزة تحتها خطأ وعبث ان ماضي الخماسي والسداسي وامرهما ومصدرهما وامر الثلاثي كلها همزتها همزة وصل . وكذلك الكسرة تحتها لا لزوم لها . وانتم نفسكم قد نشرتم ستة وعشرين مرجعا يؤيد هذا الرأي فهو اذن مقبول بحكم الاجماع تقريبا .

2 — ان حروف العلة في الاصل امتدادات صوتية لحركاتها ، والتنوين تكملة لغنة الحركة وموسيقاها ولذا فلا نرى بأسا من تحميل الالف هذا التنوين

الفرنسيون صرفهم ونحوهم ، ويسر الانكليز
لفتهم ؟ الا ترى كيف ينشرونها بكل وسيلة
ويستخدمون المدياع الناطق والمصور على
اوسع نطاق ؟ الا ترى كيف يحملون امانة
الضارة ويخلقون الالفاظ والمصطلحات خلقا ؟
الا ترى كيف يتابعون التطور العلمي يوما بيوم
وساعة بساعة . ونحن ما نزال نتخلف ونختلف
ونضيع اعمارنا الغالية في محادثات املائية
في عصر انطلق الانسان حتى من الجاذبية
الارضية نفسها ووطيء وجه القمر وغازل
الزهرة والمريخ ، فلماذا لا تقتدي بهم في
خدمة لفتنا ؟ !

ان مكتب تنسيق التعريب يجعلكم اعظم اجلال
ويقدر جهودكم المبرورة ويقف الى جانبكم
في الدفاع عن لغة القرآن الكريم ويشد ازرعكم
ويرجو ان يوفقكم الله تعالى الى متابعة الطريق
النبيل الذي بدأتوه ودمتم .

٠٢٠٢

والتبدل والتلون سواها ؟ ! ومع هذا كله ، فانا
نفضل متابعة الاكثرية المطلقة من علماء اللغة
ورسم التنوين على الحرف السابق حبا بتوحيد
الخط ورغبة عن الشذوذ على المجموع .

3 - تابعنا ما تنشرونه على صفحات الاديب الزاهرة
باهتمام واقتبسنا بعضه ووقفنا حيايل بعضه
الاخر موقف المتردد ، لانا نفضل اللين لا
التشدد والتسامح الممكن على التزممت
والتصلب . ولفتنا - بحمد الله - من اللطف
لغات الدنيا واكثرها عونا وتسهيلا ، فلماذا
نتعلق بالصعب ونهجر السهل ؟ !

نعم نحن حراس اللغة وعلينا واجب الدفاع
عنها امام هجمات المفرضيين والهدامين
والمتساهلين والمخربين من هذا الجيل
الكسول ، لكن علينا كذلك واجب التسهيل
والتبسيط والتحييب بجمال لفتنا ونشرها
بايسر سبيل والطفه . الا ترى كيف سهل



مُصْطَلِحَاتُ أَجْنَبِيَّةِ أَصْلِهَا عَرَبِيٌّ

أَبُو فَارِسٍ

اقتبست اللغات الأوربية كثيرا من الالفاظ العربية وقد بلغت نسبة هذه في بعض اللغات عدة آلاف وكتب في هذا الموضوع لثره Littre صاحب القاموس المعروف لحقا أثبت فيه بعض هذه الكلمات وان كان وهم في أخرى فنسبها الى اصل غير عربي ونحن نفتح هذا الباب الجديد نورد فيه الكلمات العربية التي اقتبست عنها اللغات الأوربية وغيرها واجين ان يسهم في تحريره كل من عثر على شيء من هذا القبيل :

الطرق العامة خلال الرود هو الرفق والاناة والرياح الرادة هي الريح اللينة الهبوب والروود أيضا المهلة — يقال مشى على رود أي مهل .

الكلمة الفرنسية من اليربوع العربية Gerboise وتسمى في البادية العربية الجربوع

السويداء أو السويد Suaeda fructicosa فاسم الجنس العلمي من العربية (الشهابي)

الدريكة Traquée (bête ...) من دارك اذا طارد ولعل اصل اللفظ الفرنسي عربي

العربية شجر السواك (مفردات الانطاكي) Arac-meswak (salvadoda persica)

من البلبل العربية وتسمى باللاتينية Bubul (Pycnonotus)

الكلمة الفرنسية من حباري العربية حسب معجم لثره Aubère

الفاغرة Clavalièr ou fagarier (= zantoxylum)

كلمة fagarier من العربية وهي كلمة استعملها ابن سينا وهو من التوابل مثل الفلفل

ورل تصحيف ورل العربية (عن لحق معجم لثره) Varan ou monitor (Varanus)

من ومد العربية والومد عبارة عن Humide ندى ياتي في صميم الحز فيقال يوم ومد ولبلة ومد او ومدة .

ذكر لاروس الكبير انها من كلمة Zigzag zickzack الالمانية ولعلها من الكلمة العربية الزكزكة وهي حسب لسان العرب ان يقارب الرجل خطوه مع تحريك الجسد ويقال زكرك وهناك أيضا كلمة عربية أخرى تفيد نفس المعنى وهي الزقزق بمعنى ترفيق الطفل

ذكر لاروس انها من الكلمة اليونانية Eczéma ekzema ويقصد به نوع من الطفح الجلدي وهناك حالة تعرف بالاكزيمة الجافة تبقى النغطة أو المجلة فيها مقفلة وتجف متقلصة ولعلها من الكزم ومعناها في لسان العرب لابن منظور التقلص والاجتماع في اليد والقدم والانف والشفة والفم الخ . والمكزم هو الذي اكلت اظفاره الصخر

برى لاروس ان هذه اللفظة مشكوك في Rôder اصلها وقد تكون في نظره من Rotare اللاتينية ويظهر لنا انها من الكلمة العربية راد يقال راد الدابة جعلها ترود رودا أي تختلف في المرعى مقبلة ومدبرة وأرود في مشيه رفق ومعلوم ان قانون السير في

تمرهندي
Tamarin ou tamarinier (tamarindus indica)
وهو الصبار والحمر والحومر
(القاموس) والكلمة اللاتينية من العربية
Cirage تشميع اصلها من شمع السراج
اي المصباح الزاهر
Tolier المطال
Tôlerie المطالة من مطل الحديدية ضربها
ومدها وسبكها
Retama الرتم (نبات)
الاسم العلمي اللاتيني من الاسم العربي وهو جنس
جنيات من الفصيلة القرنية تفرس للزينة وقد رتمت
المعزى اي رعت الرتم او اخذها غشي من أكل الرتم
الحرمل (وهي عربية الأصل)
Peganum harmale
Pastèque البطيخ
الكلمة الفرنسية محرفة من كلمة البطيخ العربية
الفرنسية من نخاع العربية بدلوا معناها حسب
Nuque الشهابي
Mousson موسم (اصلها من العربية لاروس)
وهو ريع موسمي يهب من البحر أو من البر في جنوب
شرق آسيا

الاسمان العلمي والفرنسي Usnée (Usnée)
من الكلمة العربية أشنه وهو جنس من الحزاز
Village الفلاج جمع فلجة وهي من ناحية المدينة
رياض جامعة للناس أيام الربيع (معجم البلدان) ولعل
من الصدف الغربية ان يكون للكلمتين العربية
والفرنسية معنى متقارب
Mortaise من العربية مرتزة اي مثبتة (لاروس).
وقد رز الشيء في الشيء اذا اثبتته (القاموس)
والرزة هي الحديدية يدخل فيها القفل كما ان الكلمة
الفرنسية يراد بها الفتحة في الخشب يدخل فيها
لسان خشبي
Aludel اثال : اناء كالبوتقة دون قعر
لتصعيد المواد الكيماوية وقد اثل المادة صدها
واللفظ الفرنسي مصحف عن الكلمة العربية
Sandale السندل جورب الخف
(لسان العرب عن ابن خالويه)
Tincal ou tinkal التنكار (مفردات الانطاكي)
الكلمة الفرنسية مقتبسة من الاسبانية وهذه من العربية
وهي بورات الصود المائي الطبيعي
Sumac السماق ويسمى ايضا حسب القاموس
التمتم والعرب والعرب والعرب والعرب والاسم
الفرنسي من سماق العربية
Talc الطلق (تعريب تلك : القاموس)
الفرنسية من العربية

تعقيب على المصطلحات البريدية

توصلنا من الاتحاد البريدي العالمي بمجموعة من المصطلحات البريدية من أجل مراجعتها وابداء الملاحظات حولها وهذا هو القسم الثاني من الملاحظات التي سبق للمكتب أن ابداها حول المعجم القيم الذي وضعه الاتحاد وقد ادرجت ملاحظات المكتب الاولى في الطبعة الجديدة التي صدرت للمعجم البريدي وقد توصلنا عن هذه الملاحظات الثانية بكلمة رقيقة من اخينا الدكتور انور بكير الامين العام للاتحاد عبر فيها عن « عظيم التقدير للملاحظات القيمة التي حظت بها هذه اللانحة ولاسهام المكتب مع الاتحاد في هذا العمل الدولي الهام » .

وهاكم هذه الملاحظات :

ملاحظات	المصطلح الفرنسي	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	رقم الصفحة
شاع في العالم العربي تعريب لفظ « technique » بـ « تقني » والمكتب الدائم يستحسن هذا التعريب على الاطلاق ولا يقر لفظ « فني » قتالة « technique » لانه يقابل على الاصح المصطلح « Artistique » وفي هذا التخصيص دفع للالتباس	V.D. Questions techniques... coopération technique	قيم مؤمن عليها أو قيم مصرح بها المسائل التقنية ... والتعاون التقني	قيم مؤمن بها المسائل الفنية .. والتعاون الفني	صفحة الغلاف 1

ملاحظات	المصطلح الفرنسي	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب السناسم	الترجمة العربية المقامة من طرف الاتحاد	رقم الصفحة
يلزم هنا استعمال صيغة اسم الفاعل من فعل « استوفى » لا صيغة اسم المفعول .	Envoi qui répond... aux conditions	بعيثة مستوفية ... للشروط	بعيثة مستوفاة ... للشروط	1
انظر الملاحظة على ص 1	Assistance technique	... المعونة التقنية	المعونة الفنية	2
عرب لفظ « Nomenclature » في المصطلحات الجمركية بـ « مدونة » ونحن نستحسنه ونفضله على لفظ «مجموعة» الذي له معنى أعم ويعرب به المصطلح « Collection » و « Ensemble » و « Groupement » الخ ..	Nomenclature internationale des bureaux de poste	مدونة دولية لمكاتب البريد	مجموعة دولية بأسماء مكاتب البريد	3
ابدئنا ملاحظتنا فيما سبق	I.S.O.	المنظمة الدولية للتنميط	... المنظمة الدولية للتوحيد القياسي	5
التنميط جعل شيء أو أشياء على نمط واحد	Normalisation	تنميط (توحيد قياسي)	توحيد قياسي (تنميط)	5
انظر ملاحظتنا فيما سبق	Dispositif technique	أداة تقنية	... أداة فنية	5
	Machine à dépeussier les sacs	آلة لنفض الغبار عن الأكياس أو ... لازالة الغبار عن الاكياس	آلة لازالة التراب من الاكياس	6
« حركة بريدية » تعني على الاصح مدلول العبارة الفرنسية: « Mouvement postal »	Trafic postal	رواج بريدي	حركة بريدية	6
« الكنف » هو الاسم العربي الاصيل الذي كان يستعمله العرب للدلالة على هذا المعنى فلا داعي الى ترجمة المصطلح الفرنسي ترجمة حرفية .	Conteneur	كنف (ج اكناف)	كنف (حاوية)	6

ملاحظات	المصطلح الفرنسي	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	رقم الصفحة
اللغة العربية قدرة على الاشتقاق لا يتوفر عليها غيرها من اللغات فينبغي استغلالها كلما سنحت الفرصة .	Table d'ouverture	مفتحة (منضدة فتح)	منضدة فتح	6
	Facteur motorisé	موزع راكب (في سيارة او دراجة نارية) او موزع محركي	موزع يستخدم مركبة تسير بالمحرك	7
« العبء الزائد » هو بالضبط ما يفيد اللفظ العربي « العلاوة » ومن مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في موضوع تمريب المصطلحات الاجنبية ان تفضل الكلمة الواحدة على الاثنتين او الثلاث عند الامكان .	Surcharge	علاوة	عبء زائد	7
يعني لفظ « متحمل » في العربية ما يعنيه لفظ « Supporteur » في الفرنسية . اما لفظ « Porteur » فقد شاع تمريبه بـ « حامل » كما شاع تمريب « Produits » بـ « منتجات » . ومهما يكن فاننا نتحفظ بشأن هذه الترجمة الى ان نطلع على تعريف المصطلح الذي سيصدر عن المكتب الدولي للبريد .	Porteur des produits	حامل المنتجات	متحمل النواتج	8
لفظ « Champ » الفرنسي مستعمل هنا على سبيل المجاز ولا يستسيغ الذوق العربي هنا مثل هذا المجاز .	Champ vertical	... مجال راسي	... حقل راسي	9
سبق للاتحاد في ص 5 ان عرب « Espacement » بـ « فسحة » وهو موفق في هذا التمريب .	Espacement	فسحة او فرجة	تباعد	9
شاع تمريب لفظ « Service » بـ « مصلحة » عند دلالة على « اذارة » او « مكتب » وبـ « خدمة » فيما عداه .	Service d'origine de la formule	مصلحة مصدر الصيغة	خدمة المصدر للصيغة	10

المصطلحات الجغرافية

الدكتور يوسف تونسي
(القاهرة)

نشرت مجلة «حوايات» التابعة لكلية الآداب في جامعة بن شمس بمددها التاسع مقالا قيما للدكتور يوسف تونسي ما تزال قيمته العلمية ثابتة وان كان قد مضى عليه نحو سبعة اعوام . والمقال طويل جدا يصلح ان يكون كتيباً نقدياً ومرجعاً للباحثين الجغرافيين كلما حاولوا نقل مصطلحات جغرافية الى اللغة العربية ، سنعرض افكاره الرئيسية فيما يلي :

- 1 - لكل علم مصطلحاته ، ولعلم الجغرافية مصطلحاته الخاصة به يحق ان توضع في معجم معين مدقق فيه قبل ادماجه في المعجم العام .
- 2 - بسبب اختلاف الدقة في التعبير والتوصيف - حتى في اللغات الأجنبية - اختلف العلماء في امور قد نراها نحن بديهية : ويضرب على ذلك مثلا : « بالصحراء » فهي تغطي 15,6 مليون ميل مربع بحسب رأي بيكر Baker و 8,5 مليون ميل مربع تبعا لرأي ثور ونثوبت .
- « والاراضي الزراعية » تعبير يفهم منه : الاراضي المزروعة فعلا والاراضي القابلة للزراعة ، بينما هو في التعبير الضيق : « الاراضي المزروعة فعلا » وبسبب هذا الاختلاف لم تحدد بالضبط مساحة الاراضي الزراعية في العالم .
- ومثل ذلك : خصوبة التربة - منطقة خالية من السكان - منطقة مزدحمة - فيض السكان - فيض السكان .. والشرق الاوسط - والشرق الادنى .. الخ .
- 3 - في بدء نهضتنا المعاصرة ادخلنا الفاظا ومصطلحات جديدة اما بصورة كلمات دخيلة او معربة مثل : دلنا - هنترلاند - ارخبيل - فيدرالي - ارتوازي - لابة .. الخ . وخطوتنا خطوة ثابتة فبذلنا بعض هذه المصطلحات واتخذنا الفاظا اقرب الى الصيغة العربية ، ولو عن طريق المجاز احيانا فاستخدمنا كلمة اتحادي بدلا من فيدرالي مثلا وزمن الا حياة بدلا من الاوزي . والحوز او الظهير بدلا من هنترلاند ، والمهل بدلا من الماجما .. الخ . الا ان كثيرا من الكلمات استطاعت ان تتجنس بالجنسية العربية حتى اصبح من السخف محاولة تغييرها مثل : دلنا وارخبيل واطلس وبرخان وهاشور .. الخ
- 4 - وصاحب ذلك توليد كلمات عربية الاصل مثل : تجوية . وتعربة .. الخ .
- 5 - اصبح لكثير من الالفاظ معان اصطلاحية لم يكن يعرفها اجدادنا جغرافيا مثل : انكسار - صقيع - التواء - حفرة - شاطيء .. الخ .

6 - وبعض المصطلحات تتركب من كلمتين مثل: ميل الطبقة - جبهة جليدية - عمود ترابي - الطين الأخضر - الفجوة الجافة .. الخ .

7 - ان فى لفتنا ثروة من الالفاظ ماتت بسبب عدم استعمالها فمن المستحسن التنقيب على ما يمكن استخدامه للمصطلحات الحديثة ، قال محمد عطية الأبراشي : ان فى لفتنا (80.000) لفظة لا نستعمل منها الا نحو (10.000) فقط .

8 - الف العرب فى القرون الوسطى عددا كبيرا من المعاجم والموسوعات الجغرافية مثل : معجم البلدان لياقوت . وتقويم البلدان لابى الفداء . ونزهة المشتاق للادريسي . وكذلك للمعمودي والبيروني والمقرئزي والقزويني وابن بطوطة والمقدسي كتب قيمة جدا حتى قيل ان خمسين فى المئة من المصطلحات الفلكية فى اللغات الاوروبية من اصل عربي . انها لثروة يفتخر بها ويمكن ان تستغل للتعريب المعاصر غير أنها غير مرتبة ترتيبا علميا وتحتاج الى نفض جديد . وساق مثلا على ذلك بعض أسماء السحاب فسرده عشرين مصطلحا لكنها بالفعل فوضى والعلم يحتاج الى ترتيب وتنسيق وتبويب . وعرض مثلا آخر لاسماء الطرق اعده المرحوم سليم الجندي ونقده النقد العلمي النزبه نفسه وقال :

« ان للعرب فى اسماء وانواع السحب او الجبال او الطرق او الكئبان او الاراضي وصفاتها آلاف الكلمات فهل هي مترادفات تحمل نفس المعنى ام هنالك اختلافات وتعريفات دقيقة لكل لفظ ؟ ! ان المعاجم العربية - القديمة والحديثة - غالبا ما تشرحها شرحا غامضا مبهما مقتضبا لا تبين معه حقائقها ولا تتميز به معانيها مما ينزع عنها صفة العلمية وان كانت لها هذه الصفة قديما . »

9 - ربما بسبب تعدد اللهجات فى مختلف الاصقاع العربية وضع اكثر من مسمى لاسم واحد فرياح الخماسين فى مصر تسمى فى ليبيا القبلي وفى تونس التشيلي وكذلك قد يختلف مفهوم المسمى الواحد فى مختلف اللهجات فكلمة « الجبل » فى صعيد مصر هو الصحراء الشرقية وفى برقة

هو المراعى الصيفية . وفى تهامة هو هضبة اليمن . ولعل الانزال الاجتماعي او الاقتصادي ، او ما شابهه ساعد على نمو الفاظ ومصطلحات محلية . على ان هذه المصطلحات المحلية قد تشيع فتصبح عالمية كالمصطلحات المحلية التى وضعها تورمان Thurmman لوصف التضاريس واخذها من لهجة جورا الفرنسية ، ولنا من لفتنا امثلة على ذلك فلفظ حمادة اخذ من لهجة بدو الصحراء الكبرى وسرير من لهجة بدو برقة وسلوكة من السودان وفقارة من موريتانيا وكلها اصبحت مصطلحات جغرافية عالمية تذاع بجميع اللغات . ولكل بيئة الفاظها ومصطلحاتها حتى فى جميع اللغات فالمصطلحات الجليدية تؤخذ عن روسيا ، والصحراوية عن العربية .

10 - ان استمرار استخدام الكلمات الاجنبية لدى علمائنا دليل على انهم لم يتمكنوا من ايجاد مقابلهما العربي . وان منع دخول الكلمات الاجنبية الحديثة معناه منع دخول المعاني والافكار التى تعبر عنها هذه الافكار ولا يعيننا ان نستضيف كلمات جغرافية ليس لها فى عالمنا وجود وتبناها كما فعلت اللغة الانجليزية حديثا وكما فعلت العربية فى الماضى فتبنت مثلا : الكافور والسندس والصندل والياسمين والسوسن والبلور والترجس والبنفسج وقنطرة وقنطار وقرميد وبطريق ... الخ .

11 - لم يتفق الجغرافيون العرب المعاصرون حتى الا على وضع الفاظ محدودة للمعاني الجديدة ، حتى فى داخل الدولة الواحدة مثال ذلك المصطلحات التالية : (الدلتا المروحية) (الدلتا الجافة) (المروحة الفرينية) ثلاث مصطلحات مفهومها واحد . وكذلك : جرف وحافة . وكذلك البنية والتكويين والتشكيل والتركييب والبناء مقابل كلمة Structure

12 - وقد يترجم بعضهم المصطلح ترجمة فى جملة وهو نقص فى دقة التعريب يجب ان يكون مقابل المصطلح مصطلح عربي مماثل .

13 - ان علم الجغرافية بحكم انضمامه تحت لواء الآداب كان اكثر صلة باللغة العربية وخدم علماء الجغرافية اللغة بالتعريب خدمة جلى . ولما كان للجغرافيا صلة بكثير من العلوم فان على

السورية مثلا الا ان بعض المصطلحات ما تزال غريبة فيها شيء من الثقل .

16 - وقد استفيد من اسماء اعضاء الجسم ومن الآلات والحيوان و... الخ . مصطلحات جديدة حسنة باستخدامها استخداما مجازيا مثل : رقة البركان - قلب المدينة - مفتاح الخريطة - مروحة غربية - بحيرة مرة .

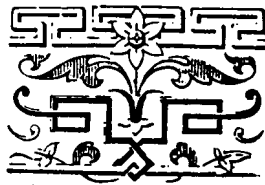
17 - ويمكن استخدام اسماء العلماء كما استخدمتها اللغات الاخرى للمصطلحات الجغرافية مثل : لودبارك ، وجوبو ، وكلوزية .

18 - وقد عدد الكاتب عددا من المعاجم الجغرافية فوصفها وتقدها نقد الخبير ودعا الى وضع معجم جغرافي عربي جديد يتعاون عليه جغرافيون ولغويون معا ونحن نؤيده في هذه الدعوة تأييدا بغير حدود .

علمائها ان يأخذوا بالمصطلحات التي وضعها الجغرافيون تخفيفا لمتاعب التمرير ووقوفا عند مصطلح واحد معين واغناء المصطلح باشاعته . وهذا ما لم يفعله العلماء مع الاسف بل وضعوا مصطلحات جديدة لما كان قد وضعه الجغرافيون قبلا .

14 - وما يساعد اللغة العربية على الفنى قدرتها على الاشتقاق والتركيب والتجريد والزيادة والاضافة والتصغير بحيث تعد اللغة الوحيدة فى هذا المضمار فقد نضع بالعربية مصطلحا مركبا من كلمة واحدة تمجز اللغة الانجليزية مثلا عن وضعه بأقل من خمس كلمات ..

15 - ان صياغة مصطلح من كلمتين معا او اكثر كما تفعل اللغات الاخرى ما زال نادرا فى اللغة العربية مثل : برماء ، وسمال ... وانه بالرغم من وجود محاولات ناجحتى هذا المضمار كمحاولات الجامعة



مُعْجَمُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ

الدكتور مدوح حقي

ومكتبة لبنان في بيروت اصدرت حتى الآن نحو ثلاثين معجما ما بين علمي ولغوي ووضعت تحت تصرف الاستاذ الخطيب نحو عشرين موظفا عملوا خمسة اعوام بلا انقطاع في البحث والمقارنة والجمع والتنسيق والترجمة والصيغة والمراجعة والشكل والتدقيق والتصوير والنقل حتى ظهر معجمهم بهذا المظهر الرقيق الانيق . ومن لم يمارس صنعة المعاجم لا يستطيع تقدير الجهود الكبرى التي تبذل في اعدادها وتنسيقها وتدقيقها والمتاعب التي تتأكد العاملين فيها وسهر الليالي وكذا الايام ، ان مؤلفا عاديا في الادب او القصة يرهق الكاتب والطابع والناشر الى حد الازعاج فكيف بالمعجم ؟! ونحن في مكتب التنسيق الدائم نقدر قيمة هذه الجهود ونفهمها لانا نعانينا عمليا كل يوم ، وما اصدرنا هذا العدد الكبير من المعاجم الا بشق النفس ، ألم يقل الشاعر :

لا يعرف العشق الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يعانيتها

قال لي مرة احد الزملاء وهو استاذ جامعي معروف : ان صناع المعاجم لا يزيدون على النقلة في شيء ، فهم ينقلون بعضهم عن بعض ولا يتميز احدهم من الآخر الا بالعرض والتنسيق !!! فهل في هذا الكلام صحة وصدق ؟!

الواقع ان صانع المعجم ينقل ولكنه ينقله هذا يتابع تطور العلم ويلاحق المصطلح في كل زاوية

نشر في بيروت او اخر عام 1971 معجم للمصطلحات العلمية والتقنية انكليزي - عربي جاء بما ينيف على سبع مائة صفحة من القطع الكبير تضمن اهم مصطلحات العلوم السائدة في هذا العصر وعددها يزيد على خمسين علما وفنا منها : الهندسة بجميع فروعها والفلك والالكترونات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والعلوم العسكرية ... الخ . وقد زين بنحو 1300 صورة ورسم والحق به عشرات من جداول المقاييس والوحدات وخصائص العناصر الكيماوية والجداول الرياضية والثوابت الفيزيائية بحيث يمكن ان يجعل منه المرجع الاصيل الوحيد لما تفرق من هذه المجموعات العلمية في عدد من المعاجم .

ومؤلف هذا المعجم الفريد الاستاذ احمد شفيق الخطيب ما زال دون الخمسين من عمره المديد ان شاء الله . درس في مدينة رام الله شمالي القدس واكمل تحصيله في الجامعة الامريكية ببيروت وحصل على الماجستير في الآداب ثم احترف مهنة التعليم بضع سنين والتحق بعدها بقسم المعاجم في مكتبة لبنان (بيروت) .

وتخصص بهذا الفن من الترجمة حتى برع به وكلفته لجنة اليونسكو الوطنية في لبنان بترجمة مرجع اليونسكو العام في العلوم فجاءت ترجمته من خير ما وضع لهذا المرجع في اثنتين وعشرين لغة نقل اليها .

وكلمة Barrel شرحها بكلمة برميل، و فرع عليها
 Barrel bolt و Barrel destortion
 و Barrel drain و Barreler و Barrel filler
 و Barrel of a boiler و Barrel planting
 و Barrel vault و Barrel winding

وهو تفريع دقيق ممتاز لا شائبة فيه ولكنسه
 ينقص ما شرحناه نحن في معجم البترول بكلمة واحدة
 وهي : برميل (وحدة حجمية للمواد البترولية تساوي
 158 384 0 متر مكعب .

قد يقال بأن الجدول المنشور على ص 711 فيه
 تفصيل لمقاييس البراميل بالقدم المكعب والكالون
 الامبريالي والكالون الامريكي والليتر والمتر المكعب
 الساعي والطن ، وهذا حق لا شية فيه ، لكن اما كانت
 الاشارة الى هذا الجدول ضرورية مع الكلمة ؟ !

ومثل هذه الاختلافات ليست بالكثيرة لكنها
 موجودة على أي حال وهي - في نظرنا - نوع من
 الجهد المخلص الذي يبذله كلانا ومعنا جميع العلماء
 العرب في ميدان التعريب .

نحن نجعل معاجمنا ثلاثية اللغات ولا نعرب دائما
 ولكننا ننسق ما يعرب في جميع البلاد العربية ، ولنا
 الامل في جعلها خماسية اللغات قريبا في ضمن
 برنامجنا الخماسي الذي يبتديء مع عام 1972 ، واذا
 كان لنا ما نتمناه على مكتبة لبنان الزاهرة والاخ
 الاستاذ الخطيب فهو السعي لجعل معجمه النفيس
 هذا ثلاثي اللغات في الطبعة القادمة بحيث تشارك اللغة
 الفرنسية مبدئيا مع اللغة الانكليزية خدمة لكثرة غالبية
 من المثقفين العرب ثقافة افرنسية في لبنان وسوريا
 وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا .

ح ٠٢

ويجري وراء ما استجد في كل منعرج من المجالات
 والصحف والنشرات والمؤلفات ثم يقارن وينقصد
 وينسق ، وفي آخر مرحلة من مراحل الاعداد يعرض
 ما استقر عليه وينشره . فصانع القاموس لا يمكن أن
 يأتي سابقا ، بل هو لاحق وملاحق في آن واحد ، ولقد
 عانيت ما عانيت بجمع معجمي في الحقوق والتجارة
 عدة سنين قبل أن أصبح خبيراً معترفاً به في هذا
 الفن . ولذا فاني اقدر جهد الاخ الاستاذ الخطيب
 وأعترف له بالصبر والجلد وصدق النظر .

والامة العربية الآن في اشد الحاجة لمثل هذا
 المعجم العلمي لما طرا على الحضارة المعاصرة من
 تطور في التقنية والعلوم التجريبية والهندسة
 والالكترون ... الخ . ولئن صلح لطلاب الجامعات
 ومدرسي الثانويات فانه لا يمكن أن يعد كافيا شاملا
 لاستاذ جامعي مدقق ولا لباحث من العلماء المتفرغين
 لأن كل فرع من فروع العلوم التي تناولها بحاجة الى
 معجم خاص بها على أن يلاحق في كل سنة ما استجد
 على عمله هذا ويضيفه اليه ملحقا وراء ملحق ، واذا
 كان بين معاجمنا وبين هذا المعجم بعض الاختلاف
 الجزئي فان التوافق بينهما كبير جدا ولناخذ بعضها
 على سبيل المثال Amortisation يفسرها بما
 يلي : « استهلاك الدين بمبالغ دورية » ونفسرها نحن
 بما يلي : « استهلاك (الأصول النقدية) . استهلاك
 القيمة » . والواقع ان استهلاك الدين جزء صغير من
 الاستهلاك العام ، فالمكثات مثلا يفترض لها استهلاك
 مالي يجزأ على سنين معينة حتى اذا استنفذتها أصبح
 ما تقوم به عطاء بالمجان يزيد حصة رأس المال ، وعلى
 هذا تقاس الاملاك العقارية والمنقولة وكل شيء في
 الصناعة والتجارة ، فتحديد معنى الكلمة باستهلاك
 الدين وحده تقييد حاسم بغير موجب .

مُسْتَدْرِكُ مَعْجَمِ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ خِلَالَ مِائَةِ عَامٍ

الأستاذ إسماعيل العبايحي
العراق - النجف الأشرف

للعائدة وحفظا للتراث العربي . ورحم الله فئة حان لها أن تعمل صالحا ولم تتقاعد .

واخيرا استسمح القارئ الكريم اذا عثر على شيء طغى به القلم ، او زلت به القدم ، وأرجو ان يحضر قلبه ان الجواد يكيو ، وان الصارم ينبو ، وان النار تخبو ، وان الانسان محل النسيان ، وأجمل قول رأيت في هذا المضمار للمعاد الاصفهاني اذ يقول:

« اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان لحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . »

وهذا من أعظم العبر . وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

1 - المعجم الزولوجي الحديث :

ت - محمد كاظم صادق الملكي ، 6 مجلد ،
النجف ، 57 - 1963 م ، قطع الوزيري ،
353 + 690 + 485 + 448 + 510
+ 262 ص .

2 - معجم ما استعجم :

ت - أبو عبيد عبد الله بن العزيز ابن أبي
مصعب البكري الأندلسي ، باريس ، 1876 م ،

لعل من نافل القول أن اثني على الجهد العظيم الذي جادت به بادرة الأستاذ « الصديق بن العربي » - مراکش - بنشر « معجم المعاجم العربية » المؤلفته خلال مائة عام 1869 - 1969 المجلد السابع من « مجلة اللسان العربي » (الجزء الثاني)، فهو ولا ريب ، قد أسدى خدمة جلى لكل من يهمهم أن ترقى النهضة العلمية ذروتها أو أن تمود اللغة العربية الى طريقها اللاحب الاصيل بعد أن صارت اليه - بقصد أو دون قصد - هذه القوضى اللغوية فأفسدت التراث العربي اللغوي في بعض من جوانبه ، فكان ان قبض الله سبحانه رجالا شمروا عن سواعد الجد فراحوا يرجمون للغة الام ما ضاع لها أو اختلط . ولعمري ان قوما هذا عزمهم سيجعلون من لغتهم يوما ، لفئة جامعة مانعة وفي ذلك نصر مؤثّل .

لقد لاحظ فضيلة الشيخ محمد السامسي أن عددا لا يستهان به من المؤلفات لم يذكر ضمن فهرس الأستاذ « ابن العربي » فمهد لي تيسير مختلف المصادر رجعت اليها وانتقيت منها ما يربو على المائة من المؤلفات والفضل كل الفضل عائد له .

ولا شك ان هذه المهمة - مهمة فهرسة المعاجم العربية - تقتضي جهدا دقيقا ينبغي أن يكون ملاكته أكثر من فرد واحد لما يستنفد من وقت وعمل ، لذلك اعتبرت محاولتي هذه مجرد مساهمة تاركها ورائي، مؤلفات كثيرة لم اهتد اليها لكنها - ولا ريب - آتية لكثيرين غيري وهم مدعوون للمساهمة اتماما

320 + 320 + 320 + 320 + 295 +
320 + 421 + 326 + 336 ص

10 - المعجم العسكري الموحد ، القسم الأول -
انكليزي - عربي :

ت - لجنة توحيد المصطلحات العسكرية
للجيوش العربية ، ط 1389 - 1970 مط دار
المعارف بمصر ، وزيرى ، 983 ص .

11 - معجم فقه المحلى :

ت - ابن حزم الظاهري ، تصدير جامعة دمشق -
كلية الشريعة لجنة . موسوعة الفقه الاسلامي ،
مطبعة جامعة دمشق .

12 - معجم المطبوعات النجفية :

ت - محمد هادي الاميني ، وزيرى صغير ، مط ،
النجف 1385 - 1966 يبحث عن المطبوعات
التي طبعت فى النجف الاشراف منذ تأسيس
المطابع حتى عام 1966 .

13 - سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار :

ت - المحدث العلامة الشيخ عباس القمي ،
معجم فى مطالب بحار الانوار ، ج 2 ، 7336
+ 741 ص ، وزيرى ، 52 - 1355 هـ .

14 - فهرست اسماء شعراء لسان العرب :

ت - عبد التيوم ، ط فى الهند ، 1937 م ،
187 ص .

15 - الفهرست التحليلي لما طبع فى مصر من
الكتب العربية فى السنوات 42 - 1944 م :

جمع وترتيب كولشن وم . قناتى ، القاهرة ،
1949 م ، 613 + 47 ص ، رقمي .

16 - فهرست اسماء الرجال المذكورة احوالهم فى
كتاب التدوين لأبي القاسم عبد الكريم الرافعي
القزويني :

رقمي ، 864 + 56 ص ، 6 مجلد ، مصر ،
1364 هـ .

3 - معجم المصنفين :

ت - شيخ محمود حسن التونكي ، بيروت ،
1344 هـ ، وزيرى ، 385 + 336 + 515 ص

4 - معجم المطبوعات العربية والمستعرة :

ت - يوسف البان سركيس ، 2 مجلد ، مصر ،
1346 هـ ، وزيرى كبير 2024 ص وهو
شامل لاسماء جميع الكتب المطبوعة فى
الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء
مؤلفيها وترجمتهم وذلك منذ ظهور الطباعة
حتى نهاية 1919 وهو مؤلف من 7 اجزاء ،
وهذا المعجم لا يكاد يستغنى عنه مثقف او
باحث .

5 - معجم الشعراء :

ت - ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ،
مصر ، 1379 هـ ، وزيرى ، بتحقيق عبد
الستار احمد فراج ، 590 ص ، قاهره ،
1354 هـ ، وزيرى 556 ص .

6 - المعجم فى اصحاب الامام القاضي ابي علي الصديقي :

ت - ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن
الانبار ، مدريد 92 - 1893 م باهتمام كودير
اسبانياني ، ضمن مجموعة المكتبة الاندلسية .

7 - معجم القاموس الفقهي :

ت - الشيخ عبد الرسول الواعظي ، نجف .

8 - المعجم فى بقية الاثنياء :

ت - ابو هلال العسكري ، مصر ، 1353 هـ .

9 - معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية :

ت - عمر رضا كحاله ، دمشق 76 - 1381 هـ
وزيرى ، 320 + 320 + 320 + 320 + 320

- 24 - فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار :
الجزء الثالث ، مصر ، 1345 هـ ، 1927 م ،
وزيري كبير ، 439 ص .
الجزء الرابع ، مصر ، 1348 هـ ، 1929 م ،
وزيري كبير ، 136 + 92 ص .
- 25 - فهرست لمشاهير علماء زنجار :
ت - شيخ موسى بن عبد الله الزنجاني . قم ،
1367 هـ ، 156 + 33 ص ، وبضمنها الرسالة
في حكم الزوجة المفقود عنها زوجها .
- 26 - فهرست ما رواه عن شيوخه :
ت - أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي
الاشبلي ، القاهرة ، 1963 م ، 579 ص .
- 27 - فهرس مجلة المجمع العربي :
ت - عمر رضا كحالة ، ج 1 دمشق .
- 28 - فهرس المخطوطات ، دار الكتب الظاهرية :
ت - يوسف العشي ، دمشق ، 1366 هـ ،
وزيري ، 490 ص
- 29 - فهرست الكتب العربية في دار الكتب المصرية :
ج 5 ، مصر ، 345 - 1358 هـ .
- 30 - فهرست المكتبة الظاهرية :
ت - يوسف العشي . دمشق ، 1366 هـ .
- 31 - من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم :
ت - الشيخ محمد هادي الأميني ، قطع وزيري ،
مط النجف 1382 - 1962 ، فهرست لبعض
الكتب النادرة من مكتبة آية الله الحكيم في النجف .
- 32 - عين الفزال في فهرست أسماء الرجال (فهرست
رجال ومصطلحات حديث الكافي للكليني) :
- ت - الأستاذ سيد جلال الدين قاسم محدث
الأموي ، ط في طهران ، 1374 هـ ،
وزيري ، 16 + 103 ص .
- 17 - فهرست جواهر الكلام :
ت - علي بن شيخ زين العابدين المازندراني
الحائري ، ط في طهران ، 1332 هـ .
19 + 21 + 30 + 33 + 22 + 31 ص .
- 18 - فهرست الحواشي على عروة الوثقى :
ت - حسين بن محمود طباطبائي القمي ، ط
في النجف 1356 هـ . وزيري ، 50 ص .
- 19 - فهرست الخزانة التيمورية :
ت - أحمد تيمور باشا ، 3 مجلد ، القاهرة ،
67 - 1369 هـ ، وزيري 301 + 446 + 320
190 ص .
- 20 - فهرست خزانة الصحف العربية ، المنطقة
الحمامية :
ت - محمد عزوز حكيم ، طهران ، 1953 م ،
دار الطباعة الغربية .
- 21 - فهرست روضات الجنات في أحوال العلماء
والسادات :
ت - محمد باقر محمد تقي الفت أصفهاني ،
اصفهان ، 1352 هـ ، رحلي ، 58 ص .
- 22 - فهرست كتابهاي جامعي عربي :
ت خانبا مشار ، معجم للكتب العربية المطبوعة
من عام 1324 هـ ، 1014 ص + 110 ،
طهران 1344 هـ ، 1964 م .
- 23 - فهرست كتب خزانة الأدب (عربي) لاهور ،
1927 م ، 147 ص .

- 39 - ذيل كشف الظنون :
 ت - اغابزرك الطهراني ، 1293 - 1389 ،
 ترتيب العلامة السيد محمد مهدي الخراسان ،
 طبع في ذيل الجزء الثاني من كتاب هداية
 العارفين عام 1967 طهران ، رحلي ، 116 ص .
- 40 - الضليلة في تشجير بعض البيوتات الجليلة .
 كتاب يبحث عن النسب والأسر :
 ت - اغابزرك الطهراني .
- 41 - هدية الرازي - الى الامام المجدد الشيرازي :
 ت - اغابزرك الطهراني ، 1293 - 1389 ،
 وزير صغبر ، مط الاداب - النجف ، 1388 هـ
 ط + 187 ص .
- 42 - قاموس رجال الحديث :
 ت - آية الله السيد ابو القاسم الخوئي ،
 ط ج 1 في النجف عام 1390 هـ ، وزير .
- 43 - قاموس الرجال :
 ت - شيخ محمد تقي التستري ، قاموس
 رجالي يبحث عن الرجال الثقة وغير الثقة ،
 ط 13 مجلدا بقطع الوزيري في مطابع طهران
 1375 فما بعد .
- 44 - في اللغة ، قاموس اللغة الفارسية الى الفارسية
 الفصيحة الى العربية :
 للاستاذ محمد كاظم الملكي ، قاموس في اللغة
 الفارسية والعربية . ط ج 1 عام 1383 هـ ،
 النجف ، مط النعمان يبدأ من كلمة (ا) اي
 (تعال) وينتهي بكلمة (ايومن) اي (العيسن
 او الباصرة) 632 ص . وزير .
- 45 - قاموس الامكنة والبقاع التي يرد ذكرها في
 كتب الفتوح . لجامعه :
 علي بهجت وكيل دار الانار العربية ، ط 1325-
- 33 - فهرست مكتبة آية الله الحكيم :
 ت - فضل الله بن شمس الدين حكيم الحي ،
 ط في طهران 1315 هـ في 88 ص ، ذيل ج 2
 من فروع الكافي .
- 34 - فهرست مكتبة آية الله البغدادي :
 ت - الشيخ مهدي نجف ، ج 1 فهرست
 مخطوطات مكتبة الامام الحكيم الواقعة في النجف ،
 ط في النجف ، مط الاداب 1389 هـ ، قطع
 الوزيري .
- 35 - الدريرة الي تصانيف الشيعة (موسوعة) :
 ت - الشيخ محمد هادي الاميني ، قطع وزير
 صغبر ، مط النجف ، 1383 - 1964 ،
 فهرست مخطوطات مكتبة آية الله البغدادي
 الخاصة .
- 36 - طبقات اعيان الشيعة (موسوعة) :
 ت - شيخ الباحثين اغابزرك الطهراني ، 1293-
 1389 هـ : اكبر معجم لكتب الشيعة ، طبع
 منه 23 مجلدا لعشرين جزءا في مطابع النجف
 وطهران . طبع الجزء الاول عام 1355 هـ ،
 وبقيت اجزاء مخلوطه هي الآن تحت الطبع ،
 وزير .
- 37 - مصفى المقال في مصنفى علم الرجال :
 ت - اغابزرك الطهراني ، تتضمن تراجم اعلاه
 الشيعة من القرن الرابع الهجري حتى القرن
 الرابع عشر الهجري . ط 6 ج . وزير .
 1373 - 1954 .
- 38 - المشيخة او (الاسناد المصفى) :
 ت - اغابزرك الطهراني ، كتاب رجالي .
 1378 - 1959 ، المطبعة الحكومية بطهران .
 وزير و + 626 ص .

- 54 - معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء :
 ت - العلامة الشيخ محمد حرز الدين ، 3 ج ،
 وزيرى ، ج 1 ، 416 ، ج 2 ، 419 ، ج 3 ، 436 ،
 مط النجف - النجف 1383 - 1964 .
- 46 - رجال العلامة الحلي :
 نجف ، 1381 هـ ، وزيرى ، مكتبة الحيدرية ،
 ط 2 ، 296 ص .
- 47 - رجال الكبير ، يبحث في منهج المقال .
- 48 - رجال الكشي :
 أبو عمر ومحمد بن عمر الكشي ، 1317 هـ ،
 وزيرى ، باهتمام شيخ علي محلاتي حائري ،
 392 ص . نجف مؤسسة الأعلمي . وقد علق
 عليه السيد أحمد الحسيني ، 527 ص .
- 49 - تنقيح المقال في علم الرجال :
 ت - الشيخ عبد الله بن محمد حسن الماحقاني ،
 المتوفى 1351 هـ في النجف 3 ج ، 49 - 1352 هـ ،
 رحلي ، 334 + 476 + 368 + 79 + 445 ص
- 50 - رجال النجاشي :
 يبحث في فهرست أسماء مصنفي الشيعة .
- 51 - رجال التصوير :
 ت - محمد يوسف صمام ، مصر ، 1938 م .
- 52 - رجال السند والهند الى القرن السابع :
 ت - أبو المعالي اطهر بن شيخ محمد حسن
 مباركبوري ، بجباي ، 1377 ، وزيرى ،
 328 ص .
- 53 - رجال الخاقاني :
 ت - الشيخ علي الخاقاني المتوفى 1334 هـ ،
 تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، وزيرى ،
 430 ص ، وفي خاتمة الكتاب فوائد الوحيد
 البهبائي 72 ص ، مط النعمان النجف 1388 هـ
- 55 - توضيح المقال في علم الدراسة والرجال - :
 ت - ملا علي الكني الطهرانسي ، 1220 هـ -
 1306 هـ ط 2 طهران ، رحلي ، 66 ص ،
 1302 هـ وط 1 1299 هـ .
- 56 - خلاصة الذهب في مشجرات النسب :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفى 1390 هـ
 (مخطوط) (عدة اجزاء) .
- 57 - عقود التمام في انساب بني هاشم :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفى 1390 هـ
 (مخطوط) (عدة اجزاء) .
- 58 - نجوم السحر في انساب البشر :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفى 1390 هـ
 (مخطوط) (عدة اجزاء) .
- 59 - منية الطالبين في طبقات النسايين :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفى 1390 هـ
 : بري ، 304 ص ، منط الآداب ، نجف ،
 1387 - 1968 م .
- 60 - موارد الاتحاف :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفى 1390 هـ
 كتاب يبحث عن حياة النقباء الاشراف ، 2 ج ،
 وزيرى ، 1389 هـ ، مط الآداب - النجف .
- 61 - مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين
 معجم على الحروف في أسماء البلدان التي فيها
 الاعيان والصحابة والتابعون :
 ت - السيد عبد الرزاق كموه ، مط الآداب -
 النجف 1968 . وزيرى ، 304 ص .

62 - ماضي النجف وحاضرها :

ت - الشيخ جعفر آل محبوبة المتوفى 1377 هـ ،
6 ج ط 3 ج ، وزيرى ، ط 3 1378 - 1958 ،
ج 1 ، 412 ص .

63 - فاجعة غراء طويريج في يوم العاشر من محرم
الحرام سنة 1386 هـ :

ت - السيد صادق آل طعمة والحاج جاسم
كلكاوي ، مط أهل البيت ، كربلا ، وزيرى
صغير ، 68 ص .

64 - خطباء منبر الحسين :

ت - حيدر المرجاني ، 6 ج ، ج 1 1949 م ،
ج 2 1950 ، ج 3 1953 ، ج 4 1966 ،
ج 5 1969 ، ج 6 1970 م ، طبعت جميعا
في مطابع النجف الأشرف . وزيرى صغير .

65 - فلاسفة الشيعة - حياتهم وآراؤهم :

ت - العلامة الشيخ عبد الله نعمة . منشورات
دار مكتبة الحياة - بيروت - ط 1 وزيرى ،
631 ص . يحتوي على ترجمة حياة 12
فيلسوفاً من فلاسفة الشيعة .

66 - ابصار العين في انصار الحسين :

ت - الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السحاوي،
طبع على نفقة المكتبة المربية ، مط الآداب ،
النجف ، ط 2 ، وزيرى صغير 160 ص .

67 - ادب الطف او شعراء الحسين من القرن الاول
الهجري حتى القرن الرابع عشر :

ت - السيد جواد شبير ، ج 1 ، وزيرى ،
منشورات الاعلى - بيروت - 1388 - 1969 ،
351 ص ، ج 2 ، وزيرى ، دار الصادق ، 1970 ،
342 ص ، ج 3 ، وزيرى ، دار الصادق 1971 م

68 - الباليات :

ت - الشيخ محمد علي البيهقي ، في تراجم
شعراء الحلة ، 3 ج - نجف - 70 - 1373 هـ ،
وزيرى ، 300 + 304 + 31 ص .

69 - انساب القبائل العراقية وغيرها :

ت - السيد مهدي القزويني المتوفى 1300 هـ ،
ط 4 ، مط الحيدرية - النجف ، 1390 هـ -
1970 م ، وزيرى صغير ، 512 ص .

70 - نقاة الرواة :

ت - آقا حسن الموسوي الاصفهاني ، ج 1
1387 هـ ، مط الآداب - النجف ، 354 ،
وزيرى .

71 - دليل الملكة العراقية :

ط في عام 1936 م .

72 - دائرة المعارف - المسماة بمقتبس الأثر
ومجدد ما دثر :

ت - الشيخ محمد حسين الشيخ سليمان
الأعظمي المهرجاني ، طبع لحد الآن 22 مجلدا ،
وزيرى ، مطابع ايران .

73 - دليل القضاء الشرعي :

السيد محمد صادق بحر العلوم ، معجم للدليل
القضايا الشرعية ، 3 ج وزيرى ، 1375 هـ ،
828 + 836 + 1035 ص .

74 - موسوعة الأعلام ، 10 مجلدات ، تناول اعلام
العالم العربي ومن لهم خدمة للقضايا العربية
من المستشرقين :

ت - خير الدين الزركلي ولكنها مرتبة على
الاسماء لا على الألقاب والكنى .

75 - الكنى واللقاب :

ت - المحقق الكبير الشيخ عباس القمي ط 30
1389 - 1969 م منشورات المطبعة الحيدرية
في النجف ، وزيرى ، ج 1 ، 454 ، ج 2 ، 498 ،
ج 3 ، 374 ، فى نهاية الجزء الثالث مصادر
الكتاب بقلم محمد هادي الاميني .

76 - الأوزان والمقادير :

ت - الشيخ ابراهيم سليمان العاملي البياضي ،
معجم فى الأوزان والمقادير بحسب الحروف ،
الفا من سنة 1356 هـ - 1361 هـ ، ج 1 ط 1
مط الصور الحديثة ، لبنان ، 1962 - 1381 هـ ،
وزيرى ، 168 ص .

77 - العقد المنير ، فى تحقيق ما يتعلق بالدراهم
والدنانير :

ت - السيد موسى الحسيني المازندراني ،
ج 1 ط 2 ، 1382 هـ مط الاسلامية ، طهران ،
وزيرى ، مقدمة (ك) + 453 ص .

78 - جابرة العقل البشري :

ت - محمد اسماعيل كاشف الغطاء ، تراجم
حياة نوابغ البشرية وخدماتهم - النجف ،
1966 .

79 - انوار البهية :

ت - الشيخ عباس القمي ، يبحث الكتاب عن
تواريخ الحجج الالهية وتراجمهم ، ط فى
1344 هـ ، وزيرى صغير .

80 - المؤلفون الافغانيون المعاصرون :

ت - محمد عيسى التاسمي الافغاني ، القسم
الاول من كتاب « الافغانيون فى التاريخ »
يحتوي الكتاب تراجم وسير المؤلفين الافغانيين ،
ج 1 مط النعمان ، النجف ، 1970 م ، وزيرى
صغير 200 ص .

81 - دليل الطبخ والتغذية :

ت - نزيهة اديب وفردوس المختار ط 4 ،
1968 م - 1386 هـ ، مط الارشاد - بغداد ،
478 ص ، قطع رحلي مصور ، يبحث فى الطبخ
والتغذية .

82 - دليل الآيات القرآنية :

اختيار السيد مرتضى السيد محمد مرتضى
الرصنوي ، رحلي 72 ص ، « فى دليل تفسير
الشبر » مط اليوسفية - القاهرة - ط 3 ،
1966 م - 1385 هـ .

83 - البيان فى شرح غريب القرآن :

ت - قاسم بن الحسن محي الدين ، وزيرى
ج 1 ، 168 ص ، ج 2 ، 216 ص ، مط العلمية فى
النجف ، 1374 هـ - 1955 م .

84 - نيل الوطر ، من تراجم رجال اليمن فى القرن
الثالث عشر :

ت - محمد بن محمد بن يحيى زيادة الحسن
الصنعاني ، ج 1 ط القاهرة 1348 هـ مط
السلفية ، وزيرى ، ج 1 ، 435 ص .

85 - فرهنك نامه \ قاموس ، عربي فارسي :

ت - الدكتور علي نقي المنذوي ، ط طهران ،
1337 ش ، مط الجامعة ، وزيرى 8 - 342 ص

86 - فرهنك جامع \ عربي - فارسي :

ت - احمد سياح ، 4 ج ، وزيرى طهران الى
1962 م .

87 - شهداء الفضيلة :

ت - الشيخ عبد الحسين الاميني ، (1320 هـ
1390 هـ) وزيرى - طهران - 1355 قمري ،
412 ص .

88 - شهد الامام :

ت - محمد علي جعفر التميمي ، معجم في البيوتات النجفية وتراجمهم ، 4 ج ، وزير ي ، 379 + 346 + 223 + 370 ص .

89 - الافصح في لغة اللفه :

ت - حسين يوسف موسى - جد الفتاح الصيدي ، مط دار الفكر العربي ، ط رحلي صغير ، ط 1 1929 م ، ط 2 1962 م .

90 - هدية العارفين :

ت - اسماعيل باشا بن محمد أمين البانسي البغدادي ، يبحث في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، 2 ج استانبول 51 - 1955 م رحلي 842 + 164 + 574 .

91 - سماء المقال في تحقيق علم الرجال :

ت - كمال الدين حاج ميرزا أبو الهدى بن أبو العالي محمد الكلباسي ، مط . قم . 1372 ق ، وزير ي 302 ص .

92 - دليل الجمهورية العراقية :

الأستاذ محمود فهمي درويش والدكتور مصطفى جواد وأحمد سوسة ، دائرة معارف ، علمية ، تاريخية ، جغرافية ، اجتماعية ، صناعية ، زراعية ، تجارية ، ط في 17 كانون الاول 1960 م في بغداد قطع رحلي 824 ص .

93 - ذيل كشف الظنون :

ت - اسماعيل باشا البغدادي .

94 - دليل الوطن العربي :

مجلات طبعت منها اعداد في بغداد وبتقطع الوزير ي ، يبحث عن الدول العربية وحكامها ومناخها وشخصياتها ، طبع عام 1950 م .

95 - اتقان المقال في احوال الرجال :

ت - الشيخ محمد طه نجف ، ط في النجف .

96 - باب الأبواب :

ت - س . اسماعيل سيد كاظم الحسيني المتوفى 1305 هـ يبحث في تراجم بعض العلماء المعاصرين (مخطوط) بخط المؤلف ، في مكتبة سيد ابراهيم بني هاشميان ، رامسر .

97 - نزهة الناظرين :

سيد اسماعيل بن سيد كاظم الحسيني المتوفى 1305 هـ يبحث في تراجم بعض العلماء والرجال « مخطوط » بخط المؤلف ، وزير ي ، مكتبة السيد محمد تقي السجادي .

98 - مفتاح الكتب الأربعة :

ت - سيد محمود 52 سرفي ، 4 ج معجم في حديث الكتب الأربعة الكافي - والتهديب والاستبصار - ومن لا يحضره الفقيه .

99 - مصادر الدراسة عن الشيخ الطوسي :

ت - محمد هادي الأميني ، وزير ي صغير ، مط النجف ، 1382 - 1962 ، يبحث عن الكتب التي تذكر حياة الشيخ الطوسي .

100 - الموسوعة الإسلامية :

موسوعة ليست اختصاصية في فرع محدد من فروع العلوم الإسلامية وكانت تطبع لحد عام 1966 م باللغتين الإنجليزية والفرنسية وكان الاتحاد الدولي للمؤسسات العلمية يواصل أعماله في اعداد هذه الموسوعة التي يشرف على اعدادها منذ عام 1956 كل من البروفسور « برنارد لويس » استاذ تاريخ الشرق الأدنى والأوسط في مدرسة الدراسات الشرقية في لندن ، والبروفسور « شارلز بيلات » استاذ اللغة والحضارة العربية في جامعة باريس ،

في النجف 1388 هـ - 1968 م ، تحقيق
السيد احمد الحسيني .

102 - كشف الطالب في كشف الطالب والآيات
القرآنية :

ترتيب الحاج السيد محمد بن سيد محمد
علي خط طاهر خشنون ، 1377 في 70 ص ،
طبع مرارا في نهاية القرآن بطهران على
احجام مختلفة .

والبروفسور « جوزيف شاخت » أستاذ اللغة
العربية في جامعة كولومبيا بنيويورك سابقا ،
وقد صرح البروفسور « لويس » بانجاز
الموسوعة بكاملها خلال العقد التاسع من القرن
الحالي .

101 - اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب:

العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي ، (1303 هـ
1385 هـ) 33 جزءا . الجزء الثالث والثلاثون
الى كلمة « شمشن » ج 1 ، وزيري مط الآداب



فحص من اللغة

الحال والحياى والفلاى والسلم...

الأستاذ عبدالحق فاخيل

الخصيب ، ويتصورون المخلوق ويصورونه بتمام جسمانه وجميع أعضائه اعتمادا على موجيات تلك العظمة النخرة .

ومن غير انتقاد لهم أو تنديد بصنيعهم لأن هذا قصارى ما فى وسعهم ، نصرح اننا لا نبيح لنفسنا مثل ذلك فى البحث اللغوي ، لأن المخلفات الباقية من اللغة أوفر بكثير من مخلفات الانسان الأقدم البائد . وانما شأننا عكس ذلك . اذا وجدنا هيكلًا لمخلوق لغوي تام الأعضاء ينقصه جزء يسير أبحنا لنفسنا استثناء (2) ذلك الجزء المفقود من مقايسة الأدلة واستنطاق القرائن ، ولا سيما اذا عثرنا على ذلك الجزء المفقود فى لغة أخرى .

قارننا يتذكر مثلا على ذلك ، انها كلمة (آب) التي قلنا (فى عدد فارط من « اللسان العربي » وفى كتابنا « مفامرات لغوية ») انها كانت تعني الماء فى العربية ، وهي ما زالت كذلك فى الفارسية . فقد وجدنا اسلاف هذه الكلمة وأخلافها فى العربية على نحو من المنطقية التطورية والوضوح حق لنا معه أن

كثيرا ما قلنا ، استطرادا ، ان اللغة العربية قد أضاعت الكثير من مفرداتها . فهذا أمر طبيعي ، لأن التطور اللغوي والتنقل البشري لا بد أن يؤديا فى كل لغة الى اهمال بعض الالفاظ لحلول الفاظ أخرى محلها أو لانتفاء الحاجة اليها فى الظروف الجديدة . يضاف الى ذلك فيما يخص عربيتنا عزوف جامعيتها المخلصين عن لغات الكثير من القبائل والمدن العربية لمخالطتها الاعاجم أو لمخالطتها من خالطوا الاعاجم . ولكم كانوا بأسرونا بجميلهم لو أنهم اهتموا بجرد لهجات كل القبائل والبلدان ثم نبهوا الى ما لا يعجبهم بقولهم انه ركيك أو مشبوه أو مشكوك فى نسبه أو ما شاءوا . اذن لكنت لدينا ثروة اضافية من اللغة اي ثروة . لكنهم لفرط حرصهم على سلامة هذه العربية وخوفهم ان يعم الخطأ نبذوا كل ما لم يتأكدوا من صوابه ، ولو أنهم لم يتأكدوا من خطئه أيضا .

وانظر الآن الى ما يصنع الانثروبولوجيون ، اي البشرانيون (1) . يجدون عظمة من جمجمة آدمي اقدم قد انقرض منذ عشرات القرون ، أو شظية من سانه أو فكه، فاذا هم يستنتجون ما يستنتجون بالحيال

(1) تقترح « البشرانيات » من البشراني أي المختص بالبشر ، بمعنى علم الانسان او علم البشر (anthropology) - على غرار « الأرضانيات » التي كنا اقترحناها بمعنى علم طبقات الأرض

(geology) من الأرضاني أي المختص بالأرض .

(2) « الاستثناء » مصطلح آخر تقترحه مقابل الصورة استنساخا أو تخيلا . وهي كلمة تفتقر اليها العربية لكثرة ورودها فى الآثاريات والمعماريات وغيرها .

ومنها (بلى) بفتحين : حرف تصديق ، ويجيء غالباً جواباً لاستفهام . وينطقونها فى الدارجة العراقية بكسر اللام (بلى) بمعنى نعم ، البسيطة . و (البليبي) بالعراقية : الحمص المسلوق يلتمه الصبيان واحدة واحدة على الأغلب . ويقولون فى العراق كذلك عن طبيع الرز ونحوه من النواشف إذا كثر ماؤه فتعجن أو الحساء إذا قل ماؤه فتكثف أنه صار (لبه - lappah) ولا ندرى هل هي مقتبسة من الفارسية أم منحدره من لهجة عربية قديمة .

فهذا الذي مر بنا يقنعنا علمياً بمروية أتل (لب) وهي لم تتسرب إلى الفارسية فقط بنفس صورتها العربية بل إلى لغات أوربية أخرى بمعنى الشفة أيضاً ، فى الإنكليزية مثلاً بصيغة (lip) وفى الفرنسية بصورة (lèvre) ، وفى كليهما (labial) : شفهي . وإنما بقيت (لب) على حالها فى الفارسية لقربها من المعربة بينما تطورت وتحورت قليلاً أو كثيراً فى الآريات الأخرى بسبب بعد الشفة وتفاعلات الهجرات والظروف .

ونظنهم أطلقوا (لب) - بالضم - على حالات أخرى من الالتهام وتناول الطعام . ثم استعملوه بمعنى الرضاع عند ملاحظتهم التقام الوليد ثدي أمه بشفتيه بعد الولادة توا ، دون سابق تعلم . ادھشم ذلك كما لا يزال يدھشنا ، وأحسبهم حكوا التهامه الثدي مبالغين فى التقليد بقولهم (لب - lup) ! ثم نشأت من الصيغة المفتوحة أو المضمومة كلمة (اللبأ) - بالكسر ، زنة العنب - بمعنى الحليب اللزج الصمغى الذي يدره ثدي الأم بعد الولادة فيرضعه الوليد أول شيء . وهذا يؤيد قولنا أن الكلمة صيغت من استغرابهم تلقائية الرضاع الأول . وما زال أثر تلك الدهشة باقياً فى معجمهم حيث يقول : (البأ) الجدي : رضع من تلقاء نفسه !

وقالوا (لبأت) الأم ولدها ، بمعنى أرضعته اللبأ . ومن ذلك صاغوا اللبأة ، واللبساء ، واللبوأة واللبوة ، واللبوة (بكسر اللام) ، واللبية (زنة الشفة) ، واللبأة (زنة الحماة ، رعاها الله من لبأة) ، واللبب (زنة اليد ، أي بتخفيف الباء) - بمعنى انثى الأسد ، لأنها ترضع صغارها ، خلاف زوجها الذكر . والظاهر أنهم أطلقوا هذه الأسماء ، أو بعضها ، أو أكثر منها ، على اناث كل الحيوان ، كما نقول اليوم (الحيوانات

نفترض أنها كانت موجودة فى العربية بذلك المعنى ، حتى لو لم تكن قد بقيت فى الفارسية . لكننا على كل حال نحصر مثل هذه الاستنتاجات والافتراضات فى اضيق نطاق ممكن ونقصر اعتمادنا فى البحث اللغوي على أوضح القرائن واقواها تنزيها لهذا العلم - التريسيس - من التخبط والفوضى . وكم تحاشينا الاستشهاد بأمثلة وقرائن لغوية لافتقارها إلى البرهان الناصع المقنع علمياً ، بالرغم من اقتناعنا الوجداني شخصياً بصوابها .

سنناول هنا كلمة رسية بدئية فى العربية تفرعت منها كلمات أصبحت حلقات متسلسلة متشابهة مثل نسيج الدرع ، لكننا نفتقد الحلقة الثانية منها فى العربية ونجدها فى الفارسية كذلك وهي (لب - lab) : شفة . ونكاد نجزم أنها كانت موجودة فى العربية ثم ضاعت وحلت محلها الشفة والشفر والمشفر والشفير والشفا والحافة والصفة . . نكل هذه الالفاظ تقوم مقامها كلمة (لب) فى الفارسية .

أما الكلمة العربية الرسية التى نحن بصدها فهي (اللب) زنة الدب ، التى نشأت من محاكاة صوت التهام (لب) البندق أو اللوزة من قشرته بارتشاف الهواء بشدة وتلقي اللب باللسان والشفتين ، وهو صوت لا تستطيع أن تصوره بأحسن من (لب lup) ! فمن هنا سمي (اللب) فى العربية . ويبدو أن اللوزة بالذات هي الأصل فما زال المعجم جزاه الله خيراً يتذكرها بقوله إن المرء (لب اللوزة : كسرها واستخرج لبها) . بل إن اسم (اللوز) متطور من اللب فيما يبدو . ولأن اللب هو الجوهر المتبقى من أمثال هذه الثمار القشرية أطلقوا اسمه على العقل أيضاً باعتباره لب الإنسان وما عداه فقشور . ومن (اللب) بالضم ، صاغوا (اللبب) بالفتح ، بمعنى الشفة بسبب الدور الذي تقوم به الشفة فى التهام اللب من داخل قشرة اللوزة . وهي الكلمة المفقودة فى العربية والباقية فى الفارسية كالذي معنا إليه . ولدينا دليل لعل قارئنا (اللبب) يوافقنا عليه هو كلمة (لبب) التى تعني الاستجابة مع التكرمة - لنداء أو دعاء . وواضح أن هذه الصيغة ليست الاثنى لصفة (لب) ولو أن اللغويين لم يفظنوا إلى أصل معناها . وأصل معناها هو اظهار المتكلم طاعته لأمر حاكم أو سيد أو عزيز ، وكأنه يريد أن يقول : سأصعد بأمرك ، أو أمينتك حالماً ما تخرج من لبك ، أي شفئك . وفى الموصل ينطقون لبك بحذف الكاف (لبسي) ، بمعناها . ومنها فى الفصحى فعل : لبسى بلبى تلبية .

والرومان (Levant) ، مما يدل على انه كان يسمى (لبنان) أو شيئاً من هذا القبيل زمانئذ ، وخاصة أنه يدعى بالفرنسية (Liban) . ثم صارت (levant) تعني الشرق أيضا ، وهي ما زالت كذلك في اللغات الأوربية الحديثة ، لان لبنان يقع شرقي أوربا .

والآن وقد اتضحت علاقة الكلمة بالرضاع والصدر تعود الى (اللب) - بالفتح - فنقول انهم اشتقوا منها أيضا بعض المعاني الصدرية . فاللبنة (زنة الحبة) واللبب (زنة الحبيب) يعنيان موضع القلادة من الصدر . وقالوا (أم لبة) : محبة عاطفة ، أي مثل الأم المرضع الرؤوم ، ثم استعير المعنى للرجل فقيل (هو لسب على الأمر) : ملازم له ، تشبيها بملازمة الأم المرضع وليدها .

ومن اللبب صيغ (التليبب) وهو ما في موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق على تعبير المعجم - وهو حاشية فتحة الصدر من التوب . ونحن بحاجة الى هذه الكلمة عصريا في دنيا الملابس التي نحار في تسميتها . ومن ذلك قيل (لبيت الرجل) : أخذت بتلبيبه ، والاستعمال الشائع حديثا : أخذت بتلابيبه ، بصيغة الجمع .

أما (اللور) - بالراء المهملة ، زنة البوق - التي تعني اللبن المتوسط الصلابة بين الجبن واللبن ، فنموذج آخر من تشعب الصيغ وتفرع المعاني . وهي كلمة أخرى نحتاج إليها في دنيا الأكل .

على أن الميدان الأوسع لنشاط هذه الكلمة - لب - انفسح حين صدورها بالحاء فصارت (حلب) أي لبن وزنا ومعنى . وفعل (الحلب) أي استخراج اللبن من الضرع نشأ منه (الحليب) أي اللبن المحلوب .

من الطعوم تكتشف اثنين من منتجات الحليب : الحلو والملح . أما (الحلو) فنظنهم قالوا أولا (حلا يحلو) من قولهم (حلب يحلب) بمعنى طاب وساغ مذاقا ، كالحليب . ولما كان الطعم السكري المعروف أطيب الطعوم ولذا خصوصا عند الصغار فقد صارت (الحلاوة) تطلق على هذا الطعم خاصة وعلى كل مستلمح أو جميل عامة . ومنها بالدارجة صيغة (حليوة) . وأما (الملح) - آخر أبطال عنوان قصتنا اللغوية هذه - فقد جاءته تسميته من لونه ، لان (الملح) أي منجم الملح ، تبدو في البرية من بعيد ناصعة البياض كأنها بقعة من الحليب .

اللبنونه) ، ثم تخصصت بأثنى الأسد . وصيغة (اللبونة) من اللبن تشبه صيغة (اللبوة) من اللبأ . يؤيد ذلك ان (lupa) تعني باللاتينية ومن ثم بالإيطالية : ذئبة . والحاقا بها سموا مذكرها الذئب : (lupus) L. و (lupo) It. كذلك الأمر في الفرنسية (loupe) : ذئبة و (loup) ذئب . وربما كان منها في الانكليزية (wolf) : ذئب .

وكما شمل اسم الذئبة اسم الذئب الذكر في بعض اللغات كالذي رأينا ، يلوح لنا ان اسم اللبوة أيضا قد شمل الأسد ، الذي صار يدعى (leo) و (lion) . ولعل ذلك قد تم في المعربة فان هاتين الصيغتين تشبهان صيغة (لبت) التي تعني الأسد أيضا .

ومن اللبأ أو اللب - بالفتح - صيغ (اللببن) الذي كانوا يعنون به الحليب كما لا يزالون في مصر ، لكن معناه في سائر لهجات الشرق الأوسط هو الحليب الرائب ، وفي المغربية : الحليب المخيض أي المأخوذة زبدته .

ومن ذلك صيغ (اللبان) - زنة اللسان - بمعنى الرضاع ، و (اللبان) - زنة الفؤاد - صمغ شجرة معينة ، تشبيها له بلبن الأنثى ، ثم صار يطلق على الصمغ الذي يعلك والمعروف بالمصطكي . واللبان بالمصرية يعني العلك عامة أصمغا كان أم شيئاً آخر . و (لبن الشجرة) أية كانت هو في المعجم ماؤها على كل حال . والمقول أن يكون قد أطلق أولا على نسغ نوع من الشجر يسيل ماؤه أبيض كاللبن مثل شجرة التين ، ثم عم فشمّل كل الأشجار . ثم صار (اللبان) - زنة الحنان - يعني موضع ما بين النهدين ، ثم الصدر عموما ، للإنسان والحيوان . ووجود ثديي أنثى الإنسان في صدرها يدل على أن هذه التسميات المختلفة أطلقت أولا على الإنسان ثم انتقلت الى الحيوان ، أي ان الرضاع التلقائي أدهشهم من الولد الإنسان قبل الولد العنز ، ولا سيما ان الماعز لم يستأنس الا بعد آتماد . أي انهم طفقوا طوال تلك الآماد يقولون (البأ) الوليد البشري بمعنى رضع من تلقاء نفسه الى أن عرفوا الجدي فنقلوها اليه . ولا بد انهم كانوا يستعملون لمعنى (الرضاع) بوجه عام صيغة أخرى .

ومن اللبن جاءت تسمية جبل (لبنان) لان الثلج لا يبرح بعض قممه فتبدو حتى في الصيف بيضاء ، كاللبن ، وهو ما يعترف به المعجم . وقد سماه الاغريق

ومن الملح نشأ (الملح) اي البريق ، استعارة من شدة بياض الملح في الفلاة . ونطقها بعضهم بالعين فنشأ (اللع) فقالوا لمح البرق ولمع ، بمعنى . ومن الملح صيغت (اللعجة) وهي النظرة السريعة كأنما شبهوها بومضة البرق ، وبقي في المعجم من ذلك قوله : لمحت الشيء ، أو الى الشيء : أبصرته بنظر خفيف .

وما زالت بعض صيغ اللع وثيقة الصلة بالحليب وما يتفرع منه من معان ، مثل (لمع ضرع الناقة) : تلون عند نزول الدرة فيه ، و (ألمعت الفرس ونحوها) : أشرق ضرعها واسودت حلمته ، و (ألمعت الأنثى) : تحرك الولد في بطنها .

ولا بد من تذكير القارئ بأنه لم تكن هناك لجنة لغوية تولد الألفاظ وتصنف المباني وتوزع المعاني ، أو أن هناك أحدا أو قبيلة فعل ذلك عن عمد وحسن اختيار . وإنما هي اختلاطات تعبيرية منشؤها ظهور صيغ جديدة بسبب الخطأ في النطق ومعان جديدة بسبب الخطأ في الفهم . وتصبح الصيغ الجديدة أول أمرها مرادفات للصيغ القديمة التي منها نشأت ، ثم يتخصص بعضها بمعان أخرى قريبة من المعاني الأصلية أو بعيدة عنها بسبب مشابهاة أو ملاسبات قد تكون وجيهة معقولة وقد تكون واهية وقد تكون مضحكة . والتعمد الوحيد في الأمر هو استعارة بعض المعاني على المجاز أو التشبيه ثم يندو المجاز حقيقة والتشبيه أصلا .

أما الصيغ الثلاث (ملح وملق وملج) التي قلنا إنها نشأت من (ملح) ومعناها الرضاع ، فالظاهر أنها كانت تعني الحليب كذلك بدليل الانكليزية (milk : حليب) . وهي أشبه بصيغة (ملق) . ولعل (ملك) أيضا كانت تعني الحليب في العربية ذات زمان . وقد بقي من آثارها (تملك البعير) : لوى لحبيه وتلمظ ، و (اللمالكة) - زنة السحاب : الشيء مما يذاق .

وكانت هذه الصيغ (ملح ، ملق ، ملج) مترادفة المعنى أول الأمر تعني عموم الرضاع ثم تخصصت كل واحدة منها بنوع منه ، فصارت (ملج الصبي ثدي أمه) تعني على قول المعجم : تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها ، و (أمليجته أمه) : أرضعته ، و (أمليج ما في الثدي) : امتصه ، و (المليج) : الرضيع . أما (الملق) فيعني عموم الرضاع لولد الإنسان ، وأما (الملع) فاختص بولد الناقة حيث قالوا (ملع الفصيل أمه) : رضعها .

ولا نشك في أن (ملح) كانت تعني (حلب) في وقت من الأوقات ثم اختصت (بالملح) - المادة المعروفة المستعملة في تطيب الطعام ، لأن (ملح) هذه نشأت منها أفعال : ملح وملق وملج ، التي تعني الرضاع ، وسنتحدث عنها بعد . ومن هذا الطيب الذي يحدثه الملح في الطعام قالوا ان الفتاة (مليجة) أي حسناء ، أو بالحري (جذابة) بالتعبير الحديث ، لأن (الملاحه) غير الجمال . ومن ذلك قول مصعب بن الزبير عن زوجته حين احتكما إليه : « عائشة أجمل وسكينة أملح » . فقالت سكينة : « لقد قضى لي والله ! »

و (المليح) بلفه الموصل يعني الجيد من كل شي . أما في سوربة فقل من ينطقه كذلك فالأكثرين ينطقونه بالنون (منيح) - مع تسكين أوله . وفي الموصل - أيضا - يقولون عن الشخص انه (يتملح) بمعنى يتظرف وبماحك .

ومن الملح كذلك صيغت (الملحقة) - زنة العرفة - وهي النادرة من الكلام يتفكه بها .

وبعضهم قلبوا الملح فنطقوه (المحلل) - زنة الوحل - وتخصصت هذه الصيغة فيما بعد بمعنى الأرض القاحلة ، لأن الأرض الرسوبية التي انحسر عنها البحر تكون ملحية تظهر آثار ملوحتها على وجهها . والأراضي السبخة من هذا النوع لا تصلح للزراعة دون غسلها من الملح ، وقلما ينبت فيها زهر أو عشب ، فهي من ثم (مملحة) أي (مملحة) . ثم عم استعمال (المحل) فشم كل أرض قاحلة .

وربما كان من هذه المادة (الوحل) و (القحل) أيضا . أما (الوحل) فان الأرض الرسوبية رخوة تغدو (موحلة) تفوص فيها الأقدام غب المطر ، لأنها متكونة من تراكم الطمي في الماء الملح ، خلاف الأرض الكلسية الصلبة . وأما (القحل) فقريب المعنى من (المحل) . وفي الموصل - التي لا أدري لماذا كثر ترداد الاستشهاد بلفتها في هذا الحديث - يقال عن اللون انه قد (قحل) - بتشديد الحاء - إذا حال وتغير الى ما يشبه لون الأرض السبخة التي تظهر فيها آثار الملح . فهذا يؤيد العلاقة بين (القحل) و (المحل) و (الملح) . ومن هذا المعنى أيضا (الأملج) . بالجيم المنقوطة : القفر لا نبات فيه . وهذا واحد آخر من الأدلة على تعدد الصيغ مع اختلاط المعاني ، وسنعود كما وعدنا الى بيان علاقة (الملح) بالرضاع والحليب .

لكننا لا نتمتع على دقة هذه التقسيمات التي نقلها اللغويون عن عرفوا من القبائل فالأغلب أن قبائل أخرى كانت تعمم من هذا بعض الخاص وتخصص بعض العام ، على نحو آخر .

ومن (الملق) نشأت صيغ (لقم) و (التقم) و (لقمة) .. ومن ثم (لقن) و (تلقين) و (لقانة) .. و (لهم) و (التهم) و (لهم) و (الهام) ..

وهذه الألفاظ الرضاعية الثلاث (ملج ، ملق ، ملح) ملج (ملج) قلبوها وأبدلوا حروفها كرة أخرى فنشأت منها صيغ مثل : (لمظ) و (تلمظ) . أما (اظماظة) - بضم اللام - فهي بقية الطعام في الفم . وقلبوا (ملج) فقالوا (لمجت الشيء) : أكلته بأطراف الفم (أي مثل ملح الصبي ثدي أمه) . و (اللمجة) - زنة المضغفة - ما يتعمل به قبل الطعام ، وهي كلمة جاهزة تصلح ان نطلقها على (الأوردوفر hors-d'œuvre) الذي اختلف وتغير اللغويون في تسميته .

ثم ان الأعراب قلبوا (لمج) أيضا فنطقوها (لجم) ومنها صاغوا (لجام) الحصان . ويقولون - اللغويون - ان اللجام مقتبس من الفارسية (لكام - lagam) وها انتم ترون ان العكس الصحيح .

وقبل ان نتجاوز (ملق) التي نشأت منها (لقم) ونودعها الى غير رجعة ، نقول انهم تناولوا (لقم) هذه وصنعوا لها رأسا فصارت (حلقم) ومنها (العلقوم) ، ثم قطعوا لها ذيلها فصارت (العلق) ومنه صاغوا (الحلقة) . ولما كانوا في الجاهلية ، وما يزال بعض القرويين ، يتركون دائرة من الشعر في وسط رأس الصبي حين يزيلون شعره ، صاروا يقولون (حلقت الصبي) - بتشديد لام حلقت - بمعنى صنعت له (حلقة) من الشعر في رأسه . ثم صار (التحليق) يعني ازالة الشعر بوجه عام ، ثم خففوا فعل (حلق تحليقا) فنطقوه (حلق حلقا) أيضا . ويلوح ان الصيغة المشددة كانت اشيع على العهد الجاهلي .

لكن كيف صار (التحليق) يعني الارتفاع ؟ يقول المعجم ان ذلك ناشيء من طيران الحمام على شكل دائرة في الفضاء ، فشبهوه بتحليق الشعر في رأس الصبي . لهذا كان قولك (حلق الطائر) يعني انه جعل يدور في طيرانه . لكننا نرجح ان تحليق الطائر جاء من معنى (الحلقة) عامة لا من حلقة رأس الصبي خاصة . ثم صار التحليق يعني الامغان في الارتفاع . فإين تحليق الطائرة اليوم في اجواز الفضاء من التقام

الرضيع ثدي أمه ، في الغاب ؟ ما أعجبها صلة . وامثالها كثير .

نعود الآن الى الحليب .

قالوا (تحلب العرق) : تفصد ، و (تحلب فمه) : در لعابه . و (الحالبان) : القناتان اللتان يتحلب فيهما افراز الكليتين نازلا الى المثانة .

ومن الحليب أيضا صيغ (الاحليل) : مجرى اللبن في الثدي ، والأغلب انهم كانوا ينطقونه (الاحليب) اول الامر ، ثم اتبعوا البناء باللام ، على غرار صنيعهم باسم (قايين) مثلا نطقوه (قابيل) اتباعا له باسم هابيل . وعلى المجاز اطلقوا (الاحليل) على آلة الرجل باعتبارها مجرى ما يشبه اللبن من النطفة .

وواضح انهم قالوا (حلم يحلم) بمعنى (حلب يحلب) ومن هنا صيغت (حلمة) الثدي . وعندها قالوا (حلم) الصبي و (احتلم) بمعنى انه بلغ ما نسميه سن الرشد ، وكانهم قصدوا ان يقولوا انه (حلب) او احتلب) لانه يرى اول رؤيا جنسية ينزل فيها ماؤه الحليبي . ومن ثم صار (الحلم) - زنة الشكر - مرادفا للرؤيا بوجه عام من جهة ، و (الحلم) - زنة الرثم - يعني العقل والحصافة اي ضد الطيش والسفه من جهة أخرى ، باعتبار الصبي قد بلغ مبلغ الرجال ونفض عنه جمالة الطفولة ، وصار (الحلم) من جهة ثالثة مرادفا للناة ورحابة الصدر لان الحصيف العاقل هو الذي (يحلم) عن السفهاء ، فهو (حلم) . وهذا هو المعنى الشائع اليوم للحلم والحليم ، فقد ندر من يستعملهما في غير الشعر بمعنى العقل والعاقل .

اما (الاحتلام) فنطقه بعضهم (الاغتلام) فشاعت هذه الصيغة ثم اختصت بمعنى هياج الشهوة . ومنها اشتقوا (الغلام) الذي هو اصل الاحتلام وممثل شدة الشهوة معا - وهو البطل الثالث لعنوان قصتنا هذه . ثم صار (الغلام) يعني الخادم والعد ، وعمموا التسمية على الأنثى فسموها (غلامه) . ومن الغلام صيغت (الغلعة) : الشبق . ومن ثم سموا ذكر السلاحف (الغيلم) كناية عن شبقه .

وقالوا (حبلت) المرأة بمعنى حملت جنينا في رحمها . ذلك بأن الحليب يتكون في ثدي (الحبلى) . فصار قولهم (حبلت)

المراة يعني انها (جبلت) ، والمصدر هو (الجبل) - زنة الأمل . و (الجبلى) هي الثانية من أبطال عنوان قصة (لب) .

وبعضهم نطق (جبلت) المراة بالميم وتغيير الحركة فقال (حملت) ومن ثم سميت الجبلى (الحامل) أيضا . وعندما ولدت جنينها قالو وضعت (حملها) . وسمي الوليد (الحمل) - زنة الأمل أيضا - ثم اختصت هذه الصيغة بولد الشاة ، وبقي (الحمل) - زنة الحول - يعني الجنين ما دام فى بطن أمه . وعلى التشبيه سموا ثمرة الشجرة (حملها) ما دامت عليها . ثم صار (الحمل) - زنة القرد - يعني الثقل الذي (يحمله) الإنسان أيا كان نوعه . فعندئذ ظهر (الحمال) أول شخص قصتنا هذه اللغوية الغرامية الاحيائية مع ابعادها الاجتماعية والاقتصادية . ظهر (الحمال) من (الجبلى) . وشتان بين حمل هذه فى بطنها وحمل هذا على ظهره

ويلوح أن الصيغتين البائية والميمية - الجبل والحمل - قد تعايشتا عهدا طويلا كما هي المادة الغالبة عند ظهور صيغ جديدة محرفة عن صيغ سابقة وعلى هذا نرجح أن الحمال كان يدعى (الجبال) أيضا أول الامر ، فلا بد أن يكون (الجبل) - زنة الحمد - قد أخذ معناه من (الجبال) - زنة الحلاق - لا من (الجبلى) ، لأنه هو الذي يربط حملسه على ظهره (بالجبل) . ومن تعايش الصيغتين البائية والميمية اشتقوا (الملاح) من الحمال ، بمعنى الجبال - زنة الحلاق . نقول هذا لأن العلاقة الوحيدة بين الحمال والملاح هي (الجبل) يستعمله الأول لربط حمله على عاتقه والثاني لسحب السفينة مع رفاقه

عند مسيرها قرب الشاطئ ضد التيار أو الريح . من بقايا ذلك سوق بالموصل - أيضا - تدعى (سوق الملاحين) كان لها شأن أيام القوارب والسفن النهرية - تباع فيها الجبال ، وهم يسمونها (سوق الجبالين) كذلك ، مما يدل على أن الملاح كان يسمى (جبالا) ، فلو كان القصد من التسمية الثانية للسوق هو الجبال - زنة الجبال - لدعوا سوق (الجبال) بدل سوق (الجبالين) . ولا نعلم أن كانت هناك فى دارجات عربيات أخريات كلمة ما تزال توحى بالصلة بين الملاح والجبال .

من بعض هذه الألفاظ التي تقدم ذكرها نشأت الفاظ كثيرة أخرى ذات معان أخرى تبعد شيئا فشيئا عن معانيها الأصلية بحيث لا يمكن التعرف عليها الا بالمعاني والمباني المتصاقبة بقودنا بعضها الى بعض . والمعجم زاخر بها .

فهذي باختصار هي قصة الحمال والجبلى والملاح والحليب والملح وملاحة الفيد الحسان وملاحة البحار ثم الهواء ثم الفضاء ولبنان والفيلم والألمعية والوحد والحطوى وسوق الجبالين والتلمظ والتملق واللوبة والالهام وحلمة النهدي .. وخاتمة لبيك ...

نعم كان يتصور أن كل هذه الألفاظ وكثيرا غيرها من التفرعات التي تكمل اللغة وتزيد ثروتها .. ترجع الى أم واحدة صغيرة هي : (لب) ؟ لم يصادف أحد ، غير السندباد البحري فى مغامراته السبع ، أمثال هذه الفرائب والمفارقات التي صادفتنا فى رحلتنا هذه الصغيرة فى اقطار المعجم العربي .

نشاط الجمعية والمكتب الدائم للتعريب

- ♦ العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة
للدكتور عبد العزيز السيد
- ♦ مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع
للدكتور ابراهيم مذكور
- ♦ قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- ♦ مجلس البحث العلمي الأردني
- ♦ المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني لمنظمة
التربية والثقافة والعلوم
- ♦ جهود الدول العربية في حقل التعريب
للاستاذ ميرغني
- ♦ المكتب الدائم في مشاريعه العربية والدولية
- ♦ مسابقة المكتب الدائم
- ♦ مسابقة المكتب الدائم : تكريم الفائز
- ♦ بين المجلة وقراءها

مجلس الشورى
البحرين
البريد العرفي
الرقم 456

456

العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة

الدكتور عبد العزيز السيد
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(القاهرة)

قام الاستاذ عبد العزيز السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية بزيارة استطلاعية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ما بين 17 - 22 \ 6 \ 1971 قصد الوقوف على المنجزات التي حققتها المكتب الدائم والمشاريع التي ينوي تنفيذها والمشاكل التي تترض طريقه في سبيل تحقيق اهدافه .

وقد اقام المكتب على شرف سيادته حفلات استقبال نوه السيد المدير العام خلالها بالروح الاسلامية السامية التي تتوفر في جميع موظفي المكتب واشاد بدورهم الطليعي في خدمة اللغة العربية والعودة بها الى اصلتها وامجادها ، وقد ارتجل سيادته كلمة قيمة نلخصها فيما يلي :

والحقيقة انني لم اكن اعرف مدى حاجتنا للتعريب، الا حينما زرت بلدان المغرب العربي هذه الزيارة التي جعلتني اشعر بجلال المهمة الملقاة على عاتق مكتبكم وضرورة التعجيل بالتعريب والعمل على نشر اللغة العربية لان وحدة الفكر واللغة هي التي ستجعلنا نقف على ارض صلبة من الفكر وهي اولى خطوات التقدم في العصر الحديث ، وليس معنى التقدم ان نقلد غيرنا ونستورد الافكار من سوانا . فهذا ليس من شيم العرب الذين هم من المنشئين الاول للحضارة الانسانية ومن واضعي اسسها التي ما زالت اصلتهم موجودة وتراثهم قائما يشهد بعظمتهم وفضلهم على الانسانية جمعاء ، وكل ما تنطوي عليه الحضارات المعاصرة من قيم انما هي في الاصل مستقاة من الحضارة العربية والاسلامية ، وان اول من عرف العقيدة العالمية هم

ايها الاخوة . لقد سررت كثيرا بهذا اللقاء الاخوي ، وهذه الزيارة الكريمة التي مكنتني وستمكنني من ان اراكم وارى اعمالكم التي عرفتها في الحقيقة وسمعت عنها الكثير قبل ان اتولى شؤون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقبل انضمامي اليها، لقد عرفت اعمالكم واعجبت بها منذ كنت في المجمع اللغوي بالقاهرة ، فمنذ ذلك الحين وانا اتابع باعجاب المجهودات الجبارة التي يقوم بها هذا المكتب لخدمة اللغة العربية والمصطلح العربي .

وحيثما رايتكم واطلمت على اعمالكم عرفت انكم موفقون في اعمالكم لا ريب ، وانكم لا تبادلون الفكر فقط ولكن تتبادلون كذلك الاخلاص والوفاء والتفاني في العمل مما يزيدنا ثقة وايمانا ان هذا المكتب سوف يحقق ما نبتغيه ان شاء الله .

بمبادئهم وافكارهم واستغلالها فى الصناعة والتقدم العلمى لما كنا الآن نعيش هذا التأخير ، ويجب ان نعد انفسنا الى الدور الفعلى نحو توحيد صفوفنا وتحقيق اهدافنا ، وبهذا تكون قد ادينا واجبنا على احسن ما يرام . وانى لا ادعو الى معاداة الحضارة الغربية ولكن ينبغى علينا ان نفتح أعيننا جيدا لتتأكد من كل شىء .

ونحن عندما نتحدث عن الاسلام فاننا لا تقطعه عن العربية ولهذا فان العربية تحتل المكانة اللانقة بها فى نفوسنا وبين اللغات لانها تجمع بين قداسة الدين وبين الدنيا ، لانها لغة التخاطب ولغة الفكر وهي التي تجمع كل هذا من بين جميع اللغات ، وانا لا اعرف لغة اخرى يعتز بها اهلها مثل اللغة العربية ، ذلك لانها جمعت بين الدين والدنيا كما قلت ولانها لغة الفهم والحضارة والفكر والمعرفة ، ولهذا لم يكن غريبا علي ان اجد فى المغرب العربي الشعور بالحاجة الى التعريب والعربية ، لانه قد حان الوقت بالنسبة لهذا الجزء من الوطن العربي ولاهله ان يعملوا على تطوير لغتهم ولغة آبائهم واجدادهم وربما كان هذا هو السبب الذي جعل اقطار المغرب العربي تنهض وتعلن معركتها من أجل التعريب ومن أجل العودة الى لغتها وحضارتها وامجادها .

وختاما ايها الاخوة اقول اننى لا اريد ان اعرف كيف تعملون ، لاننى ارى كل ذلك فى عملكم وانتاجكم وفى كل ما تنشرون وكل ما اقوله لكم اننى احييكم وابارك عملكم واتمنى لكم كل تقدم وتوفيق فى هذا العمل العظيم . واننى لوائق انه فى زيارتي القادمة ان شاء الله سأجد تقدما اكثر وانتاجا اكبر والسلام عليكم .

المسلمون ، وهذا لم يكن تشريعا وضعا ، بل كان جزءا من عقيدتهم . فالمسلمون جميعا وحدة مترابطة ، اى ان الفكرة العالمية هي اصلا فكرة اسلامية ، ثم ان دولة الرفاهية هي دولة اسلامية وعربية . لقد كانت فى الاديان الاخرى هوة بين الحاكم والمحكوم ، اما فى الاسلام فلأول مرة منذ قرون القيت تلك التفرقة وزالت تلك الهوة ، بل ان الحكم فى الاسلام كان يبنى على التعاون والتفاهم ومبدأ الشورى والديمقراطية .

لقد عززت المسيحية عن الدنيا فجاء الاسلام ليجمع بين الدين والدنيا وليحقق ما لم يكن معروفا من قبل الاديان الاخرى .

والنظر العلمى والبحث العلمى انما هو دعوة اسلامية صريحة فليس هناك شىء واجل من القرآن الكريم الذي هو اساس النظريات العلمية والبحث العلمى . ان ما يفخر به الغرب الآن من علم وتكنولوجيا كانت اصول الدعوة اليه موجودة اصلا فى القرآن .

انا ايها الاخوة لم نتخلف الا حينما غابت عنا كل هذه الحقائق وكل هذه المبادئ التي التقطها منا غيرنا واقام بها حضارة وتقدما . ولو نظرنا الى الحضارة الغربية والتقدم الغربي لوجدنا ان تلك الحضارة اخذت تنجح الى الخراب والفساد بعد ان اخضعت العالم لمدد طويلة لمذهب من القوة والعنف .

اننى لا انكر على الحضارة الغربية نضج العقل والفكر ، ولكنى انكر عليها جنوحها الى الماديات وفساد الاخلاق .

ولو استطاع العرب فى عصورهم الذهبية تحت ظل القرآن الكريم وهدية ، والاسلام وقواعده الاحتفاظ

مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع

كلمة الدكتور ابراهيم مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة

دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة الى مؤتمر تبحث فيه مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع ، حضره مندوبون عن جميع البلاد العربية وبعض الملاحظين من خارجها ، دام من يوم 3 مايو 1971 الى 8 مايو ، افتتحه معالي وزير الثقافة بكلمة ترحيبية وتلاه سعادة رئيس المجلس الأعلى المذكور الاستاذ يوسف السباعي بكلمة مشابهة ، ثم تقدم رئيس المؤتمر العالم الجليل السيد ابراهيم مدكور فالقى كلمته الجامعة وانفرع المؤتمر الى لجتين احدهما تخصصت ببحث المصطلحات الفلسفية وثانيتها تخصصت بدراسة مصطلحات علم الاجتماع . ومثل المكتب الدائم لتنسيق التعريب كبير الخبراء الدكتور ممدوح حقي والقى كلمة الختام لهذا المؤتمر الذي توصل الى الاتفاق على نحو الفني مصطلح حملها العلماء والفلاسفة المؤتمرون الى جامعاتهم لتطبيقها في محاضراتهم ومؤلفاتهم . وقبيل انقضاء المؤتمر رسميا اجتمع الاعضاء على تكريم الرئيس الدكتور مدكور بمناسبة بلوغه السبعين من عمر قضى اكثره في خدمة اللغة ، وتشكلت لذلك لجنة راسها عميد الفلسفة الدكتور عثمان امين وانفقت على نشر مقالات مبتكرة تهدي اليه وتجمع في كتاب خاص بهذه الذكرى . ونحن ننشر فيما يلي الموضوعين الافتتاحي والختامي للدكتور مدكور والدكتور حقي ، كما نقدم كتاب « المقولات العشر » وهو مخطوط غميس يحقق وينشر نقلا عن خط مؤلفه نفسه لأول مرة ويهدى الى الدكتور مدكور بمناسبة الذكرى السبعين .

الاسلامية منذ القرن الاول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها اخرى في الاخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة الشوء والارتقاء ، فلما تطور على مر الزمن ، وعول واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بان يكون عربيا اصيلا ، او معربا دخيلا ، وربما آتروا المعرب اذا كان ادخل في المعنى واكمل في الاداء وكثيرا ما يحمل التعريب شارة الاصل الذي نقل عنه ،

سيدي الرئيس ، سادتي .

العلم لغة احكم وضعها ، ولا حياة له بدونها ، يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى اساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ، وتاريخ العلوم الى حد ما تاريخ للغتها ومصطلحاتها .

ولم تنشأ لغة العلم في الاسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها ، وقد بدأت العلوم

فتلحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما رُوي أن مصطلحا ما لا يؤدي معناه أداء كاملا ، عدل عنه إلى ما هو أدق وأضبط .

وما إن حل القرن الرابع الهجري حتى اكملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها بحيث تنوسي معناها الأول ، ولا يكاد يفهم منها إلا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، كانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدى بتسجيلها في معجمات تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع ، ومن أواخرها « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية ما نقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة كالانجليزية والفرنسية .

— x —

أما المترجمون فلم يتمكنوا من العربية تمكن المعتزلة ، ومع ذلك بذلوا جهدا عظيما في تكوين المصطلح الفلسفي ، وقضوا نحو قرنين أو يزيد في النقل عن العبرية والسريانية ، والفارسية والهندية ، واللاتينية واليونانية . واستوقفهم بوجه خاص مؤلفات افلاطون وارسطو ، وما عليها من شروح ، وكان لشراح الاسكندرية شأن فيما نقلوا وترجموا ، وهم أقرب إلى المسلمين من الشراح القدامى . وقبلهم هؤلاء المترجمون إلى الدقة والنزاهة المقدره العلمية ، فكانوا أمناء في نقلهم دقيقين في عملهم ، يتجردون ما أمكن المصادر الوثيقة ، ويعيدون ترجمة ما لم يطمئنا إليه ، أو ما اهدتوا فيه إلى نص أضبط .

— x —

وإذا شئنا أن نقف عند المصطلحات الفلسفية بوجه خاص ، وجدنا أنها سارت على نحو ما سارت المصطلحات العلمية العربية الأخرى . بدأت ضعيفة محدودة مترددة ، فكانت تقتصر على ألفاظ قليلة يؤخذ بها حيناً ، ثم يعدل عنها ، ولكنها ما لبثت أن نمت وتنوعت بحسب تنوع العلوم الفلسفية وتمدها ، ويمكن أن ترد بوجه عام إلى مصدرين هامين : الدراسات الكلامية الأولى ولدى المعتزلة خاصة ، وحركة الترجمة والمترجمين .

وقد أسهموا اسهاما كبيرا في تكوين المصطلح الفلسفي ، إلى حد أن قسما مما تخيره من الألفاظ لا يزال مستعملا إلى اليوم . ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب « الأورجانون » لأرسطو ، وهو من أقدم الترجمات الفلسفية التي وصلت إلينا ، وفيه مصطلحات منطقية لا تكاد تختلف عما استعمله الفلاسفة والمناطقة اللاحقون ، ولم يفهم أن يستعبروا الألفاظ استعملت في علوم أخرى ، وأغلب الظن أن لفظ « الحكم » أو « القضية » مثلا عرفا لدى الفقهاء قبل أن يعرفا لدى المناطقة ، واشترك مصطلحات بين علوم مختلفة أمر ملحوظ في العربية . وكثيرا ما استعانوا بالنحس

ويعد المعتزلة بحق مؤسسي المدرسة العقلية الأولى في الإسلام ، فلسفوا الدين قبل أن يعرف الفلاسفة ، ووضعوا دعائم علم الكلام ، أو الفلسفة الإلهية الإسلامية . على أنهم لم يقفوا عند الإلهيات ، بل كانت لهم نظريات في الطبيعة والسيكولوجيا والأخلاق . وقضوا نحو مائتين وخمسين سنة ، من أخريات القرن الأول الهجري إلى منتصف القرن الرابع ، يدافعون عن الدين ، ويردون شبه الزنادقة والملحدن .

ولم يبق الزمن على شيء يذكر من مؤلفات مؤسسي هذه المدرسة وكبار رجالها الأول ، ولكن

والمعاصر . ولقد أصبحت المصطلحات الفلسفية في نمو وتجديد لا ينقطع ، ولها في اللغات الأوربية معجمات تزداد وتستكمل من حين لآخر .

ونستطيع ان نقرر ان البحوث العربية في الفلسفة قد خطت في نصف القرن الاخير خطوات فسيحة ، احييت مجد الماضي ، ووصلته بالحاضر ، واخذت تكون من جديد لفتها الخاصة . فيلحق بالكتاب ثبت بما ورد فيها من مصطلحات مع ذكر مقابلها الاجنبي وبذلت جهود في وضع معجمات عربية للعلوم الفلسفية ، ومن بينكم من اسهم فيها بنصيب ملحوظ ، ويعني بها مجمع اللغة العربية منذ عهد بعيد . واخرجت لجنة الفلسفة بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مجموعة كبيرة من مصطلحات الفلسفة عام 1964 .

وقيمة المصطلح في انتشاره والاخذ به ، وبدا يصبح جزءا من اللغة العلمية المشتركة . اما ان يختلف من باحث الى باحث ، ومن قطر الى قطر ، فانه يبقى عملة غير متداولة . ومن اسباب توحيد المصطلح العلمي الكتابة والتأليف ، ونشره لكي يذاع بين الناس . وينبغي ان يلتقي المختصون من حين لآخر ليتبادلوا الراي في لغتهم ، ويتذكروا ما فيها من قصور .

وانا لسعداء بان يشهد مؤتمرا هذا جمع صالح من كبار المشتغلين بالدراسات الفلسفية في العالم العربي ، وقد وجهت الدعوة الى الجامعات العربية كلها ، والى زملاء كرام لم يصلنا رد منهم . ونؤمن بان في هذا اللقاء خيرا وبركة ، وفلاسفة العرب متعاونون من قبل ومتصلون ، وربما كانت مسافة الخلف بينهم في المصطلح الفلسفي اضيق منها في دراسات اخرى . ولتبادل هيئات التدريس بين الجامعات المختلفة ، ولنشر الكتاب العربي وتيسير نقله من بلد الى آخر اثر كبير في هذا الشأن . ولقد برهنت العربية على انها ليست اقل استجابة لمقتضيات العلم من اية لغة اخرى ، وكم من مصطلح عربي الصق بمعناه وادق في دلالاته من مصطلح اجنبي .

والاشتقاق لخلق الفاظ تؤدي المعاني الجديدة ، وكان لهم في المصادر الصناعية فسحة كبيرة كالهوية والماهية ، وقد يدخلون عليها لا النافية كالأدرية واللانهاية . وان اعوزتهم الالفاظ العربية عربوا بعض الكلمات الاجنبية ، فاخذوا عن اليونانية مثلا ، الانية ، والهيولي ، والاسطقس ، وفتاسيا ، وثاسوس ، وعن السريانية « حيمر » بمعنى باب او فصل ، وسمع الكبان او « شمعا كيانا » للسمع الطبيعي ، وعن الفارسية الهندسة والجوهر . ومما يذكر ان كلمة « اوسيا » اليونانية ترجمت اولا بلفظة « عيسن » ، واستمرت هذه اللفظة مستعملة الى عهد الأشعري ، وعُدل عنها بعد ذلك لانها ذات دلالات مختلفة الى كلمة « جوهر » الفارسية التي حلت محلها بصفة نهائية .

— x —

ثم جاء فلاسفة الاسلام فنقحوا مصطلحاتهم ، وغدوا لغتهم الفلسفية ، والتقوا فيها على كلمة سواء ، ولا تكاد تختلف مصطلحات ابن سينا والغزالي الفلسفية في المشرق عن مصطلحات ابن طفيل وابن رشد في المغرب . وجاراهم في هذا المتكلمون المتأخرون امثال الفسفي والايحي ، وقد حرصوا على ان يدمجوا الفلسفة في دراساتهم الكلامية . ويوم ان ركد البحث الفلسفي في الاسلام ركبت لفته معه ، فجمدت المصطلحات ، واضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف ان يرددوا الفاظا وصيفا قال بها السلف .

وجاءت اخيرا النهضة العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت ان تتدارك بعض ما فات ، ولكن من قاموا فيها بالتأليف والترجمة لم يكونوا على علم تام بماضيهم ، ولا على صلة وثيقة بمصطلحاتهم القديمة ، فلم يفيدوا كثيرا من ذاك التراث العظيم ، واخذوا يؤدون الحقائق الفلسفية اداء لا يخلو من تعجل او خطأ ، وكان على ابناء القرن العشرين ان يتداركوا هذا النقص ، وان يتابعوا سير البحث الفلسفي في التاريخ الحديث

* * * *

وهانم ملخص الخطاب الذي ارتجله الدكتور ممدوح حقي في الجلسة الختامية لمؤتمر الفلسفة والعلوم الاجتماعية

اخواني الزملاء والزميلات .

تخلص منها الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وراى
جلالة المغفور له محمد الخامس ملك المغرب ان يوطد
صلاته بالبلاد العربية الاسلامية عن طريق لغة القرآن
متأخيا متعاوننا معها في طريق التقدم الحضاري ،
وكانت هذه الاواصر قد تقطعت بفعل الضغط
الاستعماري حتى باتت اللغة الفرنسية لغة التعامل
العام لا في المدارس والجامعات ودوائر الحكومة بل
حتى في السوق والبيت والمزرعة والجيل . ولاحظ
ان البلاد العربية في تسابقها للحاق بالركب الحضاري
كل واحدة منها تسري في طريقها الخاص تترجم
وتؤلف وتعرب على قدر طاقتها وقدرتها فاختلص
تعريب المصطلحات تبعا لاختلاف البلاد . وايقن بعين
بصيرته مال هذا التباين بعد عقدين او ثلاثة من السنين
وراعه ان تسيير البلاد العربية في طريق التباين الثقافي،
فدعا الى ندوة عربية في اواخر العقد السادس انتجت
هذا المكتب الدائم لتنسيق التعريب وتقريب وجهات
النظر في الترجمة وتوحيد المصطلحات بقدر الامكان .
ومنذ ذلك اليوم والمكتب يعمل في تلقي ما يعرب من
سائر الدول العربية وينسقه ويضيف عليه لغة اخرى
ويتبعه بملحق يجمع ما اصابه النسيان او لحقه الاهمال
او استجد على العلم من بعده وينشر ذلك كله في مجلة
« اللسان العربي » وهذا العدد الثامن امامكم يتألف كذا
ترون من ثلاثة اجزاء ينوف كل جزء على سبع مائة
صفحة ويجمع ثمانية معاجم علمية هي : معجم الكيمياء
ومعجم النبات ومعجم الحيوان ومعجم البترول ومعجم
الفيزياء ومعجم الجيولوجيا ومعجم الرياضيات عدا
ما فيه من ابحاث ومقالات علمية ومعجمية ولغوية .

نعد ذلك كله ونشره على العلماء في البلاد
العربية وعلى المستشرقين وندلتي رددتهم وملاحظاتهم
ونشرها بحرفيتها في المجلة ، وكنا نكتفي بالوقوف
عند هذا الحد ، غير اننا اتخذنا الآن خطة جديدة قد
تسركم سرورا بالفا على ما اعتقد . . سنرسل لكم
نتائج عملنا لتطلعوا عليها وتنقدوها ثم ترك لكم فرصة

ما اشد غروري حين اقرن نفسي الى اساتيد
افاضل وعلماء فطاحل وفلاسفة كبار ضمهم هذا
الحفل الكريم في مؤتمر يعالج المصطلحات الفلسفية
والاجتماعية وهي ارقى ما وصل اليه الفكر المجرد .
بل ما اعظم اعتزازي بهم وانتخاري بمصاحبتهم في
هذه الرحلة الفكرية السامية خلال اسبوع كامل ذاب
فيه الزمن فلم اشعر بتراكم الايام والساعات حتى
صحوت على لحظة الختام . وستبقى ذكرى هذا المؤتمر
خالدة في تاريخ حياتي العلمية وسانقل شعوري العميق
بها الى مكتب تنسيق التعريب في الرباط الذي امثله
الآن امامكم .

اخواني واخواتي :

لعل كل من تحدث اليكم باسم موطنه من السادة
الاعضاء اقام في نفوسكم صورة لهذا الوطن بحدوده
وجغرافيته واقليمه وتاريخه وديموغرافيته . ولعله اثار
فيكم ذكريات خاصة او عامة تتعلق به ، اما حين اتحدث
اليكم باسم مكتب تنسيق التعريب في الرباط فكيف
حال الصورة التي تقوم في نفوسكم عنه ؟ ! اغلب الظن
ان اكثر السادة الزملاء والزميلات وهم من ارقى
الطبقات الفكرية في البلاد العربية لا يعرفون عنه الا
القليل القليل ان لم يكونوا يجهلونه بتا ، والذنب في
ذلك ذنبنا اكثر منكم ، فنحن نعمل بصمت صامت
وهدهء ساكت منذ اكثر من عشر سنوات وهمنا كله في
الانتاج المستمر لا في الضجة ولا في اللغاوة - منذ اكثر
من عشر سنوات والمكتب يعمل وينتج ولا يدري به
الا القلة القليلة ممن لهم صلة بنا كالجامع العلمية في
القاهرة ودمشق وبغداد ، وبعض الجامعات في سائر
البلاد العربية وبعض العلماء .

كلنا نذكر بان الشمال الافريقي العربي وقع في
يرائن الاستعمار الفرنسي منذ القرن التاسع عشر وما

طويلة جدا لا تقل عن بضعة شهور نعقد لكم بعدها مؤتمرا في ظل الجامعة العربية تناقشون فيه عملنا بمنتهى الحرية ، وما يستقر عليه رأيكم سيتخذ مجراه الطبيعي الى الجامعات والاساتذة والمؤلفين ويشيع على السنة العلماء واسنة اقلامهم وتوحد بذلك المصطلحات ويسهل التفاهم العلمي بيننا جميعا - فهل انتم على استعداد للمساهمة في هذا المؤتمر ؟ نعم لن يكون ذلك قبل دخول العام القابل ولكن حساب السنين في عمر الشعوب غير ذي قيمة خصوصا ما تعلق منها بالعلم .

قد تتساءلون عن وصف المكتب وقدرته ولكم في ذلك كل الحق . فالمكتب يتألف الآن من فرعيين : اداري وفني . يقوم على الاداري موظفون ممتازون بمستواهم العلمي والخلقي والاداري معا وبذلك تيسر اموره وتعالج مشاكله بلطف وسهولة . ويقوم على الفرع الفني خبراء متخصصون على مستوى عال من الثقافة او الشهادات العلمية ومعرفة اللغات وما زلنا نقوي هذا الفرع بما نضيف اليه من خبراء مراسلين في العالم العربي ومن المستشرقين في كل العالم . والمكتب على عمومه نفس حي من فروع جامعة الدول العربية يعيش على ما تمنحه من ميزانية وما تقدمه دولة المغرب المضيفة من موظفين اداريين ومصروفات البريد وما شاكل ذلك مما يبلغ مئات الالاف من الدولارات . والمكتب لا يبذر ولا يسرف ولا يطلق المال جزافا بل كل قرش عنده بحساب دقيق ، ولقد

انتج حتى الآن عددا عديدا من معاجم المعاني الصغيرة وسيواصل عمله في هذا الدرب حتى يضع معجما كاملا تاما لثغة العربية يرتفع حتى يساوق آخر ما وصلت اليه المصطلحات الحضارية الحديثة ويسير من بعد معها جنبا الى جنب . اما متى نصل الى هذا الهدف فلن نستطيع تقديره الا بعد عشر سنوات على الاقل . واما كيف يعمل المكتب بهذا النظام الدقيق فذلك امر تدركونه جميعا بالبداية : انه الاخلاص في العمل والايمان بقدرة لغتنا على التطور واغنائها بالتجديد وبالاستحداث والاشتقاق والتعريب . انه التعاون المثمر بين المكتب من الداخل وسائر العلماء العرب من الخارج : بيننا وبينكم ، بين كل من نطق لغة القرآن واحبا بين كل من آمن بحق العرب في الحياة . بين كل من قدس تاريخنا المجيد واستشرف لمستقبلنا العتيد . فالمكتب في خدمتكم ، والمجلة مفتوحة لكم ، نرسلها بالمجان لمن اراد منكم ، ولا نشترط عليه اكثر من ان يتقدنا ويسدد خطواتنا ويهدينا الى خطئنا . المكتب لكم وعلماءه وخبرائه تحت تصرفكم . واذا كنت - قبل مغادرتي المنبر - احب ان اشكر احدا فالشكر لشقيقتنا الكبرى مصر وللمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وللمجمع اللغوي المصري ولكل من ساهم في اقامة هذا المؤتمر الذي افدت منه شخصا اكثر مما اعطيته وسأنتقل الى مكتبنا في الرباط صورة عما لقيته بينكم من رعاية وعمما شاهدته من تنافس في خدمة العلم الصحيح ، وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والصواب والحق .



قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة

- 9 — جواز استعمال « ام » و « او » بعد سواء ، مع الهمزة وبدونها : سواء علي حضرت ام لم تحضر . سواء علي حضرت ام لم تحضر . سواء علي حضرت او لم تحضر . سواء علي حضرت او لم تحضر .
- 10 — جواز استعمال « تقييم » أي بيان القيمة بدل « تقويم » بالرجوع الى الاصل منعا للالتباس بمعنى التعديل في استعمال تقويم من قوم أي عدل .
- وجاء في الجزء 25 صحيفة 191 ان المجمع اقر ما يلي :
- 1 — جواز حذف الياء واثنائها في النسب الى « فعيل » بضم الفاء او فتحها . مذكرة ومؤنثة في الاعلام وفي غير الاعلام .
- 2 — جواز استعمال « اي » للابهام والتعميم في مثل قولهم : اشتر اي كتاب . ويصح اضافتها الى معرفة مثل : اشتر اي الكتب . او الى مصدر مثل : لا تبال اي تهديد .
- 3 — جواز صياغة « فعله » للدلالة على التكميل والمبالغة من الثلاثي القابل لذلك وصفا للذكر والمؤنث .
- جاء في مجلة مجمع اللغة في مصر (الجزء 24 صحيفة 194) ان المجمع قد اقر ما يلي :
- 1 — اطلاق جواز الاشتقاق من اسماء الاعيان ، دون قيد الضرورة بقيد العلوم كما كان مقررا سابقا . . .
- 2 — جواز لحوق تاء التانيث صيغة (فعول) الصفة بمعنى فاعل ، وجمعها جمع تصحيح .
- 3 — جواز صوغ (فعيل) لمعنى المبالغة او الصفة المشبهة ، كما يدل على المشاركة : (جليس ، مثيل ، خليط . . . الخ .)
- 4 — صحة استعمال كلمة « متحف » بفتح الميم والحاء .
- 5 — صحة استعمال (حدث) بضم الدال ولو لم يكن مرافقا فعل (قدم) لافادة المدح او الذم او المبالغة ، مع اشرابه معنى التعجب .
- 6 — جواز استعمال « تبرير » بمعنى تسويغ ، كقولهم : برر فعله بكذا . . .
- 7 — صحة استعمال « تقدم اليه بكذا » بمعنى التمس منه .
- 8 — جواز الحاق المد الأصلي في صيغة (مفاعل) بالمد الزائد في صيغة (فعائل) مثل : مكابد = مكائد .

- 4 — جواز جمع « فعله » ساكن العين صحيحها على « فعلات » بتسكين العين او فتحها مثل : زفرة = زفرات .
- 5 — جواز الغاء النصب بـ « اذن » .
- 6 — اقرار الاستثناء بـ « غير ، سوى » .
- 7 — جواز دخول « ال » على « غير » .
- 8 — جواز النسبة الى كيمياء بانيات الهمزة « كيميائي » .
- 9 — جواز القول : فعلت كذا رغما عن
- 10 — جواز القول : حدث هذا أثناء كذا
- 11 — جواز القول : هل هذا الامر يعجبك ؟
- وجاء في الجزء 26 صحيفة 220 أن المجمع قد أقر ما يلي :
- 1 — الموافقة على صحة قولهم : هذا حمض يوجد في عسل الشمع . هذه الكلمة موجودة في المعجم الوسيط ... وما شابهها ، على اعتبارها من باب الكون الخاص لأن جمهرة النحاة على أن حذف الكون العام واجب .
- 2 — اباحة جمع « فعل » ساكن العين على « أفعال » بغير استثناء : بحث = أبحاث .
- 3 — جواز جمع « مفعول » على « مفاعيل » مطلقا : مملوك = مماليك .
- 4 — جواز جمع ما لا يعقل جمع اناث مثل : فراغات صمامات . قرارات . جوازات ...
- 5 — جواز جمع « كيلومتر » على كيلومترات ، واخضاعه في التمييز لما عليه القواعد العربية مثل : سرت سبعة كيلومترات . سرت عشرين كيلومترا ...



مجلس البحث العلمي الأردني

كتيب نشره مجلس البحث العلمي في الأردن نوه فيه بضرورة البحوث العلمية في الدول النامية .. لضمان التقدم والازدهار والتطور والتفتح على الحضارة الحديثة . وهي تساعد على تدليل الصعاب والمشاكل التي تعترض خطط التنمية والتطور .

ولقد تم تشكيل مجلس لتوجيه سياسة البحث العلمي في الأردن منذ عام 1957 ، يتم تمويل هذا المجلس من الهبات الخارجية التي يحصل عليها ، بالإضافة الى ميزانيته الخاصة الممنوحة له من الدولة ، يرأس المجلس عادة وزير التربية وفيه تسع لجان هي :

- 1 - اللجنة التنفيذية .
 - 2 - اللجنة المالية .
 - 3 - اللجنة الزراعية .
 - 4 - اللجنة الصحية .
 - 5 - لجنة العلوم والطبيعة .
 - 6 - لجنة العلوم والهندسة .
 - 7 - لجنة الأبحاث الاقتصادية .
 - 8 - لجنة العلوم الاجتماعية .
- وأخيرا لجنة أبحاث الطاقة الذرية .
- ويتكون مجلس الأمانة العامة من خمسة أعضاء .
- وهذه بادرة طيبة نباركها ، وانها لتبشر بخير كثير .

المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني

لمنظمة التربية والثقافة والعلوم

- 1 - تم انعقاد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم التي انشئت في نطاق جامعة الدول العربية في دورته الاولى في شهر ديسمبر (كانون الاول) 1969 فافر :
 - تعيين السيد الدكتور عبد العزيز السيد مديرا عاما للمنظمة . كما كان من قراراته :
 - 1 - انتخاب اعضاء مجلس تنفيذي للمنظمة لمدة سنتين
 - 2 - الموافقة على النظام الداخلي للمؤتمر العام وكذا النظام الداخلي والنظام المالي للادارة العامة للمنظمة
 - 3 - التصديق على نظام الموظفين والمستخدمين بالمنظمة وعلى برنامجها وتكاليفه لسنتي 70-71 و 71 - 72 وميزانيتها الانتقالية للسنة المالية (1971)
 - 4 - احداث شعب محلية في الدول الاعضاء لتنظيم التعاون مع المنظمة
 - 5 - التعاون بين المنظمة وجامعة الدول العربية .
- و اما المؤتمر العام الثاني لهذه المنظمة الفتية فكان انعقاده من 4 ديسمبر (كانون الاول) 1971 الى 13 منه ، وكان جدول أعماله حافلا بالمواضيع المهمة التي نوقشت في جو ملؤه الوثام والجدية فصدرت قرارات كلها تبعت على التفاؤل والامال منها :
- 1 - تحديد البرامج والميزانية للمنظمة عن سنتي 1972 - 1973
 - 2 - اتخاذ التدابير الملائمة بعد دراسات المنظمة لتقارير الدول العربية الاعضاء عن نشاطاتها في مجالات التربية والثقافة والعلوم
 - 3 - اقرار عقد الاجتماعات والحلقات والمؤتمرات خلال سنتي 1972 - 1973
 - 4 - اثبات تعاون ايجابي بين المنظمة وجامعة الدول العربية من جهة وبين المنظمة العربية ومنظمة اليونسكو من جهة أخرى
 - 5 - تشكيل الشعب المحلية في الدول العربية (اللجان القومية)
 - 6 - انشاء مراكز اقليمية عربية للوسائل التعليمية ولتنمية الثروة البشرية
 - 7 - تطوير التعليم الهندسي والاداري في البلاد العربية .
- وقد اوفد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مندوبين عنه قاما بعرض موجز عن نشاطه وتطور أعماله واتجاهه وتخطيطه للمشروعات الحالية والمقبلة كما تقدما بتفاصيل مشروع الميزانية الخاصة بالمكتب .

وأوضح المندوبان بهذه المناسبة ان الحكومة المغربية كانت منذ انشاء المكتب ولا تزال تقدم اليه - باعتبارها دولة المقر المضيقة - مساعدات مشجعة .

ومما يجدر ذكره انه اثناء المناقشات حول نشاط المكتب تفضل السيد رئيس اللجنة المالية والادارية والقانونية فأشار « الى ما لهذا المكتب فعلا من أهمية قومية بالاضافة الى عمله العلمي » .

كما كان من اهم مقررات المؤتمر العام الثاني بالنسبة للمكتب عقد مؤتمر التعريب الثاني خلال سنة 1973 وقد ترك امر تحديد مكان انعقاده للإدارة العامة لمنظمة التربية والثقافة والعلوم ، وفيما يلي نص هذا القرار :

قرار

عقد مؤتمر التعريب الثاني سنة 1973

ان المؤتمر العام ،

تميزا لتوصية المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب (الكويت 17 - 22 فبراير 1968) الهادفة الى ان تسعى جامعة الدول العربية في ان يتم توحيد المصطلحات العلمية بين الدول العربية حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية .

وتقديرًا للجهود التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في هذا الصدد باعداد ستة مشروعات معجمية علمية تحت اشراف الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بناء على قرار مجلس الجامعة في دورة سبتمبر (ايلول) لسنة 1969 باحالة موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ، وقد تم انجاز هذه المشروعات كالآتي :

- 1 — مشروع معجم الرياضيات .
- 2 — مشروع معجم الفيزياء .
- 3 — مشروع معجم الكيمياء .

- 4 — مشروع معجم النبات .
- 5 — مشروع معجم الحيوان .
- 6 — مشروع معجم الجيولوجيا .

وطبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد بالرباط (3 - 7 ابريل 1961) .

وطبقا للنظام الاساسي لمكتب تنسيق التعريب الذي اقره مجلس جامعة الدول العربية (قرار رقم 2541 - ج / 4) وقد نص على « ان يتولى المكتب مهمة تلقي ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والعلماء والمترجمين ومتابعة ذلك كله وتنسيقه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات التعريب المقبلة » .

وبناء على المذكرة التي قدمها مكتب تنسيق التعريب بشأن اقتراح عقد « المؤتمر الثاني للتعريب خلال سنة 1973 من أجل استعراض ما استطاع انجازه من التوصيات الصادرة عن مؤتمر التعريب الاول ومن أجل دراسة مشروعات المعاجم العلمية السالفة الذكر .

يقرر :

1 - عقد المؤتمر المقترح في وقته المحدد (سنة 1973) على ان يترك أمر تحديد مكان انعقاده الى الادارة العامة للمنظمة للتربية والثقافة والعلوم وعلى ان يسبق انعقاد المؤتمر تحضير له من حيث اعداد البيانات والدراسات الوافية ومن ذلك عرض المعاجم التي تم اعدادها بواسطة المكتب على الخبراء واللغويين والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية في الوطن العربي في وقت كاف يسمح بدراستها دراسة جادة متأنية قبل حلول وقت المؤتمر المقترح .

2 - ويوصي المؤتمر العام بتوسيع موضوع المؤتمر المقترح ليشتمل على الجوانب الهامة لمشكلة التعريب من جوانبها المتعددة وبخاصة في المغرب العربي م / ع (1971) ق 6 ط

مُجُود الدُّوَل العَرَبِيَّة

فِي

حَقْلِ التَّعَرِيبِ

الأستاذ ميرغني (السودان)

مصطلحا عاما متفقا عليه ، وبجانب ذلك يقوم المركز بإصدار كتيبات ونشرات لكل جديد يبرز في عالم المصطلحات ، كذلك قام بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت باصدار «قاموس التربية وعلم النفس التربوي» هذا الى جانب جهود المجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، وغيرها من مجامع اللغة العربية والاتحادات والهيآت العلمية .. الخ .

ويدعو الكاتب في مقاله الى توحيد مناهج التعليم بين الدول العربية وتوحيد المسميات حتى لا يقع التلميذ العربي في حيرة ولبلة من امره . وكذا الى توحيد كافة المصطلحات التي تجد والعمل على نشرها في الوطن العربي .

تم ذيل مقاله ببعض المصطلحات في مجال التعليم المبرمج .

ومن خلال هذه المجالة يبرز لنا دور المكتب الدائم في تعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها وتعميمها ونشرها في جميع الاقطار العربية وعمله الدائب على مساندة ركب التطور الحضاري الزاحف الذي يطلع علينا في كل يوم بسيل كبير من المصطلحات الجديدة التي يملها العصر والتي نحن في حاجة ملحة الى جهود متضافرة لتلاحقها وتداركها وتعريبها . وكذا يتأكد لنا - بالتالي - دور المجمع والهيآت اللغوية في مختلف الدول العربية التي جندت نفسها لنفس الغاية .

كتب الأستاذ ميرغني دفع الله مقالا تحليليا حول المصطلحات التربوية في مجلة « التوثيق التربوي » التي تصدر عن مركز التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم العالي بالسودان اعدد 18 سنة 1971 ، سلط كاتبه فيه الأضواء على أهمية المصطلحات في هذه الآونة ثم انتقل الى الحديث عن تطور مدلول الكلمات من عصر الى آخر وكيف يبطل مدلول بعضها ويتولد مدلول جديد .

وعن توحيد المصطلحات العلمية يقول الأستاذ في هذا الصدد : « .. ففي اوربا تفرغ بعض العلماء الى وضع قوانين علمية تحدد تحديدا دقيقا المقصود بكل مصطلح وفتحوا المجال لكل صاحب رأي ان يدلي برأيه كما قاموا بعقد مؤتمرات من آن لآخر لمناقشة التطور الناشء في كل ميدان وتعديل ما يمكن تعديله » .

ثم يضيف :

« واما في الجانب العربي فقد كان الجهد المبذول في هذا المضمار كله يدور حول علوم اللغة وأسرارها امدا من الزمان ، الى ان تصدت جامعة الدول العربية وبعض الهيآت الاخرى لهذا الامر ، فقد قامت الجامعة العربية باشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط، مهمته الأساسية تعريب بعض المصطلحات العلمية وتوحيدها ، فهو يصدر من وقت لآخر ، مجلة « اللسان العربي » ، ويتناول فيها مصطلحات كل علم بالتعريب واختيار انسب العبارات واقربها الى المعنى لتكون

المكتب الدائم في شَارِعِ الْعَرَبِيَّةِ وَالذَّوْلِيَّةِ

وتتطور وتكبر حتى ساوقت أكبر المجلات اللغوية في البلاد العربية .

ب - اصدار عدة معاجم الحت الضرورة على استعمال بعضها منها : الرياضيات، الفيزياء ، الكيمياء ، الأشغال العمومية ، السياحة ، الطحانة والخبازة ، السيارات ... الخ .

منجزاته في المرحلة بين 1966 و 1971

قام المكتب خلال السنوات الخمس التي تنتهي مع انتهاء هذا العام بانجاز ما يأتي :

أ - عدة معاجم لفروع المعرفة لتكون أساسا لمعجم المعاني والحضاري الكبير وللمعجم العلمي والتقني العام .

ب - اعداد مئات الألوف من الجرازات لمختلف المصطلحات العلمية والتقنية مما توصلت اليه الجامعات اللغوية والجامعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والعلماء ...

وما زال مستمرا في العمل على تنمية هذه الحصيلة وذلك بثلاث لغات .

ج - توسيع مجلة « اللسان العربي » حتى بلغ العدد الثامن منها ثلاثة أجزاء في نحو ألفي صفحة من القطع الكبير . وتحتوي - عدا بحوث العلماء سبعة معاجم خاصة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء المختصين - وبعضها معاجم علمية وتقنية ، منها

أبثق المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي عن مؤتمر التعريب المنعقد في الرباط (3 - 7 أبريل 1961) وتبنته جامعة الدول العربية عام 1969 (قرار رقم 2541 / ج / 4) في جلستها العادية رقم 51 .

وتقررت مهمته فيما يلي :

أ - تجميع بحوث العلماء العرب وتنسيق المصطلحات المعربة فيما بينهم قصد توحيدها بقدر الامكان .

ب - تنسيق التعاون بينه وبين الجامع اللغوية والهيئات العلمية المختصة وشعب التعريب في كل بلد عربي .

ج - متابعة التعريب خارج حدود الوطن العربي والتنبيه على ما يرتكب فيها من أخطاء تعريزيا لمكانة اللغة العربية على نطاق دولي .

د - معاونة الحركة المندفعة نحو استخدام اللغة العربية الاصلية لتحل مكان اللهجات المحلية واللغات الأجنبية المستخدمة في بعض البلاد العربية ، خصوصا في المغرب العربي .

منجزاته في المرحلة بين 1961 و 1966

من منجزات المكتب - بالرغم من ضعف وسائله المادية والبشرية - خلال خمس سنوات انتهت عام 1965 :

أ - اصدار مجلة « اللسان العربي » وما زالت تتقدم

و - وساهم في تنشيط التعريب ومحاربة الدخيل بالمغرب العربي باصدار مجموعات من كتيبات عنوانها - قل ولا تقل - كان لها اجمل الصدى في المنطقة وفي منظمة اليونسكو .

ز - اصدر الجزء الاول من معجم الاقتصاد والقانون، ومعجم الفقه والقانون والفقه المالكي الخ .

ح - اجري مسابقة فيما بين العلماء العرب المختصين باللغة ، فاز بالجائزة الاولى السيد ناجي هلال من العراق ، وقد تبرعت بها الملكة المغربية ونشر تحقيقه كتاب « متخير الالفاظ » لأحمد بن فارس المتوفى عام 395 هـ . وتجري الآن مسابقة ثانية - تبرعت بجائزتها دولة الكويت - ثم نالته تبرعت بها الملكة العربية السعودية .

ط - وقد اسهم مع الاتحاد البريدي العربي باضافة ملحق لمعجمه الاصلي كما اسهم في اكمال معجم الطيران المدني ومعجم اليونسكو واصدار معجم للطرق على نفس النسق باتفاق مع الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق .

النبات والحيوان والجيولوجيا قدمت مشروعها وزارة التربية والتعليم المصرية بلغتين - انجليزية وعربية - واتمها المكتب الدائم باضافة اللغة الفرنسية مع ملحق ضاف لكل منها بثلاث لغات ايضا . اما السابع فهو معجم البترول وقد صدر عن المنظمة العربية للبترول فاضاف المكتب اليه لفة ثالثة وملحقا على غرار المعاجم الستة المذكورة .

د - يعمل المكتب الآن على نشر هذه المعاجم وملحقاتها في طبعة خاصة مشكولة لكي يكون النطق بالمصطلحات العربية واضحا لا لبس فيه .

هـ - اصدر عدة معاجم صغيرة تتعلق بالمصطلحات الحضارية ، تكملة لما سبقها في ارساء قواعد معجم المعاني الكبير المنتظر . منها : الاجهزة والآلات والالعب العربية والسماكة والاسماك واسماء العلوم والفنون والمعجم المنزلي ومعجم البناء ومعجم الالوان ومعجم الحرف والمهن ومعجم الاطعمة ومعجم الحساب (للابتدائي) والمعجم الصوفي ...

مشاريع المكتب في اطار تخطيطه للمستقبل

وليس ذلك على علمائنا بعزير . ومكتبنا - على قلة من فيه من خبراء وعلماء - يواصل عمله بلا انقطاع نهارا وليلا في كثير من الاحيان وهذا ما ساعده على انجاز اعماله خلال المدة القصيرة من حياته ولقد وضع مخططا للسنوات الخمس المقبلة للعمل على تحقيق ما يلي بعون الله :

ا - مواصلة تجميع الجزازات الى اقصى حد ممكن في العلوم والفنون المختلفة باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية مقتبسة من القواميس القديمة والمعاجم الحديثة والمصنعات العلمية

ب - متابعة اصدار المعاجم التقنية والعلمية مشكولة شكلا تاما حرصا على حسن نطقها بالعربية ، منها: « معجم الترتيب العشري العالمي » (باتفاق مع المنظمة العالمية للزراعة) و «معجم العظام» و « معجم الدم » وسلسلة طويلة من معاجم المعاني تستفرك ما انجزته دار « لاروس » والمعاجم الانجليزية علاوة على معاجم تقنية خاصة يستند فيها المكتب الى ما وضعه من

كان تحقيق معظم المشاريع السالفة الذكر في اطار تصميم وضعه المكتب الدائم لعشر سنوات ابتداء من سنة 1966 .

وسيصدر قريبا معجما للميكانوغرافيا .

وقد قرر المكتب ان تكون جميع معاجمه الكبيرة باللغات الثلاث : عربية وانجليزية وفرنسية وتخابر مع بعض الهيئات العلمية في المانيا وروسيا للتعاون على اصدار معاجم خمسة اللغات في وقت واحد لا سيما في حقل التكنولوجيا .

- x -

ومما تجدر الاشارة اليه ان اللغة العربية اصبحت تسير سيرا حثيثا نحو بلوغ مكانتها المحترمة بين سائر اللغات العصرية الكبرى فصارت تستعمل الى جانب اللغات الاربع في بعض الهيئات الدولية مثل اليونسكو غير ان كسبها هذا لم يكن الا سياسيا اما الكسب العلمي فيحتاج الى جهود جبارة لنستطيع اللحاق بركب الحضارة التقني والعلمي على الخصوص ، ولن يتأتى لنا هذا الا بمواصلة الجهاد المخلص المتفاني

جزايات هي خلاصة ما ورد من مصطلحات قديمة في الكتب والقواميس .

ج - يضاف الى ذلك المعاجم التالية :

معجم الفنون ، معجم الموسيقى ، معجم علم الاجتماع ، المعجم السياسي والديبلوماسي ، معجم الفلسفة ، معجم علم النفس ، معجم المذاهب والديانات ، المعجم الاداري ، المعجم الفلكي ، المعجم الجغرافي ، المعجم التاريخي وموسوعة السينما وموسوعة الكهرباء ومعجم الحراج والخشب ، معجم الانسان (من الناحية البيولوجية) ومعجم المرأة (في الحضارة) والمعجم العام للسكك الحديدية مع اعطاء الاسبقية لكل مشروع جديد ترثي احدى الدول العربية ضرورة التعجيل باصداره .

د - انعاش التراث اللغوي والفكري للعربي باقامة مسابقات جديدة بين العلماء العرب تقدم فيها جوائز وتنشر الكتب الفائزة . وفي اطار هذا المضمار فان المكتب سينشر قريبا :

1 - كتاب « المقولات العشر » ، يلحق به معجم مثلث اللغات للمصطلحات الواردة في المنطق السوري .

وهو مخطوط غميس اكتشفه وحققه الدكتور ممدوح حقي وقدم له مقدمة علمية رصينة .

2 - معجم « لآلئ العرب » للمرحوم السيد رزق وهو معجم للمعاني فيه تدقيق وتحقيق وزيادات بالنسبة لمعجم ابن سيده .

هدا مع استمرار الاتصال بالدول العربية وخاصة مع الشعب القومية للتعريب والخبراء المراسلين للمكتب والمعينين من طرف الحكومات العربية لمتابعة التعريب بقصد تنسيقه وعرضه على العلماء العرب في الندوات

التي يعقدها المكتب في نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وسيكون حق الاسبقية في النشر لما يمس الحاجة العربية في نضالها الداخلي للتقدم او في نطاقها الدولي لتساوق وسائر اللغات في الهيئات الدولية . ويلاحظ في هذه النقطة بالذات ان خطة المكتب قد انتقلت انتقالين واضحين جد الوضوح :

ا - الخطوة الاولى في داخل النطاق العربي ، بدأت مع تاسيسه واستمرت حتى اوائل الخطة الخماسية الثانية ، وفي هذه الفترة اهتم المكتب بتعريب العلوم والفنون على النطاق المدرسي حتى حدود البكالوريا .

ب - الخطوة الثانية ، في داخل النطاق الدولي - خصوصا بعد قبول اللغة العربية لفة خامسة في هيئة الامم - وفي هذه الفترة ارتفع التعريب الى المستوى الجامعي ثم اتصل بالحركة التقنية العالمية ضمن نطاقها العلمي فكانت معاجم البترول والميكانيكا والطييران المدني والبريد والطرق والترتيب العشري العالمي الخ .

وبأمل المكتب ان يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثر عمقا وسعة ليفيد منها ويقف على تطورها وخدماتها كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطيدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تنافس هيئة منها في موضوع تقوم هي على خدمته لكننا نعاونها ونقدم لها خدماتنا وننسق جهودها الى جانب جهود سواها في ميدان التعريب ونعرض ذلك كله على العلماء في ندوات على صعيد العالم العربي ، وقد اتخذت الجامعة العربية قرارا شجيبا بهذا حينما قررت الا يقوم بتحقيق الاثر الغميس اكثر من هيئة او عالم متخصص ونحن نرجو ان يطبق هذا في مجال التعريب كذلك بحيث تتفق الندوة العربية على مصطلح معين يصبح الزاميا بالنسبة لسائر الدول العربية بجميع تخصصاتها وهيئاتها العلمية .

مسابقة المكتب الدائم

اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات أو أبحاث غميسة (لم يسبق نشرها) .
يدرس المخطوط دراسة علمية تتناول الكتاب ومؤلفه وعصره وقيمه العلمية مع تحقيق النص تحقيقاً دقيقاً .

ان لا تقل الدراسة عن خمسين صفحة (50) من الحجم المتوسط .

يجوز اشتراك أكثر من شخص في تقديم المخطوط أو البحث الواحد وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي فيما بين المشتركين .

يهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الغميسة النادرة حول اللغة العربية وحفز الفرائح العربية للقيام بدراسات لغوية على نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلفة عمل في المحافل الدولية .

يرسل البحث (في نسختين) الى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي 8 شارع الانتيل ص. ب. 290 الرباط - المغرب -

تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم وزارة التربية في دولة الكويت .

تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من تاريخ اكتوبر 1971 الى نهاية شتنبر 1972 .

سبق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي اعلانه عن تنظيم مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الاولى (وقد تبناها المغرب) تقديم مخطوط غميس مستوفى الشرح والتعليق أو بحث جديد حول اللغة العربية ، وكانت الجائزة الثانية (بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب استاذ من الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد قرر المكتب تنظيم مسابقة ثانية لسنة 1971 - 1972 - على غرار المسابقة الاولى - وتبنت دولة الكويت الشقيقة تمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم - اي ما يعادل 2000 دولار أمريكي لتغطية قيمة الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة . واتفق المكتب الدائم ووزارة التربية الكويتية على ما يأتي :

(1) أن يكون موضوع مسابقة هذه السنة نفس موضوع السنة الماضية لما له من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية وهو (تقديم مخطوط نادر أو دراسة غميسة حول اللغة العربية لم ينشر من قبل) .

(2) أن يكون المخطوط القديم ذا قيمة علمية في موضوع

تكريم الفائز :

في الثالث والعشرين من نيسان 1971 اقام سفير المغرب ببغداد الاستاذ عبد الهادي التازي حفلا تكريميا ضخما سلم خلاله جائزة المكتب الدائم لتنسيق التمريب بالرباط (التابع للجامعة العربية) الى الاديب العراقي الكبير الاستاذ هلال ناجي الفائز بالجائزة الاولى عن تحقيقه معجم - متخير الالفاظ - للامام اللغوي احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ وهو الكتاب الذي طبعه المكتب الدائم بالرباط لأول مرة كما طبع طبعة ثانية في بغداد بعد ذلك .

وقد حضر الحفل جمهور غفير من رجال الفكر والادب يمثل ثلاثة اجيال من ادباء العراق غصت بهم دار السفارة وتميز الحفل بالضيافة المغربية السمحة وبالجو الشعاري الرائع الذي اشاعته قصائد اربعة من ابرز شعراء العراق اوحثها اليهم المناسبة ، وكان عريف الحفل الاديب التونسي المعروف الاستاذ محمد صالح الجابري الذي تولى تقديم الشعراء، فالقى الشاعر العراقي المعروف الاستاذ خضر عباس الصالحي القصيدة التالية :

احقا بات يعني بالاديب	وتدفع عنه غائلة الخطوب
وتحميه يد من كل ضرر	ومن غدر الزمان المستريب
وتدرا عنه ويلات الرزايا	رزايا الفقر والظرف العصيب
وتشفي جرحه كف حنون	فلا تبقى به اثر الندوب
وتربت فوق كتفيه اعزازا	كما يعتز صب بالحبيب
وتمسح مدمعا في مقلتيه	تهامى وهو كالمزن السكوب
وتنمش فيه احلاما تببت	كشمس حين تجنح للمغيب
وتمحضه المودة والتحايا	وتدنيه من الامل الرطيب
وترفعه الى اسمى محل	محاط بالضمائر والقلوب

وعفوا ان تمرد بي خيال
وان ثارت بصدري عاطفات
فليس ارى الاديب سوى شريد
اذا ما الليل ران تقاذفته
تسمر فى ملامحه اكتئاب
وخط على جبينه سطر بؤس
واورثه الشقاء السقم لما

اذا تبغون امثلة لقولسي
فمعروف الرصافي وهو فخر
قضى ايامه الحيرى التياءا
يكابد شر كيد واضطهاد
وان افتى بانكار عظام
تطارده عصابات التجني
اذا ما سار فى الطرقات يرنو
فتى العلياء ما اقترفت بسداه
يموت بدونما كفن وجيدا

وللصافي العظيم حديث حزن
نبي الشعر فى بيروت يحيا
وفى مقهى فلسطين تراءى
تخطى عمره السبعين عاما
رايت بوجهه اشباح يأس
واحست السامة وهي ملأى
به هاج الحنين الى حماه
وان حنينه فى جانحيه
وثورة شوقه بين الحنايا

مآسي جيلنا القلق الكئيب
قد استوحاه من دمه الصيب
ذوى كالزهر فى قفر جديد
فما لآقت شكاته من مجيب
هوت كلمي على صدر الفروب
تأثر من بعيد أو قريب

وللسياب مأساة تمدت
وانه شاعر كم قال شعرا
سلوا قطر الكويت ففيه بدر
به استشرى السقام فراح يشكو
ولاح من الضنى كذكاء لما
ومات هناك لا احد عليه



كطير رف فى افق رحيب
واصح فى الربى كالعندليب
بجائزة وتكريم مهيب
حصيلة باحث واع نؤوب
كانه من اساطير القيوب
كتب غاص فى جوف الكئيب
جليل القدر موهوب لبيب
رصين البحث فى ثوب قشيب
لعاش العمر فى قلب طروب
واغرقه بأشعار النسيب
سوى البحانة الفد الأديب
اذا غنى فما له من ضريب
ذرى فاضت بأنفاس الطيوب
كما مر الريح على السهوب
نجيب قد تحدر عن نجيب
ومصدر كل ايشار وطيب
ووعي مفكر حر أريب
بان الفكر نبراس الشعوب
به نجت أشواك العيوب
لنيل العدل والحق السليب

واني اليوم يغمرنى ابتهاج
فاهزج بالقصائد مستهاما
ارى « متخير الالفاظ » يحظى
وما « متخير الالفاظ » الا
كتاب كان يقبع فى الزوايا
عليه من الغبار بدت تلال
وما هو غير آية عبقري
بجهد « ابي جمال » قد تحلى
ولو عاد « ابن فارس » من جديد
وخص « هلال » بالحب المصفى
وليس « هلال » فى دنيا المعاني
وفى روض القريض غدا هزارا
وما آثاره الفراء الا
يد « التازي » قد مرت عليها
وما « التازي » الا مغربي
سفير الحب فى وطني المفلدى
وجدت به شهامة أريحي
اصالة فكره أوحى اليه
وأدرك ان فى الآداب طبيا
فراح يساند الادب المرجى

ثم ألقى شاعر كربلاء الأستاذ سلمان هادي الطعمة القصيدة التالية :

تألق نجمه مجدا تليدا وعاد لدى الورى نهجا سديدا
تراث يمنح الابواب فـكـرا تضمن سحره فخرا عتيـدا
سقى غرس الحقيقة اذراعها وخلدها لنا ذكرا حميدا
فما « متخير اللفاظ » الا سحاب ينثر الدر النضيـدا
وما كل السحاب اتى بفيث ولا كل الفيثوث روت ورودا
فيا كلما علا هام الثريا ويا قيشارة عزفت نشيدا
تراع يسكب العرفان هديـدا مضيا يرشد الجيل الجديـدا
وياسفرا حوى سمط اللثالي زها بفصوله عقدا فريـدا
وصنفه (ابن فارس) خير سـفر بديع قد حوى الادب المفيـدا
وقد بلغ العلى فيه (هـلال) فقد اسدى لنا جهدا جهيـدا



ثم ألقى الشاعر المجدد الأستاذ خالص عزمي المدير بوزارة الثقافة والاعلام العراقية القصيدة التالية :

دعوة التـازي بـلـدره انبتت اجمل زهـره
كل حقل يتمنى ضمها للروض دهنـره
دعوة شعنت سنـاء وبحسن الذوق ثـره
جاءها كل اديب هو فى الاداب دره
حيث يلقي فى رحاب الفكـ ر من اوجد فكـره
ويرى باحث سـفر حمل الايات سـفره
نشره نسج موشى او كـورد رش عطـره
وهب الفن عطـاء وجيين النظم غـره
فاذا بالشعر همـس واذا بالشعر ثـوره
قادها من غير عنـف مرة فى اثر مـره
شاعر هلت قوافيه على بحر المجره
فأضـاءت كل داج لم ير الانوار عمـره
هو للشعر لسان ولعين الشعر قـره
شاعر لا بل هـلال منح الأشعار بـلـدره

ثم تقدم القاضي بمحكمة العمل العليا الأستاذ حازم سعيد فالقى الخريدة التالية:

انعم بمحتقب الأوابد مسفر
كنا حيارى قبل لمح جبينه
حتى مخضت لنا التراث وجئتنا
الف مضت وفم الخلود يزقه
وتمر تطحنه السنون تعاقبا
شيخ تعاوره الزمان بجاحم
وتراه ينهض فى عجيب جلادة

عن ضاحك خضل الهاة منور
بمتعين على أجب معسر
من لؤلؤ الألفاظ (بالمتخير)
حذر الفناء بنفحة من كوثر
بمصحف ومحرف ومنشر
من قانظ وبراعد من مطر
فلت قرون الحادثات بمنسر



أبا جمال يا منور حسنه
فصلت فيه القول غير مخطا
وجمعت طائفة يخال حديثها
لو رد (أحمد) للحياة رأيتنه
هي من ولاند روحه لكنها

فى وشي مؤتلف الشيات مجبر
وجلوت فيه الحسن غير مغير
غزل النسيم على غدبير مقمر
يزهو بصيب أولو متحدر
حسنت بحسن مرقق ومجبر



وقد اهدى الشاعر الأستاذ زكي المحاسني قصيدة الى الشاعر العراقي هلال ناجي هذا نصها :

يا (هلالا) ناجيته بخيالي
اسمع العذب فى لغاه بلفظ
فى ضفاف النيل التقينا على شعـ
منظر آخذ بعين ، وشخص
حين يسجو اليك رهن حديث
ينشد الشعر باهتزازة شوق
ما كفته الحقوق كانت لدينه
ووقوف « المرافعات » ، عليها
والمحامة حين عزت وجلدت
والسياسات فى المناصب والحكم
فانتى للبيان يحتل فينه

عاش ملء الفؤاد عف الوصال
فيه لحن العراق حلو المثال
زر وفكر فكان زين احتفال
شاعري مفوق بخصال
يملك الروح فى سمو المقال
فتحس الديب فى الأوصال
عند قانونها رداء جلال
دفع غرم المظلوم يوم النزال
فى حياة مليئة بالنضال
وتقليب طرفه بالفوالى
منزل الشمس فى ظلام الليالى

ايه (ناجي) حفظت ذكرى الزهاوي
 انا اسمعته عشية حفل
 كنت فى العنقوان والشرخ اروي
 كان « طربوشه » يفوص الى الاذن
 انشد الشعر كالفناء بمحزون
 قال قد كنت احسب الشعر يفنى
 وارادو لى الفناء ومن لى
 والزهاوي مربى الاجيال
 مجمع الشام شاده للمعالي
 شعره الحرفى فدا الابطال
 بممر فان من الاثقال
 وقص الحياة بالاهوال
 فخدعنا وكان غير مبال (1)
 بفناء الاعداء بعد القتال



يا رفيع التأليف فى الشعر والبحث
 عشت للعرب ملهما عبقرىا
 سلاما من معجب لا يفالى
 رهن عمر يزدان بالاعمال



ثم تحدث المحطفى به الأستاذ هلال ناجي ، فارتجل كلمة وجه فيها شكره
 العميق الى علماء المغرب الأبيات الذين تولوا التحكيم فى المسابقة بروح علمية
 موضوعية بعيدة عن الهوى والتعصب الدميم واشاد بملهم وفضلهم . وشكر المكتب
 الدائم لتنسيق التعريب برئاسة مديره العام الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لما يقدمه
 هذا المكتب من خدمات جليلة للغة العربية ينمكس بعضها فى مجلته الموسوعية
 - اللسان العربى - ودعا الى دعم هذا المكتب ماديا وادبيا ، كما توجه بالشكر
 الى سفير الادباء واديب السفراء الأستاذ عبد الهادي التازي بما أتاح من فرصة
 لهذا اللقاء الأدبي الضخم .

وختم التازي الحفل بكلمة ارتجلها تحدث فيها عن جهود المكتب الدائم
 لتنسيق التعريب فى الرباط فى خدمة العربية ، ودور الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
 فى ذلك وأهمية هذا الدور على مستوى الوطن العربى . وتحدث عن فرحته لفوز
 عراقى بهذه الجائزة لما فى ذلك من تعزيز للشوائج الأدبية والفكرية بين أقصى
 المغرب وأقصى المشرق فى الوطن العربى الكبير ، وشكر جمهور الحاضرين على
 تليبتهم الدعوة .

وبالإجمال فلقد كان حفل السفارة المغربية ببفداد عند تسليم جائزة المكتب
 الدائم لتنسيق التعريب ، مهرجانا ادبيا ضخما وخالدا .

(1) اشارة الى قوله :

ظننت بان الشعر يفنى فما أغنى
 يريدون منى ان اغنى باسمهم
 وكم شاعر فى موقفى اخطأ الظن
 واى عظيم باسم اعدائه غنى

بين المجلة وقراءها

لا يمر يوم الا ومجلتنا تخطو فيه خطوة الى الامام ، وتكتسب قارئاً او صديقاً جديداً من مختلف اصقاع العالم المترامي الاطراف ، وتؤكد لنا مع صدور كل مجلد جديد حقيقة امست جلية كبلج الصباح تؤكدها الرغبة الملحة التي ينطق بها السيل العارم من رسائل القراء التي تنهال علينا من كل صوب وتلتقي كلها في هذا الركن وهي ايمان العرب بماضيهم المشرق وثقتهم بحاضرهم وتطلعم نحو مستقبلهم الذي تتضافر من اجله الجهود في كل حقل من حقول المعرفة والعلم .

ففي كل رسالة تصلنا نلمس الايمان العميق الذي لا يتزعزع بان « العربية » ما كانت لغة ادب وخيال وحسب بل هي لغة علم وتقنية وحضارة كذلك ، ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ونؤمن بها ايماناً راسخاً نشد بحرارة على ايدي قرائنا الكرام في كل مكان ونعدهم العمل بقدر ما اوتيناها من امكانيات لخدمة لغتنا الجميلة والسير بها قدما نحو المستوى الذي نرجوه لها فتقف مزهورة - على غرار ماضيها - بجوار كبرى اللغات العالمية الحية المعاصرة .

وتؤكد المجلة من جديد ان هذا الركن من القراء واليهب هو منتدى افكارهم وملتقى آرائهم ، وهي اذ تقدر هذه الصلة الطيبة بينها وبين قرائها من اساتذة وباحثين وطلبة ترحب بكل نقد بناء او اشارة لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم ، كما ترحب بجميع الملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

* من الجمهورية الجزائرية :

— ومن مدينة الجزائر. كذلك جاءتنا رسالة من وزارة التعليم الابتدائي والثانوي بالقطر الشقيق جاء فيها : « يسعدني ان اكتب اليكم راجيا منكم ان تفضلوا بموافاتنا بما انجزه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بين الدول العربية من معاجم ومطبوعات مختلفة تتصل بالمصطلحات العلمية والكلمات الحضارية، ذلك اننا في نطاق جهودنا المتواصلة من اجل احلال

— من الجزائر العاصمة تلقينا رسالة من الاستاذ عبد الرزاق رحال « يزجي فيها الشكر الوافر للمكتب، ويبيدي اعجابه وتقديره لما يقدمه من اعمال نيرة جبارة، وما يضطلع به من نشاط متواصل لاعلاء لغتنا القومية واحياء تراثها المجيد » .

لفتنا القومية محلها الطبيعي في حياتنا اليومية، وفي معاملاتنا الإدارية، ونشاطاتنا التعليمية، تحتاج الى الاطلاع على ما توصل اليه الاشقاء العرب في هذه الميادين، لنحافظ على وحدة بيننا، وهي الرباط المقدس بين العرب أجمعين .

واني على يقين من أنكم تقدرون أهمية معركة التعريب في الجزائر، وانكم لن تدخروا وسعا في تقديم هذه المساعدة لنا .

ولقد استجبنا فعلا - فور توصلنا بهذه الرسالة - ووافينا الوزارة الموقرة بجميع ما صدر عن مكتبنا من مطبوعات مع ابداء الرغبة في رصد طاقاتنا لمساعدة الجزائر الشقيقة في معركتها الكبرى من أجل التعريب .

— ومن وزارة التعليم ايضا وصلتنا كلمة ثانية جاء فيها: « يسرنا ان نفيديكم اننا نولي اعمال المكتب الدائم كل عناية ونحاول باستمرار الاطلاع على كل ما جد من نشاطكم المبارك، كما نرجو ان تكون اتصالاتنا دائمة بصورة يرتضيها ما نامله للعربية من ازدهار وتقدم في اقطارنا، بارك الله في جهودكم وتقبلوا اجزل الشكر ووافر التقدير . »

— ومن مدينة وهران وصلتنا رسالة من الأستاذ عبد الله ميلود نقتطف فيها ما يلي: « وبعد . . فهانذا لأول مرة اكتب لكم، وكلني اعجاب وتقدير بما تقومون به من خدمة في سبيل تحرير اللغة العربية من كل الاغلال التي كبلتها طويلا، واعطائها الصورة الحقيقية التي يجب ان تكون عليها، فلغة الضاد لم تكن في يوم ما لغة أدب وحسب، بل هي لغة العلم والتقنية كما هي لغة الشعر والنثر، وذلك هو أهم عنصر أو بصورة اوضح اهم ميدان تتجلى فيه مجهودات المكتب الدائم للتعريب التي لم تعد في حاجة الى تنويه . »

* من جمهورية مصر العربية :

— من الأستاذ الكبير محمد خلف الله أحمد مدير معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة تلقينا كلمة شكر رقيقة جاء فيها: « تسلمت المجلد السابع (الجزء الأول والثاني) من مجلة « اللسان العربي » وهما جزآن حافلان بالبحوث القيمة التي تهمننا في مجمع اللغة العربية وفي معهد البحوث والدراسات العربية، ونحن حريصون على متابعة

المجهود الموفق الذي يقوم به مكتب تنسيق التعريب، وبهمننا ان تصلنا مجلة « اللسان العربي » دون انقطاع .

— ومن القاهرة كذلك وصلتنا هذه الرسالة من الأستاذ محمد حافظ دياب: « لقد كان علي ان اكتب لكم فور قراءتي لاحد اعداد مجلة « اللسان العربي » الفراء وصدقوني لو قلت لكم ان هذه المجلة هي المجلة التي كنا نحن ابناء اللغة العربية وطلابها نرنو اليها بعين الخيال سعيا وراء اصالة الكلمة العربية وعراقتها، ولن يستطيع قلبي ان يوفيكم بعض حقكم على هذه الصفحة او غيرها من الصفحات . »

— ومن القاهرة ايضا جاءتنا هذه الرسالة الكريمة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات العربية بالانابة بجامعة الدول العربية « يشرفني ويسعدني ان ارسل لكم بالبريد المسجل كتاب « مختار الاغانى » بأجزائه الثمانية، تحية تقدير مني ومن المعهد لجهودكم الرائعة في خدمة حركة التعريب ولفضلكم الكبير على الثقافة العربية، وانتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن عميق التقدير والاحترام . »

— ومن القاهرة نفسها بعث الينا الأستاذ علي عبد الحليم القرناوي بالكلمة الرقيقة التالية: « اسمحوا لي ان أعبر عن مدى اعزازي، وتقديري لمجلتنا الكبيرة (اللسان العربي) فانها حقاً خير لسان يترجم لنا اصالة لغتنا العربية، كما نراها راعية للغة ومحافظه عليها على انهاضها دائما بما يعرض على صفحاتها من بحوث قيمة في شتى جوانب اللغة العربية الواسعة . »

ان اللغة العربية في امس الحاجة الى جهود ابنائها للحفاظ عليها من عبث العابثين والعمل على اثرائها وربطها بكل جديد حتى تظل حية مليئة بالحياة بعيدة عن الجمود والركود .

ولقد لمسنا الجهود الجديرة بكل اعجاب وتقدير والتي يبذلها المسئولون عن تحرير مجلة « اللسان العربي » وما تقدمه هذه الجهود الكبيرة من أجل الخدمات للغة العربية ودارسيها . وانسأل الله ان يمنحك القدرة على المسير قدما في طريقكم الجليل لخدمة اللغة العربية ومساعدة دارسيها حتى يتضح الطريق امامهم فيعملوا جاهدين من أجل رفعة لغتنا العربية الجميلة . وفقكم الله ودامت « اللسان العربي » بجهودها وخدماتها الجليلة من أجل لغتنا والعناية بها .

— من القاهرة كذلك تلقينا هذه الكلمة الطيبة من

حضرة الدكتور أنور بكير الأمين العام للاتحاد البريدي العربي جاء فيها : « تلقيت بمزيد من الشكر والامتنان لائحة المصطلحات البريدية التي قام المكتب الدائم بوضع ملاحظاته عليها ، ولا يسعنا الا ان نعرب لكم عن عظيم التقدير للملاحظات القيمة التي حفلت بها هذه اللائحة ، ولساهمكم معنا في هذا العمل الدولي الهام ، كما نبعث بالشكر أوفره على الاستجابة لرغبتنا في تزويدنا بملاحظاتكم القيمة في هذا الزمن الوجيز . »

* من الجمهورية العربية السورية :

— من مدينة حلب حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من الأديب الأستاذ عبود حداد ، : « .. اطلعنا عند صديقنا الشاعر الأستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب « مجلة الضاد » الغراء - على مجلتكم الكبرى - فأعجبنا كل الإعجاب بما تضمنته من موضوعات علمية وتاريخية وأدبية . وقدرنا لكم الجهود الجبارة التي تبذلونها في سبيل هذه المجلة الموسوعية الوضاعة التي سدت ثلجة واسعة في عالمي البحث والتحقيق » .

— ومن مدينة دمشق وجه الينا رئيس ديوان مجلة « الفكر الثوري » الأستاذ محمد نسيب سعيد هذه الرسالة : « سيدي المدير ، لقد اطلعت على بعض أجزاء « اللسان العربي » المرسله الى احد زملائنا في « اتحاد الكتاب العرب » فأعجبت كل الإعجاب لما وجدت فيها من أدب رفيع وعلم غزير ، وتحقيق رائع ، وبلاغة ساحرة ، وكل ذلك بفضل اشرافكم النبيل ، وعنايتكم السامية لهذا « اللسان المبين » . »

— ومن دمشق كذلك وصلتنا كلمة رقيقة من الأستاذ محمد سالم الحموي ، استهلها بقوله : « لقد اطلعت على المجلد السابع من مجلة « اللسان العربي » ، ولقد دهشت بل وسررت جدا لما احتوته المجلة من الأبحاث اللغوية القيمة التي لا بد لكل دارس للعربية من الاطلاع عليها بل ودراسة ما جاء فيها من موضوعات قيمة ، كيف لا وهي تمثل خلاصة أفكار علماء العربية الكرام في عصرنا الحاضر »

— ومن وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي من دمشق تلقينا رسالة رقيقة تقتطف منها هذه السطور : « تهدي وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي تحياتها لمكتبكم ، وتقدر جهوده الطيبة لتنسيق التعريب وجعل اللغة العربية هي لغة العلم والأدب معا » .

— ونعود الى مدينة حلب لتتلقى خطابا رقيقا من الاستاذ احمد وليد ضبع يقول فيه : « .. انه لجهود عظيم تقدمونه للأمة العربية ولقتها المجيدة لغة القرآن الخالدة ، وهل اجل من هذا الجهد عناية بعريتنا القديمة وملاءمتها لعصرنا الحاضر لذا أسدي لكم مزيدا من الشكر وللجامعة العربية ولكل الاساتذة الكرام والدول التي تساهم في اخراج هذه المجلة الى حيز الوجود » .

— ومن دمشق تسلمنا رسالة من الاستاذ الطران ديونسيوس بهنام المعاون البطريركي للسريان الأرثوذكس تقتطف منها ما يلي :

« يسرني ان اكتب اليكم لأعرب عن اعجابي وتقديري لمجلتكم الغنية « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتبكم الكريم ، والتي تحمل طابعا عربيا أصيلا صنو شقيقتها « العربي » الكويتية ، وقد الفيت أعدادا منها عند بعض الأديباء أصدقائي فازددت شوقا ورغبة للحصول عليها ومطالعتها » .

— وهذه رسالة أخرى من دمشق كذلك وصلتنا من الاستاذ خليل منور يطار جاء فيها : « تحية عربية أبعثها لكم من روابي دمشق وغوطتها تنقل اليكم شذا ورود الربيع الجميل ومشاعر صديق من المشرق العربي يمد يده - على بعد الشقة - لتشد أزركم ولتبارك مساعيتكم في حفظ العربية من طغيان اللهجات الداخلية والبطانة المستغربة .. صديق يستنفر لسانه وقلمه ليحفظ زمر العروبة وعنوان أصالتها ووحدتها من تحذلق المتحذلقين وغيباء المتشدقين المستهثرين . »

ان لغتنا وسمت علوم الشرق والغرب في أيام تأليفها ومنعتها وعزتها .. وما عجزها الذي يصنعه بعضهم الآن عن استيعاب المصطلحات الجديدة والمخترعات الحديثة الا عجزنا المستحکم وجمودنا المتمكن منا واغفاءتنا الطويلة وفخرنا بسيف أبينا ورمح جدنا ونحن عزل ، وبعبقرية من سبقنا وفصاحتهم ونحن خرس » .

وقد بعث لنا ايضا بهذه الايات تحية للمجلة التي نشرها شاكرين :

حماة اللسان واهل البيان
واحفاد اجدادنا الاكريمين
لسانكم كالشهاب المضيء
ورمز العروبة فيكم ميين

اعظم فيكم جمال العطساء
وكنا كذلك في العالمين

« اللسان العربي » الغراء فأكبرت في شقيقنا المغرب
العربي ورجاله الافذاذ هذه الهمة والتضحية في سبيل
العرب والاسلام » .

— ومن بغداد كذلك تطالنا كلمة الاستاذ الحاج
عبد الوهاب الأعظمي الأمين العام للمؤتمر الاسلامي
جاء فيها : « اننا في الواقع — صرنا نرقب وصول هذه
المجلة بكل شوق لانها مجلة علمية راقية فريدة من نوعها،
فجزاكم الله خير الجزاء ووفقكم لخدمة القرآن وعلومه
وآدابه ولفته العربية والتي هي في الواقع اللسان
الرسمي للدين الاسلامي الحنيف » .

— ومن الموصل بعث الينا الاستاذ يوسف ذنون
رسالة رقيقة « يشكر فيها المكتب على مجهوداته في
اخراج المجلة ويبيدي استعداده للمساهمة في مجال
تخصصه « الخط العربي » « واللسان العربي » اذ
تشكر له هذه المبادرة الطيبة ، يسرها ان تتلقى من
القراء الكريم نماذجه في هذا المضمار للنظر فيها » .

— وقد وطلنا رسالة اخرى من بغداد من الاستاذ
محمد هادي المنصور ، تقتطف منها هذه السطور :
« لقد طالعت مجلتكم (اللسان العربي) الغراء ونظرت
الى ما تحمله في طياتها من اخبار جمّة وعلوم مختلفة ،
فوجدتها والله ، من نوادر المجلات في العالم العربي —
انها لكوكب يسطع في سماء المغرب الأقصى ،
وهي في الأخير ملتقى العلماء في العالم العربي » .

— ونعود مرة ثانية الى النجف لنتلقى برسالة
الاستاذ هاشم الواعظ التي جاء فيها : « مما هو قمين
بالاكبار تلك الجهود الكبيرة التي تبذلونها في اصدار
مجلة (اللسان العربي) والتي تعطي لقارئها المتبع
الوقوف على تطور جوانب اللغة وما يطرا على لغتنا من
تغيير او تبديل او حذف او اضافة ، واكبر تلك الجهود
واجهدا نفعا واكثرها خدمة للفتنا الام هو تعريب
المصطلحات الاجنبية التي غزت اللغة العربية منذ سالف
الازمان حتى عسرَ تمييزها او التخلص منها ، نعم رأيت
في مجلتكم خدمة كبيرة واضحة للغة العربية فضلا عن
المواضيع الاخرى » .

— ومن البصرة حمل الينا البريد رسالة الاستاذ
عبادي احمد التي جاء فيها :

« وبعد ، ان لغتنا اليوم تمر بظروف حاسمة نتيجة
لما يحمله التطور بين طبقات مخترعاته وافكاره المتشابكة
على مسرح لغتنا العربية . . ولكي يتسنى للفتنا ان
تعابش هذا التطور — دون ان يصيبها عجز كما يدعى

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاريء
السيد محمد المصطفى التي تقتطف منها هذه الكلمات :
« لقد اطلعت على مجلتكم الدورية التي تصدرونها باسم
« اللسان العربي » ، ودهشت دهشة فرح وجبور عندما
تصفحها لاطلع على اهتمامكم المتواصل بالتعريب
وحفظ العربية واظهار ليونتها ومسايرتها للركب اللغوي
العلمي الحاضر ، ومما اثلج صدري كذلك مرافقة كل
عدد بمقالات باللغات الاجنبية كدليل على اهتمامكم ايضا
بإظهار المجلة بالمظهر المناسب وليطلع عليها اكثر من
لسان » .

* من الجمهورية العراقية :

— ومن النجف وصلتنا رسالة رقيقة من الاستاذ
محمد رضا آل صادق يقول فيها : « وانني اذ اعرب لكم
عن عميق شكري وتقديري ليسرني ان احبيكم تحية
الاكبار والاعجاب لما تقومون به من خدمة للغة الضاد
والامة العربية ، وان مجلة « اللسان العربي » والحق
يقال تمثل خيرة المجلات العربية ، ويصح ان نعتبرها
دائرة معارف في اللغة العربية ، فوق الله العالمين
فيها وامدهم بعمر مديد » .

— ومن بغداد تلقينا الرسالة التالية من مكتبة
جامع الهادي العامة جاء فيها : « لا ريب فيما للعلم
والثقافة من اثر كبير في رفع مستوى مختلف طبقات
الامة وايصالها الى سبيل الخير والرشاد ، كما لا ريب
في ان ذلك لا يتيسر الا من خلال توفير سبل المعرفة
وفي مقدمتها (الكتاب المفيد) لذا كانت للمكتبات
العامة التي تقوم بدور مشرف في هذا المضمار الاهمية
الكبرى مما حدا الكثير من ذوي الهمة والفيصرة ان
يسهموا في تشييدها واعمارها بما يقدمون من عون
كمساهمة فعالة في خدمة امتهم واجيالهم ، وبالنظر
لما نجده في مجلتكم الموقفة من اهتمام بالغ بهذا
المجال ندعوكم ان تمدوا يد المساهمة سواء من
مؤلفاتكم او مطبوعاتكم ، كما لا يفوت ادارة مكتبتنا ان
تنتهز هذه الفرصة لتكرر تحياتها وتمنياتها لكم
بالتوفيق والسداد » .

— ومن بغداد نفسها كتب الينا الاستاذ سليم
طه التكرتي يقول : « اطلعني الصديق السفير الاديب
الاستاذ عبد الهادي التازي على احد اعداد مجلة

(المكتب الدائم) وما يبذله من جهد جهيد في سبيل
احياء تراثنا العربي الخالد .. »

* من المملكة العربية السعودية :

— نفتح جولتنا في المملكة العربية السعودية
برسالة جاءتنا من ديوان رئاسة مجلس الوزراء جاء
فيها : « نشعر سيادتكم بأننا قد تشرفنا باستلام
المجلد السابع من (اللسان العربي) وهي المجلة
الدورية التي يصدرها مكتبكم في الرباط ، شاكرين
لكم جهودكم الجبارة في نشر الوعي الثقافي وتوسيع
نطاق التعريب في العالم العربي » .

— ومن الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان بن
حمد المستشار بوزارة العدل كلمة رقيقة تقتطف منها
ما يلي : « ان الجهود الموفقة التي يقوم بها المكتب
الدائم ضمن مجلة (اللسان العربي) وما تحويه من
مادة دسمة وبحوث ومقالات هامة قد اعطى لها - والحمد
لله - وصيلا من التقدير والثناء ومن الرغبة في الحصول
عليها من كل شاب مثقف يهتم بهذه اللغة الشريفة لغة
القرآن الكريم ويعتز بها ويحرص على أن تظل صافية
نقية من شوائب المعجمة والكلمات الدخينة عليها » .

— ومن الرياض كذلك بعث الينا الاستاذ حمزة
محمد عابد مدير عام الثقافة بوزارة المعارف كلمة
رقيقة استهلها بقوله : « ويسرني أن ابدي لكم
سرور الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف واغتنابها
بالخطوات التي يخطوها مكتب التعريب الدائم من أجل
الحفاظ على لغتنا الفصحى ، والعناية بها .. وليس
ادل على ذلك من هذه المجلة الضخمة ، بل السفر القيم
عن اللغة العربية واعني بذلك مجلة (اللسان العربي) » .

* من الجمهورية التونسية :

— من سفارة المملكة المغربية بتونس الشقيقة
تلقنا رسالة كريمة من الاستاذ السفير السيد التهامي
الوزاني جاء فيها : « وبعد ، فلقد تلقيت بيد الشكر
والامتنان مجموعة من القواميس المهمة مع العدد السابع
من مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في الوطن العربي والتي تسهرون
بانفسكم على اتمام اخراجها في حلة جذابة تأخذ
بالألباب ، وتلبي كثيرا من الرغبات وتبني سبيل العلم
والمعرفة للجميع ، واني ابارك عملكم الجبار وارجو
من المولى الكريم ان يديم توفقكم ويسدد خطاكم حتى

البعض - فما عليها الا أن تصفي حسانها مع المصطلحات
الأجنبية بكيفية ايجابية .. ولن يتأني هذا للفتنا الا اذا
جعلت لمسيرتها عبر عباب الافكار طريقا موحدًا يوصلها
الى الشاطئ المقصود حيث المرفأ المنشود ..
وما المرفأ المنشود الا مجلة (اللسان العربي)
فاللسان العربي هي فعلا على المستوى المحلي والعالمي ..
مرفأ تنطلق منه عاصفة اللغة العربية في اعماق العالم .
منافسة غيرها من اللغات في مضمار التقدم » .

— ومن بغداد أيضا وجد الينا الاستاذ الكبير
العلامة محمد بهجة الاثري رسالة كريمة جاء فيها :
« وبعد ، وافنتي الاجزاء الثلاثة من (اللسان العربي)
لعامها الثامن - مد الله حياتها - وهي تمثل بضخامتها
وفخامتها وما زخر فيها من بحوث ودراسات فياضة
ناضجة ومجودة غاية التجويد ، اعظم نقله الى الامام ،
ونموا عجبيا لم اعهد له نظيرا في الأعمال العلمية في
دنيا العرب ، وانه ليشير الدهشة وبعث الفبطة
والانشراح ، ولست أشك في أن الفضل في هذا كله
راجع الى النشاط العقلي الذي تتمتعون به وتفيضونه
على الناس ، والى الاخلاص في العمل الذي تتحلون به ،
وجبكم للغة القرآن ان تعود اليها عزتها وسالف
مجدها .. واني لوانق أن صنيعكم العظيم هذا سيكون
حافزا لدوائر العلم والثقافة في الوطن العربي أن
تحتذيه وتجاريه وتمد مدكم الفياض هذا ،
والله سبحانه يتولى الجميع برعايته ويمدهم بعونه
وتوفيقه » .

— ومن بغداد كذلك وصلتنا هذه التحية الطيبة
من الاستاذ عبد الرزاق الجزار يقول فيها : « اتشرف
باعلامكم بتسلمي ثلاثة اجزاء من المجلد الثامن من
مجلتنا الأثيرة (اللسان العربي) فأثرت البدء بمطالعتها
قبل اي كتاب أو مطبوع آخر . والحق يقال ازددت
اعجابا وافتخارا ليس لثرائها بالموضوعات والابحاث
التي احتوت عليها فحسب ، وانما لطلاوة تلك الابحاث
وعمقها وغازة مادتها ، فهي تعتبر بحق مجلة العرب
الأولى المعبرة عن لسانهم ، وفقكم الله في مساعكم
وجزاكم عن العربية والعروبة خير جزاء » .

— ومن البصرة جاءتنا هذه الرسالة من الاستاذ
عبد القادر الحاج عبد الجليل يقول فيها : « كثيرا ما
كنت ارتاد مكتبة جامعة البصرة ، فيقع بصري على
مجلة (اللسان العربي) فأذهب سارحا بين صفحاتها ،
اقرا الموضوع تلو الآخر ، حتى اذا ما انتهت او شارفت
نهاية المطاف .. يأخذني الذهول والاعجاب بما يخرج

تزيدونا من تلك الروائع التي هي أبرز الأعمال المهمة والتي تعطي صورة حقيقية وعملية عن الحالة الفكرية والعلمية والثقافية بالمغرب» .

— ومن تونس كذلك وصلتنا هذه التحية الطيبة من الدكتور محمود عبد المولى : « أشكركم على جهودكم المبذولة في (اللسان العربي) ، أن هذا السفر القيم لعل أهمية علمية فائقة لأنه يسدي الى الباحثين واللغة العربية خدمات لا تهاهي » .

— وهذه رسالة أخرى من تونس أيضا بعث بها لنا الاستاذ محمد الهاشمي زين العابدين جاء فيها : « ان عملكم هذا ، العظيم المبارك لا تلبث آثاره ان تقتحم المؤلفات العربية احياء للسان العربي ، وتوطيدنا لكيانه في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه لغة الضاد » .

— ومن مدينة صفاقس وجه لنا الاستاذ الطاهر عبد السلام كمن كلمة رقيقة تقتطف منها هذه الكلمات : « قرأت مجلتكم الفراء ونالت اعجابي كثيرا وجدت فيها الأبحاث المفيدة والمقالات الشيقة في التعريب واللغة والترجمة ، واني أتقدم اليكم والى أسرة المجلة بشكرنا الجزيل على الجهود القيمة التي تبذلونها نحو الوطن العربي ، وفي سبيل دعم اللغة العربية » .

* من المملكة المغربية :

— من الدار البيضاء وصلتنا رسالة من الاستاذ عبادي أحمد يقول فيها : « لا يخفى على احد ما لمجلة (اللسان العربي) الفراء من أثر بالغ وخدمة نافعة للغة العربية وتبسيطها وتيسيرها ونشرها ، والعمل على رفع شأنها في العالم ، ولعلنا نحن رجال التعليم نعد من جملة من عمهم هذا الأثر وغمرهم ذلك النفع لما تقدمه المجلة من دراسات ومصطلحات نحن في أشد الحاجة اليها ، والحقيقة أن فضل المجلة واضح أمام الجميع خاصة وانا توزع على نطاق واسع » .

— ومن مدينة مراكش جاءتنا كلمة رقيقة من السيد شوقي الحسن يقول في مستهلها : « ان مجلد (اللسان العربي) التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي لمثيرة بموضوعاتها وإبحاثها العلمية والأدبية ومثار الدهشة فيها أيضا يتجلى في اقبال الطلاب والأساتذة ورجال العلم على اقتنائها ودراسة أبحاثها وموضوعاتها التي تجد في نفس القارئ العربي كل اقبال وترحيب » .

— ومن مدينة الرباط وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد عادلي نقتطف منها هذه السطور : « وبعد ، مما لا ريب فيه أن مجلتكم الموقرة تلعب دورا طلائعيا هاما في التقدم بالعربية نحو الامام ، والعمل على تطويرها لمسيرة الحضارة المعاصرة ، وهي تعد بحق سجلا حافلا بجلائل الأعمال في مختلف الميادين العلمية واللغوية والثقافية » .

— ومن مدينة الرباط كذلك جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ رزقي أحمد القديري يقول فيها : « حينما اريد اقناع الذين يجهلون لغتهم العربية او يتجاهلوننا بأنها لغة علم وادارة لم اجد بين يدي ما يؤازرنسي في دعوتي من المفردات العربية الا النزر اليسير رغم كثرة القواميس العربية الوارد غالبها من لبنان .. والآن وبفضل هذه اللخائر العربية التي تصدر عن مكتبكم يحق لي ان ارفع الراس وانا اقدم للذين في قلوبهم مرض ما تتوفر عليه اللغة العربية من مرونة وقدرة على شق جميع الميادين جنبا الى جنب بين اللغات الحية الأخرى . ويرجع فضل هذا الاعتزاز الى جهودكم في تمهيد السبيل واناارة الطريق وان مكتبكم العامر ليعظم في نظري اذ يستحق اكثر من الإعجاب والتقدير ، ادعو الله مخلصا ان يظل مكتبكم يحصد النجاح تلو النجاح والله وملائكته يباركون لكم اعمالكم » .

* من الجمهورية اللبنانية :

— من معهد الشرق الأوسط ببيروت تلقينا رسالة من الاستاذة سلفيا اسطفان نقتطف منها هذه السطور : « نشكركم جزيل الشكر للعناية التي اوليتمونها لنا بارسالكم مجلتكم المحببة والمفيدة والتي لاقت اعجاب الكثيرين من طلابنا » .

— ومن بيروت كذلك وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذين يوسف محمد رضا و خليل شرف الدين : « تحية تقدير وإعجاب بكم » وبالجهود المشكورة التي تبذلونها في خدمة اللسان العربي والثقافة العربية » .

— ومن المتن الشمالي بلبنان أيضا تطالعنا رسالة الاستاذ جوزف بارود التي جاء فيها : « لقد قيس لي الاطلاع على مجلة « اللسان العربي » التي تشرفون على ادارتها ، وترأسون تحريرها فوجدت فيها مادة غنية ومنهلا دافقا لكافة الناطقين بلغة الضاد » .

— ومن بيروت حمل لنا البريد هذه التحية من الاستاذ جوزيف افرام البستاني رئيس دائرة المكتبة

لتكون نبراسا لابناء هذه الأمة ، كما ادعو الله ان يسدد على الخير خطاكم ويوفقكم وجميع العاملين معكم الى ما فيه خدمة ديننا ولغتنا .

— ومن الفرق بالاردن ايضا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ بهجت فرحان حداد : « يشرفني - وبكل فخر - ان احبي الجهود الكبيرة المضيئة والأعمال المشرفة العظيمة التي يحملها على عاتقه مكتب التعريب في الوطن العربي ، لخدمة العربية وآدابها ولايضال هذه اللغة الجميلة الى المستوى اللائق بها لتحتل مكانتها المرموقة بين لغات العالم حيث ان لغة الضاد هي الركيزة الاساسية لبناء حضارة شامخة وماجدة لامتنا النبيلة ، فباسم هذه اللغة اجل هذا العمل الجبار على ايدي علمائنا الكبار ودمتم في نضالكم المقدس » .

— ومن مدينة اربد تطالعنا رسالة القارئ الكريم الاستاذ غازي محمد عودة منها : « لقد اطلعت وكلي فخر واعتزاز على مجلتكم ، وفي الحقيقة لا يسعني الا ان اطاطىء راسي اجلالا لهذا المجهود الرائع القيم والعظيم الذي ينل في اعداد المادة وتحضيرها ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل بالتأكيد على نية صادقة ، وعزيمة قوية في خدمة اللغة العربية والأمة العربية بأسلوب عصري علمي حديث بعيد كل البعد عن الارتجال والهرطقة والتنطع ، واني لاهيب بكم ان تواصلوا البحث وتوصيل هذه الأبحاث للقارئ العربي في كل مكان » .

* من الجمهورية العربية الليبية :

— ومن طرابلس وجه الينا الاستاذ احمد عيسى المقدمي هذه الرسالة : « تحية لكل مخلص وكاتب وكل مساهم في تطوير وكشف غموض اللغة العربية واسرارها ، ومكوناتها ، وتاريخها ، واني اشكر القائمين والعاملين في المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، وارجوكم اعطائي فكرة عن اللغة البربرية » . شكرا لعواطفك وفي خصوص سؤالكم عن اللغة البربرية يمكنكم ان تراجعوا العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي »

* من الجمهورية السودانية :

— من الخرطوم تلقينا رسالة من السيد محمد سيف الدين سر الختم جاء فيها : « لقد تتبعت بشغف شديد ، واهتمام بالغ « اللسان العربي » وقد ارتاح

المرتكبة بالجامعة اللبنانية جاء فيها : « وليس في وسع امانة المكتبة الا ان تتقدم من حضرمك لا سيما في هذه المناسبة الطيبة باصدق شكر واعمق تقدير تجاوبا معكم ولاهدانكم الكريم الذي يعتبر انجازا ثقافيا وادبيا ضخما يرى فيه القارئ العربي المثقف مادة غزيرة ومرجعا رئيسيا يستفيد منه ويستعين به ، وان مثل هذه المجلة الدورية العربية التي تصدر عنكم لبي مفخرة للمكتبة العربية ، لما تحتويه من بحوث قيمة ومفيدة ، تفذي المجتمع العربي بالمزيد من الدراسات في لغته وتراثه الضارب جذوره في عمق التاريخ » .

— وهذه رسالة كريمة من لبنان كذلك وصلتنا من الاستاذ العلامة عجاج نوبهض ، وجدير بنا ان نشير اشارة سريعة الى نشاط هذا الرجل في الحقل العربي قبل ان نورد رسالته : فهو اديب كبير من فلسطين اشتهر بعدد من الكتب اعظمها : « حاضر العالم الاسلامي » الذي علق عليه الامير شكيب ارسلان حتى ظهرت الطبعة الأخيرة في اربعة اجزاء كبيرة وصاحب كتاب « بروتوكولات » او « حكماء صهيون » الذي لم يعلق حتى اليوم كتاب تعليقاً علمياً وتاريخياً دقيقاً مثله وهو في جزئين كبيرين اعتزل الحياة الآن في قريته بوسط لبنان تبعد عن بيروت نحو ثلاثين كيلمترا ، لكنه ما زال يهتم بالترجمة والتأليف . ولقد جاء في رسالته ما يلي :

((اشكر للمغرب والمناضلين الثقافيين فيه هذا النشاط من « دعوة الحق » المشبعة المليئة الناضجة الى « اللسان العربي » الزاخرة المحشوة بالعلم حشواً الى ما يقوم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، واحيي العلامة الاستاذ الجهد عبد العزيز بنعبد الله المدير المسؤول ورئيس التحرير للمجلة ، مما يضاعف الأمل الحي في نفس العربي المسلم ، وغير المسلم ان هذه الأمة وهي خير أمة اخرجت للناس ، ستعود او هي عائدة في الحال سيرتها الأولى » .

* من المملكة الأردنية :

— من مدينة السلط كتب الاستاذ صبري مصطفى المسعود كلمة رقيقة يقول فيها : « كان لي شرف الاطلاع على عدد من اعداد مجلتكم الفراء فوجدت فيها فائدة عظيمة للاسلام والعروبة ولغة الضاد فدعوت الله مخلصا ان يمد في عمر هذه المجلة وان يزيد نفعها

ضميري وانتم تقومون بضم اللسان العربي وجمعه من البعثة والضياع » وبما انني خطاط قانني اضع نفسي رهن اشارتكم في حدود امكانياتي .

فشكرا لاستعدادكم للمساهمة في تنوع خطوط المجلة ونحن في انتظار نماذجكم .

* من السينفـال :

— كتب الاستاذ احمد التجاني صال - خريج جامعة القرويين بفاس - رسالة رقيقة تقتطف منها هذه السطور : « اني ارى ان مجلة (اللسان العربي) ضرورية لكل مهتم بالثقافة العربية والاسلامية وهي همزة وصل بيننا وبين الأبحاث القيمة التي تقدمونها الى العالم العربي والاسلامي .

* من ايطاليا :

— من روما وصلتنا التحية التالية من السيد انريكو شرولى : « اشكركم من الأعماق ، واقدر الدور الكبير الذي يضطلع به مكتبكم وما يقدمه من أعمال ، وما حققه من نجاح مشرف من اجل تحسين الثقافة العربية » .

— ومن روما كذلك بعثت الينا الدكتورة اميليا كوزاني عن اكااديمية الفهد الوطنية رسالة « تزجي فيها الشكر للمكتب عن مجلة (اللسان العربي) وتمننه على هذا العمل الكبير ومساهمته الفعالة التي لها صلة بالدراسات اللغوية العربية » .

* من الهند :

— من جامعة علكرة الاسلامية وجه الينا الدكتور مختار الدين احمد رسالة مطولة « يرجو فيها ربط صلة ثقافية بالجامعة المذكورة وبالمكتب ، ولقد بادر المكتب فعلا الى امداده بجميع مطبوعاته منها مجلة (اللسان العربي) التي قال عنها حضرة الدكتور : « هذه المجلة قد حازت اعجابي بموضوعاتها وترتيباتها وجعلتني اتني على المجهود الكبير الذي بذلتموه في خدمة العلم واحياء التراث العربي القديم » .

* من بريطانيا :

— وصلتنا رسالة رقيقة من القارئ الكريم السيد هاشم المهدي الشريف جاء فيها : « تحية

العروبة والاسلام الصادقة ابث بها اليكم مقرونة بالاعجاب والاكبار لما تبذلونه في سبيل لغة الضاد المجيدة ترجمان الدين ولسان اهل الجنة ، ومحاربتكم للمعجمة والتفريب » .

وقد ارفق السيد هاشم كلمته بييتين نشرهما لصدق معناها :

لفتي التي آمنت أن وجودها

يعني وجودي وهي عين بقائس

سأدود عنها ما حييت لانها

لغة (الكتاب) وذاك فيه وقائي

و (اللسان العربي) تشكر الاستاذ الكريم على عواطفه النبيلة نحو مجلته - التي هي مجلة المثقفين قاطبة - وتتمنى له كل توفيق » .

* من الأرجنتين :

— من مدينة قرطبة تسلمنا رسالة من الاستاذ نديم ابوب جاء فيها : « اطلمت عند احد الأصدقاء من أهل الأدب في هذه الحاضرة على مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها مكتبكم ، والحقيقة ان هذه المجلة تحفة ثمينة لدى كل اديب عربي يفار على لفته ، ويعتز بقوميته ، واتي لأبدي لكم تقديري واعجابي باتجاهكم الى هذه الناحية من نواحي الجهاد القومي بتعزيز اللغة العربية وهي النواة الصالحة التي تولفها العناصر الأولية في تبادل الافهام لايجاد الوسائل اللازمة في تثبيت الوجود وحفظ الكيان ، وقد يحق البناء ايضا على جهودكم المبذولة في التعريف بحقيقة الاسلام وما يرمي اليه من تنوير العقول وتوحيد القلوب » .

— ومن (وينس ايرس) جاءتنا رسالة من الاستاذ (زكي قنصل) تقتطف فيها ما يلي : « وقد عكفت على مطالعة ما فيهما (الجزء الاول والثاني من المجلد السابع) من ابحاث قيمة ومقالات نفيسة تنطوي في اكثرها على متعة وفائدة ، ولقد لفت نظري - في الجزء الاول بحث بعنوان « اثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية » بقلم سلمى الحفار الكزبري وهي كاتبة ذائعة الصيت لغامت ردحا من الزمن في الأرجنتين وفترة اخرى في اسبانيا زوجة سفير سوريا الاستاذ الكزبري ، وقرات بشغف ولذة مقال الدكتور محمد عبد الرحمان مرحبا « تشويهات في اللغة العربية » وانا وافقه على ما جاء فيه واثني على الاحتجاج على ما يصيب العربية من غبن وتشويه على أيدي بعض المترجمين وغير المترجمين » .

و « المجلة » تشكر الاستاذ الكريم على ملاحظاته القيمة وكذا على تنبيهه لنا للخطا الطباعي الذي وقع بالنسبة لمقال الاستاذة سلمى الحفار الكزبري ، والذي نأسف لوقوعه .

* من فرنسا :

— من باريس جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذ رسيس أحمد شافعي : « سيادة المدير العام ، اني لاود في هذه المجلة ان اعبر لكم عن صميم اعجابي وعظيم اكباري للجهد الرائع الذي يبذله المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي تحت اشرافكم وان اقدم لكم تهانئي الخاصة على الانتاج الوفير لما اصدرتموه من المعاجم في مختلف حقول المعرفة » .

* من سويسرا :

— من جنيف كتب الدكتور زكي علي يقول : « لقد اطلعتني صديق عربي مثقف يقيم بسويسرة على ان المكتب الدائم للتعريب يصدر مجلة قيمة اسمها (اللسان العربي) فابتهج فؤادي ابتهاجا مضاعفا اولا بوجود هذا المكتب في ذلك البلد المحبوب من الوطن العربي لاقامة معالم العربية بعد ان عمل الاستعمار البغيض في المهود البائدة على طمسها ، وثانيا باصداركم مجلة جليلة الشأن بما تحتويه من موضوعات وبحوث قيمة تبعث في نفوس قرائها حب الثقافة العربية والاعتزاز بلغة القرآن الكريم والعمل على تميم التخاطب والكتابة بها في كافة البلاد العربية » .

* من الولايات المتحدة الأمريكية :

— جاءتنا من الاستاذ سلمان العاني ، الاستاذ المساعد بقسم الدراسات والآداب الشرقية بجامعة انديانا التحية التالية : « لقد تأثرت كثيرا بالعمل الجاد العلمي الذي تنشرونه في مجلة (اللسان العربي) وكذا بمقالاتها القيمة ، وهي مساهمة فعالة منكم بالنسبة لدراسة اللغة العربية ونشرها » .

* من المانيا الغربية :

— من مشروع دار السلام بكونولنيا تلقينا رسالة من الاستاذ محمد رسول يقول فيها : « نما الى علمنا ان لكم مجهودات طيبة في سبيل احياء اللغة العربية وانكم تصدرون مجلة (اللسان العربي) الفراء التي تصدر بصفة دورية لتبسيط العلوم اللغوية والترجمة والتعريب ، وانه لا يسعنا ازاء هذه المجهودات الا ان نرجو لكم كل توفيق من العولى عز وجل في الارتفاع بلغة القرآن الكريم الى المكانة المرجوة لها في وسط الامم المتحضرة » .

— ومن جامعة ارلانجن بالمانيا الغربية ايضا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ هاشم الأيوبي : « لقد وقعت على بعض اعداد مجلتكم الراقية ، وعندما كنت في موطني لبنان احضر الدبلوم في اللغة العربية أدركت ان روحا جديدة ودما جديدا ينبضان في جسم لفتنا العظيمة على صفحات مجلتكم الراقية وأدركت كذلك ان فراغا كبيرا كنا نعانیه نحن المشتغلين بأمور اللغة ، قد بدأت تسده هذه المجلة » .

نَحْوُ تَفْصِيحِ الْعَامِيَّةِ
فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ
دِرَاسَاتٌ مُقَارِنَةٌ بَيْنَ الْعَامِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

مقدمة

سبق ان نشرنا فى ورق المهرق ثمانين نسخة مكررة من كتابنا « الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية » وقد وزعناها على المختصين فى الوطن العربي لأخذ رأيهم كما نشرنا دراسات مقارنة حول اللهجات الدارجة فى كثير من الأقطار العربية وخاصة فى سوريا ولبنان ومصر والكويت وقطر والبحرين الخ . ثم أضفنا الى هذه الأبحاث حصيلة أخرى من الألفاظ الدارجة المغربية التي وجدنا لها أصلا عربيا فصيحيا فى المعاجم القديمة كلسان العرب لابن منظور الذي جردناه بكامله لهذه الغاية فتجمعت لدينا ضميمة جديدة عززنا بها ما سبق ان نشرناه من قبل وهذه المجموعة هي التي نقدمها اليوم للقراء الكرام وهي محاولة اولى نرجو أن تكون قد أسهمت بها فى إقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات فى العالم العربي اعتبارا لأصولها الفصحى وما نتلمحه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث فى الوطن العربي موحدة أقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

صهاى بين العامية والفصحى بالمغرب

ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك وتمتاز العامية (1) بمظاهر بسيطة تجعلها فى بعض الاحايين اكثر ايفالا فى القلب والتسهيل.

ونضرب لهذه الوحدة الاصلية امثلة وجيزة لا تنفرد بها العامية فى المغرب الاقصى وحده بل تمس اللهجات الدارجة فى معظم اجزاء العالم العربي (2) ، فمن مجالى التخفيف فى اللسان الفصحى والتي اثرت فى السنة العامة وجود مترادفات يختلف بعضها عن بعض باضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومى اخفها نطقا وان كان اكثرها احرفا مما يؤكد ان عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الاصيل الا اذا لم تجد فى صيفه ما يتفق وطبيعتها الميالة الى التسهيل ومن امثلة ذلك :
— (رز — ارز) — سبل (سنبل) (سبولة فى العامية) — سطل وسيطل (سطل) —
تحوان واقحوان (تحوان) — لوباء ولوبياء (لوبياء) — مونة ومؤونة (مونة) — وز —

(1) العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111) وقد لاحظ ان فى كل مدينة السنة ذلقة غير ان اللحن كان فاشيا فى العوام (ص 111) .

وقد تحدث احمد امين عن العامية فى القرن الرابع، فقال: « ان اللغة العامية اصبح معترفا بها يبحث فى الفاظها واساليبها وينتقى منها خيرا الا بعض علماء كآبى العلاء المعرى ... (ظهر الاسلام ج 2 ص 100) .

(2) توجد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات من اهدافها استقراء الالفاظ والتراكيب الجارية على السنة اهل الاقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا فى معاجم واطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا وترتكز اللجنة فى هذا البحث على تنقل القبائل لها له من اثر كبير فى لهجات الاتالم وتطورها واختلافها (مجلة المجمع جزء 7) .

اوز (وز) — دغر ودغمر أي خلط (دغمر) — طلمس وطلمس الكتابة بمعنى محاها (1) —
نطحه وفرطحه أي (جعله عريضا : فطح وفرطح) — قضم وقضم أي قطع (قضم)
هدم ودهدم (هدم) .

وهناك مترادفات يختلف ترتيب حروفها مثل جيد وجذب (جذب) وخرشش
وخرشب العمل أي لم يتقنه (خرشش) وخشخش وشخشخ (2) السلاح صوت —
دعس وعدس (داس) (3) — دعم وعمد (عمد) — ادغم وادمغ « ادغم » تسكع
وتكسع (تسكع) — فطس وطفس أي مات (طفس) لطح وطلخ (لطح) يئس وأيس
(أيس) وقد تستعمل العامة الكلمتين مثل : كف وكفكف — كب وكبكب — هز
وهزهز — ذر وذذر الخ .

أما النحت فأمثلته كثيرة : ويلمه وهي منحوتة من أصلها (ويل لأمه)

صبحه أي قال له صباح الخير .

مساء : قال له مساء الخير

تويل : قال يا ويلى

فسقته : قال له يا فاسق

ما شاء الله — (ما شاء الله) — ما طيبو (ما أطيبه) — محلاه (ما أحلاه) الخ .
ومن أمثلة الاتباع أو الإبدال بنفس المعنى :

العجر والبجر — حيص بيص (4) هين لين (سهل) — هش بش (مسرور) —
الكوع والبوع (كعو وبعو) — الجوع والنوع — شيطان ليطان — حسن بسن الخ.
وهناك مآت الكلمات تحكي الأصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان نذكر منها
ما يلي :

زرزور — صفصاف — ريح — رعد — تبقاب — ناتوس — طبل — بوق —
نبح الكلب — قامت الدجاجة — طن أو دن الذباب — وع الطفل الباكي — طنين
الناقوس — خريير الماء — تفل — لحس — نفخ — بح — تحب — أح — عطس —
بخ — صاح — زعق — ناح — ضرط — فسا — زمر — قطع — شق — دق —
تختخ — تتمم — جمجم — غمغم — بعبع — بقبق — قرقر — وسوس — مهمم —
نحنح — خنخن — (تكلم من أنفه) — قهقهه — قرقر — صرصر — ولول — ووح —

- (1) استعملت العامة الكلمتين : طلمس بمعنى محى وطلمس بمعنى أخفى (الطلمس
أي الطلاسم)
- (2) يستعملان في معنيين متقاربين (شخشخ وجهه أي جلب له العار) .
- (3) تطلق العامة لفظتي دحس (بالحاء بدل العين) وداس على مدلولين متقاربين
- (4) أفرد أبو البركات الأنباري كتابا خاصا لحيص بيص وقد توفي عام 577 هـ .

دقق - وعوع - غرغر - طلطل - هرهر - زعزع - حثحث - ضعضع -
شششق - وقوق - زقزق - زرزر - طططق - رررش - رررع - طنطن - نكتك.

أما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن في العامية والفصحى للتدليل على نفس
المدركات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقطة والتظاهر والتشبيه أو التشبه والوصف
مثل كنز (1) (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (مغصوب) ونكسة
(نجسة أي كثير النجس) وشتامة (كثيرة الشتم) وعباية ومصلحة (أي صلاح)
ومطهرة ومفسدة وحثالة وتفالة (أي بقية الثفل) وقمامة ونخاله ونشارة ونجارة
وأحمق (أكثر حمقا) وأخوف وأطيب وأسلم وأخوأ وأعجب وأعرف وجهد جاهد
(أي شديد) وصيف صائف وهول هائل وعيشة راضية ومكان عامر (أي معمور)
وخبر كاذب (أي مكذوب) وبمين فاجرة (أي منجور فيها) وتفاتر (أظهر الفقر)
وتباكى وتحامق وتجاهل وتماوت وتناعس وتشيطن وتنفط وتفرعن وتفرنج وتمدن
وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر وأحمق (أي موصوف بالحمق)
وأبله وأعمى .

ويجمع المذكر في اللسانين بإضافة تاء مربوطة الى المفرد مثل : حمارة (أصحاب
الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (أصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعامية
في الاشتقاق المنطقي من الفاظ ذات معنى حسي مجرد كالحمام من حم الماء أي
سخنه ومخدة من الخد والسماء من سما أي ارتفع والسمن من السمن والشباك من
شبك والغمام من الغم أي التغطية والجارية أي التي تجري في خدمة سيدها
والجمعة أي يوم الاجتماع في الجوامع وحريم الرجل أي نساؤه (من تحريم المرأة على
غير زوجها) والصداع أي وجع الرأس من صدعه أي شقه والفلة الدخول من كراء
بيت أو فائدة أرض من غل المكان إذا دخله .

ويكاد ينعدم في العامية التغليب بالمتنى (مثل التميرين والخافقين والعشائين
والأصفرين والأسودين) واستعمال صيغة فعال المبني على الكسر (للدلالة على
الانفعال والاسماء) أو المصدر نعتا أو معظم صيغ المبالغة (منفعيل وفعلة وفعيل) أو
منفعلة للكثرة أو المكان أو الفعل للتعظيم أو التصغير (اعنق (أي طويل العنق) واعين
وأورك (أي عظيم الورك) وأخفش (صغير العينين) أو افعل للدخول (اتهم وأشأم
وأغلس وأنجد) .

(1) كنز ومكنوز ذكره ابن سيده في المخصص في مادة كنز .
وتوجد صيغ عربية كثيرة انفردت بعض الأقاليم العربية باستعمالها مثل مصدر
فعل المضعف على وزن تفعال مثلا حمل تحمالا بدل تحميلا في المغرب واليمن ،
قال الكسائي : « أهل اليمن يجعلون مصدر فعل تفعالا وغيرهم من العرب
يجعلونه تفعيلا » .

ومما امتازت به الفصحى أيضا افعال السلوب الدالة على الزوال مثل
أهتب أي ازال العتاب واشكى اذا ازال الشكوى وزينغ اي ازال الزيغ
والميلان (زينغ بالعامية اثار الزيغ) وتائم وتخرج وتحنث اذا تجنب ذلك .

وكذلك زيادة الهميم للمبالغة كزرتم اي شديد الزرقة .

ويجب أن يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العاميات العربية وتوحيدها فمقد
تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى وخفت أوجه الاختلاف بما استوثق
اذ ذاك من صلوات في الاسواق الاتلمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت
قريش دورا هاما في انتقاء اجود اللغات ، فنسقت واجتبت افضل لغات العرب حتى
صارت لغتها افضل لغاتهم (لسان العرب) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة
تحت راية الاسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التي ساندتها احرف القرآن
السبعة وقد احتفظت السنة جهوية بميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئة
والابدال وأوجه الاعراب والبناء » (متن اللغة ج 1 ص 47) فقريش مثلا تفتح نون
المضارعة وأسد تكسرهما والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف في
الاسماء فلا يكاد يظهر الا في لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدية
الحميرية بدل السكين مثلا) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب في مظاهر مختلفة كالاظهار والادغام والاشمام
والتخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتسهيل والابدال وهو اختلاف في
المصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديما
المنعنة عند تميم وقيس (ابدال الهمزة عينا) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة
(ابدال كاف الخطاب شيئا) والغمغمة عند قضاة (وهي اخفاء بعض الحروف)
والفحفة عند هذيل (ابدال الحاء عينا مثل حتى وعتى) واللخاينية في عمان واليمن
(وهي حذف همزة ما شاء الله (مشا الله) والتلتلة في بهراء وهي كسر تاء المضارعة
(تلعب) والوتم عند اهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالنسات في الناس)

(1) لاحظ الاستاذ فريد أبو حديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 205) ان
حركة الكسر تكاد تكون شائعة في كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر
الاسم المضاف الى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون في الشرق أنت مالك (يقول
المغاربة مالك بفتح اللام) وهي لهجة لحم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة .

والوكم والوهم عند ربيعة و كلب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير) عليكم عنهم)
والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار وهي قلب العين
الساكنة قبل الطاء نونا (انطى - اعطى) وما زالت مظاهر ذلك الى الان عند
الاعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الالفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن في
اللغة الموحدة نفسها اختلافًا في الابنية من لغتين الى ثلاث عشرة لغة (عباءة -
عباية الخ) .

وقد أرجعت اصول الكلمات الواردة في القرآن الى خمسين لهجة من لهجات
القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف في الحركات الاعرابية منذ صدر الاسلام فسار العوام في منهجهم
المنحرف واستنحل هذا الزيغ اللغوي باختلاط العرب بالاعاجم بعد الفتوح فهب علماء
اللغة لتقويم العامية وارجاعها الى اصلتها الفصحى وتجلي هذا المجهود في « أدب
الكاتب » لابن قتيبة « ودرة الفواص » للحريري فحف البون بين الفصحى والعامية اذا
روعت شساعته في اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية في جميع مظاهرها لغة
عربية محرمة الشكل غير مضبوطة القواعد . ان العامية احتفظت احيانا بالفاظ عريقة
استعملها العرب واهلها المحدثون وقد راعت العامة مقتضيات التطور اكثر مما فعل
اللغويون الذين جمد الكثير منهم وراء قواعد راسخة لا تنفعل للتيارات الحضارية
المتجددة وقد حاول عرب الجاهلية تطوير اللغة استجابة لهذا الناموس وساعدهم
على ذلك كون العربية كانت لغة منطوقة لا مقروءة وسارت العامة على نهجهم
ماحتفظت ببعض الخواص الحية وعملت على تنميتها بما يتفق ولوازم التجديد ضمانا
لاطراد الحياة وقد اضطر بعض الشعراء انفسهم كالفرزدق الى مسابرة هذا الاتجاه
عندما استعمل ال بمعنى اسم موصول اليعمل واليضرب بمعنى الذي يعمل والذي
يضرب وهي شائعة في العامية وخاصة منها المغربية .

وقد حاولنا في معجبنا هذا مقارنة بعض الالفاظ العامية في المغرب ومصر
والشام ويتجلى من موازنة كثير من هذه الالفاظ مع مرادفها في المعاجم انها دخلت
اولا الى اللغة الفصحى ومنها تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك بالمغرب
والا فيصعب تعليل وجودها في العامية المغربية التي لم تتأثر البتة باللهجة السريانية.

ولا ننس أن الشام وخاصة لبنان هو منبع اللغة البونيقية أو اليونانية التي اثرت في البربرية المغربية منذ ثلاثة آلاف من السنين والبونية عربية الأصل (1) وقد سبقت لغة القرآن والفتح الإسلامي بالمغرب وكيفت كثيرا من المعطيات اللغوية لاسيما وأن الفينيقيين الشاميين أسسوا في المغرب الأقصى عاصمة هي تشمش أو ليكس قرب المرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد أي قبل تأسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد) .

وهناك مآت الكلمات التركية اندرجت في عامية سوريا ولبنان طوال أربعة قرون من الحكم التركي فأبعدت كثيرا من المقومات اللغوية عن عراقتها العربية وقد دخل عدد قليل منها الى المغرب منذ نفس التاريخ تقريبا أي في عهد السعديين الذين كان لهم ارتباط بالباب العالي لا سيما في الميدان الحضاري (الحياة والجيش والملاحة والادارة الخ) (2) .

وقد أشار الثعالبي في فقه اللغة (طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450) الى أسماء مارسيتها منسية وعربيتها محكية أوصلها الى مائة وواحد وأربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والخياط والند والبخور والغالية والحناء والمضرية والقمري والريعة والخرج والدواة والمرنع والفتيلة والمجرة والمزارق والطبل والشكال والتلية والهريسة والمعصيدة .

ثم ذكر (ص 453) أسماء تفردت بها الفرس فعرّبها العرب أو تركوها ، منها : الابريق والكوز والطبق والتصعة والسندس والياقوت والبلور والسميد والكمك والسكنجيين والجنجيين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والمنبر والكافور والقرنفل .

(1) أكد الاستاذ توفيق المدني في « تقويم المنصور » عام 1348 (ص 72) أن الكشوف الحفرية ونقوش الحجارة أثبتت كنعانية الفينيقيين كما أبرزت أن كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل أن تختلط اختلاطا فاحشا بمختلف اللغات الأوروبية وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقي الخالص .. « وقد نشر توفيق المدني (ص 72) نص الحفرية القرطاجنية التي وجدت في البرازيل ويتضح منها تقارب البونيقية ولهجة شمال افريقيا . ووجود هذه الحفريات بالبرازيل يدل على أن القرطاجنيين هم أول من اكتشف أمريكا قبل الميلاد بـ 125 سنة .

(2) راجع كتابنا «مظاهر الحضارة المغربية» و « معطيات الحضارة المغربية » (فصل: تاريخ دخول اللغة العربية الى المغرب) وكذلك كتابنا « تاريخ المغرب » وتاريخ افريقيا الشمالية القديم لكزيل Gsell و « العصور الفاضلة للمغرب » للمؤرخ كوتني « Siècles obscurs du Maghreb »

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي (1) لا بكيفية مباشرة لأن المغرب ظل في منحنى عن التأثيرات الفارسية .
ومن أمثلة المشترك الفارسي في اللهجتين المغربية والشامية : بابا (اي الأب في لغة الأطفال) وبازار (سوق) وبازاري وباس (لثم) وشاويش (وشاوش) وخردة (واصلها العربي الخرتي) وخواجه أو خواجي (غني) ودرويش (فقير) وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعله في مكان ضيق) وسالف (خصلة شعر متدللة على الصدغ) وشبر اي اشبار (وهو جبل رقيق جدا) وشنطة (حقيبة صغيرة) وشيت (نسيج قطنى فيه رسوم واللوان) وصباهي (صباحي اي جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبة) وطاقية (نوع من ملابس الرأس) وقيطان (خيط مفتول من القطن أو الحرير) وكخ (كخ بالمغرب اي رديء في لغة الأطفال) ومارستان (مستشفى المجانين) وميخانة (حانة اي خمارة وتطلق على أحد الأحياء بالمغرب) ونيشان (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اي صوب التذيفة نحو الهدف) أما اليونانية فقد دخلت هي أيضا الى سوريا ولبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليوناني بها مائتين وخمسين سنة قبل خضوعها الى الرومان كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود والعرب منذ أواخر الأمويين بما اتحموه من الفاظ دخيلة في القاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه حكماء المغرب ونباتيوه أو عشابوه وكتب الطب والعقائير المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها في لغة العوام مع شيء من التحريف الا أن وجودها في عامية أهل الشام ابلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة طويلة من تاريخ البلاد .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية والتي دخلت الى العامية المغربية على ما يقال :

ياتوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولجنة ، وكروياء ، وكرنسب ، وكانور ، وقيطون ، وقيراط ، وقينارة ، وقنطرة ، وقنب ، وقمم ، وقلم ، وتصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وقندق ، وقنار ، وفلس ، وقص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلفين ، ودرهم ، وتؤلول ، وبلغم ، وبجماط ، وبطاقة ، وبارود ، واوقية ، واقليم ، والالماس ، والرز .
أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية الفاظا يقال بأن منها اسطبل ، وبيق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاتور ، وطرطور ، وقمرسان ، وقرن ، وقفة ، وتلنسة ، وتميص ، وقنديل ، وقنطار ، وكوفية ، ومد (مكيال) ،

(1) وكذلك بالفاظ من اللغة التركية مثل باشا وبكرج (اناء معدني) وخازوق وتخوزق (التخوزيق) وسنجد وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجي (مدفعي) وصابونجي وجبدولي (صدرية) وجامكية (مرتب عسكري في عهد الموحدين) وخواجي (تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومنديل ، وميل الخ (1) .

وبينما كان التأثير الاسباني في اللهجة السورية واللبنانية نادرا جدا اذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامية المغربية نظرا للتبادل الموصول بين الاندلس والمغرب خلال الحكم الاسلامي اي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمائة عام بعد ذلك احتل البرتغاليون والاسبان في غضونهما مراكز هامة في شواطئ البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقي من المغرب (2) .

* * *

وقد عرف البربر كسائر البدو منذ اعرق العصور حياة بدائية لم تكن تخلو من مظاهر احتفظت بها قبائل صحراوية واطلسية الى الآن كالملكية الجماعية والاشتراكية الفلاحية والسكنى في اكواخ الطوب بالدساكر والامتصار في الأكل على الكسكس والصيد وشرب الألبان والعسل والماء القراح ولبس الجبة والبرنس ووضع اكاليل الريش على الرؤوس واستعمال الحراب والاتواس والخناجر والدرقات الجلدية في الحروب وكان المغربي يرسم على الجدران صورا تمثل حياته اليومية في براعة فنية

(1) من الالفاظ الفارسية الدخيلة الدريكة اي الطبل (واصلها تابوراك) والدمغة بمعنى الختم والطابع .

ويختلف هذا التأثير في الاقطار العربية الاخرى ولعل الدخيل من الفارسية في لغة العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال في مصر فان معظم الدخيل فيها في لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الانرنجية (محمد رضى الشيبيني مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج 8 ص 131) .
وديوان العراق لم ينتقل من الفارسية الى العربية الا في عهد الحجاج الذي امر بذلك كاتبه صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون - المجلد الاول القسم الثاني ص 437) .

(2) ذكر برونو Brunot (هسبريس 1949 - العددان الثالث والرابع) ان اللغة الرومانية اللاتينية امدت العامية عن طريق الفصحى بالفاظ مثل مد وتصر او مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور وذكر ان لفظ قنديل (Gandi) مقتبس من اللفظ العربي Qindid وان الكفنة مأخوذة من التركية .

ولاحظ في مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلان وفسرة الالفاظ الاسبانية الدخيلة في هذه المفردات تدعو الى نسبة بعض الكلمات الى اصل يوناني لاتيني وهذا اللفظ هو الذي وقع فيه سيموني Simonet في كتابه Glosario حيث ذكر مثلا ان الشابل Aloise مستمد من اللفظ اللاتيني Sapidus وقد اعطى برونو صورة عن مروح التأثيرات الاجنبية في العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر انه بالاضافة الى 456 لفظ عربي يوجد 217 كلمة اسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية واطالية و 6 انجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية واحدى عشرة كلمة مشكوك في مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة الى موانئ اخرى في المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففي الرباط مثلا تسمى Chaloupe بالعشارية وفي مستغانم ببوطة من Bota الاسبانية على ان البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يرسلونها بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية مملوءة بالالفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chavrebière ص 273)

رائعة كما يتحلى كالنساء بالأسورة والعقود وتمتاز المرآة بنقش الاواني الخزفية ونسج الزرابي في تعاريج هندسية ، وبرز الاطار السياسي القبلي في شكل جمهورية صغيرة يمثلها مجلس منتخب وقد طعمت الحضارة القرطاجنية الشرقية هذه المعطيات الأولية بعبادات جديدة كالطربوش والقميص الفضفاض والتكل والاختضاب بالحناء والاختتان (1) وربما حدث البربر الى التفكير في وضع احرف « تنفاغ » على غرار الهجائية الفينيقية التي تكونت منها الالفبائية العربية اذا لم يكن البرابرة قد اقتبسوا هذه البادرة مباشرة من الهيروغليفية المصرية في الجناح الشرقي لافريقيا الشمالية ويظهر ان اليهود النازحين من الشام وخير لم ينقلوا الى المغرب شيئاً جديداً باستثناء الديانة الموسوية واتفق من العبرية لم تترك اثرا يذكر في اللهجات المحلية .

ولعل اول نواة حضارية عربية تلقاها المغرب بعد الفتح الاسلامي قد جاءت عن طريق القيروان التي بدأت تنصهر فيها الحضارة الاموية بعد مرور ثلاثة ارباع قرن على الهجرة فاقتمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته دمشق آنذاك من روائع امتزج فيها العنصران الفارسي والرومي واذا اعتبرنا الصلة الوثيقة بين القيروان والمغرب قبل ان تزدهر بالاندلس الحضارة الاموية في اطرافها الجديد امكنا القول بأن الشام كانت الينبوع المشترك للحضارتين ما لبث ان تعزز بمدد مباشر في عهد الادارسة فاذا ما حاولنا التنظير بين عناصر الحضارة الاموية من نشأتها في الشام الى امتدادها بالاندلس لاحظنا وحدة مقومات العمران والبناء والزخرفة والنقش والثقافة والاجتماع والترتيبات الادارية والسياسية والقضائية في اشكالها ومصطلحاتها الا ان الاندلس لم تتصل بهذه المعطيات قبل وصول عبسـد الرحمن الداخل عام 137 حيث قضى خمس سنوات بالمغرب الشمالي يحاول عبثا اقامة مملكة اموية لان افواج اليمانيين والقيسيين ظلت في صراع حدا البربر انفسهم الى النزوح الى الريف وطنجة واصيلا بين عامي 134 و 136 هـ ولم تك الدولة الاموية الجديدة تستقر حتى وضع الادارسة بفاس اسسا عمرانية كانت وفرة مياهها وبساتينها وفنادقها وقيسارياتها ومسجديها مظهرا خافئا لعاصمة دمشق

وسواء اكان هذا الانتباس مباشرا او بواسطة فان الفاظا فارسية دخلت منذ هذا العصر الى المغرب ودخلت معها منسمياتها كما انتقلت الى المغرب في نفس الفترة من الشام مصطلحات رومية (2) قليلة كالبلستان ، والقسطاس ، والبطاقة ، والاسطراب ، والقنطار ، والقرمود ، والترياق ، والقنطرة والقيطون (3) والذي يجعلنا نرجح وجود هذه الالفاظ في المصطلح الدارج بالمغرب منذ هذا العصر هو ان

- (1) ماضي افريقيا الشمالية — كوتبي من 148 .
- (2) فقه اللغة طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450 — 455 .
- (3) دار القيطون بفاس أسسها المولى ادريس .

معظمها يمثل المظهر الجديد للحضارة الإسلامية التي بقي الشعر والشعراء في منأى عن وصفها لأنهم حتى في دمشق ظلوا في أبراجهم العاجية يبكون في أسلوبهم الجاهلي على الاطلاق ويتغنون بالماء الآسن في عنفوان المدنية الناشئة .

وأول مسجد على النسق المعماري الإسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري في نكور (1) في نهاية القرن الأول استمد في تصميمه من جامع الإسكندرية التي ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفي أحمد البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذي لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية (Arabesques) والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والإيمان في دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدث مسلمي الأندلس والقيروان ومصر ثم المغرب إلى التسطيرات الهندسية الساذجة التي يظهر أنها وسمت الزخرفة في أوائل العصر الأندلسي وكان استمرار الصراع في الأندلس بين العناصر السلالية المختلفة من عرب وبربر وقوط عائقا دون تفتح الفن حيث لم تكتمر ست سنوات (2) على تأسيس فاس حتى انحدرت إلى المغرب ثلاثمائة أسرة قيروانية تلتها بعد أربع سنوات ثمانمائة عائلة جاءت من أرباض قرطبة معظمها من الفلاحين والمزارعين الذين استقروا بعدوة الأندلس ووصل بعضهم فزاز بالأطلس أنتجاعا للحقول والمراعي الخصبة وأشجار التوت لتربية دود القز وصناعة الحرير (3)

- (1) مما يبرز تأثير الأندلس أحداث الموالي الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97) .
- (2) تبلغ الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى فاس عام 202 هـ 818 م أربعة آلاف حسب عبد المالك الوراق وثمانية آلاف (روض القرطاس ص 25) ودوزي : تاريخ مسلمي الأندلس (1932 ج 1 ص 301) أو ثمانمائة (هنري طيراس — تاريخ المغرب ج 1 ص 118) بينما بلغ عدد الأسر الإفريقية التي جاءت من القيروان عام 198 هـ ثلاثمائة ويظهر أن عدد الريضيين تراوح بين أربعمائة وثمانمائة اعتبارا للغلط المحتمل الناتج عن إضافة صفر للعدد ونظرا للتوازن الديموغرافي بين العدوتين وقد تحدث المقرئ في النفع (ج 1 ص 318) عن الوقعة التي أدت إلى طرد الأندلسيين فذكر أن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أنهك في لذاته فخلعه العلماء بقرطبة فأجلاهم عن الأندلس ولحقوا بفاس والإسكندرية ومنها إلى جزيرة أترطش .
- (3) ذكر ليفي بروفنصال أن الأندلسيين نقلوا معهم إلى المغرب فن البستنة وكذلك تجربتهم للحياة الحضرية كالبناء والصناعة التقليدية (فاس قبل الحماية Fez avant le Protectorat وقد لاحظ لوطورنو (ص 205) أنه إذا كان العرب قد نقلوا إلى فاس مظاهر نبلمهم فإن الأندلسيين قد نقلوا رقتهم والقيروانيين مهارتهم واليهود حيلهم والبربر صمودهم . وقد أعطانا الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه « بساط العتيق » صورة عن حضارة القيروان حيث تحدث عن سماطها (يوجد شبهه بفاس وهو سماط العدول إلا أنه أصفر منه) وحماياتها العمومية (49 حماها) ومصانع الزربية (ذات الطابع القيرواني الخاص رغم أصلها الفارسي) والزجاج والبلور والورق ودار الطراز وكان قاضي القيروان شيخا للإسلام في تونس أو قاضيا للجماعة كما في فاس وقد لاحظ الأستاذ التونسي في رسالة بالفرنسية أن الطبقة المتمدنة العتيقة من الأندلسيين قد نزلت مدينة =

بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من الفعلة الذين أتوا في عدوة القرويين الخلايا الأولى للحرف والصنائع اليدوية مدرجين بذلك في المصطلح الصناعي والتجاري مفردات دخلت منذ ذلك في التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط وإذا اعتبرنا أن الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيرا عما كان عليه من حيث الهيكل العام فإنا نلاحظ أن عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة والاجتماع ففيها القيساريات والحرف والمدارس والزوايا والفنادق ويبلغ عدد أحيائها اثني عشر مقابل نصفها في عدوة الأندلس و 17 حماما و 96 كتابا قرانيا بدل 24 وست مدارس بدل اثنتين هذا وإن جامع القرويين الذي أسس عام 245 هـ مع شبيهه جامع الأندلس على يد أم البنين واختها مريم الفهرية القيروانيتين لم يكن يثير الانتباه بفن جديد نظرا لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين عدا تصميمه الغريب الذي تتوازي بلاطاته مع القبلة على غرار مسجد الشرفاء الإدريسي وجامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق وقد أضاف إليه الناصر الأموي عام 345 أي بعد مرور قرن كامل على بنائه اثني عشر بلاطا جديدا وحول المنارة إلى مكانها الحالي مغطيا بابها « بصفائح النحاس الأصفر » مع « قبة صغيرة » محلاة « بتفانيع موهبة بالذهب (1) وبذلك انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي ولعل عهد الناصر الذي ازدهرت فيه الفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم (2) بالأندلس كان عهد تحول وانتقال في تاريخ الحضارة المغربية التي بدأت تتخذ بالعاصمة الإدريسية سمات جديدة في شتى المجالات ، تقل مع ذلك روعة وفخامة عن أصولها بقرطبة إذا اعتبرنا المضافات الأموية بجامع القرويين وقد انتشرت بدائع هذا الفن في حواضر ادريسية كالبصرة وأصيلا أصبحت تنافس مدينة فاس .

ومن الصعب أن نتعرف على العناصر الحضارية والمصطلحات التي تسربت إلى فاس في القرن الثالث الهجري وإن كنا نعرف مما كتبه مؤرخون عرب أمثال الحميدي صاحب « جذوة المقتبس » وابن غالب صاحب « فرحة الأنفس » والحميري في « الروض المعطار » والمقري في النفع الكثير من ذلك بالنسبة للأندلس حيث اكتملت مظاهر المدنية في

= تونس واختلطت بأهلها وتقدمهم الحفصيون الذين هم فرع عن الموحيدين. وتذكر المقري عن ابن غالب (نفع الطيب ج 2 ص 764) أن أهل الأندلس تفرقوا في المغرب الأقصى مع إفريقية فمال أهل البادية إلى ما اعتادوه فاستنطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأراحي الطاحنة بالماء وعلموا أهل البادية أشياء جديدة .

ومعلوم أن الأندلسيين كانوا يحتكرون ببلادهم — حسب سرفانطيس مؤلف « دون كيشوط » تجارة الأغذية ويضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها وهم لا يشترون العقارات حفاظا على حرية رواج أموالهم .
 (1) زهرة الأس ص 37 .
 (2) ابن حوقل — طبعة ج 2 ص 77

الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وأول ما يبيده الباحث حتى بالنسبة للامويين هو امتزاج العناصر الحضارية بسبب تداخل الاختصاصات وعدم فصل السلط حيث تندرج كثير من مقومات الدولة ضمن البلاط كالجامع والصدقات والاعشار والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة والرسوم الموظفة على بيوع الأسواق والمكوس والمشرف (1) أو الأمين ودار السكة وخزانة الطب والحكمة وإذا ما حاولنا أن نقارن بين مصطلحات هذا العصر والتعابير المغربية دون تحديد لأطوارها الزمني فأننا نلاحظ أن أغلبها متقاربة عدا كلمات لم يعرفها المغرب مثل صاحب البنيان وصاحب البيازرة والاسجال الخراجية وصاحب القطوع (أي الجبايات المرسومة على القطاعات) وصاحب الرد (رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي) والكور المجندة والجند المتدون (أي المسجل في الديوان) ومحص السرادق (أي مكان تقام فيه حفلة البروز لتوديع البعث العسكرية وعقد الألوية) والمهرجان (عيد موسمي منه العنصرة التي تعرف بالمغرب) على أن معظم أسماء الحرف موحدة وكذلك أسماء الأزهار والاعشاب والمصنوعات اليدوية وغيرها (2) واستمر هذا الاقتباس طوال قرن ونصف قرن بدافع من بني زيري وخلفاء المنصور بن أبي عامر إلى أن أصبحت الأندلس جزءا من العدة الجنوبية تحت حكم المرابطين الذين استدعى زعيمهم يوسف بن تاشفين رجال الحرف القرطبيين لإقامة المساجد والسقايات والحمامات والفنادق بفاس (3) ودار الأمة بمراكش بينما استعان نجله علي بن يوسف بمهندسي الأندلس لمدق منظره لتنسيق (4) وقنوات الماء وبناء دار الحجر بمراكش (5) وكان لوحدة أفريقية والمغرب الأقصى حينئذ أثرها في ضم الآثار القيروانية إلى المدد الأندلسي غير أن من الصعب تمييز الأثرين بوضوح لأن جامع القيروان نفسه دخلت فيه مواد أندلسية كالمرمر والأجر والجبس عند تجديده على يد محمد بن حمدون الأندلسي عام 252 هـ ولم ينس المرابطون الصحراويون إقامة القصبات والحصون في عمرانهم العسكري الذي تعزز بتسوير الحواضر أيام علي بن يوسف بابعاز من ابن رشد الأندلسي وإذا أردنا دليلا على مدى انسجام الصحراويين المغاربة مع روح العصر واستساغتهم للفن وأساليبه ومصطلحاته فان ذلك يتجلى بوضوح في الروائع الجديدة التي أضيفت لجامع القرويين الذي اتخذ حينذاك شكله الحالي بمنبره المصنوع من « الصندل والابنوس والعناب

- (1) هذه الكلمة معناها أمين المال وقد استعملها الموحدون (زهرة الآس ص 872)
- (2) راجع القائمة الكاملة بهذه المصطلحات في الملحق رقم 2 في كتابنا « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » (طبعة القاهرة ص 213)
- (3) زهرة الآس ص 87 وجذوة الاقتباس ص 27 .
- (4) الإدريسي - مقتطفات من النزعة - طبع الجزائر 1957 ص 69 .
- (5) الاستبصار - ترجمة ص 179

والعاج « (1) وقبته التي كشفتها الحفريات عام 1952 كانموذج للفن في أروع مجاليه وهكذا فالفعلة الأندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب في العصر المرابطي كانوا اذن اكثر اختصاصا من سلفهم وان كان عملهم لم يتجاوز نطاق هندسة المساجد وبعض المآثر العسكرية لان بداوة المثلثين وتتشغفهم حالا دون تقبل عناصر حضارية طريفة زخرت بها آنذاك قرطبة واشبيلية كموسقى زرياب الذي أحدث في الأندلس ثورة جذرية في المودات فكان بحق « مشرع اسبانيا العربية » ، كما يقول دوزي — وظلت المرأة المغربية بدوية الطبع رغم سفورها (2) لم تتفتح للتقانة عدا القليلات أمثال زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين والبطلة الموحدية فانو وأم هاتى بنت القاضي عبد الحق بن عطية وحفصة الركونية استاذة نساء دار المنصور (3) بـل استاذة عصرها (4) وأم عمرو بنت ابي مروان بن زهر طبيبة النساء في البلاط الموحدى وورقاء الفاسية الادبية الشاعرة (5) وزينب الترقولية استاذة القراءات السبع بمراكش وأغمات وزينب بنت يوسف بن عبد المومن التي ربيت بالاندلس فكانت صاحبة الراي في البلاط والشعوف في المجتمع وازاء هذه الندرة من المثقفات في المغرب كانت نساء غرناطة يشهدن الحفلات العامة سافرات ويسبغن بوجودهن عليها روعة وسحرا ويتمتعن بتوسط وامر من الحرية الاجتماعية كما كان بالربض الشرقي لقرطبة وحده مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الذي اتخذ في هذا العصر اشكالا خاصة بالمغرب (6) ، فاذا استثنينا مثلا الخط الحجازي فان ترتيب الحروف تختلف بين الشرق والمغرب ابتداء من الزاي فهي عندنا .

ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي

بينما هي في المشرق

س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م . ن ه و لا ي

والمغاربة يعجمون الفاء والقاف بنقط الاول بنقطة من اسفل والثاني بنقطة واحدة من اعلى كما ان صور الأرقام في المغرب عربية اصيلة ليست منقولة عن الرسم اللاتيني وقد ابرز ذلك الاختصاصيون في المؤتمر الذي انعقد بتونس عام 1963 حيث اكدت الجامعة العربية عزمها على اصدار تعليماتها الى الدول الاعضاء لاعتبار الأرقام المغربية هي الأصل والاختصار عليها في العد والترقيم .

- (1) زهرة الآس ص 42
- (2) حتى الاميرات لم يكن يتحجبن مما حدا المهدي بن تومرت الى نقد سياسة البلاط الدينية للنيل منه سياسيا .
- (3) « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » ص 165 .
- (4) الاحاطة لابن الخطيب .
- (5) جذوة الاقتباس ص 335 .
- (6) راجع الملحق رقم 4 من كتابنا المذكور « تطور الفكر واللغة ... » ص 222

غير أن الموحدين تفزوا بالفن الى مستويات راقية بالرغم عما ابده في البداية من روح التزمت (1) فأضافوا روائع جديدة الى المآثر الأموية تجلت في المنارة الخالدة باشبيلية وجامع حسان بالرباط والكتيبة بمراكش والقصور الفخمة والحدائق الفناء (على غرار مسرة المرابطين المعروفة الآن بالمنارة) ونضرب مثلا لهذه الروعة بمنبر الكتيبة الذي يرجع الى عهد عبد المومن (2) والذي تارنه ابن مرزوق بمنبر جامع قرطبة واعتبره طيراس وباسي « اجمل ما ابدهه الغرب الاسلامي بل العالم الاسلامي » ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الاندلسي والفنيين المصري والعراقي الساندين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء (3) وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول طوال خمسة قرون وبذلك يكون في وسعنا اعتبارا لهذه المعطيات أن نستخلص بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أسماء الحرف التي ظلت الى القرن الحالي الصناعة الأساسية لنصف سكان الحواضر (4) فمصطلحات الحرف بمراكش كانت تحتوي نظرا لقرب العاصمة من الصحراء على كلمات بلدية او حضرية معدودة مثل بعدى (اي اسكافي بدوي) وخطاطري (حفار الخطارات اي السواتي الصحراوية) وتكموتي (صائغ) وقراشلي (حلاج) في حين تزخر بالألفاظ العربية التي حرف بعضها تسهلا للنطق بها مثل بامهاود (اي أبو المهاودة وهو حكم يتدخل بين الناس للمهاودة) ومواكنسى (مصلح المنجانات)

(1) وقد أمر المنصور الموحد « بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتراء بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحفيل والاكتفاء منه بالساذج القليل وأمر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت .. » (البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 81)

ففي زمن المنصور والناصر الموحدين كان عدد الأطرزة بفاس 3094 ودور الصابون 47 ودور الدباغة 86 والصباغة 161 وتسكيك الحديد والنحاس 12 والزجاج 11 وكوش الجير 135 وأفران الخبز 1170 وأحجار صنع الكاغد (اي الورق وهي كلمة تركية) أربعمئة ودور الفخارة 180 (زهرة الآس للجزائري ص 33) وقد بلغت الأرحي بفاس 600 في القرن السابع (حسب ياقوت المتوفى عام 626 هـ في معجمه ج 6 ص 331) .

(2) المسند الصحيح الحسن ص 65 — 1925 .

(3) ويليام مارسلي في كتابه حول تاريخ الفن الاسلامي .

(4) راجع احصاء تام به ماسينيون عام 1923 — 1924 في كتابنا « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 78 . (الحناطي الاسلامية — باريس 1925 ص 38) وقد كان نظام الحناطي (اي النقابات العمالية) ينقسم في جميع العصور بطابع الحرية حيث ظل المخزن يحترم مبدأ الحرية التجارية والاقتصادية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات .

وغواسلي (بائع الفاسول) وظل معظمها مما ينيف على المائة في قلبه العربي الفصيح مثل التبان (بائع التبغ) والجـرار والحراث والحمار والحمامي (بائع الحمام) والخراط والرحوي (صاحب الرحي المائية) والطاحوني (صاحب المطحنة او الطاحونة التي تدار بحركة بغل او حمار) والرخايمي (صانع الرخام) والزيات والسفاط (صانع الاسفاط اي السلال) والعشاب والقطارني (بائع القطران) والبلاد (صانع اللبد) ، أما مصطلحات الحرف والمؤسسات العمومية وغيرها بفاس فاذا استثنينا بعض الدخيل فان الكلمات البربرية اقل بينما تظهر الفاظ خاصة مثل مقدم الحومة ودار معلمة (وهي مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز للبنات) وشيوخ الفلاحة (وهم خبراء في الشؤون الزراعية من اصل اندلسي) ودار العميان والمرتطان وسوق الفرش (اي صنع المخاد والحشايا) ومعاصر الزيت وكعب غزال (فارسي) والبلاحة (صانعو الاقفال) وصناع الاسلحة الاختصاصيين مثل الجماعية (لصنع جماب المسدسات) والسرايرية (لصنع مقابضها) والجوايين (لصنع الاغمدة) والصقاله والذهابين والسكاكين والبراولية (باعة خيوط الحرير) والزراذخية (باعة التماش من نوع الزردخان) والنيارة (صانعو نول النسيج) واذا اخذنا مثالا لباقي المدن المغربية في شخص اصغر مدينة وهي ميناء ازمور لاحظنا وجود معظم هذه الحرف عدا التنوع في النسيج وحرف جديدة كحرفة البغازة وهم بائعو السمك بالجملة والشراحة وهم مجففوا الحوت ، وهناك الفاظ مغربية اندلسية مبتكرة مثل القبال والقابض بدل الجمركي والجابي وقد استدل السيد محمد علي بهاتين الكلمتين للتدليل على اصالة الابداع اللغوي في المغرب والاندلس (عجائب اللهجات - مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953) ويلوح لأول وهلة من مقارنة نوع المصطلح في عاصمتي الشمال والجنوب مدى تأثير فاس بالحضارة الاندلسية حيث بدأت تظهر مؤسسات اجتماعية واختصاص أدق في بعض المرافق الصناعية بالعاصمة الادريسية ولا بدع في ذلك اذا اعتبرنا ان مدينة فاس أصبحت في عصر الموحدين (1) « حاضرة المغرب » الفكرية اجتمع فيها علم القيروان وقربطبة « ولا يوجد في الدنيا أكثر مرافق وأوسع معاش وأخصب جهات منها » كما يقول المراكشي - بشيء غير قليل من الغلو على أن الفن بفاس أصبح مزيجا للكثير من العناصر العربية فاذا ضربنا بالزليج الذي عرف في الشرق بالنسيفساء لاحظنا انه نوع من الترصيع الخزفي اصله بيزنطي كان يصنع منه بالاندلس نوع من المفضض

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب بسلا عام 1357 - 1938 (ص 213 - 221)
لعبد الواحد المراكشي .

المعروف في الشرق بالفسيفساء (1) والترصيع هو التكفيت (كلمة تركية) لها مرادفات منها التلييس والترسيب والتنزيل اصحها عند العرب في العهد العباسي التطبيق وفن الترصيع سوري في أصله يعرف بأوروبا الى الآن بالفن الدمشقي damasquinage وقد دخل الفن العربي الى ايطاليا وبعد الحروب الصليبية غزت المنسوجات العربية الأقطار الأوروبية حتى اضطر أحد ملوك فرنسا الى تحديد ايرادها (2) .

وقد شمل التعريب معظم المواد والآلات والاجهزة والأدوات التي استعملها الصانع المغربي الى العصر الحديث وتكفي القاء نظرة على معجمنا « الاصول العربية في العامية المغربية » للتعرف على مدى فصاحة الاستعراب في هذه المفردات التي نجد منها في الصفحات الأولى للمعجم الفاظا كالأشفي (مخرز الاسكافي) والبريمة والبرمة والبرميل والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب وتكريشه (تقبضه) والتكة والتنجرة والتومة (القرط) والثلج والخبل (لفظة يمنية) والحنوط والخرقه والخميرة والخنجر ، ثم ان الفكر العلمي الاندلسي الذي حماه البلاط الموحدى بمراكش لم يكن ليخلو من مظاهر اجتماعية تمثله مثال ذلك البيمارستان (3) الذي احتوى على « النقوش البديعة والزخارف المحكمة » وغرست فيه « الأشجار المشمومات والمأكولات » وأجريت فيه « مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض » وماله من « الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم » وتزويده بالادوية والصيدالة « لعمل الاثرية والادهان والاكحال مع ثياب الليل والنهار للمرضى ومجانبة العلاج ورعاية المنصور الموحدى الشخصية له بزيارة اسبوعية لتفقد حال المرضى وقد أشاد مؤرخ فرنسي معاصر بهذا المستشفى الذي بذ في نظره مستشفيات باريس في عنوان القرن العشرين (4) .

وقد رأينا كيف بلغ المصطلح العلمي اوجه في هذه الفترة التي آوى خلالها العرش المغربي في ظلال مراكش الحمراء أقطاب الفكر الاندلسي الذين مهدوا بكشوفهم العلمية في شتى الميادين عهد النهضة والانبعاث بأوروبا حيث ظلوا اسانذتها المرموقين طوال ترون .

لما المرينيون الذين كانت لهم أرقى المقومات الملكية بالمغرب واغناها واحتمها بتبني التراث الموحدى في افريقية والاندلس فان مغربهم الزاهر كان منطلق الاشعاع

(1) النفع نقلا عن ابن سعيد ج 1 ص 187 .

(2) (أعراف المسلمين وعاداتهم ص 247)

(3) العجب ص 177 .

(4) الموحدون les Almohades للسيد Millet طبعة 1927 .

في مجموع الشمال الاريقي (1) حيث تبلورت مدنيتهم الحضرية في أروع ما عرفه المغرب الكبير من حواضر ومساجد ومعاهد وقبب وفنادق ومدارس وملاجيء وحمامات وقناطر وحصون وخاصة في عهد أبي الحسن المريني (1331 - 1351) الذي يعتبره الغربيون أتوى عاهل في القرن الرابع عشر وقد كان لتراوجهم الحضاري مع غرناطة النصرية واثرة الاندلس ذيول عززت التراث المشترك الذي ما لبث أن انتقل بكامله مع رجال المهجر الى المغرب ليشكل الحضارة المغربية الاندلسية الموحدة . وقد ظهرت في الحقل الاجتماعي لأول مرة مدارس هي عبارة عن أحياء جامعية مجانية للطلبة في مختلف المدن كفاس وتلمسان والجزائر (2) علاوة على تصور نخمة تجلت فيها مهارة المهندسين والفنانين في تصميم معماري محكم ويمكن أن نقدر من خلال وصف (3) لاحد هذه التصور مدى تطور المصطلح الفني والانواع الجديدة من أرياب الصناعات كالبنايين والتجارين والجباسين والزليجين والرخامين والتفويين والدهانين والحدادين والصفارين والجدارات المنقوشة بالجبس والزليج والأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة (كالتوريق والتسطير) مع فروع الرخام والزليج وطيانير (فسقيات) المرمر والقبب والخوخ (اي الابواب) والخزائن بنحاسها الموه بالذهب والحديد المقصود ، غير أن هذه المظاهر الحضارية لم تتجاوز المدن لان البادية (اي الارياف والسواد) ظلت نسبيا في معزل عن تياراتها بسيطة في سكنها ومطعمها وسلوكها قد حفظت تراثا لغويا أصيلا ما زالت الحواضر تطفمه تدريجيا استجابة لمقتضيات العصر وسنرى كيف أن قبائل عاشت في أرياض عواصم كرباط الفتح ظلت عالقة الى عهد حديث بتراثها اللغوي الجاهلي الخالي من اية شائبة الأمر الذي أسفر عن نوع من الخلل بين المصطلح الكلاسيكي القديم ومولدات العصر الحديث .

وقد توافرت هذه المجالي الحضارية ولوازمها اللغوية العربية التركيبية في العصر السعدي عندما اقتبس المغرب بعض الانظمة العسكرية العثمانية كما دخلت

(1) مارسى Marçais في كتابه « L'Art dans l'Islam » ص 134) وقد ظهرت في هذا العصر نتيجة للتأثير الغرناطي الموسيقي الاندلسية بمصطلحاتها وبعض التعابير القانونية مثل لفظة الظهير بمعنى المرسوم الملكي (صبح الاعشى ج 15 ص 299)

وقد أسهم العلماء والأدباء في الصناعة والتجارة مما أكسب الكثير من المصطلحات طابعا فصحا ومنهم محمد الفسائي الذي كان تاجرا بقبسارية آسني يدير خانوته بعد الفراغ من تدريس الموطأ والسير والنحو والآداب واللغة وهو من رجال القرن السابع (توفي عام 663 هـ) (الذيل والتكملة) ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبد الله معن الذي كان يتمش (كلمة مغربية معناها يتمش بعمل دود القز بفاس) نشر الثاني في ترجمة علماء القرنين الحادي عشر والثاني (ج 1 ص 197) .

(2) نخب من « المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن » لابن مرزوق .
(3) نفس المصدر حيث أشار ابن مرزوق الى وضع تصميم معماري لهذا القصر وصفه بأنه رسم في كاغد لتقدير الساحة (اي المساحة) .

الى المغرب افواج المهاجرين الاندلسيين بلغت في مدن كتطوان اربعين الفا فيهم الاديب والعالم والفنان والعامل المختص والتاجر والفلاح واذا كانت هذه المظاهر تنعكس على العادات الاجتماعية والمآثر العمرانية ، فاننا نلاحظ في خصوص الأزياء مثلا ان سكان حواضر اندلسية مثل فاس وتطوان والرباط أصبحوا يضعون على رؤوسهم قلائس حمراء قد لفت عليها عمامة تتوسطها شوشة زرقاء (اي نواصة) بعد النفسي العام اوائل القرس السادس عشر الميلادي لان الشوشة الزرقاء لم تكن معروفة بالاندلس قبل حضور التحقيق الصليبي (Inquisitions) حيث اجبر الاسبان العرب المسيحيين على التميز بشارة زرقاء (1) .

ولباس البياض في مناسبات وفصول خاصة هو ايضا عادة اندلسية حيث كان هؤلاء يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البياض ابتداء من يوم المهرجان (اي العنصرة كما تسمى في العدوتين) اي 24 يونيه وذلك الى اول اكتوبر خلال ثلاثة اشهر متوالية (التفتح ج 2 ص 752) .

اما في الحقل العمراني فان « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ - 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولفته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية (2) كتبت في ابائها الأشعار بمرمر أسود في ابيض تذكرنا بروائع الاندلس : فمن شعر أبي فارس عبد العزيز الفشتالي يصف فن هذه الروائع :

فاتها والتبر سال خلالها	وشي وفضة تربها كافور
وكان أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين امامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بصفنتها تماثل قضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

(1) في عام 1019 هـ هاجرت الوف الاندلسيين الى فاس والوف الى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الاعراب ونهبوا اموالهم في تلمسان وفاس وسلم اكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة الى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن التفتح ص 101) .

(2) اي التي فيها خمسون ذراعا بالعمل اي بالنقش وكانت الجدران تحلى أحيانا بأنواع التطريز ومنه النوع الفاسي الذي هو سوري الأصل وفي سلا نماذج من أصل فارسي او شامي ويلاحظ في تطريز الرباط تأثير الانسجة الاوربية وكذلك في أزمر التي يرجع تاريخ نماذجها الاسبانية الايطالية الى القرن العاشر الهجري (مجلة هسبريس ج 21 عام 1935) .

ويوجد بفاس تطريز علجي الأصل ادخلته الى المغرب النساء التركيات او الجركسيات اللواتي تسرى بهن أهل فاس أما التطريز التطوانى فهو من أصل بلقاني .

وقد كتب بجدران المصرية (1) المظلة على الرياض :

باكر لدي من السرور كؤوسا وارض النديم أهلة وشموسا

وكان هذا الاطار العمراني الرائق مسرحا لحفلات شعبية بمناسبة حفلات كذكرى المولد النبوي يجري خلالها اعدار ابناء الفقراء ويتبارى الشعاعون في تطريز شموع « يحملها صحافون — كما يقول الفشتالي في مناهل الصفا — محترفون بحمل خدور العرائش عند الزفاف » وهي على رؤوسهم كالمغازي تتبعها الاطبال والابواق واصحاب المعازف والملاهي حتى تستوي على منصات بالديوان الشريف حيث يقعد السلطان على اريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وامامه شموع من بياض كالدنى وحمير جليت في ملابس ارجوان وخضر سندسية في حسك ومباخر ترنم خلالها تويات منشدي المولدات واشعار الصوفية وتتلّى قصائد شعراء الدولة بغزلها ونسيبها ومديحها للرسول عليه السلام وللسلطان وولي عهده في تراتيب يتقدمها تماضي الجماعة ثم الامام المفتى ثم الوزير ثم الكتاب المخزنون ويختم الحفل بنشر « خوان الاطعمة والموائد ، وتوزيع الاعطيات » وكان هذه القصور الباذخة في فرشها الحريرية ونمارتها المصطفة واستارها وكللها وحجالها المخصوصة بالذهب وحائطياتها ووصفانها واعلاجها بأقبيبتهم المخصوصة ومناطقهم المرصعة وحزمهم المذهبة — صور حية لفخفة استمرت معالمها في القرن العشرين في بلاط الملوك العلويين وتصور الاثرياء حيث استعيز عن القصاص المالمقية والبلسنية المذهبة وعن الاواني التركية والهندية والطنسوت والاباريق والصحاف ومباخر العنبر والعود الشرقية بأوعية لا تقل روعة قد جلبت من مختلف انحاء الدنيا شرقا وغربا لتضفي هالة من الجمال والسناء على محافل نشرت فيها كالماضي اغصان الريحان الغض وماء الزهر والورد. كما استبدلت بنوبات المنشدين نوبات الموسيقى الاندلسية الرائعة التي تسحر الالباب بنغماتها المشجية وتلاحينها الاخاذة والوانها الخمسة والخمسين وتوشيحاتها التي تردد في حنان وخشوع على السنة الخاصة والعامة لتسهم في تحريك نبرات القلوب وتوعية الروح وتاجيج الشعور وتوفير الثراء اللغوي في الدارجة والفصحى على السواء فكم من تعابير تخللت الالحن كانت ارسخ في البواطن واملك للوعي وكم من اغنيات ساحرة ردها الرضيع في حبه وربة الخدر في حجلتها كان اثرها اوقع في النفس ولفظها اعلق باللسان من كل تصيد يلقن في الكتاب او درس لغوي يلتقى في حلقات العلم .

(1) المصرية اي الغرفة الواقعة في طبقة عليا (العلية بالفصحى) ولعل لوجود طبقات في الابنية منذ القديم بمصر اثرا في هذه التسمية .

وإذا كان عهد السعديين قد نضدت معالمه بالزخارف المعمارية والروائع الاجتماعية فإن عهد العلويين الذي أقيمت فيه نفس القصور والبساتين مثل دار الهناء والدار البيضاء والصالحة والزاهرة وجنان رضوان وأجدال بنفس البذخ قد اتجه إلى دعم الكيان بالقصبات والقلاع ومن أروع ما يدهك في تصر من هذه القصور كقصر الرياض بمكناس عاصمة المولى اسماعيل جمعه بين مخفخة البلاطات الملكية وضخامة التحصينات بأبراجها ومدافعها إزاء البرك الفيضة للتمرين والانبساط معا في فلكها وزوارقتها وكانت أهراء القصر تضم اثني عشر الفا من خيل الجهاد وعشرات المستودعات زاخرة بمؤن تكفل للبلاد اكتفاء ذاتيا وميزانا تجاريا متوازيا وقد بدأنا بالرغم عن أصالة اللغة العربية بالمغرب نسمع في معماريات العلويين وعمرانياتهم مصطلحات جديدة فيها الكثير من الدخيل كالتقنايط (أي الهياكل) المقبوة في الأهراء والإصطبلات المستقفة بالبرشلة (وهي نوع من الروافد والعوارض pignon وسواني الماء الدائرة (أي النواعير المائية) والقراميد علاوة على المولدات العسكرية والدبلوماسية واتخاذ الأشبار (أي حفر الخنادق الحربية) وصنع البارود الكور والبنب (أي القنابل والقذائف) ونصب المهاريس والكراريس (أي المدافع المجرورة والضويلي) لتحريص الثغور المحتلة وبعث الباشدورات إلى طواغية (جمع طاغية) الإصبيول أو البرتغال أو النجليز « لاحكام الصلح » ومفاداة الأسرى البلوط بالبلوط واليكانجي باليكانجي والبحري بالبحري دعما للطبجية (أي المدفعية) والبحرية المغربية بفلائطها (سفنها الحربية) وفراكتها (أي حراتها) ومراكبها القرصانية ودخلت إلى المعجم المغربي بجانب ذلك عشرات المفردات مثل الكشينة (1) والباصبورط (الجواز) والطنبور والكرنتينة (الحجر الصحي) والمحلة (أي المعسكر) وصاكة الأعشار (أي رسومها) وصقالة (أي برج) والتوافل (الرياح) وتفرقع البونب (أي انفجار القنابل) والبستيون (2) وأنواع النقود كالبندقي في أربعين أوقية من الذهب والضبليون (doublon) في اثنين وثلاثين من الريال (الريال real فيه عشرون أوقية) والبسيطة (خمس أواق) والموزونة (ربع الدرهم الرباعي أي نصف القرش)

- (1) راجع النفحة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التاجروتي .
- (2) ظهرت هذه الكلمة منذ السعديين وقد استعمل الناصري في تاريخ المغرب هذه المصطلحات التي بدأ يستعملها آنذاك سلفه من المؤرخين وقد استعرض الناصري (ص 224) النظام العسكري عند الأتراك فلاحظ أن أهم ما يمتازون به هو العزوف عن العادات الأجنبية والمصطلحات المعجمة حيث « عمت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلق بخلق المعجم وإذا كان أصل العمل مأخوذاً عن المعجم فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه » . (راجع الاستقصا الجزء الرابع)

والسنجق (1) ويتسماط (بسكويت) وكل تلك مظاهر للعجبة التي بدأ المجتمع المغربي يتسم بها حيث « اتخذ ذوو اليسار – كما يقول الناصري المراكب الفارهة والكسي الرفيعة والذخائر النفيسة وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية » التي تعززت مع ذلك بمقتبسات غربية صالحة مثل مابريكة (أي مصنع) السكر وفابريكة تزديج البارود بمراكش وبرج الفنار (لتوجيه السفن في البحر) باشقار قرب طنجة وبابور البر (القطار الحديدي) والتلغراف الى غير ذلك وهكذا بدأت تتجلى في الأفق المغربي على عتبة القرن العشرين مصطلحات استعملها المغرب في قالبها الانرنجي دون تعديل وقد تحدثنا في كتابنا « تطور الفكر واللغة .. » (ص 161) عن ظهور هذا الدخيل خلال الحماية وبعد الاستقلال فأوضحنا كيف تمت وحدة نسبية بين جناحي العروبة عندما ظهرت الصحافة المغربية واشرايت الأعناق الى ما يرد من الشرق العربي وخاصة من الشام ومصر حيث انبثقت حضارة طريفة ضمت الى جوهر الاسلام ومعطياته جوانب من الفكر الغربي الحديث

(1) الاستقصا ج 4 ص 233 يصف الوضع بالمغرب عام 1290 هـ وقد شارك الصانع المغربي في معرض باريس عام 1285 هـ (أي في عهد نابليون الثالث) بنماذج من إنتاجه كالسروج الذهبية والمناطق المزخرفة والقطائف المنمقصة والزليج الفاسي والعلمين الذين يباشرون ترصيفه .



وَأَحَادِيثُ الْفَصِيحِي...

القبيلة والتي تتبع المستعرب الفرنسي لويبيناك عام 1916 الكثير منها في كتابه « نصوص عربية في زعير » (طبعة باريس 1952) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ في الكثير من الكلمات التي درجت على السنة العامة من أهل زعير مما لا نجد له مثيلا الا عند القبائل التي لا يتطرق الشك الى عروبتها كالشاوية ، وقد اشار كثير ممن درس انساب الفصائل السلاجمية المغربية الى ان القبائل الرحالة في سهول المغرب الغربية واقليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الاصلية التي طبعتها منذ الفتوح الاولى ، وقد اثر ذلك حتى في العنصر البربري حيث لوحظ ان عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الالفاظ العربية (حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص. 250) ، ولا يخفى ما تنسم به لهجات الاندلس وافريقيا الشمالية من صفاء (1) رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلي للفظ (2) ، ورغم الالفاظ البربرية التي تسربت الى الاقاليم العربية نفسها على ان الكثير من الكلمات التي يزعم بعض

لقد كان لكثير من القبائل العربية التي دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قريش التي نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوي لم يخرج عن النطاق العادي في تبادل التأثير بين الفصح والعامي ، لان المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش في اطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف اقل بين الفصح والعامي ، ويتجلى ذلك في المصطلحات المستعملة في كثير من مرافق الحياة ، ولعل ابرز مظهر لعراقة المحتد العربي في قبيلة او اقليم يتجى في صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الارومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج. 6 ص. 96) وان كان الموقع الجغرافي لا يمثل في نظرنا عاملا جوهريا لامكانية الهجرة في فترات سالفة .

ومن الصعب ان نميز بعد التفاعل اللغوي الناتج عن ارتباط الاقاليم بين ما جد وما تلد في هذه اللهجة ، غير اننا اذا قارنا بين المصطلحات المستعملة في هذه

(1) تحدث كرد على عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج. 7 ص. 128 سنة 1953) فقال: « لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء » ، الى ان قال : « وكادت اللهجة الاندلسية من اجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه باللهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

(2) لاحظ فليش H. Fleisch في « المدخل لدراسة اللغات السامية » (ص. 101) ان لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعني بذلك انها لا تتقيد كثيرا بالاوزان والصيغ

التفويين رطانتها يتضح اصلها العربي بعد التحليل فقد نشرت مثلا مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص 326 عام 1955) بحثا للاستاذ شارل كونتز خبير لجنة اللهجات حول اثر اللغة العربية في عربية المغرب اورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع الى اصل بربري ، وقد وفق الاستاذ في طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحر في مقارنة الاصل العربي المحتمل لطائفة اخرى مثل :

(1) املوس (الوخل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (الملس) وخاصة الملس بمعنى الزلق اذ اعظم خاصية في الوخل انه مدعاة للزلق .

(2) دائيس (الخيزران) Bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف ان الخيزران لا يتزرع الا في الحرارة وفيه عشرات الانواع .

(3) المازوزي (الاخير من النتائج) ويظهر انه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز اي على مهل فالمازوزي ياتي متأخرا كأنه يتمهل في انبثاقه .

(4) قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء في المغرب او بعض الاقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل او فعلل او افعل الى فعلول مثل احمق وحمقوق او جموق وبط (كالبطة في السمن) ويطبوط وخنفر او مخنفر وخنفور فيمكن القول اذن بان قط العربية اعطت قطوس العامية .

(5) اقراب وهو الخرج او الجراب من القراب (الان اداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصلرة اي في اول الكلمة والمتسكمة اي في آخرها) .

(6) ساط بمعنى نفخ ولطها من ساط الفحم اي خط بعضه ببعض ليتقد كله اذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد في المعجم الوسيط ان المسجر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود في التنور .

(7) كفس بمعنى لطخ بسواد او فضح اصلها كفس اي اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج الخ ...

وقد عمدنا دعما للنظرية القائلة بعروبة زعير الى تتبع مدلول اللفظ في المعاجم العربية القديمة وفي الاستعمال العامي فحورنا لائحة مطولة لهذه الكلمات استخلصناها من معجمنا الكبير الموسوم « الاصول العربية للعامية المغربية » ، وهاكم هذه النماذج مرتبة حسب الحروف الهجائية :

اهلا بك : مرحبا بك - كثير من القبائل المغربية وخاصة زعير تقول واهلا بك .

اول امس : البارحة الاولى - غالب الحواضر بالمغرب تقول ولبارح اي اول البارح ، واهل البوادي يقولون اول نامس او نامس وخاصة زعير .

بث الخبر او السر نشره - (لهجة زعير) - (بث)

البريش : المكان الابرش الكثير النبات المختلف الالوان ولعل منه لفظ برنيشة الذي يطلقه عامة قبائل زعير على ارض محروثة .

بفرت السماء : امطرت وقد اقتبسه عامة قبائل زعير للتعبير عن سيلان العرق بعد التعمب .

بك الشيء : خرقة وفسخه - يقول عامة زعير بك الثوب خرقة ، ويستعمله اهل عبدة في الجنوب الغربي للمغرب بمعنى ثقب الاناء فهو مبكوك اي مثقوب .

ابلق : فرس ابلق ، اي في لونه سواد وبياض ، وهو مستعمل بهذا المعنى في قبائل المغرب وخاصة في زعير بأرباض عاصمة الرباط .

متبرز : اي في حالة التفوط - (بردوز عند اهل زعير معناه الرجل الذي هو في حالة وسخه يكون عليها عادة كل من يقضي حاجته) .

تجاوز : عفى يقال داوز (زعير) ودوز في بعض الحواضر كالرباط .

الجرزة : الحزمة - حزمة من العشب او الاوراق في زعير (اولاد علي) ، وتقلب الى جرجة عند اولاد سعيد .

جائح : من الجائحة اي المصيبة - عام جائح مصاب بجائحة ، والجيحة هي الجائحة .

المجينة : مكان صنع الجبن - يستعمل بهذا المعنى في المغرب ويطلق خاصة في زعير على معدة الارنب المعدة للتجيين كما يطلقه اهل الشام على كرش الجدي الذي يجمد به اللبن جينا .

الجاية والخابية : الحوض - وتطلقه البادية المغربية وخاصة زعير على الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل .

الجران من البعير : مقدم عنقه - والجرانة عند زعير هي كبدة حافر الخيل Fourchette والمقصود تعبير اللفظ عن عضو لدى البهيمة .

الجرى : ولد الكلب ، (الجرى فى معظم البوادي المغربية) .

الجرية : المرتب اليومي - الجرية العمل اليومي - فى زعير .

الجرية : الجاري . من الوظائف - الجرية فى زعير المرآة تستخدم فى كل شىء - والمعنى المشترك بين الكلمتين هو العمل والوظيفة .

الجحف : قوت لا فضل فيه - والجحف فى زعير الشخص الذي يسيء الضيافة ، والمجوعف فى الشاوية اللثيم - والمعنى المشترك هو عدم الكفاية فى القوت .

الجعفر : النهر - الجعفر فى زعير الارض الوعرة الصعبة المسلك ، ووجه الشبه هو ان جفاف الانهار فى الصيف يكشف عن ارض وعرة قد نخرها الماء فأبرز فيها تنوعا .

جفل البعير : نفر (جفل فى البادية وبعض الحواضر) جلل الفرس : البسه الجل وهو للدابة كالثوب للانسان - جلال الفرس فى زعير معناه غطى ظهره ، ويسمى الجل بالجلال .

الجلد : المحلة والقوم (الحلة القبيلة عند زعير) .

تجلل : تحرك وتزحزح عن مكانه - (تجلل فى زعير تشاغل فى الحركة) .

الحمرة : لغة فى بوحمرى وهو مرض وبائي بسبب حمى ويقعا حمراء فى الجلد (الحمرة عند زعير) .

حمس اللحم : قلاه - والحمسة لغة القلية - وعند عامة زعير حمس : طبخ اللحم ، ومنه الحمسة أى لحم مطبوخ بمرق - وكذا فى الشاوية العربية الاصل حيث تسمى قدر الطبخ بالحماس .

الحسى : السهل من الارض يستنقع فيه الماء (حاسى فى لهجة زعير معناه ثغرة ماء فى مسيل الوادي) . وهو مصطلح مشهور فى المغرب العربي ومنه حاسى بيضاء .

الحوة : سواد الى خضرة او حمرة الى سواد لغة والوصف احوى - وفى زعير سواد الى يياض بخصوص الضآن والمعز (أحوى) .

الحوار : ولد الناقة قبل ان يفصل عنها (الحوار فى زعير) .

الحيقطان او الدراج : (الحيقون عند زعير هو ذكر الحجل) .

الحيقون : مدون اخبار (فى زعير خبايرى) .

استخبر : بحث عن الاخبار (استخبر فى زعير وحتى فى بعض الحواضر) .

الجرى : ولد الكلب ، (الجرى فى معظم البوادي المغربية) .

الجرية : المرتب اليومي - الجرية العمل اليومي - فى زعير .

الجرية : الجاري . من الوظائف - الجرية فى زعير المرآة تستخدم فى كل شىء - والمعنى المشترك بين الكلمتين هو العمل والوظيفة .

الجحف : قوت لا فضل فيه - والجحف فى زعير الشخص الذي يسيء الضيافة ، والمجوعف فى الشاوية اللثيم - والمعنى المشترك هو عدم الكفاية فى القوت .

الجعفر : النهر - الجعفر فى زعير الارض الوعرة الصعبة المسلك ، ووجه الشبه هو ان جفاف الانهار فى الصيف يكشف عن ارض وعرة قد نخرها الماء فأبرز فيها تنوعا .

جفل البعير : نفر (جفل فى البادية وبعض الحواضر) جلل الفرس : البسه الجل وهو للدابة كالثوب للانسان - جلال الفرس فى زعير معناه غطى ظهره ، ويسمى الجل بالجلال .

الجلد : المحلة والقوم (الحلة القبيلة عند زعير) .

تجلل : تحرك وتزحزح عن مكانه - (تجلل فى زعير تشاغل فى الحركة) .

الحمرة : لغة فى بوحمرى وهو مرض وبائي بسبب حمى ويقعا حمراء فى الجلد (الحمرة عند زعير) .

حمس اللحم : قلاه - والحمسة لغة القلية - وعند عامة زعير حمس : طبخ اللحم ، ومنه الحمسة أى لحم مطبوخ بمرق - وكذا فى الشاوية العربية الاصل حيث تسمى قدر الطبخ بالحماس .

الحسى : السهل من الارض يستنقع فيه الماء (حاسى فى لهجة زعير معناه ثغرة ماء فى مسيل الوادي) . وهو مصطلح مشهور فى المغرب العربي ومنه حاسى بيضاء .

الحوة : سواد الى خضرة او حمرة الى سواد لغة والوصف احوى - وفى زعير سواد الى يياض بخصوص الضآن والمعز (أحوى) .

الحوار : ولد الناقة قبل ان يفصل عنها (الحوار فى زعير) .

الحيقطان او الدراج : (الحيقون عند زعير هو ذكر الحجل) .

الحيقون : مدون اخبار (فى زعير خبايرى) .

استخبر : بحث عن الاخبار (استخبر فى زعير وحتى فى بعض الحواضر) .

الجرى : ولد الكلب ، (الجرى فى معظم البوادي المغربية) .

الجرية : المرتب اليومي - الجرية العمل اليومي - فى زعير .

الجرية : الجاري . من الوظائف - الجرية فى زعير المرآة تستخدم فى كل شىء - والمعنى المشترك بين الكلمتين هو العمل والوظيفة .

الجحف : قوت لا فضل فيه - والجحف فى زعير الشخص الذي يسيء الضيافة ، والمجوعف فى الشاوية اللثيم - والمعنى المشترك هو عدم الكفاية فى القوت .

الجعفر : النهر - الجعفر فى زعير الارض الوعرة الصعبة المسلك ، ووجه الشبه هو ان جفاف الانهار فى الصيف يكشف عن ارض وعرة قد نخرها الماء فأبرز فيها تنوعا .

دغر الرجل : لؤم وساء خلقه - (المدغار هو الحمار او البغل اللثيم سىء الخلق)، وكثيرا ما تستعمل وصفا فيقال : حمار مدغار ، وفي بعض الحواضر يقال: حمار مديار. بالباء بدل الغين او داغور بمعنى بليسد كالحمار .

دهس المكان : كان سهلا لا يبلغ ان يكون رملا وليس بتراب ولا طين فهو ادهس - والدهس في لهجة زعير تراب لا طيني ولا رملي .

الدهري : الذي طال عمره واتى عليه الدهر - (رجل دهري في لهجة زعير غنيظ ثقيل ساذج) .

دهمه الامر : غشيه - دهم هاجم وانقض (زعير)

الارجوحة : يطلق عليها عامة زعير لفظ دحراج من دحرج .

رخل ورخلة : الانثى من اولاد الضأن (رخلة في زعير) .

الرعونة : الحمق وكثرة الكلام - شخص رعواني في زعير والشاوية اى وضع من اصل منحط .

الرعاش : رعشة تعترى الانسان من داء يصيبه والرعاش في زعير رعشة الابقار وهي مرض قاتل يعجل بالموت .

الرف : الثوب الناعم - الرفافة في زعير ثوب تصنع منه حواشي الخيمة .

الرسن : الحبل يجعل في رأس الدابة - (الرسن عند زعير)

رشقه بالسهم : رماه - (رشق في زعير) .

الارقط : اسود مشوب بنقط بيض او ابيض مشوب بنقط سوداء - ارقط في زعير ومزرقط في بعض البوادي والحواضر مثل الرباط .

استراح : وجد الراحة - تسراح (زعير) .

رهس الفرس : جعله رهيسا ، والرهصة مسا يحصل لحافر الفرس اذا اصابه حجر او نحوه - (يقال رهص الفرس في زعير) .

الزاجل : خشبة كالحلقة تربط في طرف الحبل - تسمى في زعير الزاجل والحاجل .

زاع الدابة : حرك زمامها لتزيد في السير - زينع راسه في زعير حركه .

ختل الصياد : مشى قليلا قليلا لثلا يحس الصيد به - ختل في زعير وتختل في الشاوية .

خفق خفقانا : اضطرب - (خفق في زعير) .

خمخم : نبت له شوك - وهو في زعير عبارة عن اوراق جافة تبني بها الاخصاص .

استخول : شبه اخواله - (تسخول في زعير) .

تخيل واستخال : تستعمل قبيلة زعير صيفة استعمل مع تحريف فتقول تسخايل في حين ان عامة الحواضر تقول تخايل .

الداب : ما دب من الحيوان وغلب على ما يركب عليه - (الحمار في لهجة زعير) .

الداح : نقش يلوح به للصبيان يملون به ، ومنها دوح الصبى هدهده ، والدواح بمعنى المهد (زعير) والدوح (الشاوية) .

الدبر : من كل شيء مؤخره وعقبه - (الديبور في لهجة زعير) .

الدرن : الوسخ - (وفي لهجة زعير بعوضة وسخة تكمن تحت جلد البقر) .

دك : دق ودكمه في صدره دفعه - ودكم فناه او انفه كسره (قارن هذا اللفظ مع دلقم التي لها نفس المدلول في العامية) - والدكوم في لهجة زعير مطرقة الحداد .

ادلج : سار ليلا ، ودلج في لهجة زعير مشى وهو يتمثر كمشية الطفل او الحيوان الصغير وهي مقتبسة مجازا لان السير ليلا مظنة التعثر .

دلج : مشى بحمله منقبض الخطو لثقله عليه - وفي لهجة زعير ، مشى تائها دون هدف وهي مستعملة ايضا في ناحية مراكش وقبيلة بزو .

دلح : فرس دلح يختال بصاحبه ولا يتبعه - وتدلوح في لهجة زعير مشى وهو يختال .

المدماجة : العمامة تنطوي اطرافها بعضها على بعض ، والدمجة عند عامة زعير الضفيرة المطوية المدمجة في بعضها .

دئر الوجه : اشرق وتللا كالدينار ، والدينار في لهجة زعير غرة بيضاء .

ادغم الله فلانا : سود وجهه ادغاما وادغيماما - (الدغمومي في لهجة زعير هو الاسود) .

شهل : كان في عينيه شهلة وهي ان يشوب سواد العين زرقة - وشهل في زعير ابيض وشاب .

الصرم : الجلد وهو معرب فارسي ، والصرم الخف المنمل - اما في زعير فان الصرم والصارمة عبارة عن تطعيم وترخيم بسيور الجلد ، والصارمة عند اهل الشاوية معناها الشكارة وهي كيس كبير من جلد اللقود

الصفاق : الجلد الاسفل الذي يمسك البطن Péritoine ويسمى الصفاق في زعير .

الاصك : القوى من الناس (الاقوى في زعير) .

الصمام : سداد القارورة - الصمامة في زعير قطعة ثوب لتصفية الماء ، والاصل في تسمية المصفاة بالصمام ان قارورة العطر في المغرب تسد بمصفاة من النسيج الابيض الرقيق .

ضمر : هزل (زعير) .

الضنء : الاولاد لا واحد له - الضنايا في زعير والمغرب عامة معناها السلالة والعقب .
ضهد : قهر الام من فرط الرضاع - قهر (زعير) .

الطبة : القطعة المستطيلة من الثوب وتدل الطبة (بضم الطاء) في زعير على القطعة التي توضع على الثوب .

اطرقت الابل : تبع بعضها بعضا ، واطرق الرجل تزوج - وطرق عند زعير وكثير من البوادي بحث عن الانثى .

طرحت الانثى : القت الجنين قبل كماله ، والطرح الجنين السقط - وطرح وضع السقط (زعير) .
وتستعمل اللفظة في الشاوية لطرحة الحيوانات .

الطنب : جبل يشد به سرادق البيت - الطنب (زعير) .

عرش البيت : رفع سقفه ، وعرش الكرم ، رفع دواليه ، وعرش الطائر ارتفع ، ويقال في زعير : عرش اذا اقام الخيمة او ارتفع ، ويستعمل اللفظ حتى في الحواضر بمعنى ارتفع . عرش فلان اي انتصب وارتفع راسه - ومنه العريش ويكاد يكون شائعا في المغرب .

عرقوب : عصب غليظ فوق العصب ، او طريق في الجبل - العرقوب (بالقاف المعقوفة) عصب كذلك او طريق ضيقة في متون الجبل (زعير) .

عرمرم : جيش عرمرم كثيف - جيش رمروم (زعير)

زفن : رقص ، والزفان الرقاص - ويطلق في زعير والشاوية على الرقاص والمغني والعاظف .

الساري : الذي يسير في الليل - ويستعمل في معنى المبكر فيقال : امرأة سارية اذا كانت تقوم مبكرة والبكرة في البادية المغربية هي آخر الليل وكذلك السروة والسروية اي الفجر .

سبك الشيء : احسن ترصيفه وتهذيبه - مسبوك في زعير معناه متقن النسيج .

السرية : التقطيع والجماعة من الظباء والخيل - ومعناها في زعير عصابة من الخيالة خاصة ، وفي الشاوية جماعة من الخيل .

سحف : كشط ، وسحف الريح السحاب بدده - سحف عند اهل زعير معناها بدد وبذر .

سحا النار : سهل اتقادها ، وسحا القدر سهل اتقاد النار تحتها - والسخية في الشاوية وزعير الرماد الساخن الملفوف في خرقة للتسخين والعلاج .

سفظ : كان طيب النفس ، والسفظ وعاء يعبأ فيه الطيب - وسفظ في لهجة زعير اشترى الطيب ومنه تزوج .

السكاك : الذي يضرب السكة - السكاك الصانغ في لهجة زعير .

المسند : ما يسند اليه كالمخدة - (المسند بهذا المعنى عند زعير) .

السهب : الوادي ، الفلاة - (الشاوية وزعير) .

السير : القدة المستطيلة من الجلد (السير) .

الشرابة عند المولدين : ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بالطربوش وغيرها ويتدلى الآخر وتستعمل بهذا المعنى في بعض انحاء المغرب ، اما في زعير فانها تعني ثوبا يغطي الراس ويتدلى على الظهر .

الشربة : الوادي - والشرابة طرف من الوادي لا مخرج له (زعير) .

شرجت كجعفر : نوع من الكوى عند اهل زعير .

الاشخم : الابيض - فرس اشخم اذا كان له لون ابيض مشوب بسواد (زعير) - وصوفة شخمة وشاة شخمة (الشاوية) .

شنفر : اخرج شفثيه غضبا ومنه الشنفرى - يقال : شنفارة في زعير ، والشاوية .

اعتلوا: تقلب عند زعير الى تسعذر (واصلها استعذر)

العدار : ما سال من اللجام على خد الفرس -

العدار (زعير) .

العروة : المقبضة - العروة (البادية) .

العجيف : المهزول - العاجف (زعير) .

عصم الرجل زوجته رعاها وحفظها - عصم (زعير)

معطن : مكان تأوى اليه الإبل - ومعطن في زعير ومعظم البوادي المغربية مكان فيه الوحل ، وعطن بال لان البعير اذا برك في معطنه بعد ان يروى من الماء يبول في تلك الفترة لذلك كانت لوازم العطن من معانيه في العامية .

العكة : زقيق للسمن أصفر من القرية - والعكة في زعير قرية صغيرة من جلد الشاة للعسل .

عكش الشعر : التوى وتلبد ، وعكش النبت كثر والتف - عكرش ، التوى على نفسه (زعير ولعل اسم عكراش الواقع في طريق زعير مستمد من هذا المعنى لالتواء وادي الرمان أو ابي رقرق فيه) .

عكرم الليل : سواده - وعكرم سرق في الليل (زعير)

عكاس البعير : حبل يشد به في خطمه أى رأس انفه الى رسغ يده ليدل - والعكاس في زعير حبل يشد به قرن البقر أو الثور لتذليله ، ومنه عكس البعير فهو معكوس ، وتقول العامة في المغرب تعكس الرجل فهو عكسي أى استعصى كالبعير الذي يحتاج الى عكاس لتذليله .

عقمق الطائر بصوته : صوت - والعقمق طائر كالغراب يصوت (زعير) .

العقبة : ما يعقب بعد الطعام من حلاوة - العقبية (القاف المعقوفة) ما يوكل من الطعام البسيط في العشي (البادية وخاصة زعير) .

معكف : معوج ، معطف - معكوف (زعير) .

تعقل واستعقل : استحضر عقله - تستعقل (زعير)

عناق : اثنى من اولاد المعز ، وعناق الارض حيوان من فصيلة السنور جارح له خصلة من الشعر الاسود ، (يقول اهل زعير ان خصلة شعر العناق حمراء) .

عنى عنابة : قصد ، ومنه عنوة أى قصدا (البادية)

اعتفر : اقتدر وقوى وتعافر بالدارجة بذل جهده للتغلب والتقوى وقد قلبت في بعض القبائل المغربية مثل زعير الى « تفاعر » .

عسلوج : ما لان من قضبان الشجر ، وعسلج الشجر أخرج عساليجه - (عسلوج) .

العواق : الصوت يخرج من بطن الدابة اذا مشت - وهي التمويقة (بالقاف المعقوفة) فى البادية وتطلق اليوم حتى على الصوت الخارج من بطن القاطرات ونحوها فى البادية والحاضرة .

الفرارة ، الجوالق : وهو المعدل من صوف أو شعر - الفرارة مكيال للزرع (زعير) .

الفارب : غارب الفرس كاهله أو من بين الظهر والسنام - الفارب (زعير) .

الغار والمفارة : الكهف - المفارة (زعير) .

غاط الحفرة غوطا : حفرها ، والغوط كذلك المطمئن الواسع من الارض، ومنها غوطة دمشق - الغوط حفرة وخليج (زعير) .

غرنيق ، وغرنوق : جمعه غرانيق - غرنوق (زعير)

الاغر : الابيض من كل شيء - لون أغر صاف غير مشوب (زعير) .

اغدق المطر : كثر قطره ، واغدق العيش اتسع - اغدق بالقاف المعقوفة (زعير) .

اغدير : قطعة من الماء يتركها السيل - اغدير ، وغدرة (زعير) .

اغشى الفرس غشا : كان اغشى أى اشقر ، لان الفشوة بياض الرأس دون الجسد ، الفشوة (زعير) .

اغضاغضوا : كان فى نعمة وحسن حال ، فهو اغاض وهي اغاضية - امرأة اغضوية كانت سبب النعمة (زعير)

اغضف العيش : كان ناعما - عيش اغضف ناعم (زعير)

اغل غلولا : خان - الغلول الخيانة (زعير) .

اغمر صدره : غل : أى كان ذا غش أو ضغن وحقد، والغمر : الجاهل الحقود - الغمار اليهود فى زعير لانهم يبطنون الحقد والضغينة لمن عداهم .

الغمد : جفن السيف - الغمد (زعير) .

الغفر ، والغفار : شعر كالزغب يكون على المنسق واللحيين ، والغفا ونحوها - الغفر والفوفارة شعر

القبضة : طائر صغير قبع أو قوبع
طائر يكون فى الحقول (زعير) .

القبس : شعلة النار - القبس (زعير) .

قنب البعير : رحله - القنب (زعير) .

قرس الماء : جمد من البرد ومنه برد قارس -
قرس (زعير وكثير من الحواضر والى وادي) .

قرقرت الحمامة : رددت صوتها - القرقر باللقاف
المعقوفة ، الجماعة تقرقر (زعير) .

القرش : ما يجمع من هنا وهناك فهو عبارة عن
المحمول لا الحامل - ولكن القرش فى زعير معناه
التليس اى المخلاة تجمع فيها الحبوب .

القراد : دويبة تعلق بالبعير وهي كالقمل للانسان،
القراد (زعير) .

قرح الفرس : صار قارحا اى شق نابه وطلع وهو
مظهر للظمن فى السن - قرح الجمل طعن الجمل فى
السن (زعير) .

تقدت الدابة : مشت وسط الطريق - تقدى مشى
الخيلاء (زعير) ولا شك ان السير وسط الطريق دون
مبالاة يكون فى كثير من الاحايين مظهرا للخبيلاء
والاعتداد بالنفس) .

القطن : موضع الاقامة - قيطنة (زعير) - (القيطون
خيمة يقطن فيها) .

قطب الرحى : محورها - قطب (زعير) .

تقطعت الحجلة : صوتت - وتقطعت الدجاجة
نادت افراخها (زعير) .

مقطع النهر : معبره - مقطع .

فلز بسهمته : رمى به - فلزه ضربه (زعير) .

قمطه : البسه القمط وهي اثواب الرضيع - قمط
(زعير) .

قمقم ما على المائدة : تتبع ما عليها فاكله - قمقم
(زعير) .

قعب الحافر : كان مقببا - القعب الظهر البارز
المقوس (زعير) .

قعقع البعير : صوت - قعقع (زعير) .

اشمت (زعير) ، ويقال غوفالة فى بعض الحواضر مثل
الرباط .

فاول : اسرع فى السير - غاول اسرع ، وهي
لا تستعمل الا كفعل امر (زعير) .

الفوغاء : السفلة من الناس والمتسرعون الى الشر -
غوغ تمررد ، والفوغاء الضجة (زعير وكثير من القبائل
والحواضر مثل الرباط) .

فتخ : استرخت مفاصله ولانت وضعفت فهو افتخ
فتخ رطب ولان (زعير) .

افج : سلك الفجاج - فج عند زعير سلك الفج
وهو الطريق الواسع .

انفرك : تكسر فى مشيته - افرك مشى متباعد
القدمين (زعير) فركح (الرباط) .

افرك السنبلى : صار فريكا حين يصلح ان يفرك
فيوكل - فركت السبولة فهي فريك بدا نضجها (زعير)
فدند: عدا هاربا - فدند عدا او طار ونزل بالقرب
(زعير) .

فدر العجل : فتر وانقطع وجفل عن الضراب وعدل،
وربما كان ذلك من مرض - والفدر فى زعير مرض
يصيب البقر والمعز .

فص الجرح فصيفا : سال بما فيه - فص الجرح
انفتح (زعير) .

فقع : اشتد لونه، واققع ساءت حالته - فقع اشتد
غضبه (زعير) - تفقع (بالقاف المعقوفة) (الرباط) .

الفل : الثلثة (زعير)

فلجة : تباعد ما بين الاسنان - والمفلج صاحب
الاسنان المتباعدة - الفلجة والمفلج (زعير والرباط
واقاليم اخرى) .

الفليجة : شقة من شقق الخباء - الفليجة (زعير) .

فنن وفن النبات اذا برعم من الفنن : وهو الفنن،
فنن (زعير) .

الفهة الغفلة : فها العقل غاب (زعير) . فاه فهو
فايه (الرباط) .

قبضة : ما يقبض ويمسك - قبضة بتقديم الضاد
على الباء (زعير) .

تكون القوم اجتمعوا واستداروا : ومنها الكوفية وهي منديل يلف على الراس ، والكوفة الرملة المجتمعة المستديرة - كوف لف الخيوط فى الكفة الكافة (زعير) .

التلايب : فلان آخذ بتلايب فلان اى ماسكه ، فلان فى تلايب فلان اى بازائه (زعير) .

تلبط الرجل : اضطجع وتمرغ - تسلبط من استلبط (زعير) .

لدى : اى ندى - اللدن المطر الرقيق البارد (زعير)

لزه بالرمح : طعنه ، واللز شدة الخصومة - لزز عرض تعريضا سيئا (زعير) .

الثغود : لحمه فى الحلق - اللفدودة (زعير) .

مز الطعم اذا صار مزا : اى كان بين الطمو والحامض - مز نثر السكر والملح على الطعام (زعير) .

مزز ، فعلته على مزز : اى على مهل - المازوزي المحصول الذي ياتي متأخرا كأنه يتمهل فى انبثاقه .

مطى يمطى : اذا امتد وطال - ماطى وتماطى (زعير) - المطية الدابة تمطى اى تركب (زعير) .

منحه الناقة وكل ذات لبن : جعل له وبرها ولبنها وولدها فهي المنحة ، وناقاة ممنح دنا نتاجها - منح شرب لبن غنم ممنوح (زعير) .

المنول : آلة النسيج - المنول (زعير) .

تماسى الشيء وتمسى : تقطع - تماسى الحليب تقطع (زعير) .

مسد الشيء : أمر بيده عليه مرا شديدا - مسد (زعير) .

المسن : ما يسن به - المسن (زعير) .

المشاشة : راس العظم اللين - المشاشة عظم متحرك بين الساق والفخذ (زعير) .

مودونة : مؤنث مودون قصير العنق واليدين ضيق المنكبين - ولعل منها مودونة بمعنى قفة مفرطحة ذات جوانب قصيرة .

النباغ والنبافة : الطحين او الهبرية اى القشر الذي يتناثر من الراس - النبة (زعير) .

فمصه الفرس : اسقطه ، وقمصت الشاة اصابها القمص وهو داء فى الصدر كأنه يكسر المنق - قمص الفارس سقط من الوراء (زعير) .

القش : ما يكتس من المنازل - القش الكنس (زعير)

القواء : الأرض التي لم تمطر - العمام القاوي بالطاق المعقوفة الجاف الذي لا مطر فيه (زعير) .

القيدوم : مقدم الوجه أو اللحية - القادوم (زعير) القويدمة بالطاق المعقوفة (الرباط) .

الكتكالك : الكثير الكلام يسرعه ويتبع بعضه بعضا ، كتكت دعا الدواجن وكلمها (زعير) .

مكربس : رجل مكربس الراس مجتمعه - الكربس القبة (زعير) .

الكردوس : فقرة من فقر الكاهل وتكردس اجتمع بعضه الى بعض - المكردس من لا يظهر كردوسه من السمن (زعير) ولعل تكردغ التي لها نفس المعنى محرقة من تكردس (الرباط) .

الكركرة : الجماعة من الناس ، والكرراكر ايضا كراديس الخيل - الكركور مجموعة من الحجر والبطين ونحوهما - والكركرة ايضا صدر كل ذي خف من البهائم ، (وتطلق فى زعير على قسم من صدر الجمل يعتمد به على الأرض اذا برك) .

كنس : شطب - تقلب فى زعير والشاوية فيقال : كنس بتقديم النون .

الكنة : امرأة الابن او الاخ - الكنة (زعير) .

كعبرة : كل شيء مجتمع ، وكعبورة معناها المجتمع - كعبورة كل شيء مجتمع (زعير) .

الكمل : الفنى البخيل ، والكمل الرجل القصير الاسود - المكمول المنحوس من النحس (الرباط) ، المكمول لقب لليهود وهو عبارة عن كل وصف ذميم يوصف به الرجل (زعير) .

كف رجله : عصبها - كف الشيء جمعه وضمه (زعير) .

كفاف الثوب : موضع كفه اى خياطة حاشيته خياطة ثانية - الكفافة ما يشنى ويخاط فى طرف الثوب (زعير) .

الكسر : جانب البيت او الشقة السفلى من الخباء او ما تكسر وتثنى على الأرض منها - ويطلق فى زعير على ثوب يبطن به جانبا الخباء .

تكف عنه : انف منه - تكف طيه رفق به واشفق
(زعير) .

النمام : الذي يفتاب - النمام (زعير) .

النم : اللعة من بياض في سواد او سواد في بياض - النم لعة من الشعر او غيره في الشوب تزول
بالنفش (زعير) .

هتهت : اسرع في الكلام - هتهت (زعير) .

هجع جوعه : كسره - هجع شبع (زعير) .

هرع : اسرع في المشي - هرع (زعير) .

الهجاج : الاحمق الشديد الهدير من الجمال - هجوج ، مضطرب كثير الحركة (زعير) .

هطل المطر : نزل - هطل (زعير) .

هلب : نتف الهلب وهو الشعر وخاصة شعر اللذب ، هلب (زعير) .

هفت الريح : هبت - هفت (زعير) .

الهامة : نوع من البوم - الهامة (زعير) .

الوبرة : انثى الوبر وهي دويبة كالسنور واصفر منه - الوبرة انثى الارنب (زعير) .

وحوح الكلب او الخنزير : صوت - وحوح (زعير)

ولع بحقه : فاز به - ولع فرض نفسه وربع (زعير)

واقع امرأة : وطئها - وقع (زعير) .

ننش الشوكة : استخرجها واللحم جذبها قرصا ، وننش بالمصا ضربه ضربة بها ، وما ننشست منه شيئا اي ما اصبحت - ننش ضغظ على البندقية لاطلاق النار (زعير) وننش في باقي المغرب .

نسف الحب بالمنسف : نفذه وذراه - نسف الشيء فربله (زعير) .

انشب الصائد على الصيد بحبالته - النشبة المصيدة (زعير) النصب في الرباط (يقال نصب الفخ) .

نشرة ، مكتوب - نشيرة (زعير) .

نشط : الحبل عقده فهو منشوط ، والانشطة المقدمة في الحبل يسهل حلها - النشاط الحبل من الصوف يستعمل في شد المنسج (زعير)

انصل الشيء من الشيء : اخرجه - نصل الشعر نتفه (زعير) .

النمرة : ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها - النمرة (زعير) .

النفطة : بثرة تخرج باليد من العمل - النفطة (زعير)

تقع : روى من الماء والتقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء - التقيع بالقاف المعقوفة اقسام الرجل في الوحل المخلوط بالماء (زعير) .

النكته : النقطة السوداء في الابيض او الوسخ في المرأة - النكته الوسخ والرجيع (زعير) .

نكع الماشية : جهدها حلبا وهو ان يضرب ضرعها لتدر - نكع (زعير) .

تنظيرات ومقارنات حول: فضحي العامية في المغرب والاندلس

والزيدي هذا اشبيلي اندلسي اصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابي علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزيدي في كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بأنه « شيخ اللغة والعربية بالاندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « اوجد عصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا في نظر الثعالبي (4) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقري هذه الانظار كلها بقوله (ق) : هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق » .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجزيء الان يذكر أربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

(1) درة الفواص في اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتها لابي منصور الجواليقي (540 هـ) .

اذا استعرضنا المفردات الاندلسية التي وصلت اليها محرفة عن اصلها العربي وجدناها اقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن « عجائب اللهجات » (1) فقال : « لعل الدخيل كان نادرا في ارض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء » الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من اجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراکش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقربها من الفصحى ائبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملتها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر هنا تنظيراتنا على لهجتي المغرب والاندلس لنتمس من خلال هذه المقارنات كيف ان لهجة المغرب كانت اقرب الى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابي بكر محمد بن حسن ابن مذحج الزيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة » باشراف الدكتور رمضان عبد التواب استاذ الاداب بجامعة عين شمس .

- (1) مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 .
- (2) مطمح الانفس 53 \ 23 .
- (3) وفيات الاعيان 1 \ 514 .
- (4) بيتيمة الدهر 1 \ 409 .
- (5) نفع الطيب 5 \ 24 .

- 10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب
كلىة (ص 67) .
- 11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه
المطر وأصناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68)
(حك بالمغرب) .
- 12) ويقولون مقداف السفينة .. والصواب
المجداف (ص 69) .
- 13) ويقولون حلقة للثبث الذي يتخذ منه
الجبال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .
- 14) ويقولون للآء المتخذ من الصفر سطل ..
والصواب سيطل (ص 75) .
- 15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق
موس ويعودون فيجمعونها أمواسا .. والصواب
موسى (ص 78) .
- 16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان
إذا تزوجا أختين .. والصواب سلف (بكسر اللام)
(وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81)
- 17) ويقولون لم أفعل هذا عاد بمعنى حتى
الآن .. والصواب لم أفعل هذا بعد (ص 83) .
- 18) ويقولون لريحانة طيبة الريح ننع (بالفتح)
.. والصواب ننع بضم النون (ص 87) .
- 19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب
الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .
- 20) ويقولون سفرجل فيضمون (أي الجيم)
.. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي
الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح
الفصيح هو لغة المغرب) .
- 21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس
بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب)
(ص 90) .
- 22) ويقولون لبعض الأصماغ المجلوبة لوبان
(بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب)
(ص 93) .
- 23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب
حمص بالتشديد (كما في المغرب) (ص 94) .

- 2) رسالة في أغلاط العوام للسيوطي (911 هـ)
مرتبة على حروف المعجم .
- 3) التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه لابن
كمال ياشا أحمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم
348 لفة) .
- 4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ)
وقد نشرنا قسما منه في العدد السابع من مجلة
« اللسان العربي » وصدر كاملا بإشراف المجمع
العلمي العربي ببغداد كما سبق أن نشرت مجلتنا
« اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول
العامة في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات
المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد
السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال أوردها الزبيدي
في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني
في حقب تطور اللغة العربية - أن الكثير من الفاظ
العامة المغربية أقرب الى اللسان الفصيح - بنية
وشكلا - من الدارجة الاندلسية :
- 1) إزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام
السرّج أو المنطقة .. والصواب إزيم (ص 15) .
- 2) دشيّش .. والصواب جشيّش (20) .
- 3) يقولون لواحد اللباب ذبابة .. والصواب
ذباب (31) .
- 4) يقولون للثبث الكثير الشوك المنيسط
بالارض خرشيف .. والصواب حرشيف (ص 37) .
- 5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرعار ..
والصواب عرعر (ص 48) .
- 6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه
(ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الأقصى وبذلك
يكون المغرب هنا أقرب الى الفصحى من الاندلس .
- 7) ويقولون للثبث الذي يصيغ به الثياب قوة
(بالفتح) .. والصواب قوة (بالضم) (ص 63) (مثل
المغرب) .
- 8) قرنفل يضم الرء .. والصواب قرنفل
(بالفتح) (ص 64) .
- 9) يقولون فلان مذهول .. والصواب ذاهل
(ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .
- 6) سماه السيوطي في بنية الوعاة ص 82 بلحن العامة .

(39) ويقولون عند الاستمجال هيا (بالفتح) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148) .

(40) ويقولون كاغظ بالطاء المعجمة .. والصواب كاغذ بالذال غير المعجمة (ص 152) (كاغظ بالطاء المشالة بالمغرب) .

(41) ويقولون صوف موضح بالضاد .. والصواب موضح بالذال المعجمة (ص 155) (يقال في المغرب ليقة (اي صوفة) مودحة بتسكين الذال) .

(42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران (ص 157) .

(43) ويقولون سكرانة يبنونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .

(44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق (ص 166) (في المغرب زاواق) .

(45) ويقولون هو مبطول اليد .. والصواب مبطل الا ان يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

(46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونها على صمع .. والصواب صومعة (ص 171) .

(47) ويقولون للمطهرة مبيضة .. والصواب مبيضة بالهمزة (ص 174) .

(48) ويقولون لسام أبرص وزغة فيخفون .. والصواب وزغة (بالتحريك) (ص 179) .

(49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره .. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

(50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قيح (بكسر القاف) .. والصواب قيح (بفتح فسكون) (ص 185) .

(51) ويقولون لجمع الحداة احدية .. والصواب حداء (ص 189) (احدية للمفرد في المغرب كما في الحجاز) (وهي لغة فصيحة) .

(52) ويقولون لجماعة الصاحب صحاب (بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكون فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشباب (ص 191) (وفي المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة في بداية الكلمات غالبا) .

(24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شقور بالثين .. والصواب صاقور (ص 97) .

(25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفلى (ص 99) .

(626) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب) (ص 100) .

(27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون في المغرب) .

(28) ويقولون للستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه اجنة .. والصواب جنة يجمع على جنسان وليس الجنان بواحد (ص 111) .

(29) ويقولون لمن يقعد عن المشي والقيام من علة او خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .

(30) ويقولون للنت الذي يشبه الخطمي خبيز .. والصواب خباز (ص 115) .

(31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خلخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما في المغرب) .

(32) ويقولون قصعة (بالكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117) (مثل المغرب) .

(33) ويقولون نافق التميمص .. والصواب نيفق (ص 125) .

(34) ويقولون للشجر الذي يعصر منه الزيت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132) .

(35) ويقولون للظرف الذي يتلى فيه الحبيب وغيره مقلاه .. والصواب مقلى بلا هاء (كما في المغرب) (ص 140) .

(366) ويقولون شورة العروس والبيت .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل في المغرب) .

(37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جيس .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المخصص) .

(38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبر .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضا (ص 1455) .

- 63) ويقولون للكَمْشَى اجاص والاجاص ضرب من المشمش (وفي النبات لامي حنيفة الدينوري ج 5 ص 41 : والاجاص عند اهل الشام الكَمْشَى ويسمون الاجاص المشمش) ومعلوم ان كلمة انجاص المستعملة في كل من الشام والمغرب اصلها اجاص وهي تعني في الحقيقة ما يسمى بالفرنسية prune وهو البرقوق في مصر او المعروف غلظا بالخوخ في الشام) .
- 64) ويقولون سانية للخشب تديره الدابة اذا سنت والسانية هي الدابة يمينها التي تسنو (ص 231) (وتطلق السانية في المغرب على الجنة التي تسنا) .
- 65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كير (ص 227) .
- 66) ويقولون « باع » لوسع الخطا والباع ما بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .
- (يلتقي المغرب مع الفصحى في هذا المفهوم) .
- 67) ويقولون آرى لمعطف (بكسر الميم) الدابة والآرى الحبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه المغرب محرفا الى آروى على المعطف (بالفتح) اي مكان العطف) .
- 68) قولهم الوادي لنهر خاصة .. والوادي كل بطن مطمئن الارض (ص 240) .
- 69) ويقولون ريحان للآس خاصة دون سائر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .
- 70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكون على الاسرة خاصة والحاف ما التحف به من ثوب (ص 242) (ويطلق في المغرب على المنجد من السرر) .
- 71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملت البكور بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنبي فتكون عامية المغرب والاندلس بذلك نصيحة .
- 72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .
- 73) يقولون لضرب من العصافير براطيل والبراطيل حجارة مستطيئة واحدها برطيل (ص 262) .

- 53) ويقولون امرأة عروسة فيلحقون الهاء .. والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس بالمغرب) .
- 54) ويقولون مخدة للتي توضع تحت الخد .. والصواب مخدة بالكسر وهي اعظم من المصدغة (تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .
- 55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا ورجل عزب (ص 201) .
- 56) ويقولون يا غايث المستغيثين .. والصواب يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث في المغرب بصيغة المبالغة) .
- 57) ويقولون بنية للقطعة من الشقة تخاط بجانب القميص والبنيقة لبنة القميص التي فيها الأزرار (ص 213) والواقع ان البنية تطلق كما في التاج على اللبنة والجربان والدخرص كما تطلق على زمعة الكرم او السطر من النخل وهو المجاز الذي اخذ به المغاربة عندما اطلقوا البنية على قطعة او غرفة من بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمي في الدوائر المخزنية .
- 58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنون المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .
- 59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال زنة الشيء الذي يثقل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا ينقص (ص 221 - 222) .
- 60) ويقولون لعود الشراع صار والصارى الملاح (ص 224) .
- 61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جص او جيار (ص 224) (ويقولون في المغرب القرمود لنفس المسمى الاندلسي والقرمود في اللغة ولد الوعل) وقد اشار الزبيدي الى ما ذهب اليه يعقوب من ان القرمد خزف يطبخ وقال انه ليس بصحيح وهو ما اخذ به المغاربة في العدوتين .
- 62) ويقولون اسطوان البيت للذي يشرع الى الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

89) ويقولون للبيت الذي بجانب البيت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون في جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .

90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .

91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) كما في المغرب) .

92) ويقولون للخجر المطبوخ لاجور .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .

93) ويقولون لقة المداد فيشدون .. والصواب ليقة (ص 293) (كما في المغرب) .

94) ويقولون للذي يصيبه البلاء مجذام والمجذام النافذ في الامور الماضي (ص 294) .

95) ويقولون مرقة بالتخفيف .. والصواب مرقة ومرق للجمع (ص 294) .

96) ويقولون المكنى بأبي فلان .. والصواب المكنى بفتح الميم (ص 297) كما في المغرب (المكنى بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء .. والصواب امواه للجمع الاقل ومياه للكثير (ص 298) . (مياه في المغرب) .

98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء (ص 298) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري (بكسر الراء) .. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والعضد (ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح ان علمية المغرب اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس بواحد وثلاثين في المائة (حيث ان 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ في المغرب بنية عربية فصيحة في حين ان المائة كلمة الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى) .

74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .

75) ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحون الراء .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .

76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبية (ص 267) .

77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل والحنبل الفرو عن الشيباني (ص 268) .

78) ويقولون خممت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خمنت بالنون من التخمين (ص 271) .

79) ويقولون لما وقي به الحائط من حطب او حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبنى حولها (ص 274) .

80) ويقولون للطائر زرزل باللام .. والصواب زرزور (ص 274) (كما في المغرب) .

81) ويقولون زريعة فيشدون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .

82) ويقولون للذي يعصر من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275) .

83) ويقولون سعوت في الامر .. والصواب سعيت في الامر (ص 276) (كما في المغرب) .

84) ويقولون للحبل الذي يربط به الدابة طوال .. والصواب طول (ص 282) .

85) ويقولون عوش الطائر .. والصواب عوش (ص 284) (كما في المغرب) .

86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغريل (ص 284) .

87) ويقولون لجمع القسط قطاطيس .. والصواب قسط (ص 287) (قسطوط بالمغرب) (القطوس هو القسط بالبربرية) .

88) ويقولون قليح المركب ويجمعونه على قلوب .. والصواب قلاع وجمعه قلوب (ص 287) (كما في المغرب) .

مظاهر الوحدة والاختلاف في عاميات المغرب والشام

لقد حاول بعض العلماء منذ عقود من السنين تفصيح بعض اللهجات العامية مثل الاستاذ عبد القادر المغربي فلم يصادفوا كبير نجاح ولعل ذلك راجع الى عدم اتخاذ مسطرة منطقية فعالة جماعية مصادق عليها من مجموع الدول العربية لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامية تبعاً لاختلاف التأثيرات القبلية العربية او التأثيرات اللغوية الدخيلة .

ونجدد الآن هذه المحاولة ضمن سلسلة من الابحاث لمقارنة العاميات في العالم العربي تمهيدا للعمل على تقريبها ، وقد بدأنا بهذه الدراسة حول مظاهر الوحدة والاختلاف في اصول الاشتقاقات اللغوية عند عامة المغرب والشام ، والحقنا ذلك بمعجم صغير للمصطلحات الموحدة في العاميتين وقد تلقينا من عميد الادب العربي الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة رقيقة يشجعنا فيها على ما شرعنا فيه «من تأليف كتاب حول اصول اللهجة المغربية ومقارنتها ببعض اللهجات الشرقية» قائلا : «ما احوج المكتبة العربية والدراسات اللغوية الى هذا التأليف» . كما اكد لنا المرحوم الاستاذ امين الخولي بهذا الصدد «ان تفصيح العامية وتقريبها بين الدول العربية هو انجع الاعمال في احياء الفصحى ونصرها في صراعها مع العامية» .

تحويل الحروف

مظاهر الوحدة (1) :

(1) سقوط الهمزة الابتدائية في الافعال مثل ارم (رم) واضرب (ضرب) وانتقل (نتقل) واستعمل (ستعمل) وأعان (عان) واطاع (طاع) وافاق (فاق) . وكذلك الهمزة في وسط الكلمة وآخرها مثل رأس (راس) وبئر (بير) ومونة (مونة) وبريء (بري) وضوء (ضو) ووضوء (وضو) ودفىء (دفى) وملآن (مليان)

(1) اقتبسنا كثيرا مما يتصل بالشام من « غرائب اللهجة اللبنانية السورية» للأب رفائيل نخلة ، وهو امش «متن اللغة» للشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق حيث توجد مئات الالفاظ العامية الشامية و « قاموس العوام » لحليم دبوس وغير ذلك، وفي «هسبريس» (النصف الاخير لعام 1955، لاحظ لوى برونو في تحليله لكتاب حول اللهجة العامية في طرابلس الشام (صدر بباريس عام 1954) ان اللهجة الطرابلسية اللبنانية اقرب الى الفصحى من المغربية لان هذه تترك باب القياس مفتوحا على مصراعيه ولها نزوع الى التسهيل والتبسيط وحذف ما ليس له فائدة محققة بالنسبة للتعبير عن الفكر والعاطفة وهي نظرية لها ما يؤيدها وان كان في العامية المغربية ما يشهد لها ايضا بهذه الاصاله كما سنرى خلال هذا العرض .

مظاهر الاختلاف :

ومروءة (مروءة) وخطيئة (خطية) وقراءة (قرابة) ومصائب (مصائب) .

(2) اضافة ياء في مثل دواة (دوايا)

(3) اسقاط تاء التانيث مكتبة (مكتبه) وتحول التاء الى تاء (تور وتمانية) وكذلك الذال الى دال (داب) ونيابة السين عن الشين او العكس (ويلاحظ في الشام تأثير الارامية وابدال الظاء ضادا (ظهر - ضهر) او القاف همزة عند اكثر اهالي لبنان وسوريا (وهذه في المغرب نتيجة آفة لسانية بالنسبة الى القاف والكاف معا) .

والواو المتطرفة تنقلب الى ضمة بعد حرف ساكن في اللهجتين مثل دلو (دلو) مع فارق بسيط هو اسكان الحرف الاول في العامية المغربية .

وتتحول الواو الساكنة بعد فتحة الى حرف مثل توفيق (بضم التاء) بدل توفيق ، كما تتحول الواو في مضارع الافعال الثلاثية المنتهى ماضيها بالف طويلة الى الف وياء عند عامة المغرب وسوريا : يسخا (يسخو) (بيدعو يدعو) مع انعدام الباء في اللهجة المغربية ، ويظهر ان وجودها في بعض اللهجات الشرقية راجع لنحت كلمة يسخا مثلا من بدأ يسخو (1) .

كما ان الباء المتطرفة تنقلب في اللفظ الى كسرة بعد حرف ساكن مثل مشى تلفظ مش مع تسكين الحرف الاول في المغرب وزيادة لام التعريف فيقال لمش (ولبنى الخ) .

والياء المتطرفة يزول تشديدها في اللهجتين : غنسى (غنسى) .

1 - تحتفظ العامية المغربية بالهمزة في بعض الاحوال مثل ابليس وامير وابريق بينما تسقط في سوريا ولبنان فيقال بدل امير (مير) وابليس (بليس) او (ببليس) في المغرب وابريق (بريق) .

2 - تتحول التاء في الشام الى سين (مثل حديس وخبيس ومونس بدل حديث وخبيث ومونث) (بينما تنقلب الى تاء في المغرب) ، كما تبدل الذال زايا في الشام (ذوق - زوق - وكذب - كزب واذا - ازا) ، وقد اثرت التركية في نقل الضاد الى ظاء او زاي (مزبوط وفابظ) في حين يحتفظ اللفظ الدارج المغربي بأصالته العربية لعدم تأثير اللسان التركي في الحضارة المغربية . وتنبو الغين مناب الجيم الارامية في الشام مثل غدف بدل جدف (من قدف الارامية Godef) في حين تنقلب بالمغرب قافا في هذه الحالة (قدف) وهي اقرب هنا الى الارامية رغم عدم تاثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى (2) .

وتتحول الميم في سوريا ولبنان نتيجة للتأثير الارامي كذلك الى نون في آخر الضمير المتصل في جمع المخاطب والغائب المذكورين مثل ضربكن بدل ضربكم وضربن عوض ضربهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الافراد والجمع ضربو (ضربه) وضربا (ضربها) وضربن (ضربهم او ضربهن) بينما لا تسقط في اللهجة المغربية الا في الحالة الاولى (ضربو - ضربها) .

(1) العامية المغربية تزيد الكاف او التاء فتقول تياكل او كياكل كما تزيد العامية المصرية الهاء فتقول حاكل (اي رايح ياكل) ، ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف في العامية المغربية من ادوات الخطاب وهما انت وانك كأننا نستشهد المستمع على ما يفعل الشخص المتحدث عنه فنقول: انت تراه ياكل وانت تراك تاكل وانك تراه ياكل وانك تراك تاكل فاختصر الخطاب في الحرفين الاخيرين وتزيد العامة احيانا الغين فتقول غياكل ولعل اصلها راء (راياكل) اي رآه ياكل بمعنى رآه وتراه او يراه ياكل ، وتدخل بعض اللغات السامية ، كالفارسية الباء على الاسماء فتقول بيمارستان بدل مارستان ويقال بان اصل الباء بيت .

(2) أكد دوزي في مقدمة مستدركه على المعاجم العربية أن العربية الفصحى هي أساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو (هسبيريس 1949-المجلدان الثالث والرابع ص 7) في خصوص المغرب ان اللهجات الحضرية واقل منها اللهجات البدوية لم تقتبس ما يستحق الذكر من العربية الفصحى قبل الحماية الفرنسية ، ولا يخفى ما في هذا الادعاء من التهافت الرخيص .

قلب الحركات أو الفاؤها

عناصر الوحدة :

تتحول الضمة الى فتحة في اكثر الاسماء الخماسية غير المشتقة (عربون - جمهور - صعلوك) كما تتحول الكسرة الى فتحة في وزني فعيل وفعيل (بطيخ وقنديل ومسكين) واسماء الآلة على وزني مفعل ومفعلة (مبرد ومروحة ومحفظة) اما في اول مصدر وزن افعل المشتق من فعل ثلاثي اجوف (اراده واماته) فان اللهجة المغربية تحتفظ بالصيغة الفصحى .

وتحذف حركة اول حرف من الكلمة اذا كان الحرف الثاني متحركا وبعده سكون أو حرف مد : تزحلق وتكسر وتنزه - كتاب - فطور (اللهم الا في بعض الحالات حيث تحتفظ الدارجة المغربية بالحركة الاصلية مثل كنيسة) .

كما تحذف الحركة في وسط الكلمة مثل يضربو - تكتبي وكذلك حركات الاعراب آخر حرف الكلمة عدا فتحتي التنوين احيانا مثل (دائما وأبدا - تقريبا وعموما وخصوصا - طبعا - حقيقة - عادة) .

مجالى الاختلاف :

تتحول الفتحة الى كسرة بالشام في ادارة التعريف (فتقول الكتاب) وفي الافعال (فتقول فى صعب ، صعب) بكسر الصاد والعين (وفى شرب شرب كذلك) بكسر الشين والراء والصفات (وسخ بكسرتين بدل وسخ) وفى وزن تفعيل (ترتيب) وأول عدة ضمائر (انت والى) ومئات الكلمات مثل صدر ونجم وحتى النخ .

اما في المغرب فان القاعدة العامة هي تسكين الحرف الاول تسهلا : (لكتاب - صعب - شرب - نت - لى) اللهم الا في وزن تفعيل والالفاظ الاخرى فيحتفظ بصيغته الاصلية .

قلب الأوزان

وقد امتازت اللهجة السورية اللبنانية ايضا بتحويلات في اوزان الافعال :

فعل بكسر الفاء والعين بدل فعل بضم العين او كسرها او فعل مجهول الثلاثي أو تحويل فعل الى انفعل

(مثل انخجل واندھش بدل خجل ودهش) أو قلب
افعل المتعدية الى فيعل (اقعد وقبعده - اطلع وطيلع)
أو انفعل (وجد - انوجد - قيل - انفعال) .

اما في اللهجة المغربية فان صيغة انفعل لا تستعمل الا في المطاوعة مثل الفصحى كما ان كسر فاء الفعل غير معروف ومجهول الثلاثي يحول الى وزن افعل بدل افاعل (أكل - اكل - اناكل - اناكل - اناكل - اناكل - اناكل - اناكل) .

وذلك بتحويل الف الفعل الثلاثي الى تاء مع اسكانها كما هي القاعدة الاصلية - والتصرف في عين الكلمة بما يناسب وهو الفتح .

وتتفق اللهجتان في اسقاط اول المهموز اتقن (تقن) واعار (عار) أو تحويل افعل بمعنى التعدية الى فعل المضعف افهم وفهم - اركب وركب - .

اما في خصوص اوزان الاسماء فان صيغ المبالغة (فعالة - مفعال - مفعيل - مفعلة) قد زالت من العمومية في الشام ولم يبق منها في المغرب سوى وزن فعالة (برادة - جلاسة) وفعلة احيانا (نكسة بدل نجسة) كما تحول وزن فعيل في الاولى الى فعيل بفتح الفاء مع انعدام هذه الصيغة غالبا في عمومية المغرب (اللهم الا فى مثل كريط وحنيت الخ) .

اما اسماء الآلة فان وزن مفعلة قد تحول عند عامة أهل الشام الى مفعاية بينما يحتفظ المغرب بالصيغة الفصحى في غالب الاحيان (مفعنة - مفعال) (كمطرقة ومنشار) مع استعمال صيغة فعاية في خصوص الافعال المهموزة او المعتلة الاخير (سقاية - طلاية - مشاية) ومصفاة (مصفاية - صفاية) ومطفاة (مطفاية وطفاية) الخ .

ووزن مفعال يتحول احيانا في الشام الى مفعول فيقال منقور بدل منقار ومهموز بدل مهماز بينما يحتفظ بصيغته فى المغرب فيقال منقار ومهماز ويقع التحول احيانا فى المغرب كما فى منكوس ومسعود ومتعوس (من النجس والسعر والتمس) .

اما اذا دل وزن فعالة على اسم الآلة فان مفعال يحول فى اللهجة السورية واللبنانية الى فعاية: ممحاة - محاية (محاية بتسكين الميم وفتح الحاء فى المغرب) ومبراة براية فى حين يقلب فى العمومية المغربية الى وزن آخر من اوزان المبالغة وهو فعال : ملقاط - لقاط علاوة على الصيغة المذكورة (فعاية) .

* + *

وهكذا يتضح ان التجانس بين اللهجتين اغلب وان مجال الاختلاف تمس احدى اثنتين اما انسياق مع مقتضيات التسهيل الموسومة باللون الاقليمي او تاثر بلهجة قبلية اصيلة كالثالثة عند اهل بهراء وهي كسر ياء المضارعة او تحول الثاء الى سين (نحو دعه ودعسه اذا وطئه والحثالة والحسالة) او ابدال الدال زايًا (مثل تؤكد بأمر كذا وتوكر اي قام واستعد) وتعاقب الضاد والظاء كالبظر والبصر والظهر والضرير او وقوعها مكان الزاي (زغد - وخقد اي عصر حلقة) وهي لفظة عربية اصيلة لا مجال فيها للتأثير التركي كما يظن صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية كما ان تعاقب الفين والجيم (الممضط والممضط اي المسترخى في طول) ليست حتما من الآثار الآرامية بل هي من مظاهر التعاقب في اللغة العربية .

(جرجر) وتفل وتنف (بصق) ومن غريب ما يلاحظ وحدة الاتجاه في تغيير ترتيب الحروف مثل : ابله (ابله) وزنجار (جنزار او جنجار وهو صدا النحاس) وسجادة (سداجة) ولعن (نعل) وملعقة (معلقة) ويئس (ايس) .

واغرب من ذلك ان الكلمات المشتركة بين العربية والعامية مع اختلاف المعنى (وقد ساق منها صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية نحو 550 لفظة (2) يتحد كثير منها في المدلول ومن ذلك : بدع (نسبه الى البدعة) وبرك (قعد عن مرض او ضعف) بشبش (تسم الاخبار تقابلها في المغرب شمشم المأخوذة من شمم) والبطن (المولود) وبكره (غدا) وبيت (غرفة) وجفهره (انتهره وعنفه) وحرامي (سارق وان كان اللفظ يحتفظ في المغرب غالبا بمعناه الاصيل) وتخشع (تأثر قلبه) ومخطوف لون الوجه شاحبه (كانه مخطوف الدم) وخالص (متمم) ودرويش (فقير) ودور عليك (طلبك) ورشح الملح (ذره) وسبع (جربىء) وتسلط عليه (تعدي) وساهى (نعمان) وشاطر (ماهر) وشكل (نوع) والصافي (الخلاصة) وطول (مكث مدة طويلة) وعبد (زنجي) وعسكري (جندي) وعيا (مرض) وعيان (مريض) وعيال (زوجة) (والعيال الاطفال ايضا في المغرب) وتفذى (اكل حول الظهر) وغزاة (امرأة جميلة) ومغلوب (عاجز عن القيام بأعباء عائلته او غيرها) وغول (مفرط الاكل) وطعام فاخر (الذيد) وفردى بفتح الفاء وكسر الدال (مسدس) وفسد بين الناس (زرع الشقاق والفشل) (الحبوط) وفاضي (غير مشغول او خال) وفطن بالامر (تذكره) وفقسه (احزنه بعد فرحه) وفك اللغز (حله) وقاع البئر او الوادي (اسفله) والقابلية (شهوة الطعام) وقتله (ضربه) والقحط (قلة المواد الغذائية) وقرع الرأس (نزع لباسه او شعره) والقعود (او القعاد البطالة)

ويتحد المغرب (1) وسوريا ولبنان في كثير من الكلمات المشتركة بين العربية والعامية نعطي منها الامثلة الآتية : برا (خارج البيت) حاف (الخبز حاف يتشديد الفاء او حاف اي بدون ادم) وحمص الحب قلاه ، وخبط (ضرب ضربا شديدا) وخطرة (مرة) وراح (ذهب) وزعق (صاح) وسكر الباب (اغلقه) ومشبوح (ممدود الذراعين كالمصلوب) ومكان فاض (خال) وفرحان (فرح) وفقش البيض (فقس في المغرب اي كسره بيده) وقد (قامة) وقرص العجين (قطعه اقراصا) وقشط (سلب) وقعد يفعل كذا (اي اخذ يفعل) وكش (طرد) ومغط (مد) وهبرة (قطعة لحم بلا عظم) واهبل (أحمق) وهرس (دقه دقا شديدا) وخربق العمل (خردق) .

وتختلف الصيغة أحيانا نوعا ما كما في : فحسب وقح بمعنى سعل (بدل كحب وكحكح في المغرب) وجرر

- (1) اللغة العامية المغربية لا تختلف عن اللغات العامية الاخرى في البلاد العربية اذ لم يعقها عن الاتصال بالفصحى الا ما فيها احيانا من الحرفشة على حد تعبير ابن خلدون او وقف وعدم اعراب (راجع كتاب العربية للاستاذ بوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - احمد امين - ظهر الاسلام ج 2 ص 20)
- (2) ويرجع الاختلاف الجزئي الى تحريف العوام ، وقد كتب في لحن العامة علماء امثال الكسائي ويحيى الفراء (التوفى عام 207 هـ) وابي عبيدة (209 هـ) والسجستاني (250 هـ) واحمد بن يحيى (291 هـ) ومحمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي (379 هـ) وابي هلال العسكري (495 هـ) وابن الجوزي (597 هـ) وابن هشام اللخمي السبتي (577 هـ) صاحب شرح الفصح ثعلب والمدخل الى «تقويم اللسان وتعليم البيان» في لحن العامة وابن مكي الصقلي صاحب «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» (مخطوط باسطنبول) الذي خوى الفاظا عربية محرفة او دخيلة من البربرية او الاسبانية مع مرادفها العربي والتراز البربري الذي صحت عليه اللغة العربية بالاندلس ومالك بن المرحل الذي نظم فصيح ثعلب وابن هانيء اللخمي السبتي (733 هـ) الذي رتب كتاب بلديه ابن هشام اللخمي .

وقعدة (او متعدة - است) والمقعد (البهو) وقفا الشيء (مؤخره) وتقلع (ذهب وفيها معنى التثاقل) وكلسف المعدن (طلاه بمعدن آخر) واللبن (اللبن الرائب في الشام الشيء كذا (كان ثمنه كذا) والكنية (اسم العائلة) ولبس واللبن الحامض في المغرب) ومنعون (لعين وخبيث) ولقطه (اخذه بيده) وتمدد (انسطح على ظهره) ونبش (حفر) ونجس (او منجوس) خبيث) ونصب عليه (خدعه) وناصح (سمين او جيد وخاصة فيما يتعلق بالسمنة واللون) ونفض (حشر كل ماله) وتقب الارض (حرثها وحفرها) والنقطة (قطرة او مرض الصرع) ونكاه (اغاطه) وهاوده (باع له بئمن معتدل) وهيكل (جسم انسان او حيوان) والواعي (من كان في حالة اليقظة) .

خصائص المعجم العلمي في اللهجتين

تمتاز اوزان الافعال او الاسماء خاصة في اللهجة الشامية بصيغ استثنائية منها زيادة حرف اول الفعل او وسطه مثل عكبر (المسألة اي عظمها) بدل كبر وحلمس (لمس لمسا خفيفا) بدل لمس وهي نادرة في اللهجة المغربية (جنفخ بدل نفخ) وتتحدا اللهجتان في الفاظ كثيرة مثل (شقلب بمعنى قلب) وطنفخ (الجرح اي ورم) بدل نفخ (وان كان عامة المغرب يزيدون الجيم بدل الطاء فيقولون جنفخ) وفي شرح صوته اي غنى بصوت قوي من شرح (الا ان المغاربة يقولون صرصح بالصاد بدل صرح) وشرمط (من شرط اي قطع) وزحلقه اي جطه يزلق (من زحل اي ازاح (1) .

واما في خصوص الحذف فان العامية المغربية لا تحذف مثلا جزءا من حروف الجر الا ما كان كالالف والياء مثل قلبيت بدل في البيت ولا تعرف ع الريف عوض على الريف .

وكثيرا ما تزداد الباء اول الفعل في العامية المغربية مثل بحلس (اي جلس وتحلس بمعنى لزم مكانه فصار يتحرك ببطء) ، وبحلظ (اي دقق النظر في المفضوب عليه من حلط عليه اذا غضب) .

غير ان هنالك صيفا في الافعال غير الرباعية احتفظت فيها العامية المغربية بالاصل الفصيح بينما زيدت حروف واستمادى (تمادى) واستمنى (تمنى) واستخبي (اختبأ) في العامية الشامية مثل استناول (مقابل تناول في المغرب) وفي الدارجة المغربية تخبا) واسترجى (ترجى) واسترقى (ترقى) واستلقى (تلقى في حين ان استلقى في المغرب تفيد كذلك معنى الانبطاح كالفصحى) .

اما في الاسماء فهنالك اوزان اكثرها دخيل في لسان اهل الشام مثل حصود (حاصد) وداحوس (داحس) وباكور (2) وفاعولة وفاعولى وفعول (هبول اي احقق) وفعولة وفعيل بتشديد العين وضم الفاء وفعيلة وفعيل (مثل موبت اي مشرف على الموت) وفعلنه (حمرنه اي قول او عمل حماقة كعمل الحمام) وولدنه (قول او عمل ولد صغير) .

وهذه الصيغ نادرة في الدارجة المغربية وان كان بعضها يحتفظ بمعناه العربي او غيره (مثل غاسول وباكور او ناعورة وداغور اي بئيد) وراپوز (اي كير) وفاسوخ (نبات يتبخر به) .

ولا يستعمل وزن فاعولى بالمغرب في مدلول التفصيل كما هو الحال بالشام (قاتولى - قتالى وباطولى-بطلال) وانما للنسبة (مثل باكوري من باكور وناعوري من الناعورة) وتشتق النسبة في المغرب من صيغة الكثرة (مثل حمومي : شديد الحمق او قفوحى اي اجنبي عن العربية او غير قح) .

واذا استثنينا اوزان التصغير المتبسة من العربية في اللهجتين (فعيل (1) وفعيلة وفعيل) فاننا نجد صيفا مختصة باللغة العامية منها ما هو مشترك في الدارجتين مثل فعول (بيوض اي قط ابيض وعزوز اي عزيز جدا) وقدور لعبد القادر وفضول لفضل الله وعبود لعبد الله وخدوج لخديجة وعبوش لعائشة (2) وكروم (لعبد الكريم) وفعلول (بحبوح اي مبجوح) وقرعوش (الرباط)

(1) يرى الاب وفائيل ان فرتك من فرت السريانية بمعنى قطع ومزق والواقع انها عربية اقتبست منها حتى العامية المغربية التي لا صلة لها بالسريانية ، والمعنى واحد في اللهجتين (فرتك اي قطعه مثل الدر - متن اللفظة) .

(2) يستعمل العامية في المغرب هذه الصيغة في باكور وحصول (بدل حاصل) الخ .

(1) وزغير في الشام ورقيق وصغير او صفيور في المغرب .

(2) بعض هذه الصيغ يفيد في المغرب التعظيم لا التصغير مثل كروش بمعنى بطن كبير لا بطن صغير كما في الشام .

مثل جي (إستانجي وبوسطجي وتلغرافي (5) أولى (جزائري) أو الفارسية مثل خانه (حبسخانه أى سجن ورصد خانه أى مرصد وميخانه أى حانة) (6) .
وتكثر فى اللهجتين :

1 - الصيغة السماعية فى افعال التفضيل (مثل اكمل واحب وازيد واغنى واخبت واعرف والد واطيب وانذل) .

2 - الكنى (بودراع صاحب الذراع وبوكبوط صاحب الـرداء) .

3 - النحت (مطبو أى ما اطيبه وملدو أى ما أذه ومحلله أى ما أحلاه ومشرو أى ما أشد شره وايش أى أى شىء وبشويش أى على مهل ويعدين أى بعد آن وبلاش أى بلا شىء ورسمال أى رأس مال وشقداي أى شىء قدر ذلك وشنو لاي شىء هو وعبالك أى العقبى لك وعمنول أو عمالول أى العام الأول وهو الفارط ويفسع أى فوراً أصلها فى الساعة وفين أصلها فاين وقديش أى بقدر أى شىء وليس أى لاي شىء وماش أى ما هو شيئاً وماشئه أى ما شاء الله ومش كبير أى ومعليش أى لا بأس بذلك أصلها ما عليه شىء ومنين أى من اين وناسملاح أى ناس ملاح وولا أى والا وويلي أى ويل لى ووين أصلها واين ويله أصلها يا الله أى أنتست معي ويلى أى يا ايها الذي أصلها يا الذي) .

4 - الاتباع : يقوم الاتباع القياسي فى سوريا ولبنان على تحويل أول حرف من الكلمة الأولى الى ميم فى الثانية اقتباساً من التركية مثل « لا كتاب عندي ولا متاب » أما الاتباع السماعي فهو منوع يتفق فى الكثير مع

أو أفرعوس فى البربرية بالمغرب) وففعلول (3) وففعولة (4) وففعيلة بضم الفاء وتشديد العين المفتوحة (مثل حريقة فى المغرب) أى نبات يحرق بشوكه وحميضة نبت كثير الحموضة .

وتختص العامية الشامية بأوزان أخرى للتصغير مثل فعلة (أى جبلة للجبل الصغير) وفعلون (طربون للفصين) وفعلونة وفعلوسة وكلها مقتبسة من السريانية وقد اقتبست اللهجة الأندلسية صيغة فعلون حفصون وزيدون من الإسبانية .

وقد عرفت الشامية كذلك الشين مثل خربوش (بيت مخروب) فى حين أن خربوش فى اللهجة المغربية مشتق من خريش الوجه أى أفسده فهو مخريش أو خربوش .

والشائع فى لهجة حلب مثلاً استعمال أوزان خاصة فى تصغير أسماء الأعلام مثل فعلو وفاعو وفيعو (زينو لزيب وسلمو لسليم وعبدو لعبد الله) إلا أن بعض هذه الصيغ توجد أيضاً فى العامية المغربية وخاصة فى المناطق البربرية (مثل حمو لآحمد ويطو لفاطمة وهنو لهنية ورحو لعبد الرحيم أو الرحمن ، وعبو لعبد الله علاوة على صيغ حضرية مثل طامو الخ) .

* + *

وتشترك اللهجتان أيضاً فى كثير من النعوت، كفعلان (تعبان وحفيان لحافى الرجل وحفيان أو خوفان للخائف وعجزان للعاجز وغلطان للفالط) وفعلاني (حمراني وبراني وتحتاني وفوقاني ووحداني ووسطاني) بينما تنفرد العامية فى سوريا ولبنان باللواحق التركية

(3) تستعمل العامة فى المغرب بطبوط لعظيم البطن كما تستعمل الفاظاً لا تراعى فيها ازدواجية فاء الكلمة مثل حتنوك بمعنى الرجل الحقيق جداً وشنفوخ أو جنفوخ (للكثير الانتفاخ فى الوجه خاصة ويقال فى العامية الشامية أيضاً شنفخ التين إذا انتفخ بعد بدء نضجه) .

(4) مثل طقطوقة إلا أن اللفظ يفيد بالمغرب مبالغة فى انطقطة وهى صوت الدفوف والطبول فى حين يعنى فى اللهجة السورية اللبنانية امرأة تحاول لفت نظر الرجال بطقطقتها فى المشى لاثارة الانتباه ، وتوجد كذلك لفظة كشكوشة التى معناها الرغوة بالمغرب والناصية (أى شعر طويل فى مقدم الرأس) فى الشام حيث اقتبست من الكشة وهى الناصية فى حين اقتبس المغرب اللفظ من الكش وهو الصوت الخوار أو غليان القدر وارتقاؤها فالصدر فى الحالتين عربي وتفيد الكركوبة فى العامية المغربية حبة مدورة تتكرب أى تتدحرج .

(5) وهذه الصيغة نادرة جداً فى العامية المغربية والفاظها معدودة مثل تهوجي وطبجي وصابونجي وهى اسم عائلة فى سلا .

(6) يوجد لفظ ميخانه فى اللسان المغربى وهو اسم حي بماصمة الرباط ولعل ذلك راجع لوجود حانة قديمة فى هذا الحى .

تأثره بهذه اللهجات يتفق مع عرب الشام في كثير من هذه المصطلحات الدخيلة مثال ذلك :

برا : فى الخارج (مقابلها السرياني Baro)

برم : اى ثقب بالبريمة وهي مثقب من حديد
للخشب (bram)

بطن : بمعنى مولود (batno)

بطانية : بردة او حبة من صوف (bitouno)

بعج : ضفط شيئا لينا فجوفه (b'aq)

بعير : حيوان (حمار او جمل) متوحش خشن B'iro

بق : بموض (Boqo)

بهر : سطح (Bkar)

تبهلل : تباله والبهل (الابله) (Bahlo)

بهموت : رجل داهية طماع (Bel moût)

بيناتنا : بيننا (Baynot)

تفو عليه : تعبير عن الاحتقار والاسمزاز (اف
(وتفقه في الفصحى قال له تفا او تف لك

اى قدرا وبعدا) .

جرجر : جر (Gargar)

الحد : يوم الاحد (Had)

حربق الامر : عقده (Habeg) (يقال حربق

فى المغرب) .

حنتت : قتر وبالغ فى البخل (Haté) ولعل منه

حنتيت فى العامية المغربية .

خرشوم : أنف (Hasoumo) (خيشوم فى المغرب)

خلخله : هزه (Halhel)

دار : ساحة بيت غير مسقفة (Dorto)

درفة باب او نافذة : مصراعهما (Dafo) ، ويقال

فى المغرب دفة .

الدغل : المكر والكذب (Dougolo)

دقدق الباب : قرعه مرارا (Daqdeq)

الدقن : اللحية (Dagno)

دندله : دلاه (dandel) ، (فى المغرب دليل)

المغرب (1) مثل حاضر ناصر (رجل يرى كل شىء)
وحلاس ملاس (متملق مفرط المجاملة) (2) شهى بهي
(جميل جدا) وكاني ماني (اى كان هذا وكان ذلك) (3) .

وتتقارب اتباعات اخرى فى اللهجتين اما من حيث
الشكل او المعنى مثل : حزمز (فى المغرب : تقول وصل
فلان الى حزمز اى الى نقطة التحول الحاسمة) وحزبز
(فى الشام ويفيد الذهاب والمجيء المتواصلين) وحربش
بربش او (حربوش بربوش للتحدى فى المغرب وسوريا
ولبنان) وخلط وبلط (بدل خلط جلط فى المغرب اى
اختلاط عادم الترتيب) وشري مري (فى الشام بمعنى
زيارات مفرطة التوارد مقابل خري طرى فى المغرب
لنفس المدلول) وشطع بلع فى الشام مقابل (شرح ملح)
وكلاهما يفيد الكلام البديء او الصريح جدا .

5 - حكاية الاصوات : التقارب فيها طبيعي مثل
طن طن (صوت الجرس) وطق (الانفجار بضجة) وطراق
طراق او طراق (صوت الضرب) وقرت المعدة (قرقرت
فى المغرب اى صات الخ .

6 - وحدة التعبير فى مئات الكلمات وقد ساق الاب
رفائيل تسعة وستين اسما يحتوي كلمة عين يتفق
مدلول الكثير منها مع معنى اللفظ المغربى مثل :

يا عيني (يا عزيزي) - ما يملأ العين (لا يشبع رغبات
صاحبه) وعينو شعبانه (قنوع) وعينو مفتوحة (حاذق)
وعلى الراس والعين ونزل من عيني (سقط) ووقعت
العين على العين وعيني فيه وتفه عليه (عيني فيه ما
قدت عليه فى المغرب وهي تقال لمن يشتهي شيئا
ويتظاهر باحتقاره) وعين الشمس (قرصها) وعلى عينك
ياتاجر (يقال فى المغرب : على عينك يابن عدي لمن يعمل
جهارا عملا قبيحا) وذهب عين (ذهب خالص) والعين
بصيرة والبد قصيرة .

* + *

وقد تأثر اللسان السوري واللبناني منذ صدر
الاسلام بالارامية التي تعد السريانية أشهر واغنى
لهجاتها والملاحظ ان المغرب الذي لا يوجد ما يؤكد

(1) الاتباع القياسي فى المغرب مقتبس من اتباع الفصحى مثل : حيص بيص - الجوع والنوع - الكوع

والبوع - اللتي واللتيا - حسن بسن - الشخير والنخير - شحيح نحیح .

(2) يستعمل فى المغرب الفعل خاصة وهو جلس جلس .

(3) فى العامية المغربية : كيني ميني .

لهط ولهف : خطف بسرعة وبشوق شديد
مرط الفصن : جرده عن ورقه (Mrat)
معس : داس ما فيه حياة (M'as)
مقله : مقلى او مقلاه (Maqlyo)

ويتجلى من مقارنة كثير من هذه الالفاظ بمرادفها
في المعاجم انها دخلت اولاً الى اللغة الفصحى ومنها
تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك المغرب
والا فيصعب تعليل وجودها في العامية المغربية التي
لم تتأثر البتة باللهجة السريانية .

واذا اعتبرنا الاتصال الوثيق الذي تم بين اهل
الشام واهل المغرب في الاندلس خلال الحكم الاموي
خاصة ثم في الفترات التالية امكننا ان نتساءل هل
هنالك الفاظ عامية مشتركة قدر لها ان تتقارب منذ
تلك العصور وقد تتميز هذه النظرية بتساوق كثير
من العادات والتقاليد في المغرب والشام لا يكفي في
بلورتها ما كان البلدان يتبادلانه من علماء وتجار .

ولا ننسى ان الشام وخاصة لبنان هو منبع اللغة
اليونانية او البونية التي اثرت في البربرية المغربية
منذ ثلاثة آلاف من السنين واليونانية عريية الاصل ،
وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيف
كثيراً من المعطيات اللغوية لا سيما وان الفينيقيين
الشاميين اسسوا في المغرب الافصى عاصمة هي تشمس
او ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد اي
قبل تاسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد)

وبالاضافة الى ذلك توجد في عامية اهل الشام
كلمات من اصل عربي تحرفت بالاستعمال التركي على
ان الفارسية وسمت لهجة السوريين واللبنانيين منذ
القرن السادس قبل الميلاد ثم تعزز هذا التأثير بواسطة
التركية التي اقتبست آلاف الكلمات من الفارسية ،
ويرى بعض المختصين في اللغات السامية ان الفارسية
تحتوي في مجملها على نحو ستين في المائة من المصطلحات
العربية وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق
الدخيل في المعجم العربي لا بكيفية مباشرة لان المغرب
ظل في منحى عن التأثيرات الفارسية وعن الهيلينية
قبلها Hellenisme ؛ ومن امثلة المشترك
الفارسية في اللهجتين المغربية والشامية ، بابا
(اي الاب في لغة الاطفال) وبازار (سوق) وبازادي
وباس (لثم) وشاويش (شاوش) وخردة (اصلها العربي
خرثي) ، وخواجه او خواجي (غني) ودرويش (فقير)
وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعله في مكان ضيق)
وسالف (خصلة شعر متدلية على الصدغ) وسبر اي

روح اللحم : فسد (Rbah)
زفيرة : نتن الرائحة
سطره : شقه نصفين بالساطور (Star)
ساوسه : لاففه ، (سيس معه في المغرب)

شح الماء : قل (Sah) ، يقال شحت في المغرب
شقة : قطعة .
شقلاب : قلبه بدون ترتيب (Chaqleb)

شلهب الشخص : احترق من الحر او العطس او
نحوهما (échtalheb)

الشاوي : القائم بتوزيع المياه على الاراضي المزروعة
(اقليم الشاوية في المغرب حيث تتوافر الشياه والمياه)

طاش : هام على وجهه
زهر : بدل ظهر (Tahro)
طعم : لقمح (Taém)
طلس بالوحل او نحوه : وسخه (Tlach)
فرتكه : كسره وقطعه .

فرقع : انفجر بضجة (Farga)
فركش : وضع امامه ما يعثر به (Farkes)

يقال صبي فركوش في العامية المغربية اذا كان يتعثر في
مشيه لصفيره) .

فسر : كذب (Fchar) (الفشار)
فشط : كذب وادعى ما ليس فيه (Fchat) (فشاط)
فكح : عرج قليلا (Bgah) (فركح في المغرب)
قاقى الدجاج : صوت (Qawqi)
قدي : كفي (يقدني - يكفيني) (Aqdé)

القرطة : قطعة كبيرة مستديرة من جلد شجرة
يسطر عليها اللحم مثلا (Kourtto)

كاش على الدنيا: اشتد حبه لها وبخل بها (Kachi)
كاف : كهف (Kifo)
كرش : المعدة او البطن (Harso)
كش الذباب : طرده (Akech)
كلخ : غصن مقطوع (يطلق في المغرب خاصة على
قشرة الفصن او الجذع المقطوع)

كوش : (تقال للكلب) ، اسكت او اهدا (تقال حتى
للذباب والدجاج ونحوهما في المغرب)

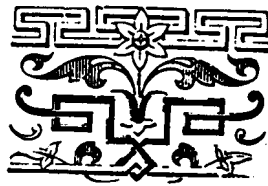
لبخه : الصقه (Ibah)

Fattuia وفبريكا (Fabrica) وفترينا
 Vetrina وفلصو (Falso) اى باطل وفورما
 Forma وفيزيتا (Visita) وكرنيتينا
 اى محجر صحي (Quarantina) وكورنيطا Cornetta
 وكوبرطه اى ظهر السفينة (Coperta) وكونطراباندو
 Contrabando وموضا (Moda)

اما اليونانية فقد دخلت هي ايضا الى سوريا ولبنان
 قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليوناني
 بهما مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان
 كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود
 والعرب منذ اواخر الامويين بما افحموه من الفاظ
 دخيلة في القاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه
 حكماء المغرب ونباتيوه او عشابوه وكتب الطب والعقابر
 المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها في لغة
 العوام مع شىء من التحريف الا ان وجودها في عامية
 اهل الشام ابلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة
 طويلة من تاريخ البلاد .

اشبار (وهو رقيق جدا) وشنطه (حقيبة صغيرة)
 وشيت (نسيج قطني فيه رسوم والوان) وصباهي
 (صبايحي اى جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبة)
 وطاقية (نوع من ملابس الراس) وقيطان (خيط مفتول
 من القطن او الحرير) وكخ (كخ بالمغرب اى رديء فى
 لغة الاطفال) ومارستان (مستشفى المجانين) وخانه
 (حانة اى خمار وتطلق على احد الاحياء بالمغرب) ونيشان
 (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اى صوب القديفة نحو
 الهدف) .

وقد تأثرت اللهجتان بالفرنسية نظرا للفترة التي
 قضاها البلدان تحت سيطرة فرنسا ، بل هناك الفاظ
 مشتركة لاتينية الاصل (ايطاليا واسبانيا) مثل :
 شتف (ستف الاشياء اى وضع بعضها فوق بض ،
 ويزعم البعض بانها مقتبسة من لفظ Stivare
 بواسطة التركية ، والاصح انها من صفف واصطف
 وكذلك صوبا من صبة الفصحى لا من (Zuppa) وضاما
 (لعب Dama) وصاله (Sala) وطرمبا (اى
 مضخة Tromba) وطرومبيطا (Treumbête) وفاتورة



الألفاظ المشتركة في اللهجات المصرية والمغربية

انقرع (مصر) أى لزم حده من قرع فهو قرع اذا ارتدع ويقال فى المغرب انقرع (بالقاف المعقوف) .

اور عينيه (مصر) قلمهما او عورهما ويقال خور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين من قاريقور قورا بمعنى العور .

ايس لفة فى يس وهى مستعملة فى البلدين .

ايش بمعنى أى شيء خفف منه نص عليه ابن السيد فى شرح ادب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب (شفاء الغليل ص 15) ، (ايش)

باب الفتوح احد ابواب القاهرة وفاس .

بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء .

ابو جمران : كنية الجمل بوجمران .

ابو علي : الرجل اللطيف الكريم (مصر) و ابا علال فى المغرب كناية عن الفقر المدقع .

انسرق اى انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسرا فى (مصر) .

اعشاري اى عشري نسبة الى عشرة (مصر والمغرب)

امتا اى متى (ويقال ايضا يمتى فى المغرب وميته بالامالة فى الصعيد المصري) .

انفضح بمعنى افتضح فى مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح لان المغرب لا يستعمل صيغة انفضح (1) الا لعمى المطاوعة .

(1) التوافق ملحوظ فى اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط فى الشكل مثل بات وباح يبات ويبوح بكسر فاء المضارع فى القاهرة ويتسكينه فى الرباط وقد نشرت مجلة «مجمع اللغة العربية» (ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصددها لدراسة للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة فى المادة عدا الخلاف الشكلى المذكور) ومن امثلة ذلك يخس بيخس بكسر الخاء فى القاهرة وفتحها بالرباط، وبدا بيدي (ق) ويبدأ (ر) وبدر يبدر وبرىق يبرىق ويرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبتا يبتا بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبل (ق) عوض بلل (ر) يضاف الى ذلك تباين خفيف فى النطق (ترقيقا وتفخيما وامالة الخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة كالتركية على نسق التأثير السريانى والنبطي فى الشام .

باس : قبل ، البوس التقبيل (يقال بأنه فارسي
مغرب) (شفاء الغليل) .

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أى ثقيل لا معنى
له .

الباع : مقياس يمتد من طرف أصابع اليد الى
طرف أصابع الاخرى . وتقول العامة في مصر والمغرب
« فلان باعه طويل » أي له قدرة ونفوذ .

بتاع : هذا الشيء بتاع فلان أي متاعه أو في ملكه
(متاع بالمغرب) .

بحق بعينه أي حدق النظر وحملق .

برا أي في الخارج ، ومنه براني أي غريب وأجنبي

البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة
لبربرتهم أي كثرة كلامهم وجلبة لسانهم ويطلقه العرب
في المغرب على سكانه الاصليين لنفس السبب .

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم في المغرب) .

برمكي : معناه في مصر فاقد الفيرة ذو اعمال جنسية
شائنة اما في المغرب فمعناه التكرم نظرا لكون البرامكة
كانوا في عهد الرشيد موصوفين بذلك .

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الايطالية *barrena*
الجزبوز : القصبة أو القضيب المجوف ويطلقه المغاربة
على أنبوب الصنيور .

بسبس : دعوة الهر الى الطعام ، يقال له بس بس
بس (بفتح الباء في المغرب وكسرهما بمصر) .

البشماط : المرادف العربي للشمطاط هو الكبتة أي
الخبز اليابس (المخصص بالشمطاط في مصر) .

بشويش : (بفتح الباء في المغرب) أي بتؤدة وهدوء ،
يقال (تكلم بشويش) .

البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل
وبصل وسمن . .

بصبص الكلب بلذبه حركة .

بطلال : عاطل من العمل ، تعطل الاجير فهو بطلال .
بطنطة : ضريبة التجارة (*patenta*) (*patente*)

البيع : ما يخوف به الصبيان (بمو بالمغرب) .

البعصوص : أي العظم الصغير الذي بين اليدين
الانسان ويستعمل علما المغرب الكلمة الفصحى .

بعيد : يقال هو البعيد أي الاجنبي .

بفل : فلان بفل أي غيبي ، ومن العادات المشتركة بين
مصر والمغرب ان البغلة اذا حملت وولدت فهذا دليل
على انتهاء عمر الدنيا .

البقال : - حسب القاموس - بمعنى بيع الاطعمة
عامية والصحيح البقال وقد ورد في فقه اللغة ان البقال
بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .

بكرج وعاء القهوة ويسمى في المغرب بقرج ومقرج وهي
كلمة تركية معناها غلاية .

البلفة : حذاء من جلد اصفر « ويظهر ان اصله من
فاس في المغرب لانهم ينادون عليها البلفة الفاسية »
(قاموس العادات الخ احمد امين ص 95) .

بندير آلة للطرب كالدف ولعل اصلها اسباني
(*bondera*)

بنديره : العلم وهي ايطالية *bandiera*
بهدله : أي احتقره واستخف به .

البوري : سمك ينسب الى قرية بساحل مصر قرب
دمياط وذلك حسب ياقوت (شفاء الغليل ص 46) .

بوغاز : أي مضيق كلمة تركية عربيها الزقاق كغراب
وهو مجاز البحر مثل ما بين طنجة والجزيرة الخضراء
(المغرب ومصر) .

بونية : عربيها جمع الكف (القاموس) وهي فرنسية
الاصل (المغرب ومصر) .

بياع : أي بائع مثل بيع الرؤوس (عربيها الرأس)
وبياع الزجاج (عربيها الزجاجي) (مصر والمغرب) .

تأفف : أي قلق وغضب فكانه يقول لمن يخاطبه
أف لك .

تبهر : أي عجب من أبهر أي جاء بالمعجب وأصل أنبهر
تأثر بأشعة الشمس ووهجها وقد اقتبس العامة في
مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى هي وهسر
فيقولون أنوهر أي أنبهر وعباد الوهر توهج الشمس،
ويستعمل المغاربة أيضا تفهر بألفاء .

التريمة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغريبة
من بلخ وبطاطين (احمد امين - قاموس العادات ص 96)
وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115)
والتريفة (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد في المغرب نفس
المعنى .

المغرب على الضعيف البنية كأن أجزاء جسمه تندمج فى بعضها .

جلبية : جلاباب أو قميص (جلابية بالمغرب) .

جليطة : بتسكين اللام فى مصر وتشديدها فى المغرب معناها الخلط وعدم الاتقان تقول فلان جليط عمله اذا لم يتقنه (جليط فى المغرب ومنها الاتباع المغربى : خلط جليط) .

جوانسى : برانسي .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقى ويقال بانها تركية الاصل .

حاف : خبز حاف اي من غير ادم .

حب الرشاد : عريها الحرف (المخصص) ، ويستعمل عامة المغرب الكلمتين وخاصة الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه فى كل من المغرب ومصر لفظ الحرز .

الحرقة ما يجده الانسان عندما يطعم شيئا محرقا اي حارا او دسما يثير نوعا من التخمة فى معدته .

الحريرة دقيق يطبخ بلبن او دسم (القاموس) (مصر والمغرب) .

الحريف الزبون وحريفك معاملك فى حرفتك والزبون مولد (القاموس) ، وتستعمل عامة مصر لفظة زبون المولدة وعامة المغرب كلمة حريف .

الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم الحشاشين اى القرامطة شرابي الحشيش .

حط بمعنى وضع اشتهرت فى عامية مصر والمغرب وتستعمل فى الفصحى فى مثل العبارة التالية : حط الله عنه الوزر اى وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شيء فى الرجل .

حمص القهوة : قلاها على النار وهي عريية حسب الازهري (حب محمص اى مقلو) .

حوائج ما يلزم الانسان من ملابس وغيرها .

الخازوق : الخشبة كانت تستعمل قديما لاعدام المجرمين وهي من الخزق اى الطعن بالرمح ، وقد دخلت

ترزى الخياط وهو من الدرز اى الثوب بالفارسية وبنودرز الخياطون ويقال الدرار بالمغرب وهي من الطراز اى صاحب الطراز .

تعبان : اى متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر (مصر والمغرب) .

تعنظر فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المغاربة العبيد واولاد الاماء العناطيز لانهم يعيشون عادة معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر اليها .

تفرشع : جلس وفرج ما بين رجليه ويقال فى المغرب تفرشع بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس مادا رجليه (ولها فى المغرب معنى آخر حيث يقل تفرشع البطيخ بمعنى تكسر) ، وتستعمل لفظا فسح وفسح فى مصر بهذا المعنى .

تفنتز : كلمة يونانية معناها تريض phantasia وتوجد فى العامية المغربية ولعلها اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasia لالعب الفروسية التي كانت تسمى قبل بالنبوريدة (اي اللعب بالبارود) وقد اقتبس منها العامية بالمغرب الفخخة والعنجهية .

تكابوا على الشيء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت فى مصر خاصة اتكبيوا (بكسر الباء الاولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبعج فى الشام ولعلها من تجرع الماء اذا بلعه فالجشاء من لوازم تجرع الماء .
تمسخر ومسخرة : فلان يتمسخر بك (يتمسخر فى مصر اى يهزأ بك) .

تندة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة او خباء وعريها الزفن وهو حسب القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه .

تنهد اى تنفس الصعداء وعريها تنفس وزفر .
جاب الشيء : جاء به .

جاحم اى دفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور احمد عيسى فى محكمه انها من الجحيم ويظهر انها من زاحم مزاحمة وزحاما بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : اى جر وجذب ويقال بانها سريانية الاصل وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من السريانية التي لم تؤثر فى العامية المغربية نظرا لانعدام كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخيا .

الجميدي : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل المدمج ويطلق فى مصر على من قل ذوقه وكياسته ، وفى

دحاح فلان : مشى على مهل أو تقارب خطوة مع سرعة ، والدحاح في المغرب القصير وتلك هي صفة سير كل من قصر جسمه .

درازين : الحاجز الحامي فى السطح أو الدرج (دربوز بالمغرب) .

دريكه : الطبل الصغير وهي فارسية عريها الكوبة التي اشار اليها صاحب القاموس .

الدرفة : درفة الباب أي مصراعها وهو من الدفة بمعنى الجنب ويستعمل العامة في المغرب لفظة دفة بدل درفة في مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهي من جش الحب اذا دقه ويقال الدشيشة في المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى أي قدما لا يلوى على شيء ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم أو طوغرى التركية .

اللمغة : الطابع والتبر ويقال أيضا التمغة بالمغرب وهي فارسية (من التمغ أو الطمغ) .
دندن : غنى بصوت أو آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : أي داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب ممس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميما .

الدوار : معروف في ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالامير والمدير والمعلم وغيرهم فهي نواة حضرية وأصلها فارسي (داوار) وهي بمعنى القرية بالمغرب .

راس مشعن : أي منتفش الشعر اشعث .

الرزمة من الثياب ماشد في ثوب واحد .

رغرغت عينه باللمع : أي اغرورقت (رغرغت بالمغرب)

الرقاق : الخبز الرقيق واحدها رقاقة (رقاقة بالمغرب) .

الرقعة : عربية معناها البطاقة استعملت لرقعة الشطرنج وهي دخيلة حسب شفاء الفليل ومن أدواتها المعروفة كذلك في عامة مصر والمغرب البيدق والرخ والغرز والفرس والشاه .

الى مصر عن طريق التركية ولا ندري كيف تسربت الى المغرب ؟ فهل تم ذلك في عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية الى المغرب أم عن طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولا سيما في عهد العلويين ؟
خرشه : خدشه وخمسه .

خربق عمله : أفسده (تستبدل العامة في مصر القاف الفا فتقول خرباً) .

خرخش أي صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفى مصر لازيز الصدر .

خردة قطع الحديد المستعمل وهي كلمة فارسية مقتبسة من الخرمى الفصحى على ما يظهر .

الخنس : بقل عريض الورق يوكل نيشا (مصر والمغرب) .

خلاه : خلاه في المحل أي تركه يقال : خله في المحل أي اتركه حتى تعود اليه .

خمسة وخميسة : عبارة عن كف فيها خمسة اصابع يزعمون انها تدفع العين (أحمد أمين - قاموس 195) وقد عرفت في افريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد صورة لها في متحف باردو بتونس ويقال في المغرب خمسة لخماس بدل خمسة وخميسة في مصر ويسميا الفرنسيون يد فاطمة main de Fatma

الخنفسة : أي غير الجميلة وفي المثل المصري «الخنفسة عند أمها عروسة» ويقابله المثل المغربي : «كل خنفوش عند مو غزال» .

الخوا : بكسر الخاء (وتسكينها بالمغرب أي الفراغ ، يقال : شربت على الخوا أي على الريق ، والخواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق في الاصل على الاعيان والتجار ثم اطلقت على الاجنبي بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الاصيل وهي لفظة فارسية معناها سيد ، (مصر والمغرب والشام) .

خوخ الفاكهة : فهي مخوخة أي فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالبا على الباب الصغير في قلب الباب الكبير وعريها حسب القاموس هو الخادمة .

الدادة : المريية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومريية .

السوة : (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب)
اسفل البطن وهي من السواة بمعنى الفرج وتكنهسا
اطلقت خاصة على الدبر .

سيا الارض : غسلها (سيق بالمغرب) وهي من
صيا راسه اذا غسله فلم ينقه (متن اللغة) .

السيفون : مجرى خاص للماء اصله siphon
(مصر والمغرب) .

شاف : اى تطاول ونظر .

شالب : اى سقلب بمعنى صرع واصلها قلب وهي
شائعة ايضا في الشام (شقلب بالمغرب) .

الشايط : الطعام الذي يحترق على النار فيسوء
طعمه وتفسد رائحته فيرمى ، والشايط في المغرب هو
كل ما يرمى .

الشربيات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد
للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذي يقدم قبل الطعام ومقابلها
التركي جوربا .

شرشر الماء : اى خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط في مصر) وذكر الدكتور
احمد عيسى في «المحكم في اصول الكلمات العامية» انه
من ائرنمط السقاء اذا انفتح والائرنمط اطمحمرار
السقاء اذا راب ورغا ففي ذلك معنى التمزق « ويظهر
لي ان اصل شرمط شرم فهو اشرم اذا انشق وتمزق
وتشرم اى تمزق واصل تشرمط تشرمت (تاء التأنيث)،
وقد تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة .

شقافة : اى شظية الخزف والشقف الخزف
المكسر (شقفة بتسكين القاف في المغرب) .

الشكال اى رباط العقال للفرس ولعلها فارسية
دخيلة في الفصحى .

شكم الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس
(ويطلق في المغرب على الحقيبة) واصلها تركي على ما
يظهر (جنتسه) .

شوشة : شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية
كبة القطن وتطلق في المغرب على أزرار الحرير السوداء
المتدلية من الطربوش .

شويه : اعطني شوية اى شيئا يسيرا .

الزربية : المكان الذي تنام فيه البهائم وهي فصحي
زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .

زعلوك : اى صعلوك وقد ورد زعلوك بضم الزاي
بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصة
على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .

زغرت النساء في الافراح : من الزغردة وهي هدير
الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد
بين السننهن واصابعهن .

زفر : ريحه زفرة اى منتنة وهي رائحة بعض
الاطعمة كاللحم والجبن وهو من الذفر اى شدة رائحة
الطيب او التنن .

زلا : اى زلق (زلق بالمغرب) .

الزلط : يقول المصريون فلان راسه زلط اى لا شعر
فيه وفي الجزائر : «فلان ازلط من فار الجامع» وهو
المدلول المغربي للزلط بمعنى الفقر .

الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهي من زمته
اذا خنقسه .

زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربي الاصيل
ويطلق في المغرب خاصة على وعاء من نحاس .

الزواق : النقش بالالوان وهو من الزاووق اى
الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .

السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع
لغة في الاسبوع .

السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس
في قارة الطريق ولعله من السبل بحركتين اى المطر
الهاطل والسبيل اى الطريق .

ستف : رتب وهي من صففه او صفصفه فاصطف
وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى يقرج ولكن له عروة خاصة وهو
ستل بالفارسية و (Situla) باللاتينية .

السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر)
وهو المسمى القراب بالمغرب لحمله القرية على ظهره ،
والقرية هي السقاء (بكسر السين) .

سك الباب : سدها ويقال في المغرب ايضا سكرها
وهي سريانية وفي مصر سنكر بزيادة النون .

السميد : لون من الوان الدقيق وهو معرب عن
الفارسية (فقه اللغة) واستعمله الحريري في مقاماته ،
ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .

الشياط : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (أصلها هندي) .

الشين : علامة النفي في التهجيتين مثلا : فلان ماجاش اى لم يات (أصلها لم يات شيء) وماكلتش اى لم اكل شيئا واخذتش حاجه اى هل اخذت شيئا(وأضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهي من صرصر وتستبدل العين حاء بالمغرب فيقال صرصح .

صنارة : حديدة الصيد .

صنابعي : نسبة الى الجمع وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صنابعية بمصر والمغرب

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق في المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كؤوس الشراب وهو منسوب منذ العهد الجاهلي الى الصين التي يستورد منها .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ (كلمة يونانية) .

الطار : محرف عن اطار الاعجمية وعريه الدف وقد دخل في عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب طر) .

طاققة : كوة .

طاقية : ما يلبس على الرأس ولعلها مشتقة من تقية اى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبطب على الولد : ربه .

طربوش : قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية) ، اشار اليها ابن دحية في تفسير حديث « يلبسون الشعر » اى السرايش .

طرز : كلمة يقولها الانسان اذا شاهد شيئا رديئا او قبيحا فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطنز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر او رد .

طنجرة : وعاء للظهي او الطبخ (تنجرة او طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب) .

عبد اللاوي : نسبة الى عبد الله ومنه البطيخ المبدلاوي .

عربية او عربية : عاميتان مرادفهما العربي عجلة واطلق على مركب ذي عجل تجره الخيل ، والعربية هي الشائعة عند عامة مصر والمغرب .

عرقان : فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتي حلو يمتص .
عيان : مريض ومدلوله الاصيل فى الفصحى من الاعياء فى الامر والمشي لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطه فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء فى المغرب) .

غامق : لون اسود غامض اى شديد السواد ومقابلته فاتح اذا خف لونه .

غرقان فى الدين : اى غريق فيه بحيث لا يستطيع اداءه .

الفريبة : نوع من الكمك يصنع من دقيق وسمن وسكر ويكثر فيه السمن (احمد امين ص 299) .

فتافيت : ما تبقى من قطع الخبز على المائدة من فته اذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية او الممرات وهو لفظ نبطي (شفاء الفليل) ، ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعي .

الفرت : (يكسر الفاء) الكرش واصله الفرت (وهو بفتح الفاء فى المغرب) .

فرتك : قطع ومزق مثل الذر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بان اصلها يوناني وان الاتراك اقتبسوها وتطلقت فى المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الامام لذلك لا يبعد ان يكون اصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصر والمغرب .

فرم : اى قطع وكسر وهي سريانية الاصل على ما يقال ولعلها دخلت الى المغرب عن طريق الفصحى

قققف من البرد : ارتعش وهي فصيحة تستعمل
في مصر والمغرب .

قلع ملابسه : اى خلعها وهي بحركتين في مصر
الا انها مشددة اللام بالمغرب حيث تستعمل بمعنى
الانتزاع كقلع الاسنان او تقطيع الحجارة من الارض وهو
معنى فصيح .

القهاوي : المقاهي .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم
يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .

كاكي : تقول كاكت الدجاجة اى صوتت عند
البيض وأصلها قاكت وتستعمل العامة بالمغرب هذا
اللفظ فتقول : الدجاجة تقاكي .

كاني ماني : يقال بانها تركية ومعناها كيت وكيت
بمعنى الاكثار من الكلام عن طريق التلميح والكناية
ويقول العامة في المغرب كيني ميني .

واكد الدكتور احمد امين بانهما كلمتان قبظيتان
فكاني معناها السمن والثانية العسل وهي في الاصل
خلط السمن بالعسل ثم استعمل في خلط صحيح الكلام
بفاسده ثم في الكلام غير المفهوم (قاموس العادات
الخ ص 333) .

كاوح او اوح : في مصر من كافح اى قاتل وناضل
وتستعمل في المغرب المكاربة وتروج عند عامة المغرب
كلمة كافح الفصحى في نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى في
السفانيد ، ويظن ياقوت انه فارسي عريه المولدون(شفاء
القليل ص 174) .

كح : سعل (كحكخ بالمغرب وهي ترديد للمحاكاة
او على نسق جرجر بدل جر .

كرنفال : مسخرة اصلها فرنسي carnaval
(مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس
اى يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى
الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو
في المغرب بضم الكاف .

الكفتة (بضم الكاف في مصر وفتحها بالمغرب)
اللحم المهرم اى المقطع قطعاً صفاراً (ويقال في عامية
مصر والشام المفروم). ويقال بان اللفظ فارسي دخل

نظرا لانعدام التأثيرات السريانية في اللهجة المغربية
وهي تطلق في المغرب على الكسر الجزئي كفرم الاسنان
او الكأس .

فش : اى فتح ويقال في المغرب فش الوطب اى
افرغه من الهواء وفي المثل فشه فش الوطب اى ازال
نفخته وكبرياهه .

الفشار : الكذاب المفاالى في كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

الفتي : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الاقدام في الكتاب لضرب
الصبيان ويقال بانها يونانية اقتبس منها الفرنسيون
palanque

فلوكة : سفينة صغيرة وهي من الفلك اى المركب
فلصو : اى زيف وزائف درهم فلصو اى زائف
واصلها اسباني (falso) او انجليزي (false)
(مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلسس
وافلاس العربية .

فميلية : أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهي
من اللفظ الفرنسي famille

الفنطزية : نوع من اللعب البارود على صهوة
الخيول وهي يونانية أخذ منها الغربيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهي يونانية على ما قيل
عربست .

القراع : مرض جلد الرأس وأصله القرع بحركتين
اى بشر يخرج بالرأس (القرعة بتسكين الراء في المغرب)

قرنص من البرد : تقبض ، ويقال في المغرب حنية
مقرنصة او مقربصة بالباء اى متقبضة النقش والترخيم
stalactite

القرينة : الجنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية
gastrum ومعناها اناء مجوف وتطلق في المغرب
على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن او لبن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع
الحليب في المغرب او تقطع اى لم يصلح لان يطفى او
يزوب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الخمرة بالماء
مزجها (متن اللغة) .

القفظان : من الملابس الخاصة بالرجال في مصر
ويلبسها حتى النساء بالمغرب وأصلها قفتان التركية
المقتبسة هي أيضا من خفتان الفارسية .

الميم (بكسر الميم في مصر وبتسكينها في المغرب)
أي ساكت لا ينبس بنت شفة .

المتخخ : أي المسترخى من كثرة الماء (بكسر
الميم في مصر وبتسكينها في المغرب) .

المترد : وعاء اللبن والثريد وأصله المترد .

امخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف أي أصفر .

مخوخ : فارغ اللب .

مدغمس : عين مدغمسة أي ضعيفة البصر
يستعمل علمة المغرب خاصة مدغمس بالعين المهملة) .

مزنجر : أي يعلوه الصدا أو الزنجار .

مسوكر : جواب مسوكر أو مسوكر أي مؤمن
عليه أو مضمون (assicurare)

المضربة النجاد المخيطة بالقطن (المصباح) يقال
مضربية في مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الاعصاب .

الملابطة : المصارعة (الملايطة بالمغرب) .

ملط في مصر وأملط في المغرب : أي أملط لا شعر
على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصري والمغربي
« الضرب في الميت حرام » (مصر) « البكاء على الميت
خسارة » (المغرب) .

الميضنة : المرحاض .

نخشوش (بالنون في مصر) ونخشوش (بالتاء في
المغرب) إذا دخل الماء في خيشومه فآثار قلقه واضطرابه

نش الدباب : أي طرده .

نفر : أي حرض ونفزه بآبيرة أي وخزه وفي
الفصحى نخس .

نقر : (نكر في المغرب) بالكاف المفخم أي أكثر من
الكلام المؤلم . نكر عليه أي لمزه بالكلام المؤلم .

ننه : تفنى للطفل لأغرائه بالنوم ويسمى غشاء
الإطفال بالتركية نيني والمهد بالفارسية نانو .

نونو : الطفل الحديث الولادة (مصر) وهو من
الكلمة الفارسية نو ويقال في المغرب نينو لكل جديد
في لغة الأطفال .

إلى التركية ومنها إلى بعض العاميات العربية كالمصرية
والمغربية .

كفى القدر : أي قلبها (كفحها بالمغرب) .

الكمنجة : بمعنى الرياب معرب حسب « شفاء
الغليل » .

الكوارع : الكراع مستدق الساق عند البقر والغنم
وجمعه أكرع وأكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على
كوارع .

كورجة : باع كورجة أي بلا وزن ولا كيل ولا عد
وهي تركية معناها العمي ووجه الشبه ظاهر بين هذه
الآفة والبيع الاعمى بدون تبصر .

الكيب : في مصر هو الحصير من الياق البردي
وهي من اللفظة التركية كيب ومعناها غطاء وتستعملها
العامة في المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب
يجعل فوق الدكاكين على نسق الأفريز والاستعمال
المغربي أقرب إلى الأصل التركي .

الكوشة : موقد الحمام وعريها الاتون ، وتستعمل
الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لاتون الأجر
وهو بيت يطبخ فيه الأجر .

كومبانية : شركة (compagnie) (مصر
والمغرب) .

الكيف : بعض أنواع التبغ (يقال له في مصر
حسن كيف) .

لبارح = البارحة : أي الليلة الماضية ويقال في
مصر أمبارح باستبدال أم من آل على لغة حمير لقوله
عليه السلام « ليس من أمير أمصيام في أمسفر » .

اللبخة : دواء كالمهم يوضع حارا أو باردا فوق
العضو الألم (اللبخة) .

اللائخ : من في لسانه عسر في نطق بعض الحروف
كإبدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول
العامة بمصبر الذغ بإبدال الراء دالا .

لهط الرجل في الأكل : أي ازدرد اللقم الكبرى
بدون مضغ وتستعمل في المغرب خاصة للتعبير عن
إظهار التلهف في الطعام ولفظة لهف جارية أيضا بهذا
المعنى في البلدين .

ليلة الحنة : هي التي تسبق عادة الزواج وللحمام
والحناء فيها أهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

هيه : ترد زجرا للطفل اذا استعملت ياؤها
ممدودة ، هاه : هي كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار
حذار .

الوحش (بفتح الواو فى المغرب وكسرهما فى
مصر) اى الرذيل من الناس .

وردبان : اى الحارس اصلها *guardiano*
الاطالية او *gardien* الفرنسية ، وقد اشتق منها
المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغرب
كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الجمارك .

يوغورت : اللبن الرائب فى التركية وقد دخلت الى
المغرب اخيرا عن طريق الكلمة الفرنسية *yogourt*

نينة : معناها ام جدة واصلها ننة الفارسية وقد
اقتبسها الاتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة
(التي ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الجدة ب :
حنينة « فيقولون جدتي الحنينة ولا يبعد ان تكون نينة
مرخمة عنها .

هبهب الكلب : نبح .

هجالة : عزب ويقال عزباء (الازهري) وتستعمل
فى المغرب خاصة بمعنى الارملة .

هظل فلان (بتشديد الطاء فى مصر وتخفيفها فى
المغرب) : استرخى .

الهمج : الطبقات الوضيعة من الناس واصلها
البعوض فى العربية ثم اطلق على كل رذيل من القوم .



العامة في المغرب والخليج العربي

مكتوبة بالعربية تحمل تاريخ 125 ق. م.) قد سادت كثيرا من الاقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الالف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الاقاليم تنتشر من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936) ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنظورة بنت يفظان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1300 ق. م. ثم تتابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي (وهو ليون الافريقي Léon l'Africain) الفنيقيين عنصرا هاما في سكان افريقيا الاقدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م. عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن اجلوا ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق. م.

ومعلوم ان العرب كانوا يملأون هضاب ويطاح جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمير في مقاطعة رديسيا اثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدلت بها على ان العرب

ان من ابرز ما تمتاز به العامة في جناحي العروبة ما بين المغرب واقطار الخليج العربي - وخاصة في الكويت والبحرين وقطر التي تشرفنا بزيارتها خلال فصل الربيع عام (1387 - 1967) بدعوة من حكوماتها الموقرة - هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق في العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات في هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة الى الآن وتحمل احدي مدن الخليج العتيقة اسم صور اي تير Tyr عاصمة الفنيقيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط على نسق المدن التي اسسها الكنعانيون في الجناح الغربي للعروبة منذ عام 1.101 قبل الميلاد بالمغرب الاقصى (ليكسوس Lixus) وتونس (Utique) والاندلس (مالقة وقادس) وهبو Hippo (عناية وينزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامة افريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية وبحثنا في « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسما كشف في البرازيل عن حجارة

- (1) جغرافي افريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفي بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجودا الى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف الا منذ القرن السادس عشر الميلادي
 - (2) جواد علي في « تاريخ العرب قبل الاسلام » ج 2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985 م استعمل كلمة « بحر العرب » في تقسيمه للبحر السبعة (كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 17) .
- ويرجع اطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي الى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر لانه لم يمر الا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الديناغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الاولى » .

المغرب على ناحية مراكش اي الاقليم المحيط بها والاهواز - كما جاء في معجم البلدان - جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد في محمد . . وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به في الاسلام وكان اسمها في ايام الفرس خوزستان واصل الحوز في كلام العرب من الحيازة اي الحصول والملك وقد نص سالوست Salluste (7) على ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على ايبيريا (اي اسبانيا) في عهد هيركولس Heracles (هيركول اللاتيني) الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشراعتهم بالريح الى المحيط الاطنتيكي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول (وهم جزولة على ما يظهر فتصاهروا معهم وسميت سوس او سوسة (8) باسم سوسانية Susiane (او ارض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم واطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (اي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) . وهكذا نرى ان الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الاسلام بأزيد من الف عام بفضل بني كنعان وبني قطحان من حميري اليمن .

وهاكم امثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية :

قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمرها اسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) ان الحضارة ظهرت في بلاد آسيا الغربية وبخاصة في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها في مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت في صورة مثلث ثقافي الى شومر وبابل واشور والى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الاطلس المغربي ف اشار الى ما اكده المؤرخون والنسايون العرب امثال انطري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (الاطلس الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرازة على هذه الرواية اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانهم من بني افرقش بن قيس بن صفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب افريقيا الشمالية وبين الخليج العربي الى البصرة ، ان القوافل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وان هذا الاثر العربي ربما وصل الى بابل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد اذا صدقنا الراي القائل بأن قانون حمورابي عربي وان العربية كانت لها جولات في هذه الاصقاع فلغظ الحوز مثلا يطلق في

(3) نقلا عن : Child., Ancient East, p. 216 :

- (4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود أسماء عربية فملك مصر في عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب ابن معاوية (الكامل لابن الاثير ج 1 ص 72 طبعة 1348)
- (5) ذكر القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) ان افرقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام الى المغرب كما رجحه ابن خلدون وان اكثر الاقوال جانحة الى ان البربر عرب وان لم يتحقق من اي عرب هم وقد انكر عربيتهم ابو عمرو بن عبد البر وابن حزم وابن خلدون الذي نقل عن جمهرة ابن حزم (التاريخ ج 6 ص 96) انه ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القازم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى نهر النيجر الى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان انه سلكها مع القوافل التجارية في اواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قرصنة طريق سواحل البحر الابيض المتوسط ومعلوم ان سجعامة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .
- (6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها ابو الفتح عام 368 هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المغرب لابن عذاري ج 1 ص 330) .
- (7) مؤرخ روماني 35 - 86 ق. م. في كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولد عام 154 ق. م. وهو ابن اخ Micipsa نجل ماسينيا امير البربر .
- (8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر اذا صحت الرواية .

1 - عناصر الوحدة

وجود الفاظ مشتركة بين العاميتين مع اختلاف بسيط في الشكل والاعراب وهاكم امثلة منها :

- | | |
|--|---|
| — أبو صفار وهو مرض اصفرار العينين والجسم (بوصفير بالمغرب) . | — البراحة الفسحة (يستعمل المغرب اللفظ الفصيح وهو البراح) . |
| — أح لفظه يخاطب بها الطفل تحذيرا له من الاقتراب الى نار او نحوها . | — البربرة كثرة الكلام والصخب في الكويتية وهو المعنى الفصيح في حين يراد بها العويل الصاخب في الداريجة المغربية (التبرير) . |
| — اخوي لمنادة شخص من اجل مخاطبته في امر من الامور (خاصة بالذكر في المغرب) . | — البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت والبرام وعاء يعجن فيه العجين (البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها الفصيح وهو القدر كما في القاموس . |
| — ساس وسيان لاصل البناء . | — البسباسة نبات (البسباس بالمغرب) . |
| — اللي بمعنى التسي | — البصل والبطاط (البطاطة بالمغرب) والبطيخ والعدس واللوياس . |
| — ام آح دلالة على الحلوى في لغة الاطفال (ماماح في المغرب) . | — بفي يبغي بمعنى اراد (وتلفظ يبي في الكويت وفي بعض البوادي المغربية . |
| — امية اي المائة من الاعداد (مية بالمغرب) . | — بكرة (بكري في المغرب) . |
| — ايش بمعنى اي شيء ، وفيها ادماج واختزال . | — البكرة (البقرة في المغرب) . |
| — البابوج ضرب من النعال وقد اقتبستها عامية الكويت من اللفظ الفارسي بايه بوشى بينما اقتبسها المغرب عن طريق اللفظة الفرنسية babouche الفارسية الاصل فقال يابوشة وهي نادرة الاستعمال (عدا في بعض الحواضر) . | — البلدة من منازل القمر والبلع كذلك منها سعد بلع (وفي المثل الكويتي اذا طلع البلع الشتاء تطلع وفي المثل المغربي سعد بلع كيجمد الماء في القرع أي الزجاجاة كناية عن البرد القارس خلال هذه المنزللة) . |
| — الباسور (يستعمل الجمع في المغرب وهو البواسير) . | — البلدية احدى دوائر الحكومة . |
| — الباشا (مصدر تركي مشترك) . | — بلم اي اغلق فمه ومنه مبلم اي موكوء الفم . |
| — البابت الذي يرجع اصله الى الامس من طعام وغيره . | — بوا : تعبير للاطفال يقصدون به الرغبة في الماء (مبوا بالمغرب) . |
| — البحرة وهي المستنقع والغدير (البحيرة بالمغرب) | — البهلول المعتوه واللفظة معروفة ايضا في بغداد وتطلق على شخص معروف ببهلول دانسة يقول |
| — البدو سكان البادية الواحد بدوي . | |

- العامة (حسب صاحب الالفاظ الكويتية ص 54) —
 انه اخو هرون الرشيد الخليفة العباسي ويظهر لي
 ان المقصود هو احمد السبتي ابن هارون الرشيد
 الذي اشار اليه ابن عربي الحاتمي في جملة
 الاقطاب وقد ورد ذكره في وفيات الاعيان لابن
 خلكان (ج 1 ص 66) وقيل له السبتي لانه كان
 يتكسب يده في يوم السبت ويتفرغ للعبادة بقية
 الاسبوع واشار اليه ايضا ابن الجوزي في شذور
 العقود وصفوة الصفوة وصاحب كتاب التوايين .
 —
 بيث اي باي شيء او بكم .
 —
 التحسونة الخلاقة (الحسانة بالمغرب) وحسن اي
 حلق وفي المثل الكويتي « يتعلم التحسونة بروس
 الكرعان (اي يتوخى الامر من غير وجهه) ومن
 الامثال البغدادية والمغربية « يتعلم الحمامة
 بروس اليتامى » كناية عن استفلال المستضعفين
 —
 الجاوي نوع من البخور اصله من جاوا احدى
 جزر اندونيسيا .
 —
 الجدف بمعنى القيء (الكدف بالمغرب) .
 —
 الجنطة الحقيبية (الشنطة) .
 —
 جاف اي راى (شاف في المغرب) .
 —
 الحارة : الحي والمحلة .
 —
 الحافي من حفاء الاقدام وهي كناية عن الفقيير
 —
 المعدم .
 —
 الحب الحنطة والحرملة والحلبة (نباتان) .
 —
 حب بمعنى قبل (خاصة في البادية المغربية) .
 —
 الحريم جماعة النساء .
 —
 حصن عوذ .
 —
 حط وضع .
 —
 حويل ما دار عليه الحول (حولى بالمغرب) ويقال
 —
 ايضا طعام حايل بالمغرب وبغداد اي قديم .
 —
 خاطر الضيف (مستعمل في بعض البوادي
 —
 المغربية) .
 —
 الختمة اي اتمام قراءة القرآن .
 —
 خنز (خنز الطعام اذا فسد) .
 —
 الخنفرة الانف الكبير (انف مخنفر اي انف كبير
 —
 بالمغرب) .
- البرويش اي الفقير او السالك من الصوفية
 (لا يعرف المعنى الاخير بالمغرب) .
 —
 الريمة صندوق تودع فيه اجزاء المصحف (الريمية
 —
 في المغرب) .
 —
 الردحة ساحة الرقص (تطلق على الرقص نفسه
 —
 بالمغرب) حيث يستعمل الاتباع: الشطحة والردحة)
 —
 الريح مرض من امراض البطن .
 —
 الزعتر هو السعتر .
 —
 الزين الحسن الجيد .
 —
 السحتيت صنف من التؤؤو دقيق (كل صغير من
 —
 الحيوان وخاصة القروود فيقال بالمغرب قرد
 —
 سحتيت) .
 —
 السدى مقابل اللحمة .
 —
 السنسلة (بدل السلسلة وفيه تسهيل ملحوظ في
 —
 كل العاميات) .
 —
 الشاوي الزراعي نسبة الى الشياه (توجد بالمغرب
 —
 ناخية تسمى الشاوية تربي فيها العاشية) .
 —
 وذكر ابن خلدون في مقدمته ، ان من كان معاشه
 —
 في السائمة مثل الضم والبقر يسمون شاوية .
 —
 الشاهد السباية من الاصابع .
 —
 الشايب الشيخ الطاعن في السن .
 —
 الشب مادة معروفة .
 —
 صلح اي حسن راسه والمصلع الحاسر الراس
 —
 يقال له مقرع في العراق (الاصلع بالمغرب اي الذي
 —
 لا ينبت له شعر في راسه اما المقرع فهو حليق شعر
 —
 الراس) ويقال للقرع الكرع في الكويت .
 —
 الصيني الاناء من الخزف (الاناء من النحاس في
 —
 المغرب) .
 —
 الضو بمعنى النار (معناه النور في المغرب) .
 —
 طاب اي شفي من مرضه (طاب اللحم اي نضج
 —
 بالمغرب) .
 —
 الطابي هو الطاجن (الطجين بالمغرب ويقال له
 —
 الطاوة ببغداد في حين تطلق الطاوة بالمغرب على
 —
 وعاء يشبه الطاجن يكون من معدن) ولعل للفظ

- الكويتي مصدرا موحدا مع المصطلح المغربي لان الطياب هو الطبخ وآلة الطبخ تسمى طبعا الطيبي .
- الطار : الدف الكبير (الطر بالمغرب) والطرار معناه في المغرب الضارب على الطر وهو بمعنى الشحاذ في الكويت .
- الطاسة الكأس من نحاس .
- الطبخة : طبخة من الشاي أي كمية يسيرة تكفي لمرة واحدة .
- الطنا الغيظ يقال اطناني اي اغاظني .
- الطيبز اللبر وقد اشار اليه الخفاجي في « شفاء الغليل » كلفظ عامي مبتدل .
- المرضة حفلة الزواج (مطلق دعوة لحفل بالمغرب) .
- العزيمة الدعوة الى مادبة (العزومة في بعض اقاليم المغرب) .
- العشر المكس على المال (الزكوات والاعشار بالمغرب) .
- العصيد (العصيدة بالمغرب) .
- العمارية ظلة هرمية مثل السقيفة (المحفة بالمغرب) العود المندل او الآلة الموسيقية المعروفة .
- العيال الاولاد الصغار تستعمل لهذا المعنى في شمال المغرب ويطلق ايضا على النساء في بعض الحواضر .
- الغربي الهواء يهب من جهة الغرب .
- الغار والفتر (ما دون الشبر) والفحم .
- الفكع اي الكمأة من الفقع في الفصحى (الفقاع بالمغرب) .
- الفلس نقد نحاسي .
- الفوطة المنشفة والمنزور .
- الكحة السعال .
- كخ كلمة نهي عن القرب من شيء قذر .
- كرنسه اذا القاه على الارض .
- محار وعاء صدفني يعيش في داخله حيوان بحري صغير .
- مرفاعة رف معلق (مرفع بالمغرب) .
- المشوم ما يشم من رياحين وغيرها وهو يطلق في الكويت على الريحان خاصة .
- المطهر المرحاض .
- المكبة غطاء من خوص او معدن يغطى به صحن الطعام (مكب بالمغرب) .
- الموسدة (الوسادة بالمغرب) .
- المينة اي الميناء (المرسى بالمغرب) .
- النباح عواء الكلب (النبيح بالمغرب) .
- النيلة مادة عطارية زرقاء لصيغ الملابس .
- واجد اي كثير (موجود اي بكثرة في المغرب) .
- ودره اي ابعده ونحاه (بمعنى ضيعه بالمغرب) .
- الوزار (الازار بالمغرب) ومنها adirer بالفرنسية
- الوسم اول مطر الربيع (لفظ كويتي فصيح لا وجود له بهذا المعنى بالمغرب) .
- الوزة واحدة الوز وهو البط الكبير .
- الوفرة منطقة فيها مجموعة آبار (الشعر الطويل بالمغرب وهو فصيح) .

2 - نقط الاختلاف

وقد تستعمل العامتان نفس الالفاظ اما لدلولين مختلفين بالاضافة الى معنى مشترك مع الفصحى واما لمفهوم مخالف .

- | | |
|--|---|
| — الجتابة عصابات المرأة (تطلق على القصة من الشعر وتكتب القطاية) . | — فالادب معناه حسن السلوك ولكن معناه ايضا المرحاض فى الكويتية (1) . |
| — الجراقية (بالجيم) وهي المفرقات يلعب بها الصبيان ولعل اصلها عربي (2) (الحراقيات بالحاء فى المغرب وهي اقرب الى المفهوم العربي الفصيح) . | — البابر منكر الجميل وفى المغرب الكاسد من بارت السلعة وهي جملة مستعملة ايضا فى الكويت والبصرة (ويقال فى المغرب ايضا الفتاة البابرة بمعنى العانس) . |
| — حرامي لص (يطلق فى المغرب على صاحب الحيلة الذي يرتكب اعمالا غير مشروعة) . | — البارة قضيب حديدي (اصلها bar الانجليزية واقتبسها المغرب من الفرنسية barre |
| — الحسن (بكرتين) هو الزنجفر (الزنجفور بالمغرب والزنجر ببغداد) . | — الباصج وصف لطعام لا ملح فيه او كلام لا معنى له ، وهي معروفة بالبصرة ولكن يقال ماصخ فى بغداد وباسل فى المغرب . |
| — خز (خزر فى المغرب) . | — البروة وثيقة تملك بيت او دكان ونحوهما(الرسالة والالوكة بالمغرب وينطق بها البرا جمعا براوات بس اداة زجر واسكات (وهي اداة استدعاء للهر بالمغرب او دعوة الطفل الى البول) . |
| — دادة تعني الاخ والاخت والزميل من اللذات (يقصد الامة المريية المعجوز بالمغرب ولها نفس معنى الداية فى الشرف) . | — ببيع عبارة عن الاستغراب والتشكي من صفة سيئة (شخص يخوف به الاطفال فى مصر والمغرب وقد حول فى المغرب الى بعو) . |
| — الزرب الفار فى الارض (الزرب والزربية بمعنى حظيرة الفم بالمغرب) . | — البفالك الشهقة بمعنى الفواق (الفواقة بالمغرب) . |
| — الزفان الراقص (مستعمل بالمغرب فى بعض الاقاليم العربية الاصل مثل ناحية زعير والشاوية) . | — البلوغ الوصول الى الغاية (ومعناه فى بغداد والمغرب سن الرشد فيقال بلغ اكتفاء بها عن قولهم بلغ سن الرشد) . |
| — الزك التفوط (الدبر بالمغرب) . | — البنت تطلق على المرأة ولو كانت عجوزا (خاصة بالمغرب فى المغرب) . |
| — الزوان لؤلؤ ناعم (معناه فى فارس والعراق والمغرب دقيق مثل الحنطة) . | — البوص اقلام القصب ويرى الدكتور احمد عيسى فى المحكم بانها ربما كانت لفظة مصرية قديمة . ويرى الشيخ جلال الحنفي انها تركية بمعنى مكن يربض فيه اللصوص وتستعمل فى المغرب بمعنى الكسل عن الحركة والجمود فى المكان . |
| — شربات قهوة خفيفة (ماء مخلوط بسكر وماء ورد بالمغرب والعراق) . | — التلقين اى تلقين الموتى وهو غير معروف عند اهل الكويت ولكنه يعرف فى المغرب وفى جزيرة فيلجة ومعناه تلقين الموتى الشهادة بعد دفنهم . |
| — الصر حفظ الشيء فى صرة (والعامية المغربية تستعمل الصر بمعنى البرد القارس والصررة بمعنى الكيس وهما من الفصحى) . | |
| — صيف عن الجماعة اى تخلف (صيف فى المغرب اصطياف) . | |
| — الطرشة : السفرة (فى المغرب واحدة الطرش اي لكمة يصاب الرجل من جرائها بالطرش اي الصمم) . | |

(1) اقتبسنا بعض المصطلحات الكويتية من « معجم الالفاظ الكويتية » للشيخ جلال الحنفي البغدادي

(بلعبة بغداد 1383 - 1964) .

(2) معجم الالفاظ الكويتية ص 85 .

- الطنجرة نداء الشاة (الطنجير والطنجرة بمعنى القدر في المغرب وهي فصحي) .
- العايل الطفل الهزيل من رضاع امه الحامل (يطلق في المغرب على الطفل عامة، في حين ان المعنى المذكور يعبر عنه بالمغايل بالفين من القبيلة وهي ارضاع الحامل لولدها .
- العص نهاية العظم الفقري (المعصوص بالمغرب) وفصيحه المعصص والمعصوص .
- العووع لفظ يفزع به الاطفال (بووع بالمغرب) .
- الفرر السيلان (الفرر الخطر ومنه بيع الفرر) .
- الغيرة النهم في الاكل (الغيرة بمعناها الفصيحة بالمغرب) .
- الفظام عظم يكبس به على اكف الفواص (معناه الفصال بالمغرب) .
- اللبوة اي اللبا وهو اول الحلبنة بعد الولادة يستعمل المغرب النبوة بمعنى انثى الاسد واللبا بمعناه الفصيحة) .
- المحاحة صفار البيض (المح بالمغرب وهو فصيح)
- المداس نعل جلدي تلبسه النساء وهو فصيح (لا يعرف بهذا المعنى بالمغرب) .
- المسمار القرنفل (يستعمل بمعناه الفصيحة بالمغرب) .
- المشبك حلية لشد الخمار وغيره عند المرأة ، وهو فصيح لا يعرف بالمغرب وكذلك المشجب وهو ما تعلق عليه الملابس .
- مكهوي صاحب القهوة وساقها (قهوجي في المغرب وهي من الالفاظ العامية المغربية النادرة التي توجد فيها ياء النسبة التركية) .
- نط اي قفز وهي فصيحة (نطع بالمغرب) .
- اليد بتشديد الدال بمعنى الجد (اليد في المغرب وهي لغة فصيحة) .

وتستعمل العامية الكويتية الفاظا فصحي مع تحريف في بعض حروفها في حين يستعمل المغرب الشكل الفصيحة مثل الجافلة (القافلة) والجسوم (القدم) والجربة (القربة) والجي (الكي) والحمش (الحمص) والعكرب (العقرب) والعكل (العقل) والكصر (القصر) وكضب (مقلوب كبض بمعنى قبض) والكلب (القلب) والكمز (القمر) والكهوة (القهوة) والكيصرية (القيصرية للسوق) والكيطان (القيطان) والمكام (المقام) والمكلى (المكلى او المقلاة) بينما تستعمل الكويت في لهجتها الدارجة كثيرا من الالفاظ العربية الفصحى ليست مزاولة في المغرب (1) بهذا المدلول الاصيل .

ومن امثلة ذلك البراسيم (الحرير) والتنكة (وعاء من الصفيح وهي تطلق في المغرب على النعل البالي) ومن غريب ما لمسناه خلال جولتنا للخليج العربي وخاصة الكويت وقطر والبحرين ان هناك عامية عريقة في الفصحى مثل الدمجانة التي اطلق عليها مجمع اللغة العربية لفظ الدبة وهي قارورة الزيت ونحوه بينما اقتبسها الفرنسيون لنفس الدلالة Dame-Jeanne ففرنسوها اي افرغوها في قالب لاتيني صرف لا يؤذن باصلها العربي وقد وجدنا في ساحة المتحف الاثري بالكويت خباء عربيا مضروبا استفسرنا عن اسماء بعض اجهزته فكانت كلها عربية .

(1) تستعمل بالمغرب آلاف الكلمات ذات اصل عربي فصيح اشرنا اليها في كتابنا « الاصول العربية والاجنبية في العامية المغربية » .

راجع معاجم العامية
فسي
الجزء الثاني من هذا المجلد

552

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

♦ اخطاء فى قراءة العربية وتصحيحها
للاستاذ سامي عياد

♦ تعريف الثقافة
للاستاذ زكي عبد المالك

♦ اسببية العربية الفصحى على العامية

♦ العربية تحل محل الفرنسية فى المحاكم الجزائرية

♦ اللغة والثورة الفكرية فى العالم العربي

554

Les conceptions du langage « miroir unique et parfait » du monde ou « moyen de découverte du réel » de la linguistique du moyen-âge européen, conceptions qui méconnaissent les liens dialectiques étroits entre pratique réelle, langage et pensée, étaient dépassées,

Cependant les vicissitudes de l'histoire et l'abandon par les philosophes arabes de la recherche dialectique de l'ijtihad ont opéré une coupure entre la pensée et le monde réel, provoquant peu à peu une séparation entre la langue dite littéraire et la langue populaire parlée. Pendant des siècles, les « gens de culture » ont fait de la langue « une sphère indépendante » faite de langages altérés, tandis que les linguistes arabes s'enfermaient dans le cercle vicieux de la réthorique, des artifices du logicisme formel et de l'atomisme linguistique donnant lieu aux interminables débats byzantins.

Depuis, il faut souligner que la langue arabe doit son salut à son actualisation populaire par l'écrit coranique et les multiples formes d'expression de résistance et de lutte politiques et culturelles contre la domination coloniale. Elle est une conquête du peuple qui l'a marquée de son sceau. Les conséquences qui découlent d'une telle conclusion doivent inciter à plus d'une réflexion sur le fait que la restauration de la langue arabe n'est pas l'affaire de cercles savants ou de règlements administratifs ; elle passe par une profonde révolution culturelle dont nous dirons plus loin les fondements et les implications.

Face à la langue de l'administration coloniale et à son écrit oppresseur, répressif et aliénant, la résistance populaire, culturelle et linguistique a mis en échec les efforts de dépersonnalisation et les tentatives d'instituer ici et là une dualité linguistique, dualité devenant vite d'ailleurs sous la pression de l'histoire, un instrument de lutte.

On peut citer en exemple le fait que malgré une domination coloniale séculaire dans toute l'Afrique, moins de 10 % seulement de sa population véhiculent une expression linguistique étrangère, élémentaire tandis qu'une infime minorité de cette minorité l'assimilent.

C'est dire qu'il ne s'agit pas pour nous de remplacer simplement une langue par une autre — on ne retrouvera pas le compte — mais — et la tâche est gigantesque — de restaurer la langue nationale dans ses divers langages actualisés dans les structures dynamiques de l'activité sociale,

Aussi est-il impératif de souligner que la progression de la différenciation de la langue et la densité de son expression et de ses manifestations ne résident ni dans ses capacités structurales, ce qui est un non-sens linguistique, ni dans la présence d'un bilinguisme hétérogène, somme toute dérisoire.

Car l'adversité d'une langue réside justement dans les conceptions culturelles erronées, véhiculées par le conservatisme puritainiste, attardé et nostalgique ou le positivisme marginaliste, pâle imitation du pragmatisme impérialiste ; conceptions qui ne peuvent elles-mêmes s'alimenter que dans une vision et une pratique sociales non progressistes produites par des rapports socio-économiques surannés,

Seule une culture reconnaissant ses sources dans une pratique révolutionnaire, s'appuyant sur les conquêtes socio-économiques populaires et les approfondissant, pourra ramener la langue à la vie dans ses multiples formes.

Voilà nous semble-t-il dans quel cadre les gens de culture doivent résoudre les tâches d'actualisation de la langue.

Une méthode claire doit être élaborée qui permettra de dire s'il faut rehausser la langue pratique, réelle, populaire avec son cachet d'authenticité et la possibilité, aux fins de structuration et de différenciations, pour les besoins des divers secteurs d'activité, puisant progressivement dans un riche patrimoine devant être par ailleurs jalousement conservé, ou bien, s'il faut laisser le choix de l'évolution linguistique à la libre appréciation de l'empirisme des uns et des autres selon la préférence devant la variété exceptionnelle des références.

Ainsi donc la promotion d'une culture est indissolublement liée à la restauration et au développement de la langue qui la véhicule.

La langue permet d'apprécier l'importance de la densité des rapports entre le réel et l'idéal, la pensée et la matière, le praxis et la théorie, tout en donnant la mesure de l'évolution sociale aux niveaux de ces rapports.

Il est alors facile d'entrevoir les dangers qui guettent une langue et les obstacles qu'elle aura à surmonter lorsque cette unité n'est pas respectée.

Par ailleurs, il est difficile de concevoir une nation, à l'existence séculaire, sans une langue qui rende précisément compte de sa constitution, de son développement historique et des périodes socio-économiques et culturelles qu'elle a connues. Alors que bien des langues qui, à l'exemple du latin, ont fait la grandeur des civilisations, sont pourtant « mortes » vaincues par les dialectes des communautés environnantes qui ne voyaient en elle que celle de l'écrit inintelligible et de l'administration de l'empire dominateur,

On a dit de la langue qu'elle est le génie d'un peuple ; elle est effectivement au peuple ce que le sang est à l'homme, la sève à l'arbre, l'oxygène à l'être. Il n'y a pas d'autres comparaisons plus valables : si vous administrez à un homme un groupe sanguin, qui n'est pas le sien, il est aisé de prévoir les conséquences, Il en est de même des peuples sur le plan linguistique, mutatis mutandi,

L'histoire du développement de la langue arabe nous semble confirmer ces hypothèses.

A l'état de langage, voire de dialecte des tribus bédouines de l'époque anté-islamique, le phénomène coranique l'a d'emblée prodigieusement projetée au niveau d'une langue historique différenciée dans divers langages structurés depuis le langage réel de l'environnement socio-économique du bédouin jusqu'au langage conceptuel et transcendantal d'une richesse inégalée,

Qui ne connaît en effet l'effort des linguistes de l'époque voulant s'élever au niveau du défi d'empreinte divine qu'énonce le Coran (Sourate de la Vache - verset 23).

Il appartient au linguiste arabe de refaire aujourd'hui le double parcours critique, celui de l'histoire socio-politique de la langue arabe et celui de son développement structurel pour permettre un débat valable et constructif aux fins de dégager les tâches relatives aux voies et moyens de son actualisation harmonieuse, populaire, scientifique et technique.

Si la notion de Umma préfigurait celle de nation sur le plan socio-politique et socio-culturel, elle était à l'origine et dans ses premiers développements principalement constituée par la foi et le verbe coraniques. La langue arabe qui en est le principal support allait, par delà les limites géographiques, exprimer et stimuler la vie politique, sociale, culturelle et idéologique des diverses communautés dès lors intimement solidaires dans la Umma.

Bien avant l'apparition, au 17^e siècle, de la nation dans ses formes modernes basée sur l'appartenance à un territoire délimitée et plus ou moins à une langue commune ou dominante, aux intérêts, desseins et destin communs, la langue arabe connaissait la richesse d'une intense activité scientifique, philosophique et culturelle ainsi qu'une importante pratique sociale populaire, féconde, par la diversité des communautés qui formaient la Umma. C'est dire tout le travail de différenciation et de structuration qui a pu s'opérer au niveau de la langue,

Sur ce plan nous avons déjà dit que le Coran a fait faire un bond qualificatif incomparable à la langue arabe ; et il n'est que de citer la parole coranique relative à la genèse de la création pour vérifier que le langage (expression et activité) est inséparable de l'évolution de l'homme, depuis son origine ou de la maturation de l'individu depuis sa prime enfance (Sourate de la Vache - versets 31 à 33).

Voilà qui signifie bien, nous semble-t-il, que lorsqu'une langue satisfait aux définitions et hypothèses que nous venons d'établir, et c'est le cas de toute langue universelle et de l'arabe en particulier, la question n'est point la possibilité pour elle d'être, par exemple, l'outil de telle approche scientifique, ou plus généralement d'exprimer la modernité,

Tout le problème que peut connaître une telle langue réside dans les inégalités de son développement et dans ses capacités ou incapacités de les surmonter.

La civilisation arabe a fait connaître à la langue une richesse que ne connaissaient pas encore des langues aujourd'hui pourtant dominantes.

En effet la linguistique arabe, principalement par le seul travail des exégètes du Coran et du Hadith, et celui des logiciens et grammairiens, s'était hissée au niveau des travaux de dérivation et de réduction, de classement et de transformation analogiques des sons, des sens et des mots.

La Langue et la Révolution Culturelle dans le Monde Arabe

Le V^e Séminaire sur la Pensée islamique qui a tenu ses assises à Oran, du 20 juillet au 1er août 1971, avec la participation d'éminentes personnalités du Monde arabo-islamique, a eu pour thèmes trois sujets fondamentaux dont la langue et la révolution culturelle.

M. Kaid Ahmed (membre du Conseil algérien de la Révolution) a fait un exposé, chaleureusement applaudi, sur l'importance de la langue nationale, dans ces termes :

Au moment où la connaissance scientifique dans le domaine linguistique traverse de par le monde une crise remarquable, due aux divers itinéraires et aux multiples interprétations, nous nous trouvons, quant à nous, confrontés à des tâches plus complexes parce que nos travaux doivent répondre à une double exigence : celle d'une recherche approfondie d'une part, et d'autre part, celle de répondre aux impératifs immédiats et directs de restauration de la langue arabe, aux niveaux populaire et national qui étaient les siens aux temps mémorables de la grande civilisation universelle arabe et à une époque antérieure à la domination coloniale et impérialiste.

Quelles que soient les controverses cependant, l'on peut s'accorder à dire que le langage est essentiellement un **moyen de communication** et d'intercompréhension en même temps qu'il est la matière première, en quelque sorte, le moyen de **production** par excellence de la **pensée humaine**.

N'est-il pas vrai de dire alors que, dès qu'un langage dans une communauté donnée, parvient au stade de l'expression intégrée du descriptif et de l'action, du substantif et du verbe, du signe et du sens par l'image acoustique et la différenciation phonétique, il acquiert le statut d'une langue sociale et historique de cette communauté.

Il ne convient plus dans ce cas de discuter et de savoir si cette langue peut ou ne peut pas exprimer telle situation, tel concept ou telle problématique.

La question est tranchée. Et le tout ne réside plus que dans le développement historique inégal d'une langue à travers les divers langages

spécifiques qui la constituent ainsi que dans les causes de cette inégalité de développement.

C'est là le problème fondamental de toutes les langues jusques et y compris la langue arabe ; et non comme on l'a prétendu, celui principalement, voire exclusivement de la langue arabe.

Est-il besoin de rappeler à cet effet l'exemple selon lequel depuis trois siècles, et jusqu'à une date récente, le développement de la philosophie en Europe passait par l'utilisation de concepts-clefs dont seule la langue allemande a su donner l'évaluation exacte ; ou encore celui contemporain, de la cybernétique et de la recherche opérationnelle dont les principales notions sont exprimées dans la langue d'origine, la langue anglo-américaine ?

Aussi, devant le problème ainsi situé devient-il banal de dire que le développement d'une langue est le travail permanent d'une communauté ou d'une société ; et les progressions ou les régressions de celle-ci déterminent l'évolution de celle-là.

Ce travail est un travail ininterrompu d'actualisation à la fois historique et spécialisée, spécifique à tel ou tel domaine de l'activité sociale,

Expression générale et « dépôt » des divers langages que se forgent l'homme et la société dans leurs appréhension et vision du monde, dans leur activité et leur développement :

- économiques, scientifiques et techniques,
- psychologiques et socio-psychologiques,
- culturels et artistiques,
- idéologiques, politiques et philosophiques.

L'arabe remplace le Français dans les Tribunaux Algériens

« L'arabe remplace le français comme langue principale dans les tribunaux algériens depuis le premier octobre 1971 », a annoncé M. Boualem Ben Hamouda, Ministre de la Justice, à Alger, au cours de la cérémonie d'ouverture de la nouvelle année judiciaire.

« Les débats se dérouleront en arabe, et les mémoires, les conclusions des avocats seront présentés en arabe suivis d'une traduction en français. Les décisions seront prononcées en arabe, distribuées en arabe, suivies d'une traduction en français. Le temps viendra où les traductions en français seront écartées », a-t-il dit.

Le président Boumédiène présidait la cérémonie.

Le Ministre a ajouté que les autorités étaient conscientes des difficultés de l'arabisation, mais avaient accepté de les combattre. Un lexique sur la terminologie juridique arabe et des guides explicatifs sur les différents aspects de la procédure ont été préparés pour simplifier la

tâche des magistrats, avocats et avoués, a-t-il dit.

Un centre de formation a été créé pour les magistrats et les greffiers en vue d'améliorer leur arabe.

« Nous avons pu amener les magistrats et les avocats à se libérer des mentalités, des pratiques et de coutumes désuètes en contradiction avec notre société, tel l'attachement étroit à la langue française, aux règles juridiques occidentales... », a encore déclaré le Ministre algérien.

« C'est ainsi que cette nouvelle robe, inspirée des costumes nationaux traditionnels, fera sentir aux magistrats et avocats la nécessité impérieuse d'un affranchissement de tout ce qui nous est étranger.

« Nous pouvons affirmer que la nouvelle année judiciaire verra avant sa fin l'Algérie dotée de tous les codes fondamentaux qui régleront notre société moderne et qui auront un caractère strictement et purement algérien ».

student. A "useful" speed, therefore, cannot be defined in terms of words per minute.

A person has achieved a "useful" speed in reading and writing when he can grasp meaning without making written symbols the focus of his attention, and when he can produce the graphic symbols representing utterances without being consistently conscious of the shape and the direction of the symbols and of what symbol represents what unit. Written graphemes are only a representation, not an end—in that they are similar to speech sounds. Whether sounds or graphemes are used, the language code, the language signals, and the message are the same; the difference is only the medium of perception (in hearing it is the ear, and in reading it is the eye) or the medium of production (in speaking it is the organs of speech, and in writing it is the hand).

One does not know a language until he can use its patterns of sounds in "habit trees". In like manner, one does not know how to read and write until a comparable facility has been achieved with the graphic symbols. Nevertheless we cannot stipulate that to read at a useful speed means to grasp language units from the written page at the rate they are grasped from the spoken sequence of sounds. In the first place, we have no scientific proof that visual messages can be transmitted to the brain at the same rate as auditory messages; in the second place we have no conclusive studies comparing the muscular activities involved in hearing with those involved in seeing; in the third place, we may justifiably wonder whether it is fair to expect the same efficiency of performance from two organs each of which starts to handle the skill of perceiving language symbols at a different stage in life, and each of which continues such perception for a different length of time; and, finally, spoken signals have a time sequence, while written graphemes have a space sequence—which suggests that the rate of perception should be different for each. Likewise, we cannot stipulate that to write at a useful speed means to represent language units graphically at the rate they are produced orally.

We therefore limit our demand, as far as speed is concerned, to the factor which we mentioned above and which, we believe, is basic to all efficient language communication: namely, the ability to concentrate on the message, and to handle the forms as a matter of habits operating below the threshold of awareness,

THE MATERIAL

It is common knowledge that people who can read and write with great facility in a given field mispronounce, hesitate, misunderstand, and misspell when attempting to read or write about an unfamiliar, highly technical subject.

Our definition of literacy must specify the material to be read or written, which means the addition of two requirements:

(a) A literate person must be able to read and write about subjects that lie within the range of his interest and experience; inability to handle other subjects does not disqualify him as literate.

(b) Within the range of his interest and experience, a literate person must be able to read and to write materials that he has never before seen written in their entirety.

We shall describe as "of normal difficulty" materials that lie within the interest and experience of an individual, but which have not necessarily been read or written by him before.

DEFINITION

The following is suggested as a definition to which the above discussion gives surface:

"A literate person is one who can at a useful speed (1) respond normally to, and (2) put down the graphic symbols which represent the units of a language known to him—symbols of which he has a functional control—provided the material being handled is of normal difficulty".

FOOTNOTES

- (1) William S. Gray, "How Well Do Adults Read?" in *Adult Reading, Part II of The Fifty-fifth Yearbook of the National Society for the Study of Education* (Chicago: University of Chicago Press, 1956), p. 38.
- (2) *The Teaching of Reading: A Second Report, Part I of The Thirty-sixth Yearbook of the National Society for the Study of Education*, (Bloomington, III.: Public School Publishing Company, 1937), pp. 25-28.
- (3) Arthur I. Gates, "The Nature of the Reading Process," in *Reading in the Elementary School, Part II of The Forty-eighth Yearbook of the National Society for the Study of Education* (Chicago: University of Chicago Press, 1949), pp. 3, 4.
- (4) See Charles C. Fries, *Linguistics and Reading* (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1963), Chapter I.

is a sequence of words; and the sentence method is based on the concept that language is an expression of thought and that the unit of thought is the sentence (4). In spite of the great differences underlying these concepts, they all agree on a fundamental principle: that writing represents language **units**. It is on what the unit is that the proponents of the different methods disagree.

Thus the literate person possesses, among other skills, the ability to grasp language units from their written representation, and to put down the symbols for those units. The term "grasping" as used here implies a response similar to that which would be normally elicited by the same units if heard. It is this response that we consider the essence of grasping, **not** simply the pronunciation of what is written at one extreme, nor the modification of personality at the other. To this response we shall assign the label "normal response".

KNOWLEDGE OF THE LANGUAGE

A literate person knows the language which he can read and write; such knowledge enables him to associate the symbols with the language units. It is possible to arrive at the meaning of a passage written in, for example, the alphabetic system of the Phoenicians without knowing how to pronounce the phonemes represented; this may be called "deciphering", but it is not "reading" according to our definition. Again, a person may be able to imitate with remarkable accuracy the written symbols representing the utterances of a language he does not know; we hold that such a person may be "drawing," but he is not writing.

MASTERY OF THE GRAPHEMES

Mastery of the graphemes consists of the habitual response to and production of the features listed below. To such mastery we shall refer as "functional control".

(a) The direction: Graphemes are written in some sequence in every language: in some languages the direction is from left to right; in others, from right to left; and in still others, from top to bottom.

Direction is isolable as an independent feature opposed to, for example, the form of the letter. The writer has heard a student of Arabic read /tasabba9at/ 'it became saturated' as /tasa99abat/ 'it branched out'. It can be easily shown that the mistake was not the result of unfamiliarity with the letters (in Arabic both /tasabba9at/ and /tasa99abat/ contain the sa-

me letters), but of insufficient skill in handling the feature of direction.

(b) The shape of the letters: The significance of letters, like that of speech sounds, does not lie in composition, but in **contrast**. Each of the letters **b** and **d** consists of a straight line with a circle at the bottom; the two letters, however, are contrastive because the circles face different directions. Again, **p** and **b** differ distinctively because in **p** the circle is at the top of the vertical line while in the other it is at the bottom.

A literate person must be able to recognize and produce with habitual ease all the contrastive units which exist in the writing system; this includes numerals, punctuation marks, etc.

(c) The relation of grapheme to language unit: Recognition and production of the graphemes is useless unless the graphemes can be associated with the language units that they represent. This association must be automatic and without hesitation. A literate person must be able to grasp the language patterns from their written representation, and to put down the graphic symbols for the units, without analysis of what symbol represents what unit.

(d) Supplying signals not represented graphically: In most of the known writing systems, some distinctive units of language are not represented; e.g., pitch and stress are not usually represented in the conventional writing of English. Comprehension is hindered unless a person can supply in reading those signals that are not represented.

(e) Grasping the meaning of graphic symbols and conventions which do not correspond to elements in the speech signal, as well as ability to use those symbols and conventions effectively in writing: Examples of such symbols and conventions are quotation marks, capitalization of letters, paragraph indentation, and the uniting of several **grammatical** sentences into one "written sentence" through the use of semicolons, colons, and dashes.

SPEED

Reading and writing must proceed at a useful speed if the person is to be classified as literate. Perhaps the definition of "useful speed" is the most problematic part of our discussion.

A given rate of reading and writing may be useful enough to an elementary school student, but quite unsatisfactory for an advanced medical

On defining literacy

by

Zaki N. Abdel-Malek, PH. D.

PROFESSOR AT UTAH UNIVERSITY U.S.A.

Of the many authors who have written about literacy in general and about reading in particular, relatively few have attempted to give a definition for either literacy or reading; the rest seem to begin with the assumption that most people know what a literate person is. The majority of the definitions that have been given are unsatisfactory. W.S. Gray, for example, defined a literate adult as one who has completed the fourth grade (1). But what are the specific skills that make such an adult literate? Only when we have the answer to this question can we judge whether another adult that has learned to read and write, say at home, is literate.

In a later report (2), Gray defines reading in terms of problem solving and personality development. He claims that one who fails to include "reflection" and "critical evaluation" is not reading; for reading must "deepen his understanding, aid in the reconstruction of experience, stimulate intellectual and emotional growth, modify behavior, and... promote the development of rich and stable personalities." Admittedly a person cannot understand what he reads without taking some attitude to it, which may be considered a modification of experience and personality; but such is the **result** and not the **process** of reading. And what of a person who reads a dull book and finds in it no contribution to the development of a "rich and stable personality?" Is he temporarily illiterate while reading the book?

Arthur Gates claims (3) that if a child is "reading," his « innermost being is involved." Thus a child who takes a passive attitude to the contents of a book is not reading! It is interesting that such stipulations are made for the grasping of written symbols but not for the grasping of oral sounds, though both are representations of the same code, namely, language.

A clear, precise definition of a given skill is one of the major pre-requisites for teaching that skill. With the imprecise definitions of literacy which now exist, it is no wonder that the teaching of reading and writing usually consumes an excessively long period of time and results in no little frustration on the part of students and teachers alike.

DIFFICULTY OF DEFINING LITERACY

The definition we seek here is one that would indicate the specific skills a person must possess to be literate. Because those skills are numerous and involved, a statement that attempts to define literacy precisely would be lengthy, detailed, and perhaps too complicated to be easily understandable. We shall therefore discuss the skills involved, and define a literate person as one who possesses them.

THE TWO BRANCHES OF LITERACY

A literate person can both read and write. The skills he possesses, then, consist of two corresponding sets: one for recognition, and the other for production.

GRAPHEMES AS REPRESENTATION OF LANGUAGE UNITS

The writing systems of all languages consist of symbols that represent language units: a unit may be the phone, the phoneme (segmental or suprasegmental), the syllable, the morpheme, the word, or the idea.

Different definitions and concepts of language have led to the evolution of different methods for the teaching of reading: the alphabetic method is based on the concept that language is basically a sequence of letters; the word method is based on the concept that language

A sound dictation method was also used in this stage of remedial instruction. The student was asked to write the words as the sounds were dictated by the teacher.

2. Addition of sounds. Among the causes for inserting extra sounds in words were failure to discriminate the blends of Arabic consonants, failure to discriminate the word form accurately, and failure to give the sound or vowel its proper length. The reading test given before showed that addition of sounds was the most frequent error committed by all the students.

The causes of inserting sounds were found to be: (1) extra lengthening of vowels; (2) overlooking the rules of connecting the end of a word with another word which starts with the definite article, and (3) the position of the speech organs in the formation of specific sounds.

For this kind of difficulty, drills on lists of words which have short and long vowels were used. A special drill was given to train the student to listen to the long vowels and connected definite article in a "sun-letter" combination. The words were printed on cards and mixed so that the words with or without long vowels and definite article did not appear in a regular sequence. The teacher read the word on the first card, the student listened but did not see the card. He then indicated whether or not he thought the word contained either a long vowel or connected definite article. The card was given to him to check his response by seeing whether the long vowel or the definite article was actually present.

3. Omission of sounds. Two main causes were found for the omission of sounds; (a) difficulty in discrimination of complex patterns so that the student recognized a smaller unit within a word and omitted the rest of the word; (b) overstress of speed, in some cases, and inability to blend a sound and a vowel at the same time; e.g., **al-madinatu** was read **al-dinatu**.

The students who selected only a smaller unit within a word were given drills in dividing words into small and easy units, such as syllables in polysyllabic words. The small portions of a word were then combined to make the complete word.

In cases in which the student's omissions were caused by undue speed, he was encouraged to slow down until accuracy was obtained.

4. Repetition of sounds. Repetition often resulted from: (a) other errors which disrupted the meaning of the passage, so that the student reread part of the word in an attempt to join the repeated sound with the following one; (b) the student's attempt to discover the error.

In cases in which other disrupting errors caused the repetition, no specific drill was given since the repetition gradually decreased with the treatment of other errors.

The remedial methods as here described were specially modified to meet the needs of each student. The drill words were designed and modified to attack specifically each student's errors were recorded, the tabulated as mentioned in the first phase of the experiment. The consonants and word were then photographed on synchronized slides, illustrating the various steps of procedures, unusual sounds, short vowels, long vowels and so on.

In remedial instruction the following materials were found helpful and effective: Arabic typewriter, sound-slide series (synchronized), elementary books in Arabic for Arab children, tapes, records, and flash cards.

Although the methods stressed the mechanics of word recognition, such recognition was utilized not as an end in itself, but as a means to accomplish a final goal of reading, and the comprehension of meaning.

RESULTS AND CONCLUSION

1. When the total errors, of cases receiving remedial instruction, measured quantitatively were compared with the total errors of cases receiving no remedial instruction, it was found that the Experimental Group committed significantly less errors than the Test Group (Mean for Group A = 9.25 and for Group B = 15.75).
2. When the progress of the four cases was compared with their performance before receiving any remedial instruction, it was found that their errors were almost reduced to half (the over all improvement = 67.50).

It appears from this study that the students who have difficulty in learning Arabic or similar foreign languages do not overcome the difficulty under ordinary class instruction but are able to make accelerated progress under special methods adapted to their difficulties.

cases may not necessarily be the same in regular instruction. During the whole phase of the experiment, there were three basic assumptions: (1) although it is desirable to be a reader within a reasonable level, it is better to be a slow reader than a non-reader; (2) although it is desirable to be able to recognize large units and more complex patterns, it is better to read sentences word by word, sound by sound, than not to read them at all; (3) although it is desirable to obtain meaning without the awareness of mechanics, it is better to get the meaning by mechanical steps than not to get it at all.

Individual Instruction.

One of the most important factors in remedial instruction which was undertaken in this study was individual instruction. Under such conditions the instructor was able to study the student and his reading difficulty more carefully than in a group. Individual instruction, in addition to its general usefulness for each student of Arabic, could be considered an important factor in the success of the methods applied and in the efficiency of the material utilized. It should be noted, however, that some of the students who showed almost complete inability to learn Arabic at the very beginning improved their reading. In addition, special methods were applied successfully to a small group of reading-difficulty cases. It could be asserted that both the nature of the methods and the individual instruction contributed jointly to the effectiveness of the remedial work.

Psychological Factors in Remedial Instruction.

"I feel that I am really stupid or dumb." This was a comment by one of the students who showed inability to read Arabic. When he became aware of his own little success, his picture about himself began to change. In his specific case, instruction began with simple material so selected and designed that he would have a high percentage of success. In this case, moreover, the remedial work was psychologically therapeutic in replacing failure with success and in stimulating a genuine desire for a goal which could be achieved.

METHODS AND MATERIALS

The methods and materials which were selected to correct the excessive errors were given

according to the various types of errors which were known as a result of the analysis of the student's reading performance.

Although the methods and materials used in this study seemed to be new, they were probably not entirely new to other languages. The only difference was their specific application to particular difficulties.

ERROR IDENTIFICATION AND CORRECTION

1. Faulty vowels and consonants. Among the causes for faulty vowel and consonant errors are the following: (a) difficulty in discrimination of specific speech sounds; (b) inability to associate or to retain visual and auditory symbols easily.

It was necessary, in all the cases, to build up the ability to discriminate the Arabic sounds. Special words were selected and written on slides. These, and others used for different purposes, were synchronized, i.e., sound accompanied the word as it appeared on the screen. While the word was projected on the screen, an interval was provided in order that the student could repeat aloud and copy down what he heard and saw. In order to obtain the correct placement of the speech organs in specific sounds, devices such as diagrams of function and location of speech organs, and live demonstrations by the instructor were used.

The drills in sound discrimination were varied by presenting the various sounds of the Arabic alphabet in different units (words).

The drills for vowels followed the same procedure. The student was shown how to shape the oral cavity to obtain the proper vowel.

In every step each word was a drill in blending the sounds to make the word. The sounding consisted of articulating the word distinctly and slowly enough for the sequence of sounds to become evident (7).

In all the steps taken, the student was encouraged to articulate the separate sounds and blend them as he heard them. The variability of the students in their immediate recognition of words was evident. A word might be recognized immediately as a unit at one setting and yet have to be attacked phonetically.

(7) The method of "sound-blending" has proved in all cases very effective in teaching the student the Arabic alphabet. Although the word was written as a whole, sound-blending distinguished each phoneme or morpheme alone, which helped the student to master the alphabet faster.

The purpose of the present study was to follow up the cases of those students who showed enough errors in their reading performance and who needed special attention or "remedial instruction."

SUBJECTS

Eight students from the same twelve cases previously diagnosed received varying amounts of remedial instruction in reading according to the methods outlined previously. Four of them volunteered to receive training under class supervision. Instruction was given individually. The work done with them was intensive and carefully controlled. In these cases the remedial work was given usually in hour sittings at regular intervals. For comparison purposes, these cases were known as group A.

Group B consisted of the four students who received no remedial instruction in reading, but continued in their regular Arabic course in the class. Both groups were tested again after a period of time in order to determine the progress made by reading-difficulty cases during ordinary class instruction without special assistance. Group B, therefore, gave a basis for the comparison of the effectiveness of remedial-reading instruction with ordinary class instruction in cases of reading difficulty.

LIMITATIONS

Due to the fact that Arabic is a recently introduced language in a small number of American universities, and consequently, very few students enroll in this language, the most obvious limitation of this study is its necessarily small number of cases.

PROCEDURES AND TECHNIQUES

Selection of Remedial Methods.

The selection of remedial methods in this experiment was made with a view of overcoming, if possible, the impediments which had hindered the student from reading Arabic effectively and in an acceptable manner. Drills and devices were arranged to minimize the student's excessive errors in reading, to assist in establishing, as far as possible, the discriminations which he failed to make, and to enable him to utilize to the fullest extent the discriminations which he was able to make successfully.

The complexity of the reading process of Arabic scripts offered the opportunity for a variety of methods of learning. Individual differences suggest that different individuals learn to recognize a printed symbol in entirely different ways. For example, the student who was able to discriminate letters but not words; was taught by a method which began with small units and built up the larger ones gradually. The students who failed to discriminate precisely the sounds of words was taught the movements of placing speech organs to obtain the desired sounds.

Because of the following reasons, the methods selected were primarily those which required auditory and visual responses on the part of the student:

1. The audio-visual responses are seen in their relationship to teaching and the learning process as a whole.
2. The audio-visual responses, when carefully controlled, do assist in discrimination. The students who had difficulty in their reading of Arabic failed to discriminate certain characteristics, such as the sounds of vowels or the connecting positions of patterns. Forcing the student to make different audio-visual responses to different characteristics reinforces the visual and auditory characteristics.
3. The audio-visual sensory stimuli assist in holding the student's attention. Attention has been defined as an adjustment of the organism in such a way as to bring the sensory stimuli into the field of greatest vividness or intensity (6).

The Differences Between Remedial Instruction and Ordinary Teaching of Reading Arabic.

Remedial instruction of reading is a different problem from the usual teaching of reading to students who have minimum difficulties. The problem of effective educational instruction in reading Arabic is to find the methods which are best adapted to develop reading skill in the majority of the students who are learning the language. The problem of remedial instruction in reading is to find a possible method of learning for those students who have not been able to read by methods adapted to the group. The methods found helpful for reading-difficulty

(6) Harvey A. Carr, *Psychology*, New York: Longmans, Green & Company, 1925, p. 78.

TABLE I
Typical Individual Profile of Errors
of all the Twelve Cases

Case	Faulty Vowel	Faulty Consonant	Addition of Sounds	Omission of Sounds	Repetition of Sounds	Total
1	1	1	1	2	—	5
2	4	12	4	9	1	30
3	5	11	3	4	1	24
4	17	10	15	5	2	49
5	6	7	18	8	5	44
6	2	3	4	3	5	17
7	3	7	13	0	5	28
8	4	6	10	6	4	30
9	6	9	4	3	9	31
10	4	3	5	2	7	21
11	4	8	10	3	4	29
12	13	4	8	0	3	28
Total	69	81	95	45	46	336
Mean . . .	5.75	6.75	7.91	3.75	3.83	

DISCUSSION AND CONCLUSION

The important outcome of this study is the development of a technique where by students' errors in reading Arabic can be diagnosed, classified and grouped together objectively. Such a technique can throw enough light on the student's problems and confine them to certain mathematical value which may be called "quantitative measurement of reading errors." Effective teaching of Arabic as a foreign language cannot be measured by verbal judgment such as saying that student "A" reads better than student "B", or that student "C" is not a good reader at all. Sound teaching is usually based on sound theory and valid and reliable techniques. Therefore, using Monroe's adapted diagnostic method makes the students' errors measurable quantitatively. It enables the language instructor to pinpoint individual problems. It will be significant to test this method of analysis on other foreign languages.

A FOLLOW UP STUDY

THE PROBLEM

This report is a follow up to a study on the kinds of errors that American students commit when they learn to read Arabic and the means of measuring such errors quantitatively. The previous study suggested that no matter how students are taught to read Arabic, or any foreign language, they tend to develop certain errors in the early stage of their reading performance. The errors of the subjects of the study were thoroughly analyzed from two basic sources: (1) The profile of reading errors, and (2) tests of various discriminations involved in reading. From these two sources of data, the factors which appear to have impeded progress in reading were as follows: (1) Faulty vowels (2) Faulty consonants (3) Addition of sounds (4) Omission of sounds (5) Repetition of sounds.

TEACHING PROCEDURES AND TECHNIQUES

1. A series of twenty-four lessons was mimeographed in the form of a textbook especially designed for research purposes.

2. The try-out text was divided into two major phases: The first phase consisted of five lessons. The purpose of these five lessons was to teach the student how to read and write modern standard literary Arabic. In order to do so, especially designed audio-visual materials were prepared.

In order to identify the nature of his reading errors, each student was given a reading test individually at the end of the academic year. The test was composed of two parts: The first consisted of eleven words, each of which was projected separately; the second consisted of twenty-five pairs or words, each pair representing one unit.

The words of both parts were chosen on the basis of their frequent use in the Egyptian newspapers and literature. Very few of these words were known to the students but all were vowel-diacritically according to the Arabic vowel system. No time limit was required for the reading. Each student's reading was recorded on tape.

METHOD OF ANALYSIS

Each recorded word was analyzed by the experimenter who was the instructor of the twelve cases. After careful examination of the student's recordings and comparing their pronunciation with the original sounds of Arabic, the experimenter was led to believe that Monroe's (5) diagnosis of children's difficulties in reading could be used as a diagnostic method in analyzing the student's responses in reading Arabic. Monroe has listed six types of errors as follows: (1) Faulty vowels (2) Faulty consonants (3) Addition of sounds (4) Omission of sounds (5) Repetition of sounds (6) Reverse.

The only error which the subjects of this experiment did not commit at all was the "reverse" of consonants. Therefore, only the first five types were taken by the experimenter to analyze the student's reading. These types were

defined according to the nature and principles of Arabic as follows:

Faulty vowels: A vowel error was recorded for each mispronunciation in which the student altered one of more of the Arabic vowel sounds: /a/, /u/, /i/; /a/, /u/, /i/.

Faulty consonants: A consonant error was recorded for each mispronunciation in which the student altered or mispronounced one or more consonant sounds. i.e., the /q/ is pronounced /k/; /h/ is pronounced /h/ is pronounced /h/; ɛ is pronounced /' (or hamza).

Addition of sounds: A sound-addition was recorded for each mispronunciation in which the student omitted one or more sounds or part of a word.

Repetition of sounds: A sound-repetition was recorded each time the student repeated a vowel or a consonant in his/her mispronounced word. Table I shows the typical individual profile of errors of all the twelve cases.

ANALYSIS OF THE RESULTS

The profile of errors gives a measure of the quantitative differences between a student's performance and that of other students. The profile is of practical value in assisting in the diagnosis of the specific difficulties which a student has in learning Arabic as a foreign language. For example, the major problem of case 5 in Table 1 is "addition of sounds." The same table shows clearly that the profiles are as varied as the number of students examined.

The overall picture given by the data in Table I suggest the following:

1. As far as the twelve cases of this study are concerned, Monroe's system of analyzing reading errors served as an excellent diagnostic device for analyzing the students' errors in reading Arabic.

2. The error least committed by all the students was the repetition of sounds, and the most serious type of error was "addition of sounds."

(5) Marion Monroe, *Children Who Cannot Read* (Chicago: University of Chicago Press, 1954), pp. 34-37.

Quantitative measurement of errors and remedial instruction in reading Arabic

Sami Ayyad Hana

DIRECTOR, NORTH AFRICAN CENTER FOR ARABIC STUDIES

University of Utah

Teaching children how to read, viewed through an historical scheme, shows certain trends. The "whole" method was used as a reaction against the old phonic method in the early twentieth century. Later on, the "experience approach," which is associated with "progressive education," supplemented the "Whole" method. Then came the Gestalt theory, which was used as a theoretical basis for learning word "wholes." However, "the most prominent criticism of instruction in the 1940's and 1950's centered around the place of phonics in the teaching of reading." (1) The crucially important fact which is drawn from the historical evaluation of teaching how to read is the:

"Realization that different children learn in different ways, that the process of learning to read and reading are more complex than we once thought, and that the issues in reading instruction are many sided,... From the scientific point of view, we must regard as false prophets those who advocate one method or one type of material for all children regardless of whether they are at different stages of learning to read or whether they are reading for different purposes." (2)

There are no decisive conclusions that the success of learning to read a new foreign language is related to any one approach or philosophy of teaching the language.- Experimental studies have made only gross comparisons bet-

ween "traditional" and "new" type courses without isolating the effect of different approaches to the teaching of reading. They have established that students succeed in learning to read about as well under any approach. (3) However, this should not close the door for more and varied experimentation in regard to those oriental tongues of which Arabic calls for more ample attention.

THE PROBLEM

The purpose of this study has been to diagnose, analyze, and measure quantitatively the reading errors committed by American college students while learning to read modern standard literary Arabic.

SUBJECTS

When the Fall Quarter of 1969 began, twelve students were enrolled in the beginning course of Arabic. This relatively small number suggested the case study method of research as the method of conducting the study, which took place in the University of Utah in Salt Lake City, Utah.

First, each student was given the Modern Language Aptitude Test, (4) for the purposes of screening the cases individually, obtaining general ideas about the range of their language aptitude, and acquainting the investigator with the strengths and weaknesses of each case,

- (1) David H. Russell and Henry F. Fox: "Research on Teaching Reading," in *Handbook of Research on Teaching*, American Educational Research Association (Chicago: Rand McNally and Company, 1963), p. 867.
- (2) Ibid.
- (3) See the works of Emma H. Birkmaier, "Modern Languages," in C.W. Harris (ed.), *Encyclopedia of Education Research*, 3rd ed. (New York: Macmillan, 1960); and D.L. Hamilton and E.F. Haden, "Three Years of Experimentation at the University of Texas," *Modern Language Journal*, Vol. 34, No. 2 (February, 1950), pp. 85-102 and J.M. Haffeld, *An Experiment Employing Two Methods of Teaching Spanish to College Freshmen*. Doctoral Dissertation, University of Pennsylvania, 1950.
- (4) John B. Carroll and Stanley M. Sapon, *Modern Language Aptitude Test* (New York: The Psychological Corporation, 1959).

(3) المعلمة العربية التراث العربي الخالد

صفحة	
225	للدكتور عفيف بهنسي الوحدة القومية من خلال اللغة والفن
228	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال
290	للاستاذ أنور العطار اللغة العربية

(4) تحقيقات

295	للدكتور خليل سعيان اسبقية اللغة العربية الفصحى على العامية
309	للدكتور ممدوح حقي نقد الكتب
315	للدكتور عبد العال سالم مكرم حول نسبة كتاب الحجة
326	للاستاذ سليمان هادي الطعمة متخير الألفاظ
328	للاستاذ ذنون أيوب عبد الحق فاضل في مفارقاته اللغوية
331	للاستاذ عبد الحق فاضل حول المفارقات اللغوية
339	للدكتور ممدوح حقي المقولات العشر

(5) دراسات معجمية

405	للاستاذ محمود تيمور الفاظ الحضارة لعام 1971
411	للاستاذ عبد الله كنون أكلة اللحم
413	للاستاذ عبد الحق فاضل أخطاء لغوية
428 حول الأخطاء الشائعة
430	أبو فارس مصطلحات أجنبية أصلها عربي
432 تعقيب على المصطلحات البريدية
435	للدكتور يوسف ثوني المصطلحات الجغرافية
438	للدكتور ممدوح حقي معجم المصطلحات العلمية
440	للاستاذ اسماعيل العبايجي مستدرج معجم المعاجم العربية
449	للاستاذ عبد الحق فاضل قصص من اللغة

6 نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب

صفحة

457	للدكتور عبد العزيز السيد	العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة
459	للدكتور ابراهيم مذكور	مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع
464	قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة
466	مجلس البحث العلمي الأردني
467	المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني لمنظمة التربية والثقافة والعلوم
469	للاستاذ ميرغني	جهود الدول العربية في حقل التعريب
470	المكتب الدائم في مشاريعه العربية والدولية
473	مسابقة المكتب الدائم
474	مسابقة المكتب الدائم : تكريم الفائز
480	بين المجلة وقراءها

7 أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

I	للاستاذ سامي عياد	أخطاء في قراءة العربية وتصحيحها
VII	للاستاذ زكي عبد العالک	تعريف الثقافة
X	أبقيّة العربية الفصحى على العامية العربية تحل محل الفرنسية في المحاكم الجزائرية
XXI:	اللغة والثورة الفكرية في العالم العربي

